بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله

وبعد

التراث تاريخ الأمة، ورصيدها الباقي، وحضارتها الممتدة التي تستمد منه كل بارقة، وتراث أمتنا الفكري قد حقق للإنسان المعطيـات الإنسـانية النافعـة، وفتح حقولاً فكرية جديدة تفاعلت فيه الثقافات والأفكار؛ فكوّنت صورة مشرقة لـتراثٍ أفاد الأمة في الماضي، وخدم أممًا أخرى في إناخة التخلف عنها.

إن البحث عن مقومات النهـوض لهـذه الأمـة لا يمكن أنْ يكـون بمعـزلٍ عن إحياء تراثها الخالد، وبعث الحياة فيه لاسيما أنَّ الصلة حتمية بين ما هو قـائم ومـا هو أصل لها، فلا سبيل لقطع الصلة بين مستقبلنا الذي هو بـأمسّ الحاجـة لتراثنـا الذي كان سبيل فلاح أمتنا في الماضي التليد، وحاضرنا المشرق الزاهي.

لقد خطا علماء الأمة خطوة جبارة؛ وذلك بجمعهم وتدوينهم ما كـان متـداولاً من التراث الفكـري بالروايـة لعصـور عـدّة، والأمـة الحيّـة لا تقبـل أنْ يظـل ذلـك التراث رهين الأسر، ولا يمكن أن ترقب جـذور مجـدها وحضـارتها حـبيس أعمـاق الزمن، وأقلّ ما يمكن تقديمه لذلك التراث الفكري، ولجهود العلمـاء الأوائـل؛ هـو بعث الحياة في ذلك التراث من خلال نشـره بعـد تحقيقـه؛ التحقيـق الـذي يظهـر التراث الفكري بشكل مشرق معتمدًا الأساليب العلميـة في التحقيـق لا التحقيـق الذي يجني على التراث الفكري.

ومن ذلك التراث الفكري المخطوطة الموسـومة بــ (**الأنوار المضـيئة في شرح الأخبـار النبوية**) لمؤلفهـا الإمـام (**يحـيى بن حمـزة العلـوي**) الـتي تمّ

اختيارها للدراسة والتحقيق، ليكون هـذا الجهـد فاتحـة جهـود مباركـة، وتوجـه علمي نتمـنى أن تنهض بـه الجامعـات ومراكـز البحـوث ودور المخطوطـات بالجمهوريـة، ليتكلـل ذلـك ببعث الحيـاة في الكثـير من المخطوطـات الـتي تحفـل بهـا المكتبـات اليمنية العامة والخاصة.

وقد وجد الباحث هذه المخطوطة جديرة بالدراسة والتحقيق، وذلك لمّا تنطوي عليه من ثروة علمية، ولعل من أسباب اختيـار البـاحث التحقيـق ميـدانًا للدراسـة، قلّة تحقيق المخطوطات ونشرها؛ فتراث الفكر اليمني سجين المخطوطات، فمـا يزيد عن نسبة 90% من ذلـك الـتراث لم يخـرج إلى سـاحة التـداول، وهـذا يُحتّم على الجامعات، ومراكز البحوث والدراسـات القيـام بجهـود مكثفـة لإخـراج هـذه الكنوز، وبعث الروح والحياة فيها لتنهل الأجيال من المعارف والعلوم، وترتوي من فيض معينهـا وعطائهـا الزاخـر الـذي يمثـل خلاصـة عقـول أصـحابها من العلمـاء والأدباء، وفكرهم النيّر، ومن الأسـباب فضـلاً عمّـا سـبق ذكـره؛ نـدرة الدراسـات الأكاديمية التي تقوم بتحقيق المخطوطات مـع امتـداد خـط التحقيـق القـائم على أسس غير علمية في اليمن، وبعث الحياة في المخطوطة المراد تحقيقهـا، وذلـك بإخراجها إلى حيز الوجود الفعلي التداولي، وإغناء المكتبـات بهـذه الكنـوز، ورفـد الدراسات الأدبية والنقدية بإضافات جديدة بفضـل مـا تختزنـه مخطوطـة (الأنـوار المضيئة في شرح الأخبار النبوية) لاسيما أن الدراسات البلاغية المتخصصة نـادرة في تلك الحقبة الزمنية من تاريخ اليمن مع ذيوع شهرة المؤلف، ووضـوح جهـوده البلاغية.

ولدراسـة هـذه المخطوطة وتحقيقها أهميـة وأهـداف تتمثـل في تزويـد الدارسين بكتاب لغوي نحوي بلاغي، وتقديم نموذج تطبيقي بين أيدي الدارسين لما

نظّر لـه المؤلـف في كتابيـه، (الطـراز المتضـمن لأسـرار البلاغـة، وعلـوم حقـائق الإعجاز)، و(الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في معرفة حقائق الإعجاز)، وإثراء المكتبـة اليمنية والعربية التي تفتقر إلى تلـك الدراسـات البلاغيـة، وكـذلك خدمـة الـتراث العربي والإسلامي، مع إظهار إسـهامات علمـاء اليمن في رفـد الحضـارة العربيـة والإسلامية بالمعارف والعلوم، فضلاً عن إظهار القيمة العلمية للمخطوطة، وذلـك بشرح المؤلف الأدبي للأحاديث النبوية بطريقة متميزة ندر مثيلها في ذلك العصر، حيث شـرحها على خمسـة مسـتويات؛ الأول: يختص بالألفـاظ اللغويـة وتوضـيح معانيها، والثاني: يشتمل على المعـاني الإعرابيـة، والثـالث: يشـتمل على العلـوم المعنويـة المختصـة بعلم المعـاني، والرابـع: يختص بـالعلوم البيانيـة، والخـامس: يشتمل على علوم البديع.

ولوعـورة هـذا المسـلك؛ أيْ مسـلك دراسـة المخطوطـة وتحقيقهـا ، فقـد اسـتعان البـاحث بجهابـذة المحققين سـواء في مؤلفـاتهم عن منـاهج تحقيـق النصوص، كالأستاذ عبد السـلام هـارون، والأسـتاذ الـدكتور رمضـان عبـد التـواب، والأستاذ الدكتور نوري القيسي، والأستاذ الدكتور سـامي العـاني، أو الـذين كتبـوا عن مناهج التحقيق في مقـدمات الكتب الـتي حققوهـا كالأسـتاذ الـدكتور شـوقي ضيف، والأستاذ عبد السلام هارون.

إن منهج تحقيق النصوص الذي يدرس في الجامعات له قيمة علمية لعل من أهمها إنشاء اتصال حميمي بين القارئ والمخطوطات بحيث يسـتفيد القـارئ من مؤلفات علمائنا القدماء وخبراتهم، ويضـمن لتراثنـا البقـاء مـع التجديـد فضـلاً عن إثراء المكتبات بتلك النفائس التي يستفيد منها الباحثون.

ولذا كان المنهج العلمي الأكاديمي في دراسـة النصـوص وتحقيقهـا - والـذي

يقوم على جانبين الأول يختص بشخصية المؤلف، والثاني يختص بالمخطوطة- هو المنهج الذي التزمه الباحث في دراسته وتحقيقه، وبناءً على هذا المنهج، فقد تضمن العمل قسمين، **القسم الأول: الدراسة**، وهي على النحو الآتي:

الفصل الأول شخصية المؤلف، وبُدئ بمدخل فيه لمحة عن عصر المؤلف سياسيًا وثقافيًا، وقد تضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث، المبحث الأول، فيه ترجمة وافية له، حيث ورد في هذا المبحث اسمه ونسبه مع ذكر الاختلافات الواردة في إسقاط بعض أجداده، وترجيح أصح تلك الروايات، فضلاً عن ذِكر أسرته ومولده ونشأته وشيوخه ومذهبه وتاريخ وفاته الصحيح مع ردّ الروايات المخالفة لتاريخ الوفاة الصحيح بالدليل الواضح، أما المبحث الثاني، فضمّ مؤلفاته في شتى الفنون، والتي بلغت نيفًا وسبعين مؤلفًا، تمّ توزيعها على حسب التخصصات، وهي اللغة والبلاغة وعلم الكلام (أصول الدين) وأصول الفقه والفقه والزهد والسِّير والمنطق، فضلاً عن بعض خطبه وإجازاته العلمية وتعازيه وجواباته على أسئلة ودعواته وفتاويه ووصاياه، مع الإشارة إلى المخطوط منها ومكان وجودها، والمطبوع منها سواء كان قد خُصّ بدراسة جامعية أم لا، أما المبحث الثالث؛ فقد تناول جهود المؤلف في مؤلفاته، ومكانته العلمية، فمن جهوده في علوم البلاغة: قدرته على الجمع بين التنظير لحدود مباحث تلك العلوم مع ترتيب أبوابها وفصولها، وتحليل النصوص من الزاوية الجمالية بتذوق أصيل، وتمّ إظهار هذه القدرة بنماذج من كتبه البلاغية، ثم إظهار جهوده في علم اللغة، ومنها شروحه لبعض المتون اللغوية، ثم إظهار بعض جهوده في علم الكلام، ومن ذلك قدرته على ابتكار منهج أصيل في التحليل يعتمد على أربعة معايير لصلاحية استخدام اللفظ: وهي القرآن الكريم، واللغة والعرف والاصطلاح، فضلاً عن

تسخير ذلك المنهج في الرد على الفـرق، وبعـد ذلـك تمّ إظهـار مـدى موسـوعية المؤلف الفقهية، من خلال بعض كتبه الفقهية.

أما الفصل الثاني كتابه (الأنوار المضيئة)، هذا الكتـاب هـو شـرح لكتـاب (الأربعون حديثًا السيلقية)، لذا خُصّ مدخل هذا الفصل بلمحة عن محدثها عبـد اللـه بن زيد الهاشمي، وتسميتها بالسيلقية نسـبة إلى راويهـا السـيلقي، ومواضـيعها الوعظيـة، وتجدر الإشارة إلى كون هذه الأحاديث لم ترد في الصحاح الست والمسانيد، وقـد أورد المؤلف في مقدمة المخطوطة اتفاق نقله الأخبار وعلمـاء الحـديث على صـحتها؛ ولأنّ هذه الأحاديث قد شرحها الإمام المنصور بالله عبـد اللـه بن حمـزة في كتـاب (حديقـة الحكمة)، وذلك قبل أن يشرحها الإمام يحيى بن حمزة في كتابه (الأنوار المضيئة) لـزم النظر في هذه الدراسة السـابقة، فخُصـص المبحث الأول لدراسـتها من ناحيـة المنهج المتبع والذي يميل إلى الاختصار، والغرض الذي من أجله تمّ شرح الأحاديث حيث كـان الغرض هو إظهار المقاصد النبوية في الأحاديث، فضلاً عن الإشارة إلى تضـمن الشـرح طرفًا من نسب الرواة وبعض أحوالهم، وتمّ ختم المبحث بذكر أهم القضـايا الـتي تمّت مناقشتها في هذا المبحث، أما المبحث الثاني، فقـد كـان مختصًـا بـالمنهج الـذي اتبعـه مؤلف (الأنوار المضيئة) عند شرحه الأحـاديث، فتمّت مناقشـة مـا أورده في المقدمـة من غرضي شرحه البلاغي، ومنهجه في الشرح، وعلة ترتيب منهجه على هـذا الشـكل بالذات، وإشاراته إلى تجنبـه الطريقـة المتبعـة في شـرح كتـاب (حديقـة الحكمـة)، ثم استعراض طريقة شرحه، ومدى التزامـه بـالمنهج الـذي نظّـر لـه في المقدمـة، وتمّت مناقشة علـل عدولـه عن هـذا المنهج بعـد أن التزمـه في الأحـاديث الأولى، فضـلاً عن الإشارة إلى بعض المميزات التي تميز بها شرحه، وطريقة تعامله مـع مصـادره، وخُتم هذا المبحث بذكر أهم معـالم منهج المؤلـف في كتابـه، وقـد اسـتقطب المبحث الأول

والثاني مبحثًا ثالثًا اختصّ بعقد موازنة بين الكتابين تضمنت مدى تأثر اللاحــق بالســابق، ومحاور الاتفاق، ونقاط التقاطع سواء في المنهج أم عرض المادة أم نوعيتها مـع إيـراد المميزات والسلبيات لكل منهما، وخُتم هذا المبحث بذكر أخص سـمات كتـاب (الأنـوار المضيئة).

أما الفصل الثالث جهوده البلاغية في (الأنوار المضيئة)، فلمّـا كـان المؤلف قد جعل أغلب شرحه لهـذا الكتـاب مختصًـا بالتحليـل لمـواطن البلاغـة في الأحاديث النبوية، فضلاً عن كون الباعث على الشرح غرضًا بلاغيًـا، فـإن مـدخل هـذا الفصل قد ورد فيه علل ذلك، والمتمثلة في كون المؤلف قد اكتفى بالتنظير لحــدود مباحث البلاغة وتقسيماته المختلفة في كتابه (الطراز)، و(الإيجـاز)، فضـلاً عن كـون (الأنـوار المضـيئة) مكملاً لمشـروع كبـير بـدأه المؤلـف في الفن الثـالث من كتابـه (الطراز) حيث تناول مواطن البلاغة والفصاحة في القـرآن الكـريم، وقـد تمّ تـرتيب مباحث هـذا الفصـل حسـب ترتيبهـا في كتـاب (الأنـوار المضـيئة)، فـالمبحث الأول: جهوده في علم المعاني، واختص بمباحث علم المعاني التي تضمنته الأحاديث، الـتي شرحها المؤلف حيث تمّ ذكر ما اسـتنبطه المؤلـف، وشـرحه مـا تضـمنته الأحـاديث النبوية من مباحث علم المعاني، وتنكبه في الغالب عن الاسترسـال في ذكـر حـدود وتعريفات مباحث علم المعـاني، واعتمـاده على التحليـل القـائم على إظهـار جمـال التوظيف النبوي لعلم المعـاني في كلامـه، وخُتم بخلاصـة لمـا ورد في المبحث، أمـا المبحث الثاني: جهوده في علم البيان، فقد ذُكر فيه ما شرحه المؤلـف من مبـاحث علم البيان التي تضمنت الأحاديث النبوية، وتمّت مناقشة وتوضيح بعض القضايا التي تناولهـا المصـنف في مـا يخص التشـبيه المضـمر الأداة والكنايـة ومجـاز الإفـراد والتركيب والاستعارة الموشحة، فضلاً عن قضية اتسـاع المجـاز عنـد المؤلـف، وقـد

ختم المبحث بخلاصة مـا تمّت مناقشـته فيـه، أمـا المبحث الثـالث: جهـوده في علم البديع، فقد تمّ إيراد ما شرحه المؤلف من مباحث علم البديع التي تضمنته الأحاديث النبوية، ومناقشة بعض القضايا المتعلقة بغايات علم البديع، وكون البلاغة والفصـاحة تحصل بكون الكلام سلسًا مألوفًـا، واختصـاص الفصـاحة باللفـظ والبلاغـة بـالمعنى، وتقسيم الألفاظ إلى جزلة ورقيقة وغيرها، وانتهى المبحث بخلاصة تضـمنت مـا ورد في هذا المبحث، وخلاصة موجزة لما ورد في مباحث علوم البلاغة الثلاثة.

القسم الثاني: التحقيق، وتضمن منهج التحقيق، وفيه خطوات التحقيق، ومراحله من إثبات عنوان الكتـاب، ونسـبته إلى المؤلـف، وذُكـر الممـيزات الـتي على أساسها تمّ اختيار النسخة الأم والأصل الذي على ضوئها ينشر الكتاب، وآلية المقابلة بين النسخ المعتمدة مع تضمين الهامش ما اختلفت فيه النسـخ، وتحريـر النصّ حسب القواعد الإملائية الحديثـة، وضـبط الآيـات القرآنيـة مـع إحالتهـا على سورها وأرقام آياتها، وضـبط حـروف الأحـاديث النبويـة المشـروحة بالشـكل مـع تخريج كل الأحاديث النبوية، وضبط الأبيات الشعرية بالشـكل مـع نسـبتها لقائليهـا إذا كانت غير منسوبة، وإذا كانت منسوبة تمّ التأكـد من صـحة نسـبتها مـع تكملـة النـاقص منهـا، وترجمـة لقائليهـا، وتتبـع أقـوال العلمـاء مـع إحالتهـا على قائليهـا، وترجمة كل الأعلام، وإضـافة بعض العنوانـات بين [ ]، وشـرح الألفـاظ الغـامض معانيها، وأخيرًا الفهارس العامة، وتضمن القسم الثـاني فضـلاً عمّـا سـبق النسـخ المعتمدة، فقد تمّ ذكر النسخ المعتمدة في التحقيق مع وصف لكل نسـخة، واتبـع الباحث ذلك بصور مستنسـخة للصـفحة الأولى والثانيـة والأخـيرة من كـل نسـخة للمخطوطة، وبعده النصّ المحقق، ثم الفهارس العامة.

وهنـا يمكن الإشـارة إلى اعتمـاد الإمـام يحـيى بن حمـزة على حافظتـه في شرحه- وإن لم يكن ذلك اعتمادًا كليًا- فإنه قد وجد بعض الصعوبات في توثيق ما

استشهد به من موارده، ولاسيما منهـا مـا لم يكن منسـوبًا لقائليـه ومـا نُسـب لغير قائليه، وما فيه نقص أو زيادة عمّا هـو عليـه في مـورده، وقـد تمّت الإشـارة إلى ذلك في مواضعه في النصّ المحقق.

وأخيرًا: أتقدم بالشكر الجزيل لأساتذة قسم اللغـة العربيـة والترجمـة بكليـة اللغـات لجهـودهم، وحسـن رعـايتهم لي، ومن دواعي الفضـل والعرفـان أخص بالشكر والتقدير الأستاذ الدكتور الفاضل أيهم عباس القيسي، والدكتورة الكريمة هوازن عزة إبراهيم، وأسدي الفضل لهما بعد الله تعـالى لمـا قامـا بـه من رعايـة واهتمام وتصويب ما وجدا إلى ذلك سبيلاً، ولما بذلاه من جهد ووقت أثمرت هــذه الدراسة، فجزاهما الله خيرًا.

وبعد فإن الباحث لا يدعي أو يزعم أن عمله هذا قد حـاز الغايـة، وبلـغ درجـة الكمال؛ لأنّ الكمـال للـه وحـده بـل هـو عمـل قابـل للنظـر والتقـييم والإضـافات والتصحيح، الذي يزيد من ثبات هـذا العمـل ورسـوخه، والحمـد للـه رب العـالمين على فضله ومنّه، فله أتمّ الحمد والشكر.

البا

حث

القســــم الأول الدراســـة

الفصـــل الأول

شخصية المؤلف

مـدخــل

لقد عاش الإمام يحيى بن حمزة في أواخر القرن السابع الهجري مع النصف الأول من القــرن الثــامن الهجــري، وهــذه الحقبــة تنــدرج تحت عصــر الانكفــاء والانكسار العربي سياسيًا وثقافيًا، وذلك بعد سقوط الدولة العربية الإسلامية، أمـا بالنسبة لليمن فقد ظهرت على ساحته صراعات، فدولة بني رسول- التي أسسها المنصور عمر بن علي بن رسول سنة 626هـ[1]، في المنـاطق السـاحلية وبعض المرتفعات الجبلية الشمالية الغربية، والمنـاطق الوسـطى- قـد دخلت في صـراع مع دولة الأئمة الزيدية، فكان يمتد نفوذ بني رسـول في المنـاطق الشـمالية على حساب نفوذ دولة الأئمة الزيدية ممّا أوجد صراعًا شديدًا بينهمـا، فضـلاً عن وجـود تنـافس ثقـافي دفـع كلا الطـرفين إلى الاهتمـام بـالعلم لاسـيما العلـوم المتعلقـة بالهوية المذهبية الدينية، وذلك لأنّ الدولتين تنتميان إلى تيارين فكــريين مختلفين، فكلمـا اتسـع نفـوذ إحـدى الـدولتين السياسـي اتسـع نفوذهـا العلمي والفكـري والمذهبي، وكل طرف يحاول الحفاظ على ثقافتـه وفكـرة ومذهبـه، ويسـعى إلى نشره.

ولذا شـجع بنـو رسـول العلم والعلمـاء، فبنـوا دور العلم، وشـجعوا العلمـاء، وأجروا لهم الرواتب، وشاركوا في طلبه ونشره، ومنهم على وجـه الخصـوص في هذه الحقبة الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول الـذي تـولى الحكم من سنة 647هـ، إلى وفاته سنة 694هـ، والملك الأشرف عمـر بن يوسـف الـذي

---

[1])) ينظر: العقود اللؤلؤية في تـاريخ الدولـة الرسـولية، علي بن الحسـن الخـزرجي، تصـحيح محمد بسيوني عسل، ط2، عام 1403هـ، (د)، 1/ 52.

تولى الحكم سنة 694هـ، إلى وفاته سنة 696هـ، والملك المؤيد داود بن يوسف، الذي تولى الحكم سنة 696هـ، إلى وفاته سنة 721هـ [1].

وعلى المثل أئمة الزيدية الذين أسهموا في ازدهار الثقافة والمعرفة، وألفوا الكتب والمقالات والرسائل التي أسهمت إسهامًا فعالاً في الثقافة، واهتموا بالتعليم الإلزامي في تحصيل العلوم إلى أبعد الحدود؛ ولأن ظروفهم كانت لا تسمح ببناء المدارس بالشكل الكافي في كل مناطق نفوذهم؛ فقد استعانوا في هذه المهمة بالمساجد فانتعش التعليم، وازدهر التأليف والتصنيف[2]، حيث بلغ عدد المصنفات في القرن السابع الهجري أكثر من ثلاثمائة واثنين وأربعين مصنفًا[3]، ومنهم الإمام عبد الله بن حمزة المتوفى سنة 614هـ، الذي بلغت مصنفاته زهاء خمسة وثمانين مصنفًا، على الرغم من كونه لم يكن متفرغًا بشكل تام لهذا المجال لأنّه حكم البلاد مدة تُقدر بواحد وثلاثين عامًا من عمره الذي لم يتجاوز ثلاثة وخمسين عامًا[4].

---

1)) ينظر: نفسه، 1/ 81، 90، 239، 249، 251، 258، 2/ 13.

2)) ينظر: الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وأثره في الفكر الإسلامي سياسيًا وعقائديًا، د. محمد محمد الحاج الكمالي، دار الحكمة اليمانية، ط1، عام 1991م، صنعاء، الجمهورية اليمنية، 56، 57.

3)) ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، عبد السلام عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي العلمية والثقافية، ط1، عام 1985م، عمان، الأردن، 1204- 1209.

4)) ينظر: نفسه، 578- 585.

المبحث الأول

ترجمته

اسمه ونسبه

أجمعت المصادر التي ترجمت للإمام يحيى بن حمزة العلوي على نسبه الذي يصل إلى سبط رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[1].

وهو: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن يوسف بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن إدريس بن جعفر الزكي بن علي التقي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم[2].

وقد قُدّم له في كتاب (البدر الطالع) ترجمة سقط منها الجدّ الثالث وهو (يوسف)، والرابع (علي)، والخامس (إبراهيم)، والسابع (أحمد)[3]، وقد وافق في السقط الثلاثة الأجداد الأولى ما في كتاب (إتحاف المهتدين)[4]، وفي السقط الجدّ السابع موافقة لما ورد في مخطوطة (سيرة الإمام يحيى بن حمزة)[5]، وورد السقط نفسه- المتعلق بالجدّ السابع- في كتاب (طبقات الزيدية)[6]، وسقط أيضًا

---

1)) وهو الحسين بن علي بن أبي طالب- رضي الله عنهما- ولد بالمدينة في السنة الرابعة للهجرة، واستشهد بكربلاء في سنة 61هـ. ينظر: التحف في شرح الزلف، أبو الحسنين مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي، مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، عام1997م، صنعاء، الجمهورية اليمنية، 57- 61.

2 (?) ينظر: نفسه، 270.

3)) ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، دار الكتب العلمية، ط2، عام 2007م، بيروت، لبنان، 2/ 184.

4)) ينظر: إتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين ومن قام باليمن الميمون من قرناء الكتاب المبين وأبناء سيد الأنبياء والمرسلين، محمد بن محمد زبارة، مطبعة المقام الشريف، عام 1343هـ، صنعاء، اليمن، 65.

5)) ينظر: سيرة الإمام يحيى بن حمزة، عبد الله بن الهادي بن يحيى بن حمزة، (مخطوط)، مكتبة الجامع الكبير التابعة للأوقاف، صنعاء، برقم (10 مجاميع)، ق 143.

6)) ينظر: طبقات الزيدية الكبرى، إبراهيم بن القاسم بن محمد، تحقيق عبد السلام عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي العلمية والثقافية، ط1، عام 1421هـ، عمان، الأردن،

في كتاب (البدر الطالع) الجدّ الحادي عشر (محمد الجواد)، مع زيادة بعد الجدّ الثامن جدّ هو (علي) بن جعفر الزكي[1]، وقد وافقت هذه الزيادة ما في كتاب (بلوغ المرام)[2]، وتفرد بسقط الجدّ التاسع وهو (جعفر) كتاب (طبقات الزيدية)[3].

وهنا يمكن استنتاج علّة هذا السقط؛ فلعلّه راجع إلى تكرار بعض الأسماء في نسب الإمام يحيى بن حمزة مثل (علي وإبراهيم ومحمد)، أما سقط الأسماء غير المتشابهة؛ فلعله عائد إلى سقط أثناء الطباعة لاسيما كون أغلب هذه الكتب غير محققة.

إن أكثر الدارسين يعولون في دراساتهم التاريخية على ما يرد في مشجرات الأنساب التي تحتفظ بها بعض الأُسر في اليمن، وقد وافقت فيما يخص نسب الإمام يحيى بن حمزة ما ورد في كتاب (التحف في شرح الزلف)، وقد أُعتمد ما ورد فيه لاسيما أن مؤلفه مشهور بطول باعه في هذا المجال[4].

وقد لُقب يحيى بن حمزة بالإمام، وأمير المؤمنين، والمؤيد بالله، والمؤيد برب العزة، والمؤيد برب العالمين، ويكنى بأبي إدريس، وأبي الحسن[5].

أسرته

تقدّم ذكر أبيه وأجداده، وورد أن أباه (حمزة) قدِم مع جدّه (علي بن إبراهيم) من العراق أيام الإمام يحيى بن محمد السراجي المتوفى سنة ست

القسم الثالث، 3/ 1224.

[1])) ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، 2/ 184.

[2])) ينظر: بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، حسين أحمد العرشي، مراجعة وتصحيح محمد سالم شجاب، مكتبة الإرشاد، ط1، عام 2008م، صنعاء، الجمهورية اليمنية، 60.

[3])) ينظر: طبقات الزيدية الكبرى،القسم الثالث، 3/ 1224.

[4])) ينظر: الانتصار على علماء الأمصار في تقرير المختار من مذاهب الأئمة وأقاويل علماء الأمة، الإمام يحيى بن حمزة، تحقيق عبد الوهاب علي المؤيد، علي أحمد مفضل، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط2، عام 1425هـ، عمان، الأردن، 1/ 100.

[5])) ينظر: المنهاج في شرح جمل الزجاجي، يحيى بن حمزة العلوي، دراسة وتحقيق د. هادي عبد الله ناجي، أطروحة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، عام 1999م، مكتبة الرشد، ط1، عام 2009م، الرياض، المملكة السعودية، 1/ 22، 179.

وتسعين وستمائة للهجرة [1].

وأمه أخت الإمام الناصر لدين الله يحيى بن محمد السراجي، وهي الشريفة الفاضلة الثريا بنت محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن الحسن، وهو سراج الدين- أيْ الحسن- بن محمد بن عبد الله بن الحسين بن علي بن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن السبط بن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[2].

أما أولاده: فسبعة من الذكور، وهم الهادي والمهدي ومحمد وأحمد والحسين وعبد الله وإدريس، وعقبهُ من الهادي ومحمد[3]، وست من الإناث، ولما كانت مخطوطة (سيرة الإمام يحيى بن حمزة)، قد سقط بعض أوراقها؛ فإنه ذكر منهم خمسة، وانتهى الموجود منها عند الحديث عن أولاد الهادي، وهذا ترتيبهم كما ورد[4]:

أولاً: عبد الله بن يحيى، كان صالحًا عالمًا فاضلاً تقيًا، ممّن يشار إليه بالإمامة، أقام في هجرة حوث[5]، ثم انتقل إلى صنعاء، ولم يزل فيها إلى أن توفي بها سنة 788هـ.

ثانيًا: محمد بن يحيى، كان عالمًا جوادًا سمحًا، لزم حوث، ولم يخرج منها، وبنى فيها مسجد الشجرة الذي تحول إلى مدرسة، وأنفق على العلماء وطلبة العلم فيها الذين يقدرون ما بين خمسين

---

1)) ينظر: نفسه، 1/ 22. التحف في شرح الزلف، 258، 259.

2)) ينظر: الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي، الإمام يحيى بن حمزة، تحقيق خالد المتوكل، إشراف عبد السلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط1، عام 2003م، صنعاء، الجمهورية اليمنية، 1/ 45. التحف في شرح الزلف، 258، 259.

3)) ينظر: التحف في شرح الزلف، 271.

4)) ينظر: سيرة الإمام يحيى بن حمزة، ق 147- 150.

5)) مدينة شمال صنعاء، وقرب محافظة صعدة، على بُعد 300كم من صنعاء تقريبًا، وسُمي بساكنه حوث بن حاشد. ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، ط3، عام 1403هـ، بيروت، لبنان، 1/ 474. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط5، عام 1980م، بيروت، لبنان، 1/ 50.

إلى ستين شخصًا، كانت وفاته في شعبان سنة 788هـ، في هجرة حوث.

ثالثًا: أحمد بن يحيى، كان عالمًا صـالحًا فاضـلاً زاهـدًا، اشـتغل بطلب العلم وأخذ عن والده، وتوفي وهو شاب في حياة والده في الثاني عشر من شهر ربيـع الآخر سنة 748هـ، في حصن هران[1]. **رابعًا**: إدريس بن يحيى، كان عالمًا فاضلاً فطنًا، طلب العلم على يد والده، وكان فارسًا شجاعًا، كان خطاطًا ماهرًا كتب كثيرًا من تصانيف والده، انتقل من حـوث إلى صـنعاء، وتـوفي بهـا ولم يـذكر تـاريخ وفاته.

خامسًا: الهادي بن يحيى، كان عالمًا صالحًا ناسـكًا فاضـلاً زاهـدًا في الـدنيا، برع في العربية وعلم الكلام وأصـول الفقـه والفقـه، وكـان خطيبًـا مفوهًـا وقارئًا حسن الصوت، وكان إمام وخطيب مسجد الشجرة، أقام أول مدته مع إخوتـه في حوث، ثم انتقل مع أهله وأولاده إلى الشرف وسكن المحطور[2] حـتى تـوفي في شعبان سنة 796هـ، ومن أولاده عبد الله صاحب سيرة جده يحيى بن حمزة.

مولده ونشأته

ولـد بصـنعاء في السـابع والعشـرين من صـفر سـنة تسـع وسـتين وسـتمائة للهجرة[3]، وقيل: ولد بحوث[4]، والراجح مولده بصنعاء، وإنما انتقل إلى حـوث في فترة لاحقة، حفظ القرآن الكريم، واشتغل بطلب المعارف العلميـة، وهـو صـبي، فأخذ في جميع أنواعها على أكابر علماء الـديار اليمنيـة، فرحـل إلى حـوث، فقـرأ

---

1)) وهو حصن مطـل على مدينـة ذمـار بـاليمن. ينظـر: معجم البلـدان، يـاقوت بن عبـد اللـه الحموي، دار الفكر، بيروت، لبنان، 5/ 396.

2)) المحطور قرية بحصن منيع في بلاد الشرف، وهمـا في محافظة حَجَّة. ينظـر: هجـر العلم ومعرفة معاقله في اليمن، إسماعيل علي الأكـوع، دار الفكـر المعاصـر، بـيروت، لبنـان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، عام 1995م، 4/ 1956.

3 (?) ينظر: البدر الطالع ، 2/ـ 184. مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، د. حسـين العمـري، دار المختـار للتـأليف والطباعة والنشر والتوزيـع، عـام 1980م، دمشـق، سـوريا، 176.

4)) ينظر: هجر العلم ومعرفة معاقله، 1/ 504.

أكثر العلوم وتبحّر في جميع العلوم، وفاق أقرانه، وصـنف التصـانيف الحافلـة في جميع الفنون حتى قيل بلغت مائة مجلد، ويُروى أن كـراريس تصـانيفه زادت على عدد أيام عمره[1].

شيوخه

من أجلّ شيوخه خاله الناصر لـدين اللـه يحـيى بن محمـد السـراجي المتـوفى سنة 696هـ، والفقيه عامر بن زيد الشماخ[2]، ولم يرد تاريخ وفاته، ومن مشـائخه- أيضًا-:

العلامة محمد بن خليفة بن سالم بن محمد يعقوب الهمداني، المتوفى سـنة 675هـ، قرأ عليه أكثر العلوم، كعلم الكلام وغيره[3].

والعلامة المطهـر بن يحـيى، المتـوفى سـنة 697هــ، أخـذ عنـه كتـاب (أصـول الأحكام) لأحمد بن سليمان[4].

والعلامة إبراهيم بن محمد إبراهيم الطبري الشافعي المتوفى سنة 722هـ، وقد أجازه في صحيح البخاري ومسلم، وكتاب الترمذي، والسنن للنسائي، ومسند أبي حاتم، وشرح السنة للبغوي، والناسخ والمنسـوخ لمحمـد الحـارثي، والوسـيط في تفسير القرآن للواحدي[5].

والعلامة الواثق محمد بن المطهر بن يحيى المتوفى سنة 728هـ[6].

والعلامة محمد بن أحمد الطبري، المتوفى سنة 730هـ[7].

---

1 (?) ينظر: البدر الطالع، 2/ 184. مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني، 176.

2 (?) ينظر: مصادر الفكر الإسلامي في اليمن، عبدالله محمـد الحبشـي، منشـورات المجمع الثقافي، عام 2004م، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 643، 644.

3 (?) ينظر: طبقات الزيدية الكـبرى، القسم الثـالث 3/ـ 1224ـ، 1225. وتـاريخ الوفـاة غـير صحيح حيث ثبت ما كُتب على ضريحه أن وفاته يوم الجمعة في العشـر الوسـائط من شـهر ربيع الآخر سنة 695 هـ.

4 (?) ينظر: نفسه، 3/ 1225.

5)) ينظر: نفسه، 3/ 1225، 1226، 1315.

6 (?) ينظر: نفسه، 3/ 1226.

7)) ينظر: طبقات الزيدية الكبرى، القسم الثالث، 3/ 1226.

والعلامة شهاب الدين أحمد بن عبد الله المعروف بـابن الـواطن، ولم يـرد تاريخ وفاته، وقد أجازه في كتاب (شمس العلـوم) في اللغـة لنشـوان الحمـيري، وكتاب (التهذيب) في التفسير للحاكم الجشمي[1].

والعلامة شهاب الدين أحمد بن محمد الشاوري، ولم يرد تاريخ وفاته، وقـد أخذ عنه كتاب(الفائق) في الحديث[2].

الفقيه حمزة بن علي،ولم يرد تاريخ وفاته، وقد أجـازه في كتـاب (المهـذب) في الفقه لأبي إسحاق الشيرازي[3].

والعلامة عفيف الدين سليمان بن أحمد الألهاني، ولم يرد تاريخ وفاته، وقـد سمع عليه (سنن أبي داود، وسيرة ابن هشام، وأمـالي أبي طـالب، ونهج البلاغـة)[4].

والعلامة علي بن سليمان البصير، ولم يرد تاريخ وفاته[5].

والعلامة محمد الأصبهاني، ولم يرد تاريخ وفاتـه، ومن جملـة مـا سـمع عليـه (أمالي أبي طالب)، و(مجموع الإمام زيد بن علي)[6].

مذهبه الديني

الإمام يحيى بن حمزة من أكابر أئمة المذهب الزيدي الـذي يُنسـب إلى الإمـام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم اللـه وجهـه، ولـد سـنة 75هــ، واستشهد سنة 122هـ، والزيدية يجمعهم القول بإمامة الإمام زيد- رضي الله عنــه-، وإن لم يكونـوا على مذهبـه في مسـائل الفـروع، وتفضـيل الإمـام علي- كـرم اللـه

[1] ينظر: نفسه.
[2] ينظر: نفسه، 1/ 205، 3/ 1225.
[3] ينظر: نفسه، 1/ 410، 3/ 1226.
[4] ينظر: نفسه، 1/ 77، 3/ 1225.
[5] ينظر: نفسه، 3/ 1225.
[6] ينظر: نفسه.

وجهه-، ويقولـون بالعـدل والتوحيـد والوعـد والوعيـد والأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكر[1]، ومن الطبيعي أن يكون مذهبه زيديًا، فقـد ولـد لأبـوين مـذهبهما المـذهب الزيدي، وعاش في بيئة تدرس المذهب الزيدي.

ومن شأن الفكـر الزيـدي فتح بـاب الاجتهـاد، وتحـريم التقليـد على المجتهـد، وحُجيـة العقل[2]، فـترتب على ذلـك سـعي منتسـبيه إلى بلـوغ الاجتهـاد بـالاطلاع والاستقراء الواسع للعلوم لاسيما علوم اللغـة العربيـة حيث تُعـد لـديهم من علـوم الآلة أيْ أنها صارت بمنزلة الآلة لكل العلوم لا تحقق معالجتها من دونها[3]، وفضــلاً عن ذلك انفتاح علماء المذهب على الآخـر والاسـتزادة منـه، وجعْـل العقـل معيـارًا ووسيلة للبحث والنظر والاجتهاد، ممّا جعلهم يـأتون بالجديـد العلمي المعتمـد على ترجيحات العقل، ولـذا فلا عجب من ظهـور الإمـام يحـيى بن حمـزة بتلـك الجهـود العلمية في أغلب العلوم، والتي سيتم تفصيلها في المبحث الثالث من هذا الفصل.

دعوته

دعا الإمام يحيى بن حمـزة لنفسـه بالإمامـة انطلاقًـا من مذهبـه الـذي يضـع شروطًا مـتى اجتمعت في المـرء فـإن لـه الخـروج والـدعوة إلى نفسـه، وكـانت دعوته في الثاني من شهر رجب سنة 729هـ [4]، وقيل سـنة 730هـ [5]، وهـو أول الـدعاة الحسـينيين في اليمن[6]، وكـان ظهـوره في بلاد صـعدة، وبلاد الشـرف،

---

1)) ينظر: المنية والأمل في شرح الملل والنحل، الإمام أحمد بن يحيى المرتضى، دار النـدى، ط2، عام 1990م، بيروت، لبنان، 96.

2)) ينظر: الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي، د. أحمد شوقي إبـراهيم العمرجى، مكتبة مدبولي، ط1، عام 2000م، القاهرة، مصر، 205.

3)) ينظر: الانتصار، 1/ 83- 90.

4)) ينظر: مآثر الأبرار في تفصيل مجمل جواهر الأخبـار، محمـد بن علي بن يـونس الزحيـف، تحقيق عبد السلام الوجيه، خالد المتوكل، مؤسسة الإمـام زيـد بن علي الثقافيـة، ط1، عـام 2002م، صنعاء، الجمهورية اليمنية، 2/ 973.

5)) ينظر: غاية الأماني في أخبار القطـر اليمـاني، يحـيى بن الحسـين بن القاسـم، تحقيـق د. سعيد عاشور، د. محمد زيادة، دار الكتاب العربي، عام 1388هـ، القـاهرة، مصـر، 2/ـ 511. إتحاف المهتدين، 65.

6)) ينظر: بلوغ المرام، 60.

ونهض إلى صنعاء، فقاتل الإسماعيليين وانتهى بالصلح، وعارضه في القيام بأمر الإمامة الواثق المطهر ابن محمد بن المطهر المتوفى سنة 802هـ، ثم تنحى عنها للإمام يحيى بن حمزة[1]، والناصر علي بن صلاح بن إبراهيم بن تاج الدين المتوفى سنة 730هـ [2]، والداعي إلى الله أحمد بن علي بن أبي الفتوح المتوفى سنة 750هـ[3]، ولكن الناس أجابوا دعوة الإمام يحيى بن حمزة، والتفوا حوله.

تلامذته

أخذ عن الإمام يحيى بن حمزة علماء، منهم:

العلامة محمد بن المرتضى بن المفضل، المتوفى سنة 732هـ، قرأ على الإمام يحيى فأسمعه المعقولات، وقرأ عليه المنقولات والمعقولات[4].

والعلامة أحمد بن حميد بن سعيد الحارثي، المتوفى في عشر الخمسين وسبعمائة، سمع على الإمام يحيى (كتاب البخاري ومسلم)[5].

والعلامة عبد الله بن يحيى بن حمزة (نجل الإمام)، المتوفى سنة 788هـ، وأجازه في مؤلفه (الانتصار)[6].

والعلامة الفقيه الحسن بن محمد النحوي، المتوفى سنة 791هـ، قرأ على الإمام يحيى مؤلفه (الانتصار) جميعه، ولم يسمعه عليه غيره، وأجازه في جميع مسموعاته ومستجازاته، وجميع مؤلفاته [7].

والعلامة إسماعيل بن إبراهيم بن عطية النجراني، المتوفى سنة 794هـ، وأجازه

---

1)) ينظر: إتحاف المهتدين، 66.
2)) ينظر: نفسه، 64.
3)) ينظر: نفسه، 66.
4)) ينظر: طبقات الزيدية الكبرى، القسم الثالث، 2/ 1071.
5)) ينظر: نفسه، 1/ 248، 3/ 1227.
6)) ينظر: نفسه، 2/ 650، 3/ 1227.
7)) ينظر: نفسه، 1/ 336، 3/ 1227.

في مؤلفه (الانتصار)[1].

والعلامة علي بن إبراهيم بن عطية النجراني، المتوفى بعد سنة 801هـ، وهو من أجلّ تلامذته، أخذ عنه في كتب الأئمة وشيعتهم كـ (مجموع الإمام زيد بن علي)، و (أمالي أبي طالب)، وغيرهما، وأجازه في مؤلفه (الانتصار)[2].

والعلامة أحمد بن سليمان الأوزري، المتوفى سنة 810هـ، وأجازه في مؤلفه (الانتصار)[3].

والعلامة أحمد بن محمد الشغدري، وأجازه الإمام يحيى بإجازة ذكر فيها الكتب الحاصلة له سماعًا، وكذا الكتب الحاصلة له بطريق الإجازة، ومنها (سنن أبي داود)، و(السيرة لابن هشام)، و(نهج البلاغة)، و(أمالي أبي طالب)، وغيرها، ولم يرد تاريخ وفاته[4].

وفاته

بعد أنْ تمّ الصلح مع الإسماعيليين، ومعارضة أكثر من إمام للإمام يحيى بن حمزة، سار إلى حصن هران المطلّ على ذمار، واشتغل بالتأليف، وتقريب الشقة بين الناس، والنصح لحكام عصره، وقد قيل: إنه كان ميالاً إلى الإنصاف مع بهارة لسان، وسلامة صدر، وعدم الإقدام على التكفير والتفسيق بالتأويل مبالغة في الحمل على السلامة على وجه حسن، وتوفي بحصن هران، ودفن بذمار، وقبره بها معروف مزور[5]، وكانت وفاته في التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة 749هـ [6]، وما

---

1)) ينظر: نفسه، 1/ 248، 3/ 1227.
2)) ينظر: نفسه، 2/ 692، 3/ 1227.
3)) ينظر: نفسه، 1/ 135، 3/ 1227.
4)) ينظر: نفسه، 1/ 117، 3/ 1225، 1226.
5 (?) ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 1124.
6)) ينظر: سيرة الإمام يحيى بن حمزة، ق 143. هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، عام 1955م، استانبول، تركيا، (د)، 2/ـ 526. مصادر الفكر، 643. الإمام المجتهد يحيى بن حمزة وآراؤه الكلامية، د.أحمد محمود صبحي، منشورات العصر الحديث، ط1، عام 1990م، بيروت، لبنان، 23. هجر العلم، 1/ 504.

قيل عن تاريخ وفاته في سنة 747هـ [1]، فهو غير سليم لأنَّ ابنه أحمد توفي في حياة أبيه، وذلك سنة 748هـ [2]، فضلاً عن كون الإمام يحيى بن حمـزة لم ينتـه من تـأليف كتابه (الانتصار) إلا في أواخر سنة 748هـ [3]، وأما القول بأنه تـوفي سـنة 705هـ [4]، أيْ قبل التاريخ الذي أجمعت عليه أغلب الكتب التي ترجمـة لـه بأربعـة وأربعين عامًـا فمردود لأنَّ من قال بذلك قد ذكر أن الإمام يحيى ابن حمزة دعا إلى نفسه بعد وفـاة الإمام المهدي محمد بن المطهر، ونصّ قبلاً أن وفاة المهدي محمد بن المطهر كـانت سنة 729هـ [5]، والقول بأن وفاته سنة 745هـ [6]، فغير سليم بما تقدم.

---

[1])) ينظر: غاية الأماني، 2/ 511.
[2])) ينظر: سيرة الإمام يحيى بن حمزة، 148.
[3])) ينظر: الانتصار،1/ 102.
[4])) ينظر: البدر الطالع، 2/ 185.
[5])) ينظر: نفسه، 2/ 144.
[6])) ينظر: بلوغ المرام، 60.

المبحث الثاني

مؤلفاته

يُعدّ الإمـام يحـيى بن حمـزة موسـوعة في شـتى العلـوم، فمـا يُوجـد ضـمن مؤلفاته زهاء سبعين مؤلفًا[1] بين مخطوط ومطبوع موزعة على علم اللغة، وعلم البلاغة، وعلم الكلام، وعلم أصول الفقه والفقه وفنـون متفرقـة، فضـلاً عن بعض المراسلات والجوابات والدعوات والتعازي والفتاوى، وهذه المؤلفات ليسـت على مستوى واحد، فمنها ما هـو في مجلـدات عـدة، ومنهـا مـا هـو عبـارة عن رسـالة قصيرة، وهذا حصر لها موزعـة حسـب العلـوم، ومرتبـة داخلهـا حسب الحـروف الهجائية.

أولاً: اللغة

1- الأزهار الصافية شرح مقدمة الكافيـة، جـزءان في النحـو، وُجـد في المكتبـة الغربية للجامع الكبير بصـنعاء بـرقم (1،ـ 2)، وورد باسـم الأنهـار الصـافية في شـرح المقدمة الكافية[2]، وقد حقق الجزء الأول منه محمد علي سـالم العطاونـة، ونـال بـه درجة الدكتوراة من كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، عـام 1982م، القـاهرة، مصـر، وحقق الجزء الثاني منه عبد الحميد مصـطفى السـيد، ونـال بـه درجـة الـدكتوراة من كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، عام 1982م، القاهرة، مصر، (وسيرد الحديث عنـه في المبحث الثالث من هذا الفصل).

2- الاقتصـار، مخطـوط في النحـو، جعلـه كالمـدخل إلى كتـاب المفصـل، مفقود[3].

---

1 (?) ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 1124.

2)) ينظر: أئمة اليمن، محمد بن محمد زبـارة، الـدار اليمنيـة للنشـر والتوزيـع، عـام 1984م، صنعاء، الجمهورية اليمنية، 229.

3 (?) ينظـــر: البـــدر الطـــالع، 2/184.ـــ أئمة اليمن، 229. وضـــبطه الأول بالـــدال المهملة (الاقتصاد).

3- إكليل التاج وجوهرة الوهاج، مخطوط[1].

4- الحاصر لفوائد المقدمة لطاهر[2]، وهو مجلد في النحو، وقد حققه زكريا محمد حسن علي، ونال به درجة الماجستير من قسم النحو والصرف في كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عام1994م، القاهرة، مصر. (وسيرد الحديث عنه في المبحث الثالث من هذا الفصل).

5- المحصل في كشف أسرار المفصل، أربعة مجلدات، وقد حقق الجزء الأول خالد عبد الحميد أبو جندية، ونال به درجة الدكتوراة من كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، عام1982م، القاهرة، مصر. (وسيرد الحديث عنه في المبحث الثالث من هذا الفصل).

6- المنهاج الجلي في شرح جمل الزجاجي، وقد حققه هادي عبدالله ناجي، ونال به درجة الدكتوراة من كلية الآداب، جامعة بغداد، عام1999م، بغداد، العراق. (وسيرد الحديث عنه في المبحث الثالث من هذا الفصل).

ثانيًا: البلاغة

1- الأنوار المضيئة في شرح الأخبار النبوية، (وسيرد الحديث عنه في القسم الثاني: التحقيق من هذه الدراسة).

2- الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في معرفة حقائق الإعجاز، سفران في مجلد، وهو مختصر لكتابه (الطراز) في البلاغة، وقد حققه الدكتور رياض القرشي، ونال به درجة الماجستير من كلية الآداب، جامعة القاهرة، عام1984م،

---

1)) ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 1125.

2)) ورد الكتاب بعناوين كثيرة، فما ورد في تحقيق زكريا محمد حسن علي هو (الحاصر لفوائد المقدمة لطاهر)، وفي نسخة مخطوطة بمكتبة العلامة محمد المنصور، صنعاء (الحاصر لفوائد المقدمة في علم الإعراب)، وفي مكتبة وزارة الأوقاف برقم 1700 (الحاصر في شرح مقدمة طاهر)، وذكر أيضًا بعنوان (الحاصر لفوائد مقدمة طاهر)، وذلك في البدر الطالع، 2/ 184.

القاهرة، مصر.

3- الديباج الوضي في الكشف عن أسـرار كلام الوصـي، وهـو شـرح لكتـاب (نهج البلاغة) للإمام علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- في ستة أجزاء، تحقيـق خالـد قاسم المتوكل، إشراف عبد السلام عباس الوجيه، مؤسسـة الإمـام زيـد بن علي الثقافية، ط1، عام2003م، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

4- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقـائق الإعجـاز، طبـع بعنايـة دار الكتب المصرية، وبتصحيح سعد بن علي المرصـفي في مطبعـة المقتطـف، عـام 1332هـ، وهو في ثلاثة أجزاء.

5- مختصـر الأنـوار المضـيئة في شـرح الأخبـار النبويـة، مخطـوط، (وسـيرد الحديث عنه في القسم الثاني: التحقيق من هذه الدراسة).

ثالثًا: علم الكلام (أصول الدين)

1- الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام، تحقيق فيصل بدير عـون، راجعـه د. علي سامي النشار، منشأة المعارف، عام1971م، الإسكندرية، مصر.

2- التحقيـق في الإكفـار والتفسـيق، مجلـد مخطـوط، موجـود في مكتبـة الأستاذ حسين السياغي[1]، وورد بعنـوان: التحقيـق في التكفـير والتفسـيق[2] وقـد ذكــره صــاحبه في كتابــه (الأنــوار المضــيئة) بعنــوان: التحقيــق في الإكفــار والتفسيق[3].

3- التمهيد لأدلة مسائل التوحيد، وورد باسم التمهيد لعلوم العدل والتوحيد،

---

1)) ينظر: البدر الطالع، 2/ 184، أعلام المؤلفين الزيدية، 1126.

2)) ينظر: طبقات الزيدية الكبرى، القسم الثالث،3/ 1229. التحف في شرح الزلف، 271.

3)) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 195.

مخطوط في مجلدين، وموجود في مكتبة الجـامع الكبـير بصـنعاء بـرقم (61 علم الكلام)[1].

4- الجـواب الرائـق في تنزيـه الخـالق عن مشـابهة الممكنـات والكـون من الأرجاء والجهات، مخطوط، وموجود في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (106) مجاميع.

5- الجواب القاطع للتمويه عمّا يرد على الحكمة والتنزيه، مخطوط، وموجود في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (106) مجاميع.

6- الجـواب النـاطق بالصـواب القـاطع لعـرى الشـك والارتيـاب، مخطـوط، وموجود في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (106) مجاميع.

7- الرسالة المفيدة، مخطـوط، وموجـود في مكتبـة الجـامع الكبـير بصـنعاء برقم (83، 13) مجاميع.

8- الرسالة الوازعـة لـذوي الألبـاب عن فـرط الشـك والارتيـاب، مخطـوط، وموجود في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (106) مجاميع.

9- الرسـالة الوازعـة لصـالح الأمـة عن الاعـتراض على الأئمـة، مخطـوط، وموجود في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (106) مجاميع.

10- الشامل لحقائق الأدلة العقلية، وأصول المسائل الدينية، أربعة أسـفار في مجلدين مخطوطين، وموجود في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (88 علم الكلام)، وهو من أهم كتبه الكلامية[2].

11- القسطاس، جزءان في مجلد، مخطوط، ولم يرد مكان وجوده[3].

---

1)) ينظر: البدر الطالع، 2/ 184. أعلام المؤلفين الزيدية، 1126.

2)) ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 1129.

3 (?) ينظر: سيرة الإمام يحيى بن حمـزة، ق2. وورد في التحف في شـرح الزلـف: أنه كتـاب في أصول الفقه، 271.

12- مشكاة الأنوار للسالكين مسالك الأبرار، مخطوط، وموجـود في مكتبـة الجامع الكبير بصنعاء، برقم (67 علم الكلام)[1].

13- مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشـرار، مجلـد، حققـه الـدكتور محمـد السـيد الجلينـدي، منشـورات دار الفكـر الحـديث، عـام1962م، القـاهرة، مصر.

14- المعالم الدينية في العقائد الإلهية، مجلد، وهو مختصر لكتابه (الشامل)، حققه سيد مختار محمد حشاد، دار الفكر المعاصر، عام1988م، بيروت، لبنان.

15- نهاية الوصـول إلى علم الأصـول، مخطـوط في ثلاثـة مجلـدات[2]، وورد باسم النهاية في الوصول إلى حقائق علوم الأصول، وموجود منه نسـخة مصـورة بمكتبة العلامة محمد عبد العظيم الهادي بصعدة[3].

16- الوعد والوعيد وما يتعلق بهما، مخطوط، ولم يرد مكان وجوده[4].

رابعًا: أصول الفقه

1- الحاوي لحقائق الأدلة الفقهية وتقريـر القواعـد القياسـية، مخطـوط، في ثلاثة مجلدات، ومنه نسخة مصورة من السفر الثاني في مكتبة المصطفى بمركز بدر العلمي والثقافي بصنعاء[5].

2- الكوكب الوقاد في أحكام الاجتهاد، مخطوط، وموجود في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم(106) مجاميع.

3- المعيار لقرائح النظار في شرح الأدلة الفقهية وتقرير القواعـد القياسـية،

---

1)) ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 1130.

2)) ينظر: سيرة الإمام يحيى بن حمزة، ق2.

3)) ينظر: البدر الطالع، 2/ 184. أعلام المؤلفين الزيدية، 1131.

4)) ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 1131.

5 (?) ينظـر: البـدر الطـالع، 2/184. الحقـائق الراهنة في المائة الثامنـة، الشـيخ آغـا بـزرك الطهراني، تحقيق علي تقي فنزوي، ط1،عام 1975م، بيروت، لبنان، 238. أعلام المؤلفين الزيدية، 1127.

مخطوط، وموجود في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (1487 علم الكلام)، وأخرى في مكتبة العلامة المرتضى بن عبد الله الوزير، بمحافظة صنعاء[1].

خامسًا: الفقه:

1- الانتصار على علماء الأمصار في تقرير المختار من مذاهب الأئمة، وأقاويل علماء الأمة في المسائل الشرعية والمضطربات الاجتهادية؛ وهو موسوعة شاملة لأقوال مختلف المذاهب، والعلماء في الفقه الإسلامي، ويقع في ثمانية عشر مجلدًا[2]، طبع منه الثلاثة المجلدات الأولى، تحقيق عبد الوهاب علي المؤيد، وعلي أحمد مفضل، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، 2005م، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

2- الاختيارات المؤيدية[3]، ويُسمى اختيارات المؤيد بالله[4]، مجلد مخطوط، يوجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة برلين برقم (4879)[5].

3- الإيضاح لمعاني المفتاح، مجلد مخطوط في الفرائض، ولم يرد مكان وجوده[6].

4- الجواب المصلح للدين الموضح لسنن سيد المرسلين، مخطوط يوجد في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (106) مجاميع.

5- الجوابات الوافية بالبراهين الشافية، مخطوط يُوجد في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم(106) مجاميع.

---

1)) ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 1130.

2)) ينظر: سيرة الإمام يحيى بن حمزة، ق2.

3 (?) ينظر: أئمة اليمن، 229، وقد أشار برو كلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي 2/2186 إلى وجود نسخة منه في الهند.

4)) ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 1125.

5)) ينظر: المحصل في كشف أسرار المفصل، الإمام يحيى بن حمزة العلوي، أطروحة دكتوراة مقدمة من خالد عبد الحميد أبو جندية إلى كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، عام 1982م، القاهرة، مصر، 35.

6 (?) ينظر: البدر الطالع، 2/184. الحقائق الراهنة، 238.

6- العدّة في المدخل إلى العمدة، جزءان في مجلد مخطوط[1].

7- العمـدة في مـذاهب الأئمـة، في سـتة مجلـدات، مخطـوط، ومنـه الجـزء الثالث والرابع مصورتان بمكتبة العلامة محمد عبد العظيم الهادي بصعدة[2].

8- الكاشـف للغمـة عن الاعـتراض على الأئمـة، مخطـوط يوجـد في مكتبـة الجامع الكبير بصنعاء برقم (106) مجاميع.

9- نور الأبصار المنتزع من كتاب الانتصار، مخطـوط يوجـد في مكتبـة جـامع شهارة الكائن بمدينة شهارة بمحافظة حجة[3].

سادسًا: علوم متفرقة

1- أطواق الحمامة في حمـل الصـحابة على السـلامة، مخطـوط بمكتبـة آل يحيى بمدينة تريم بحضرموت[4].

2- تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب، وهو كتاب في الزهد والتصـوف تحقيـق إسـماعيل بن أحمـد الجـرافي، إشـراف أحمـد علي الهيصـمي، المكتبـة السلفية، عام1185م، القاهرة، مصر.

3- خطب الشهور والسَنة، مخطـوط، ومنـه نسـخة مصـورة بمكتبـة العلامـة محمد عبد العظيم الهادي بصعدة[5].

4- خلاصة السيرة، لخّص فيـه سـيرة ابن هشـام، مخطـوط، ولم يـرد مكـان وجوده[6].

---

1)) ينظر: سيرة الإمام يحيى بن حمزة، ق2.

2 (?) ينظر: سيرة الإمام يحيى بن حمزة، ق2. الحقائق الراهنة، 239.

3)) ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 1131.

4 (?) ينظر: حكام اليمن الأئمة المجتهـدون، عبدالله الحبشـي، دار القـرآن الكـريم، ط1،عـام 1979م، بيروت، لبنان، 565. الزيدية، د. أحمد صـبحي، الزهـراء للإعلام العـربي، ط1،عـام 1984م، القاهرة، مصر، 256.

5)) ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 1127.

6 (?) ينظر: الأعلام للزركلي، 8/144.

5- الرسالة الوازعة للمعتدين عن سب أصحاب سيد المرسلين، وهو مطبوع بالمطبعة المنيرية، عام1348هـ، القاهرة، مصر.

6- عقـد اللآلي في الـرد على أبي حامـد الغـزالي، مخطـوط، وموجـود في مكتبة الجامع الكبير بصـنعاء بـرقم (106) مجـاميع، وردّ فيـه على أبي حامـد في مسألة إباحته للسماع.

7- القانون المحقق في علم المنطق، مخطوط، وورد باسم الفائق المحقـق في علم المنطق، ولم يرد مكان وجوده[1].

8- اللباب في محاسـن الآداب، مخطـوط، وموجـود في مكتبـة الأمبروزيانـا برقم (124 g)[2].

سـابعًا: إجازاته وتعازيه وجواباته على الأسـئلة ودعواته ورسائله وفتاويه ووصاياه

1- إجازة للفقيه أحمد بن سليمان بجانب كتاب (المعيار)، مخطوط، موجـود بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (84 علم الكلام)[3].

2- أسئلة الفقيـه أحمـد بن سـليمان الأوزري، والأجوبـة عليهـا من المؤلـف، مخطوط، موجود في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ضمن مجموعة رقم (11)[4].

3- تعزية إلى الشيخ أحمد بن حسن الرصاص، بوفاة الشـيخ علي بن محمـد الرصاص، مخطوط[5].

4- تعزية في الفقيه أحمد بن يحيى إلى فقهاء بيت حنش[6].

---

1)) ينظر: الانتصار، 1/ 127.
2 (?) ينظر: الأعلام للزركلي، 8/144.
3)) ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 1124.
4)) ينظر: الانتصار،1/ 112.
5)) ينظر: نفسه،1/ 117.
6)) ينظر: نفسه، 1/ 117.

5- جـواب الإمـام يحـيى بن حمـزة لرجـل من الشـام يسـأله عن أحوالـه، ومصنفاته، مخطوط يوجد في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (106) مجاميع.

6- جوابات ثمانية وثلاثين سؤالاً، مخطوط، موجود في مكتبة الجـامع الكبـير بصـنعاء برقم (106 مجاميع)[1].

7- جوابات مسائل حول الشفعة والجوار، مخطوط[2].

8- دعوة الإمام يحيى بن حمزة إلى أمـراء آل عمـاد الـدين، مخطـوط يوجـد في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (106) مجاميع.

9- دعوة الإمام يحيى بن حمزة إلى سلطان اليمن المجاهد، مخطوط يوجــد في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (106) مجاميع.

10- الدعوة العامة، مخطوط، يوجد في مكتبة الجامع الكبير بصـنعاء بـرقم (106) مجاميع.

11- رأي الإمـام يحـيى بن حمـزة في أبي بكـر وعمـر- رضـي اللـه عنهمـا- مخطوط يوجد في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (106) مجاميع.

12- رسالة إلى الإخوان بالظاهرية، ومشائخ بني سعد بن حجاج أهل الظفير بحجة، مخطوط يوجد في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم(106) مجاميع.

13- رسـالة في بيـان المصـدر والحاصـل لـه، مخطـوط، موجـود في مكتبـة حسين السياغي بصنعاء[3].

14- عهده إلى بعض قضاته، مخطوط، موجود في مكتبة الجامع الكبـير بصـنعاء برقم (106) مجاميع.

15- فتاوى، مخطوط، موجود في مكتبة الجامع الكبير بصـنعاء بـرقم (106)

---

[1])) ينظر: نفسه، 1 / 116.

[2])) ينظر: نفسه، 1 / 123.

[3])) ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 1128.

مجاميع.

16- كتاب إلى الإخوان بمدينة حـوث، مخطـوط، موجـود في مكتبـة الجـامع الكبير بصنعاء برقم (106) مجاميع.

17- كتاب إلى الأمير عبد الله بن أحمد القاسم، مخطوط، موجود في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (106) مجاميع.

18- كتـاب إلى الفقيـه مسـعود بن محمـد الحـويت، مخطـوط، موجـود في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (106) مجاميع.

19- من كلام الإمام يحيى بن حمزة في المنع بالفتوى بمذهب الناصـر، وفي جواب سؤال رد عليه، وكلامه وقد طـالع كتـاب التصـفية للفقيـه محمـد الـديلمي، وكلامه في جواز التقليد، مخطوط، موجود في مكتبة الجامع الكبير بصـنعاء بـرقم (106) مجاميع.

20- وصاياه إلى أولاده وأزواجه، مخطوط، موجود في مكتبة الجامع الكبـير بصـنعاء برقم (106) مجاميع.

المبحث الثالث

جهوده ومكانته العلمية

من خلال سرد مؤلفات الإمام يحيى بن حمزة يتراءى مجهوده الضخم الــذي لم يقتصر على علم واحد من العلوم بل تعداه إلى علوم في مجالات شتى فضـلاً عن كون هذه الجهود متعمقة ومتبحرة في كل تلـك المجـالات الـتي صـنف فيهـا، ولعل هذا راجع إلى طريقة التعليم المتبعـة في بيئتـه حيث كـان التعليم الإلـزامي في بيئته أمرًا يجب الخضوع له، وكان التحصيل العلمي في شتى العلوم، فطـالب العلم يدرس علوم اللغة والبلاغة وعلوم القـرآن والحـديث وعلم الكلام والمنطـق وأصول الفقه والفقه فضلاً عن كتب الأخلاق والزهـد وغيرهـا...، وتـدرس جميعهـا على حد سواء، ولذا فلا غرابة إن كان الإمام يحيى بن حمزة قد صـنف في شـتى تلك العلوم تصنيفًا يمكن وصفه بالمتعمق[1].

وهنـا يمكن الكشـف عن جهـوده في بعض تلـك المصـنفات ومـا فيهـا من إضافات في تلك المجالات، وتوفيقـات في الآراء والأقـوال فضـلاً عن الجديـد في حقول المعارف، مـع انتصـاره للحـق، ودعوتـه للتسـامح، وإصـلاحاته الاجتماعيـة، ليُستشف من ثَم مكانته العلمية من خلال آثاره الظاهرة للعيان.

لقد حاز الإمـام يحـيى بن حمـزة بجهـوده العلميـة مكانـة فريـدة بين علمـاء عصره والعصور اللاحقة، فهو موسوعة علميـة نـدر أن يكـون لهـا نظـير في تلـك الحقبة الزمنية من تاريخ اليمن، فقـد بلـغ الـذروة في شـتى العلـوم ولاسـيما في البلاغـة، فكتابـه (الطـراز المتضـمن لأسـرار البلاغـة وحقـائق الإعجـاز) من أهم المصادر في البلاغة، وعليـه يعـول الكثـير من البـاحثين والدارسـين[2]، فضـلاً عن

---

[1])) ينظر: الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى، 71، 72.

[2])) ينظر: الإمام المجتهد يحيى بن حمزة، 11- 19.

كتابه (الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علم البيان ومعرفة الإعجـاز)، الـذي جعلـه مختصِرًا لكتابه (الطراز).

إنـه عنـد دراسـته علـوم البلاغـة اسـتطاع الجمـع بين طريقـة عبـد القـاهر الجرجـاني ت 471هــ المبنيـة على دراسـة النصـوص البيانيـة، واسـتخراج منـاهج البلاغة فيها، وطريقة السكاكي ت626هـ وغيره[1]، فالسـكاكي في كتابـه (مفتـاح العلوم) قد ضبط الحدود والتعـاريف لعلـوم البلاغـة، ونظم قواعـده، ورتب أبوابـه وفصوله، أما عبد القاهر الجرجاني، فدراسته تقوم على تحليل وتعليل من الزاوية الجمالية بتـذوق نقـدي أصـيل، لا على قواعـد صـارمة ليس فيهـا إحسـاس نقـدي، فعندما انتهى من كتابه (دلائل الإعجاز)- الذي تحدث فيه حول المعنى، جاعلاً النظم أساس الجمال في النصـوص، ولا يكـون الإعجـاز إلا به[2]- حـاول أن يخصـص كتابًـا لدراسة (معنى المعنى)، فكان كتابه (أسرار البلاغـة) يرفـع فيـه من قيمـة الفكـرة الدقيقة، ويرى الاهتداء إليها من أهم ضروب اللذة النفسية في تتبع صـور الجمـال، فمثلاً عندما درس التشبيه والتمثيـل والاسـتعارة، فإنـه أشـار دائمًـا إلى أنَّ (معـنى المعنى) يقوم على مستويات متفاوتة في الدلالة والتأثير معًا، وهو في ذلـك ينظـر نظرة عميقة شاملة تدل على عمق نفسي فكري مع مسحة فائقة الجمال[3].

فطريقة كل من الجرجاني والسكاكي عند تناول علوم البلاغة واضحة وبينـة، ويمكن التساؤل كيف استطاع الإمام يحيى بن حمزة في كتابه (الطراز) أنْ يجمع بين الطريقتين ؟ وما آلية تلك الطريقة ومميزاتها ؟

---

[1])) ينظر: الإمام زيد حياته وعصره وفقهه، محمد أبو زهرة، المكتبة الإسلامية، بيروت، لبنان، 505، 909.

[2])) ينظر: دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجـاني، تحقيـق د. محمد التنجي، دار الكتاب العربي، ط1، عام 1995م، بيروت، لبنان، 76- 78، 292.

[3])) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، دار الثقافة، ط4، عام 1983م، بيروت، لبنان، 421 - 440.

لقد جعل الإمام يحيى بن حمزة كتابـه (الطـراز) في ثلاثـة مجلـدات تنطـوي على ثلاثة فنون، فالفن الأول والثاني خصّه لرسم القواعد وضبط الحدود الخاصـة بعلوم البلاغة ومقدمات تلك العلوم، والفن الثـالث شـرح الآيـات القرآنيـة بتـذوق جمالي، يعتمد فيه على الفكرة الدقيقة في تحليل أسرار فصـاحة القـرآن الكـريم وبلاغته، وفي كونه معجزًا وأوجه إعجـازه هـذا إجمـالاً، وتفصـيل ذلـك؛ لقـد صـدّر الإمام يحيى بن حمزة كتابه (الطـراز) بمقدمـة أورد فيهـا شـرف العلـوم الأدبيـة، وأشار إلى أنَّ أمير جندها هو علم البيـان؛ لأنـه المطلـع على أسـرار الإعجـاز لمـا اكتنفه من دقـة الرمـوز مـع غموضـها، فضـلاً عن احتوائـه على الأسـرار والكنـوز، اسـتولت عليـه يـد النسـيان، وآلت نجومـه إلى الأفـول، وذكـر أنَّ المقصـود من تصنيف الكتاب الإشارة إلى معاقد هذا العلم، والتنبيه على مقاصده، وقد نظر في التصانيف التي بين يديه في هذا العلم، فكان أصحابها على منحيين: الأول: باسـط كلامه نهاية البسط، فكان آفته الإملال، والثاني: أوجز فيه غاية الإيجاز، فكان آفته الإخلال، وبعد ذلك أشار إلى تميز كتابه بالترتيب العجيب الذي يطلـع النـاظر على مقاصد هذا العلم، فضلاً عن اشتماله على التسهيل والتيسير والإيضاح، ثم ذكر ما ينطوي عليه كتابه من فنـون حيث جعـل الفن الأول مختصًـا بمرسـوم المقـدمات السابقة التي تتناول تفسير علم البيـان من بيـان ماهيتـه وموضـوعه ومنزلتـه من العلوم الأدبيـة، فضـلاً عن ذكـر ثمرتـه، والفن الثـاني مختصًـا بمرسـوم المقاصـد اللائقة التي تتناول مباحث علم البيان وأقسامه، ثم مباحث علم المعاني وعلومه، ثم مبـاحث علم البـديع وأقسـامه، والفن الثـالث مختصًـا بـذكر فصـاحة القـرآن الكريم، وأنه قد وصل الغاية التي لا غاية فوقها، فضـلاً عن ذكـر كونـه معجـزًا مـع ذكر أوجه إعجازه[1].

---

[1])) ينظر: الطراز، 1/ 1- 8.

وقد التزم في كتابه المنهج الذي حدده في المقدمـة؛ حيث جعـل الفن الأول والثاني مختصًا بالحدود والتعاريف لكل ما تناولـه من مبـاحث بلاغيـة مبتـدئًا بـذكر الحد اللغوي فالاصطلاحي مـع ذِكـره لتعـاريف من سـبقه حيث يـورد التعريـف ثم يحلله ويدعمه ويؤيده أو ينقضه ويلتمس له العذر، وقد يخـرج بتعريـف يتفـرد بـه، وفي الثلاث الحالات يورد أمثلة وشواهد سواء تؤيد ما ذهب إليه أو تؤيد مـا نقض من تعاريف أو ما تفرد به، وهو عند عرضه لمـا تضـمنه الفنـان يـرتب مباحثـه في تبويبات وتقسيمات وتفريعات منتظمة يتخللها تنبيهات ودقائق وخيالات، فضلاً عن سعيه إلى التبسيط والتوضيح، وهذا مثال من كلامه قد يظهر بعض ما تمّ الإشـارة إليه عن هذين الفنين، ففي البـاب الأول من الفن الثـاني خصّ البحث الأول بـذِكر ماهية الاستعارة المجازية حيث قال: «اعلم أنّ الاسـتعارة المجازيـة مـأخوذة من الاستعارة الحقيقية، وإنما لُقب هـذا النـوع من المجـاز بالاسـتعارة أخـذًا لهـا ممّـا ذكرناه؛ لأنّ الواحد منا يسـتعير من غـيره رداء ليلبسـه، ومثـل هـذا لا يقـع إلا من شخصـين بينهمـا معرفـة ...، وهـذا الحكم جـارٍ في الاسـتعارة المجازيـة، فإنـك لا تسـتعير أحـد اللفظين للآخـر إلا بواسـطة التعـارف المعنـوي ...، فأمـا معنـاه في مصـطلح علمـاء البيـان، فقـد ذُكـر في تعريـف ماهيتهـا أمـورًا خمسة»[1]، وبعـد تبسـيطه لمفهـوم الاسـتعارة وتوضـيحه لهـا أورد تعـاريف خمسـة حيث قـال: «التعريف الأول: ذكره الرماني، وحاصـل مـا قالـه في الاسـتعارة: أنهـا اسـتعمال العبارة لغير ما وضعت له في أصل اللغة، ، وهو فاسـد من أوجـه ثلاثـة، أمـا أولاً: فلأنّ هذا يلزم منه أن يكون كل مجـاز من بـاب الاسـتعارة، وهـو خطـأ، فـإن كـل واحد من الأودية المجازية له حدّ يخالف حدّ الآخر وحقيقته، فلا وجه لخلطها، وأما ثانيًا: فلأنّ هذا يلزم عليه أنْ تكون الأعلام المنقولة يدخلها المجاز، وتكون من نوع

---

[1])) نفسه، 1/ 198.

الاستعارة، وهو باطل، وأما ثالثًا: فلأنّ ما قاله يلزم منه أنَّا لو وضعنا اسم السماء على الأرض أن يكون مجازًا، وهذا باطل لا يقول به أحد»[1]، ثم أورد التعريف الثاني، والثالث والرابع، وذكر علة فساد كل واحد منها مستخدمًا آلية رده على التعريف الأول ذاتها، أما التعريف الخامس، فقد اختاره فأورد حد الاستعارة، ثم شرح ذلك الحدّ، فقال: «التعريف الخامس:- وهو المختار- أن يقال تصييرك الشيء الشيء وليس به، وجعلك الشيء للشيء وليس له بحيث لا يلحظ فيه معنى التشبيه صورة ولا حكمًا، ولنفسر هذه القيود، فقولنا: تصييرك الشيء الشيء وليس به، وجعلك الشيء للشيء وليس له، شامل لنوعي الاستعارة، فالأول: كقولك: لقيت أسدًا...، والثاني: كقولك: رأيت رجلاً أظفاره وافرة، وقولنا: بحيث لا يلحظ فيه معنى التشبيه صورة، كقولك: زيد كالأسد ...، وقولنا: ولا حكمًا، يحترز به عن صورة واحدة، وهي قولنا: زيد أسد...»[2].

وكما ظهر سعي الإمام يحيى بن حمزة في الفن الأول والثاني من كتابه (الطراز) إلى ما سعى إليه السكاكي من ضبط قواعد هذا العلم، فإنه في الفن الثالث من كتابه قد سعى فيه إلى تحليل الآيات القرآنية بنَفَس عبد القاهر الجرجاني وطريقته، ويمكن ذِكر مثال من شرحه يظهر تحليله التذوقي الجمالي، ففي قوله تعالى: [illegible][3]

قال: «فانظر إلى مفردات أحرف هذه الآية ما أسلسها وأرقها وألطفها، ثم في تأليفها ما أسهله على اللسان ...، وسيقت على أتم سياق وأعجبه ...، ابتدأ بقوله: «قيل» إبهامًا للقائل وإعظامًا لأمره ...، ولم يقل: قال الله ...، ثم نادى

---

1)) الطراز، 1/ 198، 199.

2)) نفسه، 1/ 202.

3)) سورة هود من الآية 44.

الأرض بـالابتلاع للمـاء...، ثم أمـر السـماء بـالإقلاع ...، ثم قـال: «وغيض المـاء» تصديقًا لقوله: «ابلعي»، و«اقلعي»، لأنه مهما حصلا غاض الماء لا محالة لعدم ما يمـده، ثم قـال: «وقضـي الأمر» إمـا في إهلاكهم، وإمـا بحصـول المـرادات في الأرض بإخراجهم إليها...،]ثم شرح المصنف الآية بالإضـافة إلى موقعهـا من علم البيان[فنقول إنّ الله عزّ سلطانه لما أراد أن يظهر فائدة الخطاب اللغـوي سـاق الكلام على أحسن سياق بتشبيه المراد منه هـذه الأمـور بالمـأمور الـذي لا يتـأتى منه التأخير عمّا أريد منه لكمال الأمـر وجلال هيبتـه، وشـبه تكـوين المـراد بـالأمر الحتم النافذ في تكوين المقصود إرادة لتصوير اقتـداره البـاهر، وتقريـرًا لاسـتيلاء سلطانه...، وأغرق في التشبيه، بأن جعلهم كأنهم عقلاء مميزون، قد عرفوه حـقّ معرفته، وأحاطوا علمًا بوجوب الانقياد لأمره...، فقـال من عـزّ من قائـل: «قيل» على جهـة المجـاز عن الإرادة، ثم حـذف الفاعـل، وجعلـه في طيّ الفعـل إبهامًـا وإعظامًـا لحالـه عن الـذكر عنـد عـروض أمـر هـذه المكونـات على جهـة الـذل والتسخير...»[1]، وشرحه لهذه الآية طويل حيث شرحها من الناحية المتعلقة بعلم المعاني في مفرداتها من تقديم وغيره، وفي تأليف جملها، ثم شرحها من الناحيـة المتعلقة بعلم البـديع في موقعهـا من الفصـاحة اللفظيـة، والفصـاحة المعنوية[2]، وهو شرح بالطريقة التي تم إيراد طرف منها، وهو مـع كـل الآيـات الـتي شـرحها يتخير الطريقة نفسها، وتعد هذه الطريقة طريقة متميزة يكمن تميزها في القدرة على إظهار كنوز النص القرآني البلاغية بشكل منسجم مع الذائقة العربية الأصيلة خالية من التعقيد، تجعل القارئ يستوعب فصاحة القرآن الكريم وبلاغتـه بسـهولة ويسر.

---

[1])) الطراز، 3/ 226- 232.
[2])) ينظر: نفسه، 3/ 235- 246.

وهنا يمكن الوقوف على كتابه (الإيجاز) الذي جعلـه الإمـام يحـيى بن حمـزة اختصـارًا لكتابـه (الطـراز) كمـا ورد في مقدمـة الكتـاب[1]، وقـد ذكـر أيضًـا في المقدمة منهجه في الشرح، ورتبـه على ثلاثـة أنمـاط، النمـط الأول: في المبـادئ والمقدمات السابقة، والنمط الثـاني: في المقاصـد اللائقـة، والنمـط الثـالث: في التتمـات اللاحقـة، وقـد الـتزم ذلـك المنهج، جـاعلاً تلـك الأنمـاط في تقسـيمات وتفريعات منتظمة، حيث فرّع النمط الأول إلى خمس مقدمات تناول فيها مستند العلوم، وكيفية تحصيل العلم بالمعلومـات، ومـراتب الأشـياء في الوجـود، وأنـواع العلوم الأدبية، وتنبيهـات متفرقـة، وقسّـم النمـط الثـاني إلى ثلاثـة أبـواب، الأول مختص بمباحث علم المعاني، والثاني مختص بمباحث علم البيان، والثالث مختص بمباحث علم البديع، أما النمـط الثـالث فقـد تحـدث فيـه عن البرهـان على كـون القرآن الكريم معجزًا، والفـرق بين المعجـز والحيلـة والشـعوذة، وإعجـاز القـرآن الكريم، ووجوه إعجازه[2].

وعند تناوله تلك المباحث بدأ بتحديد المعنى اللغوي ثم الاصـطلاحي، ووقـف كثيرًا عند الماهية الاصطلاحية حيث أورد آراء العلماء وتعريفاتهم، وحلـل كـل رأي وتعريف، وقـدم حجج كـل العلمـاء وأدلتهم، وغالبًـا مـا بـدأ مباحثـه بمقدمـة تبـدو متداخلـة، ولكن مـا إن ينتهي القـارئ من المبحث حـتى يـدرك أن تلـك المقدمـة ملخص لمبحثه، وعلى سبيل المثـال، فإنـه عنـدما درس المجـاز والحقيقـة كـانت النتيجة من مبحثه أن حدد مجالات المجاز في الاستعارة والكناية والتمثيل، وجعـل تلك النتيجة مقدمة ومدخلاً لدراسة هذا المبحث[3].

وقد حاول أن يزيل ما علق بمباحث البلاغة من علوم الكلام والمنطق والنحو

---

[1])) ينظر: الإيجاز، 3.
[2])) ينظر: الإيجاز، 32، 33.
[3])) ينظر: نفسه، 35.

والصرف حيث توقف عند القضايا المتعلقة بغير علوم البلاغة، وذلك بعد ذكر طرف يسير، ويشير إلى أن هذا متعلق بعلم الكلام أو النحو ونحوهما، ويحيل القارئ على أن يعود إلى أحد كتبه المتخصصة في ذلك إذا أراد التوسع[1]، وهنا يمكن القول لقد كانت دراسته لعلوم البلاغة بمعزل عن الدراسات الأخرى.

ويمكن ختم القول عن الكتابين (الطراز)، و(الإيجاز) بأن المصنف لم يغفل كون ما نظّر له في كتابيه (الطراز)، و(الإيجاز) يحتاج إلى نصوص يسقط عليها ذلك التنظير، وبتحليل تذوقي جمالي، فكان حقله الخصب القرآن الكريم، حيث خصّ الفن الثالث من كتابه (الطراز) بذلك، والنمط الثالث من كتابه (الإيجاز)، ثم التفت إلى كلام أفصح من نطق بالضاد، فتناول أحاديث الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- بالشرح والتفصيل في كتابه- الذي بين أيدينا- (الأنوار المضيئة في شرح الأخبار النبوية)، لتنال علوم البلاغة النصيب الأوفر من ذلك الشرح، (وسيتم استيفاء النظر في جهوده البلاغية في كتابه (الأنوار) في الفصل الثالث من هذه الدراسة).

ولمكانة علوم البلاغة لدى المصنف، فقد خصّ كتابًا آخر ينطوي على شرح بلاغي ألا وهو كتابه (الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي) الذي سعى فيه لمناقشة وتعليل وتحليل كلام الإمام علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- في كتاب (نهج البلاغة) بروح الناقد المتذوق اللبيب، مقتطعًا من شرحه مساحة واسعة لعلوم البلاغة، ويظهر ذلك جليًّا ابتداءً بمقدمة كتابه، فعندما ذكر دوافع التأليف وأغراضه، جعل منها إظهار معاني كلام أمير المؤمنين اللطيفة العجيبة، وبيان أمثلته الدقيقة، ولطائف معانيه الرشيقة، إذ كان كلامه عليه السلام قد رقى إلى غاية الفصاحة والبلاغة، فيتم بذلك الإبانة عن عظيم قدر أمير

---

[1])) ينظر: نفسه، 348، 598، 615، 621.

المؤمنين، فضلاً عن الإبانة عن الحكم الأدبية، وجواهر اللغة العربية[1]، وهو مع دراساته البلاغية يُجسد دور المصنف في تقديمه الشواهد الكثيرة من المنظوم والمنثور والإفاضة في تحليلها التي تعيدنا إلى عصر التذوق البلاغي[2].

إن مقدرة الإمام يحيى بن حمزة الفائقة في تناوله علوم البلاغة، وعرضه للمسائل بأسلوب دقيق وسلس، وبلغة سليمة تبرز تمكنه اللغوي الذي يُعدّ أحد ميادينه التي رفدها بالعديد من المصنفات؛ وكتابه (المحصل في كشف أسرار المفصل) أحد الأدلة على ذلك التمكن مع التميز والدقة في شرحه لكتاب (المفصل)، أو لمتون نحوية أخرى، وجميعها قد شرحها غيره قبله، ولعلمه بذلك فقد كان شرحه لتلك المتون متميزًا لكي لا يقال عنه أنه مكرر ليس إلا، وقبل إظهار ذلك لا بد أن يُسبق بلمحة عن الكتاب؛ فهو كتاب شرح فيه كتاب (المفصل) للزمخشري، ويُعدّ أول كتاب له في النحو حيث انتهى من تأليفه سنة 712هـ [3]، وقد اختار هذا الكتاب لأنه في رأي المؤلف من أعظم كتب النحو، لإحاطته بقواعده، ولحسن نظمه، وجودة معانيه، ودقته عنده[4]، وهنا يُتوهم أنّ هذا الشرح تكرار لشروح شرحت كتاب (المفصل) كشرح ابن الحاجب المسمى (الإيضاح)، وشرح الخوارزمي المسمى (التخمير)، اللذين أشار الإمام يحيى ابن حمزة بوصولهما إليه، وبأنه سيحاول في شرحه أن لا يقع ما وقع فيه غيره ملتزمًا بمعايير تميز شرحه عمّن سواه، وهي:

1- أن يذكر في كل باب جميع أسراره.

---

1)) ينظر: الديباج الوضي، 1/ 102، 103.

2)) ينظر: الإيجاز، 26.

3)) ينظر: الجهود النحوية ليحيى بن حمزة العلوي، رسالة ماجستير مقدمة من أزهار محمد لطف فايع، قسم اللغة العربية، كلية الآداب- جامعة صنعاء، عام 2003م، صنعاء، الجمهورية اليمنية، 29.

4)) ينظر: المحصل في كشف أسرار المفصل، 1/ 3.

2- أن يذكر مطلع الفصل من المتن.

3- أن يقتطع من الفصل شيئًا يذكره في أثناء الشرح.

4- أن يشرح مقاصد الزمخشري.

5- أن يقيد ما أطلقه، ويبين ما تسامح فيه.

6- أن يشرح شواهده القرآنية والشعرية والنثرية.

وقد التزم هذا المنهج في ثنايا شرحه مع متابعته في ترتيب التبويب تبويب (المفصل)، وإلى حد كبير في كتاب (المحصل) حيث التزم منهج وطريقةً شرح الإمام يحيى بن حمزة جمل الزجاجي في كتابه (المنهاج الجلي)، والتزم منهجًا موحدًا في شرحه، حيث يبدأ كل باب بإيراد نص الجمل مكتملاً، ثم يبدأ الشرح بذكر حد الباب في اللغة، ثم يشرحه شرحًا تامًا يبين فيه ما يدخل تحت الحد وما يخرج عنه، وما يحترز منه، ثم يذكر حد الباب في اصطلاح النحاة مع الإشارة لما له حدود كثيرة مع الإشارة إلى الأجود، مع إعرابه للشواهد، وتحديد موطن الاستشهاد، ويختم الباب بذكر خلاصته، وقد تميز منهجه بعدم الاستطراد في الكلام الذي يخرجه عن موضوعه، وإن ألجأته العبارة إلى ذلك ينص على أنه ليس موضعه، وأنه لا يتصل بالموضوع الذي هو قيد البحث، وقد تابع الزجاجي في التبويب والمادة العلمية مع عدم رضاه عن بعض التبويبات، وهو لا يسترسل في الشرح بل يرتب المسائل ويفرعها في كل باب مع ميله إلى التعليل في معظم المسائل النحوية فضلاً عن ميله إلى الاختصار [1].

وممّا سبق في كتب النحو يظهر ميل المصنف إلى الشرح والتوضيح والتعليل والتعقيب لمتون سابقيه من المصنفين النحويين مع سعيه إلى التميز سواء في منهجه أو مادته العلمية، ولذا يستطرد في الشروح، فقام بشرح

---

[1])) ينظر: المنهاج، 1/ 59- 66.

(المقدمـة المحسـبة) لطـاهر بن بابشـاذ ت 469هــ، وسـماه (الحاصـر لفوائـد المقدمـة لطـاهر)، وفيـه الـتزم المصـنف في التبـويب تقسـيم كتـاب (المقدمـة المحسبة) مع تبرير المصنف ترتيب الأبواب في (المقدمة المحسبة) [1]، وبمنهجـه المتبع في مقدمات كتبه يورد في مقدمة كتابـه سـبب التـأليف، ومـيزات شـرحه، فأشار إلى كون شرحه تعليميًا ميسرًا، قصـد فيـه التقـريب والتهـذيب والتسـهيل، مبتعدًا عن المسائل الدقيقة، وقد استدرك على ابن بابشاذ ما أغفلـه، ومنـه عقـد ابن حمزة فصلاً لجمع التكسير بعد إغفال ابن بابشاذ له، أما طريقة الشـرح، فقـد كان يورد نص مقدمة طاهر، ثم يشرحه مجملاً فوائـده فمفصـلاً، ذاكـرًا الشـواهد، واختلافات النحاة بإيجاز مع الترجيح والتعليل.

وقــد ختم المصــنف مؤلفاتــه النحويــة بكتــاب (الأزهــار الصــافية في شــرح المقدمة الكافية) حيث انتهى من تصنيفه سنة 727هــ[2]، وهـو شـرح لكافيـة ابن الحاجب- ت 646هـ- في مجلدين، وقد بدأ بمقدمة أوضـح فيهـا إعجابـه بالكافيـة، وأنه اطلع على شرح ابن الحاجب لهـا، وشـروح غـيره فرآهـا غـير وافيـة بتحقيـق أسرارها، ولا مسـتولية على محاسـنها، فقـام بشـرحها شـرحًا يسـتولي على حـل معاقدها ومناظمها، موضحًا لمعانيها ومصححًا لتراجمها، ومفصلاً لما أجمـل ومبيـنًا لما أشـكل ومقيـدًا لمـا أطلـق، وأشـار إلى التزامـه بـأنْ يـذكر كلام ابن الحـاجب بألفاظــه من غــير إخلال ثم يشــرحه محيطًــا بمقاصــده، مشــتملاً على شــواذه وشـوارده ومفيـده ومهملـه مـع جمـع شـتات الفوائـد بـالتعليلات القويـة، وإنشـاد الشواهد الظاهرة، وإيراد المسائل الدقيقة، والتحرز عن إيراد التعليلات الركيكــة،

---

1)) ينظر: الحاصر في فوائد المقدمة لطاهر، الإمام يحيى بن حمـزة، دراسـة وتحقيـق زكريـا محمد حسن علي، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عام 1994م، القاهرة، مصر، 13، 14.

2)) ينظر: الجهود النحوية ليحيى بن حمزة العلوي، 34.

وإنشاد الشعريات النادرة، وألا يترك سرًا لطيفًا إلا ذكره، ولا مضـطربًا إلا أفـرده، وقد وفى في الكتاب بذلك[1]، أما ترتيب الأبواب فقد لزم طريقـة الكافيـة، وكـان يختم شرحه لكل باب بتنبيه على مسـائل تتعلـق بالبـاب، ويضـمّن هـذه المسـائل زيـادات لم تـرد في المتن، وعنـد الشـرح كـان يـورد نص الكافيـة ثم يردفـه بالشـرح...مـع إكثـار التعليلات والتقسـيمات والاعـتراض في المسـائل أو طريقـة التبويب.

وقد استفاد الإمام يحيى بن حمزة من تمكنه في اللغـة والبلاغـة في عرضـه للموضوعات الكلامية، ليس فحسب في التقديم لأيّ موضوع بتعريفات دقيقة عن المصطلحات المستخدمة فيه، وإنما في ابتكار منهج أصـيل في التحليـل اللغـوي، حيث حدد معايير أربعة لصلاحية استخدام اللفظ: القرآن الكـريم واللغـة والعُـرف والاصطلاح، وإلا كان اللفظ أجوف والاستخدام زائفًا، ومن ثم بطلت النظرية التي تستند إلى مثل هذه الاصطلاحات الزائفـة دون حاجـة إلى إبطالهـا بحجج كلاميـة، هكذا كان نقده لآراء الفرق المختلفة كالخوارج والمرجئة في أحكامهم على فاعل الكبـيرة مسـتندًا إلى زيـف اسـتخدامهم لمفـاهيم الإيمـان والكفـر، وهكـذا دحض نظرية «الكسب» الأشعرية بعد تحري مفهوم اللفظ وفقًا للمعايير الأربعة[2].

وقـد وظـف المعـايير الأربعـة في كتابـه (الشـامل لحقـائق الأدلـة وأصـول المسائل الدينية) في الـرد على الفلاسـفة بـل لـه ردود على الصـابئة والمجـوس والنصارى، وعبدة الأوثان، أما ردوده على الإسماعيلية في عـدة مسـائل منهـا مـا يخص النبوات والإمامة لاسيما ما قالوا عن الإمام المهدي المنتظر، كذلك تأويلهم

---

[1])) ينظر: الأزهار الصافية شرح مقدمة الكافية، الإمام يحيى بن حمزة، الجـزء الأول، تحقيـق محمد علي سـالم العطاونـة، أطروحـة دكتـوراة، كليـة اللغـة العربيـة، جامعـة الأزهـر، عـام 1982م، القاهرة، مصر،1/ 2.

[2])) ينظر: الإمام المجتهد يحيى بن حمزة وآراؤه الكلامية، 10.

الباطني، فقد أفرد للنقد اثنين من كتبه، وهما (الإفحام لأفئدة الباطنيــة الطغـام)، و(مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار) فضلاً عمّـا ضـمنه كتب أخـرى، ومنهـا (الشـامل)[1]، ولموسـوعية (الشـامل) فقـد اختصـره في كتابـه (المعـالم الدينية) حيث كان ميالاً لوضع اختصارات لكتبه الموسوعية تخفيفًا منـه على قـراء كتبه، ودفعًا للمشقة، ومن أجل ألا تقتصر كتبه على شـريحة المتخصصـين فقـط، بل لتعم الفائدة ما أمكن غير المتخصصين.

وبانتهاء الحديث عند طرف من طريقة لزمها بعد تصنيف موسـوعته يـتراءى أضخم موسوعة فقهية إسلامية، وذلك في كتابه (الانتصار الجامع لمـذاهب علمـاء الأمصار في تقرير المختار من مذاهب الأئمة وأقاويل علماء الأمـة في المبـاحث الفقهية والمضطربات الشرعية)، وتقع في ثمانية عشر مجلدًا، فمنهجه فيه يجعله موسوعة إسلامية رائعة سواء في أعلام الفكر الإسـلامي ومدارسـه ومؤلفاتـه أم في تقرير آراء كل علم وفريق ومدرسة في كل مسـألة، وإيـراد أدلـة واجتهـادات وأقوال كل منهم منقحة معللة ممّا يجعل من الكتاب بحثًا شـاملاً في إطـار أصـبح يسمى بالفقه المقارن[2].

وكما يفعل بعد الانتهاء من تصنيف كتبه لاسيما الكبيرة يضع مختصـرًا لكتابـه (الانتصار) فيسميه (نور الأبصار في المنتزع من كتاب الانتصـار)، وقـد أراد الإمـام يحيى بن حمـزة أن تكـون مؤلفاتـه الفقهيـة عبـارة عن سلسـلة فقهيـة متفـردة، فصنف كتاب (العدة) وجعله مدخلاً إلى كتابه (العمدة في مـذاهب الأئمـة) وكتابـه هذا هو الدافع للإمام يحيى بن حمزة كي يصنف كتاب (الانتصار) حيث تدارك فيـه ما نقص في (العمدة) كمـا ورد في مقدمـة كتـاب (الانتصـار)[3]، ومن شـأن هـذه

---

[1])) ينظر: نفسه، 281.

[2])) ينظر: الانتصار،1/ 12.

[3])) ينظر: نفسه، 1/ 138.

الموسوعة الفقهية أن تظهر تبحر المصنف في علم أصول الفقه، فما سـميّ علم أصول الفقه بهذا الاسـم إلا لتـوحي بدلالـة أن علم الفقـه يقـوم على علم أصـول الفقه، ويعتمد عليـه، وأن فقهًـا بلا أصـول فقـه كبنـاء بلا أسـاس، وأهم مـا يظهـر مكانة الإمام يحيى بن حمزة في علم أصول الفقه- فضـلاً عن مصـنفاته الفقهيـة- كتبه التي في علم أصول الفقه، ومنها كتاب (الحاوي لحقائق الأدلـة الفقهيـة) في ثلاثة مجلدات مخطوطة، و(المعيار لقرائح النظار في شرح الأدلة الفقهية وتقريـر القواعد القياسية) مجلد مخطوط.

وانطلاقًـا من مبـادئ المـذهب الزيـدي القائمـة على تبجيـل وتعظيم مكانـة الصحابة- رضي الله عنهم- الذين وفوا بشروط صحبة النبي- صلى الله عليه وآلـه وسـلم- صـنف (أطـواق الحمامـة في حمـل الصـحابة على السـلامة)، و(الرسـالة الوازعة للمعتدين عن سبّ أصحاب سيد المرسـلين)، فـانطلق فيهـا معظمًـا لمـا قدموه من أجل الإسلام من تحمل الأذى والمشـاق، والحفـاظ على بيضـة الـدِّين، وهي في المهد، حتى توفاهم الله تعالى صابرين محتسـبين، ففـارقوا الـدنيا، وهم على ما كان عليه النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-.

ولميل الإمام إلى اختصـار كتبـه الكبـيرة والمتعمقـة- كمـا ورد آنفًـا في هـذا المبحث- اختصر أحد كتب سـواه، والمقصـود كتابـه (خلاصـة السـيرة) لخص فيـه كتاب (السيرة لابن هشام)، ومـا ميلـه إلى الاختصـار إلا ليسـهل ويوضـح ويقـرب للقارئ العلوم والمعارف.

وثمة اهتمام آخر جعل له الإمام يحيى بن حمزة نصيبًا في مصنفاته، ألا وهــو الأخلاقيات والزهديات، فضـمن بعض كتبـه شـيئًا منهـا، وأفـرد لهـا كتـاب (تصـفية القلوب من درن الأوزار والذنوب)، نـاقش فيـه قضـايا منهـا ماهيـة القلب وصـلته

بالأخلاق، وأمهات محاسـن الأخلاق، وأمهـات الـذنوب، وآفـات القلـوب واللسـان، وآفات تعم البدن، فضلاً عن الزهد والخوف والرجـاء والتوكـل...، وقـد كـان يـورد ماهية الآفة وأنواعها وأشكالها...، ثم لا يترك الآفة دون حلول بل يورد حلـولاً على منحيين الأول: علمي، والثاني: عملي[1].

إن الناظر لمؤلفات الإمام يحيى بن حمزة في النوع السابع من مؤلفاته- أيْ وصاياه وتعازيه وإجازاته وفتاويـه وجواباتـه- من المبحث الثـاني من هـذا الفصـل، يستشف جهودًا عظيمة، فمصنفاته عامة لم تجعل منه شخصية منكفئة على ذاتها ومصنفاتها، بـل جعلت ذاتـه ينبوعًـا من العطـاء لمن حولـه سـواء على المسـتوى الأسـري أم العـام الاجتمـاعي بمعـنى أنـه جسـد مـا اسـتوعبه في سـلوكه، فعلى المستوى الأسري، فإن مصنفه (وصاياه إلى أولاده وأزواجه) تجسد جهده في بناء أسرة صالحة وتقية، ومن مظاهر صلاحها أن من أبنائه علمـاء مجتهـدين، ويتعـدى جهده إلى مجتمعه، وذلك في إيجاده علاقات حميمية مـع أفـراد مجتمعـه، ودليلـه (تعازيه)، أما (إجازاته العلمية)، فهي دليل على جهوده التعليمية التي تحـاول رفـع المسـتوى العلمي لمن حولـه، وفي الـوقت نفسـه هـو متصـدر بـــ (جواباتـه)، و(فتاويه) لدفع الجهالات.

إن جهـود الإمـام يحـيى بن حمـزة، وقدرتـه العلميـة مكنتـه من اسـتيعاب مصنفات سابقيه في شتى العلوم، وليس ذلك فحسب بل وأسست لمكانة فريدة سواء بين علمـاء عصـره أم العصـور اللاحقـة، ففي علـوم البلاغـة، وعنـد تحليلـه النصوص حاول أن يعيد عصر التذوق النقدي فضـلاً عن تعليـل تلـك النصـوص من الجانب الجمالي، ولم يغفِل قواعد ضـبط حـدود التعـاريف لعلـوم البلاغـة، فنـالت النصوص القرآنية والحديث النبوي النصيب الأوفـر من ذلـك التحليـل، ثم نصـوص

---

[1])) ينظر: الإمام المجتهد يحيى بن حمزة وآراؤه الكلامية، 329- 368.

الأدب الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي، فضلاً عن كلام الصحابة- رضي الله عنهم- لاسيما كلام الإمام علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- ، وهو مع كل ذلك ينزع إلى التبسيط والتقريب.

وغالبًا ما كانت مصنفاته النحوية عبارة عن شروح لكتب سابقيه من العلماء، لكن اللافت في شروحه أنه سعى إلى التميز عمّن سواه إن كان ما يشرحه سبق شرحه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كونه لم يخضع لكل مسلمات الكتب التي تناولها بالشرح بل يناقش ويرجح ويعلل، فضلاً عن إضافته فصولاً أغفلت في تلك الكتب.

أما في علم الكلام، فقد زاوج بين اللغة وعلم الكلام، فأنجب منهجًا يسهم في حلّ الكثير من المشكلات الكلامية، مع رفعه العلم عن المراء والخوض في الباطل، وفي الفقه يمكن القول أنه أنتج موسوعة فقهية ندر وجود مثيلها سواء في علماء وفرق ومذاهب المسلمين أم آراء كل عالم وفريق ومذهب في كل مسألة ناقشها...، وقد تنبه إلى مكانة الأخلاقيات والزهديات في صقل النفوس وتهذيبها، فخصها بكتب، وضمنها في بعض كتب أخرى.

وثمة سمات عامة في مصنفاته يجدر الإشارة إليها، ومنها:

أولاً: وضعه مختصرات لمصنفاته الكبيرة لتكون من ثم مصنفاته موزعة على جميع المستويات العلمية، فمن لا يستطيع فهم كتبه الكبيرة، فإن مختصراتها تقوم بالغرض.

ثانيًا: اتفاق مقدمات مصنفاته حيث يعرض فيها منهجه الذي سلكه في مصنفه، مع ذِكر أغراض التصنيف ودوافعه، وإن كان مصنفه شرحًا لكتاب، فإنه يورد مكانة ذلك الكتاب العلمية، مع تقييم الشروح التي سبقته إلى شرح ذلك

الكتاب.

ثالثًا: استخدامه التبويب والفصول والتفريعات، والذي من شأنه أن يضع حدًا للاستطراد خارج المادة التي يتناولها، فإن حصل الخروج أشار إليه، وذكر مبرراته، فضلاً عمّا ورد في عرض المادة بشكل منتظم.

فهذا هو الإمام يحيى بن حمزة جمع بين العلم والعمل، والنقل والعقل، والموسوعات والمختصرات.

الفصل الثاني
كتابه (الأنوار المضيئة)

مـدخـــل

قبل النظر في الدراسات السابقة لـ (الأنوار المضيئة) في شـرح (الأربعـون حديثًا السيلقية)[1] لا بدّ من الإشارة إلى طرف من ترجمة مؤلـف هـذه الأحـاديث وراويها، وعلّة تسميتها بالسـيلقية، ولمـاذا أُقتصـر فيهـا على أربعين حـديثًا ؟ مـع الإشارة لمواضيعها.

إن هذه الأحاديث قد أُلّف بينها المحدث زيد بن عبدالله بن الهاشـمي[2]، وسـميت بالسيلقية نسبة إلى أحد رواتها، وهو الحسن بن محمد بن مهدي السـيلقي[3]، وتسـمى بالودعانية نسبة لراوٍ آخر رواها هو ابن ودعان[4].

وانطلاقًا من قول النبي- صلى الله عليه وآله وسـلم- : «من حفـظ على أمـتي أربعين حديثًا من أمر دينها بعثه الله فقيهًا، وكنت له يوم القيامة شاهدًا وشـهيدًا»[5]، صنف العلماء العديد من الأربعينيات، والكثير منها مشهور متداول، ومنها مثلا (كتـاب الأربعين العلوية) للقاضي جعفر بن عبد السلام المتـوفى سـنة 567هـ، و(الأربعـون

---

1)) الأربعون حديثًا السيلقية، زيد بن عبد الله بن مسعود الهاشـمي، تحقيـق عبـد اللـه حمـود العزي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط1، عام2002م، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

2)) وهو زيد بن عبد الله بن مسعود بن رفاعة الهاشمي أبو الخير، وقيل: أبو القاسم، وينسـب إلى جده زيد بن رفاعة، يعد من أعلام القـرن الرابـع الهجـري، محدّث، أديب، أقـام شـطرًا من حياتـه بالبصرة، وسكن الريّ، وحدّث ببلاد خراسان، كان أحد جماعة إخـوان الصـفاء، وأحـد المسـاهمين في تأليف رسائل إخوان الصفاء. ينظـر: الأعلام للـزركلي، 3/ـ 59. معجم المـؤلفين، عمـر رضـا كحالة، مكتبة المثنى، دار إحياء الـتراث العـربي، بـيروت، لبنـان، (ت)، 4/ـ 190. أعلام المـؤلفين الزيدية، 438.

3)) وهو الحسن بن محمد بن مهدي العلوي الحسـيني، أبو طـالب السـيلقي، من أعلام القـرن الخامس الهجري، وهو راوي الأربعين السيلقية على السيد علي بن الحسين الحسـني بهمـدان في ربيع الأول سـنة 458هـ، قـال: حـدثنا الشـريف أبو القاسم زيد بن عبد الله بن مسـعود الهاشمي المؤلف للأحاديث. ينظر: طبقات الزيدية الكبرى، القسم الثالث، 1/ 329، 330.

4)) وهو أبـو نصـر محمـد بن علي بن عبيـد اللـه بن ودعـان، قاضـي الموصـل المولـود سـنة 401هـ، والمتوفى في الموصل سنة 494هـ. ينظر: المستفاد من ذيل تاريخ بغـداد، أحمد بن أيبك المعـروف بـابن الـدمياطي، دراسة وتحقيق مصـطفى عبد القـادر عطـا، دار الكتب العلمية، ط1، عام 1997م، بيروت، لبنان، 1/ 20، 21. الأعلام للزركلي، 6/ 277.

5)) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسـيوني زغلـول، دار الكتب العلمية، ط1، عام 1410هـ، بيروت، لبنان، 2/ 270.

النووية) للإمام يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة 676هـ، و(كتاب الأربعين حديثًا في العلم والعلماء) الإمام القاسم بن محمد المتوفى سنة 1029هـ، على أن تكــون كل أربعينية من تلك الأحاديث في موضوع واحد، وهذا ما يظهر في (الأربعون حــديثًا السـيلقية)، فهي أحـاديث في الـترغيب والـترهيب تعـالج أمـراض النفس، وتُقـوّم اعوجاج السلوك، وتُحلّق بالنفس البشرية في سماء الرحمة الإلهية[1].

[1])) ينظر: الأربعون حديثًا السيلقية، 7- 10.

المبحث الأول

الدراسات السابقة (حديقة الحكمة)

لقد شرح الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة- المولود سنة 561هـ، والمتوفى سنة 614هـ[1]- الأربعين حديثًا السيلقية في كتابه (حديقة الحكمة النبوية في تفسير الأربعين السيلقية)[2]، وهي الدراسة الوحيدة التي سبقت دراسة الإمام يحيى بن حمزة لهذه الأحاديث في كتابه (الأنوار المضيئة في شرح الأخبار النبوية)، وهنا يمكن طرح هذا التساؤل: لماذا شرح الإمام يحيى بن حمزة ما قد تمّ شرحه من قِبَل غيره ؟

ليس (الأنوار المضيئة) هو المصنف الوحيد الذي شرح فيه الإمام يحيى بن حمزة كتابًا قد سبقه آخرون إليه فشرحوه، بل قد سبق للإمام يحيى بن حمزة مصنفات شرح فيها كتبًا قد تناولها علماء قبله بالشرح، ومنها كتابه (المحصل في كشف أسرار المفصل)، شرحَ فيه كتاب (المفصل) للزمخشري، وكتابه (الأزهار الصافية في شرح المقدمة الكافية)، وهو شرح لـ (كافية) ابن الحاجب، وقد تنبه الإمام يحيى بن حمزة لما قد يتوهمه المتلقون من أن شرحه عبارة عن دراسة لما قد أشبع بالدراسة والتحليل، فيظنون أنه تكرار ليس إلا، فضمن مقدمة كتابه (المحصل) ما يدفع ذلك التوهم بإشارات، أولها: بيّن أهمية علم اللغة العربية على باقي العلوم، ثم فضَّل كتاب (المفصل) على بقية المصنفات النحوية حسنًا ونظمًا وسياقًا، ولذا فلا ضير أن أعيد شرحه لأهمية علم اللغة لديه، ثم لمكانة هذا

---

1 (?) المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان الحسني، ولد سنة561هـ، مجتهد، مجاهد، مجدد، فاق مجتهدي عصره، توفي بمدينة كوكبان سنة641هـ. ينظر: طبقات الزيدية الكبرى، القسم الثالث، 3/ 596- 610. الأعلام للزركلي، 4/ 83. أعلام المؤلفين الزيدية، 578.

2)) حديقة الحكمة النبوية في تفسير الأربعين السيلقية، المنصور بالله عبدالله بن حمزة، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، عام1991م، صنعاء ، الجمهورية اليمنية.

الكتاب العلمية[1].

ثانيها: ذِكـره أسـماء بعض سـابقيه الـذين شـرحوا (المفصـل)، واسـم كتبهم موضحًا مميزات كـل كتـاب وعيوبـه، ليكـون من ثم شـرحه مجانبًـا لتلـك العيـوب الواردة في شروحهم، فضلاً عن التزامه بشـروط تمـيزه عن سـواه[2]، فـإذا كـان شرحه لكتاب (المفصل) بقصد تلافي عيوب شـروح من سـبقه، فـإن في مقدمـة كتابه (الأزهار) يظهر علّة أخرى بررت شرحه لكتاب (الكافية) ألا وهي أن الشـرح السابق لشرحه غير وافٍ بتحقيـق أسـرارها ولا مسـتولية على محاسـنها ولا دالـة على لبابها، ولذا قام بشرحها شرحًا يستولي على حل معاقدها ومناظمها موضـحًا لمعانيها، ومصححًا لتراجمها، ومفصلاً لما أجمـل، ومبينًـا لمـا أشـكل، ومقيـدًا لمـا أطلق...[3].

وهنا تـتراءى رؤيـة الإمـام يحـيى بن حمـزة في كـون دراسـته لكتـاب سـبق دراسـته ليس فيـه انتقـاص لمكانتـه العلميـة بـل بـالعكس فيـه رؤيـة أخـرى عنـد الدراسة، هذه الرؤية جعلته يتناول جوانب أخرى أُغفلت في الدراسـات السـابقة، بمعنى أنه أراد أن يقول: الموضوع الواحد يمكن مناقشته من جوانب أخرى تُظهر الكتاب المشروح في قالب آخر وبحُلة جديدة لم تكن بارزة في الشروح السـابقة له، هـذا من جهـة، ومن جهـة أخـرى يُـبرز إمكانـات النص المشـروح اللامتناهيـة- لاسيما الحديث النبـوي- على اسـتيعاب الكثـير من الشـروح الممكنـة، وهـذا كلـه يتراءى في كتابه (الأنوار المضيئة)، و لكن لا يمكن إبراز ذلك إلا بعد تكوين صورة محددة معالمها عن كتاب (حديقة الحكمة)، لأن هذا الكتاب دراسة للأربعين حديثًا

---

1)) ينظر: المحصل في كشف أسرار المفصل، 1/ 2، 3.

2)) ولدفع التكرار في الدراسة يمكن استكمال هذه الجزئيـة في المبحث الثـالث من الفصـل الأول من هذه الدراسة.

3)) ينظر: الجهود النحوية ليحيى بن حمزة، 35.

السيلقية وسابقة لكتاب (الأنوار المضيئة).

لقد ذكر الإمام عبد الله بن حمزة (ت614هـ) في مقدمة كتابه (حديقة الحكمة) العلّة الدافعة للشرح بقوله: «فقد سألني بعض من تلزمني عهدة إجابته، ويتعين علي فرض مساعدته من أفاضل الإخوان المرشدين معاني الأحاديث الأربعين النبوية السيلقية بإيضاح ألفاظها اللغوية، وإفصاح فوائدها المعنوية لتنفتح أكمامها، وتتضح أحكامها، وتنتشر أعلامها»[1].

إذن سؤال بعض المسترشدين هو الباعث، وهذه طريقة العلماء الأوائل في إظهار علة التصنيف، ومن موقع المسترشدين وبلسانهم يُبين المصنف الجوانب التي تناولها عند شرحه، وهي إظهار الألفاظ اللغوية للأحاديث، ودلالات تلك الألفاظ ومعانيها، ليكون من ثم ذلك سبيلاً إلى استنباط المقاصد النبوية والمسحات الوعظية حيث أن الأحاديث النبوية هي المصدر الثاني للشريعة الإسلامية، والأربعين حديثًا السيلقية تتناول الترغيب والترهيب، وهنا تتراءى الرؤية المُنصبّة على الشرح، والتي جعلت من أخص ملامح هذا الشرح أنه دراسة استنباطية للأحكام الشرعية، وللزواجر الوعظية.

وقد أشار في مقدمته- فضلاً عمّا سبق- إلى بعض ملامح منهجه في الكتاب، ومنها: كونه مال إلى الاختصار، ثم إردافه بذكر ما وقع فيه الاختصار، فجعله على منحيين؛ الأول: عام، ويتمثل في تنكبه طريقة الإكثار - سواء في أدلة تؤيد ما ذهب إليه من رؤية في المسائل الواردة أم كانت تفريعات ناتجة عن مناقشة المسائل المشروحة-، والثاني: خاص، ويتمثل في تجريده الأخبار النبوية من الأسانيد، لأنها- أيْ الأسانيد- موجودة في نسخ سماعه، وكُتب أصحابه، وذكَر في هذا الشأن اقتصاره على إيراد راوي الخبر النبوي عن النبي- صلى الله عليه وآله

[1])) حديقة الحكمة النبوية، 8.

وسلم- مباشرة- أيْ الصحابة رضي الله عنهم-، مع ذِكر طرف من نسبهم، وبعض أحوالهم، وما اقتصاره على هذا إلا بقصد إعلام الناظر أن أهـل هـذا الشـأن كـانوا عيونًا عدولاً، وأدوا ما سمعوا كما سمعوا، فجزاهم الله خيرًا[1].

لقد كتب الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة- في المقطع السابق- كلامًا من أهم دلالاتـه الانفتـاح على مـدلولات متعـددة، تتمثـل في الدلالـة على مكانـة الأسـانيد- علم الحـديث ورجالـه- لديـه، والمكانـة العظيمـة لـرواة الأحـاديث من صحابة النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- في فكـره واعتقـاده، فضـلاً عن سـعيه إلى إفادة المتلقي بالأحكام التي استنبطها من الأخبار النبوية دون إدخال المتلقي في علوم أخرى عند شرحه قـد تشـتت ذهنـه عن البـاعث الأسـمى للشـرح، هـذا إجمالاً.

وتفصيل هذا الإجمال؛ إنّ الإمام المنصـور باللـه عبـد اللـه بن حمـزة لم يكن ممّن يُغفل علمًا كعلم الحديث ورجاله، بل على العكس فقد عُرف بتعمقه الدقيق في شتى العلوم لاسيما علم الحـديث ورجالـه، الـذي كـان يعنيـه اهتمامًـا خاصًـا، والذي حاز فيه قصـب السـبق على معاصـريه[2]، ويؤيـده مـا في مقدمـة (حديقـة الحكمة) حين أشار إلى ما يخص الأسانيد، ففحوى هذه الإشـارة؛ لـولا أن أسـانيد الأحاديث التي شرحها قد أوردها سـابقًا في كتب لـه لكـان لهـا أولويـة الـذكر في كتابه (حديقة الحكمة).

أما ما يخصّ مكانة رواة الأحـاديث من الصـحابة- رضـي اللـه عنهم- فمـا إيـراده لبعض أخبارهم إلا ليكون ذلك الإيراد أقـلَّ مـا يمكن أن يقدمـه لهم مقابـل مـا قـدموا للدِّين، فيكون من ثم ذلك القليل ممّا يقدمه مثريًا لما جهله المتلقي مـع رفـع شـأنهم

[1])) ينظر: حديقة الحكمة النبوية، 8.
[2])) ينظر: طبقات الزيدية الكبرى، القسم الثالث، 1/ 596- 610.

لدى المتلقي، ليظهر هنا غرض آخر من تصنيف الكتاب، ألا وهو إظهار قـدر الصـحابة- رضي الله عنهم- العظيم، وذلك من خلال عـرض طـرف من أخبـارهم، وثمـة إشـارة أخرى لم يصرح بهـا المصـنف في مقدمتـه فيمـا يخص رواة الأحـاديث من الصـحابة- رضي الله عنهم-، ويمكن استنباطها من ثنايا مقدمتـه، ففضـلاً عمّـا نظَّر لـه المصـنف في هذا الشأن، فإن مكانة علم الحديث ورجاله العظيمة لديـه قـد جعلـه يـورد طرقًـا من أخبار رواة الأحاديث من الصحابة- رضي الله عنهم- وهـذا الإيـراد من صـميم علم الحديث ورجاله.

وهنا ظهر- في مقدمة كتـاب (حديقـة الحكمـة)- أن إيضـاح الألفـاظ اللغويـة للأربعين حديثًا السيلقية، وإفصاح فوائدها المعنويـة غرضـه الـرئيس هـو اسـتنباط الأحكام، والزواجر الوعظية التي وردت فيهـا، وذكـر طـرف من أخبـار رواتهـا من الصحابة- رضي الله عنهم- غرضه إظهار مكـانتهم العظيمـة، ليـترتب على الأخـير تناول المصنف طرفًا من علم الحديث ورجاله، وهذا هو كل مـا ورد في المقدمـة من إشارات إلى المنهج المتبع عند شرح الأحاديث، ولكن ما مدى التزام المصنف بهذا المنهج عند شرحه الأحاديث ؟

عندما شرح المصنف الأحاديث ذكر قبـل كـل حـديث راويـه الـذي سـمع عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-، أو أسمعه النبي- صلى الله عليه وآلـه وسـلم- مع إيراده طرفًا من نسبه، والإشـارة إلى بعض أحوالـه، ولكن لـدى بعضـهم كـان يكتفي بذكر اسمه وبعض أحواله دون أن يذكر نسبه[1]، وقد يقتصر على ذِكر اسم الراوي ونسبه دون أن يذكر بعض أحواله[2].

وعندما يرد راوٍ قـد سـبق الكلام عنـه يشـير المصـنف إلى أنـه سـبق الكلام

---

[1])) ينظر: حديقة الحكمة النبوية، 9.
[2])) ينظر: نفسه، 97.

عنه[1]، وقد لا يشير إلى أنه سبق الكلام عنه، حيث يورد اسمه ثم قـول الرسـول- صلى الله عليه وآله وسلم-[2]، وتركـه التكـرار في ترجمـة الـرواة لم يكن بشـكل دائم بل أعاد ترجمة بعض الرواة[3]؛ ولكن تلك الترجمـات كـانت عبـارة عن تتمـة لما فاته من ترجمة في السابق.

وبعـد إيـراد المصـنف ترجمـة للـراوي يـورد الحـديث المـراد شـرحه بتمامـه وكماله، وقبل شرحه للحديث يقسـمه إلى جمـل، ثم يوضـح الألفـاظ اللغويـة مـع إيراد ما يقع من إشكالات لغوية لكل جملـة على حِـدة، فضـلاً عن ذكـر وزن بعض الألفاظ، وقد يسلك سبيلاً آخر، وذلك بأن يقتطع مفردة من الجملة، وبعـد توضـيح معناها بذكر ضدها أو شرحها بمرادفها، يردفها بما بعـدها من مفـردة، وهـذا مثـال يظهر ذلك بشكل جلي في الحديث العاشر: «قال رسـول اللـه- صـلى اللـه عليـه وآله وسلم- : «لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن، عليها يبلغ الخير، وبهـا ينجـو من الشـر...»[4]. السـبّ: هـو الـذم والتشـنيع، والـدنيا: هي أوقـات التكليـف ...، ونِعم: نقيض بئس، وهمـا من الأفعـال الـتي لا تنصـرف...»، وعنــدما انتهى من توضيح مفردات الجملة الأولى، أورد ما بعدها «قوله: عليـه السـلام: «عليهـا يبلـغ الخير، وبها ينجو من الشر». هذه صفة المؤمن لأنه نقل منهـا زاده وحمـل عتـاده إلى دار معاده، ومشى وساده ومحط رحلـه، ومنتهى سـبله، ففـاز مـع الفـائزين، ونجـا من شـر تبعـات العـاجزين»[5]، واسـتخدم عنـد انتقالـه من توضـيح الألفـاظ اللغوية إلى ما يتعلق بالمعنى ما نصه: «فهذا مـا يتعلـق باللفـظ، وأمـا مـا يتعلـق

---

1)) ينظر: نفسه،87.
2)) ينظر: نفسه، 101، 111.
3)) ينظر: نفسه، 187.
4)) الأربعون حديثًا السيلقية، 23.
5)) حديقة الحكمة النبوية، 97، 98.

بالمعنى ...»[1]، ليكون ما يقصده عن المعنى هو توضيح مقاصد النبي- صلى اللـه عليه وآله وسلم- في الحديث.

وعند شرحه المقاصد النبوية في الأحاديث، يؤيد مـا اختـار من رأي بشـواهد سواء من القـرآن أم السـنّة أم الشـعر والحكم والأمثـال أم القصـص، ومنهـا في معرض حديثه عن المسافر: «وأقـل مـا يسـمى بقطعـه الإنسـان من المسـافات سافرًا أو مسافرًا هو البريد فما فوقه في عرف الشـريعة عنـدنا، وقلنـا ذلـك لمـا روينا عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال : «لا يحل لامرأة تؤمن باللـه واليوم الآخر تسافر بريدًا إلا مع ذي رحم»[2]، فجعل أقل السـفر بريـدًا لـولا ذلـك لما كان للحديث فائدة، والبريد أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال، والميـل ثلاثـة آلاف ذراع»[3]، وفي معرض حديثه عن الدنيا: «فأما الدنيا فجدتها تؤول إلى دمار، وريحها إلى انحسار، ونظارتها تؤول إلى الاصـفرار، وطالبهـا وكاسـيها يسـاق غـدًا إلى النار فيخلد في العذاب الشديد الطويل، ويهتف بالويل والعويـل، ويقـول كمـا حكى الله سبحانه وتعالى : ﴿ هَل إِلَى مَرَدٍّ مِن سَبِيْل﴾[4]، فيا لها من حسرة ما أطمهـا وأهمها على من أذهب طيباته في أيام حياته، وكيف يـرغب في تحصـيل دنيـا هـذا آخرها»[5]، ومنه في معرض الحديث الأول: «قوله صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «جالس أهل الفقه والحكمة» المجالسة معروفة، وإنما المراد الاسـتماع والإتبـاع دون مجرد المجالسة، فقد كان المنافقون يلزمون مجلس النبي- صلى الله عليـه وآله وسلم-، ولهذا قال تعالى حاكيًا عنهم: ﴿ [illegible] ﴾[6] يوهمون

1)) نفسه، 10.

2)) مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، (ت)، القاهرة، مصر، 2/ 250. بلفظ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر يومًا إلا مع ذي رحم».

3)) حديقة الحكمة النبوية، 12.

4)) سورة الشورى من الآية 44.

5)) حديقة الحكمة النبوية، 25.

6 (?) سورة محمد، من الآية 16.

الحرص على حفظ ما جاء بـه الرسـول وهم لا يتبعـون، فلم يغن عنهم ذلك شـيئًا بل عقب ذلك سبحانه بذمهم بقوله : ﴿ [illegible] ﴾[1]»[2].

وثمة إشارات قليلة الورود قد ضمنها شرحه عن علم النحـو وعلـوم البلاغـة، من إعرابات وصور فنية، ومحسنات بديعية، وغيرها، وذلك متى لزمت الحاجة في إظهار المقاصد النبوية، وهذه القلة ليست مستغربة لأنه لم يُشرْ في مقدمة كتابه إلى أن شرحه متناول هذه العلوم، ولذا كانت إشـاراته البلاغيـة قليلـة، ومنهـا في معرض الحديث الأول، وعند شرحه قول النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-: «أيّها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب» أيها الناس: خطـاب عـام، وكـأن: حـرف تشبيه، وله أخوات تنصب الأسماء وترفع الأخبار»[3]، وفي الحديث التاسـع يقـول: «وحصائد الألسنة: ثمارها، وهذا من الاستعارات الفصيحة، والإشارات البليغـة؛ أن الكلام زرعًا، والمستحق عليه ثمرًا لذلك الـزرع، وهـذا أحسـن اسـتعارة، وأغـرب إشارة، لأن المقصود من الزرع ثمره، ومن الكلام فائدته ونفعه»[4].

وهنا يمكن القول: إن الإمام عبد الله بن حمـزة في كتابـه (حديقـة الحكمـة النبوية في تفسـير الأربعين السـيلقية) قـد شـرح الأربعين حـديثًا السـيلقية بمنهج ذكـره في مقدمـة الكتـاب، حيث قـرر أنـه شـرح ألفـاظ الأحـاديث اللغويـة، وبيّن معانيها بقصد إيضاح المقاصـد النبويـة، وكشـف عن ميلـه إلى الاختصـار من خلال تركه سند الأحاديث إلا مـا يخص رواة الأحـاديث من الصـحابة- رضـي اللـه عنهم- فإنه استثناهم، فأورد طرفًـا من نسـبهم وأحـوالهم، وذلـك قصـد إظهـار مكـانتهم

---

1 (?) السورة نفسها، ومن الآية نفسها.
2 (3) حديقة الحكمة النبوية، 14، 15.
3)) نفسه، 10.
4)) نفسه، 92.

العظيمة، وقد برز تبحره وتعمقه في علم الحديث ورجاله، وقد طبق هذا التنظـير في شرحه فأورد طرفًا من نسب الرواة من الصحابة- رضي الله عنهم- وأحوالهم إلا بعضهم فقد كان إما أن يذكر نسبه فقط أو يذكر بعض أحواله، وكـان لا يـترجم لهم أكثر من مرة إلا ما تمّت الإشارة إليـه من ترجمـة كـانت على سـبيل التتمـة، وميله إلى الاختصار قد تعدّى ما نظّر لـه في المقدمـة- في أن اختصـاره مقتصـر على الأسـانيد- إلى ثنايـا شـرحه في اختصـار بعض المسـائل لأنـه يميـل إلى الاختصار[1].

وقد شرح ألفاظ الأربعين حديثًا السيلقية لغويًـا، ووضـح معانيهـا- مـع تقليلـه شرح الأحاديث من الناحية الإعرابية والبلاغية- ليخرج من ذلك الشـرح بالمقاصـد النبويـة من الأحـاديث مسـتعينًا على ذلـك بشـواهد من القـرآن والسـنة وأشـعار العرب، فضلاً عن إيراد القصص والحكم والأمثال والسير والأخبار، وهكذا فإن من أخص خصائص الكتاب أنه يحوي شرحًا من شأنه النظر في الأحـاديث النبويـة من الناحية الشرعية والوعظية، ومستعينًا على ذلك بشـرح الألفـاظ اللغويـة، وإظهـار معانيها.

---

[1])) ينظر: حديقة الحكمة، 23، 70، 142.

المبحث الثاني

منهجه في (الأنوار المضيئة)

لقـد اتبـع الإمـام يحـيى بن حمـزة منهجًـا موحـدًا في شـرحه للأربعين حـديثًا السيلقية، وقد قام بالتنظير لهـا تنظـيرًا علميًـا في مقدمـة الكتـاب، ومن جـوانب عدة، ممّا جعل الكتاب يرقى إلى مستوى الدراسات العلمية الحديثة.

إن الدراسات الجامعية الحديثة تعتمـد على إيـراد أهميـة الدراسـة وأسـبابها، والمنهج المتبع في الدراسة وعلل اختيار ذلك المنهج دون سـواه، فضـلاً عن ذِكـر الدراسـات السـابقة للدراسـة المتناولـة، وتنـاول بعض جوانبهـا، مـع الأخـذ بعين الاعتبار الالتزام التام في الدراسة بالمنهج الذي سبق تقريره، وهذا ما يتراءى في كتاب (الأنوار المضيئة)، ففي مقدمة الكتاب ذكر المصنف أهمية الموضـوع الـذي هو بصدد دراسته- وهو أحاديث النبي- صلى الله عليه وآلـه وسـلم- بـأن: «كلامـه عليه السلام هو الرتبـة الثانيـة من كلام اللـه تعـالى في فصـاحة الألفـاظ، وبلاغـة المعـاني ...»[1]، أمـا عن أهميـة الأربعين حـديثًا السـيلقية، فقـد قـال: «وهي من نفيس كلامه صلى الله عليه وآله وسلم في الخطب والمواعظ، والبالغة كل غايـة في جلاء القلوب، وشفاء الأفئـدة عن صـدأ الـذنوب مـع اختصاصـها بشـدة النفـع، وعظم الموقع»[2]، وبعـد الإشـارة إلى أهميـة كلام النـبي- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسلم- والأربعين حديثًا السـيلقية بالـذات أورد المصـنف أسـباب التصـنيف، وهي:

«أولاً: الإبانة عمّا اشتملت عليه من اللطائف من بديع الأسرار، وغـريب المعـاني، وما تضمنته من المجازات العالية، والاستعارات البديعة التي لا ينطـق بهـا لسـان، ولا يطلع على مخها إنسان.

---

1)) الأنوار المضيئة، 1/ 155.

2)) نفسه، 1/ 155.

ثانيًا: الإظهـار لمـا خصّ اللـه تعـالى الرسـول من فصـاحة المنطـق، وإحـراز قصـب السـبق، والتميـيز، والبلاغـة على كافـة الخلق»[1]، وهـذا يظهـر أن غايـة المصنف في شرحه غاية بلاغية.

وقد حرص المصنف في المقدمة على ذِكر منهجـه الـذي التزمـه عنـد شـرح الأحاديث بقوله: «أنَّا نُورد الحديث بكماله وتمامـه حـتى إذا كمـل إيـراده بألفاظـه انعطفنـا على بيـان مواقـع النظـر فيـه لإحـراز معانيـه، وبيـان أسـراره، وجملتهـا خمسة:

النظر الأول: نذكر فيه ما يختص بالألفاظ اللغوية، ونوضح معانيها.

النظر الثاني: نورد فيه ما اشتمل عليه من المعاني الإعرابية.

النظر الثالث: نشير فيه إلى ما اشتمل عليه من العلـوم المعنويـة المختصـة بعلم المعاني، ويندرج تحتـه بيـان المقاصـد الـتي أرادهـا عليـه وعلى آلـه الصـلاة والسلام.

النظر الرابع: في الإشارة إلى ما تضمنه من العلوم البيانية.

النظر الخامس: نورد فيه ما اشتمل عليه من علوم البديع»[2].

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال وهو: ما سرّ هذا الترتيب؟ أترتيب مقصود يقوم على أسس علمية أم ترتيب اعتباطي؟

إن هذا الـترتيب في الأنظـار ليس ترتيبًـا اعتباطيًـا بـل لـه اعتبـارات أوردهـا بقوله: «ثم إن هذه العلوم الخمسة التي أشرنا إليها بعضها أخصّ من بعض، فعلم الإعراب أخصّ من علم اللغة، من جهة أن الإعراب مختصّ بالتركيب، وعلم اللغـة مختصّ بالمفردات، والمفرد قبل المركب، وسابق عليه، وعلم المعـاني أخصّ من

---

[1])) نفسه، 1/ 155.
[2])) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 156- 159.

علم الإعراب من جهة أن علم المعاني مبني على توخي معاني النحــو في تقــديم المقدم وتأخير المؤخر في المفاعيل والمسند إليه والمسند به، وعلم البيان أخصّ من علم المعــاني من جهــة أن علم البيــان مختصّ بــأمر زائــد، وهــو جريــه في المجازات الحسنة والاستعارات الرشيقة، وعلم المعاني لا تؤخذ منه هذه الفائدة، وعلم البـــديع أخصّ من علم البيـــان من جهـــة أن علم البـــديع مختص بالبلاغـــة والفصاحة، وعلم البيان مقصور على المجـازات من: التشـبيه، والاسـتعارة، وعلم البديع هو الغاية القصوى في تحسين الكلام، وإيراده في القوالب البديعـة، ويـنزل من الكلام منزلــة الــدهن من اللبّ، ويحلّ منــه محلّ الإنســان من ســواد العين، ولولاه لم ترَ لسانًا يحوك الوشي من الكلام، ويصوغ الحلي، وينفث السـحر مفـتر الأكمام، ومن ثمة ظهر إعجاز القرآن ظهور المرئي في العيان»[1].

لقد كان سرّ شرحه للأحاديث على ذلك الترتيب المخصوص له اعتبارات من جهة علاقة تلـك الأنظـار ببعضـها؛ فالعلاقـة قائمـة على العمـوم والخصـوص فبـدأ بأعمها علم اللغة وانتهى بأخصها علم البديع.

وقد ذكر طرفًا من الدراسة التي سبقته إلى شرح (الأربعين حديثًا السيلقية) حيث قال: «نعم قد كان من الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين- رضي اللـه عنـه وأرضاه- شرح سماه: (حديقة الحكمة)، ولقـد أتى فيـه بـالعجب العجـاب، ولبـاب الألباب في الإناخة عن مقاصدها، والكشـف عن أسـرارها، لكنـه لم يكشـفها هـذا الكشــف بالاســتيلاء على هــذه العلــوم الخمســة الــتي ذكرناهــا، واكتفى بشــرح مقاصده صلى الله عليه وآله وسلم من غير زيادة، وأهمل رعاية الضبط والحصــر بالعقود اللائقة، والترتيبات الفائقـة، وشـرحه هـذا دال على أن لـه في علم الأدب اليــد البيضــاء، وفي علم التــواريخ النصــيب الأوفى، فأمــا أنســاب الــرواة، وذكــر

[1])) الأنوار المضيئة، 1/ 159.

أحوالهم وطرائقهم فقد أعرضنا عن ذكره؛ لأنه بمعزل عن حديث رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وهو بعلم التاريخ أليق فلا يمزج أحدهما بالآخر»[1].

إن من شأن كلامه هذا أن يبرز روح الناقد المنصف والدقيق، أما إنصافه فبذكره مكانة كتاب (حديقة الحكمة) العلمية العظيمة في القدرة على إظهار مقاصد النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-، ومكانة مصنفه المتبحرة في علم التواريخ، وتتجلى دقته في إعراضه عن تضمين شرحه أنساب الرواة كي لا يمزج بين أكثر من علم لا يمكن علميًا المزج بينهما كما هو حاصل في (حديقة الحكمة)، فضلاً عن شرحه المستولي على العلوم الخمسة وفي ترتيبات فائقة وعقود لائقة.

وقد طبّق الإمام يحيى بن حمزة في شرحه ما نظّر له في المقدمة إلا أنه كان يفصل بين متن الحديث وشرحه بتصديرٍ يضم في طياته التحميد، والتمجيد، والصلاة على النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- وهذا من شأنه الإشارة إلى عدة سمات، وهي:

1- جعل شرح الحديث الواحد مؤلفًا قائمًا بذاته منفصلاً عمّا قبله وبعده، وله حيزه من الجهد والوقت، فإذا أراد شرح الحديث التالي يقوم بشرحه بإقبال جديد في الجهد والوقت ممّا يدفع الكلل الذي يسببه شرح الأحاديث بشكل متتابع.

2- منح كل حديث حقه الكامل من الشرح بحيث لا يطول شرح حديث على حساب غيره من الأحاديث.

3- عدم اعتماد أيّ حديث على ما قبله أو بعده من شرح، يجعل تناول القارئ شرح أيّ حديث منها يفيد فائدة تامة لا يكتنفها القصور.

4- إيجاد علاقة حميمية بين الكاتب والقارئ، وذلك لما يحصل في التحميد

---

[1])) نفسه، 1/ 160.

والتمجيد والصلاة على النبي وآله من استمالة القلوب إلى قراءة المكتوب، وممّـا يؤكده تلاشي تلك العلاقة الحميمية بين السامع والمتلقي في الخطبة البتراء[1].

5- دوره في طلب التوفيق الرباني ورجاء الانتهاء بشرح تامة غاياته وبشـكل سواء في كل حديث.

6- التمهيد الذي يناسب موضوع الحديث الذي هو بإزاء شرحه، ففي الحديث الثالث مثلاً الذي يدعو فيه النبي- صلى الله عليه وآلـه وسـلم- النـاس إلى التوبـة قبـل المـوت والمبـادرة بالأعمـال الصـالحة، يقـول المصـنف في تصـدير شـرح الحـديث: «فنقـول: الحمـد للـه المنعم الـذي رخّص بالتوبـة عن المـذنبين درن الأوزار، وألهمهم إلى الإنابـة إليـه، ومهّـد لهم بكرمـه ورحمتـه طريـق الاعتـذار، واصطفاهم بالمحبة وعظيم الزلفة، وأكرمهم بخضـوع النـدم وشـرف الاسـتغفار، وصفى سـرائرهم وبعـدهم عن مراجعـة مـا تـابوا عنـه ...»[2]، ومنـه في الحـديث التاسع الذي قال فيه النبي- صلى الله عليه وآله وسـلم- : «رحم اللـه عبـدًا تكلم فغنم أو سكت فسلم، إن اللسـان أملـك شـيء للإنسـان، ألا وإن كلام العبـد كلـه عليه إلا ذكرًا لله أو أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو إصـلاحًا بين مؤمـنين...»[3]. يقول المصنف في تصدير شرح الحديث: «فنقول: الحمد لله الحميد المجيد الذي أنطق الألسنة بأسرار التوحيد فأفصحت له بحقائق المعرفة، وصـرحت لـه بـأنواع التمجيـد ...، فسـبحان من نـزه ألسـنة العـارفين عن أن تفـوه بـالنطق بـاللغو والكذب، وأن تقول هجرًا...»[4].

---

1)) ينظـر: البيـان والتبـيين، أبو عثمـان عمـرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشـرح عبد السـلام هارون، مكتبة الخانجي، (ت)، القاهرة، مصر، 2/ 6، 7.

2)) الأنوار المضيئة، 1/ 193.

3)) الأربعون حديثًا السيلقية، 22.

4)) الأنوار المضيئة، 1/ 290.

طريقة شرحه للأنظار

بعد إيراد المصنف الحديث وإلحاقه بتصدير يبدأ: بـ «فنقول»، ويـذكر النظـر الأول: في بيان ما اشتمل عليه من الألفاظ اللغوية، وقد يسميه النظـر الأول: في بيان ما اشتمل عليـه من العلـوم اللغويـة، فيوضـح الكلمـات الغـامض معناهـا في الحديث إما بشرحها، أو بذكر نقيضها، مع إيراد جمع المفرد، ومفرد الجمـع، ونـوع الكلمـة من جهـة كونهـا مشـتقة أو جامـدة، وأصـل المزيـد، ومـيزان الملتبس، والمشترك اللفظي، موضحًا للغريب منها، مستعينًا على ذلك بالشواهد.

ومثال على ما وضـحه المصـنف من معـاني الكلمـات بـالنقيض أو بـالمعنى، وتحديده المشتق والجامد، وذكره بعض الحدود والتعاريف الصرفية: «**فالعزّ**: هـو القهر والغلبة، و**الموت**: نقيض الحياة، والحياة بنية ممتزجـة على جهـة الاعتـدال، بها يكون إدراك المدركات، وعليها يتقرر أمر القدرة والعلم؛ لأنّهـا مصـححة لهـذه الأمـور كلهـا، والمـوت يزيلهـا ويبطلهـا، **والحسـيب:** المحاسب، **والـرقيب:** المراقب، وهما مشتقان من المحاسبة والمراقبة، ومعنى **الاشـتقاق**: أن تكـون اللفظتان يجمعهما جامع معنوي، وكل من ألفاظ العمـوم، وهي تفيـد الاسـتغراق لغة وشرعًا، **والحسنة:** مأخوذة من الحسن، وهي موضـوعة على كـل مـا يسـرّ، **والسـيئة:** مـأخوذة من السـوء، وهي اسـم لمـا تنفـر عنـه النفـوس، والمـراد **بالحسنة** هاهنا: الطاعة، والمراد **بالسيئة**: المعصـية، و**الثـواب:** اسـم للمنـافع الـتي تسـتحق على الطاعـة، سُـمي بـذلك؛ لأنـه يرجـع على صـاحبه بالمسـرّة، و**العقاب:** اسم المضار التي تستحق على المعصية، وسُمي عقابًا؛ لأنـه يسـتحق عقيب المعصية، و**الأجل**: هو غاية كل شيء ونهايتـه، ومنـه أجـل المطلقـة؛ لأنـه الغايـة في التحـريم حـتى تحـلّ للأزواج، و**الكتاب:** هـو العلم الكاشـف على حـدّ

الأجل ونهايته، و**البدّ:** الفسحة والسعة، فإذا قال: لا بدّ لك من هذا أيْ: لا سعة ولا منه مندوحة عن فعله، **والقرين:** ما يقرن مع غيره؛ وأصله في الإبل يقرن الصعب مع الذلول فلا يزال يحاذيه ويصاحبه حتى يلين مراسه وينقاد بسهولة، و**الدفن:** المواراة، **الكرم:** معروف، **واللؤم**: معروف أيضاً، والمراد **بالكرم**: هاهنا المطابق للتقوى، والمراد **باللؤم**: ما يستحق عليه العقاب، و**الكريمة من الإبل:** ما كانت غزيرة اللبن، و**اللئيمة:** ما قلّ لبنها، وقد نُقل في الاستعمال إلى بني آدم، فجعل الكريم الحسيب، واللئيم البخيل.

وفي الحديث: أن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- قال في صفة يوسف- عليه السلام- : «هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم»[1][2].

لقد كانت طريقة المصنف في إظهار معاني الألفاظ اللغوية هو ذكر المعنى كما ظهر في معنى كلمة: «العزّ»، أو ذكر النقيض كما في كلمة: «الموت»، وتبيين ممّا اشتقت الكلمة كما في: «الحسيب والرقيب في أنهما مشتقان من المحاسبة والمراقبة» مع إيراد تعريف الاشتقاق، وعند اللفظ الواضح معناه لا يوضحه ويكتفي بقوله معروف كما هو ظاهر في قوله: «الكرم: معروف، واللؤم: معروف»، وعند ترك توضيح معنى اللفظ اللغوي لكونه ظاهرًا يوضح معناه في سياق الحديث كما في: «والمراد بالكرم هاهنا المطابق للتقوى»، وقد يعرِّج على ذكر أصل استخدام اللفظ وما نقل إليه ويستشهد على ذلك النقل، كما ورد في لفظة: «الكريم».

وإن عرضت لفظة فيها أكثر من لغة نبهه عليها، وفي المسائل الخلافية يذكر رأيه مع إيراد تعليل يؤكد رأيه، وإن وردت كلمة تحتمل أكثر من بناء صرفي يقف

---

[1] (?) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير اليمامة، ط3،عام 1987م، بيروت، لبنان،3/ 1237.

[2])) الأنوار المضيئة، 1/ 183.

عندها ويوضحها، وذكر ما يجري في الكلمة من إعلال أو قلب أو إبدال، ويذكر المعاني المحتملة للكلمة الواحدة مع إيراد دليل لكل احتمال، ويمكن أن تظهر هذه القضايا مجتمعة في معرض الحديث الأول: «**الناس:** اسم عام لجميع الخلق من الإنس الرجال والنساء والعبيد، **وفيه لغتان**: ناس، وأناس، فتصغير **ناس** نويس، على ترك الاعتداد بالمحذوف، وتصغير **أناس** أنيس على الاعتداد بالمحذوف، و**الموت:** نقيض الحياة، وهل يكون معنى يضاد الحياة، أويكون تفريقًا للبنية لا غير؟

فيه تردد بين العلماء، والمختار أنه تفريق للبنية؛ لأنّا لا نقول بالمعاني العرضية، ...، و**السَّفْر:** اسم للجمع كالصحب والركب، وليس جمعًا على الحقيقة، ولهذا فإنه يصغّر على لفظه، فيقال: سُفَير ورُكَيب، فهو بالأسماء المفردة أشبه، ويضعف قول من قال: إنه جمع؛ لأن (فعْلى) بسكون (العين) ليس من أوزان الجموع في التكسير[1]، ...، و**الجدث**: القبر، ويقال: جدف بـ (الفاء) أيضًا، و**الأكل** معروف، و**التراث**: ما يخلفه الميت وراءه، وأصله وراث، فأبدلت (الواو) (تاء)، كما يقال: تيفور، وهو من الوفار، وتقوى وهي من الوقاية، و**الخلود**: هو الدوام المؤبد، و**النسيان**: هو الذهول والغفلة.

و**الواعظة**: فيها وجهان:

أحدهما: أن يكون صفة، أيْ: نسينا كل حادثة واعظة لنا، وهو الأكثر الأشهر.

و**ثانيهما**: أن يكون اسم فاعله بمعنى المصدر، وأراد بها الوعظ كالكاذبة

---

[1])) من قال أنه اسم جمع هو سيبويه، أما الأخفش فقد قال أنه جمع تكسير. ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، تحقيق محمد نور، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، عام 1975. بيروت، لبنان، 2/ 203، 204.

بمعنى الكذب، والعافية بمعنى المعافاة، والفاضلة بمعنى الفضل، وكلاهما لا غبـار عليه، و**الأمان**: نقيض الخوف، و**الجائحة**: يتوجّه فيها المعنيـان اللـذان ذكرناهمـا في الواعظة، و**الجوائح**: هي التي تسحب ما في يد الإنسان من أهل، ومال.

الطُوبى: (فُعلى) بضـم (الفـاء)، وعينهـا (يـاء) قلبت (واو)، كالكوسـى من الكيس، ...، و**الاستهواء**: الغلبة يقـال: اسـتهواه النـوم إذا غلبـه، و**الاستهواء:** الميل أيضًا، ومنه الهوى؛ لأنه يميل من جانب إلى جـانب، والمعنيـان حاصـلان في قوله تعالى: [illegible] [1] أيْ: غلبته ومالت به ... »[2].

وعلى هذا يمكن القول: إن الإمام يحيى بن حمزة عندما تنـاول مـا اشـتملت عليه الأحاديث من الألفاظ اللغوية كان يبدأ مباشرة بذكر اللفـظ المـراد توضـيحه دون أن يسبقها بشيء من الكلام كما كان يفعل في تصـدير شـرح الحـديث حيث كان يبدأ بــ « فنقول»، وعندما ينتهي لا يـورد أيّ خلاصـة لمـا أورد، وبين الأمـرين يوضـح الألفـاظ اللغويـة بـذكر النقيض أو المعـنى، مـوردًا معـاني بعض الألفـاظ الاصطلاحية، واللغات الواردة في الكلمة، منبهًا على المشترك اللفظي، وما سبق توضيحه فلا يعيد توضيحه في بعض المواطن أما الغالب فإنه يعيد توضيح ما سبق توضيحه من الكلمات، ويجدر الإشارة إلى أنـه جعـل حـيزًا لعلم الصـرف في هـذا النظر فكان يورد وزن بعض الكلمـات ويشـير إلى المشـتق منهـا ومـا حصـل في بعض الكلمات من إعلال أو قلب أو إبدال.

ويردف المصنف بعد النظر الأول النظر الثاني الذي يبين فيه ما اشتمل عليه الحـديث من المعـاني الإعرابيـة، وقـد يسـميه العلـوم الإعرابية بـدلاً عن المعـاني الإعرابية، وكان يعرب ألفاظ الحديث لاسيما المشْـكل منهـا كالمنـادى والاسـتثناء

[1] (?) سورة الأنعام من الآية 71 .
[2])) الأنوار المضيئة، 1/ 163، 164.

والحـروف والأسـماء الـتي تختص بـأكثر من عمـل، والجمـل الـتي لهـا محـل من الإعراب، والجمل التي لا محل لها من الإعراب، والمتعلقات، وأنواع الاستثناء، مع إعرابه بعض الأفعال التي يُشْكِل متعلقاتهـا، وغالبًا مـا يتنـاول المسـائل الخلافيـة موردًا الآراء وحجة كل فريق، مع ترجيحه لـرأي من تلـك الآراء في الغـالب، وهـو يسـتعمل المصـطلحات البصـرية والكوفيـة جنبًـا إلى جنب، وإن كـانت الغلبـة للمصطلحات البصرية، كما هـو الشـأن في معظم كتب النحـو، ومنـه على سـبيل المثال استعمال لفظ الجر وهو مصطلح بصـري[1]، واسـتعمال لفـظ مـا لم يسـم فاعله وهو مصطلح كوفي[2]، وكذلك يستعمل مصطلحات النحاة الأخـرى كالشـاذ والنـادر والقليـل والكثـير والسـماعي والقياسـي وغـير القياسـي، وغـير ذلـك من المصطلحات المتعارف عليها عند النحاة.

وهو يتناول في إعرابه الآراء البصـرية والكوفيـة على حـد سـواء، ويختـار مـا يراه صحيحًا من غير ميل إلى واحد منهم، بمعنى أنه يختار في الإعـراب مـا يـراه صحيحًا، ولا يهمه من يوافق بـذلك الـرأي، فمن مسـائل الخلاف الـتي اختـار فيهـا رأي البصريين، أن عامـل الرفـع لخـبر (كـأن) هـو (كـأن)، وليس الرفـع بمـا كـان مرفوعًا قبل دخول (كأن) حيث قـال: «**كأن**: حـرف من عوامـل المبتـدأ والخـبر تنصب المبتدأ وترفع الخبر، وهل يكون الرفع بها في الخبر، أويكـون مرفوعًـا بمـا كان مرفوعًا به قبل دخولها؟

فيه تـردد بين النحـاة؛ والمختـار أنـه مرفـوع بهـا، وهـو رأي الجلّـة من نحـاة البصريين»[3].

ومن المسـائل الـتي اختـار فيهـا رأي الكوفـيين، وهي أقـل من الأولى، أن

[1] (?) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 197، 340، 341.

[2])) ينظر: نفسه، 1/ 325، 385.

[3])) الأنوار المضيئة، 1/ 165.

الرافع للفعل المضارع المضارعة، وهو ما اختاره المصنف بقوله: «يبليان: مرفوع على المضارعة»[1].

وانطلاقًا من رؤيته في سلوك المنحى الإعرابي الذي يراه صحيحًا، فقد يخالف بذلك الرأي المتقدمين من علماء النحو، ومن المسائل التي اختار فيها رأي المتأخرين مخالفًا به رأي المتقدمين كسيبويه مسألة العلة التي لأجلها منع الجمع من الصرف، فسيبويه يذهب إلى أن المانع من الصرف هو عدم وجود في الآحاد على مثاله، ويذهب ابن الحاجب إلى أن المانع كونه صيغة منتهى الجموع[2]، وهذا ما اختاره المصنف بقوله:«المعالم: منصوب بـ (إن) قبلها، وهي غير منصرفة للجمع ونهاية الجمع، وهي صيغة منتهى الجموع»[3]، وعندما يقف على ما سبق إعرابه يشير إليه بأنه سلف تقريره، ولا يعربه، وفي نهاية هذا النظر غالبًا لا يشير إلى الانتهاء من النظر.

أما طريقته في تناول النظر الثالث فيما يخص المقاصد المعنوية، فإنه يجعله على بحثين- وقد يسميه مطلبان، ومقصدان- الأول: في بيان الأسرار المتعلقة بالعلوم المعنوية، والثاني: في بيان ما تضمنه من مقاصده صلى الله عليه وآله وسلم، فعند تناوله البحث الأول خصّ بداية هذا البحث في الحديث الأول بذكر طرف من حدّ وتعريف علم المعاني بقوله: «وهي في الحقيقة متعلقة بأسرار التركيب، وتحوي معاني النحو في التأليف»[4]، وعندما شرح ما يشمل الحديث من مباحث علم المعاني قد يبدأ بذكر حدود أو غاية مباحث علم المعاني التي وردت في الحديث- وهي قليلة-، ثم يشرح الحديث، ومنه: «التنبيه الأول: التأكيد:

---

1)) نفسه، 1/ 219.
2)) ينظر: المنهاج الجلي، 1/ 91.
3)) الأنوار المضيئة، 1/ 208.
4)) نفسه، 1/ 167.

وهو معـنى في الكلام يُـذكر لإزالـة الاحتمـال، وقطـع الشـكوك، فقـد صـدّر عليـه السلام هذه الجمل بــ «إن» المؤكـدة في صـدرها؛ ليـدل بهـا على تأكيـد المعـنى الذي جيء بها من أجله»[1]، وقد يبدأ بـذكر مكانـة المبحث الـذي يتناولـه في علم المعاني ثم يشرح الحديث، ومنه: «التنبيه الثـالث: الإيجـاز والاختصـار: ولهمـا في العلوم المعنوية موقع عظيم لا يخفى على من له أدنى ذوق»[2]، وغالبًا ما يتنــاول ما تضمنه الحديث من علم المعاني مباشرة.

وقد شرح المصنف موضوعات علم المعاني التي وردت في الأحاديث، ومنها الفصل والوصل، والتأكيد، والتقديم والتأخير، وما يخص الجمل الإنشائية، والإيجـاز والاختصـار والحـذف والإضـمار والحصـر والإبهـام والإجمـال والشـمول والبيـان والوضوح، منتهجًا عند شرحه لها منهجين:

المنهج الأول: جعـل تلـك المواضـيع على ترتيبـات وتفريعـات في نقـاط يسميها تنبيهات، وقـد يسـميها أنواعًـا ونكتًـا ومعـاني، ومنـه في معـرض الحـديث الثـالث: «المطلب الأول: في بيـان الأمورالمعنويـة الـتي اشـتمل عليهـا من علم المعاني، وهو مشتمل على نكت ثلاث:

النكتةالأولى: الفصل والوصل، فالوصل مـا كـانت الجمـل فيـه حاصـلة بــ «الواو» العاطفة، وهذا حاصل في جميـع الجمـل كلّهـا الـتي وردت في الحـديث، فإنها جاءت وصلة بين الجملتين، وهكذا قولـه: «ألا وإن» «الـواو» هاهنـا للوصـل بين «إن»، و«ألا» للتنبيه، ولها موقع لطيـف، وقـد جـاء الفصـل في قولـه: «أيُّهـا الناس إن أكيسكم» لما لم يأت بـــ (الـواو) عطفًـا على «أيُّهـا النـاس» في صـدر الحديث لإرادة الفصل بين الكلامين، ولم يرد الجمع بينهما إيقاظًا للأسماع، وتنبيهًا

[1])) نفسه، 1/ 186.
[2])) الأنوار المضيئة، 1/ 186.

على الخروج من كلام إلى كلام آخر ليس بينه وبين الأول علقة ولا ملاءمة بحال.

النكتة الثانية: الإيجاز والاختصار، فلقد أشار عليه السلام في هذا الحــديث إلى المبالغة في الوعظ بأوجز عبـارة وأخصـرها، فـذكر التوبـة وأمـر بهـا لإصـلاح الأعمال، وبها يكون خواتيمها، وأمر بالمنافسة في الأعمـال الصـالحة؛ لأنـه يكـون بها النجاة، ثم أمر بتقوية الأسباب بين الخلق وبين الله تعالى إلى آخر كلامه.

النكتـة الثالثـة: الحـذف والإضـمار، وهـذا كقولـه: «وبـادروا» أيْ: بـادروا الموت، وقوله: «قبل أن تُشغلوا» بالموت وأهواله، وقوله: «وصلوا الــذي بينكم» بالطاعــة، وقولــه: «تُســعدوا» بالجنــة، ونحــو قولــه: «تُرزقــوا» الخــير، وقولــه: «تُخصبوا» في ثماركم، فهذه كلها حـذوفات جـاءت على جهـة الإضـمار بهـا، وهي مراده في التقدير»[1].

المنهج الثاني: الاسترسال في شرح مباحث علم المعاني التي وردت في الأحاديث حسب ترتيب ورود الجمل في الأحـاديث دون ترتيبهـا على شـكل نقـاط متسلسـلة، ومنـه في معـرض الحـديث السـادس: «المطلب الأول: في بيـان مـا تضمنه من علوم المعاني

فمنها، التقديم والتأخير، في قوله: «حتى تكـون فيـه خمس خصـال»، فقدّم الخبر بالظرف وأخر الاسم اهتمامًا واعتناء، ومن ذلك الفصل والوصل بــ (الــواو) في تعديد الصفات، والفصل، في قولـه: «إنـه من أحب للـه»، فـأتى بـه من غـير (واو)؛ تنبيهًا على الفصل، ومن ذلك البيان والإيضاح في ما أجمـل، فالإجمـال في قوله: «خمس خصال»، والبيان: هو ما ذكره من سرد الصفات التي أوردهـا، ومن ذلك التأكيد بــ «إن»، في قوله: «إنه من أحب للـه»، ومن ذلـك الإبهـام في خـبر الشأن والضمير، في قوله: «إنه من أحب»، وهكـذا حـال الإبهـام في«من»، فـإن

---

[1])) الأنوار المضيئة، 1/ 198.

هذه الأمور التي سردناها من علم المعاني فيها أسرار ورمـوز تطلـع النـاظر على المعادن والكنوز»[1].

وهنا يبرز سؤال ألا وهو: لماذا اعتمد المصنف في شرح ما تضمنته الأحاديث من مباحث علم المعاني على منهجين؟ أكان المنهجـان أمـرًا انتبـه لـه المصـنف وقصده أم لا؟

نعم لقد اعتمد المصنف المنهج الأول الذي يقوم على ترتيبات وتفريعات في نقـاط متسلسـلة في الحـديث الثـاني والثـالث والرابـع والخـامس والثـاني عشـر والثالث عشـر والرابـع عشـر والخـامس عشـر والسـادس عشـر والسـابع عشـر والثامن عشر والعشرين، وسـلك المنهج الثـاني الـذي يقـوم على شـرح مواضـيع علم المعـاني حسـب تـرتيب ورود الجمـل في الأحـاديث- دون وضـعها في نقـاط متسلســة- في الحــديث الأول والســادس والســابع والثـامن والتاسـع والعاشـر والحادي عشر والتاسع عشر، وهذا من شأنه أن يُبرز عدّة تعليلات، وهي:

1- لم يكن المنهج واضحًا في الحـديث الأول عنـد المصـنف عنـد شـرح هـذا البحث، فشرحه ملتزمًا المنهج الثاني متأثرًا بالنظرين السابقين لهـذا البحث حيث إنه شرحهما بالمنهج نفسه، ومـا هـذا التـأثر إلا لضـبابية المنهج المناسـب لعـرض مادة هذا البحث، وممّا يؤكد هذه الضبابية أمران، الأول منهما: أنه أورد ضمن هذا البحث في الحديث الأول بعض المسائل التي تخص البحث التالي لهذا البحث؛ أيْ تخص بحث مقاصـده صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم، والثـاني: أنـه لم ينظّـر في المقدمة لمنهجه المتبع في عرض مادة هـذا البحث، بمعـنى أنـه لم يـذكر طريقـة تناولـه للمواضـيع الداخلـة في بحث علم المعـاني؛ وذلـك لانشـغاله في المقدمـة بالتنظير لما يضمه بحث علم المعاني من مواضيع، هذا من جهة، ومن جهة أخرى

---

[1])) نفسه، 1/ 234، 235.

أنـه كـان منشـغلاً بوضـع قواعـد منهجـه الأعم، والمتمثـل في الأنظـار الخمسـة، وتوطيد حدود كل نظر.

2- تنبّه المصنف عند شرحه الحديث الثاني إلى إمكانية شرح هذا البحث في ترتيبـات وتفريعـات في نقـاط متسلسـلة، وتنبّـه لـذلك بعـدما شـرح النظـرين المتعلقين بعلم البيان وعلم البديع في الحـديث السـابق- أيْ الأول- بترتيبـات في نقاط متسلسلة، وعلم المعـاني هـو صـنو لهمـا فمـا ناسـبهما من منهج سـينطبق عليه، فلزم ذلك إلى الحديث الخامس.

3- في الحـديث السـادس ألـزمت المصـنف مضـامين الحـديث، وذلـك فيمـا يخص علم المعاني أن يعود إلى منهجه الأول الـذي انتهجـه في شـرح هـذا البحث في الحديث الأول، بمعنى أنه أدرك أن المنهج الأفضـل لإظهـار مـا يضـم الحـديث السـادس من علم المعـاني وبشـكل علمي يفيـد القـارئ هـو المنهج الأول؛ لأن اللاحق من الجمل متعلق ومترتب بيانه على ما قبله من جمل الحديث، ويؤكد هذا التعليل أن المصنف نبه إلى ذلك في الحديث التاسع بقوله: «وإنما تظهـر فائـدتها بتتبع ألفاظ الحديث، فصـدر الحـديث بلفـظ الـدعاء ملاطفـة وتقريبًـا ...»[1]، ومن شأن هذا الكلام أن يظهر أن المصنف كان يعي ذلـك التحـول في المنهج والـدليل تعليله ذلك التحول بكون ظهور الفوائد المتضمنة الحديث فيما يخص علم المعاني يحصل بتتبع ألفاظ الحديث، وقد التزم هذا المنهج حتى الحديث الحادي عشـر مـع الحديث العشرين للعلة نفسها.

4- بعد تلاشي العلة التي في مضامين تلك الأحاديث، عـاد إلى منهجـه الـذي أدرك أنه الأنسب عند شرح هذا البحث.

وللمصـــنف طريقتـــان في ختم هـــذا البحث، الأولى: - هي الأغلب- لا يـــؤذن

---

[1])) الأنوار المضيئة، 1/ 295.

بانتهاء الغرض في هـذا البحث، والثانيـة: يـؤذن بانتهـاء مـا تضـمنته الأحـاديث من مواضيع علم المعاني.

وبعد الانتهاء من البحث الأول من النظر الثاني يورد البحث الثـاني: في بيـان ما تضمنته من مقاصده صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم، مـع الإشـارة إلى أنـه كـان يسميه في بعض الأحـاديث المطلب الثـاني، أو التقريـر الثـاني دون تـبرير لـذلك، وعند الشرح يبدأ بقوله: فاعلم، أو بقوله: واعلم، أو بقوله: وأراد النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- من الحديث ... ، وقد يبدأ بإيراد قول النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- المراد شرحه، وبعد الانتهاء من عرض مقاصده صلى الله عليه وآله وسلم في القول الذي أورده يردفه بالجملة التالية ثم يشـرحها حـتى يسـتوفي الشـرح، وهكذا حتى ينتهي من إيراد جمل الحديث كاملة[1].

وعند شرح المقاصد النبوية في بعض الأحاديث جعـل شـرحه على الترتيبـات والتفريعات المتسلسلة واضعًا لتلـك الترتيبـات والتفريعـات عـدة مسـميات منهـا المقامـات والحـالات والوجـوه والصـور، وغالبًـا مـا تنـاول في تلـك الترتيبـات والتفريعـات الفضـائل الـتي وردت في الأحـاديث، مبتـدئًا بـذكر حـدّها وتعريفهـا، ومراتبها وأنواعها ودرجاتها، مستشهدًا على ما يشرحه بأدلـة من القـرآن الكـريم، والسنّة النبوية، وأقوال العلماء، وأشعار العرب وحكمهم وأمثالهم، فضلاً عن إيراد القصص والأخبار التي فيها العظة والعبرة[2].

وللمسائل الكلامية مكـان في هـذا البحث حيث تناولهـا المصـنف عرضًـا في ثنايا الشـرح، ويـذكر آراء علمـاء الكلام، والفـرق في المسـألة، وأدلـة كـل فريـق وعالم، والمختار منها عنده، موردًا علل الاختيار ومدعمًا لمـا يقـول بالأدلـة، ومنـه

---

1)) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 172- 178، 221- 229.
2)) ينظر: نفسه، 1/ 328، 329، 579- 588.

في مسألة الثواب، أهو تفضل من الله يؤتيه من يشاء أم يسـتحقه على الطاعـة: «الطّرف الأول: فيمـا يسـتحق بـه الثـواب والعقـاب؛ فالـذي عليـه أئمـة الزيديـة، والجماهير من المعتزلة أنهما إنما يستحقان على الطاعة والمعصية، وأنهمـا أعـني الطاعـة والمعصـية سـببان في اسـتحقاقه، والمحكي عن الأشـعرية أن الثـواب تفضل من جهة الله تعالى يؤتيه من يشاء، ويخصّه من يشـاء، والعقـاب وإن كـان مستحقًا على المعصية، ولكنه يجوز أن يعفو عن المعاصي، وأنه لا معنى للوجوب على الله، ولايقبح من جهته قبيح، ولا يحسن من جهته حسن، وأنه يفعل ما يشـاء ويحكم ما يريد، وصرحوا ببطلان الأحكام العقليـة من الحسـن والقبح، والوجـوب، والندب، وأن مستند هذه الأحكام كلها الشرع، ولا تصرف للعقل فيها، ولا قوة لنـا على تحصـيلها، وعلى القضـاء بهـا، وحُكي عن الشـيخ أبي القاسـم الكعـبي شـيخ معتزلة بغداد أن الثواب إنما يستحق ليس على الطاعة، وإنمـا هـو شـكر للنعمـة، وأما العقاب فيستحق على المعصية؛ والمختـار هـو مـا أشـار إليـه الشـرع من أن الطاعـة سـبب في اسـتحقاق الثـواب عليهـا، وأن المعصـية سـبب في اسـتحقاق العقاب عليها، ويدل عليه قوله تعالى: [illegible][1]، وقوله: [illegible][2]، وقوله: [illegible][3]، فهذه واردة كلها دالة على مـا ذكرناه من الاستحقاقين.

الطّـرف الثـاني: في الإحبـاط والتكفـير؛ اعلم أن الإحبـاط والتكفـير إنمـا يتصـوران على قـول من يقـول بوجـوب التوفـير في كـل واحـد من المسـتحقين الثواب والعقاب، فأما من لا يقول بالوجوب على ما حكيناه عن الأشعرية، فلا وجه

---

1)) سورة الزلزلة الآيتان 7، 8.

2)) سورة النساء من الآية 123.

3 (?) سورة الرحمن الآية 60.

لجريهما بحال، فأما من قال بالوجوب لتعذر اجتماعهما، ففيه مذهبان:

المذهب الأول: إن الثواب والعقاب يتساقطان على الدوام، والغلبة للأكثر في التوفير، وهذا هو رأي الشيخ أبي هاشم، والمذهب الثاني: إن الأقلّ يسقط في جنب الأكثر، ولا يكون له حكم، وهذا هو رأي الشيخ أبي علي الجبائي، فعلى رأي أبي هاشم، إذا استحق عشرين جزءًا من الثواب وعشرة أجزاء من العقاب سقط من الثواب عشرة، ووفرت عشرة، وعلى رأي الشيخ أبي علي تسقط أجزاء العقاب، ولا يكون لها حظّ في الإسقاط»[1].

وعندما ينتهي المصنف من شرح مقاصد النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- لا يشير- في الغالب- إلى انتهاء شرح المقاصد، وقد يشير إلى انتهاء غرضه- وهو الأقل- وفي النادر يختم بدعاء.

وفي النظر الرابع في بيان ما اشتمل عليه الحديث من العلوم البيانية؛ بدأ المصنف في شرح هذا النظر في الحديث الأول بطريقة تختلف عن بقية الأحاديث حيث بدأ بذكر المداخل العظيمة لهذا العلم- أيْ علم البيان- في القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة، وعرّض بمن ينكر المجاز فيهما، وساق شواهد تثبت أن المجاز في القرآن أظهر من نور الشمس، وبعد ذلك أورد ما تضمنه الحديث من علم البيان وشرحها، وهذا الإيراد هو الطريقة التي لزمها المصنف في شرح النظر الرابع في الأحاديث كلها عدا الحديث الأول.

وقد جعل شرحه على ترتيبات وتفريعات متسلسلة متنوعة تسمياتها من حديث إلى آخر، فإذا كان في الحديث الأول يسميها استعارة، فإنه في الحديث الثاني يسميها مواقع، وفي الحديث الرابع يسميها مجازات- واستيفاء هذه الجزئية وغيرها ممّا يخص علوم البلاغة الثلاثة في موضعها الفصل الثالث: جهوده البلاغية،

---

[1] (?) الأنوار المضيئة، 1/ 188، 189.

من هذه الدراسة-.

وفي ثنايا شرحه أورد بعض الخلافات، و من علل هذا الإيراد اســتدعاء النص النبوي الشريف الذي يشرحه المصـنف لـذلك الخلاف، أيْ أن إيـراد الخلافـات لم يكن المصنف ليوردها لولا حاجة النص النبوي لهـا، ويختـار المصـنف لـه رأيًا في ذلك الخلاف مع تدعيمه لما اختاره ورآه صحيحًا، ومنه- في معرض الحديث الرابع عشر-: «فـإن الغيّ: نقيض الهـدى، وهـو مجـاز لا محالـة، والغيايـة والغيايـات هي الحجاب على الشمس عن الاستنارة، فوصف الأمر بالغيّ مجاز في جمعه، فنُقـل من هذا المعنى إلى ما يناقض الهـدى، وذكـر (المنصـور بالله)- عليـه السـلام- أن الغيّ مـأخوذ من قـولهم: غـوي الفصـيل[1] إذا زاد رضـاعه فـوق الحدّ، فيهلـك أو يقارب الهلاك[2]، وليس الأمر كـذلك، فـإن الغيّ: مخـالف للغَـوي من جهـة لفظـه ومعناه، أما لفظه: فلأن (لام) الغيّ وعينه (ياآن) من باب حيي، بخلاف غـوي فـإن عينه (واو)، ولامه (ياء)، وأما من جهة معناه، فلأن **الغيّ**: هو التغطية عن الهداية، ومنه الغياية والغيايات، وأمـا الغـويّ: فهـو بشم[3] الفصـيل من كـثرة اللبن، فهمـا مفترقان كما ترى»[4].

ومن الجوانب التي اهتم بها المصنف عند شرحه إظهـار أثـر الصـور البيانيـة في النص النبوي الشريف، ومنه- في معرض الحديث الأول--: «فهذه الاستعارات كلّها قد بلغت في الوعظ كل غاية، واتسق نظامها وحسن تأليفها، وصارت معجبة لمـا اشـتملت عليـه من حسـن السـبك وإعجـاب النظم والتـأليف»[5]، وإظهـار المصنف لأثر الصور البيانية في النص النبوي هي إحدى الطرق التي يختم بها هذا

---

[1])) الفصيل ولد الناقة إذا فصل عن أمه. ينظر: لسان العرب، مادة (فصل).
[2])) ينظر: حديقة الحكمة، 134.
[3])) البشم: تخمة على الدسم. ينظر: لسان العرب، مادة (بشم).
[4])) الأنوار المضيئة، 1/ 388.
[5])) نفسه، 1/ 179.

النظر، وقد يختم بعضها بالإشارة إلى انتهاء غرضه من الشرح، وفي القليـل منهـا لا يؤذن بالانتهاء.

وبعد انتهاء المصنف من شرح النظر الرابع يتبعه بشرح النظر الخـامس: في بيان مـا اشـتمل عليـه الحـديث من علم البـديع، وغالبًا ما يجعـل موضـوعات هـذا العلم الـتي وردت في الأحـاديث على ترتيبـات وتفريعـات متسلسـلة منوعًـا في نعوتها بين نعتها بالأصناف والضروب والأجناس والأساليب، ويُظهر هـذه الترتيبـات المثال الآتي: «النظر الخامس: في بيان ما اشتمل عليه من علوم البديع.

وقد اشتمل على أصناف أربعة:

الصنف الأول: الاشتقاق، كقوله: «لا يكتب في المسلمين حـتى يسـلم النـاس»، فقولـه: في المسـلمين، ويسـلم من بـاب الاشـتقاق، كقولـه تعـالى: [1].

الصنف الثاني: التسجيع، في قوله: «بوائقه»، و«بوادره»، فإنهما مسـتويان في الوزن، وهو سجع لا محالة.

الصنف الثالث: التجنيس، في قوله: «ما لا بأس به حذار ما به البـأس»، وقوله: «من عمله» في حقّ المؤمن، و«من عمله» في حقّ الفاسق، فإنه جناس كما ترى.

الصـنف الرابـع: الطبـاق، وهـذا كقولـه: «خـير»، و«شـرّ»، وقولـه: «المـؤمن»، و«الفاسـق»، فـإن مـا هـذا حالـه معـدود في الطبـاق؛ لأن حاصـل الطباق: ذكر النقيضين والضدين، كما مرّ بيانه»[2].

وفي بعض الأحاديث لا يجعلها على هذه الترتيبـات والتفريعـات المتسلسـلة،

---

1 (?) سورة الروم من الآية 43.

2)) الأنوار المضيئة، 1/ 280.

وهذه الطريقة أقل من الطريقة السابقة، ومنـه: «النظـر الخـامس: في بيـان مـا اشتمل عليه من علم البديع، فمن السجع: قوله: «معـالمكم»، و«نهـايتكم». ومن التجنيس: قوله: «من نفسه لنفسـه»، فهمـا من التجـنيس الكامل، ومن الطبـاق: قوله: «الشـبيبة قبـل الكِبَـر»، و«الحيـاة»، و«المـوت»، ومن الطبـاق: «الجنـة»، و«النار»، فهذه الأمور كلّها من علم البديع»[1].

وقد جعل النصيب الأوفر في هذا النظر للطباق والسجع والجنـاس، ويسـمي السجع في بعض المواضع تسـجيعًا، والجنـاس تجنيسًـا دون الإشـارة إلى كونهمـا سـواء، ولم يـورد في شـرحه حـدود وتعـاريف المحسـنات البديعيـة إلا في النـادر وبشكل عابر في ثنايا الشرح، ومنه ما ورد في المثال المقتبس لإظهار الترتيبـات المتسلسلة في تناول المصنف علم البـديع، فقـد أورد هنـاك تعريـف الطبـاق مـع تكراره لتعريف الطباق في أكثر من موضع.

أما المواضيع التي قلّ ورودها هذا النظر فهي الاقتبـاس والتعديـد والترصـيع والتعليل وحكاية الحال القولية والفعلية والمحـاورة، والسـر في كـثرة ذكـر بعض المحسنات وقلة بعضها راجع لورودها في الأحاديث النبوية المشروحة، وهو عندما يظهر ما ضمت الأحـاديث من علم البـديع لايكتفي بإظهارهـا بـل يـذكر أثرهـا في النص النبوي، وغالبًا ما يختم هذا النظر بما يسميه حسن الإيضاح أو حسن السبك أو الفصاحة والبلاغة فيما تضـمنه الحـديث، ومنـه- في معـرض الحـديث الثـالث-: «الضـرب الثـالث: مـا تضـمنه من الفصـاحة والبلاغـة، فـإن أعملت الفكـرة في مفرداته وجدتها أعذب شيء وأحلاه، وإن فكرت فيما تضـمنه من الجمـل وجـدتها مسوقة أحسن سياق، فقد صدّر الحديث بـذكر التوبـة؛ لكونهـا مصـلحة للأعمـال، وختم بذكر الموت؛ لمّا كان هو الغاية والنهاية، ووسّط بينهمـا ذكـر الآداب الدينيـة

---

[1])) الأنوار المضيئة، 1/ 215.

والدنيوية، فحصل الحديث على تأليف عجيب وسياق رشيق»[1].

إن هـذا الـترتيب في الأنظـار قـد التزمـه المؤلـف من الحـديث الأول إلى الحديث الثامن، وابتـدأً من الحـديث التاسـع خـرج المؤلـف عن إطـار هـذا المنهج الذي نظّـر لـه في المقدمـة، و سـلكه في شـرحه للأحـاديث الثمانيـة الأولى، أمـا المنهج المتبـع عنـد تناولـه للحـديث التاسـع إلى نهايـة الجـزء الأول بالشـرح، والتفصيل؛ فيتمثل في:

النظر الأول: في بيان ما اشتمل عليه من المعاني الأدبية، وفيه بحثان:

البحث الأول: في بيان ما تضمنه من الألفاظ اللغوية.

البحث الثاني: في بيان ما اشتمل عليه من المعاني الإعرابية.

النظر الثاني: في بيان ما اشتمل عليـه من علـوم المعـاني والبيـان والبـديع، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: في بيان ما تضمنه من علوم المعاني.

المطلب الثاني: في بيان ما تضمنه من علوم البيان.

المطلب الثالث: في بيان ما تضمنه من علوم البديع.

النظر الثالث: في بيان مقاصده صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد جعل المصنف الأنظـار ثلاثـة بعـد أن كـانت خمسـة، وجمـع بين الألفـاظ اللغوية والمعاني الإعرابية في نظر واحد فرّعه إلى بحثين؛ الأول مختص بالألفاظ اللغوية، والثـاني مختص بالمعـاني الإعرابيـة، وذلـك بعـد أن كـان كلاهمـا مختصًـا بنظر، وجمع بين علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع في نظر واحـد فرّعـه إلى ثلاثـة مبـاحث؛ الأول مختص بعلم المعـاني، والثـاني مختص بعلم البيـان، والثـالث مختص بعلم البديع، وذلك بعد أن كان علم المعاني بحثًـا من نظـر، وبعـد أن كـان

[1])) نفسه، 1/ 205.

علم البيان مختصًا بنظر، وعلم البديع مختصًا بنظـر، وجعـل مقاصـد النـبي- صـلى الله عليه وآله وسلم- مختصًا بنظر بعد أن كان بحثًا من نظر.

يظهر من هذا أن المصنف وإن عـدل عن المنهج الـذي قـرره- في المقدمـة وطبقه على الأحاديث الثمانية الأولى- إلى منهج آخر لكنـه لم يسـقط من منهجـه الجديد أيّ علم من العلوم التي قرر عرض الأحاديث عليها في مقدمته، وإنما أعاد ترتيب تلك العلوم في الأنظار ليس إلا وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤلات هي: لمـاذا اختار المصنف منهجه الأول الذي قام بـالتنظير لـه في المقدمـة ؟ ولمـاذا عـدل عنه وأعاد ترتيب هذه العلوم في الأنظار؟ وما سمات المنهج الذي عدل إليه ؟

عندما اختار المصنف منهجه الأول، والذي نظّر له في المقدمة وطبقـه على الثمانية الأحاديث الأولى، كان ينظر إلى أن الشأن كلـه في مقاصـد النـبي- صـلى الله عليه وآله وسلم- ونظر إلى كـون الألفـاظ اللغويـة والمعـاني الإعرابيـة وعلم المعاني عبارة عن تمهيد وتوطئة للمقاصد النبويـة، ولـذا جعلهـا سـابقة للمقاصـد النبوية، ونظر إلى كون علم البيان وعلم البديع عبارة عن تتمـة وتكملـة للمقاصـد النبوية، ولذا جعلها تتلو المقاصد، وجعل علم المعاني ومقاصد النـبي- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- في نظـر واحـد لمسـوغ هـو أن الأسـرار المعنويـة المختصـة بالتقديم والتأخير والفصل والوصل، وغيرها من الأسرار خاضعة لأغراض ومقاصـد النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- حيث أن الانزياح التركيبي سرّه غرض ومقصـد لا ارتجـال- وهـذا كلـه أورده المصـنف في المقدمـة-، ولهـذا التقـارب بين علم المعاني والمقاصد النبوية في كون حصول سـرّ من أسـرار علم المعـاني لغـرض ومقصد نبوي فلا جرم جمعهما المصنف في نظر[1].

ثم عـدل المصـنف إلى منهجـه الجديـد في الـترتيب لمسـوغات يمكن أن

---

[1])) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 158.

تستشف من كلامه في المقدمة، فالألفاظ اللغوية والمعاني الإعرابية بينهمـا قـوة تدالي وقرب تداني فلا جرم جعلهما بحثين في نظر من باب الاختصار لاسيما أنـه لازال أمامه اثنان وثلاثون حديثًا تحتاج إلى شرح وتفصيل هذا من جهة، ومن جهـة أخرى فإن قوله- في معرض الحديث الثـامن عشـر عن الألفـاظ اللغويـة-: «ومـا أخللنا به من المباحث اللغوية، فلعله يوجد في المباحث الإعرابية؛ لأنهما يجمعهما جامع واحد، وهو إصلاح الألفاظ والمعاني من جهة اللغة»[1]، فبرز سبب آخر لهـذا الجمع بين البحثين في نظر واحد، وهذا السبب هو أن بعض الألفاظ اللغوية الـتي لم يشـرحها في بحثهـا سـترد في بحث المعـاني الإعرابيـة بمعـنى أن من مهـام المصنف في البحث الثاني تـدارك مـا لم يشـرحه في البحث الأول؛ لأنـه يـرى أن البحثين يجمعهما جامع واحد هو إصلاح الألفاظ والمعاني من جهة اللغة، وبالنسـبة لجمع علوم البلاغة الثلاثة في نظر واحد فلا يحتاج لتعليـل؛ لأن من المعلـوم لـدى علماء البلاغة علاقة هـذه العلـوم الوطيـدة ببعضـها البعض، فلا جـرم حين جمعهـا المصنف في نظر واحد، وما وضع مقاصـد النـبي- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- منفردة في نظر إلا فيها الشأن كله، وما العلوم السابقة لها إلا خدم لإظهـار تلـك المقاصد ليكون من ثم جعلها في نظر أخـير مناسـب لأن من المعلـوم أن تتقـدم الأدوات والآلات على مـا تنتجـه ومعنـاه أن علمي اللغـة والنحـو الصـرف وعلـوم البلاغة الثلاثة من معـانٍ وبيـان وبـديع عبـارة عن أدوات وآلات تنتج النص وتظهـر مقاصده.

وهنا تظهر عدة سمات لهذا المنهج، ففضـلاً عن الاختصـار، فإنـه منهج يقـوم على أسس علمية تكمن في جمع الألفـاظ اللغويـة والمعـاني الإعرابيـة في نظـر واحد لما بينهما من تقارب، لتكون المجموعة الثانية والمتمثلـة في النظـر الثـاني

---

[1] (?) نفسه، 1/ 511.

مخصصة لعلوم البلاغة الثلاثة التي طالما صنف فيها العلماء مجتمعة بعد أن فصلها العلماء عن باقي علوم العربية في مصنفات خاصة بها ليكون من ثم ذلك الفصل خطوة متميزة في طريق جعل علم البلاغة علمًا قائمًا بذاته، أما بالنسبة لثمرة هذه العلوم المتمثلة في مقاصد النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- فمن العلمية أن تكون هي خاتمة هذه الأنظار في نظر مخصص لها وحدها لأن المقاصد ليست نتيجة يتفرد بها أحد العلوم السابقة فتوضع مع أحدها في نظر واحد بل هي نتيجة وثمرة تلك العلوم مجتمعة، ولذا فلا جرم أن تكون المقاصد النبوية في نظر مخصص لها، وأن يكون ذلك النظر آخر نظر تناوله المصنف بالشرح والتفصيل.

أما سمات منهجه في كتابه عامة، فمنها التزامه بحصر كلامه فيما يخص العلم الذي يتحدث فيه، فلا يستطرد في الكلام، وإن ألجأته العبارة إلى الخروج فإنه يذكر طرفًا ثم يحيل القارئ على كتب أخرى، ومثال عليه، قوله في مسألة اسم الله ألقب أم لا ؟ فإنه يقول: «فيه تردد، والحقّ أنه اسم جنس في معنى اللقب، فبما فيه من الجنسية لا يجوز تغيره بالبدل إلى غيره، كلفظ الرجل والسواد، وبما فيه من اللقب لا يجوز فيه الاشتراك، كما لا يجوز في الألقاب كزيد وعمرو، وقد رمزنا إلى أسرار هذه المسألة في أسماء الله تعالى من كتاب (الشامل)[1] في المباحث الكلامية، ورددنا على الفلاسفة مقالتهم»[2].

وعندما جعل الإمام يحيى بن حمزة شرحه على أنظار ثم فرع الأنظار إلى أبحاث والأبحاث إلى مواقع ووجوه ... فإن من شأنه أن يبرز سمة أخرى، وهي

---

[1])) وهو الشامل لحقائق الأدلة العقلية وأصول المسائل الدينية، في (علم الكلام) أربعة مجلدات مخطوطة، نسخة بالمكتبة الغربية وأخرى بمكتبة مركز بدر. ينظر: أعلام المؤلفين، 1129.

[2])) الأنوار المضيئة، 1/ 291.

أنه لا يرسل في الكلام كيفما اتفق، ولا يدخل بعضها في بعض، فضلاً عن كونــه لا يكرر شرح ما سبق شرحه في الغالب.

ومن سمات منهجه عند الكشف عن إشـكالية مـا اسـتخدام أسـلوب يجـذب القارئ، وهذا الأسلوب هو صيغة: سـؤال، يحمـل في طياتـه الإشـكالية على هيئـة سـؤال، ثم يردفـه بقولـه: وجوابـه، أو الجـواب، وهـذا أسـلوب قصـده في بعض المسائل كي يستوفي حقها من الشرح، ومنه: «قوله عليه السلام: «ثم لا يحشــر إلا معه، ولا تبعث إلا معه» ... **سؤال**: أراه جعـل العمـل محشـورًا مـع الإنسـان، وجعل الإنسان مبعوثًا مع العمل، فخالف بينهما، فما السر في ذلك؟

وجوابه: هـو أن معنـى «**مع**» المصـاحبة، فـإذا حُشـر الإنسـان كـان عملـه مصاحبًا له مضافًا إليه؛ لأن المقصود هـو الجـزاء عليـه بخلاف مـا إذا حشر؛ فإنـه يكون مصاحباً لعمله؛ لأن البعث: إخراجه من قـبره، فالإنسـان يكـون مضـافًا إلى عمله لمـا كـان العمـل هـو المقصـود، فكأنـه يبعث في ظـل عملـه، كمـا ورد في الحديث:«المؤمن في ظل صدقته»[1] لما كانت هي المقصودة، فافترقا»[2].

وهنا يمكن القول لقد جمع الإمـام يحـيى بن حمـزة في كتابـه (الأنـوار المضيئة) بين جزالة الألفاظ ودقة التعبـير والتوضـيح والتبسـيط في عـرض مـادة الكتاب دون إسهاب واستطراد، وبين العقل والنقـل في شـرحه والإنشـاء والخـبر في أسلوبه، فضلاً عن الترتيبات والتفريعات في نقاط متسلسلة.

مصادره

إن ما يحويه كتاب (الأنوار المضيئة) من ثروة علمية من شأنه أن يظهر مدى

---

[1])) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبـد المجيـد السـلفي، مكتبـة الزهراء، ط2، عام 1983م، الموصل، العراق، 17/ـ 286 . بلفظ: «وإنمـا يسـتظل المـؤمن يوم القيامة في ظل صدقته».

[2])) الأنوار المضيئة، 1/ 185.

استفادة الإمام يحيى ابن حمزة الكبيرة من تراث الأمة العربية والإسلامية الكثـير والغزير في شـتى العلـوم، قـد نقـل الكثـير من مـواد العلـوم المختلفـة كـالقرآن الكـريم وعلومـه، والسـنّة النبويـة الشـريفة، والفقـه وأصـوله، واللغـة، والنحـو والصرف، والبلاغة، وأصول الدين والمنطق والسير والتاريخ، والقصـص، وغيرهـا، حيث أورد في شرحه كثيرًا من آيات الـذكر الحكيم، والأحـاديث النبويـة، والأبيـات الشـعرية الـتي تعضـد اسـتدلالاً مـا، وذكـر الكثـير من العـبر والمواعـظ والأمثـال والحكم، وساق في ثنايا شرحه عددًا من الروايات في السـير والتـاريخ والأحـداث والوقائع، ومسـائل لغويـة، وبلاغيـة، وكلاميـة، وفلسـفية، وذلـك بقصـد التقـييم أو المناقشة أو الاحتجاج أو النقد أو الموافقة أو المخالفة.

ولكن اعتاد كثير من العلماء السابقين ألا يذكروا اسم المصادر التي يستقون منها معلوماتهم، إلا القليل من تلـك الإشـارة، وهـذا مـا يظهـر في كتـاب (الأنـوار المضيئة) فعلى ثراء المادة الموجودة فيه إلا أن المصادر الواردة قليلة جدًا، حيث أنه قد أورد آراء لعلماء كسيبويه والأخفش والزجاج والزمخشـري وغـيرهم، وآراء مدارس كمدرسة الكوفـة والبصـرة، وأقـوال فـرق ومـذاهب كالزيديـة والمعتزلـة البغداديــة والبصــرية، والأشــعرية، فضــلاً عن ردوده على الملاحــدة والســبعية والفلاسفة، وهو مع ذلك كلـه لا يـذكر مصـادره إلا بعض الإشـارات العـابرة كـذكر كتاب (المنتخب في النـوب) الـذي اقتصـر فيـه على الإشـارة إلى أن مصـنفه ابن الجوزي قد أورد الوعظ على منوال الآي، وعلى سجعها فجاء في أحسن قالب[1]، وقد أشار في موضع آخر من كتابه إلى كتاب (المجازات النبوية)، ومشيرًا إلى أنه قد ورد فيه غرائب فنون المجازات النبوية، وذكر أن مصنفه علي بن ناصر[2]، مـع

---

1)) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 523.
2)) ينظر: نفسه، 1/ 178.

أن الكتاب (المجازات النبوية) قد طبع تحت تأليف الشريف الرضي، ولعل علي بن ناصر هو الناسخ للمخطوطة (المجازات النبوية) التي وصلت إلى يد صاحب (الأنوار المضيئة) لاسيما أن علي بن ناصر قد عاصر الشريف الرضي ولزمه، وكان أول من شرح كتاب (نهج البلاغة) الذي جمعه الشريف الرضي، والذي سماه (أعلام نهج البلاغة)[1]، وضعيف أن يكون في هذه النسبة تحريف من قِبل ناسخ (الأنوار المضيئة) لأن الأربع النسخ التي تمّ الاعتماد عليها في التحقيق اتفقت على ذلك، ومن جهة أخرى فإن الإمام يحيى بن حمزة قد نسب كتاب (المجازات النبوية) لعلي بن ناصر في كتابه (الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي)[2].

أما ما يخصّ طريقة تعامله مع مصادره، فإنه بين ثلاث طرق، **الأولى**: النقل دون الإشارة إلى صاحب القول وكتابه، وهي الغالبة حيث يزيد ويحذف في الكلام المنقول ما يراه مناسبًا، ومن أمثلة ذلك في نظر مقاصده صلى الله عليه وآله وسلم، حيث ضمن المقاصد من كلام أبي حامد الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) لاسيما ما يخص الزواجر الوعظية[3].

والثانية: النقل مع الإشارة إلى صاحب القول دون ذكر كتابه المنقول، ومنه قول المصنف: «ومصادر الفعل كثيرة واسعة، وقد ضبطها (الزمخشري) مفصلة باثنين وثلاثين بناءً، وزاد غير (سيبويه) ثلاثة أبنية»[4].

والثالثة: النقل مع الإشارة إلى صاحب القول وكتابه الذي ورد فيه القول،

---

1)) ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 725، 726.

2)) ينظر: الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي، 1/ 106.

3)) ينظر: إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، عام 1403هـ، بيروت، لبنان، 3/ 257- 258. والأنوار المضيئة، 1/ 495- 500. وينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 215- 217، والأنوار المضيئة، 1/ 582- 588.

4 (?)ينظر: المفصل في صنعة الإعراب، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، ط1، عام 1993م، بيروت، لبنان، 275، والأنوار المضيئة، 1/ 428.

ومنه قول المصنف: «وهل تصحّ التوبة من قـبيح دون قـبيح أو لا؟ فيـه خلاف بين العلماء، فمنهم من قال: إن القبيح شامل لكـل قـبيح، فلا يصـحّ النـدم على قـبيح دون قبيح مثله، والمختار عندنا جواز ذلك، وهو رأي الإمام (المنصور باللـه)- عليـه السلام- فإنه قال هاهنا في شرحه لهذا الحديث: وعنـدنا بـل هـو إجمـاع الأمـة أن كل من تاب من دِين النصرانية إلى دِين الجبرية أن توبته صحيحة، وأنـه قـد خـرج عن حكم النصارى إلى حكم المسلمين، وإن كان مصرًا على ذنب عظيم، بـل من أئمتنا من جعله كفرًا»[1]، وهنا أسند الرأي لصاحبه الإمام المنصور بالله عبـد اللـه بن حمـزة، مـع العلم أن المنصـور باللــه لم يشــرح هــذا الحــديث من الأربعين السيلقية إلا في كتابه (حديقة الحكمة)، ولذا عندما قال الإمام يحيى بن حمزة إن المنصور بالله ذكر رأيه في شرح هذا الحديث ظهر أنـه يقصـد في كتابـه (حديقـة الحكمة).

وقد جعل المصنف لكتبـه مكانـًا في كتـاب (الأنـوار المضـيئة)، وذلـك عنـدما يتطرق لطرف من المسائل غير البلاغية فقد كـان يحيـل القـارئ على بعض كتبـه ليسـتوفي القـارئ أطـراف الموضـوع، ولكي لا يخـرج عن غايـة شـرحه البلاغيـة للأحاديث السيلقية، وكتبه التي ذكرها هي:

1- الشامل، ولم يرد بقية اسمه، وهو الشامل لحقائق الأدلة العقلية، وأصول المسائل الدينية، في (علم الكلام).

2- التحقيق في الإكفار والتفسيق[2]، في (علم الكلام).

3- الأزهار في علم الإعـراب، واسـمه كـاملاً الأزهـار الصـافية شـرح مقدمـة الكافية، وورد باسم الأنهار الصافية في شـرح المقدمـة الكافيـة، وقُـدم أطروحـة

---

[1])) حديقة الحكمة النبوية، 28، والأنوار المضيئة، 1/ 194.
[2])) وقد ورد باسم التحقيق في التكفير والتفسيق. ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 1126.

دكتوراة بالاسم الأخير كما مرّ في المبحث الثـاني مؤلفاتـه من الفصـل الأول من الدراسة.

4- الحاصر في علم الإعراب، واسمه الحاصر في شرح مقدمة طـاهر، وورد باسم الحاصر لفوائد مقدمة طاهر، وهو في النحو، وقدم رسالة ماجستير بالاسـم الأخير كما مرّ في المبحث الثاني مؤلفاته من الفصل الأول من الدراسة.

5- المشكاة، واسمه مشكاة الأنـوار الهادمـة لقواعـد الباطنيـة الأشـرار، في (علم الكلام) .

6- الإفحام، واسمه الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام، في (علم الكلام).

7- شرح المفصل، واسمه المحصل في كشف أسرار المفصل.

لم يحل المصنف على كتاب بلاغي لأن كتابـه (الأنـوار المضـيئة) في علـوم البلاغة، ولـذا كـان يسـتوفي القضـايا البلاغيـة فيـه، ويحيـل القـارئ في المسـائل الكلامية والنحوية على كتبه المتخصصة في ذلك.

وأخيرًا لقد وضع الإمام يحيى بن حمـزة في كتابـه (الأنـوار المضـيئة) منهجًـا علميًا حيث أورد في المقدمـة بـواعث الشـرح البلاغيـة، وأهميـة الأحـاديث الـتي شـرحها، وذكـر شـرح الأحـاديث السـيلقية السـابق لشـرحه مـوردًا سـمات تلـك الدراسة وجـوانب القصـور فيهـا، وقـد ذكـر مجانبتـه لتلـك الدراسـة السـابقة في شرحه من خلال إيراد منهجه المتبع في الشرح والقـائم على الأنظـار الـتي رتبهـا على أسس علمية.

وقد سعى المصـنف إلى تطـبيق ذلـك عنـد شـرحه بشـكل تـام إلا في بعض مواطن شرحه التي تم تعليلها ومناقشتها، ولتأثره بعلم المنطق فقـد أورد الكثـير من التعليلات التي كان يطرحها على هيئة سؤال يحمل في طياته إشـكالاً ثم يـرد

عليـه مـع إقامـة الحجج العقليـة، وقـد جعـل مواضـيعه على ترتيبـات وتفريعـات متسلسلة كي لا يخلط بين المسائل، ولا يسـتطرد في الشـرح الـذي يخرجـه عن موضـوعه، وإن حصـل وخـرج فإنـه لا يسـتطرد بـل يحيـل القـارئ على كتبـه المتخصصة فيما أحال، ومن شأن هذه الإحالات فضلاً عمّا سـبق ألا يـترك القـارئ تائهًا في تلك المسائل بل يقدم له المرجع في تلـك المسـائل ليسـتوفي التحقيـق فيها.

وعند إيراده الأقوال والآراء فإنه لم يكن مجرد ناقل بل يفاضل ويتلمس وجه الصحة لكل رأي، ويختار مـا يـراه مناسـبًا دون الأخـذ بعين الاعتبـار من يوافـق أو يخالف ما يـراه صـحيحًا مـدعمًا الآراء بالأدلـة والشـواهد مـع تجنب التكـرار، وقـد اعتمد على كتب لم تصل إلينـا ككتابـه (الشـامل لحقـائق الأدلـة العقليـة وأصـول المسائل الدينية)، وكتابه (التحقيق في الإكفار والتفسيق).

المبحث الثالث

موازنة بين كتاب (حديقة الحكمة) وكتاب (الأنوار المضيئة)

إن من شـأن الموازنـة بين كتـابين لمـؤلفين ألا تجعـل التفضـيل والانتصـار لأحدهما على الآخر، هي الغاية المبتغاة؛ لأنّ عقد الموازنة بهذه الطريقة سـيجعل من أخص خصائصها تتبع الكبـوات ليس إلا، فتكـون بـذلك موازنـة تفتقـر إلى روح الرؤية العلمية الناقدة، ولذا لزم عقـد الموازنـة على أسـس تقـوم على اسـتنباط أوجه الاختلاف والتوازي، مـع إبـراز حـالات التفـرد لـدى كـل طـرف، ومـدى تـأثر اللاحق بالسابق، وإفادته منه، ويجب قبل هذا كله وجود علاقة قائمة بين الكتـابين كمسوغ علمي لعقد هذه الموازنة.

إن العلاقة القائمة- بين كتـاب (حديقـة الحكمـة النبويـة في تفسـير الأربعين السيلقية) للإمام عبد الله بن حمـزة، وكتـاب (الأنـوار المضـيئة في شـرح الأخبـار النبوية) للإمام يحيى بن حمزة- تتمثل في كونهما تناولا (الأربعين حديثًا السـيلقية) بالشرح والتفصيل، وكتاب (حديقة الحكمـة) هـو الدراسـة الوحيـدة السـابقة- في شرح الأربعين السيلقية- للكتاب الذي بصدد الدراسة والتحقيق.

وابتداءً بالسابق- أيْ (حديقة الحكمة)- ومن مقدمته؛ فقـد ورد فيهـا أنَّ علـة شرح الأربعين السيلقية، وذلك بقـول المصـنف: «فقـد سـألني بعض من تلزمـني عهدة إجابته، ويتعين عليّ فرض مساعدته من أفاضل الإخوان المرشدين الهادين بحمد اللـه المهتـدين أنْ أشـرح للمسترشـدين معـاني الأحـاديث الأربعين النبويـة السـيلقية بإيضـاح ألفاظهـا اللغويـة، وإفصـاح فوائـدها المعنويـة لتنفتح أكمامهـا، وتتضح أحكامها، وتنتشر أعلامها فأجبته...»[1].

---

[1] (?) حديقة الحكمة، 8 .

إذن سبب الشـرح طلب بعض السـائلين المسترشـدين؛- وهـذا أسـلوب من أساليب بيان سبب التأليف لدى القدماء- ليكـون من ثم إيضـاح الألفـاظ اللغويـة، والفوائد المعنوية هي السبل التي تكشف المقاصـد النبويـة في الأحـاديث، وبهـذا تكون الغاية توضيح الأحكام الشرعية، والزواجر الوعظية.

وثمـة إشـارة في مقدمـة الكتـاب تـوحي بميـل المصـنف الواضـح إلى علم الحديث و رجاله، فمن ركائز منهجه الـذي نظّـر لـه في مقدمتـه ذكـر طـرف من نسب راوي الحديث من الصحابة- رضـي اللـه عنهم-، والإشـارة إلى بعض أحـوال الراوي، لاسيما أن له في هذا العلم النصيب الأوفر[1]، ولكن إذا كان مدار اهتمامه علم الحـديث ورجالـه حيث لـه النصـيب الأوفى فيـه، فلمـاذا اقتصـر في سـند الأحاديث المشروحة على ذكر الراوي من الصحابة- رضـي اللـه عنهم- دون إيـراد السند كاملاً ؟

إنَّ مصنف (حديقة الحكمة) قد خصَّ شرحه الأحاديث بالاختصـار، وجعـل من سبل الاختصار الاكتفاء في سند الأحاديث على ترجمـة السـامع من النـبي- صـلى الله عليه وآله وسلم- ولكي لا يتوهم القارئ أن المصنف أغفل جانبًا بـالغ الأهميـة فيما يخص علم الحديث وهو سند الحديث فقد نبه المصنف القارئ أن سـند هـذه الأحاديث قد ضمنها في كتب له[2].

بعد عرض ما ورد في مقدمة (حديقة الحكمة) يمكن القول: إنَّ المصنف قـد نظّر في المقدمة تنظيرًا يظهر السمات البارزة في شرحه للأحاديث، وهي:

1- شرح ألفاظ الأحاديث اللغوية، وتوضيح معانيها.

2- القصد من ذلك الشرح استنباط المقاصد النبوية.

---

[1])) ينظر: طبقات الزيدية الكبرى، 3/ 597- 606.

[2])) ينظر: حديقة الحكمة، 8.

3- الميل إلى الاختصار في الشرح.

4- تناول رواة الأحاديث.

وهـذه السـمات من شـأنها إبـراز أهم النـواحي المتناولـة في الشـرح، وهي المقاصد النبويـة، فضـلاً عن النـواحي المتعلقـة بعلم الحـديث، ومـا يؤكـد السـمة الأولى والرابعة ما ورد من تعليق في مقدمة كتاب (الأنـوار المضـيئة)، وذلـك في معرض الحديث عن (حديقة الحكمة) حيث قال الإمام يحيى بن حمـزة: «نعم قـد كان من الإمام المنصـور باللـه أمـير المؤمـنين- رضـي اللـه عنـه وأرضـاه- شـرح سماه: (حديقة الحكمة)، ولقد أتى فيه بالعجب العجاب، ولباب الألباب في الإناخة عن مقاصدها، والكشف عن أسـرارها، لكنـه لم يكشـفها هـذا الكشـف بالاسـتيلاء على هذه العلوم الخمسة التي ذكرناها، واكتفى بشرح مقاصده صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم من غـير زيـادة، وأهمـل رعايـة الضـبط والحصـر بـالعقود اللائقـة، والترتيبات الفائقة، وشرحه هذا دال على أن له في علم الأدب اليد البيضاء، وفي علم التواريخ النصيب الأوفى»[1].

لقد أشـار مصـنف (الأنـوار المضـيئة) في مقدمـة كتابـه إلى الجـوانب الـتي تناولها الإمام عبد الله بن حمزة عندما شرح الأحاديث الأربعين السيلقية في كتابه (حديقة الحكمـة)، وحـددها بـأن مصـنف (حديقـة الحكمـة) اكتفى بشـرح مقاصـد النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- أيْ أنه اقتصر على شرح الأحكـام الـواردة في أحاديث النبي- صلى الله عليه وآله وسـلم- مـع توظيفـه تبحـره وتعمقـه في علم الحديث ورجاله- متمثلاً فيما أسماه مصنف (الأنـوار المضـيئة) بعلم التـواريخ- في تناوله ما يخص رواة الأحاديث.

لكن لماذا أورد الإمام يحـيى بن حمـزة في مقدمـة كتابـه (الأنـوار المضـيئة)

---

[1])) الأنوار المضيئة،1/ 160.

الجوانب التي شرحها الإمام عبد الله بن حمزة في كتابه (حديقة الحكمة) ؟

لقد بيّن مصنف (الأنوار المضيئة) في مقدمته اختصاص كتاب (حديقة الحكمة) بشرح مقاصد النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- مع تناول رواة الأحاديث، لكي يبرز الجوانب التي تناولها شرحه للأحاديث، والتي يمكن وصفها بأنّها مغايرة للجوانب التي شرحها مصنف (حديقة الحكمة)، حيث سعى الإمام يحيى بن حمزة عند شرحه الأربعين السيلقية في كتابه (الأنوار المضيئة) إلى شرحها من جوانب أخرى، فابتدأ بالمقدمة التي صبغ الحمدلة والصلاة على رسول الله وآله بصبغة بلاغية حيث وصف الله تعالى بأنه ألهم الإنسان سحر البيان، وجعل له سبيلاً إلى الإحاطة بعلوم البلاغة، وذريعة إلى معرفة إعجاز القرآن حتى صار علم البلاغة حاكمًا على العلوم الدينية، وقد صلى على النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- ونعته بأنه المبعوث بالبلاغة الرائقة، والمخصوص بالفصاحة الفائقة، والمعلن لعجائب الآداب البالغة التي فاقت فصاحة الفصحاء[1].

إن الحمدلة والصلاة على النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- في مقدمة كتاب (الأنوار المضيئة) قد لوحتا إلى توجه مصنفها البلاغي، ليعقب هذا التلويح تمهيد وهو أنه لما انتهى من شرح كتاب (نهج البلاغة) للإمام علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- وقف على (الأربعين حديثًا السيلقية) حيث إن كلام النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- هو في الرتبة الثانية بعد كلام الله تعالى في فصاحة الألفاظ، بلاغة المعاني، إذ هو محط البلاغة ومنشؤها، ومورد الفصاحة ومصدرها[2]، وفي تمهيده الذي ذكر فيه مصنفه البلاغي (الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصي) إشارة واضحة إلى توجهه البلاغي فيما هو بإزاء

---

[1])) ينظر: نفسه، 1/ 154.

[2])) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 154، 155.

شرحه معللاً ذلك بكون النبي- صلى الله عليه وآلـه وسـلم- هـو المحـط والمـورد لها.

وبعـد ذِكـره مكانـة كلام النـبي- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- في البلاغـة والفصاحة ذكر باعثي شرحه (الأربعين حديثًا السيلقية) بقوله: «فلا جرم كـان لنـا إلى شرحها باعثان:

الباعث الأول: الإبانة عمّا اشتملت عليه من اللطـائف من بـديع الأسـرار وغريب المعاني، وما تضمنته من المجازات العالية، والاسـتعارات البديعـة الـتي لا ينطق بها لسان، ولا يطلع على مخّها إنسان.

الباعث الثاني: الإظهار لما خصّه الله تعالى من فصاحة المنطـق، وإحـراز قصب السبق والتمييز، والبلاغة على كافـة الخلـق، ومصـداق هـذه المقالـة قولـه صلى الله عليه وآله وسلم: «أوتيت جوامـع الكلم»[1]، وأراد بهـذا أن الحكمـة من الكلام الصادرة من جهته تشـتمل على معـانٍ جمّـة وفوائـد متكـاثرة؛ ولهـذا فـإنّ العلمـاء من أهـل الاجتهـاد لا يزالـون يسـتنبطون من كلامـه الأحكـام الشـرعية، ويستنيرون الفوائد الدينية غضـّة طريّـة في الأعصـر الخالية، والآمـاد الممادية إلى آخر الدهر، وقوله عليه السلام: «أنا أفصح من نطق بالضّاد»[2] يشـير بـذلك إلى أنـه أفصح من تكلم باللغة العربية؛ لأنّ الضّاد مخصوصة بالكلام العربي دون سائر اللغات: كالسريانية، والعبرانية، والتركية، وغيرها من سائر اللغات، ولم يدع الإعجاز في كلامه اكتفاء بإعجاز القرآن على صدق نبوته، ولو قال: القـرآن كلامـه لصـدقناه، وقـد روى العلماء في معجزاته أنها ثلاثـة آلاف معجـزة أبهرهـا القـرآن؛ لأنـه لا يـزال على وجـه

[1] (?)صحيح البخـاري،6/ـ 2573. بلفـظ: «بعثت بجوامع الكلم». صـحيح مسـلم، مسـلم بن الحجاج القشـيري النيسـابوري، تحقيق محمد فـؤاد عبد البـاقي، دار إحيـاء الـتراث العـربي، (ت)، بيروت، لبنان، 1/ 372.

[2] (?) الحديث معناه صحيح ولا أصل له. ينظر: كشف الخفـاء، إسـماعيل بن محمـد العجلـوني الجراحي، تحقيق أحمد القلاش، مؤسسه الرسـالة، ط4، عـام 1405هــ، بـيروت، لبنـان، 1/ 232.

الدهر لا تنقضي عجائبه، ولا تفنى غرائبه»[1].

وهنا يمكن القول: إذا كان مصنف (حديقة الحكمة) قد بيّن أنّ المقصود من شرحه إظهار مقاصد النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- من خلال توضيح الألفاظ اللغوية ومعانيها، فإن مصنف (الأنوار المضيئة) قد جعل المراد من شرحه إظهار ما خصّ الله تعالى نبيه محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- من فصاحة المنطق والبلاغة من خلال الإبانة عمّا اشتملت الأحاديث من بديع الأسرار وغريب المعاني والمجازات العالية والاستعارات البديعة، وإذا كان مصنف (حديقة الحكمة) جعل للرواة نصيبًا من شرحه، فإن مصنف (الأنوار المضيئة) قد قال في مقدمته- فيما يخص هذا الشأن- : «فأما أنساب الرواة وذكر أحوالهم وطرائقهم فقد أعرضنا عن ذكره لأنه بمعزل عن حديث رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، وهو بعلم التاريخ أليق فلا يمزج أحدهما بالآخر»[2]، وما إعراضه عن ذلك إلا لعدم خلط أكثر من علم في مصنف واحد لكي يجعل كل علم قائمًا بذاته، وهذه نظرة ناقدة في هذا الشأن.

وقد وضع مصنف (الأنوار المضيئة) له منهجًا في شرحه نظّر له في المقدمة، فذكر أنه تناول كل حديث على خمسة أنظار، وهي:

النظر الأول: يذكر فيه ما يختص الألفاظ اللغوية وتوضيح معانيها.

النظر الثاني: يورد فيه ما اشتمل عليه من المعاني الإعرابية.

النظر الثالث: يشير فيه إلى ما اشتمل عليه من العلوم المعنوية المختصة بعلم المعاني.

النظر الرابع: في الإشارة إلى ما تضمنه من العلوم البيانية.

---

1 (?) الأنوار المضيئة، 1/ 155، 156.

2)) الأنوار المضيئة، 1/ 160.

النظر الخامس: يورد فيه ما اشتمل عليه من علوم البديع[1].

وهنا يمكن التساؤل: ما مدى التزام كليهما في شرحه لما نظّر له في مقدمته ؟ وما مدى تأثر أو إفادة اللاحق بالسابق سواء في المادة العلميـة أم في طريقة الشرح ؟

لقد سعى كلاهما لتطبيق ما التزم به في المقدمة، فابتدأا مع كل حديث بإيراد نصّ الحديث بتمامه وكماله مع استئثار مصنف (حديقة الحكمة) إيراد نسب وبعض أحوال راوي الحديث من الصحابة- رضي الله عنهم- قبل إيراد الحديث، مطبقًا بذلك لتنظيره في المقدمة من جهة اقتصاره على راوي الحديث من الصحابة- رضي الله عنهم- حيث قصد منه الاختصار، ومن أجل الاختصار لم يكرر ترجمة من سبق الترجمة له، وما كرره كان على سبيل التتمة لا التكرار، ولكنه لدى بعض الرواة كان يكتفي بذكر نسبه دون ذكر بعض أحواله والعكس[2].

وبعد أن يفرغا من إيراد نصّ كل حديث، وقبل شرحها يستأثر مصنف (الأنوار المضيئة) بتصدير في طياته التحميد والتمجيد والصلاة على النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-، ولم يشر المصنف إليه في مقدمته[3].

وعند الشرح سلك مصنف (حديقة الحكمة) طريقة تقسيم الحديث إلى جمل ومقاطع ثم يشرح كلاً منها على حِدة مبتدئًا بالألفاظ اللغوية ثم مقاصد النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-، وفي بعض الجمل والمقاطع يذكر ألفاظها مفردة ويوضح معانيها اللغوية؛ فيوضح معنى الكلمات، وموازينها، وجمع المفرد، والإشارة إلى دلالات غريبها مستعينًا بالشواهد، ثم يورد الجملة ليشرح مقاصد النبي- صلى الله

---

1)) ينظر: نفسه، 1/ 156- 159.

2)) وتجنبًا للتكرار يمكن مراجعة نماذج تطبيقية لذلك في المبحث الأول: الدراسات السابقة (حديقة الحكمة)، من هذا الفصل.

3)) ينظر: تعليلات ورود تلك التصديرات ونماذج منها في المبحث الثاني: منهجه، من هذا الفصل.

عليه وآله وسلم- منها، مؤيدًا ما ذهب إليه بدليل من القرآن الكريم أو السنة النبويـة أو أشعار العرب وأمثالهـا وحكمهـا فضـلاً عن بعض القصـص، ويشـير إلى مـا سـبق توضيحه ولا يعيد شرحه دون تحديد مكان السابق شرحه[1].

وخلافـه في كتـاب (الأنـوار المضـيئة) فقـد شـرح كـل حـديث على خمسـة مستويات، الأول: بيـان مـا يشـتمل عليـه من الألفـاظ اللغويـة ومعانيهـا، دون أن يخلط بيان الألفاظ اللغوية نظرًا آخر، ومستأنسًا عند بيان الألفـاظ اللغويـة بـدليل يؤيد مـا بينـه، وبعـد ذلـك ينتقـل للثـاني: في بيـان مـا اشـتمل عليـه من المعـاني الإعرابية- الدلالة التركيبية- فيعربه إعرابًا وافيًا مدعمًا إعرابـه بالآيـات القرآنيـة أو الحديث النبـوي أو الشـعر ذاكـرًا مـا يتعـدد من أوجـه إعرابيـة، وعنـدما يسـتوفي المعاني الإعرابية يتحول إلى الثالث: في بيان المقاصد المعنويـة- دلالـة السـياق- ثم ينتقل إلى الرابع: وهو بيان ما اشـتمل عليـه من العلـوم البيانيـة؛ ليختم شـرح الحديث بالخامس: في بيان ما اشتمل عليه من البديع[2]، ويظهر من هـذا التزامـه بالمنهج الذي أورده في مقدمته.

ممّا يتراءى في شرح الكتابين أنهما أوردا شرح الألفاظ اللغوية للأحاديث، وهذا لا يعد ممّا تأثر به اللاحق في (الأنـوار المضـيئة) بالسـابق في (حديقـة الحكمـة) لأنّ الظاهر عند تناول النصوص لدى المصنفين البدء بدلالات الألفـاظ المعجميـة بمعـنى أنهم يتناولون اللفظـة قبـل انزياحهـا في النص عن مفهومهـا في أصـل الاسـتخدام، فيسعون إلى إظهار دلالة اللفظة في أصل الاستخدام ليبرز مدى انزياح تلك اللفظة في سياق النص سواء في نمط الإزاحة الدلالية أم نمـط الإزاحـة النحويـة التركيبيـة، فضلاً عمّا حملته من مدلولات جديدة بفضل ذلك الانزياح[3]، هذا من جهة، ومن جهـة

---

1)) ينظر: المبحث الأول: الدراسات السابقة (حديقة الحكمة)، من هذا الفصل.
2)) ينظر: تفصيله في المبحث الثاني: منهجه، من هذا الفصل.
3)) ينظر: شعرية الخطاب في التراث النقدي والبلاغي، د. عبد الواسع أحمد الحمـيري، مجـد

أخرى فإن مصنف (الأنوار المضيئة) قد أورد أن تناوله للأحاديث النبوية هو تناول بلاغي يتحقق بشرح وعرض الأحاديث على خمسة علوم، «وهذه الخمسة العلوم بعضها أخص من بعض؛ فعلم الإعراب أخص من علم اللغة من جهة أن الإعراب مختص بالتركيب وعلم اللغة مختص بالمفردات، والمفرد قبل المركب وسابق عليه، وعلم المعاني أخص من علم الإعراب، وعلم البيان أخص من علم المعاني، وعلم البديع أخص من علم البيان»[1]، وبهذا التسلسل جعل شرحه للأحاديث لغويًا ليس تأثرًا، وإنما نتيجة تفرضها طبيعية هذه الدراسة التي تقوم على هذه العلوم مجتمعة، فرؤية مصنف (الأنوار المضيئة) أن البدء بعلم اللغة والإعراب عند الشرح هو تمهيد لشرح علوم البلاغة.

وثمة تشابه آخر يتمثل في شرحهما لمقاصد النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- في الأحاديث النبوية، وهذا التشابه ينطوي على اختلاف جوهري يتجسد في كون الغاية من تصنيف كتاب (حديقة الحكمة) الكشف عن المقاصد النبوية كما سلف، وليس شرح مقاصد النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- هو الغاية من تصنيف كتاب (الأنوار المضيئة)، وهذا القول يمكن الاعتراض عليه بطرح هذه الإشكالية، وهي: وإن لم تكن الغاية شرح مقاصد النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- في كتاب (الأنوار المضيئة)، فإن تأثره بكتاب (حديقة الحكمة) دفعه ليعقد بحثًا في شرح المقاصد النبوية. والرد: إنَّ من أخص خصائص البلاغة البيان، أيْ الكاشف قناع المعنى حتى يفضي السامع إلى حقيقته[2]، ولذا لا تدرس لذاتها، فالغاية من دراستها هو إظهار مدى استيعاب النص لتلك العلوم مع فاعلية ذلك الاستيعاب ودوره في إخراج مقاصد

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، عام 2005م، بيروت، لبنان، 98-109.

[1])) الأنوار المضيئة، 1/ 159.

[2])) ينظر: البيان والتبيين، 1/ 76.

النص على هيئة مميزة وبفصاحة وبلاغة فائقة، ولـذا عقـد مصـنف (الأنـوار المضـيئة) بحثًا يختص بمقاصد النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-، ولو لم يعقد ذلك البحث لصار شرحه البلاغي للأحاديث غير متوج بالمعاني التي أنتجته علوم البلاغة في النصّ.

وفضلاً عن ذلك فإن مصـنف (الأنـوار المضـيئة) قـد شـرح المقاصـد النبويـة الواردة في الأحـاديث بترتيبـات فائقـة لم تـرد في كتـاب (حديقـة الحكمـة) حيث جعلها في قوالب مرتبة، ومقسمة على مطالب ومقامـات وأنـواع ومـراتب وغـير ذلك من التسميات...، ومنه- في معرض بيان مقاصد النبي- صلى الله عليـه وآلـه وسلم- في الحديث السابع: «اعلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أشـار ...إلى الخصال المحمودة ...، ونحن نشير إلى ما ذكره، ونجعلها مراتب خمسًا:

المرتبة الأولى: في الإسلام

فقد قال عليه السلام: «لا يُكتب في المسلمين حتى يسـلم النـاس من يـده ولسانه»

أما اللسان، ففيه آفات:

الآفة الأولى: الغيبة، وهي

الآفة الثانية: النميمة، وهي

الآفة الثالثة: النطق بكلمة الكفر، وهو ...

الآفة الرابعة: السعاية إلى السلاطين الجورة، ...

الآفة الخامسة: الإغراء بين المسلمين، ...

الآفة السادسة: انتقاص المسلمين في أعراضهم بالقذف ...

الآفة السابعة: التهدد والوعيد من غير حق، فما هذا حاله يكون حرامًا، ...

الآفة الثامنة: الاستحقار والاستخفاف والصغار بحقّ المسلمين، ...

وأما اليد: فيتعلق بها آفات:

الآفة الأولى: القتل، فإنه أكبر الجرائم، وهو من أكبر الفسوق.

الآفة الثانية: السرقة، فإنها كبيرة من الكبائر الفسقية.

الآفة الثالثة: أخذ مال المسلم من غير حقّ، فهذا أيضًا أعظم عند الله تعالى، وهو محرم.

الآفة الرابعة: الجرح والضرب وسائر الأذايا بالفعل، فإنها محرمة عند الله تعالى، ...

المرتبة الثانية: الإيمان

المرتبة الثالثة: في التقوى

المرتبة الرابعة: الصدق:

اعلم أن الصدق إنما يرد في الأخبار، وهو الأشهر الأكثر:

المقام الأول: في بيان فضيلته

المقام الثاني: في بيان مواقع الصدق

الموقع الأول: الصدق باللسان

الموقع الثاني: الصدق في النية والإرادة.

الموقع الثالث: صدق العزم، ...

الموقع الرابع: الصدق في الوفاء بما عزم عليه ...

الموقع الخامس: الصدق في الأعمال، ...

الموقع السادس: الصدق في المقامات الدينية.

المرتبة الخامسة: في الإخلاص: فهذان مقامان:

المقام الأول: في بيان فضيلة الإخلاص

المقام الثاني: في بيان درجات الإخلاص

وجملة ما نشير إليه من ذلك درجات أربع:

الدرجة الأولى: الرياء الظاهر.

الدرجة الثانية: أن يكون السالك لطريق الإخلاص قد فهم هذه الآفة.

الدرجة الثالثة: وهي أدق مما قبلها.

الدرجة الرابعة: وهي أدق وأخفى.[1].

وأخيرًا يمكن القول: إن الغاية من تصيف كتاب (حديقة الحكمة) هي الكشف عن مقاصد النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- في الأربعين حديثًا السيلقية، وكان السبيل إلى ذلك هو إيضاح ألفاظ الأحاديث اللغوية وفوائدها المعنوية، مع اهتمام المصنف بإيراد نسب الرواة من الصحابة- رضي الله عنهم- وذكر بعض أحوالهم، وفي المقابل الغاية من تصنيف كتاب (الأنوار المضيئة) إظهار ما خص الله نبيه محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- من فصاحة المنطق والبلاغة على كافة الخلق خلال الإبانة عمّا تضمنته الأربعون حديثًا السيلقية من المجازات العالية والاستعارات البديعة، وغريب المعاني، وذلك على خمسة مستويات :

الأول: خاص بدراسة الدلالة المعجمية.

الثاني: درس فيه الدلالة التركيببية.

الثالث: درس فيه دلالة السياق.

الرابع: درس فيه الصور البيانية.

الخامس: درس فيه المحسنات البديعية.

وبهذا يكون من أخص سمات كتاب (الأنوار المضيئة) أنه كتاب بلاغي فيه أسلوب متميز في الشرح، ويكمن التميز في شرح الأحاديث على خمسة

---

[1])) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 260- 270.

مسـتويات بشـكل منتظم في أنظـار، ثم مبـاحث، ومواقـع، ومقامـات، ودرجـات، وتنبيهات، فضلاً عن التنظير العلمي لعلل ترتيب الأنظار بذلك الشكل، **وهذا** قلما وُجد لدى المصنفين القدماء.

الفصل الثالث

جهوده البلاغية في (الأنوار المضيئة)

مـدخـــل

إن الإمـام يحـيى بن حمـزة في كتابـه (الأنـوار المضـيئة) قـد ظهـر بمظهـر المحلل المتذوق؛ حيث وجه جلّ اهتمامـه إلى إظهـار مـا تنطـوي عليـه الأحـاديث النبوية من جماليات بلاغيـة، وقلّمـا كـان منظـرًا لعلـوم البلاغـة في هـذا الكتـاب، والسرّ في ذلك أنه قد قام بوضع الحـدود والتعريفـات والتفريعـات لعلـوم البلاغـة في كتابه (الطراز لإسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)، وفي مختصره المسمى بــ (الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في معرفـة حقـائق الإعجـاز)، فـأغنى كتابيـه عن التنظير من جديد لتلك العلوم في كتابه (الأنوار المضيئة) هذا من جهة، ومن جهـة أخرى فإن الإمام يحيى بن حمزة قد نبّه في مقدمة كتابه (الأنـوار المضـيئة) على أن الغاية من شرح الأحاديث هي إظهار ما خصّ الله نبيه محمد- صلى اللـه عليـه وآله وسلم- من فصاحة المنطق والبلاغة من خلال الإبانة عمّـا تضـمنته الأحـاديث النبوية من الأسـرار البلاغية[1]، وهـذا يتحقـق بـالنظر في النـواحي الجماليـة الـتي وردت في الأحاديث النبوية، وذلـك بتحليلهـا وتـذوقها لا التنظـير لهـا، ولعـل كتابـه (الأنوار المضيئة) يُعد مكملاً لمشروع كبير كان قد بدأه في الفن الثالث من كتابـه (الطراز) حيث كان الفن الثالث مختصًا بأسرار القرآن الكـريم في أنـه قـد وصـل الغاية التي لا غاية فوقها في البلاغة والفصاحة مع ذكر كونه معجزًا للخلق ووجوه إعجازه[2]، ففي نظر المصنف أن أبلغ وأفصح كتاب هو كتـاب اللـه تعـالى القـرآن الكريم، وفي المرتبة الثانية السـنة النبويـة الشـريفة، وثمـة مكانـة عظيمـة لكلام

---

[1])) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 155.

[2])) ينظر: الطراز، 3/ 213.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عند المصنف، حيث شرح كتاب نهج البلاغة، فكأن مشروع المصنف الكبير هو شرح الكل من الناحية البلاغية.

المبحث الأول

جهوده في علم المعاني

عندما شـرح المصـنف مـا تنطـوي عليـه الأحـاديث النبوية من مبـاحث علم المعاني قلما أورد تعريفات لتلـك المبـاحث، ويمكن حصـرها ليظهـر مـدى قلتهـا، وليظهر من ثم تعويله على التحليل، ففي معرض شرح ما تضمنه الحـديث الثـاني من مبـاحث علم المعـاني، أورد حـدّ التأكيـد والوصـل والفصـل، ووجـوه الحصـر، فقال: «التنبيه الأول: التأكيد: وهو معنى في الكلام يُذكر لإزالـة الاحتمـال، وقطـع الشكوك ...، التنبيه الثاني: الفصل والوصل: فالوصل: ما كان بــ «الواو» في أول الجمل المؤكدة...، والفصل: إتيان الجمل من غير (واو)... التنبيه الرابـع: الحصـر: وهو التردد بين النفي والإثبات...، والحصر يكون على وجهين:

أحدهما: أن يكون حصرًا للصفة على الموصوف، كقولك: ما كاتب إلا زيد.

وثانيهمـا: أن يكـون حصـرًا للموصـوف على الصـفة، كقولـك: مـا زيـد إلا كـاتب»[1]، وقـد كـرر حـدّ الفصـل والوصـل في شـرح الحـديث الثـالث، بقولـه: «فالوصل ما كانت الجمل فيه حاصلة بــ «الواو» العاطفة...»[2]، كمـا أورد طـرق الحصر في معرض شرح الحديث العشرين، بقوله: «وللحصر طرق أربع:

الأولى: منها النفي والإثبات، كقولك: ما زيد إلا قائم، وما قائم إلا زيد.

الثانية: الحصر بـ «إنما»، كقولك: إنما الله إلـه واحـد؛ لأنهـا في معـنى النفي والإثبات، كما مرّ بيانه.

الثالثـة: العطـف، كقولـك: مـا زيـد قـائم، بـل كـاتب؛ لأنـه في معـنى النفي والإثبات أيضًا.

---

[1])) الأنوار المضيئة، 1/ 186، 187.

[2])) نفسه، 1/ 198.

الرابعة: التقديم، كقولـك تميمي أنـا والعـالم زيـد، فهـذه الطـرق دالـة على الحصر كما ترى، ثم إن القصر يكون على وجهين:

أحدهما: أن يكون قصرًا للصفة على الموصـوف، ومثالـه: مـا عـالم إلا زيـد، فهذا يفيد أن العلم لا يحصل في غير زيد، فإن حصل في غـير زيـد كـان مناقضـة، ويجوز أن يجعل زيد على غير صفة العلم.

وثانيهما: أن يكون قصر الموصوف على الصـفة، ومثالـه: قولـك: مـا زيـد إلا عالم ، فهذا يفيد أن زيدًا لا يحصل إلا على صفة العلم، فإن حصـل لـه غيرهـا من الصفات كان نقضًا، ويجوز أن تحصل هذه الصـفة لغـيره، فهـذه هي التفرقـة بين قصر الصفة على الموصوف، وبين قصر الموصوف على الصفة»[1].

بعد إيراد هذه الإشـارات يـتراءى مـدى قلـة اعتمـاد المصـنف على إيرادهـا، وذلك لسرّ أخير يمكن إضافته لسابقَيه- وهما تعويله على التحليـل، واكتفـاؤه بمـا أورد في (الطراز)- وهو توجيه المصنف قـارئ كتابـه إلى تـذوق تحليلـه الأحـاديث النبوية، ولذا أعرض المصنف عمّا قد يشغل القارئ عن ذلك، ومنه إيـراد القواعـد من تعريفات وتقسيمات وخلافات حول ذلك.

لقد سعى المصنف في شرحه إلى تحقيق الغايـة المرتجـاة من مبـاحث علم المعاني؛ ألا وهي توظيف تلك المباحث في إظهار المسحات الجمالية الواردة في النص النبوي.

التقديم والتأخير

عند النظر في شرح المصنف لما تضمنته الأحاديث النبويـة من مبـاحث علم المعاني؛ ظهر اهتمامه بذكر علـل تضـمن الأحـاديث النبويـة تلـك المبـاحث، حيث علل التقديم والتأخير الوارد في جمل الأحـاديث النبويـة على منحـيين: الأول: من

[1])) الأنوار المضيئة، 1/ 595، 596.

أجـل العنايـة والاهتمـام بحـال المقـدم الـذي من حقّـه التـأخير، ومثالـه: «التنبيـه الخامس: التقديم والتأخير: ولهمـا دخـول في علم المعـاني؛ لعظم موقعـه، وهـذا كتقديم خبر «إن» على اسمها في قوله: «إن لكل شيء حسيبًا، وعلى كل شـيء رقيبًا، ولكل حسنة ثوابًا، ولكل سيئة عقابًا»، فإن الأصل تـأخيره، ولكن قُـدّم على جهة الاعتناء بالخبر...»[1]، وقولـه: «النـوع الثـاني: تقـديم الخـبر في قولـه: «لكم نهاية»، وتأخير الاسم ...، وإنما فعل ذلـك من أجـل الاهتمـام بـالخبر في تقديمـه، والقياس تأخيره ...»[2].

والثاني: من أجل العناية والاهتمام بحال المقـدم، ومن أجـل السـجع، ومنـه: «وعلى التقديم والتأخير في المعمولات، كقوله: «أحصي فيه عمله»، فـإن الجـار والمجرور قد قُدما على الفاعل، وأخـر عنهمـا، وقولـه: «من باطـل جمعـه أو من حقّ منعه»، فالجار والمجرور قُدما هاهنـا على عاملهمـا من أجـل الاهتمـام بهـذه المتعلقات، ولأجل المواظبة على السجع، بقوله: «منعه»، و«جمعه» ...»[3].

لقد أشار المصنف في كلامه هذا إلى المكانة العظيمة التي يقع فيها التقديم والتأخير، من جهة ما يقدمه من معانٍ خاصة لا تتحقق من دونه، ولم ينظر إلى أن التقديم والتـأخير يكـون من أجـل السـجع فقـط، وإنمـا يكـون من أجـل الاهتمـام والاعتناء بالمُقَدم الذي حقه التأخير، ومن ثم السجع، وفي تقديمـه علـة الاهتمـام والاعتنـاء على السـجع دليـل على أن العلـة في التقـديم والتـأخير هي الاهتمـام والاعتناء بالمقدم، فـإن وافـق بعـد ذلـك السـجع فلا بـأس فيـه، فيكـون في ذلـك إشارة إلى ألا يجعل الناص أو الخطيب تقـديم مـا حقـه التـأخير من أجـل السـجع

---

[1])) نفسه، 1/ 187.
[2])) نفسه، 1/ 209، 210.
[3])) الأنوار المضيئة، 1/ 326.

فقط، لأنّ في ذلك تكلفًا في الصنعة يجعل المعاني تابعة للألفاظ[1].

وأشار إلى أن التقديم والتأخير قد يكون بتقديم الخبر وتأخير اسمه، وتقـديم الجار والمجرور على الفاعل، وتقديم الجار والمجرور على فعله، ونبهه إلى أصـل التركيبات قبل الانزياحات التي وقعت عليها من تقديم وتأخير، ليظهر أن ما حدث للجمل من تقديم وتـأخير هـو خـرق لنظـام بنـاء الجملـة التقليـدي، وحصـل ذلـك الخرق لخدمة بناء النصّ بشكل يفي بغرض إنتاج المعنى المراد من النص[2].

الفصل والوصل

في الفصل والوصل؛ أشار المصنف إلى كـون الفصـل والوصـل من مهمـات علم المعاني، وأنهما من علم المعاني لفي المكان الرفيع العالي[3]، ثم سـعى في شرح ما تضمنت الأحـاديث من الفصـل والوصـل إلى البرهنـة على ذلـك المكـان الرفيع العالي من خلال تحليله اللفتات النبوية فيما يخص هذا الشأن.

لقد اشترط المصـنف لـورود الوصـل وجـود ملاءمـة بين الجمـل الـتي تمّ الوصل بينها بــ (الـواو)، وأشـار إلى قبح الوصـل مـع عـدم وجـود تلـك الملاءمـة، فقال: «التنبيه الثاني: الفصـل والوصـل: فالوصـل: مـا كـان بـــ «الـواو» في أول الجمل المؤكدة، كقوله: «وإن مع الدنيا آخرة، وإن لكلّ شـيء حسـيبًا، وعلى كـل شيء رقيبًا»، فــ «الواو» هاهنـا دخلت للوصـل بين الكلام الأول والآخـر، وللربـط بين الجمل المتعاقبة؛ لأن المعطوف والمعطـوف عليـه لابـدّ من أن يكـون بينهمـا ضرب من المقارنة والملاءمة، ولهذا قبح قولك: زيد قـائم، واليهـود كفـار؛ لمّـا لم يكن بينهما نوع من المقاربة والمناسبة»[4].

---

[1])) ينظر: الطراز، 3/ 22.
[2])) ينظر: شعرية الخطاب في التراث النقدي والبلاغي، 104- 109.
[3])) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 430.
[4] (?) الأنوار المضيئة ، 1/ 186.

وقد أتى بمثال للوصل القبيح الذي يفقد تلك الملاءمة من أجل إظهـار مـدى جمال الملاءمة النبوية في الوصـل حيث أن جمـال الشـيء يظهـر بـإيراد نقيضـه، وثمة أمر يظهر في كلامه، وهذا الأمر هو تنبيهه على وجود غاية من الوصل، وهي الربـط بين تلـك الجمـل المتعاقبـة، وفضـلاً عن هـذه الغايـة فـإن للوصـل دلالات وغايات قد فصّل المصنف القول عند ورودها في الأحاديث النبوية، وبشكل أظهـر إمكانية انفتاح الوصل على العديد من الغايات، ومنها:

1- **المغايرة بين المتعـاطفين، ومثالـه:** «المعـنى الثـاني: قولـه، في الفصل والوصل، فإن «الواو» في قوله: « والمزْعَجين بعد الطمأنينة» إنمـا جيء بها من أجل الوصل دلالـة على المغـايرة بين «المـأخوذين»، و«المـزعجين»؛ لأن «الواو» دالة على المخالفة بين الصنفين»[1]، ولـولا (الـواو) الـتي سـيقت للدلالـة على المغايرة بين الصنفين لفهم أنهما صنف واحد، فسيق الوصل أحسـن مسـاق في التوضيح.

2- **تعديد الصفات،** ومثاله: «والوصل بــ «الواو» في تعديد الصفات ...»[2]، فكان الوصل بـــ (الـواو) بين الجمـل هـو سـبيل الوصـول إلى تعديـد صـفات كمـال الإيمان من تفويض وصبر وتسليم ورضا ... .

وإذا كانت الملاءمة شرطًا في الوصل، فإن عـدم الملاءمـة الواقعـة في الجمـل المتعاقبة سبب من أسباب الفصل، وقد قال فيه: «وقد جاء الفصل في قولـه: «أيُّهـا الناس إن أكيسكم» لما لم يأت بــ (الواو) عطفًا على «أيُّها الناس» في صدر الحديث لإرادة الفصـل بين الكلامين، ولم يـرد الجمـع بينهمـا إيقاظًـا للأسـماع، وتنبيهًـا على الخروج من كلام إلى كلام آخر ليس بينه وبين الأول علقة ولا ملاءمـة بحـال»[3]، وقـد

---

1)) نفسه ، 1/ 361.

2)) نفسه، 1/ 234.

3)) نفسه، 1/ 198.

كان الفصـل بين الكلامين لعـدم وجـود ملاءمـة؛ فكلام النـبي- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسلم- الأول فيه أمر بالتوبة، والمبادرة بالأعمال الصـالحة، وكلامـه الثـاني فيـه إخبـار بكون أكيس الناس المكثر من ذكر الموت، وأحزم الناس الأحسن في الاستعداد له.

أما علّة الفصل: فهي التنبيه على الخروج من كلام إلى كلام آخر من الأهمية بمكان، ليكون من ثم دور الفصل هو الإيقاظ للأسماع لما سيرد من كلام في غاية الأهمية، وثمـة علّـة أخـرى للفصـل في موضـع آخـر من حـديث آخـر، حيث قـال: «وجاء بقوله: «الذين أقاموا على الشبهات» من غير «واو» للدلالة على الفصــل، وأن إقامتهم على الشبهات وصف شامل للصنفين جميعًا، فانظروا إلى سـرّ كلامـه صلى الله عليه وآله وسلم في الفصل والوصل مـا أحسـن مغـزاه وأجمـع للفوائـد معناه»[1]، فمن أجل أن يكون هذا الوصـف- الـذين أقـاموا على الشـبهات- شـاملاً للمـأخوذين والمـزعجين بشـكل سـواء، ودون اقتصـاره على صـنف دون آخـر أتى النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- بالجملة الوصفية الشاملة تامة الفصل، لأنــه لــو أتى بــ (الواو) للدلالة على الوصل لتردد عطف الوصف على أيّ الصنفين، أو توهم الناظر في كون هذا الوصف دالاً على صنف ثالث، ولذا كان الوصل بين المأخوذين والمزعجين، والفصل في الجملة الوصفية اللاحقة للصـنفين محققًـا لمغـزاه صـلى الله عليه وآله وسلم، ومظهرًا لفوائد كلامه ومبينًا لدلالة معانيه دون أدنى لبس.

وهنا يمكن القـول: لقـد رأى المصـنف أن مكانـة الوصـل والفصـل الرفيعـتين تتمثل في جمال الملاءمة بين الجمل التي تمّ الوصـل فيمـا بينهـا بــ (الـواو) ودوره في إظهار معاني النص النبوي، وحسن توظيف النبي- صلى الله عليه وآله وســلم- للفصل في كلامه في كونه موقظًا للأسماع، ومنبهًا على الخروج من كلام إلى آخـر لا علقة بينهما، ليكون بذلك قد جاء بما يلائم حال المخاطبين.

---

[1])) الأنوار المضيئة، 1/ 361.

التأكيد

عندما شرح المصنف ما تضمنته الأحاديث النبوية من التأكيـدات كـان حـرف التأكيد (إنّ) هو المعنيُّ في الأحاديث التي ورد فيها، وجعـل ورود التأكيـد بـــ (إنّ) من جهة التمكين، وإزالة الاحتمال واللبس، وقطع الشكوك في الجمـل الـتي ورد فيها التأكيد بــ (إنّ)، ليكون من ثم له دور فاعل في تأكيد المعـنى الـذي جيء بـه من أجله، وكـانت مزيـة التأكيـد في أنـه يكسـب موقعًا في النفـوس وتمكينًـا في القلوب، ومثاله قوله: «التنبيه الأول: التأكيـد: وهـو معـنى في الكلام يُـذكر لإزالـة الاحتمال، وقطع الشكوك، فقد صدّر عليه السلام هذه الجمـل بـــ «إنّ» المؤكـدة في صدرها؛ ليدل بها على تأكيد المعنى الذي جيء بها من أجله، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إنَّ مع العـزّ ذلاً، وإنَّ مـع الحيـاة موتًـا» إلى آخرهـا، ثم إنـه لا يخفى على الخبير موقع التأكيد من الكلام فإنه يكسبه موقعًا في النفس، وتمكينًـا في القلوب»[1].

وله في التأكيد بـــ (إنَّ) في حـديث النـبي- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- : «رَحِمَ اللـــهُ عَبْـــدًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ، أَوْ سَـــكَتَ فَسَـــلِمَ، إِنَّ الِّلِسَـــانَ أَمْلَـــكُ شَـــيْءٍ لِلإِنْسَانِ...»[2]، حيث قال: «ثم إنه أردفـه بالتأكيـد الـوارد على جهـة التعليـل؛ لأن الغنيمة في الكلام، والسلامة في السكوت إنما كان من أجل كـون اللسـان أملـك ما يكون للإنسان؛ لأنه أسهل الجوارح في العمل ولا تلحقه كلالة ولا ملـل، بخلاف أعمال الجوارح فإنها تلحق بها السآمة والملالة»[3]، أيْ أنه لما كان للإنسان لسان هو أسهل جوارحه من ناحية التحكم فيـه فمن السـهل على الإنسـان التكلم بكلام في طياته فوائد، ومن السهل عليه- أيضًا- السكوت الذي فيـه سـلامة من الزلـل،

---

1 (?) الأنوار المضيئة، 1/ 186.
2 (?) الأربعون حديثًا السيلقية،22.
3)) الأنوار المضيئة، 1/ 295.

وهـذه السـهولة متأتيـة من كونهـا واقعـة من جارحـة هي أسـهل الجـوارح على الإنسان تحكمًا، فكان سوق هذه المسَلمة مؤكدة بــ (إنَّ) على جهة تعليل سهولة التكلم والسكوت المخصوصين في أحسن سياق، قد أظهره المصنف عند الشرح بشكل يظهر إمكانية ورود التأكيد على جهة التعليل.

لقد ظهر اهتمام المصنف بمناقشة دور التأكيد بــ (إنّ) في إزالـة اللبس في الجمل المؤكدة وتأكيـد معانيهـا مـع تعليلهـا، ممّـا يجعـل لهـا موقعًـا في القلـوب، واستخدم المصـنف في إظهـار ذلـك أسـلوبًا سلسًـا سـهلاً يزيـد الكلام المشـروح وضوحًا لا تعقيدًا.

الإبهام

عندما شرح المصنف ما تضمنته الأحاديث من إبهـام، فقـد وضـح أن الـورود حاصـل في الإبهـام بالشـروط المترادفـة، ومثالـه: «المعـنى الخـامس: الإبهـام بالشروط المترادفة، كقوله: «من جعله أمامه»، «ومن جعله خلفه»، و«من قــال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل»، فهذه الجمل الشرطية مترادفة دالة على الإبهام العام، وقد وقع هاهنا أحسن موقع؛ لما تضمنه من الحكم البديعة والآداب البالغة»[1]، وكما هو حاصل في الشروط المترادفة، فإنه حاصل في خــبر الشأن والضمير، و(مَن)، ومثاله: «ومن ذلك الإبهام في خبر الشأن والضمير، في قولـه: «إنـه من أحب»، وهكـذا حـال الإبهـام في«مَن»، فـإن هـذه الأمـور الـتي سـردناها من علم المعـاني فيهـا أسـرار ورمـوز تطلـع النـاظر على المعـادن والكنوز»[2]، وفي (ما) الموصولة، ومثاله: «التنبيه الرابع: الإبهام، في قولـه: «مـا يكفيك»، و«مـا يطغيـك»، فـإن الإبهـام لـه موقـع بـالغ في الكلام، ويزيـده رونقًـا

[1])) الأنوار المضيئة، 1/ 221.
[2])) نفسه، 1/ 235.

وطلاوة، ويكسبه فخامة، كما قال تعالى: [illegible][1]، وإنما أبهمه للدلالة على التحقير، أوعلى التفخيم لشأنه، فإن حملناه على التحقير، فكأنه قال: ألقِ العويد الصغير الذي بيدك يفعل بقدرة الله تعالى ما تراه من إبطال ما جـاؤوا به من السـحّر العظيم، وإن حملنـاه على التفخيم، فكأنـه قـال: وألـقِ هـذا الأمـر الهائل الذي بيـدك الـذي قـد صـار آيـة ومعجـزة لـك، كسـائر معجزاتـك البـاهرة، ودلائلك الظاهرة»[2].

ومن شأن هذه الأمثلة التي في الإبهام، وسائر ما ورد في الكتاب من شـــرح فيما يخص الإبهام أن يظهر أن استنباط مواقع الإبهام في الأحـاديث النبويـة ليس من أجل الاستنباط بقدر ما هو منصب على إظهار مـا تحملـه تلـك الإبهامـات من دلالات تخدم معنى النص النبوي، وحسن مواقعها الفخمة في النص، كما هو بـــارز في تحليله للأمر الذي أمـر اللـه بـه موسـى فيمـا يخص إلقـاء عصـاه، ويمكن أن يتجلى ذلك أكثر في هذا النموذج الذي قال فيه: «المعنى الثالث: الإبهام بــ «ما» الموصولة في قوله: «فلا كانوا ما أملوا»، وقوله: «ولا ما فاتهم»، وقوله: «قدموا على ما عملوا»، وقوله: «ندموا على ما خلفوا»، وهذه مواقـع أربعـة في: «مـا»؛ دلالة على الإبهام فيما تناولته، ولم يخصّ شيئًا من شيء، فقد وقـع هاهنـا أحسـن موقع؛ لما تضمنته من الإبهام الـدال على المبالغـة فيمـا انـدرج تحتـه»[3]، و«إنمـا أبهم الأمر فيما قدموا عليه مبالغة في حقّه؛ ليكون ذلك أبلغ في الحسرة، وأدخـل في الندامة، والمقصـود أنهم قـدموا على أعمـال قبيحة، وفضـائح شـنيعة منكـرة شهد عليهم بهـا الملائكـة الكـرام الموكلـون بحفظهـا على ممـر الليـالي والأيـام، وندموا على ما خلفوا، أصابتهم الحسرة وتقطعت أفئدتهم ندامـة على مـا تركـوه

---

[1] (?) سورة طه من الآية 69.

[2] (?) الأنوار المضيئة، 1/ 489، 490.

[3])) نفسه، 1/ 361.

وراء ظهورهم،... فانظر إلى عواقب الإنفاق ما أحمدها، وإلى سوابق التقـديم مـا أسعدها، وإياك والميل إلى التخليف والاغترار بطـول الأمـل والتسـويف»[1]، وهنـا يظهر مناقشة المصنف لدلالة موقع الإبهام وأثره؛ فالذي سِيق للمبالغـة في حـق المبهم، ليكون ذلك أبلغ في الحسرة، وأدخل في الندامة.

الإيجاز والاختصار

وكمـا جعـل المصـنف اهتمامـه منصـبًا على غايـة الإبهـام وأثـره، فإنـه عنـد استنباط مـا تضـمنت الأحـاديث النبويـة من إيجـاز واختصـار قـد أشـار إلى موقـع الإيجـاز والاختصـار العظيم في علم المعـاني، والـذي لا يخفى على من لـه أدنى ذوق[2]، وأشار إلى بلاغة وفصاحة النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- في الأحاديث من خلال سـوقه المواعـظ والمعـاني الجمـة والنكت المتكـاثرة بـأوجز عبـارة وأخصرها[3]، وقد قدّر المصـنف الحـذوفات الـتي سـيقت للإيجـاز والاختصـار لكي يظهر للقارئ الأصل الذي كانت عليه الجمل قبل الحذف، وما يحمل ذلك الحـذف من معـانٍ، ومثالـه: «المعـنى الأول: الاختصـار والإيجـاز في حـذف المتعلقـات، كقوله: «لا خير في العيش» التقدير فيه: لا خير لأحد، وقوله: «ناطق» أيْ: ناطق بالحقّ، أو مسـتمع للوعـظ واعٍ لـه، وقولـه: «شـافع» لغـيره، ومشـفع في غـيره، وشاهد في خبره مصـدق على غـيره، وقولـه: «من قـال بـه صـدق » في خـبره، «ومن عمل به أجر» في عمله، «ومن حكم به عدل» في حكمه، فهذه الحذوفات كلّها جارية على جهة الاختصار والإيجاز»[4].

وقد أضاف أن الإيجـاز والاختصـار قـد يكـون بالإضـمار كمـا يكـون بالحـذف،

---

1 (?) الأنوار المضيئة، 1/ 367.
2)) ينظر: نفسه، 1/ 186.
3)) ينظر: نفسه، 1/ 361.
4)) نفسه، 1/ 220، 221.

وأشار إلى أن لـه موقعًـا عظيمًـا من علم المعـاني، ومثالـه: «والإضـمار: مـا في قوله: «تظلموها»، و«تمنعوها»، و«أهلها»، فإنها كلّهـا ضـمائر دالـة على رجوعهـا إلى «الحكمة»، وهكذا قوله: «أمر» فإنه اسم ظـاهر، وقـد رجعت هـذه الضـمائر في قوله: «اتبعوه»، و«اجتنبوه»، وفي قوله: «رُدُّوه إلى الله» ...، والإضـمار دال على الاختصار والإيجاز»[1].

الجمل الإنشائية

لقد وقف المصنف عند الجمل الإنشائية الواردة في الأحـاديث النبويـة وقفـة الفاحص المتذوق، وذلك لمّـا كـانت هـذه الجمـل الإنشـائية في الأحـاديث تختلـف دلالاتها باختلاف معاني الغرض الإنشائي الواحد، وذلك بحسب الغايـة الـتي سـيق من أجلها الغرض الإنشائي، والذي يظهره القرائن، فألفـاظ الاسـتفهام قـد تخـرج عن معناها الأصلي، وهو طلب حصول صورة الشيء في الذهن إلى معـانٍ أخـرى تفهم من خلال السـياق[2]، وهـذا مـا أظهـره المصـنف في شـرحه للاسـتفهامات الواردة في الأحاديث النبوية، حيث قال: «ثم إنّ معاذًا لمّـا رأى شـدة الوعيـد في الكلام بما لا يعني سـأل الرسـول- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- فـائدة، فقـال: «أنؤاخذ بما نتكلم به»؟ فأجابه الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- بالشــدة في ذلك، وأورده مورد الاستفهام، والغرض منـه التقريـر، فقـال: «وهـل يُكبّ النـاس على مناخرهم»؟، وهـذه حالـة أعظم مـا يكـون من الألم، فـالكبّ أولاً وهـو جمـع أطراف الإنسـان، ثم الإلقـاء على المنـاخر الـتي هي أعـزّ الأعضـاء وأشـرفها، ثم النـار»[3]، وقـال أيضًـا في موضـع وحـديث آخـر: « التنبيـه الأول: الاسـتفهام، في

---

[1] الأنوار المضيئة، 1/ 387.

[2] ينظر: شروح التلخيص، سعد الدين التفتازاني، ابن يعقوب المغربي، بهاء الدين السـبكي، دار البصائر، ط1، عام 2008م، القاهرة، مصر، 2/ 246.

[3] الأنوار المضيئة، 1/ 296.

قوله: «ممَّ تضحك يا رسول الله»؟ فإن له موقعًا في الكلام يـدل على الاسـتعلام والاستخبار ويستدعي جوابًا فقوله: «ممَّ تضحك يا رسول الله»؟ هو استفهام عن جري الضحك لأيّ شيء كان، فأجاب الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- بقوله: «رجلان من أمتي جثيا بين يدي ربي»، وحكى القصة بتمامها....

التنبيه الرابع: قوله: «ثم قال الله تعالى» للمظلوم، وهو الطالب بحقّـه على جهة الموعظة، والإرشاد إلى العفو، وحسن الصـفح عن الحقـوق: «ارفـع بصـرك فانظر إلى الجنـان، فرفـع رأسـه فـرأى مـا أعجبـه من الحـبرة والنعمـة»، فقـال المظلوم: «لمن هذا يا رب؟ فقـال اللـه تعـالى: لمن أعطـاني ثمنـه» ترغيبًـا في الثـواب، وتأكيدًا في الاسـتحقاق، فقـال المظلـوم: «ومن يملـك ذلـك؟» إعظامًـا للأمر في استحقاق العظيم على الحقير، وتعجبًا من نيل ذلك»[1].

لقد شرح المصنف ما الاستفهامات الـتي خـرجت عن معانيهـا الأصـلية حيث وضّح خروج الاستفهام إلى التقرير كما هو ظاهر من سؤال النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- الذي ساقه للإجابة عن سؤال معاذ- رضـي اللـه عنـه- بغـرض تقريـر الالقاء في النار على الأنوف، وقد وضّح أيضًا خروج الاستفهام عن معنـاه الأصـلي إلى غرض آخر هو التعظيم، كما هو ظاهر من سؤال المظلوم الذي سيق لتعظيم الاسـتحقاق للثـواب على العمـل الحقـير، وقـد شـرح الاسـتفهام الـذي ورد في الأحـاديث النبويـة للدلالـة على معنـاه الأصـلي وهوالـذي يـدل على الاسـتعلام والاستخبار.

وقد وردت الجمل الإنشائية في الأحاديث النبوية بشكل متفاوت، ولأنّ السنة النبوية الشريفة المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعـد القـرآن الكـريم، فلا جـرم كثر ورود الجمل الإنشائية الدالة على الأمر والنهي، والتي شرحها المصنف، ومنه

---

[1])) الأنوار المضيئة، 1/ 516، 517.

قوله: «الموقع الثـاني: الجمـل الإنشـائية في نحـو قولـه: «أجملـوا»، و«بـادروا»، و«أكثروا»، فهذه جمل أيضًا واردة على جهة الإنشـاء دالـة على الزجـر والمبالغـة في الوعظ»[1]، فهذه أوامر واردة بصيغة فعـل الأمـر للدلالـة على المبالغـة؛ ففي فعل الأمر (أجملوا) فيه دلالة على المبالغـة في إجمـال الطلب بمعـنى أن يكـون الطلب بالتعريض في المقال من غير إلحاف في السؤال لأنّ ذلك الإلحاح يُعد في الدِّين نقصًا وحطًّا من جانب المروءة، وعلى الرزق حرصًا، وقلة ثقة بالله تعـالى، وفعل الأمر (بادروا)، و(أكثروا) فيهما مبالغة في الزجـر والوعـظ بمبـادرة التوبـة، والإكثار من الأعمال الصالحة قبل انقطاع الآجال[2].

وفي حـديث النـبي- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- : «أَيُّهـا النَّاسُ لاَ تُعْطُـوا الْحِكْمَةَ غَيْـرَ أَهْلِهَـا فَتَظْلِمُوهَـا، وَلاَ تَمْنَعُوهَـا أَهْلَهَـا فَتَظْلِمُـوهُمْ، وَلاَ تُعَـاقِبُوا ظَالِمًـا فَيَبْطُـلَ فَضْـلُكُمْ، وَلاَ تُـرَاؤُوا النَّاسَ فَيَحْبَـطَ عَمَلُكُمْ، وَلاَ تَمْنَعُـوا الْمَوْجُـودَ فَيَقِـلَّ خَيْرُكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ الأَشْيَاءَ ثَلاَثَةٌ: أَمْرٌ اسْتَبَانَ رُشْدُهُ فَاتَّبِعُوهُ، وَأَمْرٌ اسْتَبَانَ غَيُّهُ فَـاجْتَنِبُوهُ، وَأَمْـرٌ اخْتَلَـفَ عَلَيكُمْ فَـرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ، أَيُّهَـا النَّاسُ: أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِـأَمْرَيْنِ خَفِيفَيْنِ مُؤْنَتُهُمَا عَظِيمٌ أَجْرُهُمَا لَمْ يَلْقَ اللَّهَ بِمِثْلِهِمَـا، الصَّـمْتُ وَحُسْـنُ الْخُلُـقِ»[3] قـال المصـنف- عن الجمـل الإنشـائية المنهيـة الـواردة في الحـديث-: «المعـنى الثاني: الجمل الإنشائية المنهيّة، فإنهـا جـاءت مُؤذنـة بـالآداب الحسـنة منبهة على جهة الترادف والتساوق يتلو بعضها بعضًا، والجمل الخبرية جاءت دالة على الآداب الحسنة منبهة عليها ومتضمنة للأوامر الإنشـائية، كقولـه: «اتبعـوه»، و«اجتنبـوه»، فقـد وقعت هاهنـا أحسـن موقـع؛ لاشـتمالها على الأوامـر الإنشـائية، والمنـاهي

---

[1])) نفسه، 1/ 342.
[2])) ينظر: نفسه، 1/ 345، 346.
[3])) الأربعون حديثًا السيلقية، 26.

الإنشائية، والأخبار الصادقة الدالة على الحكم النافعة »[1].

وبالنسبة للإنشاء غير الطلبي، فقد ذكر المصنف في الترجي أنّ له موقعًا عظيمًا في الكلام، وأنه كما يستعمل في التوقع للأمور المحبوبة، فإنه يستعمل في التوقع للأمور المكروهة، وذكر أمثلة لذلك، فعن التوقع للأمور المكروهة، كقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[2]، وفي التوقع للأمور المحبوبة، كقوله: لعلّ أباك يقدم[3]، وعن حديث النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-: «لاَ تَسُبُّوا الدُّنْيَا فَنِعْمَتْ مَطِيَّةُ الْمُؤْمِنِ...»[4]، فقد ذكر في كون الدنيا نعم المطية للمؤمن بأنه مدح على جهة التعليل، وعلى هذا التأويل يكون المعنى: لا تسبوها لأنها نعم المطية للمؤمن[5].

وقد نظر المصنف إلى أن ورود حرف التنبيه (ألا) إيقاظًا للأسماع، وحثًا على الإصغاء، وتحفظًا من الغفلة، وذلك في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا وإن كلام العبد كله عليه»[6]، وقد أشاد المصنف بضم حرف التأكيد (إن) إلى حرف التنبيه (ألا) حيث قال: «السرّ الثاني: أنه ضمّ إلى التنبيه حرف التأكيد بـــ «إن»، فقال: «ألا وإن»،و كل واحد من هذين الحرفين له موقع عظيم في الكلام، فكيف بهما إذا اجتمعا فهما مشعران بالزجر البالغ مع ما تضمناه من رشاقة السياق وحسن التأليف»[7]، وذكر أن حرف التنبيه (الهاء) في (أيها الناس) قد ورد إيقاظًا للأسماع، وتحريكًا للقلوب عن غفلتها إلى سماع خطابه صلى الله عليه وآله وسلم، أما اختصاص لفظة (الناس) بالذكر دون سواها كابن آدم؛ فلأن لفظة (الناس) أرقّ وألطف وأعظم موقعًا في القلوب؛ لما في لفظة (الناس) من الإشعار بالأنس

1)) الأنوار المضيئة، 1/ 386، 387.
2 (?) سورة الشورى من الآية 17.
3)) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 326.
4 (?) الأربعون حديثًا السيلقية ، 23.
5)) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 309.
6)) نفسه، 1/ 295، 296.
7 (?) نفسه، 1/ 430.

والتقريب، وقد ذكر أن لفظة (الناس) تدل على الشمول[1].

الجمل الحالية

لقد ذكر المصنف أنّ للجمل الحالية موقعًا بالغًا يزيد الكلام حسنًا ورشاقة، وأشار إلى كون تلك الجمل الحالية قد وردت في القرآن الكريم كما وردت في الأحاديث النبوية، وذكر بعض الشواهد من القرآن، ومثاله: «التنبيه الثالث: الجمل الحالية، في نحو قوله: «وأنت تحزن» بـ «الواو»، فإنه يكسب الكلام ديباجة، ويعطيه في المذاق حلاوة، كأنه قال: تؤتى برزقك في حال حزنك، وينقص من عمرك في حال فرحك، وهي واردة في كتاب الله تعالى، نحو قوله تعالى: [illegible][2]، وهو كثير»[3]، وجمال تلك الجمل الحالية في كون وقعها ذلك الموقع أظهر مدى المفارقة الحاصلة في كون الله تعالى يأتي برزق ابن آدم وحاله الحزن مع تلك النعمة، وينقص من عمره كل يوم وحاله الفرح مع النقصان في العمر.

وعندما ينتهي المصنف من بحث ما تضمنت الأحاديث النبوية من علم المعاني، قد يأتي بخلاصة عامة سار في وضعها على منحيين:

المنحى الأول: يورد حكمًا عامًا يُعد نتيجة ما خرج به بعد شرح البحث، ومثاله: «ولله در كلامه صلى الله عليه وآله وسلم ما أسلسها على الألسنة، وأجمعها للمعاني، وأحواها للمقاصد وأحلاها، فلا تمل على تكرر الأيام والأزمنة»[4]، وهذا الحكم العام ممّا كان ينتهجه القدماء عند شرح النصوص حيث يصدرون أحكامًا عامة على جمال النص أو عدمه، إلا أن المصنف وإن كان حكمه عامًا إلا أنه لم يكن يصدر حكمه إلا بعد شرح ما تضمنه النص النبوي من جوانب

[1] الأنوار المضيئة، 1/ 167.
[2] سورة آل عمران من الآية 102.
[3] الأنوار المضيئة، 1/ 489.
[4] نفسه، 1/ 361.

جمالية ليكون من ثم حكمه العام قائم على أسس خاصة شرحها قبلاً، بمعنى أنــه لم يكن حكمًا عامًا مجازفًا به يقوم على نظرة سطحية للنص النبوي.

المنحى الثاني: يوجز ذكر المواضيع التي شرحها في الحديث والمتعلقة بعلم المعاني، ومثاله: «فهذه جملة ما اشتمل عليـه من علـوم المعـاني، قـد سـردناها على هذا السرد، وأنت إذا تأملتها وجدتها مشتملة على الأمور الموصـولة المسـند إليها: إما بالفاعلية، وإما على جهة الابتداء، وعلى إضمار المسـند إليـه؛ لتقـدم مـا يفسره من الظواهر، وعلى تصدير الجملة بالنفي والإثبات بالاستثناء، وهكذا حـال الحروف المتعلقة نحو: (من، وإلى، وعلى، وفي) فإن هذه الأحرف كلها كل واحـد منها يختصّ بموقع ومعنى غير معنى الآخر، وموقعـه وصـاحب المعـاني هـو الـذي يتكلم على أسرارها ومعانيها، ويعطى كل حرف منها ما يستحقه، وكل واحد منهـا ما يختصّ بموقعه الذي وقع فيه ولو وقع غيره من حروف المعاني موقعه لم يعط فائدته، ولم يجد جدواه، فهكذا يكون النظر في علوم المعـاني على هـذه الكيفية، والله أعلم»[1].

وأخيرًا يمكن القول: نعم قد استنبط المصنف ما تضمنته الأحـاديث النبويـة من مباحث علم المعاني، وحدد مواقعها؛ إلا أنه لم يكن يكتفي بذلك بل يتعـداه إلى النظـر في غايـات مـا اسـتنبطه، ومن ثم النظـر في أثـره في المعـنى، وسـعى إليـه بنظـرة متذوقة لجمال ذلك الأثر؛ بمعنى أن استنباطاته تلك كانت عبـارة عن سـبيل للوصـول إلى ما هو أحق بالشرح والتوضيح؛ وكان أثر مباحث علم المعاني فيما تضمنته الأحـاديث النبوية هو الأحق بالشرح والتوضيح، ليكون بذلك قـد حـاول إزاحـة مـا اكتنفتـه مبـاحث علم المعاني من جمود بسبب التقعيد الـذي وقـع في مباحثـه، فضـلاً عن المناقشـات والخلافات التي طرأت على حدوده وتعاريفه وتقسيماته التي كانت سـائدة في عصـر

---

[1])) الأنوار المضيئة، 1/ 551، 552.

المصنف.

وقد ظهرت مجانبته ما كان سائدًا في عصره في شرحه وتحليله تحليلاً ينزع إلى تذوق الجمال في النص النبوي، ويؤكده ندرة تطرقه لحدود وتعاريف وتقسيمات مباحث علم المعاني.

أما بالنسبة للمباحث المختصة بعلم المعاني والتي وردت في الأحاديث النبوية التي عني المصنف بشرحها فهي التقديم والتأخير، والفصل والوصل، والتأكيد والإبهام والإيجاز والاختصار والحذف والإضمار والإظهار والتنبيه والشمول والتفصيل والجمل الحالية والجمل الإنشائية من استفهام وأمر ونهي وترجٍ ومدح.

وقد كان يتوج بحثه هذا ويختمه إما بحكم عام على الحديث النبوي كخلاصة لنتيجة ما خرج به من فيما يخص هذا البحث أو بذكر خلاصة ما شرحه في الحديث، وعند بعض الأحاديث ختم بأنه انتهى من إيراد ما يخص هذا البحث دون خلاصة أو حكم عام.

المبحث الثاني

جهوده في علم البيان

حاول الإمام يحيى بن حمزة أن يجعل علم البيان مختصًا بالمجـازات، وذكـر أنّ لهذا العلم بمجازاته وتجوزاته مدخلاً عظيمًا في القرآن الكريم والسـنّة النبويـة الشريفة، وأنَّ من أنكر ذلك فقد أنكـر مـا هـو أظهـر من نـور الشـمس[1]، ويؤكـد قولـه باختصـاص علم البيـان بالمجـازات كلام أورده في المقدمـة حيث قـال في حاصل علم البيان بأنه: «إيراد المعنى بطرق مختلفـة؛ لإيضـاح المـدلول عليه»[2]، ثم مثل على ذلك بقوله: «ومثاله أنـك إذا أردت أنْ تصـف زيـدًا بالشـجاعة فتـارة تُعبر عن ذلك بقولك: زيد كالأسد، ورأيت الأسـد، وزيـد أسـد، فكلهـا تفيـد وصـفه بالشجاعة تارة بطريق التشبيه، ومرّة بطريق الاستعارة»[3]، ثم عقـد مقارنـة بين علم المعاني وعلم البيان بقوله: «وعلـوم المعـاني مقصـورة على معرفـة تـوخي معاني النحـو في الـتراكيب الإسـنادية بخلاف علـوم البيـان، فإنهـا مقصـورة على معرفة تأدية المعنى بطرق مختلفة من جهة التجوزات المجازية»[4].

إنَّ من شأن كلامه في المقدمـة عن علم البيـان أنْ يظهـر رؤيتـه في حاصـل علم البيان بأنه يقتصر على المجازات الواردة لتأدية المعـنى بطـرق مختلفـة، ومن المعلوم عنـد البلاغـيين أنَّ التشـبيه والكنايـة من مبـاحث علم البيـان؛ فكيـف نظـر المصنف إلى هذين المبحثين- التشبيه والكناية- في كونهما ينطويان على مجاز؟

التشبيه

إن البلاغيين السابقين للمصنف قد اختلفوا في كون التشـبيه البليـغ يُعـد من

1)) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 178.
2)) نفسه.
3)) نفسه.
4)) نفسه.

المجاز؛ فبعضهم قال إنّ التشبيه المضمر الأداة ليس من المجاز، وجعلـه تشـبيهًا، كأبي هلال العسكري المتوفى سـنة 395هـ[1]، وبعضـهم الآخـر، ومنهم ابن جـني المتوفى سنة 392هـ قال إنه مجاز[2]، واتفق الفريقان في كـون التشـبيه الظـاهر الأداة تشبيهًا[3]، فيكون قول المصنف بمجازية التشبيه ليس بِـدعًا، وللمصـنف في هذه القضية تفصيل يمكن القول فيه؛ بأن المصنف قد وافق من سبقه على كـون التشبيه الظاهر الأداة هو تشـبيه محض، ولا يُعـد من المجـاز، ويظهـر هـذا عنـدما شرح حديث النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِـهِ وَسَـلَّمَ-: «أيّهـا النَّاسُ كَـأَنَّ الْمَـوْتَ فِيهَـا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ، وَكَأَنَّ الحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ، وَكَأَنَّ الَّذِي نُشيِّعُ مِنَ الأَمْـواتِ سَـفْرٌ عَمَّا قَلِيْـلٍ إِلَيْنَـا رَاجِعُـونَ، نُبَـوِّئُهُم أَجْـدَاثَهُمْ، وَنَأْكُـلُ تُـرَاثَهُمْ، كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهَمُ...»[4]، حيث قال: «ثم لمّا فرغ من النداء أردفه بـذكر «المـوت»، وصدّرها بحرف التشبيه مبالغة في الإعراض، والغفلة عن أخـذ الأهبـة للاسـتعداد، فحـالهم في الـذهول عن المـراد مشـبه بحـال من لا يخطـر على بالـه المـوت، ولا يأخـذ لوقوعـه أهبـة، ثم شـفعه بكلام آخـر مصـدر بالتشـبيه في الإعـراض عن الحقـوق اللازمة، ...، ثم عطـف عليـه ذكـر«الأمـوات» الـذين نشـاهد إدخـالهم القبـور، وتضمينهم إياها، فحالها في حقّهم في قلّة الاحتفال، وترك التيقظ واستيلاء الغفلة مشـبه بحـال الـذين يغيبـون في طلب الأربـاح يُتَـرَقَّبُ وصـولهم إلينا، وإقبـالهم علينا، ...، فهذه جمل أربع واردة على جهة التشبيه ساقها عليه السلام مبالغة في الوعظ»[5]، وسماه تشبيهًا لما ظهرت في التشبيه أداة التشبيه «كأن».

---

1)) ينظر: كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسـن بن عبـد اللـه بن سـهل العسـكري، ط الحلـبي، عام 1971م، 255.

2)) ينظر: الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، عـالم الكتب،(ت)، بيروت، لبنان،2/ 442- 443.

3)) ينظر: الطراز، 1/ 205- 207.

4)) الأربعون حديثًا السيلقية، 15.

5 (?) الأنوار المضيئة، 1/ 167، 168.

أما ما يخص التشبيه المضمر الأداة- التشبيه البليغ- فقد نظر فيه المصنف على منحيين، فالأول: الذي لو قُدر فيه ظهور أداة التشبيه لم يفقده ذلك التقدير بلاغته، ولم ينزل من قدره.

والثاني: الذي لو قدرنا فيه ظهور آلة التشبيه لنزل قدره، ولخرج عن ديباجة بلاغته، فما هذا حاله يكون من باب المجاز على وجهة الاستعارة، ويفسد جعله من باب التشبيه، ولتظهر هذه القضية بشكل جلي يمكن إيراد مثال يكشف نظرته الخاصة في التشبيه المضمر الأداة، فعند شرحه حديث النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-: «لاَ تَسُبُّوا الدُّنْيَا فَنِعْمَتْ مَطِيَّةُ الْمُؤْمِنِ، عَلَيْهَا يَبْلُغُ الْخَيْرَ، وَبِهَا يَنْجُو مِنَ الشَّرِّ...»[1]، قال: «المجاز الأول: منها «مطية المؤمن» استعارة للدنيا، فإنا راكبون لها، وهي تسير بنا، ولو كنا واقفين كما تسير المطية»[2]، هاهنا ظهر المشبه به «مطية المؤمن»، والمشبه «الدنيا»، والذي هو متمثل في الضمير (هي) المقدر في أسلوب المدح: نعم مطية المؤمن هي، حيث إنه يجوز حذف المخصوص بالمدح إذا تقدم ما يشعر به، أو دل عليه دليل[3]، فهذا من قبيل التشبيه المضمر الأداة، وقد جعله المصنف استعارة، لأنه لو قدرنا ظهور آلة التشبيه لنزل قدره، ولخرج عن ديباجة بلاغته، ولكان غثًّا، وفضلاً عن كون تقدير الأداة ينزل من قدره، فإن كون المشبه به (مطية) غير معرف بأل، فالأحق أن يكون من باب الاستعارة، ولو كان المشبه به معرفًا بأل فقد صار من باب التشبيه، لأن آلة التشبيه يحسن إظهارها مع المشبه به المعرف بأل دون

---

[1])) الأربعون حديثًا السيلقية، 23.
[2])) الأنوار المضيئة، 1/ 310.
[3])) ينظر: شرح قطر الندى وبل الصدى، جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، ضبطه على المخطوطة وصححه يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام 2003م، بيروت، لبنان، 251.

المنكر[1].

وبهذا يظهر أن التشبيه قد نظر له المصنف على ثلاثة أوجه:

1- ما كان أداة التشبيه فيه ظاهرة، فهو تشبيه.

2- ما أضمر فيه أداة التشبيه، وتقدير ظهور الأداة لا تفقده بلاغته، فهو تشبيه.

3- ما أضمر فيه أداة التشبيه، وتقدير ظهور الأداة يفقده بلاغته، فهو استعارة.

الكناية

أما يخص مجازية الكناية، فإن المصنف قد نظر إلى كون الكناية مجازًا حيث قال: «المجاز الخامس: قوله: «وقد جفّ القلم»، فجفاف القلم استعارة للفراغ من كتابة الأعمال والختمّ عليها، وليس الغرض الجفاف حقيقة، فإنه بعد الموت قد بطل كلّ شيء وفرغ من الأعمال كلها ومن قبول التوبة وبطلان الندم، فوضع جفاف القلم للدلالة على الفراغ من كل شيء، وهو أحسن مجاز كما ترى»[2].

إن جفاف القلم كناية عن الفراغ من كتابة الأعمال، والختم عليها، فهو مجاز من جهة كونه وضع للدلالة على غير معناه الأصلي في اللغة، ومعناه الأصلي في اللغة جفاف القلم عن مداده، وإنْ دلّ في الحديث على الجفاف على الحقيقة اللغوية فليس الغرض في الحديث الدلالة على المعنى الأصلي- أيْ الجفاف على الحقيقة-، لأنّ حمل جفاف القلم في سياق الحديث على معناه الحقيقي الذي وضع له في أصل اللغة لا قيمة له ولا فائدة، وذلك لأن الكناية عند المصنف هي اللفظ الدال على معنيين مختلفين حقيقة ومجاز من غير واسطة، ومن جهة

---

1)) ينظر: الطراز، 1/ 208.

2)) الأنوار المضيئة، 1/ 362.

أخرى، فإن حمله على الحقيقة يمنع حمله على المجاز؛ لأن الحقيقة والمجاز بمثابة النفي والإثبات، ولذا فالمعنى الواحد لا يجوز أن يكون حقيقة ومجازًا لاجتماع النفي والإثبات[1]، بمعنى أنه يمتنع حمل جفاف القلم على الحقيقة وهي جفاف القلم عن مداده، وحمله في الوقت نفسه على المجاز وهو الفراغ من كتابة الأعمال، فيكون بهذا قد خالف من قال إن الكناية اللفظ الدال على معنى يجوز حمله على جانب الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز[2].

وبعد ظهور قول المصنف في مجازية الكناية يمكن طرح هذا السؤال، وهو: لماذا سمّى المصنف الكناية استعارة ؟

إذا كانت الكناية في نظر المصنف مجازًا ولا تحمل أيّ حقيقة، فهذا يجعل الكناية مع الاستعارة في إطار واحد هو المجازية، وكما أن الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له، فهكذا حال الكناية؛ فإنها لا تكون إلا حيث يكون ذكر المكنى عنه مطويًا فيه، فلا جرم سميت الكناية استعارة من باب التوسع في الكلام، وهذا التوسع لا يقضي الترادف بينهما لأن الاستعارة عامة، والكناية خاصة، ولهذا فإن كل استعارة هي كناية، وليس كل كناية استعارة[3].

وهنا ظهر أن المصنف عندما أطلق القول باختصاص علم البيان بالمجازات، فإنه لم يخطئ؛ لأنه يرى الكناية من المجاز، ومن التشبيه التشبيه المضمر الأداة الذي لو قُدّر فيه الأداة لذهبت ديباجة بلاغته، فكان قوله بذلك توسعًا في الكلام، وذلك كقول المعلم عندما يُسأل عن المستوى العلمي لطلاب صفه- في حال كون مستواهم ممتازًا ما عدا بعضهم- فإن إجابته عن السؤال بقوله: إن

---

[1])) ينظر: الطراز، 1/ 372- 374.

[2])) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، عام 1995م، بيروت، لبنان ، 2/ 181، 182.

[3])) ينظر: الطراز، 1/ 377، 378.

مستواهم ممتازًا، هو جواب سليم من باب التوسع.

المجاز المركب والمفرد

عندما استخرج المصنف المجازات الواردة في الأحـاديث النبويـة، فإنـه كـان يقول في بعضها بأنه مجاز مركب، ويقول في غيرهـا بأنـه مجـاز الإفـراد، ومثالـه: «المجاز الثالث: قوله: «الليل والنهار كيف يبليان كـل جديـد» أسـند إليهمـا البلاء، وهذه لا يستند إليها، وإنما هي مسندة إلى الله تعالى، فمـا هـذا حالـه معـدود في المجـاز المـركب، ومعـنى الـتركيب أن يسـند الفعـل إلى من يسـتحيل إسـناده إليه»[1].

وهنا يمكن التساؤل: ما المقصود بالمجاز المركب ؟

إن المجاز العقلي هو ما قال المصنف عنه بأنه المجـاز المـركب، ودلّ عليـه تعريفه: بأنه إسناد الفعل إلى من يسـتحيل إسـناده إليه[2]، ولكن لمـاذا عـدل عن تسميته بالمجاز العقلي إلى هذه التسمية بالذات ؟

إن الليل والنهار ليسـا فـاعلين حقيقـيين في إبلاء كـل جديـد، وإنمـا الفاعـل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالى، فوقع المجاز في إسناد الفعل يبليان لغير فاعله الحقيقي المستعمل في أصل اللغة، فأخرجه هذا الإسناد من الحقيقة إلى المجاز.

مع العلم أن الليل والنهار عند النظر إليهما كلفظـتين في حـدّ ذاتهمـا وبعيـدًا عن الإسناد قد استعملتا في الحديث النبوي في موضـعهما الأصـلي في اسـتخدام اللغة، ووقع المجاز في إسناد الفعل لهما، ولأن الإسـناد لا يقـع إلا في التركيبـات، فكان المجاز قد حصل في التركيب، لا الألفاظ المفردة، ولذا سوغ قول المصنف بأنه مجاز مركب[3].

[1] (?) الأنوار المضيئة، 1/ 230.
[2])) ينظر: شروح التلخيص، 1/ 239، 240.
[3])) ينظر: الطراز، 1/ 74، 75.

أما ما يخص مجاز الإفراد في حديث النـبي- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم-: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَـاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلاَّ حَصَـائِدُ أَلْسِـنَتِهِمْ؟!»[1]، فقـد قـال المصنف: «المجاز السادس: مجاز الإفراد، وهـو قولـه: «حصـائد ألسـنتهم»، ولـه توجيهان:

التوجيه الأول: إن حصيدة اللسان مستدق طرفه، وهي مستعارة من حصيدة السيف، وهي حدّه، فلما كان الكلام يجرح ويؤلم لاجرم استعير له...»[2].

إن لفظـة حصـيدة قـد اُسـتعيرت من حصـيدة السـيف؛ أيْ حـدّه، ووضـعت للدلالة على حصيدة اللسان؛ أيْ مستدق طرفه، فوقع المجاز في استعارة لفظــة حصيدة لغير مـا وضـعت لـه في حقيقـة وأصـل الاسـتخدام اللغـوي، ولـذا سـمى المصنف هذا المجاز بمجاز الإفراد، لوقوع المجـاز في اللفظـة المفـردة، ومن ثم كان كلا المجازين- المركب والإفراد- من المجاز اللغوي بجامع أنهما استعملا لغير ما وضعا له في حقيقة وأصل الاستخدام اللغوي[3].

وثمة أمر أخير في مسألة المجاز المـركب ومجـاز الإفـراد، ألا وهـو إمكانيـة اجتماع وقوع المجازات في المفردات والـتركيب في جملـة واحـدة، ففي حـديث النبي- صلى الله عليه وآلـه وسـلم-: «إِنَّمَـا يُـؤْتَى النَّاسُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ مِنْ إِحْـدَى ثَلاَثٍ: إِمَّا مِنْ شُبْهَةٍ فِي الـدُّيْنِ ارْتَكَبُوهَـا، أَوْ شَـهْوَةٍ لِلَـذَّةٍ آثَرُوهَـا، أَوْغَضْـبَةٍ لِحَمِيَّةٍ أَعْمَلُوهَا، فَإِذَا لاَحَتْ لَكُمْ شُـبْهَةٌ فَاجْلُوهَـا بِـالْيَقِينِ...»[4]. قـال المصـنف: «المجـاز الخامس: قولـه: «فـإذا لاحت لكم» مجـاز من جهـة أن اللـوح إنمـا يسـتعمل في المرآة، والسيف حقيقة، وهاهنا استعارة...، المجاز الثالث عشر: إسناد اللوح إلى

---

1 (?) الأربعون حديثًا السيلقية،22.
2 (?) الأنوار المضيئة، 1/ 297.
3)) ينظر: الطراز، 1/ 76.
4 (?) الأربعون حديثًا السيلقية، 27.

الشــبهة... من بــاب المجــاز المــركب من جهــة أن إســناده إلى الفعــل ليس حقيقة...»[1].

اللوح لفظة تستعمل في أصل اللغة في المرآة والسـيف، ثم اُسـتعيرت في الحديث النبوي لغير ذلك الاستعمال؛ أيْ اُستعيرت للشبهة، فكـان من بـاب مجـاز الإفراد، وفي الوقت نفسه أسند اللوح لغير فاعله الحقيقي المسـتعمل في أصـل اللغـة، فكـان من بـاب المجـاز المـركب، فحصـل اجتمـاع المجـازين في الجملـة الواحدة[2].

وهنا يمكن القول أن المصنف جعل المجاز نوعين:

الأول: المجاز المركب، ويقصد به المجاز العقلي، لأنه يقع في إسـناد الفعـل لغير فاعله الحقيقي.

الثاني: مجاز الإفراد، الذي يحصل في الألفاظ المفردة باستعمال اللفـظ في غير ما وضع له في حقيقة اللغة وأصلها.

ويتحقق كل واحد منهما بشكل منفرد في الجملـة، وقـد يجتمعـان في جملـة واحدة.

والمصنف يثبت في المسائل البيانية ما يراه صحيحًا، ولو خـالف سـابقيه من العلماء، ويورد الحجج والشواهد التي تؤيـد مـا ذهب إليـه من رأي، ومثالـه قولـه: «المجاز السادس: مجاز الإفراد، وهو قوله: «حصائد ألسنتهم»، وله توجيهان:

التوجيـه الأول: إن حصـيدة اللسـان مسـتدق طرفـه، وهي مسـتعارة من حصيدة السيف، وهي حدّه، فلما كان الكلام يجرح ويؤلم لاجرم استعير له، ويؤيـد هذا التأويل قوله تعالى: □ □□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □[3]، وقول من قال:

---

[1] (?) الأنوار المضيئة، 1/ 468، 469.

[2])) ينظر: الطراز، 1/ 75.

[3] (?) سورة الأحزاب من الآية 19.

وَكَلْمُ السَّـيْفِ تَدْمِلُـهُ فَيَبْـرَى   وَكُلْمُ الدَّهَرِ مَاْ جَرَحَ اللّسَـانُ[1].

التوجيـه الثـاني: إن المـراد بحصـائد الألسـنة ثمارهـا، فهـذا هـو الـذي ذكـره المنصور بالله، وقال: إن هذا من جملة الاستعارة الفصيحة، وهو جعل الكلام زرعًـا للسان[2]، وهذا فإن كان محتملاً لكنه مجاز بعيد، والمجاز البعيد مع المجاز القـريب كالمجاز مع الحقيقة، فلأجل هذا كان جملة ما ذكرناه أليق وأحسن»[3].

عندما شرح ما ذهب إليه من رأي في كون الحصـيدة مسـتعارة من حصـيدة السيف، أردف بذكر الجامع أو الملائم بين المستعار والمستعار له، والمتمثـل في كون كل من السيف والكلام يجرح ويـؤلم، ليكـون هـذا الملائم مسـوغًا يـدعم مـا ذهب إليه من رأي، ثم أورد شاهدين يؤكدان ذلك الأول من القرآن الكريم والثاني من الشعر، مع إيراده لرأي الإمام المنصور باللـه عبـد اللـه بن حمـزة، والمتمثـل في جعل الكلام زرع للسان، ولم يقطع ببطلانه، وإنما حمله على كونه من المجاز البعيد، ثم عقب بأن المجاز البعيد مع المجاز القريب كالمجاز مع الحقيقة؛ ليكـون هذا مؤكدًا لحسن ولياقة ما ذهب إليه من رأي.

الاستعارة الموشحة

يطلق المصنف على الاستعارة المرشحة الاستعارة الموشحة، ومنه قولـه: «المجاز الخامس: قوله: «فإذا لاحت لكم» مجاز من جهة أن اللوح إنما يسـتعمل في المرآة، والسيف حقيقة، وهاهنا استعارة.

المجاز السادس: قوله: الجلاء، فإنها تستعمل في صدأ السيف والمرآة، وهو

---

1 (?) البيت من الوافر، وقد ورد، ولم ينسب لقائل معين، ونصّه: وَجُـرْحُ السّـيْفِ يَدْمِلُـهُ فَيَبْـرَا وَيبْقِى الدَّهَرَ مَا جَرَحَ اللّسَانُ. ينظـر: البيـان والتبـيين، 1/ـ 167. لسـان العـرب، محمـد بن مكرم بن منظور، دار صادر، ط3، عام 1994م، بيروت، لبنان، مادة (دمـل). ملامح يونانيـة في الأدب العـربي، د. إحسـان عبـاس، المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنشـر، ط1، عـام 1977م، بيروت، لبنان، 139.

2 (?) ينظر: حديقة الحكمة النبوية، 92.

3 (?) الأنوار المضيئة، 1/ 297، 298.

هاهنا وارد على جهة المجاز لا غير...

المجاز الثاني عشر: لمّا استعار اللوح في الشبهة عقبه بالجلاء توشيحًا للاستعارة...، كما قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[1] على جهة الاستعارة، ثم عقبه بذكر الربح توشيحًا لهذه الاستعارة»[2].

الاستعارة المرشحة: هي التي قرنت بما يلائم المستعار منه دون ما يلائم المستعار له، وسميت بالمرشحة لترشيحها؛ أيْ تقويتها بذكر الملائم[3]، والاستعارة الموشحة كما قال المصنف هي الاستعارة المرشحة بعينها حيث حذف المستعار منه في الاستعارة (لاحت لكم شبهة)، وهو السيف أو المرآة، وأتى بشيء من لوازمه وهو اللوح، ثم عقبه بذكر الجلاء، والجلاء يلائم المستعار منه لا المستعار له، فظهر أن الاستعارة الموشحة عند المصنف هي الاستعارة المرشحة، ولكن لماذا كانت في مصطلح المصنف توصف بالموشحة ؟

عندما ذكر النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- لوح الشبهة عقبه بخصيصة من خصائص المستعار منه توشيحًا للاستعارة، فيكون بذلك قد وشّح الاستعارة وزينها فضلاً عن جمالها وحسنها بما ذكر من الأحكام الخاصة بالمستعار منه، وهو الجلاء، وهو مأخوذ من التوشيح، وهو ترصيع الجلد بالجواهر واللآلئ تحمله المرأة من عاتقها إلى كشحها، وهذا هو الوشاح[4]، واشتقاق التوشيح للاستعارة منه[5].

وثمة كلام في كتاب (من مباحث البلاغة والنقد بين ابن الأثير والعلوي) للدكتور نزيه عبد الحميد فراج عن وصف المصنف للاستعارة المرشحة

---

1 (?) سورة البقرة من الآية 16.

2)) الأنوار المضيئة، 1/ 468، 469.

3)) ينظر: شروح التلخيص، 4/ـ 130، ـ 131. حاشية الإنبابي على الرسالة البيانية للصبان، شمس الدين محمد بن محمد الإنبابي، المطبعة الأميرية ببولاق، عام 1315هـ، القاهرة، مصر، 428.

4)) ينظر: لسان العرب، مادة (وشح). الطراز، 1/ 237.

5)) ينظر: الطراز، 1/ 237.

بالموشحة حيث عدّه الدكتور نزيـه خطـأ في النقـل، وقـد سـمى عنـوان المبحث (خطأ العلوي في مفهوم ومصطلح الاستعارة المرشحة)، وقـال فيـه: «البلاغيـون جميعًا يسمون هذه الاسـتعارة (المرشـحة)، أو (الترشـيحية)...، إلا العلـوي، فإنـه يسميها (الموشحة)، ولولا أنه كرر ذكـر الاسـتعارة بهـذا الوصـف عـدة مـرات في كتابه (الطراز)، ولـولا تفسـيره للتوشـيح لقلنـا: إنّ الكلمـة قـد حـدث فيهـا تغيـير وتحريف، هذان الأمران يدلان على أن العلوي قد نقل الكلمة من (نهايـة الإيجـاز) للإمام الرازي، و(المصباح) لبدر الدين بن مالك محرفة، فبدل أن يقول: الترشـيح قال: التوشيح، ولم يدرِ أن الأخير غير مقصود للبلاغيين إطلاقًـا، ولا يطـابق معنـاه معنى تلك الاستعارة، وصاحب (الكشـاف) الـذي يـزعم العلـوي أن تفسـيره كـان الباعث له على تأليف كتابه ذكر اسم الترشـيح، وذكـر ملائم المسـتعار منـه ليس فيه تزيين وتحسين للاستعارة، لأن الاستعارة زائنة وحسنة وجميلـة في أصـلها...، وهذا يدل على أن الرجل ينقل مـا يجـده في الكتب سـواء كـان صـحيحًا أم خطـأ دون وعي منه وتمييز لما ينقله»[1].

إن الإمام يحيى بن حمزة قد اختار وصف هذا النوع من الاستعارة بالاستعارة الموشحة، وقوله هذا مشهور، لتفرده بـه، وهـذا التفـرد يمنـع أن يكـون نـاقلاً من غيره، لأنه يشترط في المنقول أن يكون مطابقًا للمنقول عنه، وعندما اختار هــذا الوصف كان يعي ما يقصده من توصيف، ويؤكده أنه علل هذا التوصـيف، نعم قـد اتفق البلاغيون على وصفها بالمرشحة، لعلـة مفادهـا أن الترشـيح هـو عبـارة عن تقويـة الاسـتعارة بـذكر ملائم المسـتعار منـه، وهـذا الاتفـاق لا يمنـع مـا جـاء بـه المصنف لا سيما أن وصف المصنف للاستعارة بالموشحة مطابق لحدها وتعريفها

---

[1])) من مباحث البلاغة والنقد بين ابن الأثـير والعلـوي دراسـة في التـأثير والتـأثر وتجـاوزات الفهم، د. نزيه عبد الحميـد فـراج، مكتبـة وهبـة، ط1، عـام 1997م، القـاهرة، مصـر، 154، 156، 157.

كما مرّ، وهنا يمكن القول ممّا لا يخفى على البلاغيين جمـال الاسـتعارة وحسـنها، وذلك لما تنطوي عليه من تناسي التشبيه، وادعـاء أن المشـبه من جنس المشـبه به، وفرد من أفراده مبالغة في اتصاف المشبه بوجه الشبه، فإذا كانت الاستعارة جميلة وحسنة فإنـه عنـدما يـؤتى بمـا يلائم المسـتعار منـه فإنـه يزيـد من جمـال الاستعارة وحسنها أو بالأصح يزينها على ما هي عليه من جمال وحسـن، كـالمرأة الجميلة الحسـناء الـتي توشـح بالجلـد المرصـع بـالجواهر تحملـه من عاتقهـا إلى كشـحها لـيزين ذلـك الجمـال والحسـن، ولـذا كـان وصـفها بالموشـحة، ووصـفُها بالموشحة وصف يذوب جمالاً وأناقـة وذوقًـا ولطفًـا لمـا ينطـوي عليـه من دلالات حسنة ورقيقة تتناغم مع الموصوف وتكسبه أبهة ورشـاقة، أكـثر ممًـا قـد تنطـوي عليه من وصفها بالمرشحة.

من شروط وقوع المجاز

إنَّ المصنف يرى أن من شروط وقوع المجاز في الألفـاظ أن يُسـبق بوضـع في أصل الاسـتعمال اللغـوي، وسـماه المعـنى الحقيقي، فيحصـل المجـاز عنـدما تخرج الألفاظ عن ذلـك المعـنى الحقيقي إلى معـنى آخـر، ولـذا جعـل علم اللغـة بمثابة الأصل الذي من خلالـه ينطلـق المحلـل والمتـذوق البيـاني لمعرفـة مواقـع المجـازات والتجـوازات، ويظهـر هـذا جليًـا في شـرحه للمجـازات الـواردة في الأحاديث النبوية الشريفة حيث يورد حقيقة الألفاظ في أصـل الاسـتعمال اللغـوي ثم يشرح ما حصل لها من تجوزات، ومنه قوله: «المجاز الثـاني: «إن السـير بكم سريع» استعارة أيضًا، فإن «السير» هو نقل الأقدام»[1]، وقولـه: «المجـاز الأول: الانقطـاع، فإنــه اسـتعارة ومبالغة أخـذه من انقطـاع الحبـل، وهـو أصـل فيـه،

[1])) الأنوار المضيئة، 1/ 230.

والانقطـاع إلى الـدنيا مجـاز أيضًـا»[1]، وقولـه: «المجـاز الأول: قولـه: «هـادم اللـذات»، فـإن الهـدم إنمـا يسـتعمل في الأبنيـة، وهـو هاهنـا مجـاز»[2]، وقولـه: «الاستعارة الأولى: قوله: «لا تعطوا الحكمة»، فالإعطـاء هاهنـا اسـتعارة حسـنة؛ لأن حقيقة الإعطاء المناولة، وهذا لا يتعقل في الحكمة، فلهذا كانت مجازًا»[3].

لمّا كان كـل من السـير والانقطـاع والهـدم والإعطـاء قـد ورد في الأحـاديث النبوية الشريفة للدلالة على غير ما وضع له في أصل اللغة فقد خـرج عن معنـاه الحقيقي إلى المجاز، وغير ذلك أن المجاز قد يكون في حذف الموصوف وإقامــة الصفة مقامه، حيث قـال: «الاسـتعارة الثانيـة: حـذف الموصـوف وإقامـة الصـفة مقامه، في قولـه: «إنمــا أنتم خلــف ماضــين» أيْ: قــوم ماضــين وبقيــة قــوم متقدمين؛ ووجه الاستعارة هـو أن المقصـود إنمـا هـو الصـفة، فلأجـل هـذا طـرح موصوفها لما كان الغرض الاستعجال بذكرها»[4].

من المعلوم أن جماعة المخاطبين لهم اسم جامع يخـاطبون بـه، فـإذا عُـدل عنه في مخاطبتهم إلى مخاطبتهم بصفتهم كما في الحديث النبوي الشريف حيث خاطبهم النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- بصفتهم «خلف ماضـين»، فقـد طـرح الموصوف وأقـام الصـفة مقامـه، فيكـون ذلـك عـدول عن الحقيقـة إلى المجـاز، وفضلاً عمّا سـبق من المجـازات، فـإن من المجـاز المجـاز المرسـل القـائم على علاقة المسـببية، حيث قـال: «المجـاز الأول: الإتيـان هاهنـا هـو عمـل القـبيح في الدنيا، وظاهر الخبر دال على أنها حاصـلة في الآخـرة، وليس الأمـر هكـذا، وإنمـا جعل المسبب، وهو العذاب حاصلاً في يوم القيامـة، فلهـذا قـال: «يـؤتى ... يـوم

---

[1])) نفسه، 1/ 288.

[2])) نفسه، 1/ 327.

[3])) نفسه، 1/ 387.

[4])) الأنوار المضيئة، 1/ 597.

القيامـة»، والإتيـان: هـو في الـدنيا، فهـذا مجـاز لا محالـة وضـع المسـبب مكـان السبب»[1]، الأصل أن عمل القبيح يحصل في الدنيا، وعمل القـبيح في الـدنيا هـو سبب في العذاب يوم القيامة، فكان عذاب يوم القيامـة مسـببًا عن عمـل القـبيح في الدنيا، ولمّا كان العذاب حاصلاً يوم القيامة عن سبب عمل القبائح في الـدنيا، فقد أُقيم المسبب مقام السبب، فخرج عن حقيقته إلى المجاز.

المجاز بالزيادة والنقصان

يكون المجاز بالزيادة والنقصان، ومثاله قوله: «الاستعارة الأولى: قوله عليـه السلام : «أيها الناس» إنما حذف حرف النداء على جهة المجاز بالنقصان.

الاستعارة الثانية: العموم للخصوص بقوله: «النـاس»؛ فإنّـه عـام مسـتعمل للخصوص؛ لأن المقصود هو من يخاطبه في ذلك المقام إطلاق السفر على جهــة التجوز على الأموات، واستعارة «عمّا قليل» تجوز بالزيادة في «ما» »[2].

إن أصل استعمال أسلوب النداء في اللغة أن يكون بأداة النداء، فإذا حـذفت الأداة، فإنه خروج عن ذلك الأصل بنقص أداة النداء من أسلوب النداء، فكان ذلك مغايرًا لأصل استعمال أسلوب النداء في أصل اللغة، وبهذا جعله المصـنف مجـازًا من جهـة النقصـان؛ أيْ نقصـان الأسـلوب من بعض مكوناتـه وهي الأداة، وكـذلك الحال في زيادة «ما» حيث جعل هذه الزيادة من المجاز لأنها خـالفت اسـتعمالها في أصل اللغة، مع العلم أن هذه الزيادة والنقصان قد وردت في الحديث النبــوي لغرض بلاغي سوف توضح في موضعها المناسب من هذه الدراسة.

مجازية دلالة الألفاظ على العموم والخصوص

في الكلام السابق للمصنف عن النقصان كلام أظهر أن المجازات قد تحصــل

---

[1])) نفسه، 1/ 467.
[2])) نفسه، 1/ 179.

من سَوْق ألفـاظ العمـوم لمعـنى الخصـوص؛ حيث أن لفظـة «النـاس» عامـة في الحقيقــة لكن في الحــديث النبــوي ســيقت للخصــوص؛ أيْ لمخصوصــين هم من يخاطبهم النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- حين المخاطبة في ذلك المقام النبوي، فحصل أن كان استعمال لفظة «الناس» للدلالة على الخصـوص من المجـاز، ومن هذا القبيل قـول المصـنف: «المجـاز الخـامس: قولـه: «لكـل عمـل جـزاء»، فـإن العموم هاهنا يُـراد بـه الخصـوص؛ لأنّ المباحـات من جملـة الأعمـال، وليس عليهـا جزاء، فلهذا كان العموم واردًا على جهة المجاز والاستعارة»[1]، وهنا أخـرج اللفـظ عن حقيقتـه إلى كونـه مجـازًا لامتنـاع حصـوله على جهـة الحقيقـة حيث إن الأخـذ بحقيقة العموم في «لكل عمل جزاء» في الحديث سيكون الجزاء واقعًـا من قِبـل الله على كل عمل قام به العبـد، فتـدخل المباحـات من جملـة العمـل الـذي عليـه جـزاء، والجـزاء على المباحـات ممتنـع، ولـذا لـزم القـول أن العمـوم في الحـديث للخصوص، وخروجه عن العموم جعله من المجاز، فحمله على المجاز لأن الأعمـال التي يجازى عليها العبد ما كان من قبيل فعل الواجبات، وترك المحرمات، وما كان من قبيـل فعـل المنـدوبات، وتـرك المكروهـات، فيسـتحق عليهـا العبـد الثـواب، ويستحق العقاب على فعل المحرمات، وترك الواجبات[2].

مجازية الحروف

للمجاز مدخل في الحروف حيث قال المصنف: «المجاز الثاني: اللامـان في نحو قوله: «كتب له»، و«قدر لـه» إنمـا حصـلا على جهـة المجـاز؛ لأنهمـا حقيقـة للملك ولا ملك هاهنا، فلهذا كانا مجازين

المجاز الرابع: قوله: «في القنوع»، وقوله: «في الاقتصاد»، و«في الزهــد»،

---

[1])) الأنوار المضيئة، 1/ 343.

[2])) ينظر: نفسه، 1/ 349، 350.

فإن «في» هاهنا واردة على جهة المجـاز؛ لأنهـا للمكـان والظرفيـة، وليس هاهنـا حقيقة للظرفية»[1]، وقال في موضع آخر: «وقد حصـل التجـوز هاهنـا في الاسـم والفعل والحرف، فــ «تواضع» مجـاز، و«عن» مجـاز، والرفعـة: مجـاز لاسـتعمال كل واحد من هذه الألفاظ في غير معناها وموضعه، فلهذا قضينا بكونها مجازات.

الاستعارة الثانية: قوله: «عن غنية،... وعن قوة،... وعن قدرة»، فـإن اسـتعمال الحرف الذي هو «عن» إنما هو على جهة المجاز؛ لأن المجاوزة هاهنـا لا حقيقـة لهـا؛ لأن هذه الأمور لا تعقل فيها المجاوزة»[2].

يظهر من كلام المصنف الآنف ذكره أن المجاز يقع في الحرف كما يقــع في الاسم والفعل، وذلك أن الحرف له دلالة واحدة حقيقية استعملت في أصل اللغة، فإن خرج الحرف عن هذه الدلالة إلى معـنى آخـر فإنـه يُعـد من المجـاز، فحـرف الجر «اللام» حقيقته للملك، فلمّا خـرج في الحـديث النبـوي الشـريف في «كتب له...، وقُدّر له» عن معناه الحقيقي كان من جملـة المجـاز، وحـرف الجـر «في» حقيقته في أصل الاستعمال اللغوي للظرفية، فلمّا خرج عن ذلك في قوله صــلى الله عليه وآله وسلم «في القنوع»، و«في الاقتصاد»، و«في الزهـد» كـان وروده في الحديث مجازًا، وحرف الجر «عن» في أصـل الاسـتعمال اللغـوي للمجـاوزة، ولم يـدل على ذلـك في الحـديث النبـوي في «عن غنيـة،... وعن قـوة،... وعن قدرة» بمعنى أنـه لم يسـتعمل في الحـديث النبـوي للدلالـة على معنـاه الحقيقي فدل على معنى مجازي، وكذلك في حرفي الجر «إلى والباء» في قوله: «المجاز الثـالث: حـرف الجــر في قولـه: إلى باطنهـا وإلى ظاهرها، فـإن «إلى» أصـلها وحقيقتها للغاية التي ينقطع عندها التصرف، وهذا ليس حاصلاً هاهنـا، فلهـذا كـان

---

1 (?)الأنوار المضيئة، 1/ 343.
2 (?) نفسه، 1/ 432.

مجازًا.

المجاز الرابع: «الباء» في قوله : بالآجل والعاجل، فإن حقيقتها للإلصاق، ولا معنى للإلصاق هاهنا؛ لأن الإلصاق إنما هو المضامة والملامسة، وهما غير حاصلين، فلهذا حكمنا بالمجازية كما ترى»[1].

إن حرف الجر «إلى» يستعمل في أصل اللغة للغاية، وهذه الدلالة الحقيقية ليست حاصلة فيه عند وروده في الحديث النبوي فكان مجازًا، ولأن الباء قد وردت في الحديث النبوي للدلالة على غير الالصاق فلا جرم كانت مجازًا.

وهنا يمكن القول: إن ضابط المجاز اللغوي وحدّه عند المصنف حاصل في استعمال الشيء في غير ما وضع له في أصل اللغة؛ سواء حصل في الاسم أم الفعل أم الحرف أم الإسناد.

مجازية ما خالف القياس الصرفي المطرد

لقد توسعت دائرة المجاز عند المصنف، وبلغت إمكانية حصوله إلى ما خالف المطرد من الاستعمال الصرفي، ومثاله قوله: «المجاز الثالث: قوله: «محصية»؛ فإنه وارد على جهة المجاز، بالإضافة إلى ما اطرد في الاستعمال من إعلاله، فصار مجازًا بالإضافة إلى الاستعمال المطرد»[2]. القياس الصرفي المطرد في «محصية» أن (الواو) و(الياء) إذا تحركتا وانفتح ما قبلهما قلبتا ألفين[3]، كقولك في الأفعال: غزا ورمى، وفي الأسماء: عصا ورحى، فكان القياس الصرفي المطرد في «محصية» أن يقال: «محصاة»، فكان ورودها مخالفة لذلك القياس من المجاز، وإنما جاء بها النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- على الأصل منبهًا به على أن الإعلال في الأفعال أصل، وهو في الأسماء دخيل،

---

[1])) نفسه، 1/ 552.

[2] (?) الأنوار المضيئة، 1/ 343.

[3])) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، 3/ 95، 96.

وإنما أُعلت الأسماء بالقلب لمّا كانت ضاربة بعرق في الأفعال بالاشتقاق منها[1]، فكان خروج «محصية» عمّا اطرد من قياس في الاستعمال الصرفي مجازًا بالإضافة إلى الاستعمال الصرفي.

المجاز بالإضافة إلى العرف الشرعي

إن الحقائق اللغوية هي تلك الألفاظ التي دلت على معانٍ مصطلح عليها في الأوضاع اللغوية، فإن استعملت في معناها الأصلي فهي حقيقة، وإن استعملت في غيره فهي مجاز بالإضافة إلى حقائقها اللغوية[2]، فإذا ظهر هذا يمكن التساؤل ماذا يقصد المصنف بقوله مجاز بالإضافة إلى العرف الشرعي؟ وذلك في قوله: «الاستعارة الثانية: وصف الحكمة بكونها مظلومة مجاز، واستعارة؛ لأن الظلم هو الضرر الخالي عن النفع، وهذا لا يتأتى في حقّ الحكمة، فإطلاق الظلم عليها يكون مجازًا بالإضافة إلى العرف الشرعي في الظلم»[3].

إن اللفظة التي يستفاد من جهة الشرع وضعها لمعنى غير ما كانت تدل عليه في أصل وضعها اللغوي فهي حقيقة شرعية؛ بمعنى أن الشرع قد نقلها إلى إفادة معانٍ أُخر فصارت حقائق في معانيها الشرعية[4]، والظلم في اللغة: وضع الشيء في غير موضعه[5]، وفي لسان حملة الشريعة الظلم: هو الضرر العاري عن جلب منفعة أو دفع مضرة تزيد عليه من استحقاق[6]، وفي الحديث النبوي الشريف عندما وصف الحكمة بكونها مظلومة هي حقيقية من جهة اللغة، لأن

---

1)) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 341.
2)) ينظر: الطراز، 1/ 51.
3)) الأنوار المضيئة، 1/ 387.
4)) ينظر: الطراز، 1/ 55، 56.
5)) ينظر: مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتّاب العرب، عام 2002م، دمشق، سوريا، مادة (ظلم).
6)) ينظر: التاج المذهب لأحكام المذهب شرح متن الأزهار في فقه الأئمة الأطهار، أحمد بن قاسم العنسي، ط1، عام 1947م، صنعاء، الجمهورية اليمنية، 3/ 305.

الظاهر من كلامه صلى الله عليه وآله وسلم لا تضعوا الحكمة في غـير موضـعها، ولكن من جهة العرف الشرعي فوصف الحكمة بكونها مظلومة مجاز، لأنه يخالف حقيقة الظلم في العرف الشرعي، ولذا كان وصف الحكمة بأنهـا مظلومـة مجـاز بالإضافة إلى العرف الشرعي لا من جهة العرف اللغوي.

من غايات المجاز

لكي لا يتوهم القـارئ أن المصـنف سـعى عنـد شـرح مـا تضـمنت الأحـاديث النبوية الشريفة من مباحث علم البيان إلى استنباط الصور البيانية وتحديد مواضع ورودها مع تحديد أنواعها ليس إلا، لزم إظهار جهـود المصـنف فيمـا يخص نظرتـه لحسن وعظمة وفوائد وغايات الصور البيانية الواردة في الأحاديث النبويـة، ومنـه قوله: «المجاز الأول: قوله: «أما رأيت المأخوذين على الغِرَّة»، فإن ما هذا حالــه من أحســن الاســتعارات، وأعظمهــا في البلاغة، وأوقعهــا في الدلالــة على أنهم أخرجوا من الدنيا وهم على غير أهبة ولا أخذ عدّة، فجاءهم الموت فجـأة، فيجمـع هذه المعاني وغيرها قوله: «المأخوذين على الغِرَّة»، ولـو أتى بالحقـائق لم يعـط هذا المعنى، فهذه هي فائدة المجازات، فإن قولك: رأيت الأسد، أدخل في إفــادة الشجاعة من قولك: رأيت الشجاع، ومـا ذاك إلا من جهة اسـتعمال المجـاز الدّال على المبالغة.

المجاز الثاني: قوله: «المزْعجين بعـد الطمأنينـة» هي اسـتعارة رشـيقة لمـا تضمنته من الإسراع والمعاجلة والقلق في سرعة الأخذ بعـد التمكن والاسـتقرار، وهو ألمّ ما يكون للنفوس وأبلغ في المشقة.

المجــاز الثــالث: قولــه: «أقــاموا على الشــبهات» اســتعارة لتمكنهم منهــا، واستغراق أعمارهم على الإكباب عليها، والاستمرار على فعلها.

المجاز الرابع: قولـه: «وجنحـوا إلى الشـهوات» اسـتعارة أيضًـا لميلهم إليهـا وإصغائهم إلى شغل قلوبهم وحواسهم بها، ومنه جناح الطـائر؛ لأنـه يميـل بـه إلى كل جهة في طيرانه»[1].

إن المجـاز يعظم شـأنه عن الحقيقـة في التعبـيرات من جـوانب عـدة منهـا دلالته على المبالغة، وقدرته على إظهار المقصد بأوجز العبارات وأبلغها وأحسنها، وقد أبرز المصنف ذلك في المجازات الواردة في الحديث النبـوي، وذلـك في أنـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم لـو أتى بالحقـائق لم يعـط المعـنى الـذي أنتجـه «المأخوذين على الغِرَّة»، وقد أظهر المصنف بلاغة النبي- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- في اسـتخدام اسـتعارة «المزْعجين بعـد الطمأنينـة»، والـتي من شـأنها الدلالـة على مـا هـو أبلـغ في النفـوس مشـقة من خلال الإسـراع والمعاجلـة في سرعة الأخذ والتمكن والاسـتقرار، وقـد أظهـر المصـنف- أيضًـا- حسـن اسـتعارة «وجنحوا إلى الشهوات»، وذلك في كـون اسـتعارة جنح الـذي منـه جنـاح الطـائر الذي يميل به إلى كل جهة عند طيرانه، ففيه تخير حسن حيث قد شـغلوا قلـوبهم وحواسهم بالشهوات إلى حد أنهم يميلون إلى كل جهة فيها شهوات.

ومن ذلك في موضع آخر أظهر المصنف مغزى استعمال النـبي- صـلى اللـه عليه وآله وسلم- (يا) النداء للقريب تجوزًا في نداء (النـاس)، وهي موضـوعة في اللغة للبعيد، وذلك لمّا كان الناس بمنزلة البعيد بالإضافة إلى الغفلة والذهول عمّا يُراد بهم في الحياة الدنيا[2].

ومن غايـات المجـاز- الـتي شـرحها المصـنف- أنـه يفتح النص النبـوي على المتعـدد من المخـاطبين في أزمنـة وأمكنـة متعـددة، ومثالـه قـول: «الاسـتعارة

---

[1] (?) الأنوار المضيئة، 1/ 362.
[2])) ينظر: نفسه، 1/ 179.

الأولى: قوله: «إنما أنتم» فالخطاب إنما هو للحاضرين، فمن كان في زمنه صلى الله عليه وآله وسلم، ومن يتلوه من بعده فقد صار مستعملاً في الخطاب وغيره، وظاهره وحقيقته للمخاطبين، وهو شامل للكل، فلا جرم كان استعارة كما ترى»[1].

لو حمل المصنف نص النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- «إنما أنتم» على جهة الحقيقة لكان فيه إجحاف، بمعنى أنه لو حمله على أنه خطاب للحاضرين في حضرته صلى الله عليه وآله وسلم في زمان ومكان المخاطبة لكان فيه تجميد، وإنما نظر إلى كونه ينطوي على مجاز ممّا منح النص النبوي الديناميـة والانفتاح على المتعدد من المخاطبين في حضرته وما يتلوهم إلى أن تقوم الساعة، ومن شأنه أيضًا أن ينفتح على المتعدد من الأزمنة والأمكنة، فهو بذلك كلام لمن كان في مكان الحضرة النبوية لحظة إلقائه وللذين في الأزمنة اللاحقة فضلاً عن بلوغه كل مكان في تلك الأزمنة المتلاحقة[2].

أحكام المصنف البيانية العامة

كما أن البلاغيين قد جعلوا بيت حسان بن ثابت- أنصف بيت قالته العرب- والذي قال فيه:

أَتَهْجُوْهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفءٍ فَشَرُّكُما لِخَيرِكُمَا الفِداءُ[*].

فإن المصنف قد أورد في النص النبوي من هذا القبيل حيث قال: «وقوله: «لعن الله أعصانا لربه» فيه غاية الإنصاف؛ لأن كل من عصى فهو مستحق للعقاب من جهة الله تعالى، واللعن والطرد... وهكذا مقال الدنيا بلسان الحال،

---

[1])) الأنوار المضيئة، 1/ 596.

[2])) ينظر: الخطاب والنص "المفهوم- العلاقة- السلطة"، د. عبد الواسع الحميري، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، عام 2008م، بيروت، لبنان، 45، 207، 208.

فيه غاية الإنصاف لمن لعن الدنيا، ولو قالت الدنيا: لعن الله من لعنني لكان ذلـك جزافًا لا وجه له، فلما قالت هذه المقالة عرف بها مقصد الإنصاف»[1].

لم يكن حكم المصنف على ذلك القول حكمًا عامًا مجازفًا به بل كـان حكمًـا معللاً، وذلك في كون مقالة الدنيا «لعن الله أعصانا لربه» جعلت معيار اللعن هـو العصيان لله وليس لعنها، على الرغم أن العبد يتمسك بخيـوط واهيـة حيث يقـول إن الدنيا هي من تجعله يعصي الله وذلك بما فيها من مغريات فهي العاصية فكان هذا مسوغًا للعنها، ولكن الدنيا قـد أنصـفت بعـدم لعن من لعنهـا بـل جـرعت من يلعنها من الكأس الذي حاول أن يجرعها حيث جعلت معيار اللعن هو عصيان الله، ثم استشهد المصنف بعد سوق هذه المسألة ببيت حسان الآنف ذكره.

والمصنف بعد أن يشرح ما تضمنت الأحاديث النبوية من صور بيانية، فإنه قد يختم بحثه بإصـدار حكم على تلـك الصـور الـتي شـرحها، ومثالـه: «فقـد اشـتمل الحديث على هذه الاستعارات الـتي بلغت في الرشـاقة والحسـن كـل غايـة، ومـا ذاك إلا لأنــه قــد صــار قمــر البلاغــة وهلال هالتهــا، وشــمس الفصــاحة، وطــراز غلالتها»[2]، وهذا الحكم قد استند إلى ما شـرحه وأظهـره من صـور بيانيـة وردت في الحديث؛ بمعنى أنه لم يكن حكمًا مجازفًا بـه بـل كـان حكمًـا مسـبوقًا بالأدلـة الواضحة.

وأخيرًا لقد جعل المصنف التشبيه المضمر الأداة- التشبيه البليـغ- الـذي لـو قُدّر فيه آلة التشبيه لنزل قدره، ولخرج عن ديباجة بلاغته من المجـاز، ونظـر إلى كـون الكنايـة من المجـاز، ليسـت من الحقيقـة في شـيء، لأن الأخـذ بـالمعنى الحقيقي في الكناية يجعلها بلا قيمة جماليـة وبلا غـرض في السـياق الـذي وردت

---

[1] (?) الأنوار المضيئة، 1/ 313، 314.
[2])) الأنوار المضيئة، 1/ 205.

فيه.

أما مجاز الإفراد فهو ما يقـع في الألفـاظ المفـردة، فـإذا حصـل المجـاز في الإسناد فهو المجاز المركب، وذلـك لأن الإسـناد لا يقـع إلا في التركيبـات، وجعـل إمكانية تحقق كل واحد منهمـا على حـدة في الجمـل، وقـد يجتمعـان في موضـع واحد، وقد أطلق على الاستعارة المرشحة موشحة أخذًا من التوشيح، وهو ترصيع الجلـد بـالجواهر تحملـه المـرأة من عاتقهـا إلى كشـحها، وقـد كـان حـد المجـاز وضابطه عند المصنف هو استعمال الشيء في غير ما وضـع لـه في أصـل اللغـة، وكان يسـميه المعـنى الحقيقي، سـواء كـان الاسـتعمال في الإسـناد لغـير فاعلـه الحقيقي أم كان في حذف الموصـوف وإقامـة الصـفة مقامـه أم كـان في إقامـة المسـبب مقـام السـبب أم كـان بالنقصـان أو الزيـادة أم كـان في إيـراد العمـوم للخصوص، وقد اتسعت دائرة المجاز عند المصنف ليضـاف إلى مجازيـة الأسـماء والأفعال مجازية الحروف التي استعملت للدلالة على غير ما وضعت له في أصل اللغة، فضلاً عن الألفاظ التي خرجت عن القياس الصرفي المطرد، وكان كـل مـا سبق من المجاز اللغوي، أما ما خرج عن حقيقة الاصـطلاح الشـرعي فهـو مجـاز من جهة العرف الشرعي.

ولم تكن جهود المصنف مقتصرة على هذا بل تعدت إلى النظر إلى القيم الجمالية للصور البيانية وغاياتها وفوائدها، وقد يتوج بحثه البياني بخاتمة تحمل في طياتها حكمًا يظهر مدى بلاغة النص النبوي، وحسن مواقع الصور البيانية فيه.

المبحث الثالث

جهوده في علم البديع

لقد ذكر الإمام يحيى بن حمزة أنَّ علم البديع علم يختص بالفصاحة والبلاغة، ولا يختص علم البـديع بشـيء سـواهما، وعلّـة اختصـاص علم البـديع بالفصـاحة والبلاغة في نظر المصنف، في كونه يرى أنَّ علم البـديع هـو الغايـة القصـوى في تحسين الكلام، ولولاه لم تر لسانًا يحوك الوشي من الكلام[1]، فيـا تُـرى لمَ جعـل المصنف علم البديع هو الغاية في تحسين الكلام ؟

إن المصنف انطلـق في حكمـه على أنَّ علم البـديع هـو الغايـة في تحسـين الكلام من منطلق اعتبار علم الإعراب أخصّ من علم اللغة، وعلم المعـاني أخصّ من علم الإعـراب، وعلم البيـان أخصّ من علم المعـاني، وعلم البـديع أخصّ من علم البيـان[2]، فيكـون الحاصـل من هـذه التخصيصـات؛ أنَّ علم البـديع هـو أخصّ علوم العربية، فلزم أنْ يكون هذا العلم- علم البديع- الغاية في تحسين الكلام من منطلق هذه التخصيصات، ثم إنَّ المصنف قد نظر إلى علم البديع بأنـه الغايـة في تحسين الكلام من جهـة اختصاصـه بالفصـاحة والبلاغـة؛ وللتعـرّف على مـا شـرح المصنف من مباحث علم البديع التي تضمنت الأحاديث النبوية الشريفة، لا بـد من التعرّف- أولاً- على ما تختص به الفصاحة والبلاغة، والفـروق الحاصـلة بينهمـا في نظر المصنف.

ماهية الفصاحة والبلاغة

لقد أنكر المصنف أنّ الكلام الفصيح والبليغ ما لم يكن سلسًا مألوفًا، وجعلـه بالعكس؛ فـالكلام الفصـيح والبليـغ مـا كـان في غايـة السلاسـة بـدليل أنَّ ألفـاظ

---

[1])) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 159.

[2])) ينظر: نفسه.

القرآن الكريم والسنّة النبوية الشريفة في غاية السلاسة، وحسن التأليف والرقّـة والعذوبة[1]، وعندما شرح ما تضمنته الأحـاديث النبويـة الشـريفة من مبـاحث علم البديع، فإنه أظهر مـا انطـوت عليـه الفصـاحة والبلاغـة، فـبرز من كلام المصـنف مؤشرات تظهر ما تختص به الفصـاحة والبلاغـة، والفـروق بينهمـا، ومثالـه قولـه: «الأسلوب الثالث: الفصاحة اللفظية، وأنت إذا جـردّت الفكـرة في مفـردات هـذا الحـديث وجـدتها في غايـة الخفّـة والسلاسـة، ليس فيها ثقل، ولا في تـركيب الحـروف تنـافر، وإذا نظـرت أيضًـا في تـأليف هـذه المفـردات وجـدتها في غايـة الحسن والرشاقة...

الأسلوب الخامس: البلاغة المعنوية، وأنت إذا فكرت في سياق هذا الحديث، وما تضمنه من المعاني البالغة في الوعظ والدالة على الزجر ما فيه الكفايـة من الوعظ لمن اّتعظ، وبلاغ لمن ازدجر، ولنقتصر على ما أوردنـاه، ففيـه كفايـة لمن كان له أدنى ذوق في علوم البلاغة»[2].

يظهر من كلام المصـنف أنَّ البلاغـة تختص بمعـاني التركيبـات دون الألفـاظ المفـردة؛ أيْ أنهـا تحصـل في المعـاني الناتجـة من الكلام المـركب على هيئـة مخصوصة ونسق متفرد، والمعاني البلاغية التي تتحقـق في التركيبـات، لا بـد لهـا من ألفاظ حسنة، لأنَّ التركيبات تبنى بألفـاظ، وإذا كـانت التركيبـات لا تحصـل إلا بألفـاظ، فـإنَّ الكلام لا يوصـف بكونـه بليغًـا إلا إذا جمـع حسـن اللفـظ، وجـودة المعنى[3]

أمـا الفصـاحة، فهي من عـوارض الألفـاظ بالإضـافة إلى معانيهـا المفـردة والمركبـة هـذا إجمـال؛ وتفصـيله الفصـاحة تختص بـالمفردات من حيث خفتهـا

---

1)) ينظر: نفسه، 1/ 181.
2)) الأنوار المضيئة، 1/ 469.
3 (?) ينظر: الطراز، 1/ 125.

وسلاستها وخلوها من الثقل وتنافر الحروف فضلاً عن معانيها- في حالـة الإفـراد- التي لا يمجها السمع، وينبو عنها الطبع، وهـذا قبـل وضـعها في الـتركيب، وتختص الفصاحة أيضًا بمعاني الألفاظ في التركيب، وهذا التأويل يُظهـره، ويؤكـده قولـه: «وإذا نظرت أيضًا في تأليف هذه المفردات وجدتها في غاية الحسن والرشاقة»، فهو لا يقصد إلا أن معاني الألفاظ في سياق الحديث النبوي في غاية الحسن.

وهنا يمكن القول لقد جعل المصنف الفصاحة من متعلقـات الألفـاظ باعتبـار ما دلّت من حسن المعنى ورشاقته، والبلاغة جعلها مختصة بالكلام المركب الـذي يجتمع فيه حسن اللفظ وجودة المعنى[1]، فتكون الفروق الظاهرة أنَّ البلاغة أعمّ من الفصـاحة، فكـل كلام بليـغ لا بـد أنْ يكـون فصـيحًا، ولا يلـزم في كـل ألفـاظ فصـيحة في الكلام أن تكـون موصـوفة بالبلاغـة، والبلاغـة ورودهـا في المعـاني الحاصلة من التركيب دون معاني الألفاظ المفردة، والفصاحة تكـون في الألفـاظ المفردة ومعانيها كما تكون في معاني الألفاظ حـال ورودهـا في الكلام المـركب، ولذا توصف الكلمة المفردة بأنها فصيحة، ولا توصف بأنها بليغة[2].

وفيمـا يخص الفصـاحة، فـإن المصـنف خصّ بعض الأحـاديث بكـون ألفاظهـا جزلة، وفي أحـاديث أخـرى قـال إن ألفاظهـا غايـة في الرقّـة، ومثالـه قولـه- في جزالة ألفاظ الحديث الثاني-: «فأنت إذا أعملت الفكـرة في سـياق هـذا الحـديث وجدته قد أحرز نهاية الوعظ، وأرشد إلى المصالح الأخروية، والآداب الدينيـة، ولم يألُ جهدًا في الترغيب، والترهيب مع جزالة الألفاظ، وبلاغـة المعـاني»[3]، ومثالـه قولـه- في رقّـة ألفـاظ الحـديث الثـالث عشـر-: «النكتـة الثالثـة: الفصـاحة في الألفاظ، فإنك إذا فكرت في مفردات هذا الحديث وجدتها في غاية مـا يكـون من

---

[1])) ينظر: نفسه، 1/ 125، 130، 130.
[2])) ينظر: الطراز، 1/ 133.
[3])) الأنوار المضيئة، 1/ 192.

الرقّة والسلاسة والخفّة على الأسماع لم تختصّ بالنزول، فيكون فيها ركّة وثقل ولأدخلت في الغرابة، فيكون فيها عنجهانية وتقعر»[1]، وهنا يتبادر سؤال: أتخصيصه قائم على رؤية تعتمد على أسس أم هو حكم عام ليس إلا ؟

إنَّ المقصود بالجزالة في اللفظ أنْ يكون مستعملاً في قوارع الوعيد ومهولات الزجر وأنواع الوعيد، والمقصود بالرقّة في اللفظ أنْ يكون مستعملاً في الملاطفات واستجلاب المودة والبشارة بالوعد[2]، وقد وضّح النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- في الحديث الثاني أنْ عزّ الدنيا لا يدوم مع العبد لأنّ الذل يتعقبه، وأنّ الحياة بما تنطوي عليه من تنافس على عزّها وشرفها الزائلين يتعقبها الموت، وذكر أنَّ العقاب مترتب على عمل السيئات، وإسلام العبد للعذاب مترتب على أعمال العبد غير المقبولة عند الله- سبحانه وتعالى-[3]، فحصل أن ألفاظ الحديث قد استعملت في قوارع الوعيد ومهولات الزجر، ولذا وصف المصنف ألفاظ الحديث بالجزالة.

وفي الحديث الثالث عشر دعا النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- بالرحمة لمن أنفق إنفاقًا يأجره الله- سبحانه وتعالى- عليه، ونزّه لسانه عن الكذب، وأمسك بزمام شهواته، وتغلب عليها، وخالف هواه ونفسه الأمارة بالسوء[4]، فحصل أنَّ هذه الألفاظ التي وردت في الحديث قد استعملت في الملاطفة بالدعاء، والبشارة بالوعد، ولذا وصفها المصنف بالرقّة.

الجناس

بعد ظهور اختصاص البلاغة بالمعاني والفصاحة بالألفاظ، وأنَّ البلاغة أعمّ

---

1)) نفسه، 1/ 364.
2)) ينظر: الطراز، 1/ 115، 116.
3)) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 187- 190.
4)) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 368، 369.

من الفصاحة، وانقسام الألفاظ إلى جزلة ورقيقـة، فإنـه يمكن النظـر فيمـا يخص المحسنات البديعية اللفظية، حيث تناول المصـنف مواضـع ورودهـا في الأحـاديث النبوية، فعن التجنيس- الجناس- أظهر المصنف مواضع وروده، مع تحديد أنواعـه، ومنه قوله: «الأسلوب الثاني: من كلامه التجنيس، فقولـه: «أفضـل»، و«أفضـل» من التجـــنيس، وقولـــه: «إنّ»، و«إنّ» من الجنـــاس، وهكـــذا قولـــه: «أعلى»، و«أعقل» من التجنيس الناقص، فأما «أفضل» و«أفضـل» من التجـنيس الكامـل كما ترى»[1].

لقد جعل المصنف التجنيس على نوعين:

النوع الأول: التجنيس الكامل، ويحصل في تكرار لفظة بعينها مـع تفـرد كـل واحدة منهما بمعنى يخالف الأخرى[2]؛ فـــ (أفضـل) تكـررت مـرتين، ولكن الأولى دلّت على أن الأفضـل من تواضـع وزهـد وأنصـف وحلم، والثانيـة دلت على أن الأفضل من اكتفى من الدنيا باليسير المُبلغ[3]، فاختلفت صـفات المفضـل في كلا التفضيلين ، فحصل اختلاف المعنى في اللفظتين مع اتفاقهمـا في عـدد الحـروف وترتيبها ونوعها وحركتها، ولذا كان تجنيسًـا كـاملاً، والحـال نفسـه في (إنّ)، حيث جاءت (إنّ) الأولى لتأكيد معنى التفضيل الأول، وجاءت (إنّ) الثانيـة لتأكيـد معـنى التفضيل الثاني، وإذا ظهر اختلاف التفضيلين الأول والثاني من جهة صـفات العبـد المفضل، فإن هذا الاختلاف واقع في التأكيد بـــ (إنّ)، فكان تجنيسًا كاملاً.

النوع الثاني: التجنيس الناقص، ويحصل عندما يفقد الجناس الكامل أحد تلك الاتفاقـات سـواء في عـدد الحـروف أم ترتيبهـا أم في بعض أنـواع الحـروف أم

---

[1])) نفسه، 1/ 433.
[2])) ينظر: الطراز، 2/ 355، 356.
[3])) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 434- 454.

حركتها[1]، كما هو ظاهر في (أعلى)، و(أعقل)، فقد حصل الاختلاف في نوع بعض الحروف، ممّا أخرجه من التجنيس الكامل إلى التجنيس الناقص.

الترصيع

من المحسنات اللفظية الواردة في الأحاديث النبوية الشريفة الترصيع، وقد بيّن المصنف مواضع ورودها، شرحها، ومنه قوله: «الأسلوب الثاني: الترصيع، ومثاله: «فما عرض لهم من نائلها عارض إلا رفضوه، ولا خادعهم من رفعتها خادع إلا وضعوه»، فقد تقارنت السجعتان في الكلام والأوزان والأعجاز، فلا جرم كان ترصيعًا»[2]، إن (رفضوه) قد اتفقت في الوزن مع (وضعوه) فضلاً عن اتفاقهما في نوع حروف الأعجاز، وهما الضميران (الواو)، و(الهاء)، ولذا كان ترصيعًا[3]، والمصنف لم يورد تعريف الترصيع لغرض التنظير له، وإنما عرفه كي يوضح ويبسط ويقرب للقارئ ما استخرجه من ترصيع، وذكر المصنف لبعض تعاريف وأقسام وأنواع علوم البلاغة من هذا القبيل.

الطباق

الطباق من المحسنات البديعية اللفظية التي وردت في الأحاديث النبوية الشريفة، وكان له النصيب الأوفر من الشرح، وذلك لكثرة وروده في الأحاديث النبوية الشريفة، وللمصنف في هذا المحسّن تفصيل يمكن إبرازه من خلال قوله: «الأسلوب الثالث: الطباق، وهذا نحو قوله: «قليل»، و«كثير»، فإنه طباق لفظي ومعنوي، فأما قوله: «يكفيك»، و«يطغيك»، فإنه معدود في الطباق المعنوي؛ لأنّ الغرض بقوله: «يطغيك» أيْ: لا يكفيك، وهكذا قوله: «تحزن»، و«تفرح»، فإنهما

---

[1])) ينظر: الطراز، 2/ 359- 372.
[2])) الأنوار المضيئة، 1/ 553.
[3])) ينظر: الطراز، 2/ 373.

طباق لا محالة، والغرض من الطباق: هو تقابل النقيضين من جهة اللفظ والمعنى، أو من جهة أحدهما، فهذه الأساليب كلها دالة على البلاغة الرائقة واللطائف البديعة»[1]، ويظهر من كلامه هذا أنَّ حصول الطباق يكون بتقابل النقيضين أو الضدين، ثم فرّعه إلى فرعين:

الأول: يتمثل في تقابل النقيضين من جهة اللفظ والمعنى، فـ (القليل) نقيضه (الكثير) في اللفظ والمعنى.

الثاني: يتمثل في تقابل النقيضين من جهة المعنى فقط، حيث معنى (يطغيك) لا يكفيك، فحصل من هذا المعنى المناقضة لـ (يكفيك)، أيْ من جهة المعنى دون اللفظ؛ لأنّ (يطغي) ليس اللفظ الذي يستعمل ضد (يكفي) من جهة اللفظ.

والمصنف لا يفرق بين الطباق والمقابلة، فهو يرى أنّ المقابلة من جملة الطباق، ويظهر عدم تفريقه قوله: «**الصنف الرابع: الطباق**، وهذا كقوله: «خير»، و«شرّ»، وقوله: «المؤمن»، و«الفاسق»، فإن ما هذا حاله معدود في الطباق؛ لأنّ حاصل الطباق: ذِكر النقيضين والضدين»[2].

إنّ نصّ هذا المحسّن البديعي في الحديث النبوي الشريف: «أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ نِيَّةَ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَإِنَّ نِيَّةَ الْفَاسِقِ شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ»[3]، والمقابلة: هي أنْ يُؤتى بمعنيين أو أكثر، ثم يُؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب[4]، وحدّ المقابلة هذا منطبق على ألفاظ الحديث، فقد ذكر النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- لفظتي (المؤمن)، و(خير)، ثم أتى بما يقابلهما (الفاسق)، و(شرّ) على الترتيب، ولكنَّ

---

[1]) الأنوار المضيئة، 1/ 491.
[2]) الأنوار المضيئة، 1/ 280.
[3] (?) الأربعون حديثًا السيلقية، 20.
[4]) ينظر: شروح التلخيص، 4/ 297، 298.

المصنف نظر إلى كونه طباقًا.

لزوم ما لا يلزم

وفضلاً عمّا سبق من المحسنات البديعية اللفظية، فإن لزوم مـا لا يلـزم قـد ورد في الأحاديث النبوية الشريفة، وشرحه المصـنف حيث بيّن مواضـعه مسـبوقًا بتعريف له، وأشار إلى أنّه يرد- أيضًا- في القرآن الكريم، واستشهد بآيات قرآنيـة، ومثاله قوله: «الأسلوب الرابع: لـزوم مـا لا يلـزم، وهـو أنْ يلـتزم النـاثر والنـاظم يضيقان على أنفسهما في التزامه، بأن يكون آخر الكلمتين يتفقان في حـرفين أو ثلاثة، ومثاله: قوله عليـه السـلام: «العفـاف»، و«الكفـاف»، فإنهمـا متفقـان في أحـرف ثلاثـة، وهـذا لا يلـزم، ومنـه قولـه تعـالى: [illegible][1]، وقوله: [illegible][2]، و [illegible][3]، وقوله: [illegible][4]، و [illegible][5] في سورة الضحى، إلى غير ذلك...»[6]، ولم يكتفِ المصنف بتحديد مواضـع لـزوم ما لا يلـزم في الحـديث النبـوي الشـريف بـل تعـداه إلى تعريفـه، فضـلاً عن ذكـر وروده في القـرآن، والاسـتدلال عليـه بـإيراد شـواهد من القـرآن الكـريم، وعلى الرغم من أنه في إزاء توضيح ورود لزوم ما لا يلزم في الحديث النبوي لا القـرآن الكريم، إلا أنه أشار إلى وروده في القـرآن الكـريم، وذكـر شـواهد قرآنيـة عليـه، ولعل ذلك راجع إلى قلّة ورود هذا المحسّن في القرآن الكريم، ممّا يجعل القارئ يتوهم عدم وروده في القرآن الكريم بسبب تلك القلة، ولعل المصـنف أشـار إلى وروده في القرآن الكريم لدفع ذلك التوهم، فمنح القارئ فائـدة قـد تكـون غائبـة عنه للعلـة ذاتهـا، أمـا علّـة قلـة ورود هـذا المحسـن في القـرآن الكـريم والسـنّة

---

1 (?) سورة الطور الآيتان 1، 2.

2 (?) سورة التكوير من الآية 15.

3 (?) السورة نفسها من الآية 16.

4 (?) سورة الضحى من الآية 9.

5 (?) السورة نفسها من الآية 10.

6)) الأنوار المضيئة، 1/ 433، 434.

النبوية، فلأنه غير لازم من الإتيان به في البلاغة والفصاحة[1].

السجع

كما حصل في المحسن اللفظي لـزوم مـا لا يلـزم من تعـريج المصـنف في الإشارة إلى وروده في القرآن الكريم- لفوائد تمّ توضيح بعضـها- وهـو في إطـار توضيح مواضع وروده في الأحاديث النبوية لا غير، فـإنّ المصـنف فعـل ذلـك عنـد شرحه مواطن المحسن البديعي اللفظي التسجيع- السجع- في الأحـاديث النبويـة الشريفة، ويوضحه هذا المثال من شرحه: «الضـرب الأول: التسـجيع، وقـد اختـار الله لكتابه الكريم من أنواع البلاغة السجع، فإنه داخل فيه كثيرًا، وما ذاك إلا لأنـه داخل في البلاغة أحسن موقع...»[2]، ولهذه الإشارة سـبب وفائـدة، أمـا السـبب، فهو الحضور الكثير للتسـجيع في الأحـاديث النبويـة الـتي شـرحها المصـنف حيث كانت في المرتبة الثانية بعد الطباق من جهة الورود، فكأن المصنف أراد أنْ يـبرز أنْ كـثرة ورود هـذا المحسّـن في الأحـاديث النبويـة ليس مسـتغربًا، لأنّ القـرآن الكريم يمتاز بهذه الكثرة، وهو المثل الأعظم في الفصاحة والبلاغة، ولـذا ففائـدة هذه الإشارة- أيْ قوله أن التسجيع ورد كثيرًا في القرآن الكريم- هي التنويه على أنّ سرّ كثرة التسجيع في كليهما- أيْ القرآن الكريم والسنّة النبوية- راجع لموقعه الحسن في الكلام، ولكن كيف يرِد التسجيع في أحاديث النـبي- صـلى اللـه عليـه وآله وسلم- وهو من أنكر سجع الكهان، وسجعًا كسجعهم[3]؟

---

1)) ينظر: الطراز، 2/ 397- 400.

2 (?) الأنوار المضيئة، 1/ 205.

3)) قال أبو هريرة: اقتتلت امرأتان من هذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتهـا، ومـا في بطنها، فاختلفوا إلى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، فقضى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- أن دية المرأة على عاقلتها وورثها ولد ومن معهم، فقـال حمـل بن النابغـة الهذلي: كيف أغـرم من لا شـرب ولا أكـل ولا نطـق ولا اسـتهل؟! فمثـل ذلـك يطـل، فقـال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «إنمـا هـذا من إخـوان الكهـان»، من أجـل سـجعه الذي سجع. ينظر: صحيح مسلم، 3/ـ 1309. وفي رواية: «أسـجع كسـجع الكهـان». ينظـر: الطراز، 3/ 20.

لم ينكر النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- السجع مطلقًا، وإنما أنكـر سـجعًا مخصوصًا وهو سجع الكهان، لأنّ أكثر أخبارهم عن الأمور الكونية والأوهام الظنية على جهة السجع، ولـو لم يكن جـائزًا لمـا أتى عليـه أفصـح الكلام وهـو كلام اللـه تعالى في القرآن الكريم[1].

وقد فصّل المصنف القـول في أنـواع التسـجيع الـوارد في الأحـاديث النبويـة الشريفة، ومثاله قوله: «الصنف الأول: السجع، ويقع على أوجه ثلاثة:

أولها: أن تتفق الكلمتان في الوزن، وفي أعداد الحروف، وما هذا حاله يلقب بالمتوازن، ومثاله: قوله صلى الله عليه وآله وسـلم: « حسـنت خليقته، وصـلحت سريرته ».

وثانيها: أن تتفق الكلمتان في الأعجاز، وتختلفا في الوزن، ومثاله قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «طوبى لمن أنفق الفضـل من ماله، وأمسـك الفضـل من قوله»، فما هذا حاله يلقب بالمطرّف.

وثالثها: أن يتفقـا في الـوزن ويختلفـا في الأعجـاز، ويلقب بـالمتوازي، ومثالـه قوله: «نسينا كل واعظة، وأمنّا كل جائحة»»[2]، وفضلاً عن ذكـره لأنـواع التسـجيع الثلاثة، فإنه ذكر الغرض من التسجيع، وقيمته البلاغية حيث قال: «الأسلوب الأول: التسجيع، وهذا حاصل في قوله: «يطغيك»، و«يكفيك» وقوله: «تقنع»، و«تشـبع»؛ والغـرض بالسـجع تحريـك الخـواطر، إلى قوله، وإصـغاء الآذان إلى سـماعه، فـإن الكلام مهما كان مزدوج الإعجاز متشابهة أواخر الكلم منه، فإنه يقع موقعًـا عظيمًـا في القلوب، وتتلقاه الأفئدة بالقبول»[3]، ولعل تحريك السجع لخواطر المسـتمعين عند سـماع خطابـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم من أسـباب كـثرة التسـجيع في

---

1)) ينظر: الطراز، 3/ 20.

2 (?) الأنوار المضيئة، 1/ 179، 180.

3 (?) الأنوار المضيئة، 1/ 490.

الأحاديث النبوية الشريفة، فضلاً عن موقعه العظيم في القلوب ممّا يجعلها تتلقاه بالقبول.

الاقتباس

وفيما يخص الاقتباس كونه من المحسنات البديعية اللفظية، فقد شرحه المصنف لورده في الأحاديث النبوية، ومنه قوله: «النكتة الخامسة: الاقتباس، وهو إيراد آية من الكتاب الكريم دالة على تقرير المعنى السابق لها، ومناسبة وملائمة لمقصوده، وهذا كقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[1] أوردها الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- عقيب ما حكاه من حال المظلوم والظالم، وما انتهى حالهما في إصلاح الحال بلطف الله تعالى وكرمه وعظيم إحسانه، فلهذا أوردها بعد ذلك على جهة التتمّة والتكملة لما قبلها، فقد وقعت ياقوتة لوشاحه، وشعلة في مصباحه وذرة في تاجه، وزيتونة سراجه، وغلالة ديباجه، ويستعمله الفصحاء كثيرًا، ويرد على وجهين:

أحدهما: أن يكون الوارد آية بكمالها وتمامها، وهو الأكثر في الإيراد، والأوسع في الاستعمال، وهو الذي يحصل به الجمال والأُبّهة كما حكيناه هاهنا في إيراد هذه الآية عقيب كلامه

وثانيهما: أن يكون الوارد بعض الآية، كما يقال: يا أيها الناس، ويا بني آدم في أول الخطاب لا غير، فما هذا حاله يعد في الاقتباس، لكنه دون الأول في البلاغة وحسن الموقع...»[2].

سبق القول: إنّ إيراد المصنف للتعاريف والحدود والأقسام من قبيل التوضيح والتبسيط والتقريب على القارئ لما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة

---

1 (?) سورة الأنفال من الآية 1.

2 (?) الأنوار المضيئة، 1/ 522، 523.

من المباحث البلاغية، ولذا أورد المصنف تعريف الاقتباس، ووجوهه، وقد اشترط في الاقتباس أنْ يكون مناسبًا وملائمًا لمعنى الكلام الذي سيق له الاقتباس، ليكون قيمة الاقتباس في الحديث النبوي السابق متأتية من تتمته لمعنى الكلام، وقد ذكر كثرته في كلام الفصحاء لمّا يحصل منه من جمال وأبهة، ثم ذكر أوجه وروده ليظهر إمكانيات ورده وعدم اقتصاره على شكل واحد كما في الحديث النبوي الشريف الذي هو بإزاء شرح الاقتباس الوارد فيه، والوجهان الممكنان في الاقتباس هما:

1- أن يكون المقتبس آية بكاملها، ومن مميزاته أنه الأكثر والأوسع استعمالاً، وبه تحصل الجمال.

2- أن يكون المقتبس بعض آية، وهو دون الأول في البلاغة والفصاحة.

إن كلام المصنف يقتصر على أن الاقتباس من القرآن الكريم، أهو كما قال أم له كلام آخر يمكن أن يكمل ما أورده ؟

قوله الآنف عن الاقتباس من تعريف هو خاص بما ورد في الحديث النبوي الثامن عشر حيث كان الاقتباس فيه بآية قرآنية، ولكنه قال- في معرض شرح الحديث العاشر-: «وقد ذكرنا من قبل أن الاقتباس من علم البديع، وكما يرد في الآيات القرآنية، وفي الأخبار الشريفة النبوية، فقد يكون واردًا في الأبيات الشعرية، فإذا ورد البيت الشعري مطابقًا للكلام موافقًا لمعناه كما ورد هذا البيت الذي أورده الشريف على جهة المطابقة لما دلّ عليه الحديث، فإنه لا محالة معدود في الاقتباس»[1]، وهنا بيّن أنّ الاقتباس ليس مقتصرًا على الآيات القرآنية بل يرد- أيضًا- في الأخبار النبوية، والأبيات الشعرية، ولأهمية ملاءمة الاقتباس لما أُقتبس له، فإنه نبهه هنا على ذلك كما نبهه سابقًا.

---

[1])) الأنوار المضيئة، 1/ 311.

الإيضاح

بعد إظهار جهود المصنف عندما شرح ما تضمنته الأحاديث النبويـة الشـريفة من المحسـنات البديعيـة اللفظيـة، فإنـه يمكن الانتقـال إلى جهـوده في شـرح المحسـنات البديعيـة المعنويـة الـواردة في الأحـاديث النبويـة الشـريفة، فمن المحسنات البديعية المعنوية التي تضمنتها الأحاديث النبوية الشريفة الإيضاح، وقد شرحها المصنف، ومثاله قوله: «الجنس الثالث: الإيضاح للمعاني، وحسن الكشف للمقاصد، فأنت إذا أعملت الفكرة في سياق هذا الحديث وجدتـه قـد أحـرز نهايـة الوعـظ، وأرشـد إلى المصـالح الأخرويـة، والآداب الدينيـة، ولم يـألُ جهـدًا في الترغيب، والترهيب مع جزالة الألفاظ، وبلاغة المعاني»[1]، وظاهر كلامـه أنـه لمّـا كـان الحـديث واردًا لغـرض الوعـظ والإرشـاد إلى المصـالح الأخرويـة، والآداب الدينية، فقد جعـل النـبي- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- كلامـه يبلـغ في الوعـظ والإرشاد النهاية المرتجاة، وهذه النهايـة المرتجـاة تحصـل بالإيضـاح لتلـك الأمـور الدينية، وذلـك لأن الأمـور الدينيـة تحتـاج أن يكـون الكلام عنهـا واضـحًا وجليًّا، ولا يحتمل أيّ لبس أو غموض، ولـذا فـإن النـبي- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- قـد استعمل في كلامه ألفاظًا جزلة، وجعلهـا في تـأليف ونظم بليـغ، وكلـه في سـبيل إيضاح المصالح الأخروية، والآداب الدينية.

المبالغة

المبالغة من المحسنات البديعية المعنويـة الـتي وردت في الأحـاديث النبويـة الشريفة، وشرح المصنف مواضـع ورودهـا، مـع ذِكـره علـة الـورود، ومنـه قولـه: «الأسلوب الثاني: المبالغة بذكر أفعل التفضيل، فإنه إنما يرد في الكلام من أجـل المبالغة فيما تناوله، وهذا كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثر منكم بسـطة،

[1])) نفسه، 1/ 192.

وأعظم سطوة»، وقوله: «أسكن ما كانوا إليها»، و«أوثق ما كـانوا بهـا»، فسـياق الكلام بأفعل التفضيل فيه دلالة على المبالغة فيما تناوله»[1]، وقـد أورد المصـنف أنّ المبالغة حصلت بورود أسلوب التفضيل، وهذا التفضيل من أجـل المبالغـة في إظهار مـا كـانت عليـه الأمم الماضـية من جهـة امتلاك المـال والقـوة، فضـلاً عن أخذهم بغتة، وهم سكون مطمئنون إلى ما هم فيه، ليكـون من ثم لهـذه المبالغـة تأثير عظيم على المخاطبين ليتزودوا بالصـالحات قبـل أن يأخـذهم المـوت بغتـة، كما أخذ مَن قبلهم من الأمم على الرغم أنهم في مال وقوة، ولهذا كـان للمبالغـة دور في تأثير الخطاب النبوي في المخاطبين.

التعليل

من أجـل ترسـيخ الخطـاب النبـوي في الأفئـدة، فقـد ورد من المحسـنات البديعية المعنوية في الأحاديث النبوية الشريفة التعليل، وشـرح المصـنف مواضـع وروده، فضلاً عن ذكره مكانة التعليل في البلاغة، وسـاق شـواهد شـعرية تنطـوي على تعليلات بقصد تأكيد ما ذهب إليه من مواقع التعليل العظيمـة، ومثالـه قولـه: «النكتة الرابعة: التعليل، وإليـه الإشـارة بقولـه: «قـال: بمـاذا؟ قـال: بعفـوك عن أخيك»؛ لأنّه لمّا نظر إلى الحبرة والنعمة والجنان، قال: فلأيّ شـيء أعطيت هـذا قال الله: «بعفوك»، فأخرجه مخرج العلّة في الإعطاء، وللتعليل في البلاغـة حـظّ عظيم وموقـع كـريم يكسـبه حلاوة؛ لأنّ المعـاني إذا عُللت رسـخت في الأفئـدة، وكان له مدخل في القلوب لا يخفى، ومما ورد فيه قول ابن رشيق:

سَأَلْتُ الأَرْضَ لِمْ جُعِلَتْ مُصَلَّى ... وَلِمْ كـانَت طُهْرًا وَطِيْبَـا

فَقَـالَتْ غَيْـرَ ناطِقَـةٍ لأَنِّي ... حَـوَيْتُ لِكُلِّ إِنْسَـانٍ حَبِيْبَـا[2]

---

[1] (?) الأنوار المضيئة، 1/ 598.

[2] (?) البيتان من الوافر، وهما ثابتان في ديوان ابن رشيق القيرواني، ونصّ البيت الأول منها:

ولقد أحسن غاية الإحسان، وبلغ نهاية الإعجاب في علّة كون الأرض مسجدًا وطهورًا، وقال أبو نواس:

وَلَو لَمْ تُصَافِحِ رِجْلُهَا صَفْحَةَ الثَّرَى ... لَمَا كُنْتُ أَدْرِيَّ عِلَّةً لِلتَّيَمُمِ[1].

أراد أنها لما وطئت الأرض بأخمصها عرف أن التيمم ما جعل طهورًا إلامن أجل مماسة قدمها للأرض، فلا جرم كان التيمم»[2].

بعد أن أظهر المصنف موضع التعليل في الحديث الثامن عشر تحدث عن مكانة التعليل العظيمة في البلاغة، وموقعه الكريم الذي يكسبه حلاوة، ولم يكن كلامه كلامًا نظريًا بل دعّمه بالشواهد الشعرية التي تنطوي على تعليل، ولم يكتفِ بذكر الشواهد الشعرية فتعداه إلى شرح مخارج التعليلات فيها، ليكون من ثم خروجه عن شرح التعليل في الحديث النبوي إلى شرح التعليلات في الأبيات الشعرية من قبيل سعيه للتوضيح والتبسيط في مسألة التعليل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى كان شرحه للتعليلات الواردة في الأبيات الشعرية لتأكيد حظ التعليل العظيم في البلاغة، وقد أورد فائدة للتعليل، وتتمثل هذه الفائدة في أن التعليل يرسخ المعاني المعللة في الأفئدة.

ترجيع المحاورة

في الحديث نفسه- الثامن عشر- وكما استشهد فيه المصنف على التعليل بأبيات شعرية، فإنه شرح المحسّن البديعي المعنوي ترجيع المحاورة التي وردت

سَأَلْتُ الأَرْضَ لِمْ كَانتْ مُصَلَّى ... وَلِمَ كَانَتْ لنا طُهْرًا وَطِيْبَا.
ينظر: ديوان ابن رشيق القيرواني، شرح د. صلاح الدين الهواري، هدى عودة، دار الجيل، ط1، عام 1996م، بيروت، لبنان، 39.

[1])) البيت من الطويل، ولم يرد في ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ، حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، (ت)، بيروت، لبنان، 233- 370. وهو ثابت في ديوان ابن هانئ الأندلسي. ينظر: ديوان ابن هانئ الأندلسي، شرح أنطوان نعيم، دار الجيل، ط1، عام 1996م، بيروت، لبنان، 482.

[2])) الأنوار المضيئة، 1/ 522.

في الحديث النبوي، وذكر أبيات شعرية تنطوي على ترجيع المحاورة؛ فيا ترى مـا ترجيع المحاورة ؟ وما موقعها في البلاغة ؟ ولماذا أورد أبيات شعرية تنطوي على هذا المحسّن البديعي المعنوي ؟

قال المصنف في المحاورة: «النكتة الثالثة: المحاورة، وهو الكلام بين العبـد وربه، وإليه الإشارة بقوله: «رجلان جثيـا بين يـدي ربي، فقـال أحـدهما: خذ لي»، فقال الله للظالم: «أعط أخاك حقه...» إلى آخر المحاورة التي حكاها صلى اللـه عليه وآلـه وسـلم في كلامـه، وهـذه المحـاورة وتـرداد الخطـاب بين المتحـاورين تكسب الكلام بلاغة، وتعطيه فصاحة لا يكون حاصلاً من دونها، وأعظم شاهد على ذلك ما قاله أبو نواس: ...، ومن نفيس ما جاء في هذا المعنى قـول وضـاح: ... ، فانظر ما ألطف هذه المحاورة، بالإضافة إلى ترجيـع الأقـوال وتردادهـا، فلا جـرم وقع من البلاغة بموقع»[1].

لقد وضّح المصنف أنَّ المحاورة حاصلة من ترداد الخطـاب بين المتحـاورين، وذكر أنّ لها مكانة في البلاغـة، وذلـك في إكسـابها الكلام بلاغـة وفصـاحة، ولكي يُبرز ما تكسبه من بلاغة وفصاحة أشار إلى أن الضد خـير من يـبرز ذلـك، فلـو لم يرد الكلام النبوي في الحديث الثامن عشر على جهة المحاورة لما اكتسب الكلام بلاغة وفصاحة كما اكتسبه بـورود المحـاورة، ثم أورد الأبيـات الشـعرية المنطويـة على المحاورة لتكون شاهدًا على ما قاله من بلاغة وفصاحة الكلام عندما يتضمن محـاورة، وهـذه الشـواهد لم يكن معيـار المصـنف في الاستشـهاد بهـا تضـمنها المحاورة بل هي من أعظم وأنفس ما جاء في هذا المعنى، وبعد تحديد المصـنف موضع ورود المحاورة في الحديث الثامن عشر وذِكره ماهيتها، وما تكسب الكلام

---

1 (?) الأنوار المضيئة، 1/ 520- 522. وقد تم استبعاد الشواهد الشعرية من المثال لما كانت كثيرة، ولها هوامش متعددة تكشف قضايا واردة في تلـك الأبيـات وتم توضـيحها في موضـع ورودها.

من بلاغة وفصاحة، واستشهاده بنفيس الشعر المتضمن لها، فقد ختم كلامه عن المحاورة بتفضيل لطف المحاورة المطلق على غيرها بالإضافة إلى ترجيع الأقوال، ولذا فلا جرم وقع من البلاغة بموقع.

حكاية الحال

وفي الحديث نفسه- الثامن عشر- جعل حكاية الحال على نوعين، وإن كانا جميعًا من حكاية الأفعال:

الأول: حكاية الحال القولية، وتتمثل في حكاية فعل الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-.

الثاني: حكاية الحال الفعلية، وتتمثل في حكاية فعل غير الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-[1].

حسن التأليف والنظم

إن المصنف عند شرحه ما تضمنت الأحاديث النبوية الشريفة من علم البديع قد يختم بحثه بكلام عن حسن التأليف والنظم الواقع في الحديث النبوي، ومنه قوله: «الأسلوب الخامس: حسن التأليف والنظم، فإن هذه الجمل متلائمة، كأن بعضها آخذ بأعناق بعض من شدّة التلازم، ورشاقة التأليف، فإذا فكرت في مفردات الألفاظ وجدتها من أرقّ الألفاظ وأعذبها، لا تنافر فيها، وإذا فكرت في تأليفها ونظمها، وجدته أحسن تأليف، وأعجب نظم، فهذا ما أردنا ذكره ممّا تضمنه هذا الحديث من علم البديع، والله أعلم بالصواب»[2].

إن المصنف يرى أنَّ حسن التأليف والنظم، يبدأ من تخيّر الألفاظ الحسنة من جهة رقتها وعذوبتها المتأتية من عدم تنافر حروفها، وخلوها من الثقل، فضلاً

---

1 (?) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 520.
2)) نفسه، 1/ 599، 600.

عن معانيها في حالة الإفراد التي لا يمجها السمع وفي حالة التركيب من جهة ملاءمتها لما يجاورها من ألفاظ، فيكون من ثم الكلام المركب من هذه الألفاظ المخصوصة بالحسن له مميزات تجعله غاية في رشاقة التأليف من تلاؤم الجمل الذي يقوي الارتباط بينها، فتكون في أحسن تأليف، وأعجب نظم، فحسن التأليف والنظم كالبناء الحسن الذي يكمن حسنه في تخيّر لبنات البناء الحسنة، ثم التأليف المتلائم فيما بين تلك اللبنات الحسنة، فضلاً عن التلاؤم بين أجزاء البناء، وحُكم المصنف على الحديث بحسن التأليف والنظم مبني على أسس، وهذه الأسس متمثلة في شرحه للجوانب البلاغية في الحديث النبوي، ولذا تأخير المصنف لمسألة حسن التأليف والنظم في الحديث إلى بعد الانتهاء من شرح تلك الجوانب البلاغية كان في أحسن موقع بحيث يكون كلامه في حسن التأليف والنظم نتيجة وخلاصة مسبوقة بالأدلة والشواهد.

وأخيرًا يمكن القول: إنّ المصنف قد جعل علم البديع علمًا يختص بالفصاحة والبلاغة، وعدّه أخص علوم العربية بوصفه الغاية القصوى في تحسين الكلام، وقد أنكر أنْ يكون الكلام فصيحًا وبليغًا ما لم يكن سلسًا مألوفًا، ونظر إلى ذلك بالعكس؛ أيْ أنَّ الكلام الفصيح والبليغ ما كان في غاية السلاسة معتمدًا في هذه الرؤية على ما ورد في القرآن الكريم والسنّة النبوية من سلاسة وحسن تأليف، وقد سعى إلى إظهار ما انطوت عليه الأحاديث النبوية من فصاحة وبلاغة، وظهر من شرحه وجود فروق بين الفصاحة والبلاغة، يمكن حصرها واختصارها في كون البلاغة معنوية، وتختص بالتركيبات دون الألفاظ المفردة، أما الفصاحة فهي من عوارض الألفاظ سواء وهي مفردة قبل التركيب أم في معانيها وهي داخل التركيبات، والبلاغة أعمّ من الفصاحة، فكل كلام بليغ لا بدّ أن يكون فصيحًا،

وليس كل كلام فصيحًا بليغًا، والمفردة توصف بأنها فصيحة، ولا توصف بأنها بليغة.

وهو يصف الألفاظ بالجزالة إذا استعملت في قوارع الوعيد ومهولات الزجر، ويصفها بالرقّة إذا استعملت في الملاطفات واستجلاب المودة والبشارة بالوعد، وقد شرح المصنف مواضع ورود المحسنات البديعية اللفظية في الأحاديث النبوية الشريفة، ومنها التجنيس- الجناس- حيث عرفه وجعله على قسمين الأول الكامل، والثاني الناقص، وقد عرّف الترصيع، والطباق، وجعل الطباق على قسمين، الأول يتمثل في تقابل النقيضين من جهة اللفظ والمعنى، والثاني يتمثل في تقابل النقيضين من جهة المعنى، وجعل المقابلة من جملة الطباق، وبعد تعريفه للزوم ما لا يلزم، فقد أشار إلى قلّة وروده في القرآن الكريم وعلل ذلك في كونه غير لازم من الإتيان به في البلاغة والفصاحة، وقد أشار إلى كثرة التسجيع- السجع- في القرآن الكريم والسنّة النبوية، لموقعه الحسن في الكلام، وذلك بعد توضيحه وجوهه الممكنة، وفضلاً عمّا سبق فقد عرّف الاقتباس، وذكر أنه قد يكون بإيراد آية قرآنية بكاملها، وهو الأكثر والأوسع استعمالاً، وبه تحصل الأبهة والجمال، وقد يكون بإيراد بعض آية قرآنية، وهو دون الأول، وقد جمع هذه المحسنات البديعية اللفظية جامع واحد في شرح المصنف، وهذا الجامع هو أن المصنف حدد مواضع ورودها في الأحاديث النبوية.

والحال ذاته في المحسنات البديعية المعنوية، فالجامع لها في شرح المصنف هو أنه حدد مواقع ورودها في الأحاديث النبوية، وهي الإيضاح للمعاني وحسن الكشف للمقاصد النبوية، والمبالغة، والتعليل، والمحاورة، وقد يختم المصنف بحثه المتعلق بعلم البديع في بعض الأحاديث بذكر حسن التأليف والنظم

في الحديث النبوي، ليكون هذا حكمًا عامًا على الحديث النبـوي، واسـتند في هـذا الحكم إلى ما سبق من شرحه للأحاديث، والمصنف قد ظهر من خلال شرحه أنـه محلل أكثر من كونه مقعدًا وضابطًا لحدود هذا العلم، وما تعاريفـه لبعض مبـاحث علم البديع إلا من باب التوضيح والتبسيط والتقريب للقارئ.

وخلاصة ما سبق من مباحث علوم البلاغة الثلاثة، لقد ظهر الإمـام يحـيى بن حمـزة في كتابـه (الأنـوار المضـيئة في شـرح الأخبـار النبويـة) بمظهـر المتـذوق لمواضع الجمال البلاغي في الأربعين حديثًا السيلقية، حيث قام باستخراج مواضـع ورود مباحث علوم البلاغة في تلك الأحاديث النبويـة الشـريفة، وليس الاسـتخراج مقصودًا لذاتـه، وإنمـا اسـتخرج مـا تضـمنته الأحـاديث النبويـة من مبـاحث علـوم البلاغة لإبراز مدى تسخير النبي- صلى الله عليـه وآلـه وسـلم- علـوم البلاغـة في خدمة إظهار المعاني وتوضيحها، والموقع العظيم لها في الكلام النبوي الشـريف، فضلاً عن كونها تزيـد كلام النـبي- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- حسـنًا ورشـاقة وسلاسة على الألسن، وتجعـل الكلام النبـوي الشـريف لا يمـلّ على تكـرار الأيـام والأزمنة، وليس ذلك وحسب بل علل ورودها بهيئاتها الـتي وردت عليـه مـع إيـراد غاياتهـا وفوائـدها، وعنـدما أصـدر المصـنف أحكامـه على الكلام النبـوي الشـريف بالفصاحة والبلاغـة وحسـن التـأليف والنظم، لم تكن أحكامـه تـأتي من فـراغ بـل كانت تقوم على براهين سبق وذكرهـا عنـد شـرحه مـا تضـمنته الأحـاديث النبويـة الشريفة من مباحث علوم البلاغة.

ولا يخلو الكتاب من بعض التنظيرات لبعض حدود وتقسيمات وأنواع مبـاحث علوم البلاغة، وهي على قلتها قد وردت بقصـد تقـريب وتبسـيط وتوضـيح مـا هـو بإزاء شرحه في الأحاديث النبوية.

وثمـة آراء للمصـنف في قضـايا بلاغيـة اُستشـفت من ثنايـا الكتـاب، ومنهـا التوسع في المجاز حتى شمل الاسـم والفعـل والحـرف ومـا خـالف المطـرد من الاسـتعمال الصـرفي، وأنّ التشـبيه المضـمر الأداة- البليـغ- مجـاز إذا كـان تقـدير ظهور الأداة ينزل من قدره ويخرجه عن ديباجة بلاغته، والمجاز العقلي هـو مجـاز لغوي مـركب، وأنّ المجـاز قـد يحصـل بالإضـافة إلى العـرف الشـرعي، والبلاغـة تحصل في المعاني، والفصاحة في الألفـاظ، وإذا ورد اللفـظ في الزجـر والوعيـد فهو لفظ جزل، وإن ورد في الملاطفة فهو لفظ رقيق.

وقد أورد الإمام يحيى بن حمزة مقدمـة تماثـل إلى حـدّ مـا المقـدمات الـتي توضــع في الدراســات الجامعيــة من حيث تضــمنها أهميــة الموضــوع ومكانتــه العظيمـة، وأسـباب اختيـار الموضـوع، وذِكـر المنهج المتبـع والقـائم على التعليـل العلمي، فضلاً عن الإشارة إلى الدراسة السابقة لهذا الموضوع مع ذكر إيجابياتهـا وسـلبياتها، والإثبـات بالأدلـة على مغـايرة طريقـة شـرح الإمـام يحـيى بن حمـزة للأحاديث النبوية لطريقة شرح المنصور بالله لها.

وقد التزم المصنف في شرحه المنهج الذي ذكره في المقدمة إلا مـا حصـل في الحديث التاسع من إعادة ترتيب الأنظار، والذي لـه فيـه علـل علميـة، وهـو لا يضمن أيَّ نظر ما ليس منه، وإنْ حصل فإنه ينبه على ذلـك، ويحيـل القـارئ على كتب أخرى لاستكمال الموضوع، وهو عند شرحه الأنظـار يسـتخدم طريقـة طـرح الإشكالات على هيئة أسئلة، ثم يورد جوابات فيها تفصيل تلك الإشكالات، وهو مع مصادره قد ينقل دون الإشارة إلى صاحب القول، وينقل مع الإشارة إلى صــاحب القول، وينقل مع الإشارة إلى صاحب القول وكتابه المنقول منـه، وهـو مـع الآراء يختار ما يراه صحيحًا ولا يهمه من يوافق ذلك الرأي أو يخالف، وذلـك بعـد عـرض

الآراء مع أدلة كل رأي، وقد استشـهد عنـد شـرحه بآيـات قرآنيـة وأحـاديث نبويـة وأبيات شعرية، فضلاً عن إيراد بعض الحكم والأمثال والقصص.

وأخيرًا ظهر أن كتاب (**الأنوار المضيئة في شرح الأخبار النبوية**) فيـه إثراء للمكتبات اليمنية والعربية والإسلامية، وإغناء للدارسين بما ينطوي عليـه من ثقافـة بلاغيـة- تقـوم على التحليـل الجمـالي- ومنهج متمـيز يـبرزان مـا بلغتـه الدراسات البلاغية في اليمن- مـع نـدرتها- في تلـك الحقبـة الزمنيـة من تاريخهـا، وختامًا نسأل الله تعالى التوفيق والعون، إنه نعم المولى، ونعم النصير.

القسم الثاني التحقيق

منهج التحقيق

من العثرات التي تُرتكب في حقّ المخطوطات هو طبعهـا للمتلقي كمـا هي لا غير، وتحقيق المخطوطة ليس مقتصرًا على عملية نسخ مخطوطة بواسطة آلة كتابة بعد أن كانت مخطوطة بـاليراع، لأنّ هـذه العمليـة لا تمُتُّ للتحقيـق العلمي الأكاديمي بصِلة.

ويترتب على ذلك إلغاء عـدة قـرون تفصـل بين المتلقي وتلـك المخطوطـة، وما ينطوي عليها من ظروف تاريخية وثقافية واجتماعية، ومصطلحات خاصة بتلك الحقبة الزمنية، فينعكس سلبًا على مدى قدرة استيعاب المتلقي لها، والاسـتفادة منها لاسيما أنَّ المتلقي المعاصر قد أَلِف كتبًـا ذات إحـالات وتخريجـات وفهـارس وغير ذلك، ولذا التحقيق بالطريقة الآنف ذكرها يُوجد قطيعة تامة بينهما، فلا تُؤتي ثمارها بالشكل الذي قصده مؤلفها، وهذا يـدفع للعـزوف عن تراثنـا العظيم، ومـا يحمله من نفائس.

إن المنهج العلمي الأكـاديمي في تحقيـق المخطوطـات هـو السـبيل الأقـوم لإنشـاء اتصـال حميمي بين المتلقي والمخطوطـة تجعـل الطـرف الأول يفيـد من علوم علمائنا القدماء وخبراتهم، ويضمن لتراثنا البقـاء والتجديـد، فضـلاً عن إثـراء المكتبات بتلك النفائس.

ولذا عند دراسة الباحث وتحقيقه للمخطوطة الموسومة بــ (الأنـوار المضـيئة في شرح الأخبار النبوية) للمؤيد بالله الإمام يحـيى بن حمـزة العلـوي، كـان المنهج العلمي الأكاديمي هو المنهج الذي يناسب الدراسة التي بين أيدينا؛ وتمثـل المنهج في الدراسـة الوافية لشخصية المؤلف من ترجمـة، ومؤلفـات، وجهـوده ومكانتـه العلميـة، وهـذا مـا يخص المؤلف، أما مـا يخص المخطوطـة؛ فيكـون بـالنظر في الدراسـة السـابقة لهـا،

والمنهج المتبع عند تأليف المخطوطـة، وكـذلك إجـراء موازنـة بين مخطوطـة (الأنـوار المضيئة في شرح الأخبار النبوية)، وكتاب (حديقة الحكمـة النبويـة في تفسـير الأربعين السيلقية)- الذي يُعد دراسة سابقة- للمنصور بالله الإمام عبد الله بن حمزة، فضـلاً عن جهوده البلاغية في المخطوطة من معانٍ وبيانٍ وبديع، وهذا يُعدّ الجانب النظـري[1]،أمـا الجانب التطبيقي، فتمثل في الآتي:

أولاً: اسـم المخطوطـة ونسـبتها للمصـنف، إن النُسخ المعتمـدة في هـذه الدراسة والتحقيق قد ورد فيها العنوان باسم (الأنـوار المضـيئة في شـرح الأخبـار النبوية، تصنيف الإمام المؤيد باللـه أمـير المؤمـنين يحـيى ابن حمـزة)، فضـلاً عن نسخة للجزء الثاني بخط المصنف، وقد نُسبت المخطوطة للمصنف في المصـادر والمراجع التي بين يدي الباحث[2]، مع العلم أنه لم يرد أن نُسبت المخطوطة لغير الإمام يحيى بن حمزة، وهنا يمكن الإشارة إلى وجـود مختصـر لهـذه المخطوطـة منسـوبة للمصـنف، واسـمه (مختصـر الأنـوار المضـيئة)، وهـو كتـاب اختصـر فيـه (الأنوار المضيئة)، ولم يرد وصف لهذا المختصر إلا أنه موجود في إحدى المكتبات لا غير ودون تحديد حتى اسم مكتبة واحدة توجد فيها المخطوطة[3].

---

1 (?) ينظر: تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام محمد هارون، مكتبـة الخـانجي، ط7، عـام 1998م، القاهرة، مصر، 84.

2)) ينظر: البدر الطالع،2/ 184. طبقات الزيدية الكبرى، القسم الثالث،3/ 1230. الانتصار، 1/ 113. الأعلام للـزركلي، 8/ 143. التحـف في شـرح الزلـف، 271. أعلام المـؤلفين الزيدية، 1126. أما بالنسبة لأمهات كتب تاريخ الأدب العربي وتراثه، فإن بروكلمان لم يـورد ذكر المخطوطة عند ذكره كتب الإمام يحيى بن حمزة في كتابه تـاريخ الأدب العـربي، ترجمة محمود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتـاب عـام 1995م، القـاهرة، مصـر، ينظـر: القسم السـابع منـه، 124،125. كما أنها لم تـرد في كتـاب تـاريخ الـتراث العـربي، د. فـؤاد سـزكين، نقله للعربية د. محمـود فهمي حجـازي، وراجعه د.عرفة مصـطفى، و د. سـعيد عبد الرحيم، مطابع جامعة الإمام محمد بن سـعود الإسـلامية، أشـرف على الطباعة والنشر إدارة الثقافة والنشر بالجامعـة، عـام 1404هـ -1983م، الريـاض، المملكة السـعودية، ولعل ذلك راجع إلى أمــرين، الأول: تضــاريس الجمهورية اليمنية الصــعبة لاســيما السلســلة الجبلية الشمالية الغربية التي تعدّ موطن المؤلف، والمخطوطة، فقد أعـاقت تناقل المخطوطة على المستوى الداخلي، والخـارجي. الأمر الثـاني: تمسك مـالكي المخطوطة بهـا، والحفـاظ عليها قديمًا، وحديثًا ممّا حال دون تسربها إلى خارج اليمن.

3)) ينظر: الأعلام للزركلي، 8/ 144. أعلام المؤلفين الزيدية، 1130.

لقد ورد اسم المخطوطة- في بعض كتب التراجم[1]- باسم (الأنوار المضيئة في شرح الأربعين حديثًا السيلقية)، وهذا من قبيل إظهار وتبيين أيّ الأحاديث التي شرحها المصنف؛ بمعنى أنه اسم أورده بعض المترجمين ليُعرّفوا أنّ الأربعين حديثًا السيلقية هي المعنية بالشرح في مصنف (الأنوار المضيئة)، ولم تعتمد هذه التسمية على ما هو ثابت من عنوان في المخطوطة.

ثانيًا: موضوعها، لقد أُدرجت هذه المخطوطة في المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء مع كتب الحديث[2]، وهذا من باب كون المخطوطة تشرح الأحاديث النبوية دون الإطلاع على نوعية الشرح بمعنى أنّ الشرح هو من يحدد المجال الذي تنطوي تحته المخطوطة، فإن كان شرح الأحاديث من جهة السند فهو من علم الحديث ورجاله، وإن كان شرح الأحاديث من جهة إظهار مقاصد النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- فهو من الفقه...، والمصنف قد ذكر أنَّ باعثي الشرح للأحاديث إظهار ما خص الله نبيه محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- فصاحة المنطق والبلاغة على كافة الخلق، وذلك من خلال الإبانة عمّا اشتملت عليه الأحاديث من المجازات العالية والاستعارات البديعة[3]، وهذا ما طبقه المصنف عند شرحه الأحاديث، ولذا فهو شرح بلاغي يتكون من سفرين- جزأين- في مجلد واحد.

ثالثًا: اختيار النسخة الأم، وقد تمّ اختيار النسخة (ج) لتكون الأم والأصل للجزء الأول من المخطوطة الذي تنشر على أساسه المخطوطة، ومن سماتها التي رشحتْها

---

1)) والنسخ التي استقى منها هذا العنوان ثبت أن العنوان في بعضها هو (الأنوار المضيئة في شرح الأخبار النبوية)، ومنها بمكتبة السيد محمد محمد الكبسي، والسيد محمد قاسم الوجيه، وهما نسختان اعتمدتا في دراسة وتحقيق المخطوطة. ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 1126.

2)) ينظر: فهرس مخطوطات المكتبة الغربية في الجامع الكبير بصنعاء، إعداد احمد عيسوي، محمد سعيد، طبع بإشراف منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 57.

3)) ينظر: الأنوار المضيئة، 1/ 155.

أن تكون النسخة التي على أساسها تنشر المخطوطة؛ كونها كاملـة، وسـليمة من أيّ بتر أو تصحيف[1]، أو تحريف[2]، أو خرم، وأنها بخط ثلث ممتـاز، ولا يمنـع أنهـا أحـدث من غيرها أن تكون أمًا وأصلاً لوجود السمات السـابقة[3]، والـتي لا تتـوفر في النسـخ الأقدم منها، وبلا شك فإن هذه النسخة قـد نُسـخت من نسـخة أقـدم منهـا وربمـا أنّ النسخة المنسوخ منها قد فُقدت أو تلفت.

رابعًا: المقابلة بين النسخ، بدءًا بمقابلـة النسـخة الأم (ج) بالنسـخة (د)، ثم مع النسـخة (ك)، ثم النسـخة (م)، مـع تضـمين الهـامش مـا خـالفت فيـه النسـخ الأخرى النسخة الأم لاسيما أن الأمانة العلمية تقتضي ذلـك مـع تضـمين الهـامش الأرجح ممّا اختلف فيه، ودعمه بالأدلة[4].

خامسًا: تحرير النص المحقق على وفق القواعد الإملائية الحديثة[5]، ووضـع علامات الترقيم المناسبة، وضبط المُشكل منه.

ومن الأمور الشائعة في المخطوطة عدم التفريق بين همزة الوصل وهمزة القطع عند رسمهما، وكذلك عدم التفريق بين الألف المقصورة المرسومة طويلة والمرســومة مطوية، وعدم كتابة همزة الاسم المنتهي بألف ممدودة.

سادسًا: التعقيب في الهامش على ما ورد على وجه غير دقيق من الصحة.

سابعًا: ضبط الآيـات القرآنيـة مـع إحالتهـا إلى سـورها، وأرقامهـا، وكتابتهـا بالرسم العثماني.

---

[1] (?) ينظر: شرح ما يقع فيه التصحيف، أحمد بن عبد الله بن سـعيد العسـكري، تحقيـق عبـد العزيز أحمد، مطبعة الحلبي، عام1963م، القاهرة، مصر، 10- 17.

[2])) ينظر: أصول نقد النصوص ونشر الكتب، برجستر أسر، إعداد وتقديم د. محمـد البكـري، مطبوعات دار الكتب، عام 1969م، بيروت، لبنان، 14.

[3])) ينظر: منهج تحقيق النصوص ونشرها، د. نوري حمودي القيسي، د. سامي مكي العـاني، مطبعة المعارف، عام 1975م، بغداد، العراق، 11.

[4] (?) ينظر: نفسه، 79.

[5] (?) ينظر: نفسه، 99.

ثامنًا: ما يخص الأحاديث النبوية:

1- ضبط جميع حروف الأحاديث المشروحة بالشكل.

2- تخريج الأحاديث المشروحة والمستشهد بها.

تاسعًا: ما يخص الشواهد الشعرية:

1- ضبطها بالشكل.

2- نسبتها إلى قائليها إذا لم تنسب.

3- التأكد من نسبتها إذا كانت منسوبة.

4- تكملة الناقص منها في الهامش.

5- وضع ترجمة لقائليها.

عاشرًا: تتبع أقوال العلماء مع تحديد مصادرها.

حادي عشر: ترجمة الأعلام.

ثاني عشر: إضافة عدد من العنوانات، ووضعها بين [ ].

ثالث عشر: الشرح في الهامش ما يحتاج إلى توضيح من الألفاظ اللغوية الغامض معانيها.

رابع عشر: وضع الفهارس العامة:

- الآيات القرآنية.

- الأحاديث النبوية.

- الآثارالمروية.

- الأبيات الشعرية.

- الأعلام.

- الأماكن.

- مصادر ومراجع الدراسة والتحقيق.

- موضوعات الدراسة والنصّ المحقق.

مكونات المخطوطة

مخطوطة (الأنوار المضيئة في شرح الأخبار النبوية) مكونة من سـفرين- أيْ جـزأين- يبـدأ الجـزء الأول بمقدمـة للمصـنف، وينتهي بانتهـاء شـرح الحـديث العشرين، والجزء الثاني يبدأ بالحديث الحادي والعشرين، وينتهي بشـرح الحـديث الأربعين، وقـد ذكـر المصـنف أنـه انتهى من تصـنيفها في العشـر الوسـطى من جمادى الآخرة سنة 736هـ[1]، أيْ قبل وفاته بثلاث عشرة سنة.

إن حجم المخطوطة الكبير المكون من جـزأين، والـذي يبلـغ عـدد صـفحات إحدى نسخها766 صفحة، و 622 في نسخة أخرى يستنزف الـوقت والجهـد عنـد الدراسة والتحقيق للجـزأين منهـا؛ لـذا تمّ الاقتصـار على دراسـة وتحقيـق الجـزء الأول من المخطوطة، ومن مسوغات ذلك أنَّ مصنفها قد جعلها في جــزأين، فلم يكن التقسيم من ابتكار الباحث، ومسوغ آخر هو أنَّ هنـاك العديـد من الدراسـات قد سبقت إلى ذلك، ومنها على سـبيل المثـال كتـاب (الأنهـار الصـافية في شـرح المقدمة الكافية ليحيى بن حمزة العلوي) المكـون من جـزأين، فقـد خُصّ الجـزء الأول منه بالدراسة والتحقيق من قِبل محمد علي سالم، ونال به درجة الدكتوراة من كليـة اللغـة العربيـة بجامعـة الأزهـر عـام 1982م، والجـزء الثـاني بالدراسـة والتحقيق من قِبل عبد الحميد مصطفى السيد، ونال به درجة الدكتوراة من كليــة اللغة العربية بجامعة الأزهر عام 1982م، ولـذا فلا جـرم اقتصـار دراسـة البـاحث وتحقيقه على الجزء الأول، وذلك للمسوغات السابقة.

---

[1])) ينظر: الأنوار المضيئة، 2 ق 190.

النسخ المعتمدة في الدراسة والتحقيق

النسخة الأولى:

مصدرها مكتبة العلامة محمد بن القاسم الوجيه، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

عدد أوراق الجزء الأول: 95 ورقة.

عدد صفحات الجزء الأول:190 صفحة، ومقاس الصفحة: 35×25سم.

متوسط عدد سطور الصفحة: 40 سطرًا تقريبًا.

متوسط عدد كلمات السطر: 15 كلمة تقريبًا.

وهي بخـط الثلث، وبشـكل واضـح وممتـاز، وهي ملونـة بـاللون الأسـود، والأحمر، والوردي، والأزرق الفـاتح، والغـامق، وصـفحتها الأولى، والثانيـة مـبروزة بتشـكيلة جميلـة، وكـذلك رأس كـل حـديث، وهي سـالمة من البـتر والتصـحيف والتحريف، فضلاً عن تشكيل أغلب حروف الكلمات بالحركـات، وهي نسـخة تمّت مقابلتها ومراجعتها بعد النسخ مع النسخة التي نُسخت منه، وهذا ظـاهر من خلال بعض التنبيهـات والملاحظـات المُصَـحِحَة لبعض الأخطـاء الـتي تمّت إضـافتها في الهوامش، سواء كانت أخطاء علميـة أم نحويـة أم أخطـاء ناجمـة عن التصـحيف، ولذا تمّ اختيارها لتكون النسخة الأم التي على أساسها تنشر المخطوطة.

دوّن أنَّ الناسخ للجزء الأول حسين مسرع المحرابي،وتمّ نقل هذا الكتاب بعـون الله لعله في سنة 1376هـ.

وقد رُمز لها بالرمز (ج)، والنموذج المصور لبعض أوراقها في الملحق رقم (1، 2، 3).

النسخة الثانية:

مصدرها دار المخطوطات، صنعاء، الجمهورية اليمنيـة، وهي مسـجلة ضـمن كتب

الحديث برقم (22)[1].

عدد أوراق الجزء الأول: 153 ورقة.

عدد صفحات الجزء الأول: 307 صفحة، ومقاس الصفحة: 36×23سم.

متوسط عدد سطور الصفحة: 25 سطرًا تقريبًا.

متوسط عدد كلمات السطر: 15 كلمة تقريبًا.

وهي بخط نسخي، وأغلب أحرفها غير منقوطة، ودوّن أنَّ الناسخ حسن بن يحيى النجدي في الثالث من شهر صفر سنة1330هـ، في هجرة الوعلية من الشرف، وقد كانت بعناية عماد الدين يحيى بن حسن .

وقد رُمز لها بالرمز (د)، والنموذج المصور لبعض أوراقها في الملحق رقم (4، 5، 6).

النسخة الثالثة:

مصدرها مكتبة السيد محمد بن محمد الكبسي، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

عدد أوراق الجزء الأول: 74 ورقة.

عدد صفحات الجزء الأول: 149 صفحة، ومقاس الصفحة: 35×24سم.

متوسط عدد سطور الصفحة:41 سطرًا تقريبًا.

متوسط عدد كلمات السطر: 20 كلمة تقريبًا.

وهي نسخة مقروءة، خُطت بخط الثلث ملون، بالأسود، والأحمر والوردي والأخضر والأزرق، ولتزاحم سطور الصفحات- حيث ربا سطور بعض الصفحات عن واحد وأربعين سطرًا- اختلطت نقاط بعض الكلمات بنقاط كلمات السطر السابق أو اللاحق. دوّن في آخرها: بخط الفقير إلى مولاه يحيى بن حسين بن

---

[1] (1) ينظر: فهرس مخطوطات المكتبة الغربية في الجامع الكبير بصنعاء، إعداد احمد عيسوي، محمد سعيد، طبع بإشراف منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، 57.

إسماعيل بن إبراهيم بن إسـماعيل بن حسـن بن إسـماعيل بن حسـن بن محمـد سهيل، وكان الفراغ من نسخها سنة 1371هـ، ولعله أصح مما ورد في أول ورقـة للمخطوطة عن الناسخ لها.

وقد رُمز لها بالرمز (ك)، والنموذج المصور لبعض أوراقها في الملحق رقم (7، 8، 9).

النسخة الرابعة

مصدرها مكتبة المصطفى– صلى الله عليه وآله وسلم– بمركـز بـدر العلمي والثقافي، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

عدد أوراق الجزء الأول: 196 ورقة.

عدد صفحات الجزء الأول:393 صفحة، ومقاس الصفحة :29×19سم.

متوسط عدد سطور الصفحة: 21 سطرًا تقريبًا.

متوسط عدد كلمات السطر:14كلمة تقريبًا.

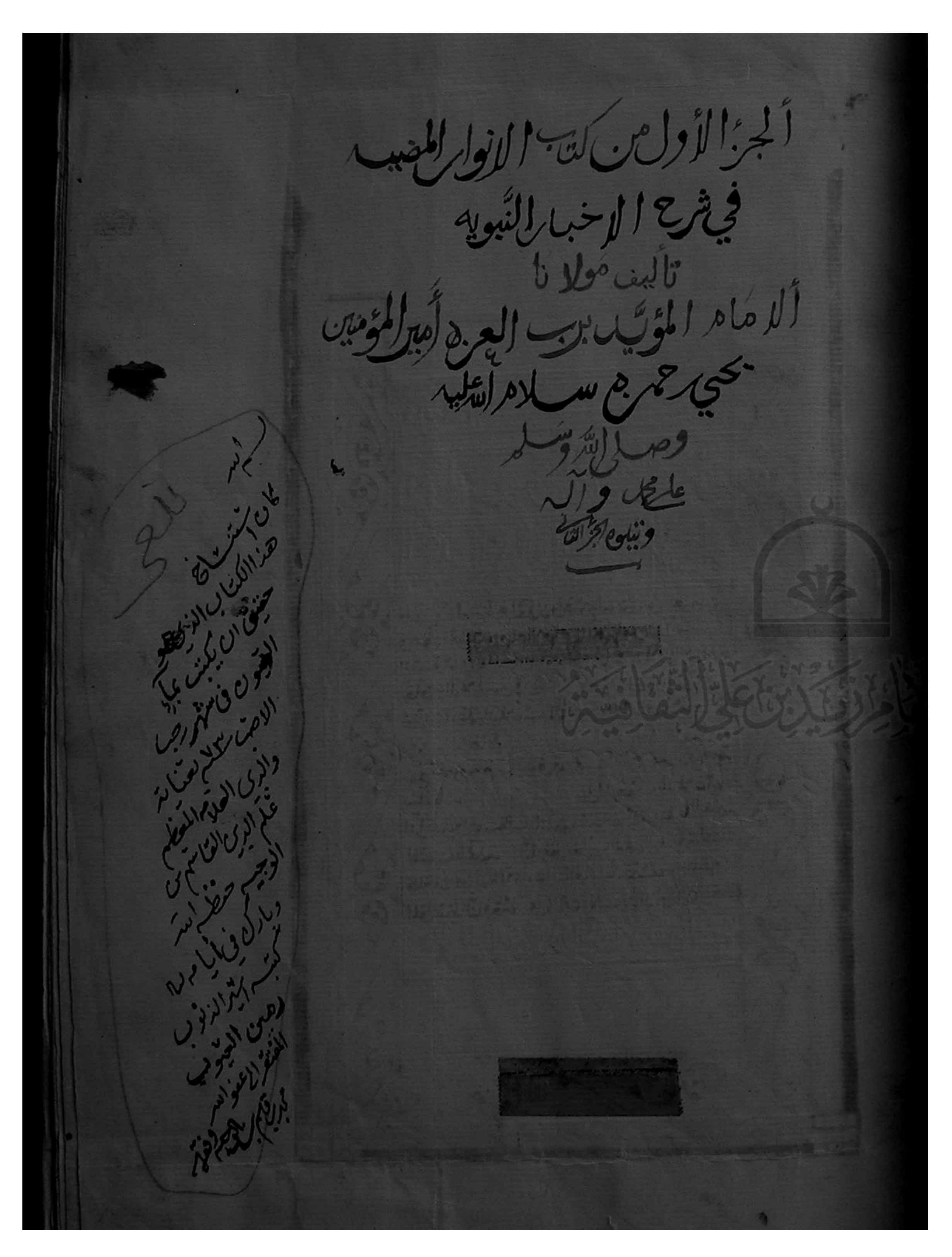
خطها جيد ومقروء.

لا يوجد بها اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ؛ لأنهـا مبتـورة الآخـر، وعليهـا بعض الحواشي، ويظهر أنها نسخة قديمة، وذلك ظاهر من نوع الأوراق، وخـط الأوراق، وفضـلاً عن وجـود بـتر فيهـا فـإن حـبر بعض أوراقهـا قـد صـار مطموسًـا، وأغلب الحروف غير منقوطة، ويمكن الاستئناس بتاريخ وقفية المخطوطـة ورد في نهايـة الجزء الأول وذلك التاريخ هو غرة الحجة سنة 1301هـ.

وقد رُمز لها بالرمز (م)، والنموذج المصور لبعض أوراقها في الملحق رقم (10، 11، 12).

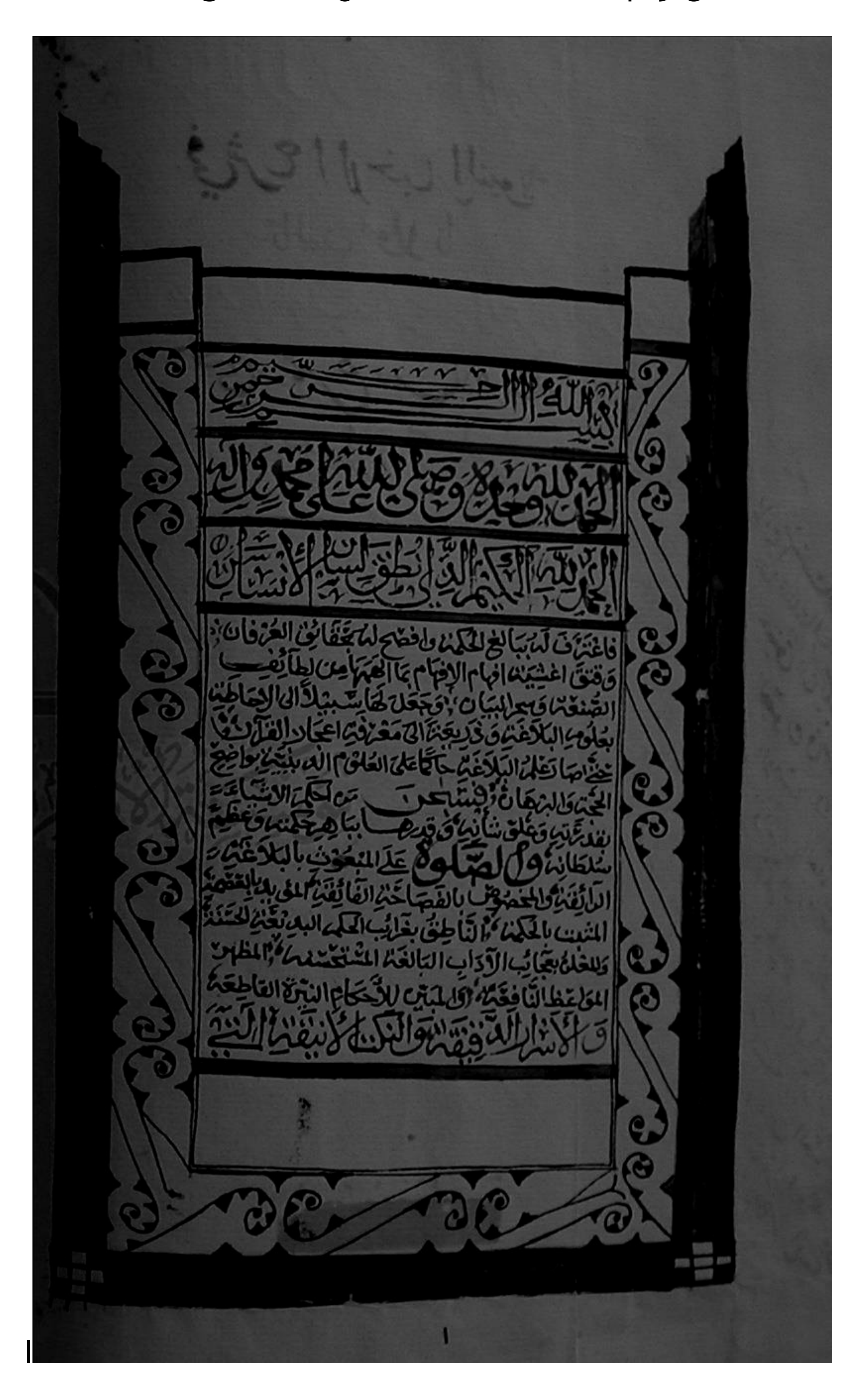
نماذج مصورة من نسخ المخطوطة

الملحق رقم (1)، الصفحة الأولى من النسخة (ج)



الجزء الأول من كتاب الأنوار المضيه
في شرح الأخبار النبويه
تأليف مولانا
الإمام المؤيد برب العزة أمير المؤمنين
يحيي حمزة سلام الله عليه
وصلى الله وسلم
على محمد وآله
ويتلوه الجزء الثاني

الملحق رقم (2)، الصفحة الثانية من النسخة (ج)



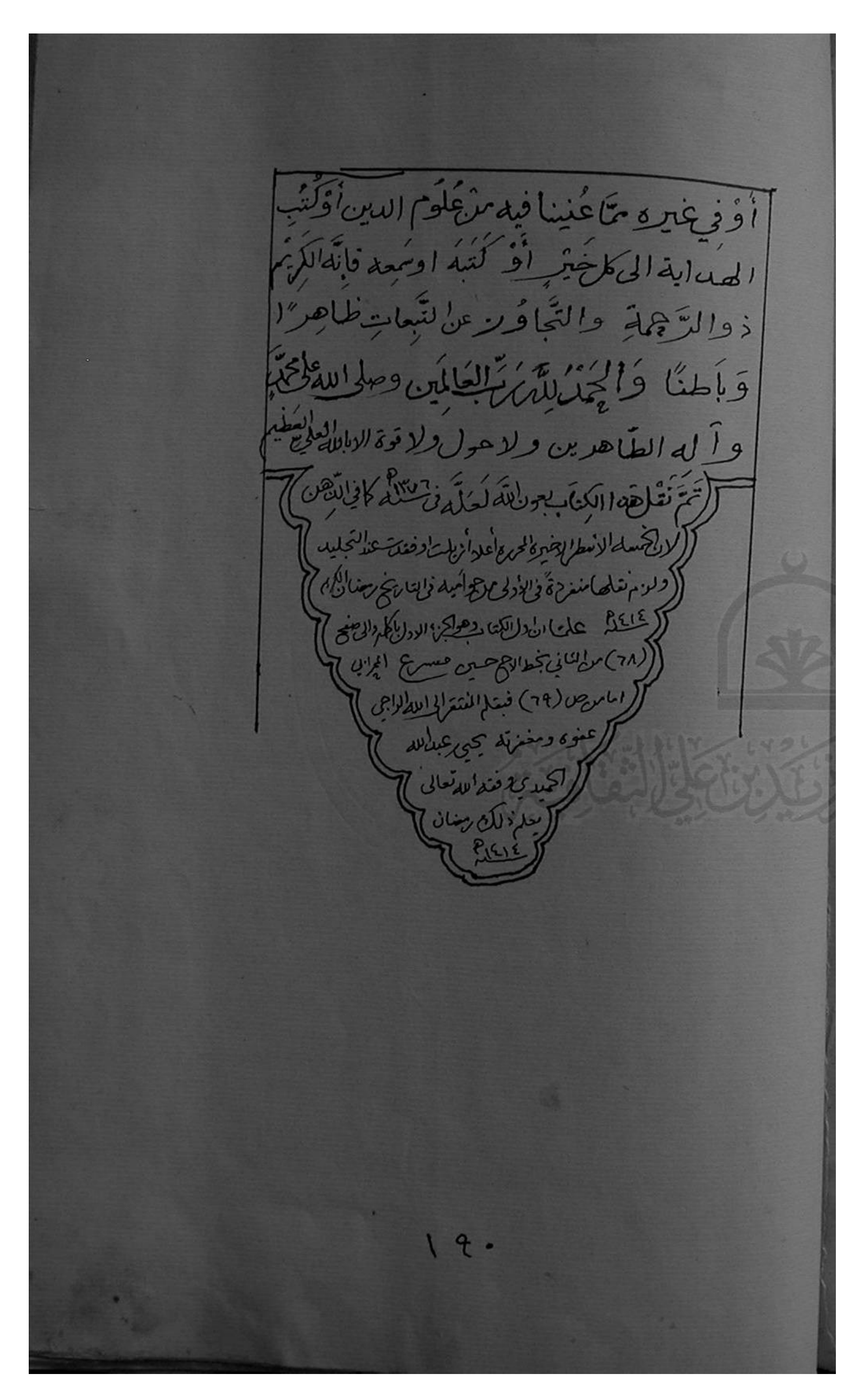
بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله

الحمد لله الحكيم الذي أنطق لسان الإنسان

فاغترف له بالغ الحكمة وأفصح له بحقائق العرفان
وفتق أغشية أفهام الأفهام بما ألهمها من لطائف
الصنعة وسحر البيان، وجعل لها سبيلاً إلى الإحاطة
بعلوم البلاغة وذريعة إلى معرفة إعجاز القرآن
فصار علم البلاغة حاكماً على العلوم الأدبية بواضح
الحجة والبرهان، فسبحان من أحكم الأشياء
بقدرته وعلى شأنه وقدرها باهر حكمته وعظيم
سلطانه، والصلوة على المبعوث بالبلاغة
الرائقة والمخصوص بالفصاحة الفائقة الملي بالقصص
المثبت بالحكمة الناطق بغرائب الحكم البديعة الحسنة
والمتكلم بعجائب الآداب البالغة المستحسنة المظهر
المواعظ النافعة المبين للأحكام النيرة القاطعة
والأسرار الدقيقة والنكت الأنيقة النبي

الملحق رقم (3)، الصفحة الأخيرة من النسخة (ج)

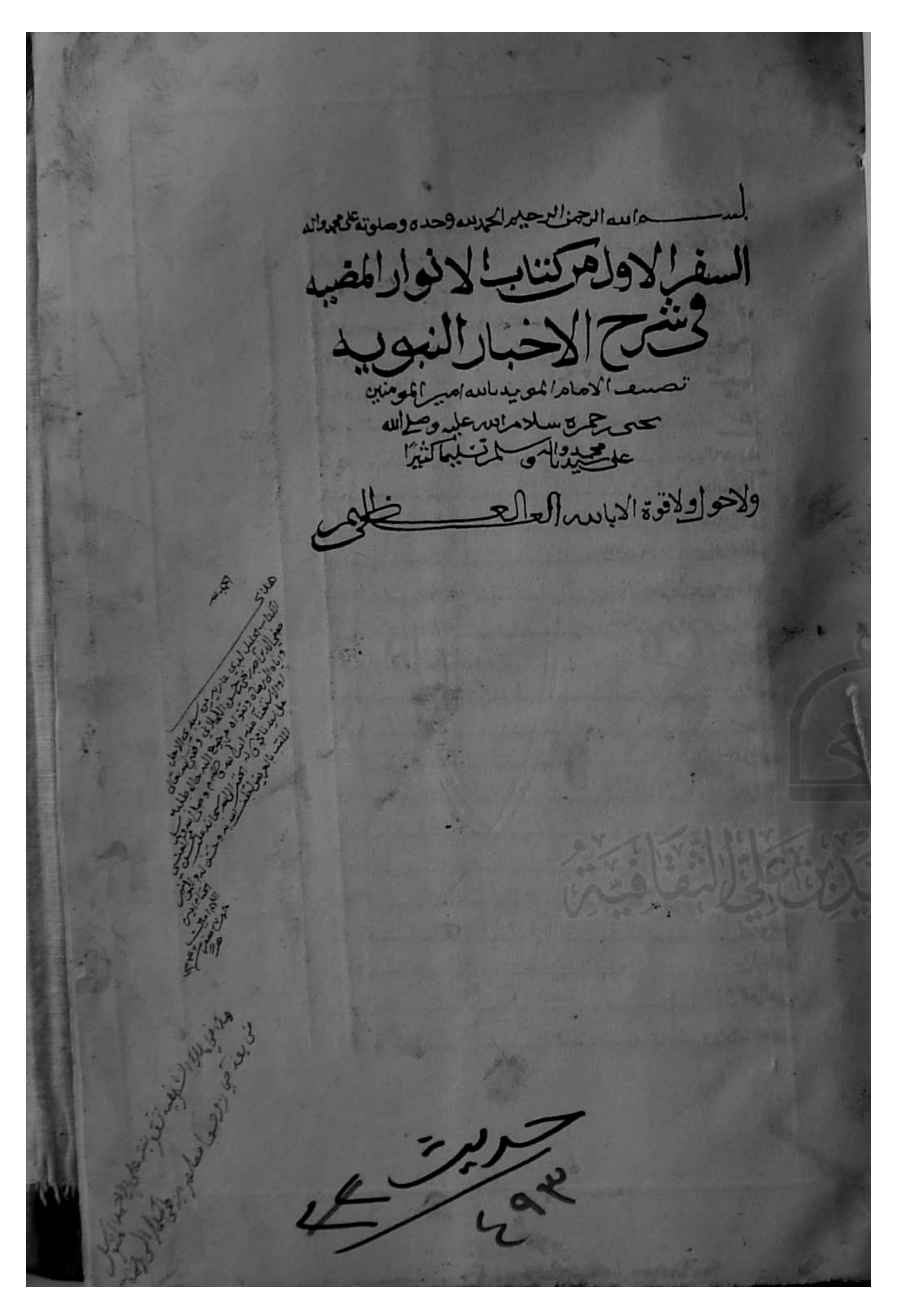


أو في غيره مما عنينا فيه من علوم الدين أو كتب
الهداية إلى كل خير أو كتبه أو سمعه فإنه الكريم
ذو الرحمة والتجاوز عن التبعات ظاهراً
وباطناً والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد
وآله الطاهرين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

تم نقل هذا الكتاب بعون الله لعله في سنة ١٣٧٦هـ كما في الذهن
لأن الخمسة الأسطر الأخيرة المحررة أعلاه أزيلت أو فقدت عند التجليد
ولزم نقلها منفردة في الأولى من جوابه في التاريخ رمضان الكريم
١٤١٤هـ علماً أن أول الكتاب وهو الجزء الأول بأكمله وإلى صفح
(٦٨) من الثاني بخط الأخ حسين مسرع المراني
أما من ص (٦٩) فبقلم المفتقر إلى الله الراجي
عفوه ومغفرته يحيى عبدالله
الحميدي وفقه الله تعالى
يعلم ذلك في رمضان
سنة ١٤١٤هـ

١٩٠

الملحق رقم (4)، الصفحة الأولى من النسخة (د)



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله

السفر الاول من كتاب الانوار المضيه

في شرح الاخبار النبويه

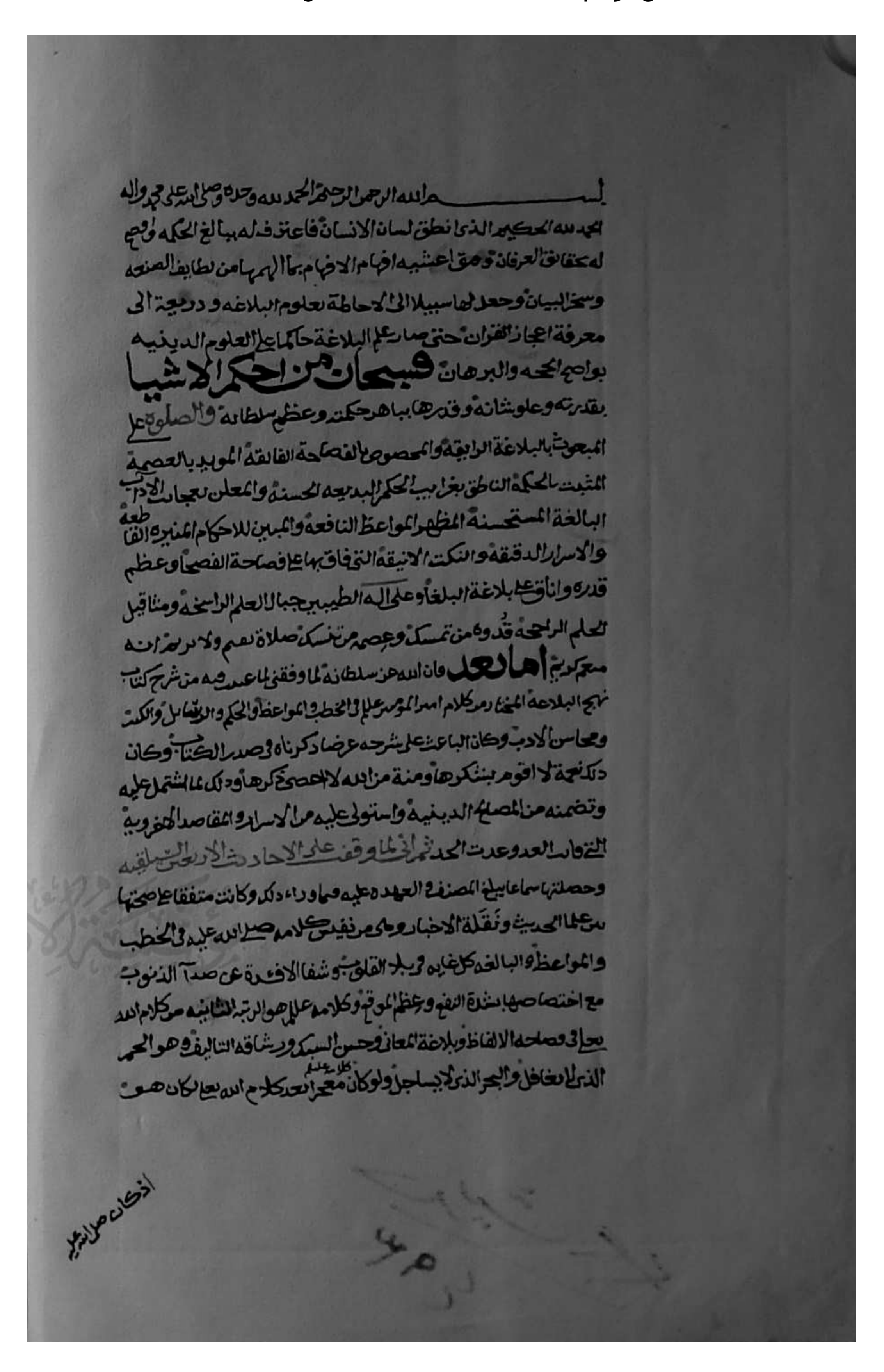
تصنيف الامام المويد بالله امير المومنين

يحيى بن حمزة سلام الله عليه وصلى الله

على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

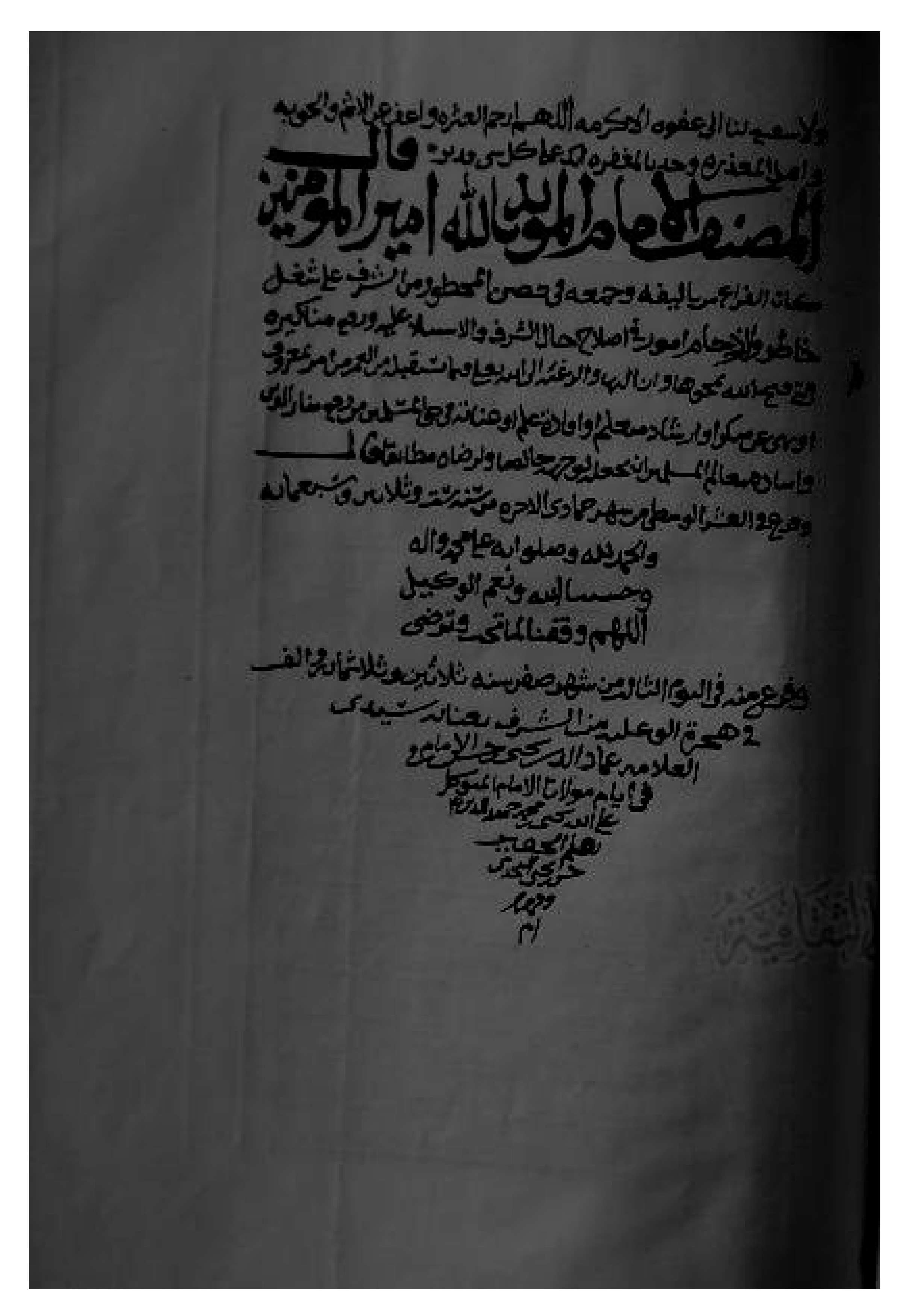
الملحق رقم (5)، الصفحة الثانية من النسخة (د)



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله
الحمد لله الحكيم الذي نطق لسان الانسان فاعترف له ببالغ الحكمه ووضح
له حقائق العرفان ومحق غشيه افهام الاذهان بما الهمها من لطايف الصنعه
وسحر البيان وجعل لها سبيلا الى الاحاطة بعلوم البلاغه وذريعة الى
معرفة اعجاز القران حتى صار علم البلاغة حاكما على العلوم الدينيه
بواضح الحجه والبرهان فسبحان من احكم الاشيا
بقدرته وعلو شانه وقدرها بباهر حكمته وعظم سلطانه والصلوة على
المبعوث بالبلاغة الرايقة والمخصوص بالفصاحة الفائقة المويد بالعصمة
المثبت بالحكمة الناطق بغرايب الحكم البديعه الحسنة والمعلن بعجايب الادب
البالغة المستحسنة المظهر المواعظ النافعة والمبين للاحكام المنيرة القاطعة
والاسرار الدقيقة والنكت الانيقة التي فاق بها على فصاحة الفصحا وعظم
قدره واناف على بلاغة البلغا وعلى آله الطيبين جبال العلم الراسخة ومثاقيل
الحلم الراجحة قدوة من تمسك وعصمة من تنسك صلاة تعمهم ولا تريم انه
منعم كريم اما بعد فان الله عز سلطانه لما وفقني لما عنيت به من شرح كتاب
نهج البلاغة المختار من كلام امير المومنين علي في الخطب والمواعظ والحكم والرسايل والكتب
ومحاسن الادب وكان الباعث على شرحه غرضا ذكرناه في صدر الكتاب وكان
ذلك نعمة لا اقوم بشكرها ومنة من الله لا احصي ذكرها وذلك لما اشتمل عليه
وتضمنه من المصالح الدينيه واستولى عليه من الاسرار والمقاصد الاخروية
التي فاتت العد وعدت الحد ثم اني لما وقفت على الاحاديث الاربعين التي لقيه
وحصلتها سماعا بطريق المصنف في العهده عليه فيما وراء ذلك وكانت متفقا على صحتها
بين علما الحديث ونقلة الاخبار وهي من نفيس كلامه صلى الله عليه في الخطب
والمواعظ والبالغه كل غايه في جلا القلوب وشفا الافئدة عن صدا الذنوب
مع اختصاصها بشدة النفع وعظم الموقع وكلامه عليه هو الرتبة الثانيه من كلام الله
تعالى في فصاحة الالفاظ وبلاغة المعاني وحسن السبك ورشاقة التاليف وهو البحر
الذي لا يفاضل والبحر الذي لا يساجل ولو كان كلام عليه السلم معجزا بعد كلام الله تعالى لكان هو

اذ كان صلى الله عليه

الملحق رقم (6)، الصفحة الأخيرة من النسخة (د)



[illegible] اللهم ارحم العثرة واعف عن الإثم والحوبة

وأصلح [illegible] وجد بالمغفرة إنك على كل شيء قدير. قال

المصنف الإمام المؤيد بالله أمير المؤمنين

[illegible]

والحمد لله وصلواته على محمد وآله

وحسبنا الله ونعم الوكيل

اللهم وفقنا لما تحب وترضى

وفرغ منه في اليوم الثالث من شهر صفر سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف

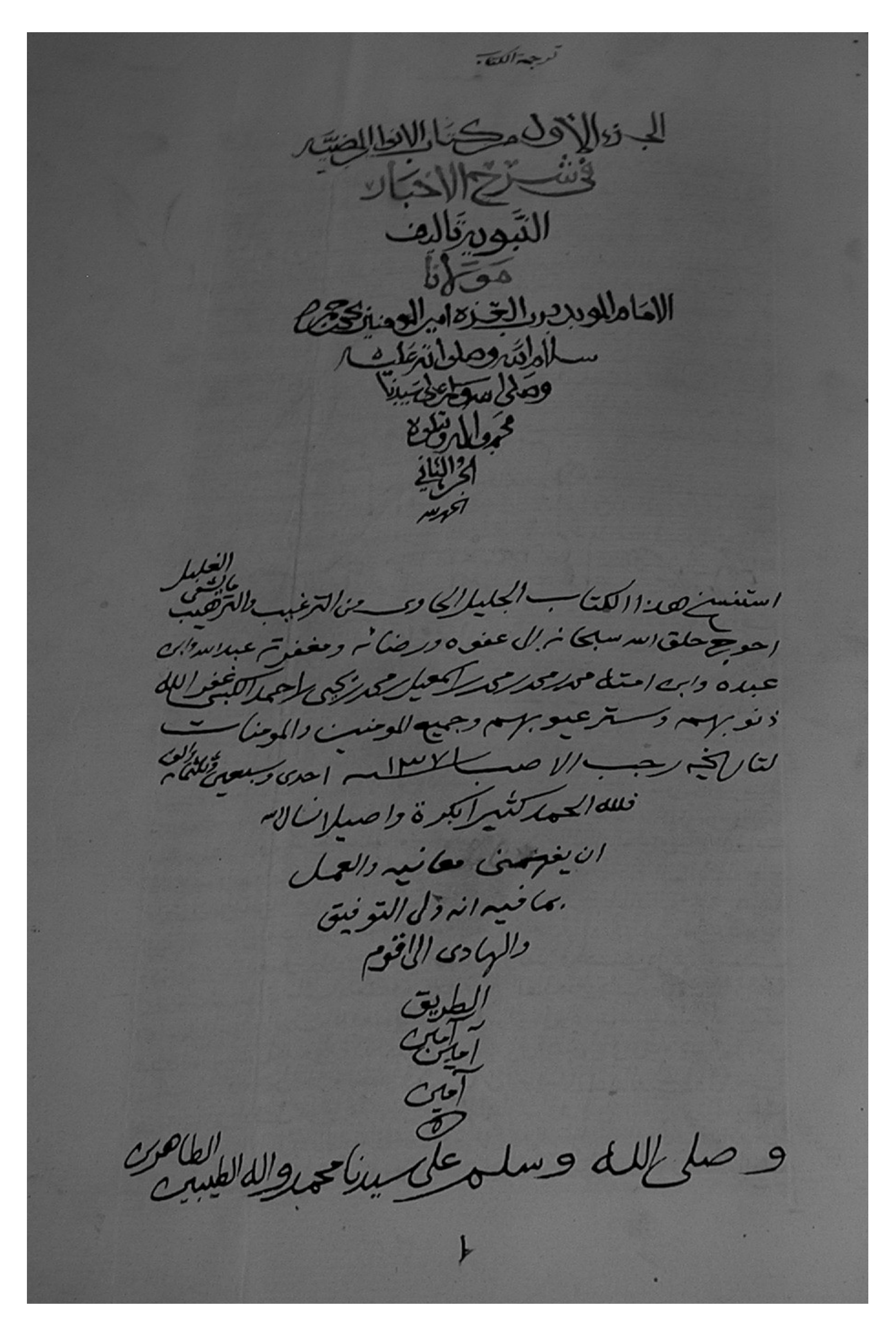
في هجرة [illegible] بعناية سيدي

العلامة [illegible]

في أيام مولانا الإمام [illegible]

[illegible]

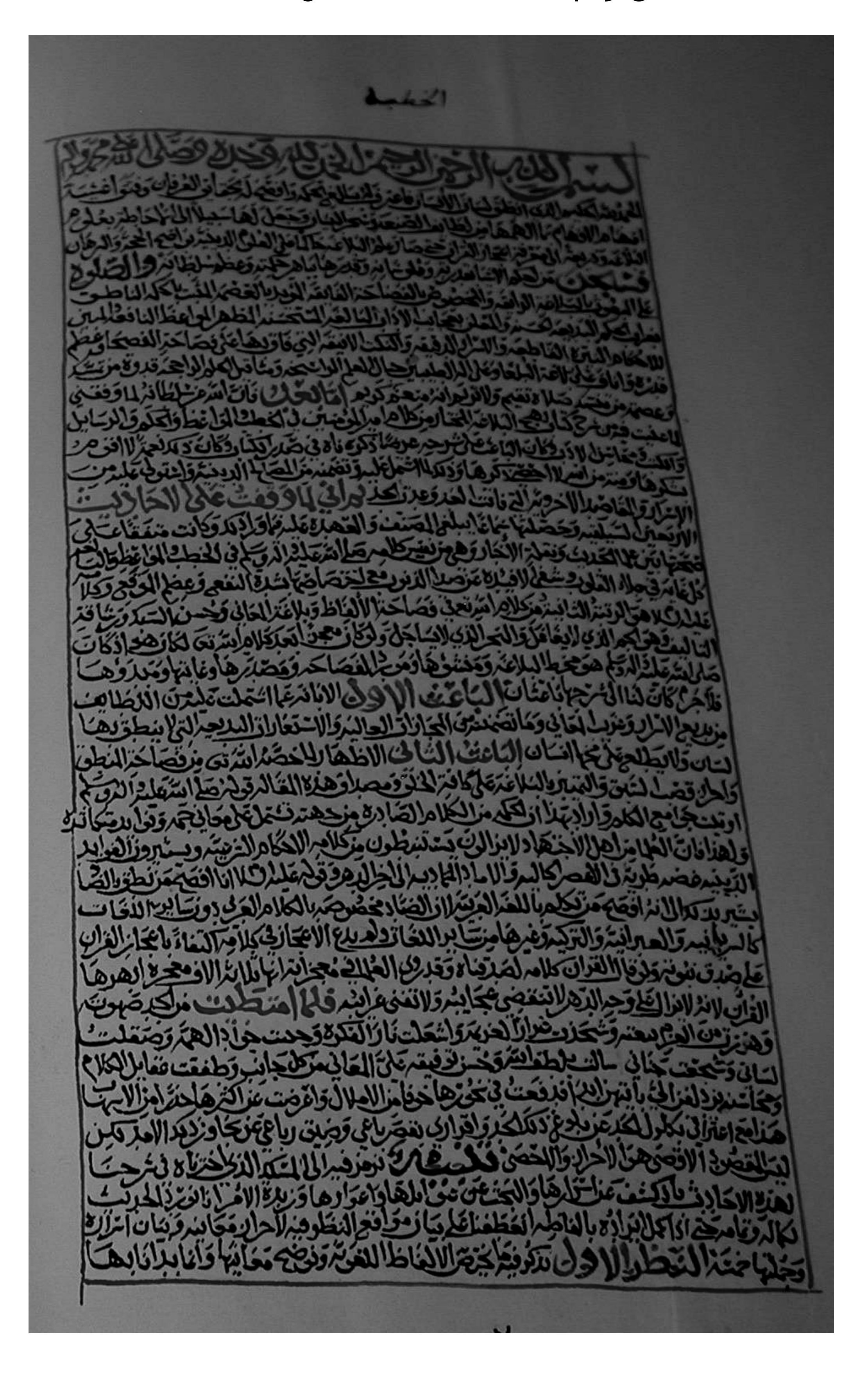
الملحق رقم (7)، الصفحة الأولى من النسخة (ك)



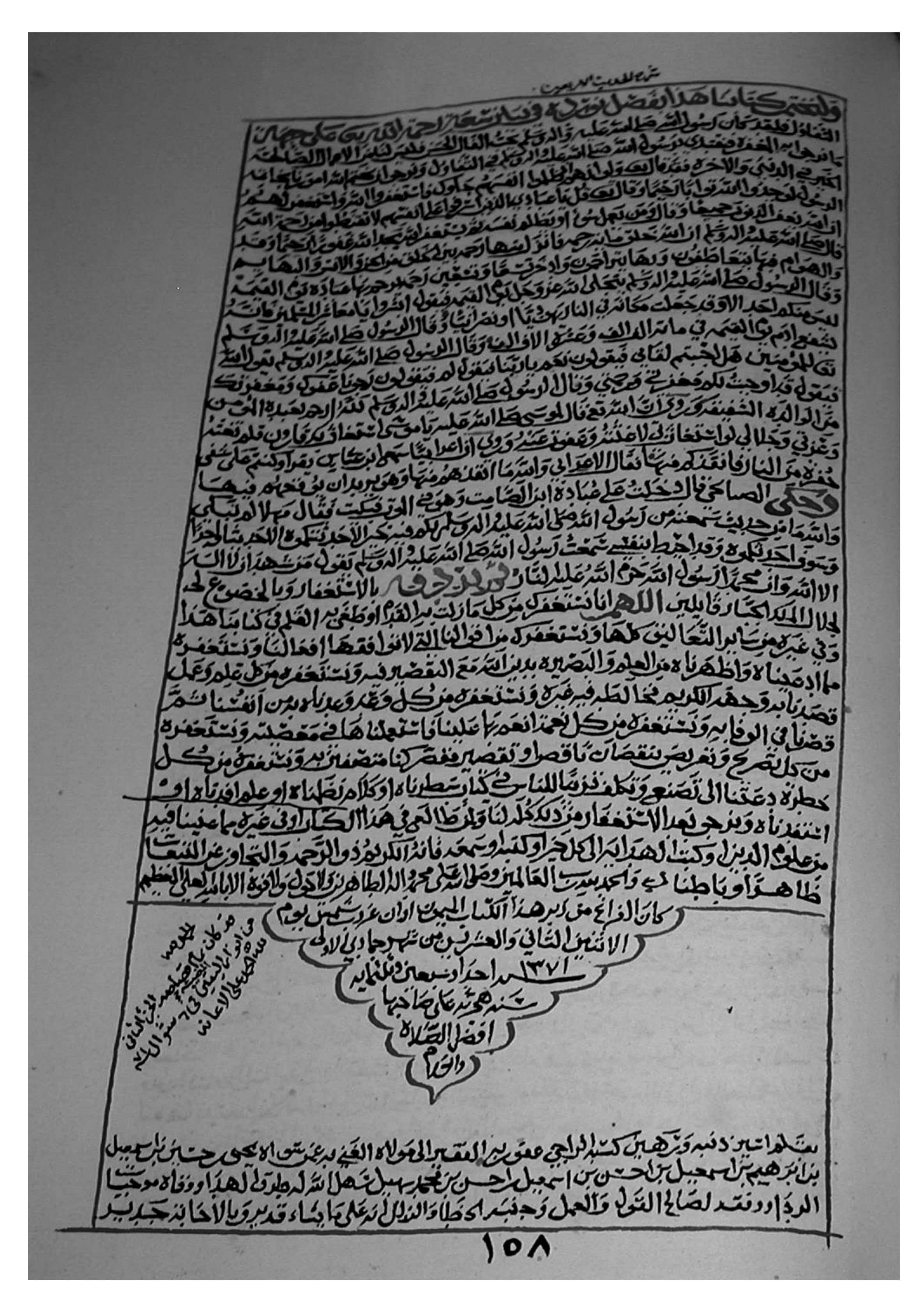
الجزء الأول من كتاب الأنوار المضيئة
في شرح الأخبار
النبوية تأليف
مولانا
الإمام المؤيد برب العزة أمير المؤمنين يحيى بن حمزة
سلام الله وصلواته عليه
وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وسلم
الجزء الثاني
الفهرس

استنسخ هذا الكتاب الجليل الحاوي من الترغيب والترهيب ما يشفي العليل
أحوج خلق الله سبحانه إلى عفوه ورضوانه ومغفرته عبد الله وابن
عبده وابن أمته محمد بن محمد بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى بن أحمد الكبسي غفر الله
ذنوبهم وستر عيوبهم وجميع المؤمنين والمؤمنات
لتاريخ رجب الأصب سنة 1371 احدى وسبعين وثلثمائة والف
فلله الحمد كثيرا بكرة وأصيلا أسأل الله
أن يفهمني معانيه والعمل
بما فيه إنه ولي التوفيق
والهادي إلى أقوم
الطريق
آمين آمين
آمين
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

الملحق رقم (8) الصفحة الثانية من النسخة (ك)



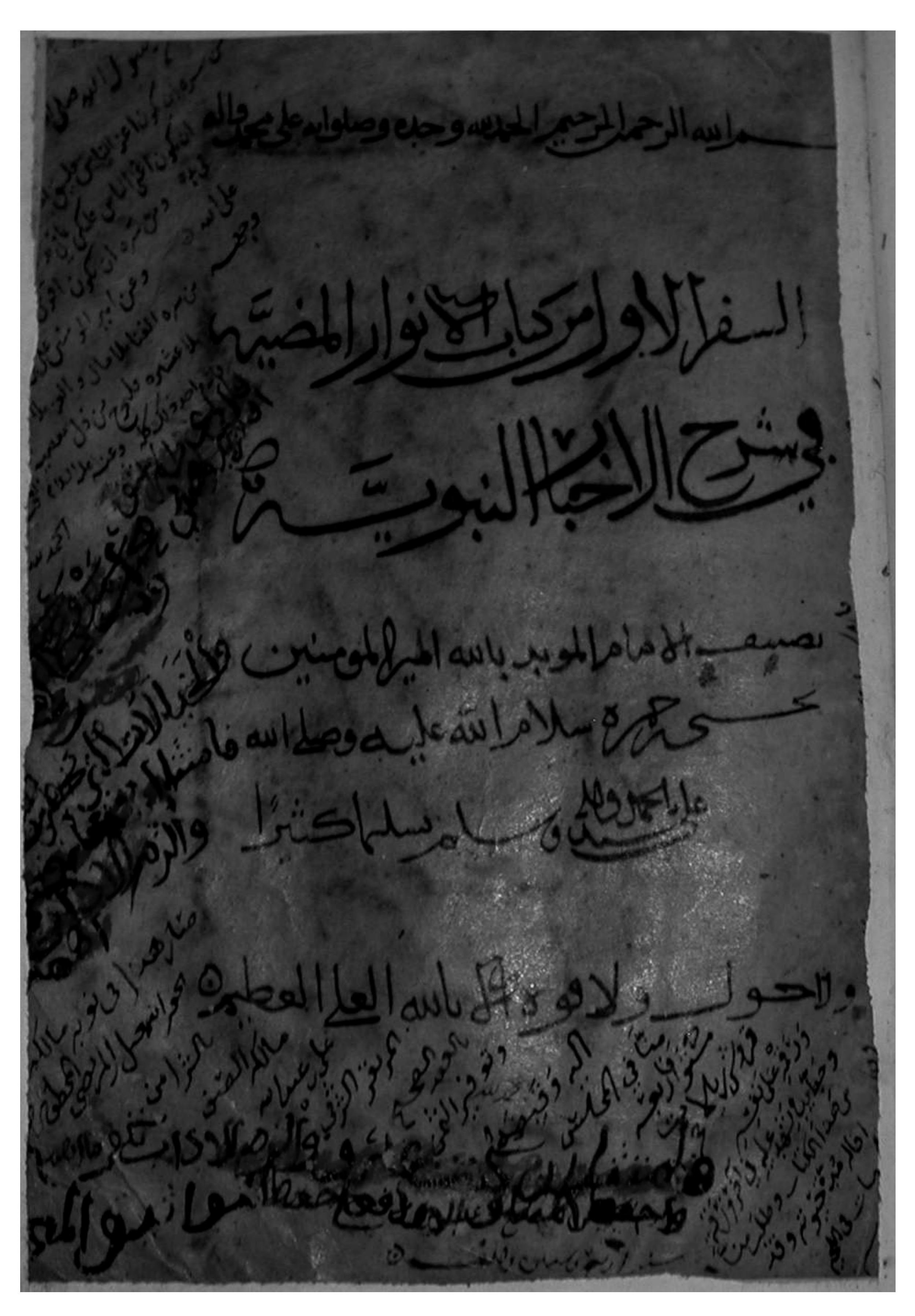
الملحق رقم (9) الصفحة الأخيرة من النسخة (ك)



كان الفراغ من زبر هذا الكتاب الميمون أوان غروب شمس يوم
الاثنين الثاني والعشرين من شهر جمادى الأولى
١٣٧١ سنة احدى وسبعين وثلثمائة
هجرية على صاحبها
أفضل الصلاة
والسلام

١٥٨

الملحق رقم (10)، الصفحة الأولى من النسخة (م)



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله

السفر الأول من كتاب الأنوار المضيئة

في شرح الأخبار النبوية

تصنيف الإمام المؤيد بالله أمير المؤمنين

يحيى بن حمزة سلام الله عليه وصلى الله

على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الملحق رقم (11)، الصفحة الثانية من النسخة (م)



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده وصلى الله

الحمد لله الحكيم الذي انطق لسان الانسان فاعترف له ببالغ الحكمة

واوضح له حقائق العرفان وفتح اغشية افهام الانام بما الهمها من

الصنعة وعلو البيان وجعل لها سبيلا الى الاحاطة بعلوم [illegible]

وذريعة الى معرفة اعجاز القران حتى صار علم البلاغة

حاكما على العلوم الدينية بواضح الحجة والبرهان فسبحان

من احكم الاشيا بعد رتبته وعلو شانه وقررها بباهر حكمه

وعظم سلطانه والصلاة على المبعوث بالبلاغة الرايقة والمخصوص

بالفصاحة الفايقة المويد بالعصمة المثبت بالحكمة الناطق بغرايب الحكم

البديعة الحسنة والحاوي محاسن الاداب الالوف المحسنة المظهر المواعظ الناقدة والمـ[illegible]

للاحكام النيرة القاطعة والاسرار الدقيقة والنكت الانيقة التي فاق بها على فصحاء

الفصحا وعظم قدره وانار على بلاغة البلغا وعلى اله الطيبين جبال العلم الراسخة

ومثاقيل الحلم الراجحة قدوة من تمسك وعصمة من تمسك صلاة هم ولا انتهاء لها

اما بعد فان الله عز سلطانه لما وفقني لما عنيت فيه من شرح كتاب نهج البلاغة المختار من كلام امير المؤمنين

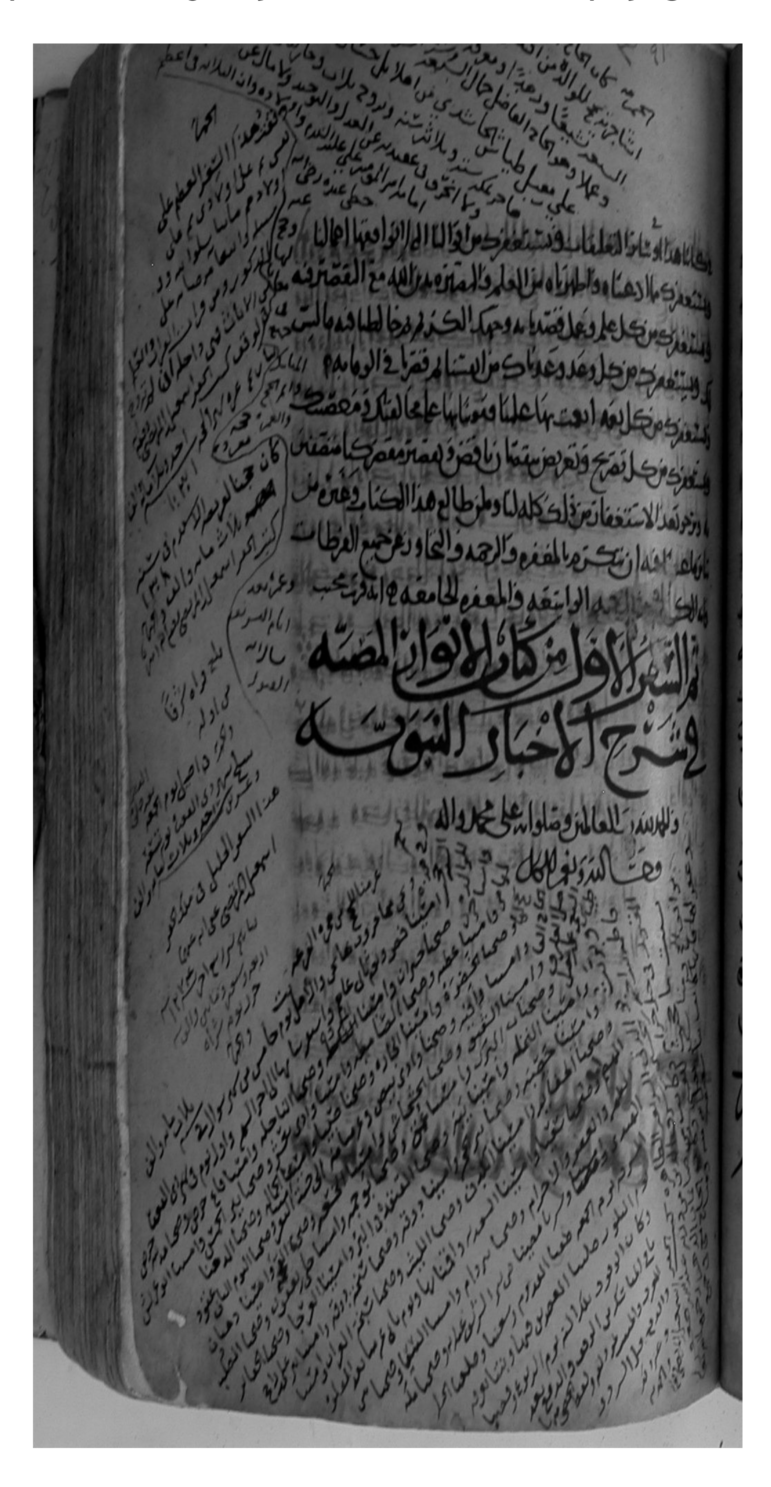
في الخطب والمواعظ والحكم والرسايل والكتب ومحاسن الاداب وكان الباعث على شرحه عن ما ذكرناه

في صدر الكتاب وكان ذلك نعمة لا اقوم بشكرها ومنة من الله لا احصي ذكرها وذلك

لما اشتمل عليه وتضمنه من المصالح الدينية واستولى عليه من الاسرار

والمقاصد الاخروية لكن فات العدو وعهد الخد

الملحق رقم (12)، الصفحة الأخيرة من النسخة (م)



تم السفر الأول من كتاب الأنوار المضيئة

في شرح الأخبار النبوية

والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد وآله

النصّ المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف]

الحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله.

الحمد لله الحكيم الذي أنطق لسان الإنسان، فاعترف له ببالغ الحكمة وأفصح له بحقائق العرفان، وفَتَق[1] أغشية إفهام الأفهام بما ألهمها من لطائف الصنعة وسِحر البيان، وجعل لها سبيلاً إلى الإحاطة بعلوم البلاغة وذريعةً إلى معرفة إعجاز القرآن، حتى صار علم البلاغة حاكمًا على العلوم الدينية بواضح الحجة والبرهان، فسبحان من أحكم الأشياء بقدرته وعلو شأنه، وقدّرها بباهر حكمته وعظم سلطانه.

والصلاة على المبعوث بالبلاغة الرائقة، والمخصوص بالفصاحة الفائقة، المؤيد بالعصمة، المثبت بالحكمة، الناطق بغرائب الحكم البديعة الحسنة، والمعلِن بعجائب[2]الآداب البالغة المستحسنة، المظهر المواعظ النافعة، والمبين للأحكام النيرة[3]القاطعة، والأسرار الدقيقة، والنكت الأنيقة التي فاق بها على فصاحة الفصحاء، وعظم قدره وأناف على بلاغة البلغاء، وعلى آله الطيبين جبال العلم الراسخة، ومثاقيل الحلم الراجحة، قدوة من تمسك، وعصمة من تنسك، صلاة تقيم ولا تريم[4]، إنه منعم كريم.

أما بعد: فإنَّ الله- عزّ سلطانه- لمّا وفقني لما عنيت فيه من (**شرح كتاب**

---

1)) الفتْقُ: خلاف الرّتق فتقه يفتقه فتقا أي شقه. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، ط3، عام 1994م، بيروت، لبنان، مادة (فتق).

2)) في النسخة (د) لعجائب. {وهي في السياق أنسب}.

3 (?) في (د،م) المنيرة.

4)) تريم: أيْ لا تبرح، وهي من رام يريم، وهو دعاء بالإقامة. ينظر: لسان العرب، مادة (ريم).

نهج البلاغة المختـار من كلام أمـير المؤمـنين[1])- رضـي اللـه عنـه- في الخطب والمواعـظ والحكم والرسـائل والكتب ومحاسـن الأدب[2]، وكـان البـاعث على شرحه عرضًا ذكرناه في صدر الكتـاب، وكـان ذلـك نعمـة لا أقـوم بشـكرها، ومنّة من اللـه لا أحصـي ذِكرهـا؛ وذلـك لمـا اشـتمل عليه، وتضـمنه من المصـالح الدينية، واستولى عليه من الأسرار والمقاصد الأخرويـة الـتي فـاقت العـدّ وعـدت الحدّ.

ثم إني لمّا وقفت على (**الأحاديث الأربعين السيلقية**)، وحصلتها سماعًا تبلغ المصنف، والعهدة عليه فيمـا وراء ذلـك، وكـانت متفقًا على صـحتها بين علمـاء الحديث ونقلة الأخبار، وهي من نفيس كلامه صلى الله عليه وآله وسلم في الخطب والمواعظ، والبالغة كل غاية في جلاء القلوب، وشفاء الأفئدة عن صدأ الـذنوب، مـع اختصاصها بشدّة النفع وعظم الموقع، وكلامه عليه السلام هو الرتبة الثانية من كلام الله- تعالى- في فصاحة الألفاظ، وبلاغة المعاني، وحسن السبك، ورشـاقة التـأليف، وهو الجمّ الذي لا يغافل، والبحر الذي لا يساجل، ولـو كـان[3] معجـزًا بعـد كلام اللـه تعالى لكان هو؛ إذ كان صلى الله عليه وآله وسلم هو محطّ البلاغة ومنشؤها، ومورد الفصاحة ومصدرها وغايتها ومبدؤها؛ فلا جرم كان لنا إلى شرحها باعثان:

---

1)) وهو الإمـــام علي بن أبي طـــالب بن عبد المطلب بن هاشم، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، ولد بمكة سنة 23 ق هـ، تربى في حجر الرسول- صـلى الله عليه وآله وسـلم- أول من آمن من الرجـال، وأول من صـلى مع رسـول اللـه- صـلى الله عليه وآله وسـلم- شـهد المشاهد كلها مع الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- ما عدا تبوك فإنه خلفه على المدينة، زوجه ابنته فاطمـــة- رضي الله عنهـــا- في الســـنة الثانية من الهجـــرة، بويع بالخلافة بعد استشـهاد عثمـان- رضي الله عنـه-، وجعل الكوفة دار خلافتـه، وكـانت خلافته أربع سـنين وتسـعة أشـهر، قتله عبد الـرحمن بن ملجم في شـهر رمضـان سـنة 40هـ، وقـبره بـالنجف مزور. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن عبد الـبر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط1، عام 1412هـ، بـيروت، لبنـان، 3/ـ 1089ـ ـ 1128. الأعلام للزركلي، 4/ 295، 296.

2)) واسم الكتاب (الديباج الوضي في الكشف عن أسرار كلام الوصـي)، مطبـوع حققه خالد قاسم المتوكل، وإشراف عبد السلام عباس الوجيـه، مؤسسة الإمـام زيد بن علي الثقافيـة، ط1، عام 2003م، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

3 (?) في (د،م) زيادة: كلامه عليه السلام. {وهذه الزيادة تخلّ بالمعنى}.

الباعث الأول: الإبانة عمّا اشتملت عليه من اللطائف من بديع الأسرار وغريب المعاني، وما تضمنته من المجازات العالية، والاستعارات البديعة التي لا ينطق بها لسان، ولا يطلع على مخّها إنسان.

الباعث الثاني: الإظهار لما خصّه الله تعالى من فصاحة المنطق، وإحراز قصب السبق[1]، والتمييز، و[2]البلاغة على كافة الخلق، ومصداق هذه المقالة قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أوتيت جوامع الكلم»[3]، وأراد بهذا أن الحكمة من الكلام الصادرة من جهته تشتمل على معانٍ جمّة وفوائد متكاثرة؛ ولهذا فإن العلماء من أهل الاجتهاد لا يزالون يستنبطون من كلامه الأحكام الشرعية، ويستنيرون الفوائد الدينية غضّة طريّة في الأعصر الخالية، والآماد الممادية[4]إلى آخر الدهر.

وقوله عليه السلام: «أنا أفصح من نطق بالضّاد»[5] يشير بذلك إلى أنه أفصح من تكلم باللغة العربية؛ لأنّ الضّاد مخصوصة بالكلام العربي دون سائر اللغات: كالسريانية، والعبرانية، والتركية، وغيرها من سائر اللغات، ولم يدع الإعجاز في كلامه اكتفاء بإعجاز القرآن على صدق نبوته، ولو قال: القرآن كلامه لصدقناه، وقد روى العلماء في معجزاته أنَّها ثلاثة آلاف معجزة[6] أبهرها القرآن؛

---

1 (?) القصب: كل نبات ذي أنابيب، وكل عظم مستدير، وقيل للسابق: أحرز القصب؛ لأنَّ الغاية التي يسبق إليها تُذرع بالقصب وتركز تلك القصبة عند منتهى الغاية فمن سبق إليها حازها، ويقال للسابق: حاز قصب السبق أيْ: استولى على الأمد. ينظر: لسان العرب ، مادة (قصب) .

2 (?) في (د،م) الباء بدلاً عن الواو .

3 (?)صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير اليمامة، ط3،عام 1987م، بيروت، لبنان،6/ـ 2573. بلفظ: «بعثت بجوامع الكلم». صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، (ت)، بيروت، لبنان، 1/ 371.

4 (?) في (د) المتمادية.

5 (?) الحديث معناه صحيح ولا أصل له، كشف الخفاء، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي، تحقيق أحمد القلاش، مؤسسه الرسالة ، ط4، 1405هـ، بيروت ، لبنان ، 1/ 232.

6 (?) ينظر: الخصائص الكبرى، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية، عام

لأنّه لا يزال على وجه الدهر لا تنقضي عجائبه، ولا تفنى غرائبه.

فلما امتطيت من الجـدّ صـهوته، وهـززت من العـزم نبعتـه، وشـحذت غـرار العزيمة، وأشعلت نـار الفكـرة، وحـنيت[1]جـواد الهمـة، وصـقلت لسـاني، وشـجّعت جناني، سالت بلطـف الله، وحسـن توفيقـه عليّ المعـاني من كـل جـانب، وطفقت عقائـل الكلام، ومحاسـنه يـزدلفن إليّ بـأيتهن أبـدأ، فـدفعت في نحورهـا خوفًـا من الإملال، وأعرضت عن أكثرها حذرًا من الإسهاب، هذا مع اعـترافي بكلـول الجـدّ عن بلوغ ذلك الحدّ، وإقراري بقصر باعي، وضيق رباعي عن تجاوز ذلك الأمد، لكن ليس المقصود الأقصى هو الإحراز والإحصاء.

تنبيه: نرمـز فيـه إلى المسـلك الـذي اخترنـاه في شـرحنا لهـذه الأحـاديث، بالكشـف عن أسـرارها، والبحث عن غوائلها[2]وأغوارهـا وزبـدة الأمـر؛ إنّـا نـورد الحديث بكماله[3] وتمامه، حتى إذا كمل إيراده بألفاظه انعطفنـا على بيـان مواقـع النظر فيه؛ لإحراز معانيه وبيان أسراره، وجملتها خمسة:

النظر الأول: نذكر فيه ما يختص الألفاظ اللغوية ونوضح معانيها

وإنما بدأنا بها؛ لأنّهـا كلام في الألفـاظ المفـردة، ودلالتهـا على معانيهـا، إمـا

1985م، بيروت، لبنان، 2/ 318.

[1])) في (د) حثثت. {وهو المناسب للسجع والسياق}.

[2] (?) الغول: الأمر الداهي والغوائل الدواهي. ينظر: لسان العرب، مادة (غول).

[3])) في (ك) لكماله. {ولعل المناسب: بكماله}.

بالتوقيف[1] كما هو محكي عن ابن فورك[2]من الأشعرية[3]، وإمـا بالمواضعة[4] كما هـو رأي الزيدية[5]، وأكـثر المعتزلة[6]، وإمــا أنْ يكـون بعضـها بـالتوقيف وبعضـها بالمواضعة[7] كما هو رأي الشيخ أبي علي[8]من المعتزلة.

وإمـا بالوقف[9] كما هو محكي عن الشيخ أبي حامد الغزالي[10].

وحاصل هذه المقالة: هو أنّ الكل من هذه الأقاويـل ممكن لا سـبيل إلى

---

1)) التوقيف معناه: وضعها الله تعالى فعُبّر عن وضعه بالتوقيف، وهو رأي ابن فـورك. ينظـر: حاشية العطار على جمع الجوامع، حسن العطار، دار الكتب العلميـة، ط1، عـام 1420هــ ، بيروت، لبنان، 1/ 352.

2)) وهو محمد بن الحسن بن فورك الأنصـاري الأصـبهاني، واعظ عـالم بالأصـول والكلام من فقهاء الشافعية توفي سنة 404هـ- 1015م بالقرب من نيسابور فنقل إليها. ينظر: طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد قاضي شهبة، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، ط1، عام 1407هـ، بيروت، لبنان،1/ 136. الأعلام للزركلي، 6/ 83.

3)) الأشعرية: تنسب إلى أبي الحسن علي بن إسـماعيل الأشـعري، المنتسب إلى أبي موسى الأشعري، وهم يثبتون لله تعالى الصفات الأزلية، كالعلم، والقـدرة، والحيـاة، وغيرهـا. ينظـر: شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين بن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، عام 1959م، بيروت، لبنان، 1/ 59.

4)) المواضـعة معناهـا: اصـطلاحية وضـعها البشـر، وهو رأي أكـثر المعتزلـة. ينظـر: حاشـية العطار، 1/ 353.

5)) الزيديـة: تنسب إلى الإمـام زيد بن علي بن الحسـين بن علي بن أبي طـالب- رضي الله عنهما- المولود سنة 75هـ، والمتـوفى سـنة 122هـ، لقـولهم جميعًا بإمامتـه، ويـرون القـول بالتوحيـد، والعـدل، والوعـد، والوعيـد، والأمر بـالمعروف، والنهي عن المنكـر. ينظـر: المنية والأمل في شرح الملل والنحل، أحمد بن يحيى بن المرتضى، دار الندى، ط2، عام 1990م، بيروت، لبنان، 96.

6)) المعتزلة: تنسب إلى واصل بن عطاء الغزال، اعتزل مجلس الحسن البصـري، حيث قـرر المنزلة بين المنزلـتين، فمـرتكب الكبـيرة ليس بمـؤمن ولا كـافر، فقـال الحسـن: اعتزلنا واصل، ويسمون أصحاب العـدل والتوحيـد. ينظـر: الملل والنحـل، محمد بن عبد الكـريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، عام 1404هـ، بـيروت، لبنان، 1/ 43- 45. المواقف، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، ط1، عام 1417هـ، بيروت، لبنان، 3/ 652.

7)) ينظر: المزهر في علوم اللغة والأدب، جلال الدين السيوطي، تحقيق فـؤاد علي منصـور، دار الكتب العلمية، ط1، عام 1998م، بيروت، لبنان، 1/ 14- 20.

8)) وهو محمد بن عبدالوهاب بن سـلام الجبـائي أبو علي المولـود سـنة 235هــ- 849م، من أئمة المعتزلـة، ورئيس علمـاء الكلام في عصـره وإليه تنسب الطائفة الجبائيـة، نسـبته إلى جبى من قرى البصرة، توفي سنة 303هـ- 916م، ودفن بجبى. ينظر: وفيات الأعيان وأنبـاء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد خلكـان، تحقيق إحسـان عبـاس، دار صـادر، ط1، عام 1971م، بيروت، لبنان، 4/ 267- 269. طبقات المفسـرين للـداودي، أحمد بن محمد الأدنهوي، تحقيق سليمان صالح الخزي، مكتبة العلـوم والحكم، ط1، عـام 1997م، المدينة المنورة، السعودية، 1/ 62. الأعلام للزركلي، 6/ 256.

9)) ينظر: المنخول، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق د. محمد حسن هيتو، دار الفكر، ط 2، عام1400هـ، دمشق، سوريا، 71.

10)) وهو محمد بن محمد الغزالي الطوسي، فيلسـوف متصـوف، مولـده ووفاته بطـبران، سـنة

القطع بواحد منها إلا ببرهان قوي، وحُجّة واضحة، وهذا هو المختـار، وقـد قررنـاه في الكتب الأصولية.

النظر الثاني: نورد فيه ما اشتمل عليه من المعاني الإعرابية

لأنه كلام في الجمل المركبة من جهة أن الإعـراب لا يسـتحق إلا بعـد العقـد والـتركيب؛ ونعـني بـالتركيب الـذي يكـون مختصًّا بالإسـناد المعنـوي دون سـائر التراكيب، فإنها لا تفيد الإعراب بحال، والذي يستفاد منه الإعراب هـو قولنـا: زيـد قائم، وخرج عمرو، وكان إيـراد المعـاني الإعرابيـة على إثـر الألفـاظ اللغويـة لمـا بينهما من قوة التدالي[1]، ومزيد الاتصال، وكلاهما معدود في علم الأدب.

النظر الثالث: نشير فيه إلى ما اشتمل عليه من العلوم المعنوية المختصة بعلم المعاني

ويندرج تحته بيان المقاصد التي أوردهـا عليـه السـلام، وفيـه الشـأن كلّـه، ومـا سبق لها[2]كان على جهـة التمهيـد والتوطئـة، ومـا يتلـوه إنمـا هـو على جهـة التتمـة والتكملة، والتفرقة بين علوم المعاني وعلـوم الإعـراب، مـع أنّ كـل واحـد منهمـا لا تحصل إلا في المركبات، هو أنّ المعـاني المقصـودة من علم الإعـراب إنمـا يحصـل بمجرد التركيب، وإسناد أحد الجزأين إلى الآخر بخلاف[3] المعاني الحاصلة من علوم المعاني، فإنها أمر زائد على التركيب، فإنهـا أخصّ من علم الإعـراب؛ لأنّ المقصـود منها توخي معاني النحو في التركيب من تقديم المبتدأ وتأخير الخبر، وتقـديم الفعـل على فاعله، وتأخير المفاعيل، فإنْ خُولف ما ذكرناه، فإنما هو لأغراض ومقاصد إلى

---

450 ـ 505هـ = 1058 ـ 1111م. ينظـر: وفيـات الأعيـان، 4/ـ 218. طبقـات الشـافعية الكبرى، تاج الـدين بن علي السـبكي، تحقيق د. عبد الفتـاح الحلـو، د. محمـود الطنـاجي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، عام 1413هــ، القـاهرة، مصر، 6/191. الأعلام للـزركلي،7/ 22.

1 (?) في (د،ك،م) قرب التداني.

2 (?) في (د،م) إنما بدلاً عن لها.

3 (?) في (د) سقط: الباء.

غير ذلك من الأسرار المعنوية المختصّة بالتقديم والتأخير والفصل والوصل.

النظر الرابع: في الإشارة إلى ما تضمنه من العلوم البيانية

وحاصلها إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة؛ لإيضاح المـدلول عليه، ومثالـه: أنك إذا أردت أنْ تصف زيدًا بالشجاعة، فتارة[1] تعبر عن ذلك بقولك: زيد كالأسـد، ورأيت الأسد، وزيد أسد، فكلّها تفيد وصفه بالشجاعة تارة بطريق التشـبيه، ومرّة بطريق الاستعارة، والتفرقة بين علوم المعاني وعلوم البيان ظـاهرة، فـإنَّ علـوم المعـاني مقصـورة على معرفـة تـوخي معـاني النحـو في الـتراكيب الإسـنادية، بخلاف[2]علوم البيان فإنها مقصورة على معرفة تأدية المعنى بطـرق مختلفـة من جهة التجوزات المجازية، فأنها مقررة عليها.

النظر الخامس: نورد فيه ما اشتمل عليه من علوم البديع

وهــو علم يختصّ بالبلاغة[3] والفصــاحة وتحســين الكلام بــالنظم والتــأليف، والتفرقـــة بين علـــوم البيـــان وعلـــوم البـــديع هـــو مـــا أشـــرنا إليـــه من أنّ

- علم البيان يختصّ بإيراد الكلام لتأدية المعـاني بطـرق مختلفة، بخلاف علم البـديع فإنه متعلق بالفصاحة والبلاغة كما سـتراه منبهًا عليـه في مواضـعه اللائقـة عليه[4] بمعونة الله.

ثم إنَّ هذه العلوم الخمسـة الـتي أشـرنا إليهـا بعضـها أخصّ من بعض، فعلم الإعراب أخصّ من علم اللغة، من جهة أنَّ الإعراب مختصّ بالتركيب، وعلم اللغـة مختصّ بالمفردات، والمفرد قبل المركب، وسابق عليه.

---

1 (?) في (د) سقط: الفاء.
2)) في (م) سقط: الباء.
3 (?) في (ك) سقط حرف الجر الباء.
4 (?) في (د،ك،م) به . {والمناســب: به؛ لأن عليه تـــدل على الاســتعلاء ولا معـــنى لدلالة الاستعلاء هنا}.

وعلم المعاني أخصّ من علم الإعراب من جهـة أنَّ علم المعـاني مبـني على توخي معاني النحو في تقديم المقدم وتأخير المؤخر في المفاعيل والمسـند إليـه والمسند به.

وعلم البيـان أخصّ من علم المعـاني من جهـة أنَّ علم البيـان مختصّ بـأمر زائد، وهـو جريـه في المجـازات الحسـنة والاسـتعارات الرشـيقة، وعلم المعـاني لاتؤخذ منه هذه الفائدة، وعلم البديع أخصّ من علم البيان من جهة أنَّ علم البديع مختص بالبلاغة والفصاحة.

وعلم البيان مقصور على المجازات من: التشـبيه، والاسـتعارة، وعلم البـديع هو الغاية القصوى في تحسـين الكلام، وإيـراده في القـوالب البديعـة، ويـنزل من الكلام منزلة الدهن من اللبّ، ويحلّ منه محلّ الإنسان من سواد العين، ولولاه لم ترَ لساًنا يحوك الوشي من الكلام، ويصـوغ الحلي، وينفث السـحر مفـتر الأكمـام، ومن ثمة[1] ظهر إعجاز القرآن ظهور المـرئي في العيـان، بيْـد أني لم أعلم أحـدًا من العلماء كـرع[2] في حياضـها، ولا رجـل من الفضـلاء شـرح فكـرة في رياضـها بالبحث، والتنقير لمعانيها والجدّ والتشمير في استخراج غوامضها.

نعم قـد كـان من الإمـام المنصـور باللـه أمـير المؤمـنين- رضـي اللـه عنـه وأرضاه- شرح سماه (**حديقة الحكمة**)، ولقد أتى فيه بـالعجب العجـاب، ولبـاب الألباب في الإناخة[3]عن مقاصدها، والكشف عن أسرارها، لكنّـه لم يكشـفها هـذا الكشـف بالاسـتيلاء على هـذه العلـوم الخمسـة الـتي ذكرناها، واكتفى بشـرح مقاصده صلى الله عليه وآله وسلم من غير زيادة، وأهمل رعاية الضبط والحصـر بالعقود اللائقة، والترتيبـات الفائقة، وشـرحه هـذا دال على أنَّ لـه في علم الأدب

---

1 (?) في (د،ك،م) ثم.

2 (?) كرع في الماء يكرع كرعًا و كروعًا إذا تناوله بفيه. ينظر: لسان العرب، مادة (كرع).

3 (?) في (د،ك،م) الإبانة. {وهي تناسب السياق}.

اليـد البيضـاء، وفي علم التـواريخ النصـيب الأوفى، فأمـا أنسـاب الـرواة، وذكـر أحوالهم، وطرائقهم، فقد أعرضنا عن ذكره؛ لأنه بمعـزل عن حـديث رسـول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وهو بعلم التاريخ أليق فلا يمزج أحدهما بالآخر.

فلمـا سـبكته بنـار الفكـرة في بوتـق التحقيـق وضـعته[1]على هـذا المصـاغ المعجب الأنيـق سـميته بــ (**كتـاب الأنـوار المضـيئة في شـرح الأحـاديث النبوية**) ليكون الاسم مطابقًا لمسماه، واللفظ موافقًا لمعناه.

وأنا أسأل الله بجلاله الذي ملأ القلوب هيبة وخشوعًا، وخضعت لـه الرقـاب، وعنت له الوجوه سـجودًا وركوعًا أنْ يجعـل عنـايتي فيـه من أثقـل مـا يوضـع في مـيزاني، وينفع[2]من قصـده ونحـاه من جميـع إخـواني، ويهب لي خاتمة الخـير، ويجعله خالصًا لوجهه، ومطابقًا لرضاه، إنه سميع مجيب.

1 (?) في (ك) صغته. {وصغته: أنسب ليتم السجع}.
2 (?) في (م) زيادة: به.

الحديث الأول

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ[1] قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِـهِ وَسَلَّمَ- عَلَى نَاقَتِهِ الْجَدْعَاءِ، فَقَالَ: «**أيّها النَّاسُ كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ، وَكَأَنَّ الحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ، وَكَأَنَّ الَّذِي نُشَيِّعُ مِنَ الأَمْوَاتِ سَفْرٌ عَمَّا قَلِيْلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ، نُبَوِّئُهُم أَجْدَاثَهُمْ، وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ، كَأَنَّا مُخَلَّدُونَ بَعْدَهَمُ، نَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ، وَأَمِنَّا كُلَّ جَائِحَةٍ، طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ مَالاً اكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَجَالَسَ أَهْلَ الفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ، وَخَالَطَ أَهْلَ الذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ، طُوبَى لِمَنْ ذَلَّتْ نَفْسُهُ، وَحَسُنَت خَلِيقَتُه، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُه، وَعَزَلَ عَن النَّاسِ شَرَّه، طُوبَى لِمَنْ أَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِه، وَوَسِعَتْهُ السُّنَّةُ، وَلَم تَسْتَهْوِهِ الْبِدْعَةُ**»[2].

فنقول: الحمد لله القيوم الذي أحيا بالزهد قلوب أوليائه، ونوّر بالحكمة والموعظة الحسنة صدور أحبائه، وشرح صدورهم بنور معرفته، وأفاض عليهم أنوارًا من مشكاة لطفه ورحمته، واصطفاهم بما خولهم على غيرهم من سائر خليقته، ناجاهم في ضمائرهم، وكلّمهم في ذات عقولهم، حتى شربوا من صفو اليقين، وصاروا باصطفائه واختياره من عباده المخلصين.

والصلاة على المبعوث بالحكم الربانية، والمخصوص بالكرامات الإلهية محمد

---

1 (?) وهو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم، خادم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وأحد المكثرين من الرواية عنه، قدم النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- المدينة، وهو ابن عشر سنين، فأتت أمه أم سليم النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-، فقالت: هذا أنس غلام يخدمك، فقبله، وقد اختلف في سنة وفاته، فقيل: 91هـ، وقيل: 92هـ، وقيل: 93هـ. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط1، عام 1992م، بيروت، لبنان، 1/ 126- 128.

2 (?) الأربعون حديثاً السيلقية، زيد بن عبد الله الهاشمي، تحقيق عبد الله حمود العزي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط1،عام 2002م، عمان، الأردن، 15.

الأمين، وعلى آله المطهرين الهادين من الضلال، والمفرقين لأحزاب الجهـال عن يمين وشمال.

واعلم أن **الخُطبة**: بضم (الفاء) هي الاسم من الاختطـاب**،** وهي عبـارة عن الكلام المذكور في المشاهد العظيمة والمحافل الجمّـة، **والخَطْبُ:** مـا هـال من الأمور وعظم، **والخِطْبة:** بكسر(الفاء)هي الحالة كالجلسة والركبة، ومنـه خِطبـة النكاح، والسنّة ألا يخطب الرجل إلا على موضع عالٍ من منبر، أو جدار، أو راحلة؛ ليكون ذلك أقرَّ للسماع، متكئًا على سيف أو قوس؛ ليكـون أثبت للجـأش، وحـذرًا من أنْ يعبث بيده في لحيته، وتنقية أنفه.

الجذعاء:- بذال بنقطة من أعلاها- ناقة لـه عليـه السـلام، وكـذلك القصواء، والعضباء، وهذا الحديث قد اشتمل على النظر في أمور خمسـة نوضـحها بمعونـة الله.

النظر الأول: في بيـان ما يشـتمل عليه هـذا الحـديث من الألفاظ اللغوية

الناس: اسم عام لجميع الخلق من الإنس الرجال والنسـاء والعبيـد، **وفيـه لغتان**: نـاس، وأنـاس، فتصـغير **نـاس** نـويس، على تـرك الاعتـداد بالمحـذوف، وتصـغير **أنـاس** أنيس على الاعتـداد بالمحـذوف، و**المـوت:** نقيض الحيـاة، وهل يكون معنى يضاد الحياة، أويكون تفريقًا للبنية لا غير؟

فيـه تـردد بين العلمـاء، والمختـار أنـه تفريـق للبنيـة؛ لأنّـا لا نقـول بالمعـاني العرضية، و**الكتب:** الجمع، ومنه قيل للخيل المجتمعة: كتيبة، و**الحق:** هو الثابت، والحق القطع، والحق نقيض الباطل، و**الواجب:** هو الواقـع، ومنـه قـولهم: وجبت الشمس؛ إذا وقعت للسقوط، وقوله: [illegible] [1] أيْ: سـقطت

[1])) سورة الحج من الآية 36.

على الأرض، وتشيع أتباعها، و**الشياع:** هو الظهور، و**السَّفْر:** اسم للجمع كالصحب والركب، وليس جمعًا على الحقيقة، ولهذا فإنه يصغّر على لفظه، فيقال: سُفَير ورُكَيب، فهو بالأسماء المفردة أشبه، ويضعف قول من قال: إنه جمع؛ لأنَّ (فعْلى) بسكون (العين) ليس من أوزان الجموع في التكسير[1]، و**المسافر:** هو الذي يقطع المسافات لطلب الأرباح، وغيرها من المقاصد، و**القليل:** نقيض الكثير، و**الحقير:** نقيض العظيم، و**الراجع:** هو العائد إلى مكانه بعد خروجه منه، وسُمي المطر رجعًا والسحاب رجعًا؛ لأنهما يعودان إلى جهتهما الأولى بقدرة الله تعالى، وقيل لما يخرج من بطن ابن آدم: رجعًا؛ لتكرر خروجه مرة بعد أخرى.

و**المباءة:** (مفعلة) وهو المكان المستقر فيه، كما قال تعالى: [illegible][2] أيْ: جعلوهما مباءة ومستقرًا، وقوله تعالى: [illegible][3]، و**الجدث**: القبر، ويقال: جدف بـ (الفاء) أيضًا، و**الأكل** معروف، و**التراث**: ما يخلفه الميت وراءه، وأصله وراث، فأبدلت (الواو) (تاء)، كما يقال: تيفور، وهو من الوفار، وتقوى وهي من الوقاية، و**الخلود**: هو الدوام المؤبد، و**النسيان**: هو الذهول والغفلة.

و**الواعظة**: فيها وجهان:

أحدهما: أن يكون صفة، أيْ: نسينا كل حادثة واعظة لنا، وهو الأكثر الأشهر.

و**ثانيهما**: أن يكون اسم فاعله بمعنى المصدر، وأراد[4] بها الوعظ كالكاذبة

---

1)) من قال أنه اسم جمع هو سيبويه، أما الأخفش فقد قال أنه جمع تكسير. ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، تحقيق محمد نور، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، عام 1975، بيروت، لبنان، 2/ 203، 204.

2)) سورة الحشر من الآية 9.

3)) سورة يونس من الآية 93.

4 (?)في (ك،م) المراد.

بمعنى الكذب، والعافية بمعنى المعافاة، والفاضلة بمعنى الفضل، وكلاهما لا غبـار عليه، و**الأمان**: نقيض الخوف، و**الجائحة**: يتوجّه فيها المعنيـان اللـذان ذكرناهمـا في الواعظة، و**الجوائح**: هي التي تسحب ما في يد الإنسان من أهل ومال.

الطُوبى: (فُعلى) بضـم (الفـاء)، وعينهـا (يـاء) قلبت (واو)، كالكوسـى من الكيس، و**الشغل**: نقيض الفراغ، و**العيب**: هو الفساد والتغير، و**المكتسـب من المال**: هو نقيض المال الموروث، و**المعصية**: نقيض الطاعة، وهي المخالفة للأمر والنهي، و**المجالسة**: لـزوم المجلس، و**الفقه**: هـو الفهم لمـا يـدقّ ويغمض من مقاصـد المخـاطبين، و**الحكمة**: مـا يمنـع من الوقـوع في غـير المقصـود، ومنه: حكمت الدابة، وهي الحديدة المحيطة بلحيي الفرس، فإنها مانعة لها عن التقحم، وعن المخالفة لغرض الراكب، و**المخالطة**: الملابسـة، وهي (مفاعلة) كالمقاتلـة والمخاصـــــــــمة، ولا تكـــــــــون إلا بين اثـــــــــنين فصـــــــــاعدا، و**الذِّلّ**

ّة: بكسر (الفاء) هي الحالة من الضعف، وبفتحهـا واحـدة الـذلات، ويحتمـل أن تكـون مصدرًا مع الكسر، كقولك: نشدته نشدة، ومنه قولهم: ناقة ذلـول إذا كـانت لا تصـعب عند حلبها، و**المسكنة**: (مفعلة) من السكون، وهي نهاية الحاجـة، فكـأن المحتـاج لمـا كـان سـاكن الأطـراف لا يسـتطيع حراكًا قيـل لـه: مسـكين، و**ذلّ النفس**: خضوعها.

و**الحسن**: نقيض القـبيح، **والخليقة**: الطبيعـة والغريـزة أيضـًا**، والصـلاح**: نقيض الفساد، و**السريرة**: ما كان يضمره الإنسان من خير وشرّ، و**العزل**: الميل والمجانبة، و**الشرّ**: نقيض الخير، وهو ما تكرهه النفوس، و**الإنفاق**: نقيض الإقتار، و**الفضل**: مـا كـان زائدًا على الحاجـة في الإنفـاق والإمسـاك، و**الوسع**: نقيض

الضيق، و**الاستهواء**: الغلبة يقال: استهواه النـوم إذا غلبـه، و**الاستهواء:** الميـل أيضًا، ومنه الهوى؛ لأنه يميـل من جـانب إلى جـانب، والمعنيـان حاصـلان في قولـه تعالى: [illegible] [1] أيْ: غلبته ومالت به، و**العزل**: الإبعاد والانفراد، يقال: عزل الأمير وزيره إذا أبعده عن أمره وأفرده، **والسُّنّة**: المداومـة على فعـل الشـيء، مـأخوذ من سُـنن الطريق، و**البدعة**: مـا خالف المألوف.

النظر الثـاني: في بيـان ما اشـتمل عليه الحـديث من المعاني الإعرابية

«**أيّ**» جيء بها وصلة إلى نداء ما فيه الألف واللام كما يُجأ بــ (الذي) وصلة إلى وصف المعارف بالجمل الاسـمية والفعليـة، وهـو منـادى مبهم، ويجـوز طـرح حرف النداء عنه، و«**الهاء**» للتنبيه عوضًا عمّا يستحق من الإضـافة، و«**النـاس**» مرفوع صفة لـ «**أيّ**»، و«**الضمة**» إعرابية، ويلزمـه الرفـع بكلّ حـال، ولا يجـوز فيه النصب على المحلّ، و**الضمة** في «**أيُّ**» **ضمة** بنـاء تشـبه حركـة الإعـراب؛ ولهذا جاز الإتباع على لفظها. هذا كله على رأي النحاة من البصريين[2]، والمختـار أن «**أيّا**» هي الموصولة، وهي موصولة بجملة ابتدائية حذف صدرها، و«**الناس**» مرفوع على أنه خبر مبتدأ محـذوف، مثلهـا في قـولهم: مـررت بـأيّهم أفضل، أيْ: بالذي هو أفضل، و«**الضمة**» في قوله: «**أيُّها الناس**» ضمة إعـراب بكـل حـال على هذا التأويل، وهو رأي الأخفش [3]من البصريين[4]؛ فإذا قلت: يـا أيُّهـا الرجـل،

---

1 (?) سورة الأنعام من الآية 71 .

2)) ينظـر: أسـرار العربيـة، عبد الـرحمن بن أبي الوفـاء محمد بن عبيد الله بن أبي سـعيد، تحقيق د. فخر صالح قدارة، دار الجيل، ط1، عام 1995م، بيروت، لبنان، 329.

3 (?)وهو سـعيد بن مسـعدة المجاشـعي البلخي ثم البصـري المعـروف بـالأخفش الأوسـط، نحوي عـالم باللغـة، والأدب، أخذ العربية عن سـيبويه، تـوفي سـنة 215هــ، وقيل: 221هــ. ينظر: معجم الأدباء، يـاقوت بن عبد الله الحمـوي، دار الكتب العلميـة، ط1، عـام 1991م، بيروت، لبنان، 3/ 382- 385. الأعلام للزركلي، 3/ 101.

4)) ينظر: أسرار العربية، 329.

فالتقدير فيه: بالذي هو الرجل، وهذه الجملـة الابتدائيـة موضـحة لمـا تضـمنه من الإبهام، وهو جيد لا غبار عليه.

«**كأن**»: حرف من عوامل المبتدأ والخبر تنصب المبتدأ وترفـع الخـبر، وهـل يكون الرفع بها في الخبر، أو يكون مرفوعًا بما كان مرفوعًا به قبل دخولها؟

فيـه تـردد بين النحـاة؛ والمختـار أنـه مرفـوع بهـا، وهـو رأي الجلّـة من نحـاة البصريين[1]، و«الضمير» في قوله: «فيها» للدنيا، ويفسره شاهد الحال وإن لم يتقدم له ذكر؛ اكتفاء بالقرينة الحالية في تفسيره، كما قال تعالى:

[2] يعني: القرآن، وهو كثير في كلام الفصحاء. «**ما**» في قوله: «عمّا قليل» فيها وجهـان: **أحدهما:** أنهـا زائـدة مثلها في قوله تعالى: [3]، **وثانيهما:** أن تكون نكرة مبهمة غـير موصـولة ولا موصـوفة، مثلهـا في قولـه: ربّمـا تكـره النفس من الأمر، و«**قليل**» مجـرور على أنـه بـدل منهـا، أو عطـف بيـان، و«**إلينا**» متعلـق بـ «**راجعون**». «**الضمير**» في: «**نبوئهم**»، و«**أجداثهم**» منصوبان على المفعوليـة لـ «**نبوئهم**»، وهـو يتعـدى إلى مفعـولين، وهمـا متغـايران، كقولـك: أعطيت زيدًا درهمًا.

«**كأنّا مخلدون**» الضمير منصوب اسم لـ «**كأن**»، و«**مخلدون**» مرفوع على الخبرية لـ «**كأن**». قوله: «**كل واعظة**»، و«**كل جائحة**» منصوبان على المفعولية للفعل قبلهما.

«**طوبى**» رفع على الابتداء، وخبره الجـار والمجـرور بعـده، و«**الألف**» في

---

1)) لأنّ إنّ وأخواتها أشـبه بالفعل في لزومـه الأسـماء، وعند الكوفـيين هو مرتفع بما كـان مرتفعًا به قبل دخـول إنَّ وأخواتهـا. ينظـر: المفصل في صـنعة الإعـراب، محمـود بن عمر الزمخشري، تحقيق د. علي بو ملحم، مكتبة هلال، ط1، عام 1993م، بيروت، لبنان، 48.

2 (?) سورة القدر الآية 1.

3)) سورة النساء من الآية 155.

«**طوبى**» للتأنيث كاليسرى أو العسرى، وهي غير منصرفة، فإن كانت علمًا كما يقال: إنها اسم شجرة في الجنة[1]، ويحمل عليه قوله تعالى: ﴿ ﴾[2] إنما لم ينصرف للعلمية والتأنيث، ولزوم التأنيث[3] كامرأة سميناها بحبلى، ولا مقال في صحة الابتداء بها؛ لكونها علمًا، وإن كانت نكرة فامتناع صرفها للتأنيث، ولزوم التأنيث نحو: حبلى، وسكرى، وإنما جاز الابتداء بها مع كونها نكرة؛ لأنها في التعجب، كأنه قال: ما أطيب ما أعدّ لهم، في قوله تعالى: ﴿ ﴾[4]، و«**طوبى**» اسم للطيب، كما أن الكوسى اسم للكيس، وليس طوبى تأنيث الأطيب كما كانت الحسنى تأنيث الأحسن، والسوأى تأنيث الأسوأ؛ لأنّها لو كانت طوبى تأنيث الأطيب لم يجز إثباتها مجردة عن اللام أو عن الإضافة، ويجب إثباتها على أحدهما، فأما إذا كانت اسمًا فلا يراعى فيها ذلك، وأصلها طيبى، فلما سكنت (الياء) وانضم ما قبلها قلبت (واوًا) كالكوسى، يروى عيب وعيوب على الإفراد والجمع، وكلاهما حسن.

«**من**» في قوله: «**اكتسبه من غير معصية الله**» معناها: ابتداء الغاية، **والاكتساب**: (افتعال) من الكسب، وهذا البناء دال على كثرة الاعتمال في طلب المكتسب وتحصيله.

الرواية في «**صلَحت سريرته**» بفتح اللام؛ فأما صلُح بضمها فإنّما هو من أفعال الغرائز، نحو: حسن وقبح، كما قال تعالى: ﴿ ﴾[5] فصلَح بالفتح يصلُح بالضم إذا كان فاعلاً للصلاح، وصلُح بالضم يصلُح بالضم إذا

---

1 (?) ينظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، عام 1999م، الرياض، المملكة السعودية، 4/ 455.

2 (?)سورة الرعد من الآية 29.

3 (?) في (د) سقط: ولزوم التأنيث.

4)) سورة الرعد من الآية 29.

5 (?) السورة نفسها من الآية 23.

كان صالحًا في نفسه.

«**من**» في قوله: «**أنفق الفضل من ماله**» فيها وجهان:

أحدهما: أن يكون الابتداء للغاية.

وثانيهما: أن تكون للتبعيض؛ والمعنى: أنفق الفضل الـذي هـو بعض مالـه. «**وأمسك الفضل من قوله**» فيها الوجهان اللذان ذكرناهما في الأولى.

قوله: «**ولم تستهوه البدعة**» هذه الجملة في إعرابها وجهان:

أحدهما: أن تكون جملـة معطوفـة على الأولى، ولا محلّ لهـا من الإعـراب، كالأولى.

وثانيهما: أن تكــون الثانيــة في موضــع نصــب على حــال من الضــمير، والتقدير: ووسعته السنّة غير مستهوية له البدعة، ولا غالبة له على أمره.

و«**من**» في قوله: «**طوبى لمن ذلت نفسه**» فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون موصولة، وهو الظـاهر السـابق إلى الفهم، والضـمير في قوله: «**نفسه**» للربط بين الصلة والموصول.

وثانيهما: أن تكون موصوفة، والتقدير فيه: طوبى لرجـل ذلّت نفسـه مثـل ما في قوله: وربّ من أنضجت غيظًا صدره، أيْ: ربّ رجل أنضجت صدره غيظًــا، و«**عن** » في قوله: «**وعزل عن الناس شره**» للمجـاوزة، كمـا تقـول: رميت عن القوس، وهي أقعد مِن «**من**» هاهنا، ولهذا جاءت، و«**شرّ**» منصوب على المفعولية.

النظر الثالث: في بيـان ما اشـتمل عليه من المقاصد المعنوية

وفيه بحثان:

البحث الأول: في بيان الأسرار المتعلقة بالعلوم المعنوية

وهي في الحقيقة متعلقة بأسرار التركيب، وتحوي معاني النحو في التأليف.

قوله عليه السلام: «**أيّها الناس**» إنما جاء بها من سائر حروف النداء؛ لاختصاصها بكثرة الاستعمال، وطرحها للإيجاز والاختصار.

ووسط «**هاء**» التنبيه؛ إيقاظًا للأسماع، وتحريكًا للقلوب عن غفلتها إلى سماع خطابه، وأتى بـ «**الناس**»؛ لشموله، ولم يقل: يا بني آدم؛ لأنّ لفظة «**الناس**» أرقّ وألطف وأعظم موقعًا في القلوب؛ لما في لفظة الناس من الإشعار بالأنس والتقريب.

ثم لمّا فرغ من النداء أردفه بذكر «**الموت**»؛ لما كان هو الغاية، وبه يكون طيّ الأعمار، وخواتيم الأعمال.

وصدّرها بحرف التشبيه مبالغة في الإعراض، والغفلة عن أخذ الأهبة للاستعداد، فحالهم في الذهول عن المراد مشبه بحال من لا يخطر على باله الموت، ولا يأخذ لوقوعه أهبة، ثم شفعه بكلام آخر مصدر بالتشبيه في الإعراض عن الحقوق اللازمة، والتكاليف الواجبة بحال من لا حقّ لله تعالى عليه في فعل ولا ترك، ومن لا يجب عليه واجب بالأوامر والنواهي فالوعيدات[1] الحاصلة من جهة الله تعالى.

ثم عطف عليه ذكر«**الأموات**» الذين نشاهد إدخالهم القبور، وتضمينهم إياها، فحالها في حقّهم في قلّة الاحتفال، وترك التيقظ واستيلاء الغفلة مشبه بحال الذين يغيبون في طلب الأرباح يُتَرَقَّبُ وصولهم إلينا، وإقبالهم علينا.

ثم ذكر ما نفعله بـ «**الأموات**» تقريرًا لاستيلاء الغفلة، وتنبيهًا على أن الموت غير شامل لنا، ولاحق بنا من جعل القبور **مباءة**، ومن أكل تراثهم، وهو ما

---

[1] (?) في (د،ك،م) الواو بدلا عن الفاء .

يخلفون بعدهم، كأنهم في هذه الأحول غير لاحقين بهم؛ لعظم الانهماك في إحراز ما خلفوه، وعظم الحرص عليه وجمعه والتهالك في حفظه وجمعه؛ لأنــه لا يفعــل هذه الأمور إلا من حاله على جهة التأبيد.

فهذه جمل أربع واردة على جهة التشـبيه سـاقها عليـه السـلام مبالغـة في الوعظ، وشحذًا للعزائم، وهزًّا للأعطاف في المسارعة إلى فعل الخير من سلوك طريق الآخرة، وإحياء القلوب بذكر الله، وأن الموت لا ينفـك ذكـره عن الألسـنة، مقررًا في الأفئدة لا يغفل عنه أحد على حال.

ثم عقبه بكلام كأنه مسبب عمّا ذكره أولاً بقوله: «**نسينا كـل واعظة، وأمنا كل جائحة**»؛ لأنه لا سبب للنسيان لكل ما يتعظ به الإنسان، ويحيي قلبه، ولا سبب للغفلـة عن الأمـان لكلّ جائحـة إلا عـدم ذكـر المـوت ونسـيانه، وأنـه لا يخطر بالقلوب ساعة واحدة، ولهذا أورده من غـير ذكـر (الـواو)؛ من أجلّ التنبيـه على ما ذكرناه من التسبيب.

ثم شرع في أسلوب آخر أورده على جهة التعجب، والإظهار لحسن الحال بمقامات الإنسان في إصلاح نفسه، وحثًّا له على إحراز نجاته في الآخرة، وجملتها خمسة:

المقام الأول: في معاملة الإنسان لنفسه

وإليه الإشارة بقوله: «**طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب النـاس**»؛ لأنه مهما كان الإنسان ناظرًا في عيب نفسه، فإنه يسلم عن آفـة العجب بعملـه، ويسلم عن الاشتغال بعيوب الخلق، ومتى لم يكن نـاظرًا في عيب نفسه، فإنـه لا يســلم عن العجب، ويكــون فارغًــا للتطلــع على عيــوب الخلق، وفي ذلــك من المفسدة في الدِّين ما لا يخفى، فإن الإنسـان قـد جُبـل على نسـيان عيب نفسـه

وعلى التشوق إلى إدراك عيب غيره، كما قال عليه السلام : «يرى أحدكم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينيه»[1].

المقام الثاني: فيما يتعلق بإنفاق المال

وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «**طوبى لمن أنفق مالاً اكتسبه من غير معصية الله**» اعلم أن إحـراز الثـواب بإنفـاق المـال لا بـد فيـه من اعتبـار شرطين:

الشرط الأول: أن يكون المال مكتسبًا من وجه يحلّ، والمـال إنمـا يحـرم لأمرين:

أحدهما: أن يكون الكسب حرامًا، وهذا نحو أجـرة البغي، وحلـوان الكـاهن، فقد نهى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- عنهما[2].

وثانيهما: أن يكون ذلك الأمر واجبًا، وهذا نحو أخذ المال على فعل الصـلاة وسائر العبادات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذان وجهان يحرم المـال لأجلهما.

الشرط الثاني: أن يكـون إنفاقـه في وجـه من وجـوه القـرب على الفقـراء والعلماء والمساكين والجهاد في سبيل الله، فمتى حصل فيه هـذان الشـرطان كـان الأجر والثواب حاصلين، واعلم أن طلب الحلال من أهم الواجبات، وأقـرب القربـات عند الله، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم : «الجهاد عشرة أجزاء: تسـعة منهـا في طلب الحلال، وواحد منها في طلب العدو»[3]، وقال عليه السلام: «لا يقبل اللـه

---

1)) مسند الشهاب، محمد بن سلامة القضاعي، تحقيق حمدي عبد المجيد السـلفي، مؤسسة الرسالة، ط2، عام 1986م، بيروت ، لبنان، 1/ 356. بلفظ: «يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ويدع الجذع في عينه».

2 (?) مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل الشـيباني، دار قرطبـة، (ت)، القـاهرة ، مصـر، 4/ 120.

3)) كتـاب الكسـب، محمد بن الحسن الشـيباني، تحقيق د. سـهيل زكـار، نشر عبد الهـادي حرصوني، عام 1400هـ، دمشق، سوريا، 48.

صدقة من غلول»[1].

المقام الثالث: في المجالسة

وإليه الإشارة بقوله: «**وجالس أهل الفقه والحكمة، وخالط أهل الذلّة والمسكنة**» اعلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم أشار هاهنا إلى المجالسة والمخالطة؛ لما يحصل فيهما من النفع في الدِّين والإسلام عمّا يثلمه، وخصّ المجالسة لـ «**أهل الفقه والحكمة**»، وليس المقصود هو مجرد المجالسة، فإنه لا نفع فيها، ولكن المراد ما يحصل بسببها من التفقه في الدِّين بمجالسة أهل الفقه وهم العلماء، وأهل البصائر، والذين أحرزوا علم الكتاب والسُّنّة، وميزوا الحلال من الحرام.

وأما **الحكمة**، فهي محتملة لمعانٍ قد استعملت فيها، فقد يراد بها النبوة[2] كما قال تعالى: [illegible][3]، وقد يراد بها الإحاطة بمعاني كتاب الله، كما قال تعالى: [illegible][4]، فالكتاب هو القرآن، والحكمة معانيه، وقد يراد بها الزهد[5]، كما قال تعالى: [illegible][6]، وخصّ المخالطة لـ «**أهل الذلّة والمسكنة**»؛ لما يحصل بمخالطتهم من النفع الأخروي، بكسر هوى النفس عن

---

1 (?) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، (ت)، بيروت، لبنان، 1/ 63.

2)) تفسير ابن كثير،7/ 59.

3 (?) سورة ص من الآية 20.

4 (?) سورة الجمعة من الآية 2.

5)) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، (ت)، بيروت، لبنان، 1/ 289.

6 (?) سورة البقرة من الآية 269.

جمحان الكبر ونخـوة التعـاظم، وخطـر الكِـبر، ومحبـة الشـرف، وبمخالطـة «**أهل الذلة والمسكنة**» يزول ذلك كلّه، ويبطل أمره.

سؤال: أراه خصّ المجالسة بـ «أهـل الفقـه والحكمـة»، وخصّ المخالطـة بـ«أهل الذلّة والمسكنة»، ولم يعكس الأمر فيهما.

وجوابه: هو أن **المجالسة** إنّما تراد لأجلّ العلم والفتوى من أهلهـا، وذلـك إنّما يكون مرّة بعد مرّة وليس يقصد بها[1] المداومة، خلاف الحاجة إلى أهل الذلّـة والمسكنة، فإنما يراد على جهة الدوام لحصول النفع باستدامتها، فلأجلّ هذا خصّ **المجالسة بالفقهاء والحكماء**، وخصّ **المخالطة**؛ لعظمها في دوام المنفعـة بها بـ «**أهل الذلة والمسكنة**»، فافترقا .

المقام الرابع: في تزكية الأخلاق

وإليه الإشارة بقوله صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «**طوبى لمن ذلّت نفسه**»، وقد أشار عليه السلام[2] إلى صفات ثلاث:

الصـفة الأولى: إذلال النفس، وانقيادهـا لعظمـة الله، والتواضـع للـه ولرسوله وللأئمة والعلماء وسائر أهل التقوى.

الصفة الثانية: صلاح السـريرة، وصـلاحها بـأن لا يكـون في قلبـه غـلّ، ولا حقد ولا فساد ولا دغلّ[3].

الصفة الثالثة: أن يعزل عن الناس شرّه في جميـع الأقـوال والأفعـال، فلا يلحقهم من جهتـه أذيّـة من لسـانه، ولا ينـالهم عقوبـة من يـده حـتى ينـال درجـة الإسلام بذلك، وفي الحديث: «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه »[4].

---

1 (?) في (د) يقصدها. {ويقصد بها: أنسـب في السـياق لاسـيما أنّ الفعـل يقصـد يتعـدى إلى مفعول واحد }.

2)) في (د،ك،م) زيادة: هاهنا.

3 (?) الدغل: الفساد، وأدغل في الأمر أدخل فيه ما يفسـده ويخالفـه. ينظـر: لسـان العـرب ، مادة (دغل).

4)) شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسـيوني زغلـول،

المقام الخامس: في تهذيب الأخلاق وتطهيرها عن المناقص والمذام

وإليه الإشارة بقوله: «طـوبى لمن أنفـق الفضـل من ماله، وأمسـك الفضـل من قوله، ووسعته السُّنّة، ولم تستهوه البدعة»، فهذه آداب أربعة نفصلها بمعونـة الله.

الأدب الأول: إنفاق الفضل من المال

والفضل ما كان زائدًا على قدر الحاجة؛ كي لا ينسب إلى اللؤم والبخل، فأما مـا كـان محتاجًـا إليـه في نفسـه وولـده ومن يختصّ بـه فلا يتوجـه عليـه إنفاقـه، ومصداق ذلك قوله تعالى: [illegible] [1].

الأدب الثاني: إمساك الفضل من قوله

فلا خير في الكلام إلا إذا كان فيه رضا لله تعـالى، كـالأمر بـالمعروف والنهي عن المنكر، ومصداق ذلك قوله تعالى: [illegible] [2].

الأدب الثالث: أن تكون السنَّة واسعة له في كل ما يقول ويفعل جارية على جهة المطابقة للسنة لا خروج له عنها في تروكه وأفعاله

ويؤيد ذلك ما روي عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «لا قـول إلا بعمـل، ولا قـول ولا عمـل إلا بنيـة، ولا قـول ولا عمـل ولا نيـة إلا بإصـابة السنَّة»[3]، وفي حديث آخر: «قليل من سنَّة خير من كثير في بدعة»[4].

دار الكتب العلمية، ط1، عام 1410هـ ، بيروت، لبنان، 7/ 499.

1)) سورة البقرة من الآية 219.

2)) سورة النساء من الآية 114.

3 (?) أصول الأحكـام الجـامع لأدلة الحلال والحـرام، أحمد بن سـليمان بن محمـد، تحقيق عبد الله حمـود العـزي، مؤسسة الإمـام زيد بن علي الثقافيـة، ط1، عـام 2003م، صـنعاء، الجمهورية اليمنية، 1/ 99.

4 (?) الـبر والصـلة، الحسـين بن الحسن المـروزي، تحقيق د. محمد بن سـعيد بخـاري، دار الوطن، ط1، عام 1419هـ، الرياض، المملكة السعودية، 1/ 170.

الأدب الرابع: أن لا تستهويه البدعة

وأراد أن البدعة لا تميل به عن السنّة، فيعول على البدعة، ويترك السنّة، فهذا ما أردنا ذكره فيما تضمنه كلامه من الأسرار المعنوية أوضحناه.

البحث الثاني: في بيان ما تضمنه من مقاصده صلى الله عليه وآله وسلم

فاعلم أن الموت لمّا كان من أعظم الخطوب، وأجلّ ما يلحق الأنفس من الأخطار والكروب، وهو أفجع حادث نزل، وأكبر ما يلمّ بالإنسان من الأخطار والوجل، فهو كما ترى قد قهر العقول بوقعه وهجومه، ومن حقّ ما هو معلوم النزول إذا عظم خطره ألاّ يغفل عنه أهل العقول عن أخذ الأهبة؛ لوقوعه وحلوله، ولما تفطن عليه السلام ما عليه الخلق من كثرة الإعراض، واستيلاء الغفلة على الأفئدة، وقلّة التأهب؛ أيقظهم بالنداء، وجمع نفسه مع أمته في الذكر، وإن كان قدره أعلى، وخلطهم في الضمير نزولاً في الأدب، وملاطفة في الخطاب، وزيادة في حسن الخلق، فقال عليه السلام: «**كأن الموت فيها على غيرنا كتب**»؛ لما رأى من قلّة الاستعداد لنزوله صار كأن النازل به الموت سوانا، والمعني به غيرنا.

قوله عليه السلام: «**وكأن الحقّ فيها على غيرنا وجب**» **الحقّ**: ما أوجبه الله على عباده من الأفعال والتروك، والفعل وإن كان حقًّا من جهة الله، لكن الرسول قد خصّه الحقّ بالواجب، فقوله: «**وجب**»؛ لأن النقل غير واجب شرعًا، فلما كان من وجب عليه حقّ؛ فإنه لا محالة يتأهب لتأديته، ويستمر في طريق حصوله، وكان فيما أوجبه الله تعالى علينا في غاية الغفلة والإعراض، شبه حالنا بحال من لم يجب عليه واجب، وقد تقرر ببرهان العقل قبح ترك الواجبات كما تقرر في العقول قبح فعل المقبحات.

قوله عليه السلام: «**وكأن الذي نشيع من الأموات سفر عمّا قليل إلينا راجعون**»؛ لما رأى من قلّة فزعنا عن[1] تشييع الموتى، وعـدم إخطـار ذلـك بالبـال، وترك التأهب لما يؤول إليه كنا والحال هذه كالذي يشيع المسافر الذي يرجى معاودته بالأرباح قريب، فإنه لا يكترث لفقده في العادة لرجوى الأوبـة على السـرعة؛ لأنّـا لـو قطعنا بأنهم لا يرجعون إلى يوم التناد، وحضور الأشـهاد، وأنـه لا مـردّ ولا رجـوع، وأنّ الأمر يؤول إما إلى سعادة دائمـة أو شـقاوة دائمـة في نعيم سـرمد أو عـذاب مؤبـد؛ لوقع التأهب لمثل تلك الحال ولتزودنا لمثل سفرهم.

قوله عليه السلام: «**نبوئهم أجداثهم، ونأكـل تـراثهم كأنـا مخلـدون بعدهم**» شبّه صلى الله عليه وآله وسلم حالنا في أكلنا لتراثهم بعدهم وتقريرهم وتمكنهم في قبورهم بحال من هو مخلد بعدهم؛ لأن كل من كان مخلدًا لا تنقطـع حياته، فهو يفعل هذه الأفاعيل، فلو تحققنا اللحـاق بهم وإنّـا على سـرعة الـزوال من الـدنيا لم تكن هـذه حالنـا معهم من خضـم أمـوالهم وقضـمها وضـمهم في لحودهم ودفنها.

قولـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «**نسـينا كـل واعظة، وأمنـا كـل جائحة**» **الواعظة**: قد يراد بها الوعظ، ومعناها: الازدجار عن الفعل مـع خضـوع وهيبة، وقد يراد بها الحادثة من القـول والفعـل، فـالقول قـوارع الوعيـد، والزجـر والفعل ما كان بالأمم الماضية، والقرون الخالية من المثلات العظيمـة والعـذابات النازلة من: المسخ، والرجفة، والصيحة، والغرق، والريح إلى غـير ذلـك من أنـواع النكالات، فلو ذكرنا هذه القوارع لم تكن حالنا في الغفلة عن الآخرة هكذا.

والجائحة: هي التي تسحب المال والأهل جميعًا، فلمّا أمنا من وقوعها كـان ذلك سببًا للغفلـة، ولـو ذكرناهـا لكـان ذكرنـا لهـا سـببًا في التيقظ، والتحفـظ عن

---

1 (?) في (د،ك،م) عند. {ولعل المناسب: عند}.

الغفلة والسهو فيما يكون به النجاة من العذاب السرمدي والخلـود الأبـدي، اللهم اجعلنا ممّن اتّعظ بمواعظك وخرق قرطاس زواجر وعيدك.

قولـه عليـه السـلام: «**طـوبى لمن شـغله عيبـه عن عيـوب النـاس، طوبى لمن أنفق مالا اكتسبه من غير معصية الله**» واعلم أن العاقل إذا أعمل فكره في حال نفسه، وما يعرض فيها من جهـة النقص من جهـة أن الخلـق البشري لا ينجو من النقصان، ويصدق ذلك ما رُوي عن الرسـول- صـلى اللـه عليـه وآله وسلم- أنه قال: «كل بني آدم طف الصاع »[1] يشير بذلك إلى حصول النقصان، وتعذّر الكمال فيهم، ومتى اشتغل الإنسـان بـالنظر في صـلاح نفسه فإنـه يكـون لـه بالإشتغال في صلاحها، وتقويم أودها مندوحة وسعة عن ذكر عيوب الناس، وعند هـذا يستحق من الله تعالى رضوانه والفوز بجواره، فـأراد أن المنفـق في الحلال يسـتحق من الله تعالى رضوانه، ويحوز أعظم الجزاء، ويفوز بالمكسب الرابح والمتجر الذي لا يقاربه خسران.

قوله عليه السلام: «**وجالس أهل الفقه والحكمة، وخالط أهل الذلّة والمسكنة**» المعـنى في هـذا أنـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم أمـر بمجالسـة الفقهاء والحكماء؛ لما يحصـل في المجالسـة لهم من التفقـه في الدِّين، وإحـراز السـعادة الأخرويـة، وبمـا يحصـل من مجالسـة الحكمـاء من مزيـد النفـع بأحكـام القرآن ومعانيه، وإحراز معاني السنة ودقائقها.

وأمَر أيضًا بمخالطة أهل الذلة والمسكنة؛ لما يحصـل في ذلـك من تواضـع؛ ويؤيد ذلك قوله صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «جالسـوا العلمـاء تعلمـوا، وجالسـوا

---

1 (?) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيـد السـلفي، مكتبـة العلوم والحكم، ط2، عام 1983م، الموصل، العراق، 17/ 295. بلفظ: «وإنما أنتم بنو آدم طف الصاع».

الحكماء ترشدوا»[1]، وفي حديث آخر: «اللهم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين»[2]، وكان عليه السلام يحب الوقوف مع المساكين.

ولمّا قال له العظماء من قريش: جنب هؤلاء مجلسك الذين ريحهم كريح الضأن حتى نجلس معك، فوقع ذلك في نفس الرسول طمعًا معهم، وكان الذين يجلس معهم هم الفقراء وأهل المسكنة والعبيد والموالي[3]، فنزلت الآية تأديبًا له، وكفًّا له عمّا هم به من اعتزالهم بقوله: [illegible][4]، وقصة ابن أم مكتوم[5] في (سورة عبس)، فإن الله تعالى عاتبه، وخشن له في الحديث على الإعراض عنه؛ لما التفت إلى غيره من رؤساء قريش[6]، فما ذكرناه دال على حسن المجالسة، والمخالطة لمن ذكرناه.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**طوبى لمن ذلّت نفسه، وحسنت خليقته، وصلحت سريرته، وعزل عن الناس شرّه**»، أما **ذل النفس**: فالمراد به هاهنا الانقياد لعظمة الله تعالى، والانحطاط لجلاله، وخفض الجناح

---

1)) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، تحقيق محمود عمر الدمياطي، دار الكتب العلمية، ط1، عام1998م، بيروت، لبنان، 9/ 76. بلفظ : «جالسوا العلماء، وسائلوا الكبراء، وخالطوا الحكماء».

2)) سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، (ت)، بيروت، لبنان، 2/ 1381. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، تحقيق أحمد محمود شاكر و آخرون، دار إحياء التراث العربي، (ت)، بيروت، لبنان، 4/ 577.

3)) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث، ط1، عام 1417هـ، بيروت، لبنان، 2/ 670.

4 (?) سورة الكهف من الآية 28.

5)) وهو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم، ونسب إلى أمه أم مكتوم عاتكة بنت عبد الله، كان ضرير البصر، أسلم بمكة، وهاجر إلى المدينة بعد غزوة بدر، واستخلفه الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم- على المدينة في ثلاث عشرة غزوة، وقد حضر القادسية وحمل الراية، ورجع بعدها إلى المدينة فتوفي فيها، عام 23هـ، وقد اختلف في اسمه، فأما أهل المدينة فيقولون: عبد الله، وأهل العراق يقولون: عمرو. ينظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد البصري الزهري، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ط1، عام 1968م، بيروت، لبنان، 4/ 205- 212. الأعلام للزركلي، 5/ 83.

6)) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، بيروت، لبنان، 9/ 87.

للمؤمنين، وسائر أهل الصلاح والمسلمين؛ مخالفة لما عليه الجبابرة، وأهل الظلم والجور من احتقار أولياء الله والتهاون بأحوالهم، وفي الحديث: «من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله»[1]، وفي حديث آخر: «ما من آدمي إلا وفي رأسه حكمة بيد ملك ما تواضع إلا رفعه، وما تكبر إلا وضعه»[2].

وأما **حسن الخليقة**: فهو عبارة عن لين العريكة، ووطأت الأكناف، وذلك كلّه موجود من حسن الخلائق، وقد خصّ الله تعالى رسوله بالأخلاق الحسنة، كما قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[3].

وأما **صلاح السريرة**: فهو عبارة عن إصلاح الباطن عن الفساد، والرداءة والغدر والمكر وسائر الخلائق الرذلة، والشمائل المذمومة، فإن هذه هي أخلاق أهل الفسق والنفاق، وأخلاق الصالحين مخالفة لما ذكرناه، فإن باطنهم كظاهرهم، وفي الحديث: «المؤمن غرّ كريم، والفاجر خبّ لئيم»[4]، وفي حديث آخر: «المؤمن مثل خامة الزرع»[5].

وأما **عزل الشر عن الناس**: فهو عبارة عن تجنب ما كان يضرهم باللسان وسائر الجوارح، وفي الحديث: «من ضار ضار الله به، ومن شقّ شق

---

1 (?) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق طارق عوض الله محمد، عبد المحسن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، عام 1415هـ، القاهرة، مصر، 5/ 140.

2 (?) المصنف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق كمال الحوت، مكتبة الرشد، ط1، عام 1409هـ، الرياض، المملكة السعودية، 7/ 237. بلفظ: «ما من عبد إلا وفي رأسه حكمة، فإن تواضع رفعه الله، وإن تكبر وضعه الله». المعجم الكبير، 12/ 218. بلفظ: «ما من آدمي إلا و في رأسه حكمة بيد ملك، فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حكمته، وإذا تكبر قيل للملك: ضع حكمته».

3 (?) سورة القلم الآية 4.

4 (?)مسند أحمد، 2/ 394. سنن أبي داود، 4/ 251. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة الباز، عام 1994م، مكة المكرمة، المملكة السعودية، 10/ 195. بلفظ : «المؤمن غرّ كريم، والفاجر خبّ لئيم».

5 (?) صحيح مسلم، 4/ 2163. بلفظ: «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع».

الله عليه»[1] ، وفي حديث آخر: «لا ضرر ولا ضرار في الإسـلام»[2]، وفي حـديث آخر: «من آذى مسلمًا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى اللـه، ومن آذى اللـه لعنـه الله»[3]. [illegible][4].

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله**»، وإنما قال الفضل من مالـه؛ لأنـه إذا أنفـق مـا فـوق ذلك فإنه يضرّ بنفسه، وبمن يمونه ممّن هو تحت يده، وقد قال عليه السـلام: «خـير الصدقة ما كان عن ظهر غنى»[5]، فإنفـاق الفضـل هـو غايـة الكياسـة والفضل، وأما **إمساك الفضل من القول**، فهو ما زاد على ما يحتـاج إليـه في النطق، والصمّت هو الأفضل، إلا ما كان الكلام فيه واجبًا أو مندوبًا، ولقـد قـال بعضـهم: إذا كـان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب، وقال بعضهم: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني، وإذا سـكت عنها ملكتها، وقال آخر: أنـا على مـا لم أقـل أقـدر مـني على مـا قلت، وقـد ورد في الشرع بالثناء على الصـمت، وفي الحـديث: «من صـمت نجـا»[6]، وفي حـديث آخـر: «الصمت حكم، وقليل فاعله»[7].

قولـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «**ووسـعته السـّنّة، ولم تسـتهوه**

---

1 (?) سنن الترمذي، 4/ 332، السنن الكبرى للبيهقي، 6/ 70.

2)) موطأ الإمـام مالـك، مالك بن أنس الأصـبحي- رواية محمد بن الحسـن- تحقيق د. تقي الدين الندوي، دار القلم، ط1، عام 1991م، دمشق، سوريا، 4/ 1078. بلفظ:«لا ضرر و لا ضرار».

3 (?) المعجم الصـغير(الـروض الـداني)، سـليمان بن أحمد الطـبراني، تحقيق محمد شـكور محمـود الحـاج، المكتب الإسـلامي دار عمـار، ط1، عـام 1985م، بـيروت، لبنـان، وعمـان، الأردن، 1/284. وليس فيه: «ومن آذى الله لعنه الله».

4 (?) سورة الأحزاب الآية 57.

5)) صحيح البخاري، 2/ 112. وتكملته: «وابدأ بمن تعول».

6 (?) سنن الترمذي، 4/ 660.

7 (?) مسند شـمس الأخبـار المنتقى من كلام النـبي المختـار، علي بن حميد القرشـي، مكتبة اليمن الكبرى، ط1، عام 1407هـ، صنعاء، الجمهورية اليمنية، 1/ 507.

البدعة» السُّنَّة: ما واظب عليه الرسول قولاً وفعلاً، ويشتمل على الفرض والنفل، وأخذه من سُنن الطريق، وهو يكون السير فيه، وأراد أن السّنّة لم تضق عليه فيتجاوز عنها إلى البدعة، بل فيها غنية وكفاية عن غيرها، ولا شكّ أن الاستقامة على السّنّة هي استقامة على الدِّين، وفي الحديث: «من رغب عن سنتي فليس مني»[1].

نعم: البدعة لها وجهان:

أحدهما: أن تكون قبيحة، وهو كل ما ضاد السّنّة، وكان ماحيًا لآثارها، ومعفيًا لرسمها، والواجب على الإمام، وعلى سائر المسلمين دفعه وكفّه، وتدخل في الأقوال والأفعال والمذاهب، وفي الحديث: «من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنًا، وإيمانًا يوم القيامة»[2]، وفي حديث آخر: «إذا ظهرت البدع فلم يظهر العالم علمه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً»[3].

وثانيهما: أن تكون بدعة، وليست مضادة للسّنّة، وهذا نحو ما يبتدع لأغراض حسنة، وهذا نحو الموائد والمناخل[4] والأشنان[5] والشبع، فهذه كلها محدثة بعد النبوة، لكن فيها أغراض ومقاصد، وهكذا في الملابس نحو الدرز[6] في

---

1)) موطأ مالك، 1/ 53. صحيح البخاري، 5/ 1949. صحيح مسلم، 2/ 1020.

2 (?) مسند الشهاب، 1/ 318.

3)) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، عام 1403هـ، الرياض، المملكة السعودية، 2/ـ 118. بلفظ: «إذا ظهرت الفتن، أو قال: البدع، وسبّ أصحابي؛ فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله له صرفًا ولا عدلاً».

4 (?) المناخل: جمع للمنخل، وهو ما ينخل به الدقيق وغيره، ويُعد أحد ما جاء من الأدوات على مفعل بالضم وبالفتح لغة فيه، وانتخل الشيء استقصى أفضله، وتنخله تخيره. ينظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، ط جديدة، عام 1995م، بيروت، لبنان مادة (نخل).

5 (?) الأشنان: من الحمض يغسل به الأيدي. ينظر: لسان العرب، مادة (أشن).

6 (?) الدرز: واحد دروز الثوب، وهو فارسي معرب. ينظر: تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط1، عام 2001م، بيروت، لبنان، مادة (درز) .

الخياطة والكفّ[1] فإنها حادثة بعد النبوة، وما كان يعرف إلا الشلول[2] في الثيـاب وغير ذلك ممّا يفعل لأمور حسنة مباحة لا حرج على فاعلها.

استهواء البدعة: هو الميل إليها، والإصغاء إلى فعلهـا، ولقـد سـئل أمـير المؤمنين- كرم الله وجهه- عن السّنّة والبدعة والجماعة والفُرقة، فقال: السّنّة ما جاء به الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-، والبدعة ما خالفها، والجماعـة واللـه هم أهـل الحقّ وإن قلُّوا، والفُرقـة أهـل الباطـل وإن كـثروا[3]. اللهم اجعلنـا ممّن عمل بالسّنّة وأحياها، ومال عن البدعة، وأماتها إنك سميع الدعاء، ومجيبه.

النظر الرابـع: في بيـان ما اشـتمل عليه من العلـوم البيانية

وهو نظر يختصّ الأمور المجازية، ولها مدخل عظيم في كتاب الله والسّنّة الشـريفة، ولم أعلم أن أحدًا من علمـاء البيـان أنكـر دخـول المجـاز في الكتـاب والسّنّة، وإنما يحكى الخلاف في ذلـك عن بعض الملاحـدة من السـبعية وغـيرهم، واستعمال المجـاز في كتـاب اللـه تعـالى أظهـر من نـور الشـمس، وهـذا كقولـه تعالى: [illegible][4]، وقوله تعـالى: [illegible][5]، وقوله تعالى: [illegible][6]، وأمـــا

الســـ

---

[1] (?) الكـفّ من كففت الثـوب أيْ: خطت حاشـيته، وهي الخياطة الثانية بعد الشـل. ينظـر: لسان العرب، مادة (كفف). مختار الصحاح، مادة (كفف).

[2])) الشلول: الخفيف، فشللت الثوب أيْ: خطته خياطة خفيفـة. ينظـر: لسـان العـرب، مـادة (شلل) .

[3] (?) تيسير المطالب في أمـالي أبي طـالب، يحـيى بن الحسـين بن هـارون، تحقيق عبد الله حمود العزي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط1، عام 2002م، عمان، الأردن، 98.

[4])) سورة الشعراء الآية 215.

[5] (?) سورة النحل من الآية 112.

[6] (?) سورة الإسراء من الآية 24.

ﺔُّ

َﺔ: فالمجازات فيها ظاهرة، وأحسن من غمس يده في أصـباغها، وأجـال فكـره في فنونها، وغرائبهـا الشـريف السـيد (علي بن ناصـر)[1]، وقفنـا على كتابـه الملقب بـــ (المجـازات النبويـة)[2]، فلقـد أجـاد في مقالـه، لكنـه لم يسـتول على العشـر من معشارها، لكنه ذكر أطرافًا منها، فقد قيل: إن أحاديثه صلى الله عليه وآله وسـلم ألف ألف حديث[3]، وقيل: تسعمائة ألف حديث كلّها مندرجة تحت أربعة أحـاديث من طريق الإيجاز والاختصار، وتلـك من طريـق الإطنـاب والإسـهاب، فهـذا الحـديث قـد اشتمل على استعارات حسنة نذكرها، وجملتها خمس:

الاستعارة الأولى: قوله عليه السلام: «**أيها النـاس**» إنمـا حـذف حـرف النداء على جهة المجاز بالنقصان؛ كقوله تعالى: ﴿ ﴾[4]، واستعمل «**يا**» للقريب، وهي موضوعة لنداء البعيد على جهة التجوز؛ لمّا كـانوا بمنزلـة البعيـد، بالإضافة إلى الغفلة والذهول عمّا يراد بهم.

الاسـتعارة الثانية: العمـوم للخصـوص بقولـه: «**النـاس**»؛ فإنّـه عـام مستعمل للخصوص؛ لأنَّ المقصود هو من يخاطبه في ذلك المقـام إطلاق السـفر على جهـة التجـوز على الأمـوات، واسـتعارة «**عمّـا قليل**» تجـوز بالزيـادة في «**ما**».

الاستعارة الثالثة: إمساك الفضل من القول، وإنفاق الفضل من المال؛ إنما كان إطلاقه على جهة التجوز.

---

1)) وهو علي بن ناصر الدين الحسيني، من أعلام القرن الخامس، ومعاصر الشريف الرضي، وهو أول من شرح نهج البلاغة، وسـمى شـرحه (أعلام نهج البلاغـة). ينظـر: أعلام المـؤلفين الزيدية، 725، 726.

2)) وكتـاب المجـازات النبوية منسـوب للشـريف الرضي وطبع تحت تأليفه. ينظـر: الأعلام للزركلي، 6/ 99. {ولعل علي بن ناصر هو ناسخ مخطوطة المجازات النبوية}.

3)) رُوي: كـان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حـديث. ينظـر: تـاريخ بغـداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، (ت)، بيروت، لبنان، 4/ 419.

4 (?) سورة يوسف من الآية 82.

الاستعارة الرابعة: قوله: «**ووسعته السـنة، ولم تسـتهوه البدعة**» الوسع والاستهواء؛ إنما أطلقا على جهة الاستعارة.

الاسـتعارة الخامسة: **الـذلّ في النفس، والحسـن في الخليقـة، والصلاح في السريرة**، واردة على جهة المجـاز والتوسـع بالاسـتعارة، وهكـذا: **عزل الشرّ**، فإنه مجاز كما ترى، فهذه الاستعارات كلّها قد بلغت في الوعظ كل غاية، واتسق نظامها وحسن تأليفها، وصارت معجبة لما اشتملت عليه من حسـن السبك وإعجاب النظم والتأليف.

النظر الخامس: في بيان ما اشتمل عليه من البديع

وهو كلام يتعلق بالفصاحة والبلاغة، لا يختصّ بشيء سواهما، وجملة مـا أودع فيه أصناف خمسة:

الصنف الأول: السجع[1]

ويقع على أوجه ثلاثة:

أولها: أن تتفق الكلمتان في الـوزن، وفي أعـداد الحـروف، ومـا هـذا حالـه يلقب بالمتوازن، ومثاله: قوله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم: «**حسـنت خليقته، وصلحت سريرته**».

وثانيها: أن تتفق الكلمتان في الأعجـاز، وتختلفـا في الـوزن، ومثالـه قولـه صلى الله عليه وآله وسلم: «طوبى لمن أنفق الفضل من ماله، وأمسـك الفضـل من قوله»، فما هذا حاله يلقب بالمطرف.

وثالثها: أن يتفقا في الوزن ويختلفا في الأعجاز، ويلقب بالمتوازي، ومثالـه قوله: «**نسينا كل واعظة، وأمنّا كل جائحة**».

---

[1] (?) في (د) التسجيع.

الصنف الثاني: الطباق

وهو واقع على وجهين:

أحـدهما: أن يكـون الطبـاق لفظيًـا ومعنويًـا، وهـذا نحـو قولـه: «**وسـعته السُّنَّة، ولم تستهوه البدعة**».

وثانيهما: أن يكـون الطبـاق معنويًـا، ومثالـه قولـه: «**أنفق الفضـل من ماله وأمسك الفضل من قوله**»، فقوله: «**أمسك**» معناه: لم ينفق، ومعـنى الطباق: أنْ يُذكر الضدين أو النقيضين جميعًا؛ إما من جهة اللفـظ والمعـنى، وإمـا من جهة أحدهما.

الصنف الثالث: التجنيس الكامل

ومثاله قوله: «**طوبى لمن شغله عيبه عن عيـوب النـاس**»، وقولـه: «**أنفق الفضل**»، و«**أمســك الفضــل من قوله**»، فــذكر العيب والعيب والفضل والفضل من باب التجنيس الكامل.

وأما التجنيس الناقص، فكقوله: «**نسينا كل واعظة، وأمنا كل جائحة**».

الصنف الرابع: حسن النظم والتأليف

فأنت إذا فكرت في مفـردات هـذا الحـديث وجـدتها مختصـّة بالسلاسة، ولم تختصّ بالنقل على المسموع، ولا فيها تنافر، وإذا نظرت في تركيب الجمـل منهـا وجدت سبكها من أحسن سبك يشبه السلاسل الذهبية.

الصنف الخامس: حسن الإيضاح والكشف لما اشتمل عليه من المعاني المقصودة بالألفاظ المألوفة التي لم تخالطها العنجهانية[1] ولا المعنى شابه الغموض

ولقــد جهــل موقــع البلاغــة والفصــاحة من زعم أن الكلام الفصــيح [2]عنــد الجهابذة[3] من أهل هذه الصناعة مـا لم يكن[4] سلسـًا مألوفـًـا، ولهـذا فإنـك تـرى القرآن والسـّنّة الشـريفة ألفاظهمـا في غايـة السلاسة، وحسـن التـأليف والرقّـة والعذوبة، مع أنهما قد بلغا الغاية في البلاغة، وفي هذا الحـديث دلالـة على أن مـا قاله جهل بالبلاغة ومواقع الفصاحة.

---

1)) العنجهانية، والعنجهية الكِبْر والعظمة. ينظر: لسان العرب، مادة (عجه).

2)) في (د) زيادة : ما كان وحشيًا عربيًا بل الحق أن الكلام الفصيح.

3 (?) الجهبذ: بالكسر النقاد الخبير بغوامض الأمور البارع العـارف بطـرق النقـد، وهو معـرب. ينظـر: تـاج العـروس من جـواهر القـاموس، محمد مرتضى الزبيـدي، تحقيق د. عبد العزيز مطر، مطبعة حكومة الكويت، عام 1970م، الكويت، مادة (جهبذ).

4 (?) في (د،م) ما كان.

الحديث الثاني

عَنْ خَلِيفَـةَ بْنِ الْحُصَـيْن[1] قَـالَ: سَـمِعْتُ قَيْسَ بْنَ عَاصِـمٍ المَنْقَـرِي[2] قَـالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُـولِ اللَّهِ- صَـلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِـهِ وَسَـلَّمَ- فِي وَفْـدٍ مِنْ جَمَاعَـةِ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَـالَ لِي: «**يَا قَيْسُ اغْتَسِـلْ بِمَـاءٍ وَسِـدْرٍ**»، فَفَعَلْتُ، ثُمَّ عُـدْتُّ إِلَيْـهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ عِظْنَا مَوْعِظَةً نَنْتَفِعُ بِهَا، فَقَالَ عليه السـلام: «**يَـا قَيْسُ إِنَّ مَعَ العِزِّ ذُلاً، وَإِنَّ مَعَ الْحَيَاةِ مَوْتاً، وَإِنَّ مَعَ الدُّنْيَا آخِرَةً، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبـاً، وَإِنَّ لِكُـلِّ حَسَـنَةٍ ثَوَابـاً، وَلِكُـلِّ سَـيِّئَةٍ عِقَاباً، وَإِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً، إِنَّهُ لاَ بُدَّ لَكَ يَا قَيْسُ مِنْ قَرِينٍ يُدْفَنُ مَعَكَ وَهُوَ حَيٌّ، وَتُدْفَنَ مَعَهُ وَأَنْتَ مَيْتٌ، فِإِنْ كَانَ كَرِيمـاً أَكْرَمَـكَ، وَإِنْ كَـانَ لَئِيمًا أَسْلَمَكَ، ثُمَّ لاَ يُحْشَـرُ إِلاَّ مَعَـكَ، وَلاَ تُبْعَثُ إِلاَّ مَعَـهُ، وَلاَ تُسْـأَلُ إِلاَّ عَنْهُ، فَلاَ تَجْعَلْهُ إِلاَّ صَالِحًا، فَإِنَّهُ إِنْ كَـانَ صَـالِحاً لَم تَـأْنَسْ إِلاَّ بِـهِ، وَإِنْ كَانَ فَاحِشاً لِم تَسْتَوْحِشْ إِلاَّ مِنْهُ، وَهُوَ فِعْلُكَ**»[3].

فنقول: الحمد لله الذي جعل الأعمال الصالحة ذريعة إلى إحراز الخـيرات، وصيّرها وسيلة إلى البلوغ إلى نيل ثوابه والرضوان إلى أعلى الدرجات، الـذي عم قلوب أوليائه بروحـه وريحانـه، وسـاقهم بلطـائف لطفـه إلى إحـراز مزيـد كرمـه وإحسـانه، و زجـرهم بـأنواع التخويـف عن التعـرض لمواقـع سـخطه وعصـيانه، وشوقهم بآمال الرجاء إلى الفوز بجواره، وإحراز ما أعدّ لهم من مزيد امتنانه.

---

1 (?)وهو خليفة بن حصـين بن قيس بن عاصم التميمي المنقـري البصـري، ابن أخ حكيم بن قيس بن عاصم، روى عن أبيه حصين بن قيس بن عاصم، وروى عن جـده قيس بن عاصـم. ينظر: تهذيب الكمـال، يوسف بن الـزكي عبد الـرحمن أبو الحجـاج المـزي، تحقيق د. بشـار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط1، عام 1980م، بيروت، لبنان، 8/ 313.

2 (?) وهو قيس بن عاصم بن سنان التميمي المنقري، وفد على رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم- في وفد تميم فأسلم سنة 9 هـ، فقال الرسول – صـلى الله عليه وآله وسـلم- : «هذا سـيد أهل الـوبر»، وقد كـان حـرّم على نفسه الخمر في الجاهلية تـوفي سـنة 20هـ. ينظر: الإصابة، 5/ 483. الأعلام للزركلي، 5/206. في (د) المنقر. {وهذا فيه سقط}.

3 (?) الأربعون حديثًا السيلقية، 16.

والصلاة على الداعي إلى الهدى، والمنقذ لمن اهتدى بهديه من الضلالة والردى، وعلى آله الطيبين سفن النجاة، والهادين إلى كل مكرمة ومنجاة.

واعلم أنَّ هذا الحديث مشتمل على النظر في أمور خمسة، نفصلها بمعونة الله.

النظر الأول: في بيان ما اشتمل عليه من الألفاظ اللغوية

فالعزّ: هو القهر والغلبة، و**الموت**: نقيض الحياة، والحياة بنية ممتزجة على جهة الاعتدال، بها يكون إدراك المدركات، وعليها يتقرر أمر القدرة والعلم؛ لأنّها مصححة لهذه الأمور كلها، والموت يزيلها ويبطلها، **والحسيب:** المحاسب**، والرقيب:** المراقب، وهما مشتقان من الحفظ[1] والمراقبة، ومعنى **الاشتقاق**: أنْ تكون اللفظتان يجمعهما جامع معنوي، وكل من ألفاظ العموم، وهي تفيد الاستغراق لغة وشرعًا، **والحسنة:** مأخوذة من الحُسن، وهي موضوعة على كل ما يسرّ، **والسيئة:** مأخوذة من السوء، وهي اسم لما تنفر عنه النفوس، والمراد **بالحسنة** هاهنا: الطاعة، والمراد **بالسيئة**: المعصية، و**الثواب:** اسم للمنافع التي تستحق على الطاعة، سُمي بذلك؛ لأنه يرجع على صاحبه بالمسرّة، و**العقاب:** اسم المضار التي تستحق على المعصية، وسُمي عقابًا؛ لأنه يستحق عقيب المعصية، و**الأجل**: هو غاية كل شيء ونهايته، ومنه أجل المُطلّقة؛ لأنه الغاية في التحريم حتى تحلّ للأزواج، و**الكتاب:** هو العلم الكاشف على حدّ الأجل ونهايته، و**البدّ:** الفسحة والسعة، فإذا قال: لا بدّ لك من هذا؛ أيْ: لا سعة ولا منه مندوحة عن فعله، **والقرين:** ما يقرن مع غيره؛ وأصله في الإبل يقرن الصعب مع الذلول، فلا يزال يحاذيه ويصاحبه حتى يلين مراسه وينقاد بسهولة، و**الدفن:** المواراة، **الكرم:** معروف، **واللؤم**: معروف أيضًا، والمراد **بالكرم**:

[1])) الحسيب مشتق من المحاسبة، ولعل القول: الحفظ من التحريف.

هاهنا المطابق للتقوى، والمراد **باللؤم**: ما يستحق عليه العقاب، و**الكريمة من الإبل:** ما كانت غزيرة اللبن، و**اللئيمة:** مـا قلّ لبنها، وقـد نُقـل في الاسـتعمال إلى بني آدم، فجُعل الكريم الحسيب، واللئيم البخيل.

وفي الحديث: أنَّ الرسول- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- قـال في صـفة يوسف- عليه السلام- : «هو الكريم ابن الكريم ابن الكريم»[1] أراد أنه يوسف بن يعقوب بن إسحاق[2] بن إبـراهيم، وهـؤلاء قـد أكـرمهم اللـه بـالنبوة، واصـطفاهم للرسالة.

الحشر: هو الجمع والسَوق؛ وفي الحديث: «يحشر الناس إلى جهة الشام حُفاة عُراة غُرْلاً[3]»[4]، و**البعث:** إخراج الشيء عن غيره، فإذا أُخرج الإنسان من قبره قيل: إنه مبعوث، و**مخرج** السؤال هـو الخطـاب، و**الصـالح:** نقيض الفاسـد من كل شيء السالم من العيوب. **الفاحش:** هو القبيح، والفحش والقبح سـواء، و**الوحشة:** نقيض الأنس، وهو سكون الخاطر والبـال، والفعـل للإنسـان مـا كـان حاصلاً بالقدرة عند الداعية.

النظر الثاني: في بيـان ما اشـتمل عليه من المعـاني الإعرابية

«**يا قيسُ**» منادى مقصود، و«**الضمة**» فيه ضمة بناء، ويُحمل على محلّه بالنصب، ويتبعه على لفظه، فتقول: يا زيدُ الطَّويـلُ والطويـلَ، **والذّلّ والموت**: منصوبان بـ «**إنَّ**» المؤكدة مع منصوب، إما على الظرفيـة إنْ جعلنـاه اسمًا، وإن كان حرفًا فالفتحة فيه للبناء، وهذه المنصوبات كلها بــ «**إنَّ**».

---

1 (?) صحيح البخاري،3/ 1237.
2)) في (د) سقط: إسحاق.
3)) غرل: جمع أغرل أيْ: أقلف؛ فهم غير مختونين. ينظر: لسان العرب، مادة (غرل)، ومـادة (قلف) .
4 (?) صحيح البخاري، 3/ 1271. بلفظ : «تحشرون حفاة عراة غرلاً».

«**بدّ**» مبني مع«**لا**» على الفتح، وهو اسم بمعنى: لا سعة ولا مندوحـة، وهـو اسمها، والخبر: هو الجار والمجرور.

قوله: و«**يدفن معـك وهـو حيّ**» جملـة ابتدائيـة في موضـع نصـب على الحال من الضمير في: «**يدفن**»، وقوله: «**وأنت ميت**» جملة ابتدائيـة منصـوبة على الحال أيضـًا، والرابـطُ هاهنـا بين الحـال وصـاحبه: «**الواو**»، والضـمير في: «**تدفن**»، و«**إنْ**» شرطية، وجوابه قوله: «**أكرمك**»، وهكـذا قولـه: «**وإن كان لئيمًا أسلمك**»، وهو من باب قولهم: أسلمته للقتل، أيْ: خلّيت بينه وبين قاتلـه، بخلاف ما إذا قلت: أسلمته من القتل، فالمراد منعه عن القتل، كما قال تعالى: [illegible][1] أيْ: من أجْل الجوع، [illegible][2] أيْ: من أجْل الخوف.

«**ثم لا يُحشر إلا معك**» الاسـتثناء مفـرغ، وهكـذا قولـه: «**ولا تُبعث إلا معه، ولا تُسأل إلا عنه**»، والتقدير: لا يُحشر مـع شـيء إلا معـه، ولا تُبعث مـع شيء إلا معه، ولا تُسأل عن شيء إلاعنه، والتفريـع[3] كمـا ورد في الأسـماء فهـو وارد في الصفات أيضًا، **فالأسماء** كقولك: ما ضربت إلا زيدًا، **والصفة** كقولـك: ما جاءني إلا ضاحكًا، ولا مررت بزيد إلا قائمًا.

سؤال: أراه جعل العمل محشورًا مع الإنسـان، وجعـل الإنسـان مبعوثًـا مـع العمل، فخالف بينهما، فما السرّ في ذلك؟

وجوابه: هـو أن معـنى «**مع**» المصـاحبة، فـإذا حُشـر الإنسـان كـان عملـه مصاحبًا له مضافًا إليه؛ لأن المقصود هـو الجـزاء عليـه بخلاف مـا إذا حشر؛ فإنـه يكون مصاحبًا لعمله؛ لأن البعث: إخراجه من قـبره، فالإنسـان يكـون مضـافًا إلى

---

1 (?) سورة قريش من الآية 4.

2 (?) السورة نفسها ومن الآية نفسها.

3)) هنا المقصود التفريغ، ولعل التفريع خطأ عند النسخ.

عمله لما كـان العمـل هـو المقصـود، فكأنـه يُبعث في ظِـلّ عملـه، كمـا ورد في الحديث:«المؤمن في ظل صدقته»[1] لمّا كانت هي المقصودة، فافترقا.

قوله: «**فلا تجعله إلا صالحًاً**» جملـة واردة على جهـة النهي، مجزومـة بــ «**لا**»، و«**صالحًا**»: منصوب على أنه مفعول ثـانٍ لــ «**تجعله**»، والمفعـول الأول: هو الضمير، وهو راجع إلى «**القرين**»، والجملة الشرطية في موضـع الخـبر؛ لأن «**مع**» جوابها في الأولى والثانية؛ لأن الفائدة لا تتمّ إلا مع ذِكر الجواب، والضــمير في قوله: «**وهو فعلك**» راجع إلى القرين في أول الكلام، وهي جملة ابتدائية لا موضع لها من الإعراب؛ لكونها ابتدائية.

النظر الثـالث: في بيـان ما اشـتمل عليه من العلـوم المعنوية

وفيه بحثان:

البحث الأول: في إيراد ما تضمنه من علوم المعاني

واعلم أنَّ هذا الحديث قد اشتمل على فنون من علم المعاني، نشير إلى كل واحد منها في معرض التنبيهات بمعونة الله تعالى.

التنبيه الأول: التأكيد

وهو معنى في الكلام يُذكر لإزالة الاحتمال، وقطع الشكوك، فقد صـدّر عليـه السلام هذه الجمل بــ «**إنّ**» المؤكدة في صـدرها؛ ليـدل بهـا على تأكيـد المعـنى الذي جيء بها من أجله، كقوله صلى الله عليه وآله وسـلم : «**إنَّ مـع العزّ ذلاً، وإنَّ مع الحياة موتًا**» إلى آخرها، ثم إنـه لا يخفى على الخبـير[2] موقـع التأكيـد من الكلام فإنه يكسبه موقعًا في النفس، وتمكينًا في القلوب.

---

[1])) المعجم الكبير، 17/ 286. بلفظ: «وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته».
[2] (?) في (د) المميز.

التنبيه الثاني: الفصل والوصل

فالوصل: ما كان بـ «**الواو**» في أول الجمل المؤكدة، كقوله: «**وإن مع الدنيا آخرة، وإن لكلّ شيء حسيبًا، وعلى كل شيء رقيبًا**»، فـ «**الواو**» هاهنا دخلت للوصل بين الكلام الأول والآخر، وللربط بين الجمل المتعاقبة؛ لأن المعطوف والمعطوف عليه لابدّ من أنْ يكون بينهما ضرب من المقارنة والملاءمة، ولهذا قبح قولك: زيد قائم، واليهود كفار؛ لمّا لم يكن بينهما نوع من المقاربة والمناسبة، **والفصل:** إتيان الجمل من غير (واو)، وهكذا كقوله عليه السلام: «**إنه لا بدّ لك يا قيسُ من قرين**»، فجاءت هذه الجملة من غير (واو) بينهما على الفصل بينها[1] وبين الجملة السابقة، والفصل والوصل من مهمات علم المعاني.

التنبيه الثالث: الإيجاز والاختصار

ولهما في العلوم المعنوية موقع عظيم لا يخفى على من له أدنى ذوق، فقوله: «**إن مع العزّ ذلاً**» يريد لأهل العزّ، «**وإن مع الحياة موتًا**» لأهل الحياة، «**وإن لكلّ شيء حسيبًا**» من جهة الله، «**وعلى كل شيء رقيبًا**» من الملائكة والحفظة، «**وإن لكلّ أجل كتابًا**» يحيط بجميع الحوادث، «**وإن لكلّ حسنة ثوابًا، ولكلّ سيئة عقابًا**» من عند الله جزاء على هذه الأعمال، «**فإن كان كريمًا أكرمك**» بالثواب من الله تعالى، «**وإن كان لئيمًا أسلمك**» لعقاب الله، فهذه التعلقات كلّها محذوفة، وهي مراده، وإنما حذف على جهة الإيجاز والاختصار.

التنبيه الرابع: الحصر

---

[1] (?) في (د،م) بينهما. {ولعل المناسب: بينها}.

وهـو الـتردد بين النفي والإثبـات، وهـذا كقولـه: «**لا يُحشـر إلا معك، ولا تُبعث إلا معـه، ولا تُسـأل إلا عنه**»، وكقولـه: «**لم تـأنس إلا به**»، و«**لم تستوحش إلا منه**»، والحصر يكون على وجهين:

أحـدهما: أن يكـون حصرًا للصـفة على الموصـوف، كقولـك: ما كاتبًا[1] إلا زيد[2].

وثانيهمـا: أن يكـون حصرًا للموصـوف على الصـفة، كقولـك: مـا زيـد إلا كاتب[3].

التنبيه الخامس: التقديم والتأخير

ولهما دخول في علم المعاني؛ لعظم موقعه، وهذا كتقـديم خـبر «**إنَّ**» على اسمها في قوله: «**إنَّ لكل شيء حسيبًا، وعلى كل شـيء رقيبًـا، ولكـل حسنة ثوابًا، ولكل سيئة عقابًا**»، فإن الأصل تأخيره، ولكن قُدّم[4] على جهـة الاعتناء بالخبر، كقولك: قائم زيد، وكريم عمرو، فهـذه التنبيهـات من مقاصـد علم المعاني قد اشتمل عليها الحديث.

البحث الثاني: في بيان مقاصده صلى الله عليه وآله وسلم التي أرادها عليه السلام

وأراد صلى الله عليه وآله وسلم أن عزّ الدنيا لا دوام له؛ لأنّ الذّلّ يتعقبه لا محالة، ولو لم يكن إلا بالموت لكان كافيًا؛ لأنّه يصير بالموت جيفة ملقاة لا حراك به، ومحكومًا عليه بعد أن كان حاكمًا ومصرَفًا مدبَرًا بعد أن كان على خلاف ذلك، فلا عزّ في الحقيقـة إلا عزّ الآخـرة؛ لأنـه لا ذّلّ يتعقبـه ولا مـوت ينقصـه ويكـدره،

---

1)) السليم قـول: ما كـاتب إلا زيـد، برفع «كـاتب »؛ لأنّ «إلا» الاسـتثنائية أبطلت «مـا» عن العمـل. ينظـر: شـرح ابن عقيل لألفية ابن مالك، بهـاء الـدين عبد الله بن عقيل العقيلي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط2، عـام 1985م، دمشـق، سـوريا، 1/ 374.

2)) في (د،ك،م) ما زيدًا إلا كاتب. {وهو غير سليم}.

3)) في (د،ك،م) ما كاتب إلا زيد. {وهو غير سليم}.

4 (?) في (د) التقديم. {المناسب للسياق قُدّم }.

فالمتوجه على كل عاقل أن يعتبر في حال هذه الدنيا؛ ليترك المنافسة في عزّهـا الزائل، وشرفها المنتقل، وظلها الزائل، فحلاوة رضاعها لا يقوم بمـرارة فطامهـا، وسرور لياليها لا يكافئ في غموم أيامها.

«**وإنّ**

َ **مع الحياة موتًا**» أراد أن الحيّ إذا خطر بباله أنه يموت لا محالة كان ذلك أكثر داعيًا له إلى الزهد في الدنيا، والإعراض عنها، والإقبال إلى الآخـرة، والرغبـة فيهـا إذا كـانت دارًا لا يظعن عنها الساكن ولا يرحل المقيم.

«**وإنَّ لكلّ شـيء حسـيبًا، وعلى كـل شـيء رقيبًـا**»، والحسـيب والــرقيب (فعيلان) بنيــا على المبالغــة، **فالحســيب:** مــأخوذ من المحاســبة، **والرقيب**: من المراقبة، وهو التحفظ على الشيء، والمراد من ذلك أنـه مـا من شيء يفعله الإنسـان في السرّ والعلانيـة إلا ولـه محاسـب من اللـه، وإن العبـد لا يقدم على صغيرة ولا كبيرة إلا والله تعالى رقيب، والملائكة شهود، فكيف يجـترئ العاقـل- والحـال هـذه- على الإقـدام على فعـل المعاصـي على تـرك شـيء من الواجبات.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن لكلّ شيء حسنة ثوابًا، ولكل سيئة عقابًـا**» أراد أن الحســنة هي الطاعــة، وأن السـيئة هي المعصـية، سـُميا بذلك لمّا كان[1] يؤديان إلى ذلك، كما يُسمى العصير خمرًا؛ لمّا كان يؤدي إليه.

تنبيه: اعلم أن المتكلمين مختلفون هاهنا في طرفين:

الطّرف الأول: فيما يستحق به الثواب والعقاب

فالذ**ي** عليه أئمة الزيدية، والجماهير من المعتزلة أنهمـا إنمـا يسـتحقان على الطاعــة والمعصـية، وأنهمـا أعـني الطاعـة والمعصـية سـببان في اسـتحقاقه،

---

[1])) في (د) كانا. {ولعله الأنسب}.

والمحكي عن الأشعرية أن الثواب تفضـل من جهـة اللـه تعـالى يؤتيـه من يشـاء، ويخصّه من يشاء، والعقاب وإن كان مستحقًا على المعصية، ولكنه يجوز أن يعفـو عن المعاصي، وأنه لا معنى للوجوب على الله، ولايقبح من جهته قبيح، ولا يحسن من جهته حسن، وأنه يفعـل مـا يشـاء ويحكم مـا يريد، وصـرحوا ببطلان الأحكـام العقلية من الحسن والقبح، والوجوب، والندب، وأن مسـتند[1] هـذه الأحكـام كلهـا الشـرع، ولا تصـرف للعقـل فيهـا، ولا قـوة لنـا على تحصـيلها، وعلى القضـاء بها، وحُكي عن الشـيخ أبي القاسـم الكعـبي[2] شـيخ معتزلـة بغـداد[3] أن الثـواب إنمـا يستحق ليس على الطاعة، وإنما هو شكر للنعمة.

وأما **العقاب** فيُستحق على المعصية؛ والمختار هو ما أشار إليه الشرع من أن الطاعة سبب في اسـتحقاق الثـواب عليهـا، وأن المعصـية سـبب في اسـتحقاق العقاب عليها، ويدل عليه قوله تعالى: [illegible][4]، وقوله: [illegible][5]، وقوله: [illegible][6]، فهذه واردة كلها دالة على مـا ذكرناه من الاستحقاقين.

الطّرف الثاني: في الإحباط والتكفير

اعلم أن الإحباط والتكفير إنما يتصوران على قول من يقول بوجوب التوفير

---

1 (?) في (د) مسند.

2)) وهو عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي، رأس المعتزلة في زمانـه، تـوفي سـنة 319هـ ببلخ. ينظـر: لسـان المـيزان، أحمد ابن علي بن حجر العسـقلاني، تحقيق دائـرة المعـارف النظامية الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط3، عام 1986م، بيروت، لبنان، 3/ 255. الـوافي بالوفيـات، صـلاح الـدين خليل بن أيبك الصـفدي، تحقيق أحمد الأرنـاؤوطي، تـركي مصطفى، دار إحياء التراث، عام 2000م، بيروت، لبنان، 17/ 17.

3)) المعتزلة البغداديـة: أصـحاب بشر بن المعتمـر، وهو من وجـوه المتكلمين، وكـان جميع معتزلة بغـداد من أتباعـه، ومن البغـداديين عيسى بن صـبيح الملقب بـأبي موسى المـردار، وجعفر بن مبشر، وأبو جعفر الاسكافي، وأبو الحسين الخيـاط، وأبو القاسم عبد الله البلخي الكعبي. ينظر: شرح نهج البلاغة، 1/ 7.

4)) سورة الزلزلة الآيتان 7، 8.

5)) سورة النساء من الآية 123.

6 (?) سورة الرحمن الآية 60.

في كل واحد من المستحقين الثواب والعقـاب، فأمـا من لا يقـول بـالوجوب على ما[1] حكيناه عن الأشعرية، فلا وجه لجريهما بحال، فأما من قـال بـالوجوب لتعـذر اجتماعهما، ففيه مذهبان:

المذهب الأول: إن الثواب والعقاب يتساقطان على الدوام، والغلبة للأكثر في التوفير، وهذا هو رأي **الشيخ أبي هاشم** [2].

والمذهب الثاني: إن الأقلّ يسـقط في جنب الأكـثر، ولا يكـون لـه حكم، وهذا هو رأي **الشيخ أبي علي الجبـائي**، فعلى رأي **أبي هاشم**، إذا اسـتحق عشرين جزءًا من الثواب وعشرة أجـزاء من العقـاب سـقط من الثـواب عشـرة، ووفرت عشرة، وعلى رأي **الشيخ أبي علي** تسقط أجزاء العقاب، ولا يكون لها حظّ في الإسقاط.

وإذا[3] قـال: «**لكـل حسـنة ثوابًا، ولكـل سـيئة عقابًا**»، فهـذا على ظـاهره مقبـول في الطاعـة والمعصـية، والحسـنة والسـيئة، إلا أن يحصـل على الحسنة ما يحبطها من العقاب، ويحصل على السيئة ما يُكفّرها من التوبة، وثواب أعظم منها إن قلنا بجواز ذلك.

«**وإنّ لكل أجل كتابًا**» يريد أن الله تعالى قد كتب الآجال كلهـا في اللـوح المحفوظ، فلا يسـتأخرون سـاعة ولا يسـتقدمون، وهكـذا حـال الأرزاق والأمطـار والأقضية المتعلقة بـالأوامر والنـواهي، فإنهـا مقـدرة مكتوبة، ويصـدق ذلـك قولـه تعالى:

---

[1] (?) في (ك،م) كما. {وزيادة الكاف زيادة مخلة بالمعنى}.

[2] (?) وهو عبد السلام بن أبي علي محمد بن عبد الوهـاب الجبـائي، كـان هو وأبـوه من كبـار المعتزلة، ولد سنة 247هـ، وتوفي ببغداد سنة 321هـ. ينظـر: الفهرسـت، أبو الفـرج محمد بن إسـحاق، المعـروف بـابن النـديم، دار المعرفـة، عـام 1978م، بـيروت، لبنـان، 1/247. وفيات الأعيان، 3/ 183. لسان الميزان، 4/ 16.

[3])) في (ك) الفاء بدلاً عن الواو.

[illegible][1].

قولـه: «**إنـه لا بدّ لـك يا قيس من قـرين يُـدفن معك، وهـو حيّ، وتُدفن معه، وأنت ميت**» يريد أن العمـل لا يفـارق صـاحبه حيًّا ولا ميتًـا، وأنـه حاكم على الإنسان في حال موته، كمـا أن الإنسـان حـاكم على العمـل في حـال حياته متمكن من الزيادة، والنقصان فيه، فنسأل الله عملا مقبولاً عنـده، ورضـوانًا نفوز به من جهته.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فإن كان كريمًا أكرمك، وإن كان لئيمًا أسلمك**» يريد أن العمل إذا كـان مقبـولاً عنـد اللـه تعـالى فصـاحبه يكـرم بالثواب والأجـر من اللـه تعـالى، وإن كـان لئيمًا يعـني غـير مقبـول فإنـه يسـلمك للعذاب والسخط من الله تعالى.

قولــه عليــه السـلام: «**ثم لا يحشــر إلا معك**» يريــد أنــه يصــاحبك في المحشر؛ لتستحق عليه الجزاء «**ولا تبعث إلا معه**» يريد أنه مصاحب لـك عنـد الشقاق فيترك ولدك عليك، وهذا كلّه دال على الملازمة عند الحشر والبعث.

قوله عليه السلام: «**ولا تُسأل إلا عنـه**» أراد أن المقصـود في الـدنيا هـو إحراز الأعمال الصـالحة؛ ليسـتحق عليهـا الثـواب، والخلـود في الجنـة، فليس في الآخـرة سـؤال إلا عنها[2]، ويؤيـد ذلـك أن المـار في الطريـق المخوفـة إذا لقيـه المحاربون والأكراد[3] الذين يقتعدون في الطرقـات لإخافتهـا فـإنهم يقولـون: من رفيقك؟ فإن استصحب منيع الجانب الذي لـه سـلطان، وقهر، وقـوة، فإنـه يُكـف عنه، ولا يعترض له إلا بخير، وإن استصـحب لئيمًـا نـازل القـدر، ركيـك الهمـة، لم

---

1 (?) سورة الحديد الآية 22.

2 (?) في (د،ك،م) عليها. {ولعل الأفصح: عليها}.

3)) الأكــراد: من نسل كــرد بن عمــرو بن مزيقيــاء، وبلادهم أرض فــارس عــراق العجم والأذربيجان والأربل، والموصل. ينظر، تاج العروس، مادة (كرد).

يتمالك في أخذه، وعند السؤال تبادر إلى الاعتصام بذكره، فهكذا حال العمل الصالح يسأل عنه؛ لينجو به عند الأهوال العظيمة.

قوله عليه السلام: «**فلا تجعله إلا صالحًا**»، فهو سبب الأنس بالجزاء، وهو العمل المقدم ذكره، فإنه **إن** كان صالحًا، فهو سبب للأنس بالجزاء المستحق عليه، وإن كان فاحشًا لئيمًا مردودًا لم يستوحش إلا منه؛ لما يحصل عليه من الجزاء بالعقاب الذي لا وحشة أعظم منها، «**وهو فعلك**» بيان؛ لأن جميع ما تقدم من هذه الأحكام كلها متعلقها العمل.

النظر الرابع: في بيان ما اشتمل عليه من العلوم البيانية

اعلم أن هذا النظر مداره على معرفة الاستعارات، والتوسعات الجارية في كلامه عليه السلام، ونحن نشير إليها، ونبين مواقعها، وجملتها أربعة مواقع:

الموقع الأول: قوله:«**إن مع العزّ ذلاً، وإن مع الحياة موتًا**»، فالمعية هاهنا استعارة حسنة؛ لأنها تقتضي المصاحبة، والمصاحبة حقيقتها إنما تستعمل في الأجسام، وتستعمل فيما يقترنان جميعًا، ويكون حصولهما دفعة واحدة، فأما مع الافتراق فلا.

الموقع الثاني: قوله: «لا بدّ لك يا قيسُ من قرين»، فإطلاق القرين مجاز، وقوله: «**يُدفن**» مجاز، وقوله: «**وهو حيّ**» مجاز، فهذه استعارات ثلاث.

الموقع الثالث: قوله: «**وتُدفن معه، وأنت ميت**» استعارة أيضًا، فإن **الدفن** لا يُتصور في العمل، فإطلاق[1] الكرم واللؤم على العمل مجاز على جهة الاستعارة.

الموقع الرابع: إطلاق **الحشر والبعث على العمل** توسع، فهذه مواقع

---

[1])) في (د) الواو بدلاً عن الفاء.

الاستعارات قد اشتمل عليها هذا الحديث، وقد وقعت هاهنا أحسن موقع، وحسنت نهاية الحسن، ولله درّ كلامه عليه السلام لقد فاق، واتسقّ في البلاغة أيّ اتساق.

النظر الخامس: في بيان ما اشتمل عليه من علم البديع

وجملة ما اشتمل عليه من ذلك أجناس ثلاثة:

الجنس الأول: السجع

فقوله: «**عقابًا**»، و«**كتابًا**» كلّه تسجيع، وهو من المتوازن؛ لاتفاق الأعجاز والأوزان، وقوله: «**حسيبًا**»، و«**رقيبًا**» من المتوازن أيضًا، ومن المطرّف قوله: «**عقابًا**»، و«**ثوابًا**»؛ لاختلافهما في الأوزان دون الأعجاز.

الجنس الثاني: الطباق

فـ «**السيئة**» مع «**الحسنة**» طباق، و«**العقاب**» مع «**الثواب**» طباق، و«**الموت**»، و«**الحياة**» طباق، و«**الكرم**»، و«**اللؤم**» طباق، و«**الصلاح**»، و«**الفساد**» طباق، و«**الأنس**»، و«**الوحشة**» طباق أيضًا.

الجنس الثالث: الإيضاح للمعاني، وحسن الكشف للمقاصد

فأنت إذا أعملت الفكرة في سياق هذا الحديث وجدته قد أحرز نهاية الوعظ، وأرشد إلى المصالح الأخروية، والآداب الدينية، ولم يألُ جهدًا في الترغيب، والترهيب مع جزالة الألفاظ، وبلاغة المعاني.

الحديث الثالث

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءَ[1] قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللّهِ- صلى الله عليه وآله وسلم- يوم جمعة-، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا بِالأَعْمَالِ الصَّالِحِةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ تُسْعَدُوا، وَأَكْثِرُوا الصَّدَقَةَ تُرْزَقُوا، وَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ تُخْصَبُوا، وَانْهَوا عَنِ الْمُنْكَرِ تُنْصَرُوا، أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ أَكْيَسَكُمْ أَكْثَرُكُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ، وَأَحْزَمَكُمْ أَحْسَنُكُم اسْتِعْدَادًا لَهُ، أَلاَ وَإِنَّ مِنْ عَلاَمَاتِ الْعَقْلِ التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ، وَالإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّزَوُّدُ لِسُكْنَى الْقُبُورِ، وَالتَّأَهُبُ لِيَوْمِ النُّشُورِ**»[2].

فنقول: الحمد لله المنعم، الذي رخّص بالتوبة عن المذنبين درن الأوزار، وألهمهم إلى الإنابة إليه، ومهّد لهم بكرمه ورحمته طريق الاعتذار، واصطفاهم بالمحبة وعظيم الزلفة، وأكرمهم بخضوع الندم وشرف الاستغفار، وصفى سرائرهم، وبعدهم عن مراجعة ما تابوا عنه، واستخلصهم بخالصة ذكرى الدار حتى صاروا لذلك من عباده المقربين المصطفين الأخيار، وواظبوا على فعل الطاعات، وشكر القبول آناء الليل وأطرف النهار، وقربوا إلى خالقهم نهاية القرب، وفروا إليه أيّ مهرب وفرار.

والصلاة على رسوله النبي المختار، وعلى آله الطيبين البررة الأطهار صلاة دائمة ما أظلم ليل وابتلج فجر نهار، واعلم أن هذا الحديث قد اشتمل على النظر في أمور خمسة:

---

1 (?) وهو عويمر، وقيل: عامر، واختلف في اسم أبيه، فقيل: عامر، وقيل: عبد الله، قيل: زيد، وأبوه ابن قيس بن أمية الخزعي الأنصاري، أسلم يوم بدر، تولى قضاء دمشق في عهد عمر- رضي الله عنه- توفي في خلافة عثمان- رضي الله عنه-. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، 3/ 1227، 1228. الإصابة في تمييز الصحابة، 4/ 474.

2 (?) الأربعون حديثًا السيلقية، 17.

النظر الأول: في بيـان ما اشـتمل عليه من الألفـاظ اللغوية

التوبة: هي الرجوع والإنابة، و**التوبة**: في لسـان حملـة الشـريعة، حقيقتهـا مركبة من وصفين:

أحدهما: الندم على القبيح لقبحه، وهو متعلق بالماضي؛ لأن حاصله الأسف وتدارك ما فات.

وثانيهما: العزم على ألاّ يعود إلى مثل مـا تـاب منـه، ومتعلقـه المسـتقبل، وهذان الوصفان تقوم[1] بهما حقيقة التوبة، والمختار عندنا تفصيل نشير إليه؛ وهو أن حقيقة **التوبة:** الندم، والأسـف، وتـدارك مـا مضـى، وهـذا كـافٍ في تحصـيل حقيقتها، ونحن وإن اعتبرنـا العـزم فليس لأنـه جـزء من حقيقتهـا، ولكنّ الـواجب على كل أحـد أن يعـزم في المسـتقبل من الزمـان على تأديـة كـل واجب، وعلى الانكفاف من كل قبيح، وهل تصحّ التوبة من قبيح دون قبيح أو لا؟

فيه خلاف بين العلماء، فمنهم من قال: إن القـبيح شـامل لكـل قـبيح، فلا يصحّ الندم على قبيح دون قبيح مثله، والمختار عندنا جواز ذلـك، وهـو رأي الإمـام (المنصور بالله)- عليه السلام- فإنه قال هاهنا في شرحه لهذا الحديث: وعندنا بل هو إجماع الأمـة أن كـل من تـاب من دِين النصـرانية إلى دِين الجبرية[2] أن توبتـه صحيحة، وأنه قـد خـرج عن حكم النصـارى إلى حكم المسـلمين، وإن كـان مصرًا على ذنب عظيم، بل من أئمتنا من جعله كفرًا[3]، فحصل من كلامه هذا فائدتان:

الفائدة الأولى: جواز التوبة من ذنب دون ذنب عنده، فإذا تاب عن شرب

---

1 (?) في (ك) يقوم.

2 (?) الجبريـة: من تنفي الفعل حقيقة عن العبـد، ويضـيفه إلى الله تعـالى، والجبرية أصـناف، فمنهـا، الجبرية الخالصـة: وهي الـتي تثبت للعبد فعلاً، ولا قـدرة على الفعل أصـلاً، والجبرية المتوسطة: وهي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً. ينظر: الملل والنحل، 1/ 85.

3)) ينظر: حديقة الحكمة النبوية، 28.

المسكر، ولم يتب عن فاحشة الزنا جاز ذلك، وكان عقابه على إتيان الفاحشة دون شرب المسكر.

الفائدة الثانية: إن ظاهر كلامه هاهنا دال على أنه لا يقول بإكفار المجبرة، كما هو المختار عندنا، ويدل على ما قلناه من كلامه أمران:

أحدهما: ما صرح به من المثال بقوله، فيمن خرج عن حكم النصارى بالتوبة عن دينهم إلى دِين الجبرية أنه خارج إلى حكم المسلمين، فسماهم مسلمين ولو كانوا كفارًا لم يطلق عليهم اسم المسلمين.

وثانيهما: أنه قال: من أئمتنا من جعله كفرًا، يعني الجبر، فدلّ من مذهبه أنه لا يقول بإكفارهم، فهذا تصريح منه بذلك، وهم يروون عنه خلاف ذلك، ويزعمون أنه من أشدّ الناس مبالغة في إكفار المجبرة؛ والصحيح من مذهبه ما صرح به هاهنا من عدم إكفارهم بالتأويل الذي اعتقدوه، فأما خطابهم فلا إشكال فيه، وما اخترناه فهو رأي (المؤيد بالله)[1]، وموضع الانتصار لما اخترناه قد ذكرناه في كتابنا الملقب بكتاب (**التحقيق في الإكفار والتفسيق**)[2]، فمن أراده فليطالعه، فإنه يجد فيه ما يشفي ويكفي.

قوله:«**قبل أن تموتوا**»، واعلم أن الناس مختلفون في حقيقة الموت، ولهم فيه أقاويل ومذاهب كاذبة وظنون فاسدة، وجملتها أربعة:

القول الأول: إن **الموت**: هو العدم، وأنه لا نشر ولا حشر، ولا عاقبة للطاعة ولا للمعصية، وإن موت الإنسان كموت الحيوانات، وجفاف النبات، وهذا

---

1 (?) وهو أحمد بن الحسين بن هارون بن الحسين الهاروني الحسني، مولده بآمل طبرستان سنة 333هـ، عرفه الناس عالمًا ورعًا تقيًا، توفي سنة 411هـ. ينظر: التدوين في أخبار قزوين، عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني، تحقيق عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية، عام 1987م، بيروت، لبنان، 2/ 167. الأعلام للزركلي، 1/ 116. معجم المؤلفين، 1/ 209. أعلام المؤلفين الزيدية، 100.

2 (?) وهو مجلد مخطوط في أصول الدين، وورد باسم التحقيق في التكفير والتفسيق. ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 1126. وفي (د) سقط: في الإكفار.

هو رأي الملاحدة، وكل من لا يؤمن بالله، ولا باليوم الآخر.

القول الثاني: إن ابن آدم ينعدم بالموت، ولا ينعم بثواب، ولا يتألم بعقـاب ما دام في القبر إلى أن يعاد في وقت الحشر.

القول الثالث: إن الموت معنى عرضـي يضـاد الحيـاة ويزيلهـا، وهـو بمنزلـة طرو السواد على البياض.

القول الرابع: إن الموت عبارة عن تفريق البنية التي تحتاج إليهـا الحيـاة، فهذه كلّها أقاويل مضطربة، وظنون ليس لها حقيقة؛ لبطلانها وفسادها، والمختـار الذي تشهد له الأدلة بالصحة، وتنطق به الآيات والأخبـار أن **الموت** معنـاه: تغـير حال، وإن الروح باقيـة بعـد مفارقـة الجسد، إمـا معذبة، وإمـا منعمة، وإن الـروح عبارة عن الجملة التي يقولها أهل العدل: وهي الـتي لا يكـون الإنسـان إنسـانًا إلا بها، فهي الروح عندنا، وهي المثابة المعاقبة الحيّة القادرة التي يتوجه إليها المـدح والذم، والمقبوضة عند المـوت، ومعـنى مفارقتهـا للجسـد: انقطـاع تصـرفها عنـه بفسـاده وتغـيره، وانقطاعهـا عن تصـريفه[1]، فـإن الأعضـاء آلات لهـذه الجملـة يستعملها فيبطش باليد ويسمع بالأذن ويبصر بالعين، فإذا بقي الجسـم على حالـة الكمال والاعتدال فهي باقية، وإذا خرج الجسـم عن حدّ الاسـتقامة خـرجت عنـه، كما أن العضو إذا خدر خرج عن حدّ الاستعمال به من جملة الأعضاء، ويشـهد لمـا قلنا من الآيات قوله تعالى: [illegible][2]، وأما **الأخبار:** فكثيرة؛ كقوله عليه السلام: «أرواح الشـهداء في أجـواف طـير خضـر تـأوي إلى قناديـل معلقـة بالعرش»[3]، وقوله في قتلى بدر لمّـا نـاداهم: «إنهم ليسـمعون الكلام، ولكنهم لا

---

1 (?) في (د) سقط: الياء من تصريفه.

2 (?) سورة آل عمران الآية 169، ومن الآية 170 .

3 (?) صحيح مسلم، 3/ 1502. بلفظ- من حديث طويل-: «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش... ». المعجم الكبير، 9/ـ 183. بزيادة نصّها: «تسـرح في الجنة حيث

يقدرون على الجواب»[4]، ولا يمكن تأويل ذلك إلا على التقرير الذي لخصناه.

والمبادرة: هي المعاجلة والمسارعة، و**الوصل:** نقيض القطع، و**الإكثار:** نقيض الإقلال، و**الصدقة:** إعطاء المال من يستحقه، وهي منقسمة إلى: فرض، ونفل، و**الرزق:** ما حازه الإنسان وتناوله من غير مانع، و**أرزاق الجنة:** ما كان من جهة الأمام، و**الأمر:** هو الطلب، و**المعروف:** ما كانت العقول تشير إلى حسنه، فهو معروف، و**الخصب**: نقيض الجدب، وهو ترادف الثمار وتكرر الأمطار، و**النهي:** المنع عن الشيء، و**المنكر:** ما أنكرته العقول من الأعمال، و**النصر**: نقيض الخذلان، **الكيّس من الرجال**: هو الكامل في أموره وأحواله، و**الكياسة:** الظرف في الأمور وحسن الشمائل، و**الذكر:** نقيض النسيان، و**الحزم:** نقيض التواني، و**الحسن:** نقيض القبح، و**الاستعداد:** أخذ الأهبة لكل ما يحاوله الإنسان من الأمور العظيمة.

العلامة: الأمارة والدلالة، وأصل العلامة من علم الطريق، وهي الحجارة المنصوبة في الطرقات، و**العقل:** عبارة عن العلوم العقلية التي يصير بها الإنسان عاقلاً على رأي الأكثر من المتكلمين، ومنهم من زعم أن العقل بنية توجب هذه العلوم، وهذا هو المختار عندنا، فبنية العقل لسائر العلوم الضرورية والعلوم النظرية، مثل بنية العين في الإدراك التجافي، **والتجانف:** هو الازورار والميل.

الغرور: (فعول) للمبالغة في الاغترار، ويحتمل أن يكون صفة أي الشيء الغرور، ويحتمل أن يكون مصدرًا؛ أيْ: الغرور نفسه، وكله محتمل هاهنا، و**الإنابة:** الرجوع، و**التزود:** ما يستصحب في الأسفار، و**السكنى في القبور**:

شاءت ثم تأوي ....».

[4] (?) صحيح مسلم، 4/ 2203. بلفظ - من حديث طويل- : «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا ...».

الإقامة فيها، و**التأهب:** الاستعداد، و**النشور:** هو يوم القيامة، سُمي بـذلك؛ لأنـه نشر للأجسام بعـد طيّهـا؛ لأن الميت يصـير مطويًّـا، ثم يُنشـر للحشـر، وهـو يـوم هائل؛ لما اشتمل عليه من العظائم، والأمور الهائلة الفظيعة المنكرة.

النظر الثاني: في بيـان ما اشـتمل عليه من المعـاني الإعرابية

قوله عليه السلام: « **توبوا**» فعـل أمـر مبـني على مـا يجـزم به، و«**قبل**» منصـوب على الظرفيـة، والجـار والمجـرور متعلقـان بـ «**توبـوا**»، و«**إن**» هي المصدرية الناصبة للفعـل المضـارع، وهكـذا قولـه: «**بادروا بالأعمـال**» يجـري مجرى الأول فيما ذكرناه من الإعراب.

«**وصِلوا**» أمـر، والصـلة والموصـول في موضـع نصـب على المفعوليـة لـ «**صِلوا**»، و«**تُسعدوا**» مجزوم؛ لكونه جوابًا للأمر؛ وأمـارة جزمـه حـذف (نونه)، وهكذا حال الجمل بعده تجري هذا المجرى من الأمر، وجوابه بالجزم.

«**أيُّها الناس**» مضى تقرير إعرابه. «**إنَّ أكيسكم**» منصوب بـ «**إنَّ**»، و«**أكـثركم**» مرفـوع خـبر لـ «**إنّ**»، و«**ذكرًا**» منصـوب على التميـيز. «**وأحزمُكم**» مرفوع على أنه مبتدأ. ما بعده وهو قولـه: «**أحسنكم اسـتعدادًا له**» خبره، ويجوز نصبه عطفًا على ما قبله، وسماعنا بالرفع فيه، و«**اسـتعدادًا**» نصـب على التميـيز، و«**ألا**» للتنبيه، و«**التجـافي**» منصـوب بـ «**إنَّ**»، وخبرهـا الجار والمجرور، والقياس ظهور النصب فيه، وسماعنا بإسـكانه، وهـو خـروج عن القيـاس كمـا قيـل: أعـط القـوس باريها، ويحتمـل أن يقـال: إنمـا لم يظهـر فيـه النصب؛ لأن (الياء) غير أصـلية فيه[1]، وإنمـا هي مبدلـة من (الـواو)، و«**الإنابة**» منصوب عطفًـا على «**التجافي**»، وهكـذا «**الـتزود**»، و«**التـأهب**» منصـوبان،

---

[1] (?) في (د) سقط: فيه .

وخبرهما الجار والمجرور كما سلف تقريره.

النظر الثالث: في بيـان ما اشـتمل عليه من المقاصد المعنوية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في بيان الأمورالمعنوية التي اشتمل عليها من علم المعاني

وهو مشتمل على نكت ثلاث:

النكتة[1] الأولى: الفصل والوصل

فالوصل ما كانت الجمل فيه حاصلة بــ «**الواو**» العاطفة، وهذا حاصـل في جميع الجمل كلّها التي وردت في الحديث، فإنها جاءت وصـلة بين الجملـتين، وهكذا قوله: «**ألا وإنَّ**» «**الواو**» هاهنا للوصل بين «**إنَّ**»، و«**ألا**» للتنبيـه، ولهـا موقع لطيف، وقد جاء الفصل في قولـه: «**أيُّها النـاس إنَّ أكيسـكم**» لمـا لم يأت بــ (الواو) عطفًا على «**أيُّها الناس**» في صـدر الحـديث لإرادة الفصـل بين الكلامين، ولم يرد الجمع بينهما إيقاظًا للأسماع، وتنبيهًا على الخروج من كلام إلى كلام آخر ليس بينه وبين الأول علقة ولا ملاءمة بحال.

النكتة الثانية: الإيجاز والاختصار

فلقد أشار عليـه السـلام في هـذا الحـديث إلى المبالغـة في الوعـظ بـأوجز عبارة وأخصرها، فذكر **التوبة** وأمَـر بهـا لإصـلاح الأعمـال، وبهـا يكـون خواتيمهـا، وأمَر **بالمنافسة** في الأعمـال الصـالحة؛ لأنـه يكـون بهـا النجـاة، ثم أمَـر بتقويـة الأسباب بين الخلق وبين الله تعالى إلى آخر كلامه.

النكتة الثالثة: الحذف والإضمار

[1]) النكتة: الفكـرة اللطيفة المـؤثرة، والمسـألة العلمية الدقيقـة، يتوصل إليها بدقـة، وإنعـام فكـر. ينظـر: المعجم الوسـيط، إبـراهيم مصـطفى، أحمد الزيـات، حامد عبد القـادر، محمد النجار، مجمع اللغة العربية بالقـاهرة، مطـابع دار المعـارف، ط2، عـام 1400هـ، القـاهرة، مصر، مادة (نكت).

وهذا كقوله: «**وبادروا**» أيْ: بادروا الموت، وقوله: «**قبل أن تُشغلوا**» بالموت وأهواله، وقوله: «**وصلوا الـذي بينكم**» بالطاعة، وقولـه: «**تُسـعدوا**» بالجنة، ونحو قوله: «**تُرزقوا**» الخير، وقوله: «**تُخصبوا**» في ثماركم، فهذه كلها حذوفات جاءت على جهة الإضمار بها، وهي مراده في التقدير.

المطلب الثاني: في بيان مقاصده التي أرادها منه

أمر بالتوبة، وظاهر الأمر للوجوب عند أئمة الزيدية، ومن تابعهم، وهو قول جمهور المعتزلة؛ والمختار عندنا أنه نصّ في الطلب، ولا يكـون للنـدب والوجـوب إلا لدلالة شرعية، والعقل والشرع دالان على وجوب التوبـة من الكبـائر من فعـل القبائح وترك الواجبات، والتوبة من الصغائر مسـتحبة من جهـة العقـل واجبـة من جهة الشرع.

والتوبة من أقوى قواعد الدِّين، ومن أهم ما يعول عليه من كان يعدّ نفسه من جملة المسلمين؛ لما فيها من دحض الأوزار وإزالة الآثام، وفي الحديث: «إنـه ليغان على قلبي فأستغفر الله»[1]، وفي حديث آخر: «إني أستغفر الله في اليـوم سبعين مرة»[2]، فإذا كان هـذا حـال الحـبيب المقـرب فكيـف حـال غـيره؟! وبهـا تحصل المحبة من الله حيث قال: □□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□ □□□□□□ □□□□ □□□□ □□□□ □ □[3]، وإذا كان أكثر الخلق يعرضـون نفوسـهم للأخطـار العظيمـة الـتي فيهـا هلاك، وتعريض النفوس للجرح، والقتل لينال محبـة من بعض الملـوك المسـاكين الـذين يعتريهم العجز والبخل، ثم ما أعطوه حقير فانٍ، فكيف لا يعـرض الإنسـان نفسـه لما عند الله من الثواب الـدائم والخـير الجزيـل بالإقبـال على الأعمـال الصـالحة،

---

1 (?) صحيح مسلم، 4/ 2075. بلفظ: «إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة».

2 (?) سنن الترمذي، 5/ 383.

3 (?) سورة البقرة من الآية 222 .

والمبادرة إلى التوبة عند تغلب المعاصي وكثرة الذنوب، ومن لطف الله ورحمتــه جعل باب التوبة مفتوحًا حتى تطلع الشمس من مغربها، فالواجب على العاقل أن يصبح تائبًا ويمسى تائبًا؛ خوفًا من أن يفاجئه الموت، وهو على غير أهبة.

قوله عليه السلام: «**وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشـغلوا**»

اعلم أن الأفعال: هي متعلق التكليف كلها، ولها تقسيمان:

التقسيم الأول: باعتبار حكمها إلى ما للقادر عليه فعله وإلى ما ليس لـه فعله، فالذي ليس له فعله هو القبيح، والذي له فعله ينقسم: إلى ما يستحق الذم على تركه، وإلى مـا ليس كـذلك، فالـذي يسـتحق الـذم على تركـه هـو الـواجب، والذي لا يستحق الذم على تركه ينقسم: إلى ما يترجح فعله على تركـه، وإلى مـا يترجح تركه على فعله، وإلى مـا يسـتوي فيـه الأمـران، **فالأول:** هـو المنـدوب، **والثاني:** هو المكروه، **والثالث:** هو المباح.

التقسيم الثاني: باعتبار محلها إلى ما يكون من أفعـال القلـوب وإلى مـا يكون من أفعال الجوارح، فالذي يكـون من أفعـال الجـوارح ينقسـم إلى: أفعـال، وأقوال[1]، والذي يكون من أفعال القلوب، نحو الإرادة والكراهة والاعتقاد والظن، فهذه هي الأفعال التي عليها مدار التكـاليف العقليـة والشـرعية، **فالواجب** على المكلف أنه لا بدّ له من الإحاطة بأحكام الأفعال ومعرفة وجوهها؛ ليؤدي كل فعـل على ما يطابق غرض الحكيم، وما من فعل من الأفعال إلا ولله تعـالى فيـه حكم، كما قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[2]، وإنّما خصَّ الأعمال الصالحة؛ لأنها سالمة من التبعات المتعلقة بالأفعال القبيحة قبل أن تُشغلوا بما يعــرض من الأسقام، وحوادث الأيام التي لا ينجو منها في مجرى العادة أحد من الخلق.

---

1)) في (د،م) أقوال وأفعال.

2 (?) سورة القمر الآية 53 .

وحُكي أن عبدالملك بن مروان[1] لمَّا أصابته العلّة كان يُطلُّ من الروشن[2] فيصيح بأعلى صوته: يا أهل العافيـة لا تغبطـوا الملـوك على ملكهم، فـو اللـه مـا رزق الله عبداً أجلّ من العافية، وحماه الأطباء عن شرب الماء البارد، وقـالوا: إن شرب مات، فلما جهده العطش دعا بالماء، فمنع منه، فقال لابنته فاطمة: تسقيه فسقته فشرب فمات، فهذه نصيحة لنا من طـبيب الدِّين، ومعلم الخـير، والهـادي من الضلال صلى الله عليه وآله وسلم لا تساويها نفائس الأموال، فالواجب قبولها والمبادرة إلى امتثالها.

قوله صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم:«**وصِلوا الـذي بينكم وبين ربكم تُسعدوا**» أراد أن الوصلة التي بين الله تعالى وبين عبده هي الأعمـال الصـالحة، فمن فعلها فقد استمسك بحبل الله تعالى، واعتصم بالعروة الوثقى، **ومن** تركهـا وأعرض عنها فقد قطع الوصلة بينه وبين الله.

ومعنى «**تُسعدوا**»: تظفروا بالسعادة الدينية، وهي الإيمـان باللـه وبرسـوله واليـوم الآخـر، وبالسـعادة الأخرويـة وهي الجنة، والفـوز برضـوان اللـه تعـالى وكرامته.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وأكثروا الصـدقة تُرزقـوا**» **الصـدقة** تكون على وجهين: **أحدهما**: أن تكون فرضًـا وهـو نحـو العشـر في المعشـرات، وربع العشر في الذهب، والفضة، وأموال التجارة.

وثانيهما: أن تكون نفلاً، وهو ما يتقرب به إلى الله من جميع أنواع البر.

وقوله: «**تُرزقوا**» فيه وجهـان: **أحدهما:** أن يكـون هـذا الـرزق مخصوصًـا

---

1 (?) وهو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميـة، ولد سـنة 20هـ، اسـتعمله معاوية على المدينـة وهو ابن ست عشـرة سـنة، تـولى بعد أبيه سـنة 65هـ، تـوفي بدمشق سنة 86هـ. ينظر: الوافي بالوفيات، 19/ 139- 141.

2 (?) الروشن: الكوة. ينظر: لسان العرب، مادة (رشن). القاموس المحيط، مادة (رشن) .

لأجل فعل الصدقة، يوضحه قوله عليه السلام:«استنزلوا الرزق بالصدقات»[1]، وقوله عليه السلام: «إذا املقتم فتاجروا الله بالصدقة»[2] بخلاف الرزق الذي قد حتمه الله وقدره وجعله بلغة للأجسام، فإن ذلك واجب على الله سواء حصلت الصدقة أم لا.

وثانيهما: أن يكون المراد بالرزق ما يحصل في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ ﴾[3]، وكلاهما محتمل لا غبار عليه.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وأمروا بالمعروف تُخصبوا**» **المعروف**: هو أنواع البِرّ من واجب ونفل، **والخصب:** إدرار الأرزاق وتتابع الثمار، وظاهر الخبر دال على أن هذا الخصب إنما حصل في مقابلة الأمر بالمعروف؛ لأنه سبب في ذلك، وهو غير ما ذكرناه من الخصب الذي يكون من جهة الله فإنه واجب على الله، ويحتمل أن يكون هو الرزق الواجب، لكن الغرض كثرته بسبب الأمر بالمعروف، فهو محتمل للأمرين كما ترى.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وانهوا عن المنكر تُنصروا**»، والنصر يكون على وجهين: **أحدهما:** أن يكون النصر عامًا[4] خاصًا، وأراد أنكم تنصرون على كفّ المناهي وتركها وإعدامها، وهو الظاهر من الحديث، **وثانيهما:** أن يكون النصر عامًّا على فعل المعروف، وعلى ترك المناهي أجمع، ثم إنه يفترق الحال بين المأمورات والمنهيات، فأما **المنهيات** فإن المقصود كفّها وإذهابها، ولو انتهى إلى القتل من فاعلها جاز ذلك؛ لما يظهر فيها من المفسدة

---

1 (?) شعب الإيمان، 2/ 74. بلفظ: «استنزلوا الرزق بالصدقة ».

2 (?) المقصود الإمام علي- كرم الله وجهه- لورود ذلك القول في نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب، ضبط نصه د. صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، ط2، 1982م، بيروت، لبنان، 513. وفي (ك) بالصدقات بدلاً عن الصدقة. {والسليم «بالصدقة»}.

3 (?) سورة مريم من الآية 62 .

4)) في (د،ك،م) سقط: النصر عامًا.

الدينية، بخلاف جانب المأمورات فإن المقصود هو الإتيان بهـا، كالصـلاة والصـيام، فيؤمر صاحبها بالضرب والحبس، ولا ينتهي إلى القتل على القوي من جهة النظر، ثم إن النصر يقع من الله تعالى لأوليائه على أحد وجهين:

إما بالتقوية لقلوبهم وتضعيف قلوب أعدائهم، فيحصل قطع الدابر بحزّ الرقاب، وأخذ الأموال، وملك الرقاب والأولاد والنسوان، وهـذا نصـر معجل، وإمـا أن تحصـل البلوى فتكون التخلية بينهم وبين الأولياء في العاجل، فيحصل إلى الأولياء من الضرر بالقتل والظفر بالشهادة، ويكون في مقابلته من الأجر وإحراز الثواب مـا لا يوصـف، وحتى أن الشهداء يتمنون العودة إلى الدنيا فَيُقتَلون مرّة ثانية؛ لما يــرون من عظيم ما أعد الله لهم من عظيم ثوابه، ومصداق هذا قوله تعالى: [illegible] [1] يعني: إما الإزالة بقتلهم وأخذ أمـوالهم، وإمـا بـالظفر بالشهادة، فهذا هو النصر العزيز والفتح المبين، والفوز الكبير، ثم إن عدوه قد حصل على العذاب المهين والخسران المبين، فإذا عرف العاقل بحقيقة النصر، وأنه كــائن من عند الله لا محالة تصديقا لقوله: [illegible] [2]، فإنه يهون عليه الأمر في استظهار المبطلين على المحقين في دار الــدنيا، وعلم أن المحقّ في الحقيقة منصور وإن كان مقهورًا.

قوله صلى الله عليه وآله وسـلم: «**أيُّها النـاس**» تكريــر للتنبيه، والتحفـظ على الإقبال والتفطن.

«**إن أكيسكم أكثركم ذكرًا للموت**» أراد أن الكامل في العقل من يذكر الموت ولا ينساه، ويعلم أنه هادم لكل لذّة، منغص لكلّ شهوة، مفرق بين الأحبة، فذلك يدعوه إلى فعـل الطاعـة، واجتنـاب المعصـية، والمبـادرة إلى فعـل الخـير، متوقعا لنزوله خائفًا لحلوله.

---

1 (?) سورة التوبة من الآية 52 .

2 (?) سورة الروم من الآية 47 .

قوله صلى الله عليه وآلـه وسـلم: «**وأحزمكم أحسـنكم اسـتعدادًا له**» أراد أن الأخذ بـالحزم في أمـره هـو الـذي أجمـل نفسـه في أخـذ الأهبة، وحسـن الاستعداد؛ لوقوع الموت وهجومه، ولا أهبة كالإسراع إلى الطاعة؛ إذ لا سبيل إلى ردّ فائت الأوقات، فإذا حضر الموت، وقد استكثر الإنسـان من الأعمـال الصـالحة لم يجزع على فراق الدنيا، ولا آسف عليها[1].

قولـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «**ألا وإنَّ من علامـات العقـل التجافي عن دار الغرور**» اعلم أن العقل له حقيقـة وعلامـة، **فحقيقته**: أنـه بنية في الإنسان يتميز بها عن سائر الحيوانات، وفي الحديث: «إن الله تعالى لمـا خلق العقل، فقـال لـه: أقبـل، فأقبـل، ثم قـال لـه: أدبـر فـأدبر، ثم قـال: وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقًا أشـرف منـك، بـك أُثيب، وبـك أُعـاقب، وبـك أحاسـب»[2]، وسُمي عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه عن الوقوع في المكـاره، وأمـا علامتـه فقـد أشـار عليه السلام إلى علامات أربع:

الأولى: الإعـراض عن اللذّة الفانيـة المنقطعـة، والإقبـال على إحـراز النعيم الدائم، ولن يكون ذلك إلا بالميل عن الـدنيا، والمجانبـة لهـا كمـا أشـار إليـه صـاحب الشريعة صلوات اللـه عليـه، وهـو أحكم الحكمـاء، وأعلم العلمـاء بالمصـالح الدينيـة كلها، والهداية إلى طريقها، وهذا كلّه إنما يحصل باستعمال العقل، وفي الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل لـه»[3]، وفي حديث آخر: «يُدرك الخير كله بالعقل»[4]، وقال عليه السلام: «النـاس يعملـون

---

[1] (?) في (د،ك،م) عليه. {وهو غير مناسب}.

[2] (?) المعجم الكبير، 8/ 283 . بلفظ: «لمّا خلق الله العقل قال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر. قـال: وعـزّتي ما خلقت خلقًا أعجب إليّ منـك، بك أعطي، وبك الثـواب، وعليك العقاب».

[3] (?) شعب الإيمان، 4/ 157.

[4] (?) حقائق المعرفة في علم الكلام، أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهـر، تصـحيح حسن يحيى اليوسفي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط1، عام 2003م، صنعاء، الجمهورية اليمنية، 67.

ويُعطون أجورهم على قدر عقولهم»[1].

وأما **الثانية**: فــ «**الإنابة إلى دار الخلود**»، ومعـنى **الإنابة** هاهنـا: هـو الإقبال على الطاعات والمواظبة على الأعمال المقبولة، والانكفـاف عن مواقعـة الأمور المهلكـة، فبـذلك يكـون الإحـراز لـدار الخلـود ودار الحيـوان ودار الكرامـة والرضوان لا ينفـد نعيمهـا، ولا يظعن مقيمهـا، ولا ينقطـع طعامهـا وشـرابها، فــ [illegible][2]، زوجــاتهم الحــور العين، وثيــابهم الحريــر، وفراشهم السـندس والاسـتبرق، وحليتهم الـذهب الأحمر [illegible][3].

وأما **الثالثة**: فــ «**التزود لسكنى القبور**»، فاعلم أن الإنسان إذا أراد سفرًا من الأسفار فإنه يستصحب الزاد لسفره، ولا زاد لسكنى القبور إلا التقــوى والأعمال التي يُرجى بها النجاة، والفوز. شُبّه خروج الإنسان من الـدنيا إلى قـبره بحال من يريد سفرًا من الأسفار، فكما أنه يقـدم الـزاد للسـفر، فهكـذا حـال من مصيره إلى القبور فإنه يقدم الزاد لا محالة، وليس الغرض التزود من الخروج من القبور إلى العرصة، فإن الـزاد قـد انقطـع بـالموت، وإنمـا الغـرض مـا ذكرنـا من التزود إلى القبور من الدنيا، ولو أراد ذلك لقال: والتزود للوقوف في العرصة.

وأما **الرابعة:** فــ «**التأهب ليوم النشـور**» أراد يـوم القيامـة، فإنـه يـوم عظيم [illegible][4]، وفي الحديث: «إن الطير لتقذف ما في أجوافهـا من هـول يـوم القيامـة»[5]، والأهبـة والعدّة سـواء، ولا أهبـة مثـل

---

1 (?) شعب الإيمان، 4/155.

2 (?) سورة الصافات الآية 61 .

3 (?) سورة المطففين من الآية 26.

4 (?) السورة نفسها، الآية 6.

5)) مسند أبي يعلى، أحمد بن علي المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، ط1، عام 1984م، دمشق، سوريا، 10/ 39. بلفظ: «وإن الطير يوم القيامة لتضرب بأجنحتها، وترمي ما في أجوافها ما لها من طلبة».

إحراز الأعمال المرضية. اللهم اجعلنا من الفائزين برحمتك الواسعة.

النظر الرابع: في بيان ما اشتمل عليه من العلوم البيانية

واعلم أن هذا الحديث قد اشتمل على استعارات رشيقة ومجازات فائقة.

الاستعارة الأولى: قوله: «**تُوبوا إلى الله**»، فإن **التوبة** الغاية هاهنا مجاز؛ لأن الغاية هي المستقر والمنتهى، وهذا غير حاصل في حقّ الله تعالى.

الاستعارة الثانية: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**صِلوا الذي بينكم وبين ربكم تُسعدوا**» **الصلة** توسع ومجاز، وهكذا لفظة «**البين**» فإنها لا تستعمل إلا بين شيئين متقاربين في الجهة، وهذا مستحيل في حقّ الله.

الاستعارة الثالثة: قوله: «**أكثروا الصدقة تُرزقوا، وأمروا بالمعروف تُخصبوا**...» إلى آخر الجمل، فإنها أسباب ومسببات واقعة على جهة التوسع والاستعارة، فإنها أوامر وجواباتها كالمسببات عنها؛ لأنها في معنى الشرط والجزاء، ولهذا جاءت مجزومة وليست أسبابًا على الحقيقة؛ لأن السبب ليس مؤثرًا في مسببه، وإنما المؤثر هو الله تعالى، فلا جرم كان إسنادها إلى مسبباتها حاصلاً على جهة المجاز.

الاستعارة الرابعة: إضافة **الدار** إلى **الخلود**، و**الغرور** إنما هو على جهة المجاز؛ لأن الإضافة بمعنى اللام للملك، وليس يتصور الملك في حق الدار، كما تقول: المال لزيد، فقد اشتمل الحديث على هذه الاستعارات التي بلغت في الرشاقة والحسن كل غاية، وما ذاك إلا لأنه قد صار قمر البلاغة وهلال هالتها، وشمس الفصاحة، وطراز غلالتها.

النظر الخامس: في بيان ما اشتمل عله من علوم البديع

وقد اشتمل من البديع على علوم ثلاثة:

الضرب الأول: التسجيع

وقد اختار الله لكتابه الكريم من أنواع البلاغة السجع[1]، فإنه داخل فيه كثيرا، وما ذاك إلا لأنه داخل في البلاغة أحسن موقع، فمن المتوازن وهو اتفاق العجز والوزن، قوله: «**دار الغرور**»، و«**دار الخلود**»، و«**سُكنى القبور**»، و«**يوم النشور**»، ومن المطرف وهو اتفاق[2] الوزن والأحرف

قوله: «وأكثروا الصدقة تُرزقوا... ، وانهوا عنه المنكر تُنصروا».

الضرب الثاني: الطباق

فمنه قوله: «**أمروا بالمعروف**»، «**وانهوا عن المنكر**» فإنهما طباق، و«**المعروف**»، و«**المنكر**» فإنهما من الطباق.

الضرب الثالث: ما تضمنه من الفصاحة والبلاغة

فإن أعملت الفكرة في مفرداته وجدتها أعذب شيء وأحلاه، وإن أفكرت فيما تضمنه من الجمل وجدتها مسوقة أحسن سياق، فقد صدّر الحديث بذكر التوبة؛ لكونها مصلحة للأعمال، وختم بذكر الموت؛ لمّا كان هو الغاية والنهاية، ووسّط بينهما ذكر الآداب الدينية والدنيوية، فحصل الحديث على تأليف عجيب وسياق رشيق.

---

1 (?) في (د،م) التسجيع.
2 (?) في (د،م) الاتفاق في.

الحديث الرابع

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[1]- رَضِي الله عَنه - قَالَ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللَّهِ- صـَلّى الله عَلَيهِ وَآلِه وَسـَلَمَ- يَقُـول فِي خُطْبَتِـهِ: «**أيُّهَـا النَّاسُ إِنَّ لَكُمْ مَعَـالِمَ فَـانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَـايَتِكُمْ، وَإِنَّ الْمُـؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ: بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لاَ يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ بِهِ، وَبَيْنَ أَجَـلٍ قَـدْ بَقِيَ لاَ يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ، فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَّفْسِهِ لِنَفْسِـهِ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لآخِرَتِـهِ، وَمِنَ الشَّـبِيبَةِ قَبْـلَ الْكِـبَرِ، وَمِنَ الْحَيَـاةِ قَبْـلَ الْمَـوتِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مْحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ، وَمَا بَعْـدَ الـدُّنْيَا مِنْ دَارٍ إِلاَّ الْجَنَّةَ أَوِ النَّارَ**»[2].

فنقول: الحمد لله الواحد الصمد المحمود، الذي نزّه قلـوب أهـل التقـوى عن الالتفات إلى مخالفة الغرض المقصود، وجعل نهايتهم وغايتهم وتعطشهم إلى الارتـواء من حـوض كرمـه المـورود، وصفّى سـرائرهم عن ملاحظـة عزّ جلالـه، واستخلصهم للعكـوف على بسـاط عزّه وكمالـه، حـتى تجلّت لهم أنـوار معرفتـه، وأشرقت في قلوبهم شـموس محبتـه، فلمـا كشـفت لهم الأسـتار من سُبحُات[3] الجلال نُودوا من تحت الحجب وسـرادقات[4] الجمـال بالبشـارة بمـا أفيض عليهم من مشكاة الأنوار، وبما فتح لهم من أبواب الكرامة، وشرح الصدور بالأسرار.

والصلاة على المخصوص بالكرامات، والمؤيد بالعصمة، والمصدق بالآيات، وعلى آله الطيبين حراس العلم ومفاتيحه، وأقمار الدِّين ومصابيحه، واعلم أن هذا

---

1)) وهو عبد الله بن العبـاس بن عبد المطلب بن هاشـم، ولد قبل الهجـرة بثلاث سـنين في شعب أبي طالب قبل خروج بني هاشم منه، وكان ابن ثلاث عشرة سنة إذ تـوفي الرسـول- صلى الله عليه وآله وسلم- توفي بالطائف سنة 68هـ. ينظر: الاستيعاب، 3/ 933، 934.

2 (?) الأربعون حديثاً السيلقية، 18 .

3 (?) السبحات: عظمته ونوره. ينظر: لسان العرب، مادة (سبح).

4 (?) السردق: كل ما أحاط بشيء، والجمع سرادقات. ينظر: نفسه، مادة (سردق).

الحديث قد اشتمل على النظر في أمور خمسة نوضحها بمعونة الله.

النظـرالأول: في بيـان ما اشـتمل عليه من الألفـاظ اللغوية

فالمعـالم: جمـع لمعلم، و**العَلَم** و**المعلم** شـيء واحـد، وهـو العلامة، و**النهاية:** هي غاية الشيء، و**المؤمن:** هو المصدق، و**المخافة:** (مفعلة)، وهـو مكان الخوف وزمانه، وقد يراد به الخوف نفسه كالمسعاة، و**الأجـل:** الحدّ الـذي ينتهى إليه، و**العبد:** عبارة عن ابن آدم، ولا يصدق هذا الاسم كل الصـدق إلا على الله تعالى؛ لأن الكلّ عبيده يتصرف فيهم كيف شاء، وهو اسم مفرد، وهـل يكـون عامًا أم لا؟

فيه تردد بين الأصـوليين؛ والمختـار أنـه إنمـا يكـون عامًـا بالقرينـة، كقولـه تعالى: [illegible][1]، فإنه إنما كان عاماً لقرينـة الزجـر، وهكـذا الخلاف في الدينار والدرهم، والرجل والمـرأة، وغـير ذلـك من الأسـماء المفـردة التي تندرج تحتها المفردات الكثـيرة، **والنفس:** عبـارة عن الهيئـة الـتي لا يكـون الإنسان إنسانًا إلا بهـا، وهي المخاطبـة بالمـدح والـذم، والمعاقبـة والمثابـة، وهي الروح الذي ينزع من الإنسان، و**الماضي:** هو الزمان المتقدم السالف، و**الأجل**: الباقي، و[2]هو الزمان المستقبل.

والصانع والقاضي: هـو الفاعـل للأمـور كلها، و**الدنيا:** عبـارة عن الـدار التي نحن فيها، وسميت دنيـا لـدناءتها وحقارتهـا، تـأنيث الأدنى، وقـد غلب الاسـم عليها دون الصفة، ولو كانت صـفة محضـة لم يكن بدّ من لـزوم اللام أو الإضـافة لها، كاليسرى والعسرى.

الشبيبة: الشـباب، يبـنى[3] على (فعيلة)، **والكِبَـر:** الـدخول في المشـيخ،

---

[1] (?) سورة العصر الآية 2.

[2])) في (د،ك) سقط الواو.

[3] (?) في (د) مبني.

والحياة و**الموت** ظاهران، و**المستعتَب:** اسم مفعـول بمعـنى الرضا، ويحتمـل أن يكون مصدرًا، وسنوضح معناه في بيان مقاصـده عليـه السـلام ، و**الجنة:** مـا أجنَ وستر، وسميت الجنة جنة؛ لالتفاف شجرها، و**النار**: معروفة، والمـراد هاهنـا دار[1] الآخرة، و**الأخذ**: نقيض الترك.

النظر الثـاني: في بيـان ما اشـتمل عليه من العلـوم الإعرابية

الـ «**معالم**» منصوبة بـ «**إنَّ**» قبلها، وهي غير منصرفة؛ للجمـع ونهايـة الجمع، وهي صـيغة منتهى الجمـوع. «**الفاء**» في قولـه: «**فانتهوا**» يحتمـل أن تكـون للاسـتئناف، ويحتمـل أن تكـون للعطـف على الجملـة الأولى، وهـو أحسن، نظيره قولك: إن الضيف قد حضر فـأكرموه، وقولـه: «**فانتهوا**» مبـني على مـا يجزم به، **والمعالم:** جمـع، و«**إلى**» متعلقـه بـ «**انتهـوا**»، **والمعـالم:** هاهنـا مجرور منصرف لأجل الإضافة، وبعض النحاة يزعم أنه غير منصرف مثل مـا كـان قبـل الإضـافة، لكن جرّ في موضـع الجـر، والحقّ أنـه منصـرف، وإنمّـا لم يدخلـه التنوين لأجْل الإضافة[2].

«**وإنَّ لكم نهاية**»، «**الواو**» فيه للعطف على الجملة الأولى المصـدرة بـ «**إنَّ**»، **والنهاية:** مصدر مثل البداية. «**وإن المؤمن**» جملـة معطوفـة على ما قبلها، و«**بين**» منصوب على الظرفية للمكان، وهي لا تستعمل إلا بين أمرين، **والمخافة**: (مفعلة) من الخوف، و**البين**: متعلق بمحذوف خبر لـ «**إنَّ**».

سؤال: أراه قال في الذي يمضي: «**ما الله صانع به**»، وقـال في الـذي

---

[1] (?) في (د،م) نار. {والمناسب: دار؛ لأنه في سياق الحديث عن دار الآخرة}.

[2])) ينظر: شرح شذور الـذهب في معرفة كلام العـرب، شـمس الـدين محمد بن عبد المنعم الجوجري الشافعي، تحقيق نواف جـزاء الحـارثي، رسـالة ماجسـتير، عمـادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط1، 2004م، المدينة المنورة، المملكة السعودية، 1/ 178، 179.

يكون في المستقبل: «**قاضٍ فيه**»، فهل بينهما تفرقة[1]؟

وجوابه: أن الأمر فيه قريب، فلا تفرقة بينهما، ويوضح عدم التفرقة أنه لو عكس الأمر، فقال الماضي: «**قاضٍ فيه**»، وقال في المستقبل: «**صانع به**» لاستقام المعنى، وفي هذا دلالة على أنه لا تفرقة بينهما.

«**أجل**» مجرور بإضافة «**بين**» إليه[2]، ولا يستعمل إلا مضافًا. «**ما**» في قوله: «**ما الله صانع به**» استفهامية في موضع رفع على الابتداء، والجملة الابتدائية في قوله: «**الله صانع به**» في موضع الخبر لـ «**ما**»، وهكذا قوله: «**ما الله قاضٍ فيه**» يجري على ما ذكرناه، والجملة الابتدائية في الموضعين جميعًا في موضع نصب مفعولاً لـ «**يدري**».

«**فليأخذ العبد**»، «**الفاء**» للاستئناف، والفعل مجزوم بـ «**اللام**»، وهو معرب، و«**العبد**» مرفوع على الفاعلية. «**من نفسه لنفسه**»، «**من**» لابتداء الغاية، و«**اللام**» دالة على الملك، وهكذا قوله: «**ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر**»، «**ومن الحياة قبل الموت**».

سؤال: أراه قال: «**ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الموت**»، وقال: «**ومن دنياه لآخرته**»، ولم يقل: ومن دنياه قبل آخرته، ففرق بينهما، فما السرّ في ذلك؟

وجوابه: أن القبلية إنما تتعقل في الأحوال المتعاقبة كالكِبَر، والموت، فأما **الدنيا والآخرة** فليسا حالين، وإنما هما مكانان، فلا تتعقل فيهما المعاقبة، فلأجل هذا فرق بينهما.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فو الذي نفس محمد بيده**» جملة

---

1 (?) في (د،م) زيادة: أم لا.

2 (?) في (د) سقط: إليه .

قسمية، وجوابه بالجملة السلبية، بقوله: «**ما بعد الموت من مستعتب**» «**من**» زائدة لتأكيد النفي، **وأعتبه:** إذا أرضاه، **واستعتبه:** إذا طلب رضاه. قال: فاعتبوا بالصيلم أيْ: ارضوا بالسيف.

قوله: «**وما بعد الدنيا من دار**» «**من**» زائدة للتأكيد. «**إلا الجنة أو النار**» استثناء من محلّ الجار والمجرور؛ لأن محلّه الرفع اسمًا لـ «**ما**»، و«**بعد**» منصوب على الظرفية، والله أعلم.

النظر الثالث: في بيان ما اشتمل عليه من الأسرار المعنوية

وفيه بحثان:

البحث الأول: فيما تضمنه من العلوم المتعلقة بعلم المعاني

وجملة ما أودع فيه أنواع ثلاثة:

النوع الأول: التأكيد:

ولا شكّ أنه قد كرر لفظة «**إنَّ**» في صدر هذه الجمل الثلاث على جهة التمكين في النفوس، وإزالة اللبس، وإزالة الشكوك التي تحصل في النفوس.

النوع الثاني: تقديم الخبر

في قوله: «**لكم نهاية**»، وتأخيرالاسم في هاتين الجملتين، وإنما فعل ذلك؛ من أجل الاهتمام بالخبر في تقديمه، والقياس تأخيره، وإنما قدم لما ذكرناه.

النوع الثالث: الإيجاز والاختصار بحذف التعلقات

وهذا كقوله: «**فليأخذ العبد**»، فإنه قد حذف المفعول، وتقديره: الحق من نفسه لنفسه، فحذف، وهو مراد على جهة الإيجاز، فهذه الأمور كلّها متعلقة بعلوم

المعاني.

البحث الثاني: في بيان مقاصده عليه السلام

قوله: «إن لكم معالم فـانتهوا إلى معـالمكم، وإن لكم نهايـة فـانتهوا إلى نهايتكم» فيه احتمالات أربعة:

الاحتمال الأول: أن يكون مراده عليه السـلام أن يكـون قولـه: «**إنَّ لكم معـالم**» «**وإنَّ لكم نهاية**»، أراد بالمعـالم: الأرزاق المعلومة[1] المقـدرة الـتي قـدرناها لكم، وحتمناهـا عليكم، «**فـانتهوا إلى نهـايتكم**»هـذه واحرزوهـا واطلبوهـا، وإن لكم نهايـة في الآجـال فـانتهوا إليهـا لا تتقـدمون عليهـا ولا تستأخرون[2]عنها مقدرة معلومة على حسب المصلحة.

الاحتمال الثاني: أن يكون مراده بالمعالم: التكـاليف الـتي شـرعناها لكم في المأمورات واجبها ومنـدوبها، وفي المنهيـات قبيحهـا ومكروههـا فـانتهوا إليهـا بتأديتها على الوجه الذي شُرعت عليكم، وإن لكم نهاية في الجـزاء على الأعمـال حسناتها وسيئاتها فانتهوا إلى الإقـدام على ذلـك الحسـنة بعشـر أمثالها، والسـيئة بمثلها، ويصدق ذلك قوله تعالى: [illegible][3].

الاحتمال الثالث: أن يكون مراده بقوله: «**إنَّ لكم معالم**» يريـد معـالم التوحيد، والحكمة فـانتهوا إليهـا بإحرازهـا بالأدلـة والـبراهين. «**وإنَّ لكم نهاية**» يريد الجنة التي ينتهي إليها أهل التقوى والصلاح ، فانتهوا إليها في الآخرة.

الاحتمال الرابـع: أن يكـون ذلـك واردًا على جهـة التهكم بهم؛ وعلى هـذا يكـون المـراد: إنَّ لكم معـالم يعـني الآمـال في الـدنيا الـتي تؤملونها، وترجـون

---

1 (?) في (د،ك،م) العامة.

2 (?) في (د) تتأخرون. {ولعل المناسب: تتأخرون}.

3 (?) سورة الأنعام من الآية 160.

الوصول إليها فانتهوا إليها انتهاء يورث الندم لكم، ويعقب الحسرة، وإنَّ لكم نهاية فيها فابلغوا نهاية أمركم، ولن[1] تبلغوا ذلك مبلغًا ، ولا تفوزوا بحظّ، ولا تحصلوا على طائل، فهذه الاحتمالات سائغة كما ترى، وإنما وحّد النهاية وجمع المعالم؛ لأن الاحتمالات التي ذكرناها في المعالم دالة على الجمع كما تراها، والمعاني التي ذكرناها في النهاية دالة على الوحدة، فلهذا طابق كل واحد منهما معناها.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن المؤمن بين مخافتين**» **الإيمان:** هو التصديق، **والمؤمن:** هو المصدِّق، وهل قد نُقل أم لا**؟**

فيه تردد بين العلماء في صحة النقل للألفاظ، فالأشعرية، منعوا من ذلك، والذي عليه أئمة الزيدية ومن وافقهم من شيعتهم، والمعتزلة البصرية والبغدادية[2]: إن المؤمن والكافر منقولان بالشرع إلى معانٍ أُخر غير ما دلت عليه في اللغة، وأنَّ الذي عليه السلف الصالح أنَّ الإيمان: التصديق باللسان والاعتقاد بالجنان، والعمل بالأركان.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه**» أراد أنَّ المؤمن لا يزال خائفًا حتى يلقى الله تعالى فيؤمنه[3] من خوفه، وفي الحديث عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «لا أجمع لعبدي بين أمنين، ولا

---

1 (?) في (د،ك) الفاء بدلاً عن الواو.

2)) المعتزلة البغدادية: أصحاب بشر بن المعتمر الهلالي وهو من وجوه المتكلمين، وكان جميع معتزلة بغداد من أتباعه، ومن البغداديين عيسى بن صبيح الملقب بأبي موسى المردار، وجعفر بن مبشر، وأبو جعفر الاسكافي، وأبو الحسين الخياط، وأبو القاسم عبد الله البلخي الكعبي، وأهم ما يميز معتزلة بغداد القول بتفضيل الإمام علي- كرم الله وجهه- على أبي بكر- رضي الله عنه-، وخالفهم في ذلك قدماء البصريين من المعتزلة، كأبي عثمان بن عبيد، وأبي الهذيل العلاف، والنظام، والجاحظ، وهشام بن عمرو الفوطي، ويوسف بن عبد الله الشحام، فهم يفضلون أبا بكر- رضي الله عنه- على الإمام علي- كرم الله وجهه-، ويجعلون ترتيب الخلفاء الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة، وتتفق الفرقتان على أنَّ بيعة أبي بكر- رضي الله عنه- بيعة صحيحة شرعية. ينظر: شرح نهج البلاغة، 1/ 7.

3 (?) في (د،ك،م) حتى يؤمنه.

أجمع له بين مخـافتين، من خـافني في الـدنيا أمنتـه في الآخـرة، ومن أمنـني في الـدنيا أخفتـه في الآخـرة»[1]، **فالمخافة** في الأجـل الماضـي: إمـا على طاعاتـه مـردودة غـير مقبولة، وإمـا على أن معاصـيه غـير مغفـورة؛ لعـدم تقبـل التوبة، والمخافة في الأجل الباقي الذي لا يدري مـا اللـه قـاضٍ فيـه، هـل يوفـق لخاتمـة الخير[2] بالسعادة الأخروية فيكون من أهل الجنة أو تستحكم عليه الشقاوة بفعـل المعصية فيكون من أهل النار؟

وفي الحديث: « إنما الأعمال بخواتيمها»[3]، وفي حديث آخـر: «إن من أهـل الجنة من يعمل بعمل أهل النار حتى إذا لم يبق بينه وبين النار إلا ذراع أو بـاع، ثم يختم له بعمل أهل الجنة فيكـون من أهلهـا، وإن من أهـل النـار من يعمـل بعمـل أهل الجنة حتى إذا لم يكن بينه وبين الجنـة إلا ذراع أو بـاع فيختم لـه بعمـل أهـل النار فيكون من أهل النار»[4]، فالمؤمن كما قال عليه السلام: لا يـزال خائفًـا في كلتا الحالتين، فنسأل الله الأمان بالتوفيق بخواتيم الخير والظفر برضوان الله.

فأمـا هـذيان المجـبرة في مقـالتهم المنكـرة، ومـا توهمـوه من قواعـدهم المـدعثرة[5] من أن اللـه تعـالى خلـق الطاعـة في المـؤمن وخلـق المعصـية في الكافر بحيث لا محيص لهما عن ذلك فإنما هذه المقالة رمي في العمايـة، وخبـط في الضلالة، وباعتقادها يحصل الوقوع في كـل جهالة، ولـو صحّ مـا قـالوه لبطـل الأمر، والنهي، والمدح، والذم، والثواب، والعقاب، وإرسال الرسل، وإنزال الكتب،

---

[1] (?)صحيح ابن حبان، محمد بن حبان التميمي البسـتي، تحقيق شـعيب الأرنـؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، عام 1993م، بيروت، لبنان، 2/ـ 406. شعب الإيمـان، 1/ـ 483. بلفـظ: «لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة».

[2] (?) في (د،ك،م) فيختم له .

[3] (?) صحيح البخاري، 5/ 2381.

[4])) نفسه، 3/ـ 1174. بلفظ: «فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حـتى ما يكـون بينه وبين الجنة إلا ذراع؛ فيسبق عليه كتابـه؛ فيعمل بعمل أهل النـار، ويعمل حـتى ما يكـون بينه وبين النار إلا ذراع؛ فيسبق عليه الكتاب؛ فيعمل بعمل أهل الجنة».

[5])) المدعثرة: المهدومة. ينظر: لسان العرب، مادة (دعثر).

وقـد رددنـا عليهم هـذه المقالـة، وأنهينـا القـول في إفحـامهم نهايتـه في الكتب الكلامية .

قوله صلى الله عليه وآله وسـلم: «**فليأخـذ العبـد من نفسـه لنفسه**»، ومعنى ذلك أن كل من أخذ لنفسه من نفسه بكفّها عمّا تهوى، وقبض زمامها عمّا تريـده، فقـد ملكهـا ونجاهـا عن المهالـك، ومن أعطى نفسـه هواها، وأرخى لهـا زمامها أوبقها فأهلكها، ومصداق ذلك ما روي عن الرسول- صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- أنـه قـال: «ألا وإن الحقّ مطايـا ذلـل، ركبهـا أهلهـا وقبضـوا أعنتهـا حـتى أوردتهم ظلاً ظليلاً، وإن الباطـل خيـل شـمس ركبهـا أهلهـا وأرخـوا أعنتهـا حـتى أوردتهم النار»[1].

قولـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «**ومن دنياه لآخرته**»، ومعـنى أخـذ المؤمن من دنياه لآخرته هـو مـا يقـدم بين يديـه من الإنفاقـات، وإحـراز الأعمـال الصالحة؛ لأن هذه الدنيا سـوق ربحـه الجنـة، وخسـارته النـار، ودار المسـتقر هي أمامنا، وقد قيل في معنى قوله تعالى: [illegible][2] بمعنى ما قدمت بين يديك منها[3]؛ لأن ما تخلفـه فهـو حقّ للـوارث، فمن قـدم بين يديـه فقد عمل بالحزم وتيقظ؛ لأنه أخذ من الفاني للباقي، ومن المنقطع للدائم.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ومن الشبيبة قبل الكِبَر**» نبّه بكلامه صلى الله عليه وآله وسلم هـذا على اغتنـام أيـام الشـبيبة وجلـدها، وهي لا يمكن

---

1 (?) لم يقف البـاحث فيما بين يـدي من مصـادر إلا ما ورد عن أمـير المؤمـنين علي بن أبي طـالب- كـرم الله وجهــه-، ولفظــه: «ألا وإن الحق مطايا ذلل ركبها أهلها وأعطـوا أزمتها فسارت بهم الهوينا حتى أتت بهم ظلاً ظليلاً». ينظر: تيسير المطالب في أمالي أبي طالب، 270.ـ {ولعل هـذا من خطأ الناسخ لاسيما أن المصـنف يطلق قولـه: (عليه السـلام) على النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- والإمـام علي- كـرم الله وجهـه- فتـوهم الناسخ أنه يقصد النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- فنسبه الناسخ للنبي- صلى الله عليه وآله وسلم-، ويؤكده أن المصنف نسب هذا القول للإمام علي- كرم الله وجهه- في النظر الثالث: بيان المقاصد، من الحديث الثالث عشر}.

2 (?) سورة القصص من الآية 77.

3)) ينظر: تفسير الطبري، 19/ 524، 525.

ردها، فليستعملها العبد في طاعة الله تعالى، ويغتنم وفور الشباب وجلَده، فربما رام في حال الكبر أمورًا من الطاعة من الصيام والقيام، وقد أقعده العجز عنها فيندم، ولات حين مناص ندم.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ومن الحياة قبل الموت**»، وأراد أن الواجب على العبد أن يعمل في الوقت الذي يعلم أن العمل فيه مقبول، والمساعي فيه مشكورة، وهي مدّة الحياة قبل نزول الموت وحلوله؛ لأن العمل ينقطع في تلك الحال، ويستحيل ويسقط حكمه لو قدر وقوعه، وما من وقت إلا والموت مقدر حصوله لا محالة، فالواجب على العاقل أن يكون في كل وقت على حال يرضى أن يلقى الله وهو عليها، ولا يندم على ما فات؛ لأن ذلك يكون من عزم الأمور.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فو الذي نفس محمد بيده**»، وكانت يمينه صلى الله عليه وآله وسلم هكذا؛ لأن النفوس بيد الله يقبض ما شاء ويرسل ما شاء ، كما قال تعالى: [illegible][1]، وربّما حلف بقوله: «لا ومقلب القلوب»[2]، **واليد:** هاهنا من الاستعارة الرائقة.

تنبيه: واعلم أن هذا نوع من علم البيان، يقال له: التخييل، والغرض أن اليد والوجه والعين وسائر الأعضاء الواردة في التنزيل تخيلات لهذه الأعضاء، ولقبها في علم البيان الاستعارة التخييلية، وليس لها هناك حقائق، وإنما المقصود ما ذكرناه، فإن الله تعالى يتعالى عن المشابهة لشيء من المكونات، وعن الأعضاء والجوارح؛ ولهذا فإن البلغاء وأهل الفصاحة من العرب العاربة لم ينكروه لما قرع

---

1 (?) سورة الزمر من الآية 42.

2 (?) سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق د. عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط1، عام 1991م، بيروت، لبنان، 4/ 408.

مسامعهم، ولا توهموا فيها حقائقها؛ لما كانت جارية على أساليبهم في البلاغة من غير حاجة إلى التأويل الذي يذكره المتكلمون من أن اليد بمعنى القدرة، والوجه بمعنى الذات، والعين بمعنى الحفظ، فهذه تأويلات المعتزلة من أهل العدل.

فأما الأشعرية فقد زعموا أن هذه الأعضاء صفات جبرية، فهذه التأويلات ركيكة بعيدة لم يشهد لها دليل، ولا قام على صحتها برهان، وما حملهم على هذه التأويلات الباردة، إلا أنهم لم يغمسوا أكفهم في ينابيع[1] علم البلاغة، ولا شربوا من صفوه، ولا ذاقوا طعم حلاوته.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فما بعد الموت من مستعتَب**» فإذا[2] كان المستعتَب اسم مفعول بمعنى المصدر، فمعناه: فما بعد الموت أعتاب لأحد أيْ: رضا، وإن كان اسم مفعول على حاله، فالمعنى فيه: فما بعد الموت من يطلب أعتابه أيْ: رضاه، وكلاهما محتمل كما ترى؛ لأنه لا معذرة بعد الموت ولا توبة؛ لأنه يرفع التكاليف كلها.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار**»، وكلامه عليه السلام هاهنا دال على بطلان قول من زعم أن في الآخرة دارًا ثالثة، وهو محكي عن أصحاب الأعراف، فإنهم زعموا أن الأعراف مواضع بين الجنة والنار، ويدل على بطلان مقالتهم هو أن كلامه صلى الله عليه وآله وسلم هاهنا دائر بين النفي والإثبات، فلا واسطة بينهما، وأيضًا فإن الإجماع منعقد على ذلك؛ فلأجل هذا قضينا ببطلان مقالتهم.

---

[1] (?) في(د) أصابيع . {ولعل الأنسب: ينابيع}.

[2] (?) في (د،م) فإن .

النظر الرابــع: في بيــان ما اشــتمل عليه من علــوم البيان

وزبده الأمر فيه أنه مشتمل على مجازات:

المجاز الأول: قوله: «**إنَّ لكم معالم**»، فـحقيقة[1] **المعلم:** هو الشــيء المنصوب في الطرق، وهو مجاز في غيره.

المجاز الثاني: قوله: «**نهاية**»، فإنهـا غايـة الشـيء في المـدركات، وهي مجاز هاهنا.

المجــاز الثــالث: قولــه: «**فليأخــذ العبد لنفســه من نفسه**[2]»؛ لأن المأخوذ والمأخوذ منه لا بدّ من تغايرهما لا محالة.

المجاز الرابع: قولـه: «**ومن دنياه لآخرته**»، فـإن أحـدهما لا يؤخـذ من الآخر.

المجاز الخامس: قوله: «**ومن الشبيبة قبل الكِبَر**» مجاز أيضًا، فانظر إلى هــذه الاســتعارات مــا أعجبها، وأدقّ معناها، وأحســن في الانتظــام تأليفها، ومجراها.

النظر الخــامس: في بيــان ما اشــتمل عليه من علم البديع

فمن **السجع**: قوله: «**معالمكم**»، و«**نهــايتكم**»، ومن **التجـنيس**: قولـه: «**من نفســه لنفسه**»، فهمــا من التجـنيس الكامل، ومن **الطبــاق**: قولــه: «**الشــبيبة قبــل الكِبَــر**»، و«**الحيــاة**»، و«**المــوت**»، ومن الطبــاق: «**الجنة**»، و«**النار**»، فهذه الأمـور كلّها من علم البـديع، فلينظـر النـاظر هـذه الأسـرار، ولا ينظرها بمؤخر عينه، فإنها لا تدرك إلا بالفكر الصافي، والنظر المتّقد.

---

1 (?) في (د) سقط الفاء.

2)) في (د،م) من نفسه لنفسه. {وهو السليم كما ورد في متن الحديث}.

الحديث الخامس

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُـدْرِيّ[1] قَـالَ: خَطَبَنَـا رَسُـولُ اللَّهِ- صَـلّى اللهُ عَلَيـه وَآلِـه وَسَـلّمَ- فَقَـالَ فِي خُطْبَتِـهِ: «**أيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لاَ خَيْـرَ فِي الْعَيْشِ إلاَّ لِعَـالِمٍ نَاطِقٍ، أَوْ مُسْتَمِعٍ وَاعٍ، أيُّهَا النَّاسُ: إِنَّكُمْ فِي زَمَانِ هُدْنَـةٍ، وَإِنَّ السَّـيْرَ بِكُمْ سَرِيعٌ، وَقَدْ رَأَيْتُم اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ كَيْفَ يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيـدٍ، وَيُقَرِّبَـانِ كُلَّ بَعِيدٍ، وَيَأْتِيَانِ بِكُلِّ مَوْعُودٍ**»، فَقَالَ لَهُ الْمِقْدَادُ[2]: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَمَا الْهُدْنَـةُ؟ فَقَـالَ: «**دَارُ بَلاَءٍ وِانْقِطَاعٍ، فِـإِذَا الْتَبَسَـتْ عَلَيْكُم الأُمُـورُ كَقِطَـعِ الَّلَيْـلِ الْمُظْلِمِ فَعَلَيْكُمْ بِـالْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ شَـافِعٌ مُشَـفَّعٌ، وَشَـاهِدٌ مُصَـدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَـادَهُ إِلَى الْجنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَـهُ خَلْفَـهُ سَـاقَهُ إِلَى النَّارِ، هُـوَ أَوْضَحُ دَلِيلٍ إِلَى خَيْرِ سَبِيلٍ، مَنْ قَـالَ بِـهِ صُـدِّقَ، وَمَنْ عَمِـلَ بِـهِ أُجِـرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ**»[3].

فنقول: الحمد لله المنعم، الذي رفع مراتب العلماء، وقـرنهم في الشـهادة بالتوحيـد من غـير تفرقـة مـع الأنبيـاء، واصـطفاهم على الخليقـة، وأطلعهم على الغـوامض، وعـرفهم الحقيقـة، حـتى صـاروا هـداة للخلـق، وأئمـة لمعرفـة الدِّين والحقّ، ناط بآرائهم الأحكـام، وميّـز باستصوائــهم[4] بين الحلال والحـرام، عرفـوا الله حقّ معرفته، فاقشـعرت جلـودهم من خـوف سـطوته، ومصـداق ذلـك قولـه

---

1 (?) وهو سعد بن مالك بن سنان الخدري الخـزرجي الأنصـاري، صـحابي دوّن عن الرسـول- صـلى الله عليه وآله وسـلم- أحـاديث كثـيرة، وأول مشـاهده الخنـدق، تـوفي بالمدينة سـنة 74هـ. ينظر: الاستيعاب، 2/ 602. أسد الغابة، 2/ 432.

2)) وهو المقداد بن الأسود، نُسب إلى الأسـود بن عبد يغـوث الزهـري لأنه تبنـاه، وحالفه في الجاهلية، وهو المقداد بن عمرو ابن ثعلبة بن مالك، من قضاعة، وقيل: من كنـدة، قيـل: إنه من السبعة الأوائل الذين أظهروا إسلامهم، شـهد بـدرًا والمشـاهد كلهـا، تـوفي سـنة 33هـ، ودفن بالمدينة. ينظر: الاستيعاب، 4/ 1480، 1481.

3 (?) الأربعون حديثا السيلقية، 18.

4 (?) في (د،ك) باستصوابهم.

تعالى: [illegible][1]، ثم إن مداخل عقولهم وإن غمضت، وجنود خواطرهم وإن تغلغلت، فإنها لا تقع على كنه ذاته، ولا تحيط بعشر المعشار من حقائق صفاته.

والصلاة على الخاتم للنبوة والرسالة، والمنقذ لنا من ورط العمى والضلالة، وعلى آله الطيبين أئمة الدِّين والإسلام، الحامين لعروته عن أن تفصم وترام.

واعلم أن هذا الحديث على قصر حجمه وتقارب أطرافه قد بلغ كل غاية في الوعظ، وقد اشتمل على النظر في علوم خمسة:

النظر الأول: في بيان ما اشتمل عليه من الألفاظ اللغوية

الخير: نقيض الشرّ، و**العيش:** الحياة، و**العيش:** ما يكون قوامًا لبني آدم.

العالم: اسم[2] على كل من أحرز علمًا من العلوم الدينية والدنيوية، كالطبّ والفلاحة والهندسة، ولكنّه لا يصدق كل الصدق إلا على من كان عالمًا بالعلوم الدينية النافعة في الفوز بالسعادة الأخروية، كالعلم بذات الله، وصفاته، ومعرفة ما يجوز عليه، وما يجب له من الحكمة، ويستحيل عليه من صفات الذات، وفي صفات الأفعال، والعلم بما جاءت به الأنبياء صلوات الله عليهم، وإحراز علوم الشريعة، وإحراز معاني كلام الله وكلام رسوله، وإحراز سائر العلوم العملية والعلمية، وهذا هو العالم حقًّا؛ لأن علمه ينفعه في الآخرة ويفوز به عند الله.

الناطق: هو نقيض الساكت، وهو الذي يعبر عن الحقّ، **والمستمع:** خلاف

---

1 (?) سورة فاطر من الآية 28.

2)) في (ك،م) زيادة: يقع.

المعرض.

الزمان: عبارة عن حركة الشمس والقمر، فهذه هي الأزمنة فيمـا لا يـزال، وأمـا الأزمنـة الأزلية؛ فإنمـا هي جاريـة على جهـة التقـدير، إذ ليس هنـاك حـادث يعقل؛ لأن الأزمنة الأزليـة يحيـل وقـوع الحـادث فيها، وإنمـا الغـرض أنـه تعـالى[1] صرف لو قدر فيـه حـوادث لكـانت بلا نهاية، **والهدنة:** عبـارة عن الـوقت الـذي يكون فيه داعٍ إلى الله تعـالى ولا مرشـد إلى الخـير والدِّين، ومنـه هدنـة الحـرب؛ لأنهـا مسـالمة ورفـع للسـيف، وهي عبـارة عن السـكون في جميـع الأطـراف، و**السير:** نقل الخُطا، و**السريع:** خلاف البطيء، و**الليل:** عبارة عمّـا بين غـروب الشـمس إلى طلـوع الفجر، و**النهـار:** عمّـا بين طلـوع الشـمس إلى غروبها، و**البلاء:** نقيض الجدّة، و**القـــرب:** خلاف البعد، و**الإتيـــان:** نقيض الـــذهاب، و**الموعود:** كل ما تقدم من الخير بإتيانه، وكل ما وعد به صادق الوعد، فهو كائن لا محالة، وقد فسّر رسول الله- صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- الهدنـة لمّـا سـأله المقـداد عنهـا بأنهـا «**دار بلاء وانقطـاع**»، وأراد **بـالبلاء:** الامتحـان بالضرّ والمشقة والانقطاع عن الخير والانفصال عنه.

اللبس: هـو اختلاط الأمـر بعضـه ببعض، حـتى لا يمكن تخليصـه إلا بعنـاء ومشقة، و**قطع الليل:** ظلمه، الواحدة: قطعة، **والليل المظلم**: هو المحلولك سوادًا، خلاف المتمّ.

القرآن: هو عبارة عن المكتوب بين الدفتين، المنقـول بـالتواتر، و**القـرآن** المقطوع به الذي يكفُر من ردّ آية منه هو ما جمـع خصـالاً ثلاثًـا: **النقل** بـالتواتر، وأن يكون مطابقًا لخطّ المصـحف العثمـاني، وأن يكـون موافقًـا للعربية، وسُـمي قرآنًا؛ لاجتماعه، ولهذا قيل للحيض المجتمع في الرحم قروء.

---

[1] (?) في (د) نفى.

الشافع: هو السائل للخير لغيره، و**المُشفَّع:** هـو الـذي لا تـرد شـفاعته، و**الشاهد:** هو خلاف الغائب، و**الشاهد:** هو الذي[1] يشهد بـالحقوق، **والمُصدَّق:** هو الذي يصدقه الغير ولا يكذبه، **والأمام:** نقيض الوراء، و**جعل**: في معنى صيّر، و**قـاده:** إذا أخـذ بزمامه، و**الخلـف:** نقيض الأمـام، و**السَوق**: يكـون من جهـة الوراء، و**النار:** معروفة، نعوذ بالله منها، وفي الحديث: «إن ناركم هـذه جـزء من سبعين جـزء من نـار جهنم، ولـولا أنهـا ضـربت على المـاء سبع مـرات»[2]**،** وفي الآخر:«غسلت ما استطاع آدمي أن يسعّرها»[3]، وفي حديث آخـر: «إن في جهنم ألف وادٍ، في كـل وادٍ سـبعون ألـف شـعب، في كـل شـعب سـبعون ألـف ثعبـان وسبعون ألف عقرب، لا ينتهي الكافر والمنافق حـتى يواقـع ذلـك كلّـه»[4]، وقـال عليه السـلام: «تعـوذوا باللـه من جبّ الحَـزن» قيـل:- يـا رسـول الله- ومـا وادي الحزن، أو جبّ الحَـزن؟ قـال: «وادٍ في جهنم تتعـوذ منـه جهنم كـل يـوم سـبعين مرّة، أعدّه الله للقراء المرائين»[5]، ثم إن لها أسـماءً: جهنم، ثم سـقر، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الجحيم، ثم الهاوية.

الواضح: نقيض الخفي، و**الدليل:** هـو المتقـدم للقـوم لهدايـة الطريق، و**السبيل:** هي جادة الطريـق، والمـراد هاهنـا طريـق الجنة، **والعمل**: هاهنـا مـا يفعلـه ابن آدم يرجـو بـه الخـير، و**القـول:** نقيض السـكوت، و**الصـدق:** نقيض

---

1)) في (د) النبي. {وهو غير مناسب}.

2 (?) مسند إسحاق بن راهويه، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه، تحقيق د. عبد الغفـور بن عبد الحق البلوشـي، مكتبة الإيمـان، ط1، عـام 1991م، المدينة المنـورة، المملكة السعودية، 4/ 635. وتكملته: «ما انتفع بها بنو آدم».

3 (?) المجمـوع الحـديثي والفقهي، الإمـام زيد بن علي بن الحسـين بن علي بن أبي طـالب، تحقيق عبد الله حمـود العـزي، مؤسسة الإمـام زيد بن علي الثقافيـة، ط1، عـام 2002م، عمان، الأردن، 274. بلفظ: «لولا أنها غسلت بسبعين ماء ما أطاق آدمي أن يسعّرها».

4 (?) إحيـاء علـوم الـدين، أبو حامد محمد بن محمد الغـزالي، دار المعرفـة، عـام 1403هـ، بيروت، لبنان، 4/ 531. بلفظ: «إن في جهنم سبعون ألف واد... الحديث».

5 (?) سنن الترمذي، 4/ 593، بلفظ: «تعوذوا بالله من جب الحَزن. قالوا: - يا رسول الله – وما جب الحَزن؟ قال: وادٍ في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم مائة مرة. قلنا:- يا رسول الله- ومن يدخله ؟ قال: القراء المراؤون بأعمالهم». كنز العمال، 10/ 121.

الكذب، و**الحكم:** القضاء بالحق. **العدل:** نقيض الجور، و**الأجر:** هو الجــزاء على العمل.

النظر الثـاني: في بيـان ما اشـتمل عليه من العلـوم الإعرابية

«**لا**» هي النافية للجنس، مبنية مع اسمها على ما ينصب به، وهي نظيرة «**إن**» في العمل، والجار والمجرور في موضع رفع خبر لها.

«**إلا لعالم ناطق**» استثناء مفرغ، والمستثنى منه محذوف تقديره: لا خــير في العيش لأحد إلا لعالم ناطق، مجرور على الصـفة «**لــعالم**»،أو «**للخـير**»[1]، و«**مستمع**» اسم فاعل «**واع**» مجرور صفة له.

«**أيها الناس**» مضى إعرابه. «**إنكم في زمـان هدنة**» انجـرار «**هدنة**» بإضافة زمان إليها إضافة معنوية.

«**وإن السير بكم سريع**» نصب «**السير**» على اسم «**إن**»، و«**سـريع**» مرفــوع خبرهــا، والجــار والمجــرور في موضــع نصــب مفعــول للمصــدر، وهــو «**السير**».

«**وقد رأيتم الليـل والنهـار**» منصـوبان على المفعوليـة، وهي من رؤيـة العين؛ لأنهما مدركان، ويحتمل أن يكون من رؤية العلم.

«**كيف**» منصوب بالفعل بعدها. «**يبليان**» مرفـوع على المضـارعة، وهكـذا «**يقربان**»، و«**يأتيان**»، وعلامة رفعـه النـون، ويحتمـل أن يكـون «**كيف**»، ومـا بعدها في موضع نصب على الحال، كأنه قال: وقد رأيتم الليل والنهار مبليين لكل جديـد. «**ما**» هاهنـا للاسـتفهام في كلام المقـداد، و«**الهدنة**» مرفوعـة خـبر لــ «**ما**»، وهي للابتداء.

---

[1] (?) في (د،م) للتخيير. {وهذا غير صحيح}.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: - جوابًا للمقداد- « **دار بلاء وانقطـاع**» مرفوع على أنه خبر مبتدأ، أيْ: هي دار بلاء، أو على عطف البيـان من الهدنـة، أو على أنه بدل منها، فكل محتمل كما ترى.

«**فـإذا التبسـت عليكم الأمـور**» العامـل في «**إذا**» قولـه: «**فعليكم بالقرآن**»؛ لأنه إغراء، والمعنى فيـه الزمـوا، كمـا تقـول: عليـك زيدًا أيْ: الزمه، وقوله: «**كقطع الليل المظلم**» «**الكـاف**» للتشـبيه، وهي جـارة لمـا بعـدها، وهي في موضع نصب على الحال من الأمور، والتقدير: مشبهة لقطع الليل.

«**فإنه شـافع مشـفع**» خـبران لــ «**إن**»، وهكـذا قولـه: شـاهد، مصـدق خبر«**إن**» أيضًا.

«**من**» هاهنا شرطية في موضع رفع على الابتداء، و«**أمـام**» منصـوب على الظرفيـة، وهـو في موضـع المفعـول الثـاني، و«**الضـمير**» هـو المفعـول الأول. «**قاده**» جواب للشرط.

«**ومن جعلـه خلفه**» «**من**» شـرطية أيضًـا مثـل الأولى في كـل أحوالها، و«**إلى النـار**» مفعـول لــ «**سـاقه**»، و«**هـو أوضـح دليل**» جملـة ابتدائية، و«**أوضح**» أفعل التفضيل، يريد أنه بالغ في الإيضاح، وهـو مضـاف إلى مـا بعـده، كما نقول: هو أكرم رجـل. «**إلى خير سـبيل**» متعلـق بــ «**أوضح**»، وجـاز في (أفعل) أن يعمل في الجار والمجرور؛ للاتساع.

«**من قال به صدق**» جملـة شـرطية، ومـا بعـدهما[1] جملة[2] شـرطية في موضع رفع على الابتداء، وجواب[3] الشرط؛ لأنَّ الجواب محطّ الفوائد كما ترى.

---

1)) في (د،ك) بعدها. {ولعل المناسب للسياق: بعدها}.

2)) في (د،ك) جمل. {السليم: جمل؛ لأن ما بعدها ثلاث جمل}.

3)) في (د،ك،م) جوابه .

النظر الثالث: في بيان ما اشتمل عليه من العلوم المعنوية

وفيه تقريران:

التقرير الأول: في بيان ما تضمنه من علوم المعاني

وقد تضمن معاني خمسة:

المعنى الأول: الاختصار والإيجاز في حذف المتعلقات، كقوله: «**لا خير في العيش**» التقدير فيه: لا خير لأحد، وقوله: «**ناطق**» أيْ: ناطق بالحقّ، أو مستمع للوعظ واعٍ له، وقوله: «**شافع**» لغيره، ومشفع في غيره، وشاهد في خبره مصدق على غيره، وقوله: «**من قال به صدق**» في خبره، «**ومن عمل به أجر**» في عمله، «**ومن حكم به عدل**» في حكمه، فهذه الحذوفات كلّها جارية على جهة الاختصار والإيجاز.

المعنى الثاني: **الحصر**، في قوله: «**لا خير في العيش إلا لعالم**»، فإنه متردد بين النفي والإثبات، وحاصلها: حصر الموصوف على الصفة، والمعنى: إنه لا يوجد العالم والمستمع إلا ويوجد الخير في حقهما، ويجوز وجود صفات الخير في غيرهما، ومثاله: ما كاتب إلا زيد، فالغرض أن زيدًا محصور على الكتابة لا يوجد إلا وتوجد، ويجوز وجود الكتابة في غير زيد.

المعنى الثالث: الشمول والإحاطة، وقد كرر «**كل**» في مواضع ثلاثة: «**يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود**» كما ترى.

المعنى الرابع: التأكيد بـــ «**إن**»، وقد كُرر في موضعين: «**إنكم في زمان هدنة**، **وإن السير بكم سريع**»، والتأكيد يزيد الكلام إيضاحًا، ويقرره في النفوس، ويزيل عنه الشكوك والاحتمالات.

المعنى الخامس: الإبهام بالشروط المترادفة، كقوله: «**من جعله**

أمامه»، «ومن جعله خلفه»، و«**من قال به صدق، ومن عمل بـه أجـر، ومن حكم به عدل**»، فهذه الجمل الشرطية مترادفة دالـة على الإبهـام العـام، وقد وقع هاهنا أحسن موقع؛ لما تضمنه من الحكم البديعة والآداب البالغة.

التقرير الثاني: في بيان مقاصده عليه السلام

المراد بــ «**العيش**» هاهنا هو النفع، وإحماد العاقبـة، ثم إن العـالم لا يكـون عالمًـا حـتى يحـرز العلـوم الدينيـة، ثم هـو منقسـم إلى: مجتهـد، وغـير مجتهد؛ **فالمجتهد:** هو المفتي في علوم الشـريعة من جهـة نفسـه فيمـا يتعلـق بأحكـام التحليل والتحريم، فإذا حدثت لـه الحادثـة فإنـه يُعْمِـل رأيـه فيها، ويفـتي على مـا ينقدح له من الأدلة والأمارات، ولا بدّ من أن يكون محرزًا لعلوم الاجتهاد، وجملتها علوم عشرة:

أولها: علوم العقل، كالحدّ، والبرهان، فلا بدّ من إحراز طـرف منهـا؛ ليكـون متمكنًا من تقرير أدلة الخطاب.

وثانيها: العلم بأصول الديانة، وهو العلم بالله تعالى وصفاته.

وثالثها: العلم بالأصول الفقهية؛ ليتمكن بذلك من تقرير الأدلة الشرعية.

ورابعها: العلم بالكتاب؛ حتى يتمكن من الاستدلال به.

وخامسها: العلم بالسنة؛ ليتمكن من الاستدلال بالأخبار النبوية.

وسادسها: العمل بالإجماعات؛ لتكون فتواه موافقة لمـا أفتـوا بـه، ويحـاذر من مخالفة إجماعهم.

وسابعها: العلم بطرف من أدب اللغة؛ ليتمكن من معرفة الألفاظ اللغوية.

وثامنها: العلم بطرف من علم الإعراب[1]؛ ليحرز بذلك فهم المعاني.

---

[1] (?) في (د،ك،م) الإعرابية.

وتاسعها: العلم بطرف من أخبار الرواة وأحوالهم؛ ليكون متمكنًا من معرفة من يرد ويقبل من الرواة.

وعاشرها: العلم بطرف من علم الناسخ والمنسوخ؛ حتى لا يفتي بآية أو خبر منسوخين، فهذه العلوم من كان محرزًا لها أمكنه الفتوى والاجتهاد في المسائل الشرعية.

فأما غير المجتهد فهو الذي يكون محرزًا لبعض هذه العلوم دون بعض، وهل يُعدّ مجتهدًا فيما أحرزه من العلوم وأحاط به من بعض الفنون أم لا؟

فيه تردد، والمختار أنه يكون مجتهدًا فيما أحرزه من العلوم، فإن سيبويه[1]، والخليل[2]، والكسائي[3]، والفراء[4] يجوز لهم الاجتهاد في علم العربية، وإن لم يمكنهم الفتوى في علوم الشريعة، ويُعد إجماعهم في العربية، ولا يُعد إجماعهم في علوم الشريعة.

الناطق:[5] الذي ينشر علمه ويبينه لمن كان مستحقًا له من أهله؛ لأن الله تعالى ما أخذ على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ على العلماء أن يعلموا، ومصداق ذلك قوله تعالى: [illegible][6]، وقال تعالى: [illegible]

---

1 (?) وهو عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب، ولد في إحدى قرى شيراز سنة 148هـ، وسيبويه بالفارسية رائحة التفاح، أخذ النحو عن الخليل، وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد، وقد كان أعلم المتقدمين، والمتأخرين بالنحو، وقد اختلف في تاريخ وفاته، ينظر: الفهرست، 1/ 76. وفيات الأعيان، 3/ 463، 464.

2 (?) وهو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، ولد بالبصرة سنة 100هـ، وتوفي بها سنة 170هـ. ينظر: الفهرست،1/ 63- 65. وفيات الأعيان،2/ 244- 248.

3 (?) وهو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي بالولاء، إمام في اللغة والنحو من أهل الكوفة، وهو مؤدب الرشيد العباسي وابنه الأمين، توفي بالري سنة 189هـ. ينظر: وفيات الأعيان، 3/ 295. الأعلام للزركلي، 4/ 283.

4 (?) وهو يحيى بن زياد الديلمي من أعلام الكوفيين بالنحو واللغة، ولد سنة 144هـ، وتوفي سنة 207هـ. ينظر: وفيات الأعيان، 6/176. الأعلام للزركلي، 8/ 145.

5 (?) في (د) زيادة: هو.

6 (?)سورة آل عمران من الآية 187.

[illegible]

[illegible]

﴾[1]، فدلّ ذلك على عظم المعصية بالكتمان للعلم، وفي الحديث عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «من كتم علمًا يعلمه ألجمه الله بلجام من نار»[2]، وأهله فهم الراغبون في تحصيله، الطلاب له الذين يقصدون به وجه الله لصلاح الدين وقوة الإسلام، فأما من لا يريد به وجه الله ويريد به عرض الدنيا وزينتها، والاستظهار على أولياء الله بالحجج الباطلة والتزويرات الكاذبة فلا بأس في منعهم، وعلى هذا يحمل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تعطوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم»[3]، وأحقّ الخلق ببذل العلم، وإعطائه هم صفوة الله من خلقه، وهم السادة من آل محمد، والعيون من أهل بيت النبوة، فإنهم أحقّ الخلق بذلك وأولاهم به؛ لما أشار إليه الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- بقوله: «الأئمة من قريش»[4]، وقوله: «لا تخالفوهم فتضلوا، ولا تشتموهم فتكفروا»[5]، ولو لم يكن إلا قوله عليه السلام : «الأئمة من قريش» لكان كافيًا في الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم، فأما فضل العلماء فهو أظهر من نور الشمس، قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[6]، فلم يجعل بينهم وبين الأنبياء درجة في الشهادة لله بالتوحيد، وهذا هو نهاية الفضل، وقوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[7]،

---

1 (?) سورة البقرة الآية 159، ومن الآية 160.

2 (?) مسند أحمد، 2/ـ 499. المعجم الكبير ، 11/ـ 5. بلفظ: «من كتم علمًا يعلمه جاء يوم القيامة ملجمًا بلجام من نار».

3 (?) الأربعون حديثًا السيلقية، 26.

4 (?) مسند أحمد، 3/129. سنن البيهقي الكبرى، 3/ 121. سنن النسائي الكبرى، 3/ 467.

5 (?) الشافي، الإمام عبد الله بن حمزة بن سليمان، مكتبة اليمن الكبرى، ط1، عام 1986م، صنعاء، الجمهورية اليمنية، 1/16.

6 (?) سورة آل عمران من الآية 18.

7 (?) سورة الحشر من الآية 21.

[illegible][1]، فأحال معرفة معاني الأمثال إلى العلمــاء، وجعلهم عاقلين لها دون الخلق، وفي الحديث عن الرسول- صلى الله عليه وآلـه وسـلم-: «إذا كان يوم القيامة وضعت منابر من ذهب عليها قبـاب من فضـة مرصـعة بالدّرّ والياقوت والزمرد، جلالها السندس والاستبرق، ثم يجاء بالعلماء فيجلسون عليها، ثم ينادي الرحمن- عزّ وجلّ-: من حمـل إلى أمـة محمـد علمًا يريـد بـه وجـه اللـه تعــالى، إلا أتي بــه، اجلســوا على هذه المنــابر لا خــوف عليكم حــتى تــدخلوا الجنة»[2]، وفي حديث آخر: «من تعلم علمًـا ليعلمـه لم يكن بينـه وبين الأنبيـاء إلا درجة واحدة»[3]، وهذا هو العالم الناطق بعلمه.

وأما المستمع الواعي، فهو المتعلم الذي يحفظ ما استمع لينتفع به، وينفع به غيره، وهو لاحق بالعالم و شريك له في الأجر، على[4] أن للعالم أجرين، والمتعلم أجر واحد، فكن عالمًا، أومتعلمًا، ولا تكن من الفريـق الثـالث، وفي الحـديث: عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-: «الناس رجلان: عالم ومتعلم، ولا خــير في سائرالناس من بعد»[5]، وعن علي- عليه السلام- أنه قـال: «النـاس ثلاثـة: فعـالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق،... لم يستضيئوا بنــور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيـق»[6]، فإيـاك أن تكـون من الفريـق الثـالث، فـإن الهلاك إليهم أسرع من السيل إلى قراره.

وقولــه عليــه الســلام: «**إنكم في زمــان هدنة**» لا فــرق بين الزمــان، والعصر، والدهر، والمراد بذلك مقدار مدّة بقــاء التكليــف على الكافة، **والهدنة:**

---

1 (?) سورة العنكبوت من الآية 43.

2 (?) تيسير المطالب، 215.

3 (?) كنز العمال، 10/ـ 70. بلفظ: «من جاءه الموت، وهو يطلب العلم يحـيي به الإسـلام لم يكن بينه وبين الأنبياء إلا درجة في الجنة».

4)) في (د،م) خلا.

5 (?) المعجم الكبير للطبراني، 10/ـ 201. بلفظ: «الناس رجلان عالم، ومتعلم، ولا خـير فيما سواهما».

6 (?) نهج البلاغة، 496.

سكون ودِعة، وهو الوقت الذي لا يكون فيه داعٍ لله ظاهر ولا منبّه على الخير؛ المعنى اشأنوا شأن نفوسكم، وأعدوا اليقين وحسن الصبر، وتفكروا في معاني كتاب الله تعالى، فيوشك أن تقعوا في زمان هدنة ليس فيها للأمة راعٍ ولا لها إلى الله داعٍ، ولا حاث على الخير ظاهرة يده ولسانه.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وإن السير بكم سريع**» أراد أن الإنسان يسار به إلى الله تعالى، وإن كان واقفًا في بيته نائمًا على فراشه، ولقد أحسن من قال[1]:

وَنَحْنُ عَلَى الدُّنْيَا كَرَكْب سَفِيْنَة تَجْري[2]

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وقد رأيتم الليل والنهار كيف يبليان كل جديد**» من خراب شبابه وتغيير صورته، وما من جديد إلا والأيام والليالي تفنيه، «**ويأتيان بكل موعود**» في إحضاره وتنجيزه، فهما يأتيان على كل جديد بالزوال والإبطال، وفي هذا من الألطاف الخفيّة ما لا يخفى على كل عاقل، فإنه إذا تفكر في صيرورة أمره وما ينتهي إليه حاله زهد في الدنيا ولم يغترّ بغرورها؛ لأنه يتحقق أنه ربّما صار بعد الصورة الحسنة والهيئة الرائقة ترابًا يطؤه من كان يأنف أن يمسّه من الهوام والأنعام وضعة الخلق، وربّما صار مرتعًا للسباع، ومسرحًا للأنعام، وربّما بني من جسمه الأنيق جسر وحائط، فكيف يفتتن ذو عقل رشيد؟! ويغتر بجثته ومصيرها إلى ما قدمنا ذكره؟! ولقد صدق من قال[3]:

---

1 (?) البيت لأبي الحسن علي بن محمد بن فهد التهامي، وهو من الشعراء المحسنين المجيدين، مولده ومنشؤه باليمن، كان معتزليًا، أقام ببغداد، وتوفي سنة 416هـ. ينظر: الوافي بالوفيات، 22/ 74، 75.

2 (?) البيت من الطويل، ونصّه: وَإِنَّا لَفِي الدُّنْيَا كَرَكْبِ سَفِيْنَةٍ نَظُنُ وقُوْفًا والزَّمَانُ بِنَا يَجْرِي . ينظر: ديوان التهامي، علي بن محمد التهامي، شرح وتحقيق د. علي نجيب عطوي، دار ومكتبة الهلال، عام 1986م، بيروت، لبنان، 486.

3)) البيت لأبي العلاء المعري، وهو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري، شاعر و فيلسوف، وقد كان أعمى ولد بمعرة النعمان سنة 363هـ، وتوفي بها سنة 449هـ. ينظر:

خَفِّفِ الـوَطْءَ مَـا أَظُنُّ أَدِيْمَ   أَرْضِ إلاّ مِنْ هَـــــذِهِ الأَجْسَادِ[1].

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ويقربان كل بعيد**» أراد أن الليل والنهار ما من أمدّ بعيد إلا وهما يوصلان إليه وإن بعدت مسافته، وطال أمده وبعدت شقته.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ويأتيان بكل موعود**»، وأعظم المواعيد هو ما وعد به الصادق الأمين من[2] حصول يوم القيامة وأهوالها وروائعها وزلزالها، والعرصة ونوائبها، والمحاسبة وعجائبها، والنار ومصائبها والجنة ومراتبها، فإن هذه أمور عظيمة هائلة لا ينبغي للعاقل أن يتغافل عنها، وليستعمل فكره في الخلاص من شدائدها، وليجهد نفسه في نيل فوائدها.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**دار بلاء وانقطاع**» أراد بهذا تفسيرًا لقوله: «**إنكم في زمان هدنة**»؛ لما سأله المقداد عن الهدنة، وغرضه من ذلك أن بلوى الدنيا دائم، وانقطاعها لازم، فإن حجج الله تعالى من الأنبياء عليهم السلام، والأئمة الكرام، وأتباعهم من علماء الإسلام ربّما انقطعوا وذلوا وقتلوا فقلوا، فلم يبق منهم علم ظاهر، ولا من ينقاد لحكمه، ولا من يستبصر

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن**» أراد أن الأمور إذا صارت مختلطة، ولم يتميز الحقّ فيها عن الباطل، فإن القرآن هو المخلص عن هذه الورطة، وهو النجاة لمن تمسك به، وهو العدّة لمن لجأ إليه، فأغراهم بلزومه، وأمرهم بالاستضاء بنوره.

وفيات الأعيان، 1/ 113، 114. الأعلام للزركلي، 1/157.

[1])) البيت من الخفيف، وهو ثابت في ديوان أبي العلاء المعري والمسمى سقط الزند. ينظر: شرح سقط الزند، أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري، شرح وتعليق د. ن رضا، دار ومكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 111.

[2] (?) في (د،م) سقط: من.

سؤال: ما وجه اتصال قوله: «**فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن**»، فإن قبله: «**إنكم في زمان هدنة**»، وبينهما تنافر، ولا ملاءمة[1] بينهما.

وجوابه: هو أن الهدنة لما كانت عبارة عن الأزمنة التي ينقطع فيها المذكرون بالله من الأنبياء- عليهم السلام-، وورثتهم من الأئمة الأعلام وأتباعهم من العلماء الكرام، فأشار عليه السلام بأنهم إذا عدموا في هذه الهدنة، فإن القرآن هو الكافي في زوال الالتباس، وكشف الكربات في الأمور المهمات والشدائد المعضلات، فقد حصل بما ذكرناه حصول الملاءمة[2]، وزوال التنافر، والحمد لله.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فإنه شافع مشفع**» نزّله الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- منزلة الشافع، وهو السائل للخير بجلب منفعة أو دفع مضرّة، وجمعه شفعًا؛ لأنه لا تردّ شفاعته، فالقرآن جامع للأمرين جميعًا؛ لأن بتلاوته ينال الثواب الأعظم ويستحق الأجر الأكبر، وفي الحديث عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه يقال لصاحب القرآن: «اقرأ وارقى ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها»[3]، وفي حديث آخر: «اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته على كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول: الم حرف، ولكن الألف حرف، واللام حرف، والميم حرف»[4] اقرؤوا إن شئتم: ﴿ [illegible] ﴾[5]، وهذا من أعلى ما تنال به الشفاعة، فلهذا سمي

---

1 (?) في (د) ملازمة.

2 (?) في (د) ملازمة.

3 (?) مسند أحمد، 2/ 192. سنن أبي داود، 1/ 463. سنن النسائي الكبرى، 5/22.

4 (?) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، عام 1990م، بيروت، لبنان، 1/ 741.

5 (?) سورة الواقعة الآية 30.

القرآن شافعًا، وفي الحديث: «إن أهل القـرآن هم أهـل اللـه»[1]، والمـراد بـذلك المتبعون له والعاملون بأحكامه، وروي عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-: «إن أهل القرآن يوم القيامة على كثبان من مسك، لا يفزعون، ولا يهالون»[2].

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وشاهد مصدق**»، فجعـل عليـه السـلام القرآن في حكم الشاهد لحامله بأنه عمل به، **إذا** كان عاملاً به فيستحق ما وجب من الأجر، كما يستحق الحقّ عند الشهادة، وتصـديق الشـاهد يكـون بـأمرين، **إما** بالتعديل، **وإما** بتصديق الخصم له، بكـل واحـد من الأمـرين تثبت شـهادته، وهـذا حال القرآن فإنه من قام بأوامره وانقاد لأحكامه، وتوقـف عنـد متشـابهه، وعمـل بمحكمه، وتفكر في أمثاله، وقام بما يجب من إجلالـه، ووقـف نفسـه على حلالـه وحرامه، وخاف من وعيده، فهذا هو الذي يشهد له القرآن بين يدي ربه بأنـه لقـد قام به حقّ القيام وأدى ما يجب عليه لذي الجلال والإكرام.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفـه سـاقه إلى النـار**»، والمعـنى في جعلـه أمامـه أن يقتـدي بـأوامره فيفعلها، وبنواهيه فيجتنبها[3]، ويرد متشابهه إلى محكمـه، ويـؤمن بالمنسـوخ، ويعمـل بالناسخ، ويتدبر أمثاله، ويتفهم مقاصده، ويستعين في معرفة غرائبه، وإحـراز عجائبـه بسؤال تراجمته، وأرباب معالمه والمحيطين بمعاقده ومناظمـه، هم عـترة الرسـول- صلى الله عليـه وآلـه وسـلم- والأئمـة من أهـل بيتـه الحـامين لعروتـه عن الانفصـام، والمانعين لعقوتِه[4] أن تهضم وترام، ومصداق ذلك ما روي عن أمير المؤمـنين- كـرم

---

1 (?)مسند أحمد، 3/ 127. سنن النسائي الكبرى، 5/ 17.

2 (?) المعجم الكبير للطـبراني، 12/ـ 433. بلفـظ: «ثلاث على كثبـان المسك يـوم القيامة لا يهولهم الحزن، ولا يفزعون حين يفزع الناس رجل تعلم القرآن، فأقام به يطلب به وجه الله وما عنده......الحديث».

3 (?) في (د) فيحذرها.

4 (?) عقا العقوة والعقاة: الساحة وما حول الدار والمحلة. ينظر: لسان العرب، مادة (عقا).

الله وجهه- أنه قال: إن العلم الذي أنزله الله على الأنبياء من قبلكم في عترة نـبيكم، فأين يتاه بكم عن علم تنوسخ من أصلاب أصـحاب السـفينة هـؤلاء مثلهـا فيكم، وهم كالكهف لأصـحاب الكهـف، وهم بـاب السـلَّم، فـ ﴿[illegible]﴾[1]، وهم باب حطّة من دخله غفر له، خذوا عني عن خاتم المرسلين حجة عن ذي حجة[2] قال[3] في حجة الوداع: « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعـدي أبدًا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يـردا عليَّ الحوض»[4].

وأراد بقوله: «**من جعله خلفه ساقه إلى النار**» أن ينبـذ أحكامـه وراء ظهره، فلا يحلّ حلاله، ولا يحرم حرامه، ولا يقوم بفرائضه، ولا يلتزم أحكامـه، ولا يتدبر معانيه، ولا يعتزل مناهيه، ولا يعدل بقسطه، ولا يفي بشرطه، فهو لا محالـة يسوقه والحال هذه إلى النار، وجعل القود إلى كـل خـير، والسَـوق إلى كـل شرّ، كما قال تعالى: ﴿[illegible]﴾[5]، وكما ورد في الخبر: «وقائد الغرّ المحجلين إلى جنات النعيم»[6]، و[7]قوله صلى الله عليه وآله وسـلم: «**هو أوضح دليل إلى خير سبيل**»، ولا شكّ أنه كذلك، فإن الله تعالى وصـفه بأنه بيان وتبيان لكل شيء، ووصفه بكونه نورًا، وهدى للنـاس[8]، وشـفاء لمـا في الصدور، وهو الذي عجز الخلق عن الإتيـان بمثلـه، وعجب منـه أهـل البصـائر من

---

1 (?) سورة البقرة من الآية 208.

2)) تيسير المطالب، 259،260.

3 (?) في (د،ك،م) قالها.

4 (?) سنن الترمـذي، 5/ـ 663. بلفـظ:« إني تـارك فيكم ما إن تمسـكتم به لن تضـلوا بعـدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السـماء إلى الأرض، وعـترتي أهل بيـتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»ـ تيسير المطالب، 260.

5 (?) سورة مريم الآية 86.

6 (?) المستدرك على الصحيحين، 3/ 148. بلفظ:« قائد الغر المحجلين».

7 (?) في (د،ك،م) سقط: الواو.

8 (?) في (د،ك،م) سقط: للناس.

الجن، فقالوا: [illegible][1]، وأيّ هدى أهدى منه ؟! وأيّ شـيء أعجب منـه؟! ثم إنـه على سـعته وطولـه وانسـحاب ذيولـه وتنـوع فصـوله في غايـة الفصـاحة، ومنتهى البلاغـة لا يسـتطيع البلغاء، ولا المصاقع الخطباء إلى الإتيان بمثل فصل من فصوله، وأقروا بـالمعجز، وأفحموا بالفهاهة[2] عن معارضته، وعلموا أن البحر قد زخر فـأغرقهم تيـاره، وأن الصباح قد انفلق فجاشت أشعته وأنواره، وهو أعظم دليل إلى كـل خـير، وأعظم الخيرات الجنة مع ما أختصّ به من الأسرار العجيبة والمعاني الدقيقـة، لا تنقضـي غرائبه، ولا تفنى عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل**» أراد أن كل من كان قوله مطابقًا للقرآن فهو الصادق يقينًـا؛ لأن القرآن صدق لا محالة، وما طابقه من الأقوال فهـو صـدق أيضـًا. «**ومن عمل به أجر**» أراد ومن كان عمله مطابقًا لأوامر القـرآن ونواهيـه وحرامـه وحلالـه فقـد **أجر**؛ أيْ كتب عمله؛ لكونه خارجًا بالأداء عن عهدة الأمر. «**ومن حكم بـه عـدل**» أراد ومن كان حكمه مطابقًا للقرآن فهو عدل وحقّ؛ لأن كتاب الله تعالى هو قاعـدة العدل وأساسه، وعينه، وقلبه، ورأسه، وبهجة أمره، وأنفاسه، ومصداق ذلك ما رُوي عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- لما أرسل معاذًا[3] إلى اليمن قال له: «بم تحكم»؟ فقال: أحكم بكتاب الله، قال: «فإن لم تجد»؟ قـال: بسـنة رسـوله، قـال: «فإن لم تجد»؟ قال: أجتهد رأيي، ولا آلو احتياطًـا، فقـال: «الحمـد للـه الـذي وفـق

[1] (?) سورة الجن من الآية1، ومن الآية 2.

[2] (?) الفهاهة: العي. ينظر: لسان العرب، مادة (فهه).

[3] (?) وهو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصـاري الخـزرجي، شـهد مع الرسـول- صـلى الله عليه وآله وسلم- المشاهد كلها، بعثه قاضيًا إلى الجند باليمن، توفي بناحية الأردن في طـاعون عمواس سنة 18هـ. ينظر: الاستيعاب، 3/ 1402- 1404.

رسول رسول الله لما يرضي رسوله»[1]، فنسأل الله أن يجعل القرآن ربيعًا لقلوبنا، وشفاء لصدورنا، ووسيلة لنا إلى نيل رضوانه، وإحرازًا لمزيد فضله وإحسانه.

النظر الرابع: في بيان ما اشتمل عليه من علوم البيان

وقد تضمن مجازات ستة:

المجاز الأول: قوله: «**إنكم في زمان هدنة**»، فالهدنة هاهنا استعارة رشيقة بخلو[2] الزمان عن الدعاة إلى الله بالخير للخلق والصلاح.

المجاز الثاني: «**إن السير بكم سريع**» استعارة أيضًا، فإن «**السير**» هو نقل الأقدام.

المجاز الثالث: قوله: «**الليل والنهار كيف يبليان كل جديد**» أسند إليهما البلاء، والقرب، والبعد، والإتيان إلى الليل والنهار، وهذه لا يستند إليها، وإنما هي مسندة إلى الله تعالى، فما هذا حاله معدود في المجاز المركب، ومعنى التركيب أن يسند الفعل إلى من يستحيل إسناده إليه.

المجاز الرابع: قوله في القرآن: «**شافع مشفع وشاهد مصدق**»، وهي استعارة حسنة.

المجاز الخامس: قوله في القرآن: «**قاده إلى الجنة**»، و«**ساقه إلى النار**» مجاز أيضًا.

المجاز السادس: قوله: «**من قال به صدق، ومن عمل به أجر،**

---

1 (?) مسند أحمد، 5/ـ 230. سنن البيهقي الكبرى، 10/ـ 114. بلفظ: «أن رسول الله حين بعثه إلى اليمن، فقال: كيف تصنع إن عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بما في كتاب الله. قال: فإن لم يكن في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله؟ قال: أجتهد رأيي لا آلو. قال: فضرب رسول الله على صدري، ثم قال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله إلى ما يرضي الله و رسوله».

2 (?) في (د،ك،م) لخلو.

ومن حكم به عـدل» اسـتعارة رشـيقة أيضًـا، فهـذه جملـة مـا اشـتمل عليه[1] الحديث من علم البيان.

النظر الخـامس: في بيـان ما اشـتمل عليه من علم البديع

وهو أمور تتعلق بعلوم البلاغة، فمن **التسجيع** قوله: «**يقربـان كـل بعيـد ويأتيـان بكـل موعـود**»، و«**يبليـان كـل جديد**»، ومن **الاشـتقاق** قولـه: «**شافع مشفع، وشاهد مصدق**» مثل قوله: ﴿[illegible]﴾[2]، وقوله: ﴿[illegible]﴾[3]، ومن **الطباق** قوله: «**الليل والنهار**»، فهذه الأمور كلها تعد طباقًا؛ لما فيها من التضاد والتنـاقض.

---

1 (?) في (د،م) عليها.
2 (?) سورة الروم من الآية 43.
3 (?) السورة نفسها من الآية 30.

الحديث السادس

عَنِ ابْنِ عُمَرَ[1] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلّى اللهُ عَلَيّه وَآلِه وَسَلّمَ-: «**لاَ يُكْمِـلُ عَبْـدٌ الإِيمَـانَ بِاللَّهِ حَتَّى تَكُـونَ فِيـهِ خَمْسُ خِصَـالٍ: التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ، وَالتَّفْوِيضُ إِلَى اللَّهِ، وَالصَّبْرُ عَلَى بَلاَءِ اللَّهِ، وَالتَّسْلِيمُ لأَمْـرِ اللَّهِ، وَالرِّضَـا بِقَضَـاءِ اللَّهِ، إِنَّهُ مَنْ أَحَبَّ لِلَّه، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَـعَ لِلَّهِ، فَقَـدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ**»[2].

فنقول: الحمد لله العلام الذي جعل الإيمان نورًا يهتـدى بـه في الظلمـات، ووسيلة يبلغ به إلى أرفع الـدرجات، وذريعـة إلى نيـل أعظم الكرامـات، وإيضـاحًا للمشكلات، وسلامة عن المهلكات، وقاعدة لجميع الأعمال الصـالحات، ومعتصـمًا تستنزل به الرحمة والبركات، حتى لا مطمع لأحد في نيل تلك الخصال إلابإحرازه وحصوله، ولا مستروح في إدراكها إلا بإتقانـه وإحكـام أصـوله، جعلـه اللـه أساسًـا للأعمال الصالحة، ومتجرًا يحصل به الفوز في التجارات الرابحة، فهو العمـدة في الدِّين، ورأس المعرفة واليقين.

والصلاة على النبي الكريم، الهادي إلى الطريق الواضح المسـتقيم، المظهـر لأعلام الإسلام، والمبين للمراسـيم[3]الدينيـة والأحكـام، وعلى آلـه الطيـبين جبـال العلم الراسخة، وأطواد الحلم الشامخة، واعلم أن هذا الحـديث قـد اشـتمل على النظر في أمور خمسة:

---

[1] (?) وهو عبد الله بن عمر بن الخطـاب بن نفيل القرشي العـدوي، ولد بمكة سـنة 10 ق هـ، هـاجر إلى المدينة مع أبيـه، وتـوفي في مكة سـنة 73هــ. ينظـر: الإصـابة، 4/ـ 181ـ- 183. الأعلام للزركلي، 4/ 108.

[2] (?) الأربعون حديثاً السيلقية، 19.

[3] (?) في (د،ك) سقط الياء من: المراسيم.

النظر الأول: في بيـان ما اشـتمل عليه من الألفـاظ اللغوية

الإكمال والإتمام واحد. **العبد:** هاهنا المراد به المكلـف، وسُـمي عبـدًا؛ لأنه مذلل لله تعالى، وأصل التعبد التذلل من ذلك قولهم: طريق معبد أيْ: مذلل، فأما التعبد وهو التذلل، فهو عام في جميـع الخلـق مـؤمنهم وكـافرهم؛ إذ مـا من مخلوق إلا وقد ذلَّـله الله بالفقر والمـرض والمـوت، وتعـزز اللـه بالـدوام والبقـاء والغنى، وكيف لا يكونون بالإضافة إليه متذللين[1]، ولطاعته ممتثلين، وإن أبق عن طاعته كل جاهل ونسي واجب حقّه كل غافل، فهو المالك لرقابنـا على الحقيقـة، ولا يصحّ خروجنا عن ملكه وربقة[2] رقّه في حالة من الحالات، فالحمـد للـه الـذي جعلنا بالعبودية له معترفين، وبالملكـة للرقـاب، وخشـوع القلب، وخضـوع البصـر مقرين.

الإيمان: هـو التصـديق. **الخصـال:** جمـع خصـلة، وهي الطريقـة والحلة[3]، ومعناهـا واحـد. **التوكل على اللـه:** وإنمـا بـدأ بـذكره؛ لأنـه أعلاهـا وأعظمهـا، **والتوكل في اللغة:** هـو الاعتماد على الغـير، ورجـل وكلـة إذا كـان يكِـل أكـثر أموره على غيره، كما قيل: ضحكة ولومة لكثير الضحك واللوم كالهمزة واللمـزة، وأما **التفويض:** فهو التخليـة يصـنع مـا أراد من غـير منـع لـه ولا اعـتراض عليـه، واشتقاقه من قولهم: فاض الماء إذا أخذ على غـير وجهـه بلا حـاجر لـه، ولا مـانع يردعه، ومنه الفضاء؛ لأنه يتسع من كل جوانبه، يدخل من أيّ جوانبه شاء الداخل، **والصبر**[4]: حبس النفس على ما تكره من المشـاق، وفلان قتـل صـبرًا إذا حبس

---

1 (?) في (د،ك،م) سقط التاء من: متذللين.

2 (?) الربق: بالكسر حبل فيه عدة عرا تشد به البهم، الواحـدة من العـرا ربقـة، وأخـرج ربقة الإسلام عن عنقه فارق الجماعة. ينظر: لسان العرب، مادة (ربـق). مختـار الصـحاح، مـادة (ربق).

3 (?) في (د) الخلة. {وهو المناسب}.

4)) في (د،ك،م) زيادة: هو.

للسـيف، بحيث لا يتمكن من دفعه، وفي الحـديث: نهى رسـول الله- صـلى اللـه عليه وآله وسـلم- عن صـبر البهـائم[1]، وهـو أنهـا تـترك عرضًـا للسـهام، بحيث لا يمكنها دفعها، و**البلاء:** هـو المحنـة والفتنـة كمـا قـال تعـالى: [illegible][2]، أيْ: امتحان وخبرة.

التسليم: هو الانقيـاد والاحتكـام، يقـال: فلان سـلم القيـاد إذا انقـاد للغـير، وملك أمره، **والرضا:** هو نقيض السخط، **والقضاء** في كتـاب اللـه مقـول على جهة الاشتراك بين معان ثلاثة:

أولها: الخلق، كما قال تعالى: [illegible][3].

وثانيها: بمعـنى الخـبر والإعلام، كمـا قـال تعـالى: [illegible][4].

وثالثها: بمعنى الأمر والإلزام، كما قال تعالى: [illegible][5].

الحب: نقيض البغض، ومعـــنى المحبـــة أن يمتلئ القلب بـــذكر المحبـــوب سرورًا، واللسان بذكره حلاوة، والبصر برؤيته بهجة ونـورًا وحبـورًا، و**المحبة** للـه إما محبة لأوليائه؛ لانقطـاعهم إليـه، وإما محبـة لطاعتـه، وإن كـانت شـاقة عليـه، وهكذا حال البغض في الله فإنه، **إما** أن يكـون[6] بغضًـا لأوليـاء اللـه، وإمـا بغضًـا لطاعتـة وكراهـة لـه، لا يعقـل في المحبـة والبغض في اللـه سـوى مـا ذكرنـاه، و**العطاء**: نقيض المنع، والمنع هو الحرمان، ومعنى **العطاء:** هو تسـليم الحقـوق

---

1 (?) صحيح مسلم، 3/ 1549. سنن ابن ماجة، 2/ 1063.
2 (?) سورة الدخان الآية 33.
3 (?) سورة فصلت، من الآية 12.
4 (?) سورة الإسراء، من الآية 4.
5 (?) سورة الإسراء، من الآية 23.
6 (?) في(م) سقط: أن يكون.

الواجبة إلى المستحقين من أوليائه، ومعنى **المنع لله**[1]**:** هو منع أعداء اللــه من إعطاء الحقوق الواجبة، فإنهم لا يستحقونها، يريد الكفار والمنافقين، فهذه جملــة ما اشتمل عليه الحديث من آداب[2] اللغة.

النظر الثاني: في بيـان ما اشـتمل عليه من المعـاني الإعرابية

«**لا**»هي النافيـة، والفعـل مرفـوع على المضـارعة، و«**عبد**» مرفـوع على الفاعلية للفعل السلبي، والفعل رافع للفاعـل وإن كـان منفيًـا؛ لأن المقصـود في الإعراب إنما هو على الإسنادات اللفظيـة دون المعنويـة، فلهـذا يرفـع الفعـل مـع كونه منفيًا، فلا فرق بين قولنا: ضرب زيد، وما ضرب زيد. في رفع الفاعل بإسناد الفعل إليه، و«**الإيمان**» منصوب على المفعولية.

«**حتى**» فيها وجهان:

أحدهما: أن يكون الفعل منصوبًا، فعلى هذا تكون «**حتى**» بمعـنى (إلى) للغاية.

وثانيهما: أن يكـون الفعـل مرفوعًـا، وعلى هـذا تكـون ابتدائيـة في أول الجملة مثلها في قوله: [illegible][3]، وقول امرئ القيس[4]:

وَحَتّى الجِيَادُ مَا يُقَـدْنَ بِأَرْسَـانِ[5].

و«**خمس**» مرفـوع على أنـه اسـم «**كـان**»، والجـار والمجـرور خـبر لـه.

---

1 (?) في (ك) سقط: لله.

2 (?) في (د،ك،م) أدب.

3 (?) سورة الأنعام، من الآية 34.

4 (?) وهو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر الكندي أشـهر شـعراء العـرب، اشتهر بلقبه، واُختلف في اسمه، فقيل: حنـدج، وقيـل: مليكـة، يمـاني الأصل ولد بنجد سـنة 130ق هـ، وتوفي سنة 80ق هـ. ينظـر: بغية الطلب في تـاريخ حلب، كمـال الـدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر، ط1، عام 1988م، بيروت، لبنان، 4/ 1991، 1992. الأعلام للزركلي، 2/ 11.

5 (?) البيت من الطويل، وصـدر الـبيت: مَطَـوتُ بِهِم حَتّى تَكِـلَّ مَطِيُّهُم. ينظـر: ديـوان امـرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، عام 1984م، القاهرة، مصر، 93.

«**التوكل على الله**» مرفوع على أنه عطف بيان أو بدل من «**خمس**»، وقوله: «**على الله**» معمــول للمصــدر، وهــو «**التوكل**». «**والتفــويض إلى الله**» مرفوع بالعطف على ما قبله، والجار والمجرور متعلق بـه. «**والصـبر على بلاء الله**» مثله في الرفع والتعلق. «**والتسليم لأمر الله**» مثله.

«**والرضا بقضاء الله، إنـه من أحب لله**» «**الهـاء**» في «**إنه**» للشـأن والقصة، و«**من**» في موضع رفع بالابتداء، وهي شـــرطية، و«**أعطى لله، ومنع لله**»، فهذه كلّها أفعال شرطية في صدر«**من**».

وقوله: «**فقد استكمل الإيمان**» هو و[1] «**الفاء**» جواب لهـذه الشـروط، أراد بإكمال هذه الخصال يكمل إيمانه الشرعي بما ذكرناه.

وقوله: «**فقد استكمل الإيمان**» هو جواب «**من**»، وهو خبرهـا، والجملـة الشرطية في موضع الخبرلـ «**إن**» كما ترى.

النظر الثالث: في بيــان ما اشـتمل عليه من الأسـرار المعنوية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في بيان ما تضمنه من علوم المعاني

فمنها، **التقديم والتأخير**، في قوله: «**حتى تكون فيه خمس خصال**»، فقدّم الخبر بالظرف وأخر الاسم اهتمامًا واعتنــاء، ومن ذلــك **الفصل والوصل** بــ (الواو) في تعديد الصفات، و**الفصل**، في قوله: «**إنه من أحب لله**»، فــأتى به من غير (واو)؛ تنبيهًا على الفصـل، ومن ذلـك البيـان والإيضـاح في مـا أجمـل، فالإجمـال في قولـه: «**خمس خصـال**»، **والبيـان**: هـو مـا ذكـره من سـرد[2]

1 (?) في (د،ك،م) سقط: هو و. {ولعله الأنسب}.
2 (?) في (د،ك،م) السرد.

الصفات الـتي أوردهـا، ومن ذلـك **التأكيد** بــ «**إن**»، في قولـه: «**إنه من أحب لله**»، ومن ذلك **الإبهام** في خبر الشأن والضمير، في قولــه: «**إنه من أحب**»، وهكذا حال الإبهام في«**من**»، فإن هـذه الأمـور الـتي سـردناها من علم المعـاني فيها أسرار ورموز تطلع الناظر على المعادن والكنوز.

المطلب الثاني: في بيان مقاصده من الحديث

فاعلم أنه قد أشار إلى أن كمـال الإيمـان لا يكـون إلا بـإحراز هـذه الخصـال الخمس، **فأما** أصول الإسلام والإيمان فهي خمس أيضًا: شهادة أن لا إله إلا اللـه وأن محمـدًا عبـده ورسـوله، وإقـام الصـلاة، وإيتـاء الزكـاة، والحج إلى بيت اللـه الحرام[1]، وصيام شهر رمضان، ومصداق[2] كونها أصولاً قوله عليه السلام: «بــني الإسلام على خمس....»[3] إلى آخرها، ونحن نشرح هذه الخصال.

الخصلة الأولى: التوكل على الله

ويحصل المقصود بالكلام في مقامات ثلاثة:

المقام الأول: في بيان معنى التوكل

قال المنصور بالله- عليه السلام- : ومعنى التوكـل على اللــه: أن تعتمـد في كلّ مهمّ عليه، وترد كل ملمّ إليه، وتضع يدك في يديه لا ترجو لكل شديدة سـواه، ولا توالي خوفًا من المشاق عداه، تؤثر إن أعطاك لترضي وليه، وتشكر إن منعك لتكبت عدوه، ولا تطلب شيئًا من رزقـه بمعصـيته، ولا تعصـيه عزّ وعلا لرضـا أحدٍ من خلقه، ولا تقصِّر في شيء من عبادته ولوازم تكليفه[4]، والمختار أن يقـال في معنـاه: إنـه إسـناد النفس إلى اللـه، والتحقـق أنـه ليس لـه في الوجـود سـواه،

---

1 (?) في (د،ك،م) سقط: الحرام.
2 (?) في (د،ك،م) زيادة: ذلك.
3 (?) صحيح البخاري، 1/ـ 12. وتكملة الحديث: «شهادة أن لا إله إلا اللـه، وأن محمد رسـول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان».
4 (?) ينظر: حديقة الحكمة النبوية، 60.

والاعتماد في كل الأمور عليه.

وأمـا الشيخ أبو حامد الغزالي فقد قال في معناه: إنك تقرر في نفسك أنه لا فاعل إلا الله، وأنه قادر على كفايـة العبـاد، وعلى تمـام العنايـة والرحمة بجميع[1] الأفـراد والآحـاد، وأنـه ليس وراء قدرتـه قـدرة، ولا منتهى علمـه علم، ولا منتهى لعنايته عناية ورحمة، فهذا كلّه شرح لحقيقة التوكل بهذه العبارات الطويلة[2]، وما ذكرناه في ماهيته كافٍ، فإن هذه الأمور كلها مندرجة تحت الأوصاف الثلاثة الـتي ذكرناها.

المقام الثاني: في إيراد درجات التوكل وبيانها

اعلم أن تلك الأحوال التي شرحناها في معنـاه لهـا بالإضـافة إلى المتـوكلين درجات ثلاث:

الدرجـة الأولى: - وهي أعلاهـا- أن تجـري نفسـك بين يـدي اللـه وتنزلهـا منزلـة الميت بين يـدي الغاسـل لـه لا تصـرّف لك، ولا عنايـة بنفسـك من جهتـك، وهذه لا يختصّ بها إلا الآحاد، ولا ينالها إلا الأفراد، ومن هذه حاله فإنه لا يحتاج إلى الدعاء ثقة منه بكرمه وعنايته، وأنه يعطي ابتداء أكثر ممّـا يسـأل، فكم من نعمـة أعطاها من غير مسألة.

الدرجة الثانية: - وهي دونها- أن يكون حالك مـع اللـه بمنزلـة الطفـل في حقّ أمّه، فإنه لا يعرف غيرها، ولا يفزع إلى سواها، ولا يعتمد في أحواله إلا عليها، فإن رآها تعلق في كل حالة[3] بأثوابها ولم يتركهـا، وإن نابـه أمـر في غيبتهـا كـان أول سابق إلى لسانه ذكرها ونداؤها، وأول خاطر يخطر على قلبه ذكر أمـه فإنهـا مفزعه ولجاؤه وغايته وانتهاؤه.

---

1)) في (د) بجملة. {وهو الأصح}.

2 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 260.

3 (?) في (د) سقط: التاء من حالة.

الدرجة الثالثة: - وهي أضـعفها- أن يكـون حالـك مـع الله، والثقـة بعنايتـه ورحمته كحال الوكيل مع موكله، فإذا كـان الموكـل يعلم من حـال وكيلـه الهدايـة إلى تحصيل المقصود للموكل، والقدرة على تحصيل الحقّ والشفقة حتى لا يضيع له حقًا فإنه صالح للوكالة، فإن اختلّت هـذه الأمـور أو واحـد منهـا لم يكن صـالحًا للوكالة، مع أن الوكيل قادر على المخالفة، وهـذه الدرجـة هي أبعـد الحـالات عن التوكل.

المقام الثالث: في ذكر كلام العلماء في حقيقة التوكل

قال بعضهم: التوكل خلع الأرباب، وقطع الأسباب، فخلع الأرباب يشير به إلى التوحيد، وقطع الأسباب يشير به إلى الانقطاع إلى الله تعالى، وحُكي عن بعضهم أنه قال: إلقاء النفس في العبودية وإخراجها عن الربوبية[1]، وهذه إشارة إلى إصلاح الباطن في الاعتقاد، وإصلاح الظاهر في الأعمال كلها، وقال آخرون: التوكل هو التعلق بالله في جميع الحالات[2]، فصار[3] صائرون إلى أن التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب[4]، وأراد بالسكون سكون القلب إلى الله تعالى، فلا يضطرب في حال، وأراد بالاضطراب بلا سكون الفزع والتضرع إلى الله تعالى، وقال بعضهم: **التوكل**: تفويض وتسليم، فالتسليم إلى الله، والتفويض إلى قدرته ورحمته، فهذه أقاويل مشائخ الطريق وأهل التصوف في حقيقة التوكل، وهي متقاربة، والتعويل على ما أشرنا إليه من بيان ماهيته.

الخصلة الثانية: التفويض إلى الله تعالى

اعلم أن **التفويض** نوع من أنواع التوكل، لكن التوكل أعمّ منه، فإن التوكل يدخل في الأسفار، وأنواع المكاسب والحروب والأمراض والأدوية وتحمل الأخطار كلها، فكل هذه يدخلها التوكل، وأما **التفويض،** فهو خاص، ولهذا قال تعالى: ﴿ ... ﴾[5]، فلنذكر معنى التفويض، ثم نردفه بأحوال المفوضين، ثم نذكر آداب التفويض، فهذه مقامات ثلاثة:

المقام الأول: في معنى التفويض

---

1 (?) ينظر: شعب الإيمان، 2/ 103.

2 (?) نُسب لأبي عبد الله القرشي. ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 264.

3 (?) في (د) الواو بدلاً عن الفاء.

4 (?) نُسب لبشر بن الحارث. ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتاب العربي، ط4، عام 1405هـ، بيروت، لبنان، 8/ 351.

5 (?) سورة غافر، من الآية 44.

وهو التخلية للغير يصنع ما أراد في فعل أو ترك من غير مانع ولا حاجر يحجره، ولا حائل يمنعه[1]، واشتقاقه من قولهم: فاض المـاء إذا أخـذ على غـير وجهـة من غير حاجر يحجره ولا حائل يمنعه، ومعنى التفويض في حقّ اللـه تعـالى: أن تقـرر في نفسك أن كل ما في يدك من مال وولد وجميع ما اشـتمل عليـه تصـرفك في يده وفي تصرفه، وأنه لا معقب لحكمه ولا راد لأمـره، وإن خـالف رضـاك وجـانب هواك، فلا يلحقك كراهة، ولا يصـيبك غضاضة[2] في أخـذه لمالـك وولـدك وأهلـك، فهو خير من كل فائت وبقية من كل هالـك، فمن لم يفـوض أمـره إلى اللـه على هذه الصفة لم يكمل إيمانه كما أشار إليه عليه السلام هاهنا.

المقام الثاني: في بيان أحوال أهل التفويض

فنقول: إنما يظهر التفويض في سعي العبد باختياره، وسـعيه إنمـا يكـون لجلب منفعة مقصودة، أودفع مضرّة لم تنزل به أو لحفـظ أمـر مقصـود أو لإزالـة ضرر نزل به، فهذه حالات أربع نفصلها:

الحالة الأولى: أن يكون سعيه لأجل جلب منفعة هي مفقودة[3]

وهذا نحو التكسب فإنه لا يبطل التفويض إلى اللـه، ثم إنـه واقـع على أوجـه ثلاثة:

الوجه الأول: منها أن يسير في الخبوت والمقاطع والمفاوز من غير زاد ثقـة بالله في تقويته على الصبر أيامًا مترادفـة وأسـابيع متكـررة، أو يتيسـر لـه حشـيش يقتاته أو يقويه على الرضا بالموت إن لم يتيسر له شيء من ذلك، فإن الذي يحمـل الزاد قد يؤخذ زاده أو يضلّ بعيره، فذلك ممكن مع الزاد كما هو ممكن مع غيره.

الوجه الثاني: أن يقعد في بيته أو في مسجده، لكنه في القرى والأمصار،

---

[1])) في (د،ك،م) سقط: يحجره ولا حائل يمنعه.
[2])) غضاضة: ذلّ. ينظر: لسان العرب، مادة (غضض).
[3])) في (د،ك) مقصودة. {وهو الأنسب}.

و[1]هذا يكون أضعف في التفويض من الأول[2]، لكنه لا يخـرج عن التفـويض؛ لأنـه تـارك للأسـباب الظـاهرة معـول على فضـل الله، ورحمتـه في تـدبيره من جهـة الأسباب الخفية؛ لأنه غير ناظر إلى أهل الأمصار بحال.

الوجه الثالث: أن يخرج للتكسب بحرفة أو تجارة أو غـير ذلـك من الأمـور المباحة، فمن هذه حاله فإنه لا يخرج عن حد التفويض.

---

1 (?) في (د،م) الفاء بدلاً عن الواو.

2)) في (د) من الأول في التفويض.

الحالة الثانية: أن يكون سعيه لأجل جلب منفعة هي موجودة

وهذا نحو الادخار، ثم إن له صورًا ثلاثًا:

الصورةالأولى: أن يأخذ قدر حاجته في الوقت، فيأكـل إن كـان جائعًـا، أو يلبس إن كان عاريًا، ويفرق الباقي في الحال، فهذا هو الوفي[1] بموجب التفويض تحقيقًا.

الصورة الثانية: المقابلـة لمـا قبلهـا في التنـاقض، وهي أن يكـون ادخـاره لسَنة، فهـذه لا محالـة مخرجـة لـه عن حدّ التوكـل، فمـا هـذا حالـه ليس من حدّ التفويض؛ لأن هذا قلّة ثقة بالله- عزّ وجلّ-، وقد قيل: إنـه لا يـدخر من الحيوانـات إلا ثلاثة: الفأرة، والنملة، وابن آدم.

الصورة الثالثة: بين هاتين الصورتين، وهـو أنـه يـدخر لأربعين يومًـا، فمـا هذا حاله هل يخرجه عن حد التفويض أم لا؟

فيه تردد، فمنعـه بعضـهم، وجـوزه آخـرون، والمختـار جـوازه؛ لأن صـاحب الشريعة- صلوات الله عليه- ادّخر قوت عياله سَنة كاملة، وهو إمام المفوضين.

الحالة الثالثة: في دفع مضرة متوقعة غير حاصلة

واعلم أن الضرر قـد يتعـرض في النفس والمـال، وقـد يكـون معلومًـا، وقـد يكون مظنونًا، وقد يكون متوهمًا، وهذه أوجه ثلاثة:

الوجـه الأول: أن يكـون الضـرر معلومًـا، وهـذا نحـو أن يقـف في موضـع الحيات والعقارب والآساد، ونحو أن يستق السمّ، وأن يلقي نفسه في البحر وهـو لا يحسن السباحة، فما هذا حاله ليس معدودًا في التفويض أصلاً.

الوجه الثاني: أن يكون الضرر مظنونًـا، وهـذا نحـو أن يقـف تحت الجـدار المائل، ونحو الوقوف في مجاري السـيول، أو في الـوادي الـذي تتعهـده السـباع،

---

[1] (?) في (د،ك،م) الوافي.

فما هذا حالة فعله يعدّ في التفويض للأمر إلى الله تعالى؛ لأنه ليس معلومًا.

الوجه الثالث: أن يكون الضرر متوهمًا، وهذا نحو ترك الرقية، والكيّ، فما هذا حاله معدودًا تركه في التفويض؛ لأنه ضرر غير معلوم ولا مظنون، فاعرف تفاوت هذه الأوجه، ومراتبها، ومنزلة بعضها من بعض.

الحالة الرابعة: في دفع المضرة المتوقعة

وهذا نحو تحمّل الأذية، واعلم أن الأسباب المزيلة للضرر المتوقع ينقسم إلى: **مقطوع**، وإلى **مظنون**، وإلى **موهوم**، فأما **المقطوع به**، فنحو شرب الماء البارد؛ فإنه يزيل ضرر العطش قطعًا، ونحو أكل الخبز فإنه يزيل ضرر الجوع، وما هذا حاله فتركه لا يعدّ من التفويض بحال، وإلى **موهوم**، وهذا نحو ترك الطيرة والرقية والكيّ، وما هذا حاله فتركه يعدّ في التفويض؛ لأن الشرع قد ورد بتركه وإهماله، وفي الحديث: «لا عدوى ولا هامة ولا صَفَر في الإسلام»[1]، وفي حديث آخر: «من علّق التمائم فلا تمم الله أمره»[2].

أما **المتوسط بين هاتين الدرجتين**، فهو المظنون، وهذا نحو التداوي بالأشياء الظاهرة عند الأطباء، ففعله لايناقض التفويض إلى الله تعالى، وتركه ليس محظورًا كالمعلوم الذي ذكرناه، فالرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- قد تداوى وأمر بالدواء، حيث قال: «تداووا فإن الذي أنزل الداء أنزل الدواء»[3]، وفي حديث آخر: «ما من داء إلا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله إلا السام وهو الموت»[4].

---

1 (?) صحيح مسلم، 4/ 1743. بلفظ: «لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة». الصفر: دواب البطن. ينظر: لسان العرب، مادة (صفر).

2 (?)المستدرك على الصحيحين، 4/ 240. سنن البيهقي الكبرى، 9/ 350. بلفظ: «من علق تميمة فلا أتمّ الله له».

3 (?) مسند أحمد، 3/ 156. بلفظ: «إن الله حيث خلق الداء خلق الدواء فتداووا».

4 (?) المستدرك على الصحيحين، 4/ 445، بلفظ: «إن الله لم ينزل داء أو لم يخلق داء إلا أنزل أو خلق له دواء ....الحديث».

المقام الثالث: في آداب التفويض

اعلم أن لأهل التفويض آدابًا في أمتعة البيت إذا خرجوا عنها، وجملتها ستة:

الأدب الأول: أن يغلق الباب، ولا يستقصي في تكثير أسباب التحفظ، نحـو إكثار الغلق والحرس، والتماس الجيران للحفظ، وحُكي عن مالك بن دينـار[1] أنـه كان لا يغلق بابه ولكنه يشدّه بخيط.

الأدب الثاني: أن لا يترك في البيت متاعًا يحـرص السـراق على أخـذه؛ إذ وضعه في البيت يكون سببًا لهيجـان رغبتهم فيه، ويحكى أن المغـيرة بن شـعبة[2] أهدى ركوة[3] لمالك بن دينار فردّها إليه، فقال لـه: لمَ رددتهـا؟ فقـال: أخـاف أن يوسوس الشيطان إليّ أن اللصّ يأخذها.

الأدب الثالث: أن كل ما يضطر إلى تركـه في الـبيت ينبغي أن ينـوي عنـد خروجه الرضا بمـا يقضـي اللـه فيـه من تسـليط سـارق عليـه، ويقـول مـا يأخـذه السارق فهو في حل منه.

الأدب الرابع: إذا وجد المال قد سرق فلا ينبغي منه أن يحزن بل يفرح إن أمكنه ذلك، ويقول: لولا أن الخيرة لنا في ذلك، ثم إن لم يكن قد جعله في سبيل الله فلا يتابع في طلبه، ولا في إساءة الظن بالمسلمين في التهمة بالسرقة.

الأدب الخامس: أن لا يدعو على السـارق الـذي ظلمـه بالأخـذ فـإن فعلـه يبطل تفويضه وثوابه، ففي الحديث: «من دعا على ظالم فقـد انتصـر»[4]، وحكي

---

1 (?) وهو مالك بن دينار البصري، كان عالمًا زاهدًا ورعًا، توفي بالبصرة سـنة 131هـ. ينظـر: وفيات الأعيان، 4/ 139، 140. الأعلام للزركلي، 5/ 261.

2 (?) وهو المغـيرة بن شـعبة بن أبي عـامر بن مسـعود الثقفي، ولد بالطـائف، وأسـلم قبل الحديبية، وتوفي بالكوفة سنة 50هـ. ينظر: الإصـابة ، 6/ـ 197- 199. الأعلام للـزركلي، 7/ 277، 278.

3)) الركوة: إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء، والجمع ركوات، وركاء. ينظر: لسان العرب، مادة (ركا).

4 (?) سنن الترمذي، 5/ـ 554. بلفظ: «من دعا على من ظلمه فقد انتصر». وورد كـاملاً في مسند أبي يعلى، أحمد بن علي المثنى الموصـلي، تحقيق حسـين سـليم أسـد، دار المـأمون للتراث، ط1، عام 1984م، دمشق، سوريا، 7/ 433.

عن الربيع بن خثيم[1] أنه سُرق له فرس بعشرين ألف درهم، وكان قائمًا يصلي، فلم يقطع صلاته، ولم ينزعج لطلبه، فجاءه قوم يعزونه، فقال: أما إني قد رأيته وهو يحله، قيل له: فما منعك أن تزجره؟ قال: كنت في أحب إليّ من ذلك يعني الصلاة[2].

الأدب السادس: أن يكون مغتمًا لأجل معصية السارق بالسرقة، وليشكر الله تعالى حيث جعله مظلومًا، ولم يجعله ظالمًا، وحكي أنه سُرق على بعض الزهاد دنانير، وهو يطوف بالبيت، فرآه أبوه، وهو يبكي ويحزن، فقال له: أعلى الدنانير تبكي؟ فقال: لا والله، ولكن على المسكين، فإنه يُسأل يوم القيامة، ولا تكون له حجة[3]، فهذا ما أردنا ذكره في التفويض.

الخصلة الثالثة: الصبر

فنذكر معنى الصبر، ثم نذكر مجاريه، ثم نردفه بذكر الشكر والصبر أيّهما أفضل، فهذه مقامات ثلاثة نفصلها:

المقام الأول: في بيان معنى الصبر

وهو الحبس لنفسه كما مرّ بيانه، وفي لسان حملة الشريعة: فهو حبس النفس عن المعصية، ومنعها عن الإخلال بالطاعة، وهذه الخصلة هي من أعظم خصال الدّ

ِين وأجلّها قدرًا، وأرفعها شأنًا، كما أشار إليه تعالى بقوله: [illegible]

---

[1] (?) وهو الربيع بن خثيم بن عائذ أبو يزيد الثوري الكوفي، الإمام القدوة العابد، أحد الأعلام أدرك زمان النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- وأرسل عنه، قيل: توفي سنة 65هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم، مؤسسة الرسالة، ط9، عام 1413هـ، بيروت، لبنان، 4/ 258، 262.

[2] (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 283.

[3])) نُسب لعلي بن الفضيل. ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 283.

[illegible][1]، وقوله تعالى: [illegible][2]، وقوله تعالى: [illegible][3]، وقوله تعالى: [illegible][4]، وقوله تعالى لنبيه: [illegible][5]، وقوله تعالى: [illegible][6]، [illegible][7]، وفي الحديث عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «إن الصبر أمير جنود المؤمن»[8]، وفي حديث آخر:«الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر»[9]، وعن عمر[10]: لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت[11]. يريد أن كل واحد منهما يوصل صاحبه إلى الجنة.

المقام الثاني: في ذكر مجاريه

وله مجار ثلاثة:

المجرى الأول: الصبر على الطاعة، إما على تأديتها، وتحصيلها، وإما على تحصيلها على الوجه الذي أمر بها، فكل واحد من هذين الأمرين يحتاج إلى مزيد صبر ومشقة على ذلك.

المجرى الثاني: الصبر على الانكفاف عن المعصية، فإن المعاصي ممّا

---

1 (?) سورة البقرة من الآية 153، سورة الأنفال من الآية 46.

2 (?) سورة آل عمران من الآية 200.

3 (?) سورة الشورى الآية 43.

4 (?) سورة العصر الآية 3.

5 (?) سورة النحل من الآية 127.

6 (?) سورة الكهف من الآية 28.

7 (?) سورة المزمل من الآية 10.

8 (?) شعب الإيمان، 4/ـ 161. بلفظ: «العلم خليل المؤمن، والعقل دليله، والحلم وزيره، والصبر أمير جنوده»ـ

9 (?) نفسه، 7/ 123.

10)) وهو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي العدوي، كان من أشراف قريش في الجاهلية، شهد المشاهد كلها، بويع بعد وفاة أبي بكر- رضي الله عنه-، قتله أبو لؤلؤة سنة 23 هـ، بالمدينة. ينظر: الاستيعاب، 3/ 1144- 1152.

11 (?) ينظر: شرح نهج البلاغة، 11/ 203.

تشتاقها النفوس وتميل إليها؛ لما يحصل من اللذة وموافقة الهـوى، إلا أن يحصـل من جهة الله عصمة في الامتناع منها والازدجار عنها.

المجرى الثالث: الصبر على البلايا والبلوى من جهة الله تعالى تكـون على وجهين:

الوجه الأول منهمـا: أن يكـون بلا فعـل واضـطرار من فعلـه تعـالى. **إما** على جهة المحنـة والمضـرة وهـو كـل مـا تنفـر عنـه النفـوس، وهـذا نحـو ذهـاب الحواس وأنواع الآلام وضـروب الأسـقام، فإنهـا كلهـا حاصـلة من اللـه على جهـة الامتحان؛ لصبره، **وإما** على جهة النعمة وهو كل ما تلتذ بـه النفـوس من الأمـداد بالإمكان بالعقل، وبهذه الحواس، فإنها نعمة من جهة الله تعالى جزيلة.

الوجه الثاني: أن تكون البلوى على جهة التعبد والاختبار لحالـه، ومصـداق هذا التقسيم ما ورد في الكتاب الكريم حيث قال تعالى: [illegible][1]، فلقد أكرمـك ونعمك، فكيف شكرت المكرم المنعم؟ وهل اختبرت البلية التي سماها بلـوى أم جعلت الاختبار لها لعبًا منك ولهوًا وركضًا في ميدان الغفلـة واتبـاع الأهـواء،[2] أين أنت عن الشكر والإيثار الذي هو تعبدك من جهة خالقك الملك الجبار[illegible][3]، فليت شـعري أهانـك ليزاد بإهانتك سـلطانًا إلى سـلطانه ويجـبر بنقصـك نقصًـا لحقّـه في ملكـه وعلـو شأنه، كلا والله ليس الأمر كما زعمت، ولا الشأن كما توهمت.

المقام الثالث: في ذكر الأفضلية بين الشكر والصبر

اختلـف العلمـاء في ذلك، فقـال قـائلون: الصـبر أفضـل من الشـكر، وقـال

---

1 (?) سورة الفجر الآية 15.

2 (?) في (د،ك،م) زيادة: إلى.

3 (?) سورة الفجر الآية 16.

آخـرون: الشـكر أفضـل من الصـبر[1]، وذهب آخـرون إلى أنهمـا سـيان، وصـار صائرون إلى أن ذلك يختلـف بـاختلاف الأحـوال؛ والمختـار عنـدنا أن الأفضـل هـو الصبر؛ لكثرة مـا ورد فيـه من جهـة الشـرع، والشـكر وإن ورد فيـه أخبـار، لكنهـا بالإضافة إلى ما ورد في الصبر حقيرة، ولـو لم يكن في الصـبر إلا قولـه تعـالى: ﴿ [illegible] ﴾[2]، وقوله صلى الله عليـه وآلـه وسلم: «أفضل ما أوتيتم اليقين، وعزيمة الصبر»[3]، وفي حديث آخر: «يؤتى يـوم القيامة بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزاء الشاكرين، ويؤتى بأصبر أهل الأرض، فيقال له: أترضى أن نجزيك كما جزينا هذا الشـاكر، فيقـول: نعم يـا رب، فيقـول الله تبارك وتعالى: كلا أنعمت عليه فشكر، وابتليت فصـبرت، لأضـعفن لـك الأجـر أضعاف جزاء الشاكرين»[4].

الخصلة الرابعة: التسليم لأمر الله

«**التسليم**» مصدر سلم، وله معنيان:

أحدهما: أن يكون المراد به التمليك من قولهم: سلمت دَينه إليه إذا ملكته إياه، فالرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- خصّ المكلفين على أن يسلموا الأمر لله أيْ: يملّكوه أمرهم في نفوسهم وأموالهم وأولادهم.

وثانيهما: أن يكون المراد به الانقياد والخضوع من قولهم: سلم لـه القيـاد، إذا خضع له، ودخل تحت حكمه.

وأما «**الأمر**» فله معنيان:

المعنى الأول: أن يكـون المـراد بـه القـول، وعلى هـذا يكـون مـراده أن الخلق يجب عليهم الانقيـاد لأوامـر اللـه بالامتثـال لوجوبهـا ونـدبها، وأن يقابلوهـا

---

1 (?) في (د،م) سقط: من الصبر. {وهو سقط مخل بالمعنى}.
2 (?) سورة الزمر من الآية 10.
3 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 136.
4 (?) نفسه.

بالإتيان بها على الوجه الذي شرعت عليـه، وذلـك لا يكـون إلا بـأن يقابـل الأوامـر بالامتثال والأفعال بالرضا والقبول، فلا يدع من ذلك أمرًا ممّا يعود إلى الفعل ولـو كان كريهًا إلا رضـيه، ولا أمـرًا ممّـا يعـود إلى القـول إلا سـمعه واتبعـه، فـإن ورد لواجب فعله بوجوبه، وإن ورد بندب فعله امتثالاً لندبه.

المعنى الثاني: أن يراد بالأمر الشأن، فيكون المراد من التسـليم الانقيـاد لعظمته والانحطاط لجلاله، وملاك ذلـك كلـه وقوامـه لا يسـتقيم إلا بالتحفـظ عن ارتكاب المحظورات، ومجانبة المحذورات؛ لأنهـا في الحقيقـة محبطـات للأعمـال مهلكات للنفوس، ولقـد أكـرم اللـه هـذه الأمـة بخصـال لم تكن لغيرهـا من الأمم السابقة، **أولها:** بالرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- فإنه أكرم رسول وأشرف مبعوث.

وثانيها: هذه الشريعة التي فاقت على كل الشرائع.

وثالثها: هذا القرآن، فإنه أشرف كتاب أنزل.

ورابعها: تخفيف التكاليف، فإن بني إسرائيل كلفوا قتل نفوسهم فوضـعوها على ركبهم وحزوها بالسيوف، وهذا هو البلاء المبين.

وخامسها: قصر الأعمار في طاعة الله تعالى.

وسادسها: تخفيف الحدود، فإن بني إسرائيل كانت الحدود فيهم مشـروعة على أكثر المعاصي.

وسابعها: الستر، وكان بنو إسرائيل إذا قارف أحدهم ذنبًا أصبح مكتوبًـا بين عينيه عصيت في كذا.

وثامنها: التوبة، فإن بابها مفتوح حتى تقوم الساعة.

وتاسعها: العلامـة في يـوم القيامـة، فـإنهم يبعثـون غـرًّا محجلين من آثـار

الوضوء، بخلاف غيرهم من الأمم.

وعاشرها: شرع الحدود في حقّ من قارف ذنبًا بجدع الأنـف وقطـع الأذن، واصطلام الشفة، إلى غير ذلك من الآصار[1]، فالحمد للـه الـذي فضـلنا على كثـير من عباده المؤمنين.

الخصلة الخامسة: الرضا بقضاء الله

اعلم أن الرضا ثمرة من ثمرات الجنة، وسنوضـح الكلام فيهـا على أثـر هـذا بمعونة الله، وهي من أعلى درجات المقـربين؛ لأن ذلـك عنـوان الحكمـة وأسـرار السعادة الأخروية، فلنذكر معنى الرضا، ثم نذكر فضيلته، فهذان مقامان:

المقام الأول: في بيان معناه

ونريد بذلك أن يكون الإنسان منشرح الصدر، طيب النفس في كل ما يفعلـه الله تعالى ويقضيه عليـه، سـواء كـان ذلـك القضـاء ممّـا يسـر النفس أو يكرههـا، وذلك أنواع ثلاثة:

أولها: الرضا بهذه الأوامر في التكـاليف الشـاقة من العبـادات وغيرهـا؛ لأن صدورها من جهة الله تعالى على جهة الاستصلاح للخلق فيها.

وثانيها: المصـائب الـتي تصـيب الخلـق من المـوت، وسـائر ضـروب الآلام والغرق، وإتلاف الزرع.

وثالثها: ما يكون مختصًا به في نفسه من الجنون والجذام والبرص وســائر الأسقام والزمانة[2]، وغـير ذلـك من الأمـراض في حقّ نفسه، وفي حقّ من يـوده من ولد، وقريب، وصاحب، وشفيق[3]، فإن الـواجب على المكلـف أن يتلقى هـذه الأمور بالرضا، وحسن القبول، والثناء على فاعلها، وهذا هو اللائق بمن خصّه اللـه

---

1 (?) الآصار: المواثيق والعهود. ينظر: لسان العرب، مادة (أصر). في (د) الأمثال.

2 (?) الزمانة: آفة في الحيوانات، ورجل زمن أيْ: مبتلى. ينظر: لسان العرب، مادة (زمن).

3 (?) في (د،م) شقيق.

بمزيد القبول، كالأنبياء والأئمة والعلماء، فإن الله تعالى هو أعلم بالمصالح كلها، وأفعالها كلها مصالح، فلا ينكر شيء منها.

المقام الثاني: في بيان فضيلة ذلك

قال الله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[1]، وفي الحديث عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه سأل طائفة من أصحابه: «ما أنتم»؟ فقالوا: مؤمنون، فقال: «ما علامة إيمانكم»؟ قالوا: نصبر عند البلاء، ونشكر عند الرخاء، ونرضى بمواقع القضاء، فقال: «مؤمنون ورب الكعبة»[2]، وفي حديث آخر: «طوبى لمن هدي إلى الإسلام، وكان رزقه كفافًا ورضي به»[3]، وفي حديث آخر: «من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل»[4]، وفي حديث آخر: « إذا أحب الله عبداً ابتلاه، فإن صبر اختاره، وإن رضي اصطفاه »[5]، وفي حديث آخر: «أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب ربكم وإلا فلا»[6]، وروي أن موسى قال:- يا رب- دلني على أمر فيه رضاك حتى أعلمه، فأوحى الله إليه: إن رضاي في كرهك، وأنت لا تصبر على ما تكره، قال:- يا رب- دلني عليه، قال: فإن رضائي في رضاك بقضائي[7].

وفي حديث آخر: «من لم يرض بقضائي، ويصبر على بلائي فليتخذ ربًّا سواي»[8]، وفي مناجاة موسى: أي رب أيّ خلقك أحب إليك؟ قال: من إذا أخذت منه المحبوب سالمني، قال: فأيّ الخلق أنت عليه ساخط؟ قال: من يستخيرني

---

[1] (?) سورة المائدة من الآية 119، البينة من الآية 8 .

[2] (?) المعجم الأوسط، 9/163.

[3] (?) المستدرك على الصحيحين، 4/ 136. المعجم الكبير، 18/ 306. بلفظ: «أفلح من هدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافًا، وقنع به».

[4] (?) شعب الإيمان، 7/ 204.

[5] (?) إحياء علوم الدين،4/ 329.

[6] (?) نفسه، 4/ 199.

[7] (?) ينظر: نفسه، 4/ 345.

[8] (?) المعجم الكبير، 22/ـ 320. بلفظ: «من لم يرض بقضائي، ولم يصبر على بلائي فليلتمس ربًّا سواي» .

في الأمر، فإذا قضيته له سخط قضـائي[1]، وفي حـديث آخـر: «قـدرت المقـادير، ودبرت التدابير، وأحكمت الصنع، فمن رضي فله الرضا حتى يلقاني، ومن سـخط فله السخط حتى يلقاني»[2]، وفي حديث آخر: عن الرسول- صلى الله عليه وآلـه وسلم- أنه قال: «من أحب أن يعلم ماله عند الله فلينظر ما لله عنده، فـإن اللـه ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه»[3]، ورُوي أن نبيًا من الأنبيـاء شكا إلى الله تعالى الجوع والفقر والقمل عشر سنين، فما أجيب إليه، ثم أوحى الله إليـه: لمَ تشكو هكذا كان بدؤك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق السـماوات والأرض، وهكذا سبق لك مني، وهكذا قضيت عليك قبـل أن أخلـق الـدنيا، أفتريـد أن أغـير خلق الدنيا من أجلك؟ أم تريد أن أبدّل ما قدرت عليك فيكـون مـا تحب فـوق مـا أحب، ويكون ما تريد فوق ما أريـد، وعـزتي وجلالي لإن تخـالج[4]هـذا في صـدرك مرة أخرى لأمحونك من ديوان النبوة[5]، ثم إنه صلى الله عليه وآلـه وسـلم أردف ذلك بخصـال أربـع، فقـال: «**إنه من أحب للـه، وأبغض للـه، وأعطى للـه، ومنـع للـه فقـد اسـتكمل الإيمـان**»، ونحن نـذكرها واحـدة واحـدة ونمـيز أسرارها.

الخصلة الأولى: المحبة

اعلم أن شواهد المحبة في القرآن كما قال تعـالى: [6]، والمحبة كما تكون من جهة الله للعبد، فقد تكون من جهـة العبـد للـه تعـالى،

---

1 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 345.
2 (?) نفسه.
3 (?) المستدرك على الصحيحين، 1/ـ 671. بلفـظ: «من كـان يحب أن يعلم منزلته عند الله، فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه».
4 (?) في (د،م) تلجلج. { وهو السـليم كما ورد في مصـدره، إحيـاء علـوم الـدين، 4/ـ 346}. وتلجلج: تردد وقلق ولم يستقر. ينظر: لسان العرب، مادة (لجج).
5 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 346.
6 (?) سورة المائدة من الآية 54.

فهذان مقامان:

المقام الأول: في بيان محبة الله للعبد

اعلم أن الله إذا أحبّ عبدًا فلا بدّ لذلك من علامة، وعلامة ذلك: أن يختصّـه بخصائص عشر:

الخاصة الأولى: غفران الذنوب، كما قال تعالى: [illegible][1]، وقوله تعالى لمن ادعى أنه حبيب لله: [illegible][2].

الخاصة الثانية: السير للتوبة والتطهير، كما قال تعالى: [illegible][3].

الخاصة الثالثة: التوفيق للإيمان، كما قـال عليـه السـلام: «إن اللـه يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب»[4].

الخاصة الرابعة: كثرة الذكر، كما قال عليه السلام: «من تواضع لله رفعـه الله، ومن تكبر وضعه الله، ومن أكثر ذكر الله أحبه الله»[5].

الخاصة الخامسة: قبول قوله، كما قال عليه السلام حكايـة عن اللـه: «لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فأكون سمعه الذي يسمع بـه، وبصـره الذي يبصر به، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته»[6].

---

1 (?) سورة آل عمران من الآية 31.

2 (?) سورة المائدة من الآية 18.

3 (?) سورة البقرة من الآية 222.

4 (?) المستدرك على الصحيحين، 4/ 182. مسند أحمد، 1/ 387. شعب الإيمان، 4/ 395. مع اختلاف مع الأخيرين في: «...ولا يعطي الدين إلا من أحب... ».

5 (?) المعجم الأوسط، 5/ـ 140. بلفـظ: «من تواضع لله رفعه اللـه، ومن تكـبر وضـعه اللـه، ومن اقتصد أغناه الله، ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله».

6 (?) المعجم الكبـير، 8/ـ 221. بلفـظ: «... لا يـزال عبـدي يتحبب إلي بالنوافل حـتى أحبـه، فأكون سمعه الذي يسمع بـه، وبصـره الـذي يبصر بـه، .... فـإذا دعـاني أجبتـه، وإن سـألني أعطيته».

الخاصة السادسة: إزالة العقوبة، كما قال عليه السلام: «إذا أحب الله عبدًا لم يضرّه ذنب»[1]، فإذا أحبه تاب عنه قبل الموت، فلم تضرّه الذنوب الماضية وإن كثرت، كما لا يضر الكفر الماضي بعد الإسلام.

الخاصة السابعة: البلوى، كما قال عليه السلام: «إذا أحب الله عبدّا ابتلاه، فإن أحبه الحب البليغ اقتناه» قيل: وما اقتناه؟ قال: «لم يترك له مالاً ولا أهلاً »[2].

الخاصة الثامنة: الوعظ والزجر؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إذا أحب الله عبدًا جعل له واعظًا من نفسه، وزاجرًا من قلبه يأمره وينهاه»[3].

الخاصة التاسعة: حب العبد لله؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «إذا أراد الله بعبد خيرًا بصره بعيوب نفسه»[4]، فأخصّ علامته حبه لله، فإن ذلك يدل على حب الله له.

الخاصة العاشرة: الوحشة من الغير، كما قيل لعيسى- عليه السلام-: ألا تشتري حمارًا تركبه؟ فقال:أنا أعز على الله من أن يشغلني عن نفسه بحمار[5]، فإذا لم يشغله الله بغيره ولا يحول بينه وبين ذاته فقد أحبه، ولا تحمل محبة الله للعبد إلا على ما ذكرناه من هذه المعاني لا غير.

المقام الثاني: في بيان محبة العبد لله تعالى

واعلم أن المحبة يدّعيها كلّ أحد من غير برهان ولا علامة، ولا بدّ لها من

---

1 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 327.

2 (?) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان، عام 1407هـ، 2/ـ 291. بلفظ: «إذا أراد الله بعبد خيرًا ابتلاه، وإذا ابتلاه أضناه. قيل: وما أضناه؟ قال: لا يترك له أهلاً ولا مالاً».

3 (?) حلية الأولياء، 10/99.

4 (?) موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، إعداد أبي هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، عالم التراث، ط1، عام 1989م، بيروت، لبنان،1/ـ 234. بلفظ: «إذا أراد الله بعبد خيرًا بصره بعيب نفسه».

5 (?) إحياء علوم الدين، 4/329.

علامة تدل على كون العبد محبًّا لله، وجملتها عشر:

العلامة الأولى: حب لقاء الله، فلا يتصور أن يحب القلب محبوبًا إلا ويحب لقاؤه، وإذا علم أنه لا وصول له إلى ذلك إلا بالارتحال عن الدنيا، فإنه يحب الموت لا محالة؛ لقوله عليه السلام: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»[1].

العلامة الثانية: أن يكون مؤثرًا ما أحبه الله على ما يحبه في ظاهره وباطنه، فيجتنب الهوى، ويعرض عن دعة الكسل، فلا يزال مواظبًا على طاعة الله متقربًا إليه بالنوافل، وطالبًا عنده المراتب العالية.

العلامة الثالثة: أن يكون مستغرقًا بذكر الله لا يفتر لسانه عنه، ولا يخلو عنه قلبه، فمن أحب شيئًا أكثر بالضرورة ذكره، وحب ما يتعلق به، فيحب رسول الله بحبه الله، ويحب أهل بيته بحبه، كما روي عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «أحبوا الله لما يغدوكم من النعم، وأحبوني لحب الله ، وأحبوا أهل بيتي لحبي»[2].

العلامة الرابعة: أن يكون أُنسه بالخلوة، ومناجاة الله تعالى في الخلوات، وتلاوة كتابه، ويواظب على قيام الليل، ويغتنم هدوء الليل، وصفاء الوقت بانقطاع العوائق، فأقلّ درجات الحب أن يتلذذ بالخلوة بالحبيب، والتنعم بمناجاته.

العلامة الخامسة: ألا يتأسف على ما يفوته ممّا سوى الله تعالى، ويعظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله وطاعته، فيكثر رجوعه عند الغفلات، ويعظم اشتغاله[3] بالتوبة والإنابة.

العلامة السادسة: أن يتنعم بالطاعة ولا يستثقلها، ويسقط عنه نعيمها، كما قال بعضهم: كابدت الليل عشرين سنة، ثم تنعمت به عشرين سنة، فمتى

---

1 (?) مسند أحمد، 2/ 313. صحيح مسلم، 4/ 2065.

2 (?) المعجم الكبير، 3/ 46.

3 (?) في (د،ك،م) استعطافه.

كان الحب غالبًا، فإنه[1] يقهر لا محالة ما دونـه، فمن كـان محبوبـه أحب إليـه من الكسل ترك الكسل في خدمتـه، و من كـان محبوبه[2] أحب إليـه من المـال تـرك المال في خدمته.

العلامة السابعة: أن يكون مشفقًا على جميع عباد الله، رحيما بهم، شديدًا على جميع أعداء الله، وعلى كل من قارف شيئًا ممّا يكرهه الله، كما قال تعـالى: ﴿ ... ﴾[3]، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يصرفه عن الغضب لله صـارف، كمـا وصـف اللـه تعـالى أوليـاءه بقولـه: «الـذين تكلفوا حبي ويأوون إلى ذكري كما يـأوي النسـر إلى وكـره، ويغضـبون لمحـارمي كمـا يغضـب النمـر إذا أخـرد، ولا يبـالون بالغضـب لـلـه تعـالى بقلـة النـاس ولا بكثرتهم»[4].

العلامة الثامنة: أن يكون في حبـه خائفًـا متضـائلاً تحت الهيبـة والتعظيم، وليس الخوف يضاد الحب، بل إدراك العظمة توجب الهيبة، كما أن العلم بـالجلال يوجب المحبة، فحق العبد أن يزداد في الخوف، ولكن يزداد قربًـا ومحبـة، ولـذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من استوى يوماه فهو مغبـون، ومن كـان يومـه شرًا من أمسه، فهو ملعون»[5]، وفي حديث آخر: «إنه ليغان على قلبي في اليوم والليلة سبعين مرّة فأستغفر الله تعالى»[6].

العلامة التاسـعة: كتمـان المحبـة، واجتنـاب الـدعوى فيهـا، والتـوقي من إظهار ذلك؛ تعظيمًا للمحبوب وإجلالاً له، وهيبة منـه أن يظهر[7] غـيرة على سرّه،

---

1)) في (د،م) فهو.
2)) في (د،م) سقط: محبوبه. {وهو سقط مخلّ بالمعنى}.
3 (?) سورة الفتح من الآية 29.
4 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 334.
5 (?) رواه الديلمي بسند عن علي مرفوعًا. ينظر: كشف الخفاء، 2/305.
6 (?) صحيح مسلم، 4/ 2075. بلفظ:«إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله مائة مرّة».
7 (?) في (د،م) سقط: أن يظهر.

فإنه مهما كانت المحبة سرًّا كانت أقرب إلى الاستقامة، وأعظم خطرًا، وإظهارها يؤرث المقت عند العلماء بالله والمحبين له.

العلامة العاشرة: الأُنس بالله تعالى، والوحشة من غيره، كما قال عليه السلام: «من أنس بالله استوحش من غيره»[1]، وبالجملة لا بدّ للمحب من التحلي بمحاسن الأخلاق، ومكارم الشيم، وحميد الخصال، فإن ذلك كله يثمر المحبة، وما لا يثمر المحبة فهو اتباع الهوى، وهو من رذائل الأخلاق.

الخصلة الثانية: البغض

اعلم أن البغض هو ضدّ المحبة ونقيضها، وقد يكون البغض من جهة الله تعالى للعبد، وقد يكون من جهة العبد لله تعالى، فهذان مقامان:

المقام الأول: في بيان بغض الله تعالى للعبد

و[2]اعلم أن البغض هو الكراهة، والبغض من جهة الله إنما يكون مختصًا بأهل الكفر والنفاق والفسق وسائر المعاصي، وعلاماتهم على النقيض من علامة أهل المحبة، ونحن نوردها على جهة الكشف والبيان؛ ليحذر عن الوقوع فيها، وجملتها عشر:

أولها: كثرة الذنوب وترادفها ورينها[3] على القلوب واستيلاؤها على الأفئدة.

وثانيها: الخذلان عن التوبة، وإبعادهم عنها[4].

وثالثها: الاستدراج إلى فعل المعاصي، كما قال تعالى: [illegible][5].

---

1 (?) شعب الإيمان، 1/ـ 377. بلفظ: «طوبى لمن استوحش من الناس وأنس بربه وبكى على خطيئته».

2 (?) في(د،ك،م) سقط:الواو.

3)) الرين الطَّبَع والدنس والصدأ، وران الذنب على قلبه، أيْ غلب عليه وغطاه. ينظر: لسان العرب، مادة (رين).

4 (?) في (د،ك،م) سقط:عنها.

5 (?) سورة القلم من الآية 44.

ورابعها: إغفال الذكر عن قلوبهم ونسيانه على ألسنتهم.

وخامسها: ردّ قوله، والإعراض عنه في كل أحواله.

وسادسها: إنزال العقوبة الأبدية، والندامة السرمدية.

وسابعها: المعافاة لهم في الأبدان والأمول، كما قال تعالى: [illegible] [illegible][1]، وقوله عليه السلام: «أعوذ بالله من العفر النفر الذي لا يرزأ في أهـل ولا مال»[2].

وثامنها: قساوة القلوب، فلا يقبلون على وعظ ولا تـذكير، ولا يخطـر لأحـد منهم على بال.

وتاسعها: بغضهم لله، وفي ذلك دلالة على بغض الله لهم لا محالة.

وعاشرها: الأنس بالأشرار، ومجانبـة الأبـرار، كمـا قيـل: المـرء من خليله، فهذه علامات بغض الله لأهل معصيته.

المقام الثاني: في بيان بغض العبد لله

وله علامات عشرة:

أولها: كراهة لقاء الله تعالى؛ لأن البغيض يكره لقاء من يبغضه.

وثانيها: الإيثار لما يحبه على ما يحبه الله تعالى.

وثالثها: الإعراض عن ذكر الله، فلا يتذكره بحال.

ورابعها: كراهته للخلوة بالله، ويأنس بالخلوة بغيره.

وخامسها: الأسف على ما يفوته من عـرض الـدنيا، فـتراه منقطـع القلب،

---

[1] (?) سورة آل عمران من الآية 178.

[2] (?) شعب الإيمان ، 7/ـ 177. بلفظ: «إن أبغض عباد الله إلى الله العفـريت النفـريت الـذي لم يرزأ في مال ولا ولد».

منحسرًا[1] إذا فاته شيء منها، وما فاته شيء من الدين فإنـه لا يحكّ في صـدره، ولا يلتفت إليه.

وسادسها: أن ينعم بالمعصية، ويواظب على فعلها، ولا تخطـر لـه الطاعـة على قلب.

وسابعها: أن يكون محبًا لما نزل بالخلق من العـذاب بـالمؤمنين من المشـقة، ويناله بذلك مسرة وسرور.

وثامنها: أن يكون مرحًا[2] كثير النشاط، والطرب في كل أوقاتـه، ليس من همّ الآخرة في وردّ ولا صدر.

وتاسعها: البغض لأولياء الله والكراهة لهم، شديد النفار عن مخالطتهم.

وعاشرها: الأنس بأهل المعاصي الخارجين عن الدّين، فهذه هي العلامــات لأهل المحبة والرضا من الأولياء، وعلامات البغض من أهل العداوة من الأشقياء.

الخصلة الثالثة: الإعطاء لله

واعلم أن الإعطاء على وجهين:

أحدهما: أنه يعلق بالمـال، وهـو الظـاهر من إطلاق العطـاء، وأراد أن من جملة كمال الإيمان وضعه في مستحقيه من وجوه القرب والمصالح الدينية، نحــو الفقــراء والمســاكين وصــلة العلمــاء، وأهــل الصــلاح، ووضــعه في الجهــادات والمساجد، وغير ذلك ممّا فيه قربة.

وثانيهمـا: أن الغـرض إعطـاء التعظيم من يسـتحقه من أفاضـل العلمـاء والصالحين، فإن أعطاهم ما يستحقونه من الإكرام، وإعظام الحـال لأجـل نطقهم بالديانة وتمسكهم بها هو من أعظم القـرب عنـد اللـه كمـا أشـار إليـه جلّ جلالـه

---

1 (?) في (د) زيادة: لا ينقطع حزنه.
2 (?) في (د) فرحًا.

بقوله: ﴿ [illegible] ﴾[1].

الخصلة الرابعة: المنع لله

اعلم أن الإعطاء كما يتعلق بالوجهين اللذين ذكرناهما فالمنع كذلك، فمن منع الأموال عن[2] الوضع في غير مستحقها من السفه والتبذير وأنواع الترفه باللذات، فقد منعها لله، وكذا حال من منع الإعظام والإكرام لغير مستحقيه من أهل الفسق والمعصية، فإن الاستخفاف بهم وطردهم وإبعادهم يستحق عليه الأجر والثواب من الله تعالى، فلأجل هذا كان المنع لله خالصًا، وهو من كمال الإيمان كما أشار إليه الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-، فهذا ما أردنا ذكره في المقاصد التي أرادها في حديثه، وقد أطلنا ذكره بعض الإطالة؛ لما اقتضاه الحال.

النظر الرابع: في بيان ما اشتمل عليه من علوم البيان

اعلم أن هذا الحديث قد اشتمل على مجازات حسنة، فـ «**على**» في «**التوكل على الله**» تعالى هاهنا مجاز، و«**إلى**» في قوله: «**التفويض إلى الله**» مجاز أيضًا، و«**على**» في قوله: «**الصبر على بلاء الله**»، و«**اللام**» في قوله: «**التسليم لأمر الله**»، و«**الباء**» في قوله: «**والرضا بقضاء الله**»، و«**اللام**» في قوله: «**أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان**»، فهذه الأحرف كلّها واردة على جهة الاستعارة؛ لأن معانيها التي هي حقائق فيها غير حاصلة، فلهذا عددناها في المجازات، وبالله التوفيق.

---

1 (?) سورة الحجر من الآية 88.

2 (?) في (ك) من.

النظر الخامس: في بيان ما تضمنه من علوم البديع

فمن **التجــنيس:** قولــه في تكريــر اســم الله- جلّ جلاله-: «**على الله**»، و«**إلى الله**»، و«**على بلاء الله** ...» إلى آخرهــا، فــإن ذلــك كلّــه معــدود في الجناس، ومن **الطباق:** قوله: «**أحب لله، وأبغض لله**»، **والإعطــاء والمنع**، ومن **التعديد**: قولــه عليــه الســلام: «**التوكــل على الله**»، و«**التفــويض**»، و«**الصــبر**»، و«**التســليم**»، و«**الرضا**»، **والإعطــاء، والمنع**، فــإن ذلــك كلــه معدود في نوع التعديد، كما قالوا: فلان له الأمــر والنهي، والحلّ والعقــد، والقبض والبسط، والإيراد والإصدار، وقد نجز غرضنا فيما أردناه من هــذا الحــديث، وباللــه التوفيق.

الحديث السابع

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ[1] قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صَلّى اللهُ عَلَيّه وَآلِه وَسَلّمَ- يَقُول: فِي خُطْبَتِهِ: «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الْعَبْدَ لاَ يُكْتَبُ فِي الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يَسْلَمَ النَّاسُ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ، وَلاَ يَنَالُ دَرَجَةَ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَأْمَنَ أَخُوهُ بَوَائِقَهُ، وَجَارُهُ بَوَادِرَهُ، وَلاَ يُعَدُّ مِن الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لاَ بَأْسَ بِهِ حِذَارًا ممَّا بِهِ الْبَأْسُ، أيُّهَا النَّاسُ: إِنَّهُ مَنْ خَافَ الْبَيَاتَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ فِي الْمَسِيرِ وَصَلَ، وَإِنَّمَا تَعْرِفُونَ عَوَاقِبَ أَعْمَالِكُمْ لَو قَدْ طُوِيَتْ صَحَائِفُ آجَالِكُمْ، أيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ نِيَّةَ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ، وَإِنَّ نِيَّةَ الْفَاسِقِ شَرٌّ مِنْ عَمَلِهِ**»[2].

فنقول: الحمد لله الرحيم، الذي جعل الإسلام قيدًا للفتك، وعلامة للأمان، ووسيلة وذريعة إلى السلامة من اليد واللسان، وصيّر الإيمان درجة، ووصلة إلى الأمن من البوائق، وسلّمًا نعرج به إلى تحصيل الحقائق، وحصّن بالتقوى عن الزيغ قلوب أوليائه، وشوقهم بلطائف نعمه وآلائه إلى النزول بساحات كرمه وفنائه، وألبسهم شعار خوفه، وأكرمهم بثوابه، وأمدهم بألطافه الخفيّة حتى حصلوا على جواره في دار مآبه، فعند ذلك فازوا برحمته وكرامته، وسلموا على التعرض لسخطه ولأئمته،والصلاة على الهادي لكافة الخلق إلى منهاج الصواب والحقّ وعلى آله الطيبين الفائزين بكرائم الخصال، صلاة دائمة على تكرر الغدو والآصال. واعلم أن هذا الحديث قد اشتمل على النظر في أمور

---

1 (?) وهو أبو هريرة الدويسي، صاحب رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- واختلف في اسمه، واسم أبيه اختلافًا كثيرًا لا يحاط به؛ فقيل: عبد الله بن عامر، وقيل: برير بن عشرقة، وقيل: سكين بن دومة، وقيل: عبد الله بن عبد شمس ... ، روى قائلاً: كنت أحمل يومًا في كمي هرّة فرآني رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- فقال لي: ماهذه؟ فقلت: هرة. فقال: يا أبا هريرة، أسلم يوم خيبر، توفي سنة 57هـ، وقيل 58هـ وقيل 59هـ. ينظر: الاستيعاب، 4/ 1768- 1770.

2 (?) الأربعون حديثًا السيلقية، 20.

خمسة.

النظر الأول: في بيـان ما اشـتمل عليه من الألفـاظ اللغوية

الكتابة و**العبد** و**الإسلام** مضى بيانهـا، **اليد واللسـان:** همـا الجارحتـان، **والنيـل:** هـو البلـوغ، **والدرجـة:** هي المرقـاة إلى الأبنيـة العالية. **الأمـان:** نقيض الخوف، **والأخ:** يطلق على ما كـان من جهـة النسـب، وقـد يُطلـق على الأخـوة في الدين. **البائقة:** هو الفعلة القبيحة، **والجار:** ما قرب منزلـه من منزلك، **والقـرب:** أربعون دارًا[1]، وفي الحديث: «الجـار أربعـون دارًا[2] من هنـا، وأربعـون دارًا[3] من هنا»[4]، أراد من جميـع الجـوانب، وقـد يقـال للمـرأة جـارة أيضـًا، و**البادرة**: هي السـابقة من اليـد والعين واللسـان و**العدّ**: الحسـاب، فـأول[5] مـراتب العـدد في اللفظ: هو الواحد، وفي الفعل ثني الخنصر، ومنه قولهم: فلان واحـد عصـره، أي: أنه أول ما يعدّ من الرجال، وفلان تعقد الخنصـر باسـمه، أي: أنـه أول مـا يعدّ من الفعل، **والمتقون** لغة: الذين يتقون كل محذور، ومكروه، وقد صار بالشرع: هم المتقون لفعل المعاصي وترك الطاعات.

وقولـه: «**يدع**»، أيْ: يـترك يسـتعمل مضـارعه، ولا يسـتعمل ماضـيه، وقـد يستعمل الأمر منه، وهكـذا ورد مثلـه فيمـا ذكرنـاه، و**البأس:** هـو الحـرب، وفي الحديث: «كنّا إذا احمرّ البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم»[6]،

---

1)) في (د) ذراعًا .

2)) في (د) ذراعًا .

3 (?) في (د) ذراعًا .

4 (?)المعجم الكبير، 19/ 73. بلفظ: «إنَّ أربعين دارًا جار». المطالب العالية، أحمد بن علي بن حجر العسـقلاني، تحقيق د. سـعد ناصر الشـتري، دار العاصـمة، دار الغيث، ط1، عـام 1419هـ، الرياض، المملكة السـعودية، 12/ـ 53 . بلفـظ: «حـقّ الجـار أربعـون ذراعًا هكـذا وهكذا، وهكذا وهكذا، يمينًا وشمالاً وقدمًا وخلفًا».

5 (?) في (د،ك،م) الواو بدلاً عن الفاء.

6 (?) مسند أحمد، 1/ـ 156. بلفـظ: «كنا إذا احمّر البـأس، ولقي القـوم القـوم اتقينا برسـول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه».

ثم استعمل في كل ما تنفر عنه[1] النفوس وتكرهه. **الحـذار**: هـو المحـاذرة وهي المباعـدة، و**الخوف**: نقيض الأمن، و**البيـات**: هـو الهجـوم بالليـل على من ليس يحذر لإيقاع المساءة به، و**الإدلاج**: (افتعال)، وهو السير في آخر الليل بالتشـديد، و**التخفيف**:هـو السـير في أول الليل، و**التعـريس:** الـنزول في آخـر السـير للاستراحة، و**التغوير**: نزول في وسط النهار، و**الإسكان**[2]: سير في أول النهار، و**التأويب**: سير في آخره، و**الإسآد**: خلط الليـل بالنهـار في السـير، و**المسير**: هو السير، و**الوصول**: هو بلوغ الغاية، و**المعرفة والعلم** شيء واحـد، و**عاقبـة الشـيء**: مـا يتعقبـه، و**العمل**: مـا يفعلـه الإنسـان، و**الطي**: نقيض النشر، و**الصحائف**: هي التي تدون فيها الأعمال وتكتب عليها، و**الأجل**: منقطـع العمـر، وهل يكون للواحد منا أجل واحد أو أجلان؟

فيـه تـردد بين العلمـاء، والمختـار هـو الوقـف وتجـويز[3] الأمـرين، ولا يقطـع بأحدهما. **النيّة والإرادة**: شيء واحد، ولا يجوز إطلاق النيّة على الله ولا العـزم، وإن كانت كلّها إرادات؛ لما يحصل في إطلاقها من إبهام الخطأ، **وخـير وشرّ** من بـاب أفعـل التفضـيل، طـرحت همزتهمـا على جهـة التخفيـف؛ والأصـل أنهمـا لا ينصرفان، لكن لما ذهب وزن أفعل التفضيل منهما بطرح الهمزة انصرفا.

النظر الثاني: في بيـان ما اشـتمل عليه من المعـاني الإعرابية

«**إنّ**» هاهنـا للتأكيد، و«**العبد**» منصـوب بهـا، و«**لا**» هاهنـا نافيـة للفعـل المضارع، و«**يُكتب**[4]» مرفوع على المضارعة، و«**حتى**» هاهنا بمعنى الغايـة، ولا

1 (?) في (د،ك،م) منه.
2 (?) في (د) الابتكار. {والسليم المناسب: الابتكار}. ينظر: لسان العرب، مادة (بكر) .
3 (?) في(د) التوقف ويجوز.
4)) في (د،م) ينال. {والسليم: يُكتب}.

وجه للتعليل هاهنا، و«**يسلم**» منصوب بـــ (**أنْ**) مضـمرة، و«**النـاس**» مرفـوع على الفاعلية، و«**من**» لابتداء الغاية، و«**اليد**» مجرورة بها، و«**اللسان**» عطـف عليهـا، و«**لا ينـال**» جملـة ثانيـة سـلبية، و«**ينـال**» مرفـوع على المضـارعة، و«**درجة**» منصـوب على المفعولية، و«**المؤمـنين**» مجـرور بإضـافة **الدرجـة إليهم**.

«**حتى**» هاهنا بمعنى (إلى أن) كمـا قلنـاه في الأول، و«**الأخ**» مرفـوع على الفاعلية، و«**بوائق**» جمـع بائقة، وهي منصـوبة على المفعولية، والـــ«**جــار**» مرفوع عطفًاعلى«**الأخ**»، و«**البوادر**» جمـع بـادرة، وهي نصـب على المفعوليـة أيضّا.

«**ولا يُعدّ من المتقين**» جملـة سـلبية، و«**يُعدّ**» مرفـوع على المضـارعة، و«**حتى**» بمعـنى الغاية، و«**ما**» هاهنـا موصـولة في موضـع المفعـول لـ «**يدع**»، و«**بأس**» معمول لـ «**لا**» قبله، وهي النافيـة للجنس، وهـو مبـني معهـا على الفتح والجـار والمجـرور خبرها، و«**حـذار**» منصـوب على المفعـول له، وأنكر الزجـاج[1] المفعول له، وزعم أنه منصوب على المصدرية[2].

قوله: «**ما به البأس**»«**ما**» موصولة بالجملة الابتدائية بعـدها، و«**البـأس**» مرفوع على الابتداء، والجار والمجرور خـبر لـه. «**أيُّها النـاس**» مضـى إعرابـه. «**إنه**»«**إن**» للتأكيد، والضمير للشأن والقصة.

«**من خاف البيات أدلج**» «**من**» شـرطية، و«**أدلج**» هـو جوابهـا. «**ومن أدلج**» جملة ثانيـة شـرطية، و«**وصَل**» جوابهـا. و«**إنما**» للحصـر. «**تعرفـون**»

---

1 (?) وهو أبو إسحاق إبـراهيم بن السـري بن سـهل الزجـاج، عـالم بـالنحو واللغـة، ولد سـنة 241هـ ببغداد، وتوفي فيها سنة 311هــ. ينظـر: وفيـات الأعيـان، 1/ـ 49. الأعلام للـزركلي، 1/40.

2 (?) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي،عالم الكتب، ط1، عام 1988م، بيروت، لبنان، 1/ 97.

فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه النون، و«**عواقب**» جمع عاقبة، و«**أعمالكم**» مجرور بإضافة «**عواقب**» إليه. «**لو**» حرف شرط لما مضى، وهي للسلب، فإذا اتصل بها حرف النفي فهي للإثبات، كما تقول: لو لم تقم لم أقم، فكلاهما موجود. «**نيّة المؤمن**» منصوبة بـ «**إن**»، و«**خير**» خبرها، و«**نيّة الفاسق**» يحتمل فيها النصب على العطف، والرفع على الابتداء، و«**شرّ**» خبرها، و«**من**» في قوله: «**من عمله**» لابتداء الغاية في أفعل التفضيل أينما وقع.

النظر الثالث: في بيان ما اشتمل عليه من العلوم المعنوية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في بيان ما اشتمل عليه من علوم المعاني

فمن ذلك: «**إنّ**» لتأكيد الجمل المترادفة، كقوله: «**إن العبد لا يُكتب**[1]»، «**إنه من خاف البيات أدلج**»، و«**إنّ نيّة المؤمن خير من عمله**»، فإن هذه إنما دخلت من أجل التأكيد، والتقرير للكلام في النفوس، وإزالة اللبس عنه، ومن ذلك **الفصل والوصل**، **فالفصل:** ما كان من ترادف الجمل من غير (واو)، كقوله: «**إن من خاف**»، و«**إنَّ نيّة المؤمن**»، **والوصل:** ما كان بـ «**الواو**»، كقوله: «**ولا يُعدّ**»، «**ولا ينال**»، ومن ذلك **التفصيل**، وهو بيان حكم المسلم، وحكم المؤمن، وحكم المتقي، فخصّ كل واحد من هؤلاء بما يليق به، وفي هذا دلالة على تفاوت هذه الرتب واختلاف أحكامها، ومن ذلك **الإبهام**، كقوله: «**من خاف البيات أدلج، ومن أدلج في المسير وصل**»، فهذا الإبهام له موقع في الكلام بالغ، ومن ذلك **الإيضاح للجملة**، ومثاله قوله:

---

[1])) في (د،ك،م) ينال. {والسليم: يُكتب}.

«**وإنما تعرفون عواقب أعمالكم**»، فإنما هذه موضوعة للحصر والبيان، كأنه قال: ما تعرفون عـواقب أعمـالكم إلا عنـد طيّ صـحف الآجـال؛ لأن بهـا تنكشـف حقيقة الحال، فهذا بيان ما تضمنه الحديث من علوم المعاني.

المطلب الثاني: في بيان مقاصده عليه السلام التي أرادها

اعلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أشار هاهنـا إلى الخصـال المحمـودة التي من تخلّق بها فهو من الناجين، ومن لم تحصـل في حقّـه فهـو من الهـالكين، ونحن نشير إلى ما ذكره، ونجعلها مراتب خمسًا:

المرتبة الأولى: في الإسلام

فقد قال عليه السلام: «**لا يُكتب في المسـلمين حـتى يسـلم النـاس من يده ولسانه**» أراد أنه لا يكتب في الذكر الحكيم، ولا في ديـوان المسـلمين حتى يحرز هذه الصفة من كفّ يده، ولسانه، وضرّه من جميع جوارحه، وإنما خصّ اليد واللسان؛ لأن عليهما مدار كثير من الأعمال.

أما اللسان، ففيه آفات:

الآفـة الأولى: الغيبة، وهي أن تقـول في الإنسـان مـا يكرهـه في حـال غيبته، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «الغيبـة أشدّ من الزنـا» قيـل: وكيف-يا رسول الله-؟ قال: «إن الرجل ليزني، ثم يتوب فيتوب اللـه عليـه، وإن صـاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه»[1]، وفي حديث آخر: «من قـال في مـؤمن مـا لا يعلم أقامـه اللـه على تلّ من تلال جهنم حـتى يخـرج عمّـا يقـول، ومـا هـو بخارج»[2].

---

[1] (?) المعجم الأوسط، 6/ 348.

[2] (?) تيسير المطالب، 551. بلفظ: «من بهت مؤمنًا أو مؤمنة، أو قال فيه ما ليس فيه أقامه الله يوم القيامة على تلّ من نار حتى يخرج ممّا قال فيه».

الآفة الثانية: النميمة، وهي أشدّ من الغيبة؛ لأن بها يقع سفك الدماء، وركوب الدهماء، وهي الداء العياء، والجرح الذي لا يبرأ، وفي الحديث: «لا يدخل الجنة قتات»[1] يعني: النمام.

وهل تكون الغيبة والنميمة فسقًا أم لا؟

فيه تردد، والمختار أنهما لا يكونان فسقًا؛ لأن الوعيد إنما ورد فيهما بخبر واحد، والفسق إنما يتقرر بطريق قاطع.

سؤال: فإذا كانا ليس فسقًا، فلأيّ شيء ورد هذا الوعيد عليهما الشديد؟ وأدنى الدرجات في الوعيد، وفي استحقاق النار هو ملابسة الكبيرة؟!

وجوابه: هو أن الوعيد بدخول النار لم يكن بالغيبة والنميمة على الانفراد، وإنما كان بكبائر قد ارتكبوها، والغيبة والنميمة علامتان وليسا سببين في استحقاق دخول النار، كما ورد في الحديث عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «سيكون في آخر الزمان قوم يخضبون لحاهم حتى تكون كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة»[2]، فليس استحقاق النار بخضاب اللحاء، وإنما يكون بملابسة كبائر قد ارتكبوها، والخضاب علامة لا غير.

الآفة الثالثة: النطق بكلمة الكفر، وهو من أعظم الجرائم؛ لكونه كفرًا، ولا يجوز النطق بها[3] إلا مع الإكراه أو الحكاية لها، ولا آفة أفسد منها للدّين.

الآفة الرابعة: السعاية إلى السلاطين الجورة، وأهل الظلم بالمسلمين، فإن فيها أعظم الآثام؛ لما يحصل على المسلمين من أجلها.

الآفة الخامسة: الإغراء بين المسلمين، وإدخال الضغائن والأحقاد فيما

---

1 (?) صحيح مسلم، 1/ 101.

2 (?) سنن النسائي الكبرى، 5/ـ 415. بلفظ: «قوم يخضبون بهذا السواد آخر الزمان كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة».

3)) في (د،ك،م) به. {وهو غير مناسب}.

بينهم، فإن ذلك يعظم أمره عند الله.

الآفـة السادسـة: انتقـاص المسـلمين في أعراضـهم بالقـذف، والـرمي بالفاحشـة، فإنـه جُـرم عظيم عنـد اللـه، وفيـه الخطـر الأكـبر، وفي الحـديث عن الرسول- صلى الله عليه وآلـه وسـلم- أنـه قـال: «من أربى الربـا الاسـتطالة في عرض مسلم بغير حقّ»[1].

الآفة السابعة: التهدد والوعيد من غير حـق، فمـا هـذا حالـه يكـون حرامًا، وفي الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنـه قـال: «من روَّع مؤمنًـا روعه الله»[2].

الآفة الثامنة: الاستحقار والاستخفاف والصغار بحقّ المسلمين، فـإن هـذا ذنب عظيم عند الله تعالى، وفي الحديث عن النبي- صلى الله عليه وآله وسـلم-: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ولا يوقر كبيرنا»[3]، ولا شكّ أن من لوازم الإيمان تعظيم حقّ أهل الدّين والمؤمنين، وفي الحديث: «من أهان لي وليًا فقـد بـارزني بالمحاربة»[4]، وفي حديث آخر: أن الرسول- صلى الله عليه وآلـه وسـلم- ضـرب بيده على الكعبة، وقال: «إن اللـه عظّمـك وشرّفك، ولكن حرمـة المـؤمن أعظم منك عند الله»[5].

وأما اليد: فيتعلق بها آفات:

الآفة الأولى: القتل، فإنـه أكـبر الجـرائم، وهـو من أكـبر الفسـوق، وفي الحديث عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «من أعـان على قتـل

---

1 (?) مسند أحمد، 1/190. سنن أبي داود، 2/ 685. سنن البيهقي الكبرى، 10/ 241.

2 (?) شـعب الإيمـان، 7/ـ 496. بلفـظ: «من روَّع مؤمنًا لم يـؤمن الله روعته يـوم القيامة ... الحديث».

3 (?) سنن الترمذي، 4/ 321.

4 (?) حلية الأولياء، 8/ 318.

5 (?) المعجم الأوسط، 1/ 215. بلفظ: «أنت حرام ما أعظم حرمتك، وأطيب ريحك، وأعظم حرمة عند الله منك المؤمن».

مسـلم ولـو بنصـف كلمـة جـاء يـوم القيامـة مكتـوب بين عينيـه آيس من رحمـة الله»[1]، وفي حـديث آخـر: «لـو أن أهـل السـماوات والأرض اجتمعـوا على قتـل مسلم لعذبهم الله إلا أن يشاء»[2].

الآفة الثانية: السرقة، فإنهـا كبـيرة من الكبـائر الفسـقية، وفي الحـديث عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-[3] قال: «لا يسرق السارق حين يسـرق وهو مؤمن»[4]، فهذا تصريح بالخروج عن الإسلام بالسرقة كما ترى.

الآفة الثالثة: أخذ مال المسلم من غير حقّ، فهـذا أيضًـا أعظم عنـد الله تعالى، وهو محرم عقلاً وشرعًا، قال تعالى: [illegible][5]، وفي الحديث عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «حرمة مال المؤمن كحرمة دمه»[6]، وفي حديث آخر: «من ظلم شبرًا من الأرض طوقه اللـه به إلى سبع أرضين»[7]، وفي حـديث آخـر: «إذا أخـذ أحـدكم عصـا أخيـه فليردهـا إليه»[8].

الآفة الرابعة: الجرح والضرب وسائر الأذيـا بالفعل، فإنهـا محرمـة عند الله تعالى، وفي الحـديث: «من آذى مؤمنًـا فقـد آذاني، ومن آذاني فقـد آذى

---

1 (?) سنن البيهقي الكبرى، 8/ 22. بلقظ: «من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله يوم القيامة مكتوب على جبهته آيس من رحمة الله».

2)) نفسه. بلفظ: «لو أن أهل السـماء وأهل الأرض اشـتركوا في قتل مـؤمن لعـذبهم الله إلا أن يشاء».

3)) في (د،م) زيادة: أنه.

4)) المعجم الكبير، 11/ 244.

5 (?) سورة غافر من الآية 31.

6 (?)مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق د. محفوظ الـرحمن زين اللـه، مؤسسة علـوم القـرآن، بـيروت، لبنـان، مكتبة العلـوم والحكم، المدينة المنـورة، المملكة السعودية، ط1، عـام 1409هـ، 5/ـ 117. سـنن الـدار قطـني، علي بن عمر الـدار قطني البغدادي، تحقيق عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، عـام 1966م، بـيروت، لبنان، 3/ 26.

7 (?) صـحيح البخـاري، 2/ـ 866. بلفـظ: «من ظلم قيد شـبر من الأرض طوقه من سـبع أرضين».

8 (?) سنن البيهقي الكبرى ، 6/ 100.

الله، ومن آذى الله لعنه اللــه»[1]، [illegible] [illegible][2]، فهـــذه مـــا يتعلـــق باليـــد واللسان.

المرتبة الثانية: الإيمان

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**ولا ينال درجة المؤمنين حتى يـأمن أخوه بوائقه، وجاره بوادره**» اعلم أنه لا خلاف بين من قـال بصـحة الأسـماء الشرعية في النقل، أن الإسلام والإيمان لا يفترقان من جهة الشرع، وأن معناهما واحد يفيد أحدهما ما يفيد الآخر.

سؤال: فإذا كان معناهما واحدًا من جهة الشرع، فلم فرق الرسـول- صـلى الله عليه وآله وسلم- بينهما في هذه الأحكام، فقال في المسلم: «**حتى يســلم الناس من يده ولسانه**»، وقال في المؤمن: «**يأمن أخـوه بوائقه، وجـاره بوادره**»؟

وجوابه: أن معناهما وإن كـان واحـدًا من جهـة الشـرع بصـحة النقـل، لكن الإيمان أعلى حالاً من الإسلام؛ لأنـه عليـه السـلام جعـل التـارك لأحكـام الإسـلام فاسـقًا وخارجًـا عن حدّه، فمن لا يسـلم النـاس من يـده ولسـانه فليس مسـلمًا بحال، ولم يجعل التارك لأحكام الإيمان فاسقًا، ولا خارجًـا عن الدّين، ولكن جعــل المــؤمن من أمن أخــوه بوائقه، وهي الأفعــال القبيحة، وجــاره بــوادره، وهي مــا يسبق من الأفعال، فحصل من مجموع ما ذكرناه أن الإسلام و الإيمان، وإن اتفقـا من جهة الشرع لكن بينهما هذه المخالفة، وهـو أن كـل مـا خـالف الإسـلام، فهـو

---

1 (?) المعجم الصغير، 1/ 284. ليس فيه:«ومن آذى الله فقد لعنه الله».

2 (?) سورة الأحزاب الآية 57.

فسوق[1]، وما خالف الإيمان فليس فسوقًا[2]**،** وأن الإيمان أعلى حالاً من الإسلام؛ لما ذكرناه من مخالفة الأحكام التي أشار إليها، وإنما خصّ **الأخ بـالبوائق**؛ لأنهـا تعرض كثيرًا في حقّ الخلق من المعاملة والمخاصـمة، وإيحـار الصـدور والإحن[3] والذحول[4]، **والجار بالبوادر**؛ لأن ذلك ربّما سنح في حقّ الجار في المخالطـات والـتزاحم على المرافـق في مجـاري الأهـواء، وفتح الأبـواب، وغـير ذلك، وفي الحديث: «العداوة في الأهل، والحسـد في الجـيران»[5]، وقـد وصّـى اللـه تعـالى بالجار، فقال تعالى: [illegible] [6] يعني: القريب النسب، [illegible] [7] أراد الملاصق في الجيرة، فحقّه آكـد، [illegible] [8] يعـني: الرفيـق في الطريق، وفي الحـديث: «مـا زال جبريـل يوصـيني في الجـار حـتى ظننت أنه سيورثه»[9].

المرتبة الثالثة: في التقوى

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «**ولا يُعدّ من المتقين حتى يـدع مـا لا بأس بـه حـذارًا ممًّا**[10] **بـه البـأس**» اعلم أن التقـوى حالـة عظيمة، ومرتبـة عالية، وجوهر شريف، وعقد نفيس، وقد حشا الله تعالى كتابه الكريم بالثناء على المتقين وإعظامهم، **وللتقوى** حقيقة وحكم، فأما الحقيقة، فقـد قيـل: إنهـا عقـد القلب، وتصـميم العـزم على الانكفـاف عن كـل محظـور، وقـال بعضـهم: هي المحاذرة عن مواقعة المعصـية وتـرك الطاعة، وقـال بعضـهم: هي هيئـة راسـخة

---

[1] (?) في (د،ك،م) فسق.
[2] (?) في (د،ك،م) فسقا.
[3] (?) الإحن: الحقد. ينظر: لسان العرب، مادة (أحن).
[4])) الذحول: جمع ذحل، وهو الثأر، وقيل: العداوة. ينظر: نفسه، مادة (ذحل).
[5] (?) شعب الإيمان، 5/ 273. بلفظ: «العداوة في القرابة والحسد في الجيران».
[6] (?) سورة النساء من الآية 36.
[7] (?) السورة نفسها ومن الآية نفسها.
[8])) السورة نفسها من الآية 36.
[9] (?)مسند أحمد، 2/85. صحيح مسلم، 4/ 2025.
[10])) في (د،م) حذار ما.

توجب البُعد عن مواقعة المحظورات، وأما حكمها، فقد أشـار عليـه السـلام إليـه بقوله: «**حتى يدع ما لا بأس بـه حـذارًا ممّـا**[1]**بـه البـأس**»، وأراد بهـذا أن المتقي هو الذي يترك بعض المباحات حتى لا يـرد على المعصـية؛ ومصـداق ذلـك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن لكلّ ملك حمى، وحمى الله محارمــه، ومن يرتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه»[2]، فإذا ترك بعض المباحـات كـان لا محالـة أبعد عن ملابسة المعاصي، والقـرب منهـا تحفظًـا منه، واحتياطًـا للدِّين، وإشـفاقًا على نفسه عمَّا يقرب من غضب الله وسخطه، وإيثارًا للحمية أو بـادرة غضـب أو غلبة هوى أو إعمالاً لشهوة.

المرتبة الرابعة: الصدق

اعلم أن الصدق إنما يـرد في الأخبـار، وهـو الأشـهر الأكـثر؛ وفائدتـه ومعنـاه الإخبار عن الشيء على ما هو عليه، فمن كان خبره مطابقًا لمُخبَره فهـو صـادق، ومن كان خبره على خلاف ذلك فهو كـاذب، نعم يخـرج عن ذلـك التعـريض، فـإن ظاهره يوهم الكذب، لكنه لا يكون كـذبًا؛ لأن المقصـود بـه خلاف ظـاهره لغـرض من الأغراض، ومصلحة من المصالح، كمـا يقـال: إن في المعـاريض مندوحـة عن الكذب، كما ورد عن الرسول- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم-: «ليس بكـاذب من أصلح بين اثنين، فقال خيرًا»[3]، وقد رخّص فيه في مواضع ثلاثة: في الإصلاح بين الخلـق، وفي حقّ من كـان لـه زوجـات، وفي مصـالح الحـرب، فـإذا عُـرف هـذا، فلنذكر فضيلة الصدق، ثم نذكر مواقعه، فهذان مقامان نفصلهما:

المقام الأول: في بيان فضيلته

---

1)) في (د،م) حذار ما.

2 (?) صحيح البخاري، 1/ 28. بلفظ - من حديث طويل-: «ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه».

3 (?) المعجم الأوسط، 8/ 90. بلفظ: «ليس بكاذب من أصلح بين الناس، فقال خيرًا ».

قال تعالى: [illegible][1]، وقوله تعالى: [illegible] [illegible][2]، وقال في الصدق في الفعل: [illegible] [illegible] [illegible][3]، وأثنى الله على إبراهيم وإدريس- عليها السلام- بالصدق، فقال: [illegible] [illegible][4]، وقال: [illegible] [illegible][5]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقًا، وإن الكذب ليهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»[6]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الكذب مجانب للإيمان»[7]، وقال: «من أراد أن يلعن نفسه فليكذب»[8]، وعن ابن عباس- رضي الله عنهما-: أربع من كن فيه فقد ربح: الصدق، والحياء، وحسن الخلق، والشكر[9]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من عامل الله بالصدق استوحش من الناس»[10]، وعن بعضهم: اجعل الصدق مطيتك، والحقّ سيفك، والله تعالى غاية مطلبك[11]، وعن ابن عباس أنه صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن

---

1 (?) سورة الأحزاب من الآية 23.

2 (?) سورة محمد من الآية 21.

3 (?) سورة النساء الآيات 66 – 68.

4 (?) سورة مريم الآية 41.

5 (?) السورة نفسها الآية 56.

6 (?) صحيح مسلم، 4/ 2012.

7 (?) مسند أحمد ، 1/5. سنن البيهقي الكبرى، 10/ 196.

8 (?) رواه المؤلف في كتابه : تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب، أعده للطبع إسماعيل أحمد الجرافي، أشرف على الطبع والتصحيح أحمد علي الهيصمي، دار الحكمة اليمانية، ط 1، عام 1408هـ، صنعاء، الجمهورية اليمنية، 118.

9 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 387 .

10 (?) ينظر: حلية الأولياء، 8/347. ونصه: قال بشر بن الحارث: «من عامل الله بالصدق استوحش من الناس».

11 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 387.

الكمال، فقال: «قول الحقّ، والعمل بالصدق»[1]، وسئل صلى الله عليه وآله وسلم عن الكمال، فقال: «هو قول الحق، والعمل بالصدق»[2]، عن غير ابن عباس[3].

المقام الثاني: في بيان مواقع الصدق

الموقع الأول: الصدق باللسان، وهذا هو السابق إلى الأفهام عند إطلاق الصدق، ومتعلقه الأخبار، فإنه حقّ على كل أحد أن يحفظ ألفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق، وقد يطلق الصدق على أمور أخر على جهة المجاز.

الموقع الثاني: الصدق في النية والإرادة، ويرجع ذلك إلى الإخلاص، فإنه متى حصلت النيّة والقصد قيل لذلك صدق، فتكون النيّة مطابقة لمنويها، والإرادة مطابقة لمرادها، فهو صدق لا محالة.

الموقع الثالث: صدق العزم، فإن الإنسان قد يقدم العزم على العمل، فيقول: إن رزقني الله مالاً تصدقت منه أو لقيت عدوًّا في سبيل الله قاتلت ولم أبال، فهذه العزيمة قد تصادقها[4]عزيمة صادقة، فيكون العزم صدقًا، وقد يكون فيها تردد، وضعف يضاد الصدق في العزيمة.

الموقع الرابع: الصدق في الوفاء بما عزم عليه: فإن النفوس قد تكون ساخية بالعزم في الوقت؛ إذ لا مشقة فيه، فإذا حقت الحقائق وحصل التمكن، وهاجت الشهوات انحلَّت عقد العزم وغلبت الشهوة، وبطل الوفاء بالمعزوم عليه، **فما** هذا حاله يفتقر إلى الصدق أيضًا.

الموقع الخامس: الصدق في الأعمال، فمتى كان عمله موافقًا لرضوان الله وخالصًا لوجهه فهو صادق، وإن كان على خلاف ذلك فليس صادقًا،

---

1 (?) نفسه.
2 (?) نفسه.
3 (?) في (د،م) سقط: عن غير ابن عباس.
4 (?) في (د،ك) تصادفها. {وهي أنسب في السياق}.

ومثاله: أن يقوم بين يدي الله في الصلاة، فإذا كـان خاشـعًا للـه قاصـدًا للتواضـع والعظمة لله تعالى فهـو صـادق في عملـه، ومـتى لم يكن على هـذه الصـفة بـل كانت صادرة على جهة الرياء والسمعة فليس صادقًا في عمله بحال.

الموقـع السـادس: الصـدق في المقامـات الدينية، نحـو الخـوف والرجاء والتعظيم والزهد والرضا والمحبة والتوكل، فإن الصدق في هذه الأعمـال هو من أعلى الدرجات في الصدق؛ لمـا يحصـل فيهـا من النفـع في الـدين، فهـذه المواقع كلها مفتقرة إلى الصدق كما بيناه.

المرتبة الخامسة: في الإخلاص

اعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غـيره، فهـو غـير خـالص. قـال بعضـهم: الإخلاص مـا اسـتتر عن الخلائـق، وصـفي عن العلائق، وقـال بعضـهم: الإخلاص: تصفية الأعمـال من الكـدورات، وقـال بعضـهم: الإخلاص دوام المراقبـة ونسـيان الحظوظ كلها، وعن بعضهم: الإخلاص أن تكون حركات العبد وسكناته للـه تعـالى خاصة، وعن بعضهم: الإخلاص في العمل أن لا يريـد صـاحبه غرضًـا في الـدارين، فهذه الأقاويل كما ترى ولا فائدة في كثرة النقـل في ذلك، وأحسـن مـا قيـل في حقيقة الإخلاص: ما أشار إليه صاحب الشريعة- صلوات الله عليه- حيث قـال لمّـا سئل عن الإخلاص، فقال: «أن تقول ربي اللـه، ثم تسـتقم كمـا أمـرت»[1] أيْ: لا تعبد[2] هواك، ولا نفسك، ولا تعبد إلا ربك، وتستقم في عبادتـك كمـا أمـرت، فقـد أشار عليه السلام في كلامه هذا إلى قطـع النظـر عمّـا سـوى اللـه، وهـو حقيقـة الإخلاص، فـإذا عـرفت هـذا، فلنـذكر فضـيلة الإخلاص، ثم نـذكر درجاتـه، فهـذان مقامان:

---

1 (?) سنن الترمذي، 4/ـ 607. بلفظ: «قيل: يا رسول الله حدثني بـأمر اعتصم بـه, قـال: قل ربي الله ثم استقم».

2 (?) في (د) تتبع بدلا عن:تعبد.

المقام الأول: في بيان فضيلة الإخلاص

قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[2]، وقال تعـالى: [illegible] ﴿ [illegible] ﴾[3]، وقال تعالى: [illegible] ﴿ [illegible] ﴾[4] نزل فيمن يعمـل العمـل لله، ويحب أن يحمـد عليه، وفي الحـديث: «الإخلاص سرّ من سرّي استودعته قلب من أحببتـه من عبـادي»[5]، وقـال صـلى اللـه عليـه وآله وسلم لمعاذ: «أخلص العمل يجزك القليل منه»[6]، وقال صلى الله عليه وآله وسـلم: «من أخلص للـه أربعين صـباحًا ظهـرت ينـابيع الحكمـة من قلبـه على لسانه»[7]، وفي حديث آخر: «إنما نصر الله تعالى هذه الأمة بضـعفائها ودعـوتهم وإخلاصهم»[8]، وعن أمير المؤمـنين- كـرم اللـه وجهـه-: لاتهتمـوا بكـثرة العمـل ، واهتموا للقبول[9]، وعن عمر أنـه قـال: من خلصت نيتـه كفـاه اللـه مـا بينـه وبين النـاس[10]، وعن بعضـهم: من صفا صفي اللـه لـه، ومن خلـط خلـط له[11]، وقـال بعضهم: طوبى لمن صحت له خطوة لا يريد بها إلا الله، وعن بعض الزهاد: تخلص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال، وقال بعضهم: أخلص النيـة في

---

1 (?) سورة البينة من الآية 5.

2 (?) سورة الزمر من الآية 3.

3 (?) سورة النساء من الآية 146.

4 (?) سورة الكهف من الآية 110.

5 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 376.

6 (?) نفسه.

7 (?) مسـند الشـهاب ، 1/ـ 285 . أما في حلية الأوليـاء، 5/ـ 189. فبلفـظ:«من أخلص لله أربعين يومًا ظهرت ينابيع الحكمة على لسانه».

8 (?) سـنن الـبيهقي الكـبرى، 3/ـ 345. بلفـظ: «إنما نصر الله هـذه الأمة بضـعيفها بـدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم».

9)) إحياء علوم الدين، 4/ 376.

10 (?) نفسه، 4/ 378.

11 (?) نُسب لمالك بن دينار. ينظر: حلية الأولياء، 2/381.

أعمالك يكفك القليل من العمل، وعن بعضهم: الإخلاص تُميز الأعمال من العيوب كتميز اللبن من الفرث والدم.

المقام الثاني: في بيان درجات الإخلاص

اعلم أن الآفـات المشوشـة للإخلاص بعضـها جليّـة وبعضـها خفيّـة، وتتفـاوت أحوالها في الجلاء والخفاء، وجملة ما نشير إليه من ذلك درجات أربع:

الدرجة الأولى: الرياء الظاهر، وصورته في الصلاة أن الشيطان يُـدخل الآفة على المصلي بـأن يقـول لـه ويوسـوس في خـاطره بـأن يقـول لـه: حسّـن صوتك؛ كي ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصـلاح، ولا يزدريـك ولا يغتابـك، فعند هذا تخشع جوارحه وتسكن أطرافه وتحسن صلاته، فهذه آفة عظيمــة ينبغي التحرز منها.

الدرجة الثانيـة: أن يكـون السـالك لطريـق الإخلاص قـد فهم هـذه الآفة، وأخذ منها حذره، فصار لا يطيـع الشـيطان فيهـا ولا يلتفت، ويسـتمر على صـلاته، لكنه يأتيه من طريق أخرى، فيقول: أنت متبوع، ومقتدى بك، ومنظور إليـك، ومـا تفعله، فهو يؤثر عنك، ويتأسى بك غيرك، فيكون لك ثـواب أعمـالهم إن أحسـنت، وعليـك الـوزر إن أسـأت، فأحسـن صـلاتك بين يديـه، فعسـاه أن يقتـدى بـك في الخشوع وتحسين العبادة، فما هذا حاله من الرياء لكنه يغمض ويدق ، وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأول، وهو عين الرياء ويبطل الإخلاص.

الدرجة الثالثة: وهي أدق مما قبلهـا، وصـورتها، أن يحـزن الإنسـان نفسـه في ذلـك ويتنبـه على كيـد الشـيطان، ويعلم في نفسـه أن مخالفتـه بين الخلـوة والمشـــاهدة محض الريـــاء، ويعلم أن صـــلاته إذا كـــانت مســـتوية في الخلـــوة والمشاهدة فهو عين الإخلاص، ويستحيي من ربه، ومن نفسه أن يكـون متخشـعًا لمشاهدة الخلق تخشعًا زائدًا على عادته، فهذا أيضًـا من الريـاء الغـامض فيحـترز

منه.

الدرجة الرابعة: وهي أدق وأخفى، وصـورتها، أن ينظـر إليـه النـاس، وهـو في صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له: اخشع من أجلهم، فإنه قد عرف أنــه متفطن له، فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله وجلاله، ومن أنت واقف بين يديه، وأستحيي من أن ينظر الله إلى قلبك وهـو غافـل عنه، فيحضـر لـذلك قلبه، وتخشع جوارحه، ويظن أن ذلـك عين الإخلاص، وهـو عين المكـر والخديعـة، فـإن خشوعه لو كان لأجل نظره إلى الجلال والعظمة لاستوى حاله في الخلوة والملأ، فهـذه كلّهـا يتطـرق إليهـا الريـاء، وتتفـاوت درجتهـا كمـا أشـرنا إليـه، فيجب على السالك إحراز نفسه عنها؛ ليحصل له الإخلاص عند الله.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنه من خاف البيات أدلج**» أراد بــ «**البيـات**» الـذي لا يـؤمن وقوعـه من الجـواري الفظيعة، والموبقـات العظيمـة كالقتل، والموت، واجتياح الأموال، فإنه ما من عاقل إلا وجواز هجومها عليه مقرر في عقله، ولا شكّ أن مصيبة الإنسان في عذاب الأبـد ونكـال السـرمد أعظم من مصيبة البيات في قتله وسلب ماله وروعه، وأهل العقول والحزم إذا خافوا البيات ممّن يخاف جانبـه سـروا ليلهم، ولم ينـاموا على الخـوف، ويـذمون من غفـل عن ذلـك، والمخـوف هين كمـا تـرى، فمـا حـال من خـاف الأمـور العظيمـة والأهـول الجسيمة، ثم تأخر عن الاستعداد فاللوم له أكثر والغفلة له ألزم.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ومن أدلج في المسير وصل**» إشارة منه عليه السلام إلى أن الحازم لا ينام على الخوف، وأنه ينال بإدلاجه فرحتين:

الفرحة الأولى: السلامة من شرّ خوف البيات المخوف.

الفرحة الثانية: الفوز بوصول الأهل والمال؛ لأنه لا أحد إلا ولـه في الجنـة

أهل ومال، فإن لم يعمل عملاً يستحق به ذلك الأهل والمال فإنـه يرثـه العـاملون له، ويحرمه الغافلون عنه .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم «**وإنما تعرفون عواقب أعمـالكم لـو قد طويت صحائف آجالكم**» أراد صلى الله عليه وآله وسلم بعواقب الأعمـال الجزاء عليها، وهو لا يكون إلا بعد انقطاع التكليف بالموت، إما بالقتـل أو بـالموت حتف أنفه، فالموت أجل، والقتل أجل، والعمل أجل، فإن كان العمـل خـيرًا اسـترَّ به سرورًا لا غمّ بعده أبدًا، وإن كان شرًّا اغتم به غمًا لا سرور بعده أبدًا، والتفكـر في هذا يقطع الأنفاس، ويكثر الغمّ، ويجلب الوسواس.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أيُّها الناس إن نية المؤمن خـير من عمله، ونيـــة الفاســـق شرّ من عمله**»، واعلم أن **النية**: هي الإرادة، لكن العبارات تختلف[1] بالإضافة إلى الأفعال ، فما كان منها متقـدمًا على الفعـل فهـو عزم، وما كان منها مقارنًا فهو القصد، وما كان منها يراد به العبادة فهو نية، فـإذا عرفت هذا، فلنذكر حقيقة الإرادة، وبيان فضلها، وبيان تفضيل الأعمـال المتعلقـة بها، وبيان كون النية جزءً من العمل، فهـذه مقامـات أربعـة نفصـلها بمعونـة اللـه تعالى:

المقام الأول: في بيان حقيقة النية

وهي صـفة للقلب، وعبـارة عن ميلـه وكـل حركـة أو سـكون أو غيرهمـا من سائر الأعمال، فإنه لا تتم إلا بأمور ثلاثة: **قدرة**، و**علم**، و**إرادة**.

فالقدرة، تـراد لتحصـيل الأعمـال وإيجادهـا، **والعلم**، يـراد لإحكـام الفعـل المراد، **والإرادة**، تـراد للبعث على الفعـل وتحريـك الداعية، وهـل تكـون زائـدة على الداعية أم لا؟

---

[1] (?) في (د،ك،م) زيادة:عليها.

فيه تردد بين المتكلمين، فمنهم من زعم أنها جنس زائـد على العلم، والظن والاعتقاد، والمختار إن الإرادة هي نفس الداعية على الفعـل من غـير زيـادة على ذلك، فهي الباعثة للقدرة على تحصيل الفعل، لكن قد يكون إيجـاد الفعـل ببـاعث واحد، وقد يكون بباعثين، كل واحد منهمـا مسـتقل، وقـد يكـون كـل واحـد منهمـا قاصرًا عن الانفراد، لكن حصل التأثير بالاجتماع، وقد يكون كل واحد منهمـا كافيًـا لو انفرد بنفسه[1]، لكن الآخر ينتهض عاضدًا ومعينًا، فهـذه وجـوه أربعـة في بعض الإرادة على الفعل.

الوجه الأول: أن يكون الفعل الواحد حاصلاً بباعث واحد، ويتجـرد، كمـا إذا هجم السبّع على إنسان، فإنه إذا رآه فإنه يهرب عن موضـعه، ولا بـاعث لـه على الهرب إلا السبع لا غـير، فهـذه الإرادة خالصـة، ويسـمى الفعـل بموجبهـا إخلاصًـا بالإضافة إلى الغرض الباعث، ومعناه أنها خلت[2] عن مشاركة غيرها وممازجته.

الوجه الثاني: أن يجتمع باعثان، كل واحد منهما مستقل بالانتهـاض للفعـل لو انفرد، ومثاله: أن يتعاون رجلان على حمل شيء ثقيل بمقدار من القوة، وكـل واحد منهما كان قادرًا على إقلاله من الإرض لو انفرد، ونحو أن يسألك رجل فقير حاجة فتقضيها لفقره ولقرابته، وعلم من حاله أنه كان يقضيها لأيّ الأمرين انفــرد حتى لو كان له قريب غني لأعطاه، ولو كـان هنـاك[3] فقـير غـير قـريب لأعطـاه، فعلم من ذلك استقلال كل واحد منهما بتحريك الداعية للإعطاء.

الوجه الثالث: وهـو أن لا يسـتقل كـل واحـد منهمـا لـو انفـرد، لكن قـوي مجموعهما على تحريك الداعية، وتأثير القدرة في الفعل، ومثاله: ما ذكرناه، وهـو أن يتعاون قادران على حمل شيء ثقيل من الأرض ضعيفان، وكل واحد منهما لو

---

[1])) في (م) لولا الآخر.
[2])) في (د،ك،م) خلصت.
[3])) في (د) سقط: هناك.

استقل بالحمل لم يقدر على إقلاله، فإذا اجتمعا حصل الإقلال، ونحو أن يسأله فقير فلا يعطيه، ويسأله قريبه فلا يعطيه على الانفراد في كل واحد منهما، فإذا اجتمع من هو قريب وفقير فأعطاه فإنا نعلم أن الداعية إنما انبعثت على تحصيل الفعل بمجموعهما لا محالة، وهذا ظاهر لا مرية فيه.

الوجه الرابع: وهو أن يكون أحد الباعثين مستقلاً لو انفرد بنفسه، والثاني لا يستقل، ولكن لما انضاف إليه لم ينفك عن تأثير بالإعانة والتسهيل، ومثاله: أن يكون للرجل وظائف في الصلاة في المسجد، وعادة في الصدقات، فاتفق إن حضر جماعة من الناس يفعلون ذلك الفعل، فكانت الصلاة والصدقة أخفّ عليه؛ بسبب مشاهدتهم، فقد كان يفعل لا محالة، لكنه مع فعلهم يكون الفعل أسهل عليه، فلهذا كان لمشاهدتهم حظّ التقوية والتيسير لا غير، فهذا ما أردنا ذكره في ماهية الإرادة، وكيفية بعثها على الفعل لتحصل بالقدرة والعلم جميعًا.

المقام الثاني: في بيان فضلها

وهذا كقوله تعالى: [illegible][1]، والمراد به النية والإرادة معناهما واحد، كما مرّ بيانه، وقال تعالى: [illegible][2]، وقال تعالى: [illegible][3]، وقال: [illegible][4]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرة إلى دنيا

---

1 (?) سورة الكهف من الآية 28.
2 (?) سورة البقرة من الآية 185.
3 (?) سورة النساء من الآية 26.
4 (?) سورة الأنعام من الآية 125.

يصيبها، أوامرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»[1]، وقال عليه السلام: «أكـثر شهداء أمتي أصحاب الفرش، فربّ قتيل بين الصـفين اللـه أعلم بنيتـه»[2]، وقـال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أمـوالكم، وإنمـا ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[3]، وإنما نظر إلى القلوب؛ لأنها محل النية ومظنتها.

وفي حديث آخر: لما خرج رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- إلى غزاة تبوك قال: «إن بالمدينة أقوامًا ما قطعنا واديًا، ولا وطئنا موطئًا يغيظ الكفــار، ولا أنفقنا نفقة، ولا أصابتنا مخمصة إلا شاركونا في ذلك وهم بالمدينة»، قـالوا: كيف- يا رسول الله- وليسوا معنا؟ فقال: «حبسـهم العـذر فشـاركونا بحسـن النيـة»[4]، وفي حديث ابن مسـعود[5]: من هـاجر يبتغي شـيئًا فهـو لـه، فهـاجر رجل، فـتزوج امرأة منـا، فكـان يسـمى مهـاجر أم قيس[6]، وفي حـديث عبـادة[7] عن الرسـول- صلى الله عليه وآله وسلم-: «من غزا وهو لا ينوي إلا عقالاً فله ما نوى»[8].

وقال صلى الله عليه وآله وسـلم: «إذا التقى الصـفان نـزلت الملائكـة تكتب الخلق على مراتبهم: فلان قاتل على الدنيا، فلان يقاتل حمية، فلان يقاتل عصبية، ألا فلا تقولوا: قتل فلان في سبيل الله، فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو

---

1 (?) صحيح مسلم، 3/1515. سنن أبي داود، 2/ 262.

2 (?) مسند أحمد ، 1/ 397.

3 (?)نفسه، 2/ 284. صحيح مسلم، 4/1986.

4 (?)مسند أحمد، 3/ 103. صحيح البخاري، 4/ 1610. بلفظ: «إن بالمدينة أقوامًا ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا إلا كانوا معكم». قالوا:- يا رسول الله- وهم بالمدينـة. قـال: «وهم بالمدينة حبسهم العذر».

5 (?) وهو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي صحابي من السـابقين إلى الإسـلام، وأول من جهر بالقرآن بمكة توفي سنة 32هـ. ينظـر: الإصـابة، 4/ـ 233، 234. الأعلام للـزركلي، 4/ 137 .

6 (?) المعجم الكبير، 9/ 103 .

7)) وهو عبادة بن الصامت بن قيس الخزرجي الأنصاري السلمي، شـهد العقبة الأولى والثانية والثالثـة، شـهد بـدرًا، والمشـاهد كلهـا، ثم وجهه عمـر- رضي الله عنـه- إلى الشـام قاضـيًا ومعلمًا، فأقام بحمص، ثم انتقل إلى فلسطين، وتوفي بها، ودفن بالقدس سنة 34هـ. ينظر: الاستيعاب، 2/ 807، 808.

8 (?) مسند أحمد، 5/ـ 315. بلفظ: «من غزا في سبيل الله، وهو لا ينـوي في غزاته إلا عقـالا فله ما نوى».

في سبيل الله»[1]، وعن الرسول- صلى الله عليه وآلـه وسـلم- أنـه قـال: «يبعث كل عبد على ما مات عليه»[2].

المقام الثالث: في تفضيل الأعمال المتعلقة بالنية

اعلم أن الأعمـال وإن انقسـمت إلى أقسـام كثـيرة: من قـول وفعـل وفكـر وذكر وغير ذلك ممّا لا يتصور إحصـاؤه، فهي لا تنفـك عن ثلاثـة أقسـام: طاعـات، ومعاصي، ومباحات.

القسم الأول: الطاعات

وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها، وفي تضاعف فضلها، أما أصلها**،** فهـو أن ينوي بها عبادة الله تعالى لا غـير، فـإن نـوى بهـا الريـاء صـارت معصـية، وأمـا مضاعفة الفضل، فلكثرة النيات الحسنة، فإن الطاعة الواحدة يمكن أن ينوي بهـا خيرات كثيرة، فتكون له بكل نية ثواب؛ إذ كل واحدة منها حسنة، ثم تضاعف كـل حسنة عشرة أمثالها، كما ورد به الخبر، ومثاله: القعود في المسجد فإنـه طاعـة، ويمكن أن ينوي بها نيات كثيرة حتى تصير من فضـائل أعمـال المتقين، ويبلـغ بـه درجات المقربين.

الفضيلة الأولى: أن ينوي أنه في بيت الله، وأن داخله زائـر للـه، فيقصـد به زيارة مولاه؛ رجاء لما وعد به رسوله- صلى الله عليه وآله وسـلم- حيث قـال: «من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى، وحقّ على المَزُور أن يكرم زواره»[3].

الفضيلة الثانية: أن ينتظر الصلاة بعد الصلاة، فيكـون في جملـة انتظـاره

---

1 (?) الزهـد، عبد الله بن المبـارك بن واضـح، تحقيق حـبيب الـرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، (ت)، بيروت، لبنان، وقد ورد موقوفًا على ابن مسعود، 46. أما تتمة الحديث: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل». صحيح البخاري، 1/، 58. صحيح مسلم، 3/ 1513.

2 (?) صحيح مسلم، 4/ 2206.

3 (?) المعجم الكبير، 6/ـ 253. بلفـظ: «من توضأ في بيته فأحسن الوضـوء، ثم أتى المسـجد فهو زائر الله وحق على المزور أن يكرم الزائر».

مصليًّا؛ لما روي عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «لا يزال العبد في الصلاة ما دام ينتظر الصلاة»[1].

الفضـيلة الثالثـة: الـترهب بكفّ السـمع والبصـر وسـائر الأعضـاء عن الحركات وسائر الترددات، فإن الاعتكاف كفّ، وهو في معنى الصـوم، وهـو نـوع ترهب، ولهذا قال عليه السلام: «الاعتكاف رهبانية أمتي»[2].

الفضيلة الرابعة: عكوف الهمّ على الله، ولزوم الفكر[3] في الآخرة، ودفـع الشواغل الصارفة عنه، وذلك كله حاصل بالاعتزال في المسجد.

الفضيلة الخامسة: التجـرد لـذكر الله، والاسـتماع للأذكـار، كمـا ورد عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «من راح أو غدا إلى المسجد يذكر الله كان كالمجاهد في سبيل الله»[4].

الفضيلة السادسة: أن يقصـد إفـادة علم، أو أمـرًا بمعـروف، أو نهيًـا عن منكر؛ إذ المسـجد لا يخلـو عمّن يسـيء صـلاته أو يتعـاطى مـا لا يحـل لـه فعلـه، فيأمره بالمعروف، ويرشده إلى الدِّين، فيكون شريكًا معه في خيره.

الفضيلة السابعة: أن يسـتفيد أخًـا في اللـه، فإنـه غنيمـة وذخـيرة للـدار الآخرة، فالمسجد عشّ لأهل الدِّين القائمين بأمر الله.

الفضيلة الثامنة: أن يترك الذنوب حيـاء من اللـه، وتجنبًـا من أن يتعـاطى في بيت الله ما يقتضي هتـك الحرمة، وقـد قـال الحسـن بن علي[5]- رضـي اللـه

---

1 (?) مسند أحمد، 2/ 528.

2 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 371. بلفظ: «رهبانية أمتي القعود في المساجد».

3)) في (د،م) المسجد. {وهو غير مناسب}.

4 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 371.

5 (?) وهو الحسن بن علي بن أبي طالب، ريحانة رسول اللـه- صـلى الله عليه وآله وسـلم- ، وابن بنته فاطمة الزهـراء، ولد بالمدينة سـنة ثلاث من الهجـرة، له صـحبة ورواية عن جـده وأبيه، كان يشبه النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- عابـد، زاهـد، عـالم، فاضـل، فصـيح، حج خمسًا وعشرين مرة ماشيًّا، توفي مسمومًا سنة 49هـ، بالمدينـة. ينظـر: الـوافي بالوفيـات، 12/ 67، 68.

عنه-: من أدام الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع خصال: أخًا مستفادًا في الله، أو رحمة مستنزلة، أو علمًا مستطرفًا، أو كلمة تدله على هدى أو تصرفه عن ردى، أو يترك الذنوب خشية أو حياء[1]، فهذه طريقة تكثير النيات.

القسم الثاني: في المباحات

وما من شيء من المباحات إلا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات، وينال بها معالي الدرجات، فما أعظم حسرات من يغفل عنها، ويتغافل تغافل البهائم المهملة عن سهو وغفلة، ولا ينبغي أن يستحقر الإنسان الخطرات واللحظات والخطوات، فكل ذلك مسؤول عنه يوم القيامة، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم : «حلالها حساب وحرامها عقاب»[2]، وفي حديث معاذ بن جبل -رضي الله عنه- عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- : «إن العبد ليسأل عن كلّ شيء حتى عن كحل عينيه، وعن فتات الطينة بإصبعه، وعن لمسه ثوب أخيه»[3]، وفي حديث: «من تطيب لله جاء يوم القيامة، وريحه أطيب من المسك، ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة، وريحه أنتن من الجيفة»[4].

القسم الثالث: المعاصي

وهي لا تتغير موضوعها بالنية، فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «الأعمال بالنيات»، ويظن أن المعصية تنقلب طاعة بالنية، كالذي يغتاب إنسانًا تطييبًا لخاطر آخر، أو يطعم فقيرًا من مال غيره، أو يبني مدرسة أو مسجدًا أو رباطًا بمال حرام، ويقصد به الخير، فهذا كله جهل، والنية لا

1 (?) مسند البزار، 4/ـ 173. بلفظ: «من أدام الاختلاف إلى المسجد أصابه آية محكمة، أو رحمة منتظرة، أو علمًا مستطرفًا، أو كلمة تزيده هدى أو ترده عن ردى أو يدع الذنوب خشية أو حياء».

2 (?) تيسير المطالب، 505.

3 ((? تفسير القرآن العظيم، أبو حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان،(ت) 9/ 3040.

4 (?) مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط2، عام 1403هـ، بيروت، لبنان، 4/ 319.

تؤثر في إخراجها عن كونها ظلمًا وعدوانًا، ومعصية بل قصــده الخـير، على خلاف ما يقتضي الشرع شرّ آخر، ولهذا قال بعضهم: ما عصي اللـه بـأعظم من الجهـل. قيل له: فهل تعرف شيئًا أشدّ من الجهل؟ قال: الجهل بالجهل، وهكذا فإن أفضل ما أطيع الله به العلم، ورأس العلم هو العلم بالعلم، كمـا أن رأس الجهـل الجهـل بالجهل، وقد قال صلى الله عليـه وآلـه وسـلم: «لا يعـذر الجاهـل عن الجهـل، ولا يحلّ للجاهل أن يسكت على جهله، ولا يحلّ للعالم أن يسكت عن علمه»[1]، فهذا ما أردنا ذكره في كيفية تعلق النية بالأعمال.

المقام الرابع: في بيان قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «نية المؤمن خير من عمله»، و«نية الفاسق شرّ من عمله».

اعلم أن ظاهر هـذا الخـبر قـد ورد ، وظـاهره يقتضـي بالأفضـلية والـترجيح، ويحتمل غيره، وفيه احتمالات خمسة:

الأول: على الأفضلية، ويكـون معنـاه أن النيـة لمـا كـانت لا يطلـع عليهـا إلا الله، فالعمل[2] ظاهر، ولعمـل السرّ فضـل على عمـل العلانيـة، وهكـذا حـال نيـة الفاسق فإنها شرّ من عمله، فإنه لما جاهر الله تعـالى بهـا وهـو المطلـع عليهـا لا يطلع عليها أحد سواه فلا جرم ازداد الشرّ بها؛ لعدم المراقبة لله تعالى في قلبه.

الاحتمـال الثـاني: أن يكـون مـراده أن النيـة بمجردهـا خـير من العمـل بمجرده دون النية؛ لأن النية يستحق عليها الثواب بمجردها، والعمل إذا تجــرد عن النية فلا خير فيه، ويؤيده قوله صلى الله عليه وآله وسـلم: «لا عمـل إلا بنيـة»[3]، و«إنما الأعمال بالنيات»[4]، وهكذا حال الفاسق فإنـه يسـتحق على نيتـه العقـاب،

---

[1] (?) المعجم الأوسـط، 5/ـ 298. بلفـظ: «لا ينبغي للعـالم أن يسـكت على علمـه، ولا ينبغي للجاهل أن يسكت على جهله».

[2] (?) في (د،ك،) الواو بدلاً عن الفاء.

[3] (?) سنن البيهقي الكبرى، 1/ 41. بلفظ: «لا عمل لمن لا نية له».

[4])) صحيح مسلم، 3/ 1515.

وعمله إذا تجرد عن النية، وكان صادرًا على جهة الغفلة والذهول فإنـه لا يسـتحق عليه عقابًا.

الاحتمـال الثـالث: أن لا يكـون الحـديث واردًا على جهـة بيـان الأفضـلية، ولكن الغرض أن نية المؤمن خير، وهي من جملة أفعال الخير، ونية الفاسق شرّ، وهي من جملة أفعـال الشرّ الـتي يكتسـبها، فعلى التـأويلين الأولين يكـون الجـار والمجرور متعلقين **بخير وشرّ** على جهة الأفضلية، وعلى التأويل الثالث: يكونـان متعلقين بمحذوف، كأنه قال: نية المؤمن خير، وهي من عمله، ونية الفاسق شرّ، وهي من عمله، وهذا هو الذي يشير إليه المنصور بالله- عليه السلام- في شـرحه لهذا الحديث[1]، وهو قوي لا غبار عليه، خلا[2]أنه يبطل المفاضلة التي هي معلومـة من ظاهر الحديث.

الاحتمال الرابع: زعم بعضهم أن مراده عليه السـلام بكـون النيـة أفضـل من العمـل من جهـة أن النيـة تـدوم إلى آخـر العمـل في الخـير والشرّ من جهـة المؤمن والفاسق، والعمل لا يدوم، وهذا ضعيف، فإن النية لا تدوم، كما أن العمل لا يدوم، وأيضًـا فـإن حاصـل هـذا الاحتمـال راجـع إلى أن العمـل الكثـير خـير من العمل القليل.

الاحتمال الخامس: وهو المختار عندنا، وحاصله: أن يقـال: إن كـل طاعـة تنتظم من نيـة وعمـل، فـإن النيـة تكـون من جملـة الخـيرات، وتكـون من جملـة الطاعات أيضًا، ولكن النية من جملة الطاعة خير من العمل، أيْ لكل واحد منهمـا أثر في المقصود، وأثر النيـة أكـثر من أثـر العمـل، فعلى هـذا يكـون المعـنى نيـة المؤمن من جملة طاعته خير من عمله الذي هـو من جملـة طاعته، والغـرض أن

---

1 (?) ينظر: حديقة الحكمة النبوية، 76، 77.

2)) في (ك) حتى بدلاً عن خلا.

للعبد اختيارًا في النية وفي العمل، وهما عملان من الجملة خيرهما، وهكذا الحـال في الفاسق، فإن كل معصية تنتظم من نية وعمل والنية من جملة المعاصي، كما أن العمل من جملة المعاصي، ولكن النية من جملة المعصية شرّ من العمــل، أي لكل واحد منهما أثر في المقصود، وأثر النية أكثر من أثر العمل إلى تمام التقريـر الذي لخصناه في نية المؤمن، وهذا مـا أردنـا ذكـره في النية، وبتمامـه يتم الكلام على بيان مقاصـده صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم، وقـد طـال التقريـر فيـه بعض الإطالة، وما ذاك إلا لأجل ما تضمنه الحديث من هذه الأسرار والرمـوز، واشـتمل عليه من بثّ المعاني، وإظهار الكنوز، والله أعلم بالصواب.

النظر الرابع: في بيان ما اشـتمل عليه من اللطـائف البيانية

واعلم أن هذا الحديث قد اشتمل على استعارات رشيقة ومجازات حسنة:

الاسـتعارة الأولى: قولـه: «**لا يكتب في المسـلمين**» ليس الغـرض الكتابة في القرطاس، وإنما الغرض أنه لا يكون من جملة المسلمين، سـواء كتب أو لم يكتب.

الاستعارة الثانية: قوله: «**حتى يسلم الناس من يده ولسانه**»، فإن اليد واللسان لا يضران، وإنما تضرّ الجملة بإضافة السلامة إلى هـاتين الجـارحتين جارية على جهة المجاز كما ترى، كما يقال: يداك أوكتا وفوك نفخ[1].

الاستعارة الثالثة: قوله: «**ولا ينال درجة المؤمنين**» ليس هنـاك نيـل ولا درجة محققة، وإنما الغرض الاتصاف بصفة الإيمان.

الاستعارة الرابعة: قوله: «من خـاف البيـات أدلج، ومن أدلج في المسير وصل» استعارة لأخذ الحزم والأهبة، ولها توجيهان:

التوجيه الأول: أن يكون المقصود منها أن كل من خاف محذورًا فإنه يجـد في الهرب منه، ويسرع حتى يأمن من خوفـه ويصـل إلى مأمنـه فيسـكن خوفـه، وهذا هو الذي أشار إليه المنصور بالله- عليه السلام- في تقرير الاستعارة[2].

التوجيه الثاني: أن يكون المـراد أن كـل من خـاف أن يحجـزه الليـل عن بلوغ مقصوده فإنه يدلج في البكرة، فإن كـل من أدلج في أول النهـار فإنـه يصـل إلى المقصود، ولا يحول الليل بينه وبين غرضه، وكلا التـوجيهين لا غبـار عليـه، خلا أن قوله: «**ومن أدلج في المسير وصل**» يريد[3] المعنى الثاني.

---

1 (?) مجمع الأمثـال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميـداني النيسـابوري، تحقيق محمد محـيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان،(ت)، 2/ 320.

2 (?) ينظر: حديقة الحكمة النبوية، 75، 76.

3 (?) في (د) يؤيد.

الاستعارة الخامسة: «**لو قد طويت صحائف آجالكم**»، فإن المقصود هو انقطاع التكليف بالموت، سواء كان هناك صحيفة أو لم يكن، فقد عرفت ما تضمنه من مجازات الاستعارة.

النظر الخامس: في بيان ما اشتمل عليه من علوم البديع

وقد اشتمل على أصناف أربعة:

الصنف الأول: الاشتقاق

كقوله: «**لا يكتب في المسلمين حتى يسلم الناس**»، فقوله: في المسلمين، ويسلم من باب الاشتقاق، كقوله تعالى: [illegible][1].

الصنف الثاني: التسجيع

في قوله: «**بوائقه**»، و«**بوادره**»، فإنهما مستويان في الوزن، وهو سجع لا محالة.

الصنف الثالث: التجنيس

في قوله: «**ما لا بأس به حذار ما به البأس**»، وقوله: «**من عمله**» في حقّ المؤمن، و«**من عمله**» في حقّ الفاسق، فإنه جناس كما ترى.

الصنف الرابع: الطباق

وهذا كقوله: «**خير**»، و«**شرّ**»، وقوله: «**المؤمن**»، و«**الفاسق**»، فإن ما هذا حاله معدود في الطباق؛ لأن حاصل الطباق: ذكر النقيضين والضدين، كما مرّ بيانه.

---

[1] (?) سورة الروم من الآية 43.

الحديث الثامن

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيّـه وَآلِـهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنِ انْقَطَعَ إِلَى اللهِ كَفَاهُ اللهُ كُـلَّ مُؤْنَـةٍ فِيهَـا، وَمَنِ انْقَطَـعَ إِلَى الدُّنْيَا وَكَلَهُ اللهُ إِلَيْهَا، وَمَنْ حَاوَلَ أَمْراً بِمَعْصِيَة اللهِ كَانَ أَبْعَـدَ لَـهُ مِمَّا رَجَا، وَأَقْرَبَ لَهُ مِمَّا اتَّقَى، وَمَنْ طَلَبَ مَحَامِدَ النَّاسِ بِمَعَاصِي اللهِ عَـادَ حَامِـدُهُ ذَامًّا، وَمَنْ أَرْضَـى النَّاسَ بِسَـخَطِ اللـهِ وَكَلَـهُ اللـهُ إِلَيْهِمْ، وَمَنْ أَرْضَى اللهَ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَـاهُ اللَّهُ شَـرَّهُمْ، وَمَنْ أَحْسَـنَ فِيمَـا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، وَمَنْ أَحْسَنَ سَــرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ عَلاَنِيَّتَهُ، وَمَنْ عَمِلَ لآخِرَتِهِ كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ**»[1].

فنقول: الحمد لله المحسن الـذي قصّ أجنحـة عقـول أوليائـه المتقين عن التعلق بسواه، وقصر طوائش مرامي سهام خـواطرهم عن التطلـع إلى الاهتـداء بغير هداه، وقطع مـواد قلـوبهم عن التعلـق بغـيره، وأوقعهم على خوفـه وتقـواه، حتى لا مطمع لهم في المخالفة فيما قسم لهم ممّا أعطـاهم من فضـله وقضـاه، فهو القائم على كل نفس بما كسـبت، والـرقيب على كـل جارحـة بمـا اجـترحت، والمطلع على ضمائر القلوب إذا هجسـت، والمحاسـب لكـل نفس بمـا أحضـرت، ويعلم ما قدمت وما أخرت.

فسبحان من عمّت نعمته كافة[2] العباد، وشملت واستغرقت رحمته الخلائـق وغمرت، فمن أجلّ نفحات جوده اتسعت القلوب للإيمان، وانشـرحت، وبجـوده[3] تقيدت الجوارح بالطاعـات وتـأدبت، وبحسـن هدايتـه تجلّت عن القلـوب ظلمـات

---

[1] (?) الأربعون حديثًا السيلقية.21.

[2] (?) في (د،ك،م) كل.

[3] (?) في (ك،م) ومنّه وبتوفيقه.

الجهل وانقشعت، وبتأييده ونصره انقطعت مكائد الشيطان واندفعت.

والصلاة على المبعـوث بجوامـع الخـيرات، والـدافع ببرهانـه جيش الأضـاليل والشبهات، وعلى آله الطيبين أفضل الصلوات القامعين بهـديهم رؤوس شـياطين الضلالات، واعلم أن هذا الحديث قد اشتمل على النظر في أمور خمسـة نفصـلها بمعونة الله.

النظر الأول: في بيـان ما اشـتمل عليه من الألفـاظ اللغوية

فالانقطاع: (انفعال) من القطع، وهو صرم الرجاء والأمل، و**الكفاية:** هـو دفع كل مخوف، و**المؤنة:** هي الثقل والكلفة، و**الاتكال:** هـو تفـويض الأمـر إلى الغـير، و**المحاولة**[1]: (مفاعلة)، وهي نـوع من المعالجة، وإعمـال الحيلـة في تحصيل الأغراض، و**المعصية:** نقيض الطاعة، و**البعد:** نقيض القـرب، **والرجاء:** هو الأمل، و**الاتقاء:** محاذرة وقـوع المكـروه، و**الطلب:** هـو التمـاس الأمـر بمـا يمكن تحصـيله، و**المحامـد:** مـا يحمـد عليـه الإنسـان، و**الـذم:** هـو النقص، **والإرضـاء:** نقيض الإسـخاط، وهمـا عبارتـان عمّـا يلائم النفـوس وتكرهها، **والإحسان:** نقيض الإساءة، و**السريرة:** باطنة الإنسان ودخيلة قلبه، و**العلانية**: هي الحالـة الظـاهرة من ابن آدم، و**العمل:** مـا يتعاطـاه الإنسـان ويشـغل[2] بـه حواسه وجوارحه، و**الدنيا:** ما نحن فيه**،** و**الآخرة**: ما بعد الموت.

النظر الثـاني: في بيـان ما اشـتمل عليه من ا لعلـوم الإعرابية

«**من**» هاهنا شرطية في موضع رفع على الابتداء، والخبر جوابها؛ لأن به تتم

---

1)) في (د) المحاول. {وهو غير مناسب}.

2 (?) في (د) يشتغل .

الفائدة، ويحتمل أن تكون موصولة، لكن الأجود كونها[1] شـرطية؛ لأنهـا لـو كـانت موصولة لزم في خبرها (الفاء)، كقولك: الذي يأتيني فله درهم، و«**كلّ**» منصوب على المفعولية لـ «**كفاه**»، وانجرار «**مؤنة**» بالإضافة لمـا قبلهـا إليها، و«**إلى**» متعلق بما قبله تعلق المفاعيل.

«**ومن انقطع إلى الدنيا**» جملة شرطية أيضًا مثل الأولى، والضـمير في قوله: «**فيها**» راجع إلى «**الدنيا**»، وهكـذا قولـه: «**إليها**» راجـع إلى «**الـدنيا**» أيضًا.

«**ومن حاول**» «**من**» شرطية أيضًا. «**الباء**» في قوله: «**بمعصـية الله**» يحتمل أن تكون للحال، أيْ: عاصيًا لله، كما يقال: دخـل عليـه بثيـاب السـفر، أيْ: مصاحبًا، ويحتمل أن تكـون للآلـة، كمـا تقـول: نجـرت بالقـدوم[2]، وكتبت بـالقلم، الضـمير في «**كان**» راجـع إلى «**الأمر**»، أيْ: كـان ذلـك الأمر، و«**أبعد**» خبرهـا منصـوب، «**وأقـرب**» عطـف عليـه بالنصب، و«**مِن**» متعلقـة بـ «**أقـرب**»، و«**أبعد**»، وجـاز على جهـة الاتسـاع من جهـة أن أفعـل التفضـيل لا تعمـل إلا في الجار والمجرور، ومعنى «**من**» ابتداء الغاية في كل أفعل للتفضيل.

«**ومن طلب**» جملة شرطية أيضًا، و«**المحامد**» جمع محمدة، وهو قياس، أعني (مفاعل)؛ لـ (مفعلـة) في التكسـير، و«**عاد**» من أخـوات (كـان) في رفـع الاسم ونصب الخبر بعدها، وهـو بمعـنى: رجـع. «**ومن أرضى**» جملـة شـرطية، والضمير في «**وكله**» منصوب على المفعولية راجع إلى «**من**» على لفظهـا في الإفـراد، والضـمير في «**كفـاه**» راجـع إليهـا أيضًـا، و«**الشرّ**» منصـوب على المفعولية لـ «**كفى**»، و«**بين**» منصوب على الظرفية في المكان، ولا يسـتعمل

---

1 (?) في (د) أن تكون.

2)) القدُّوم: التي ينحت بها. ينظر: لسان العرب، مادة (قدم).

إلا بين اثنين، **إما** حقيقة، **وإما** مجـازًا، و«**اللام**» في قولـه: «**لآخرته**» «**اللام**» هاهنا للتعليل، كقولك: جئتك للدرهم والدينار.

قولـه: «**أصلح**»، و«**أحسن**» فعلان منقـولان بـالهمزة للتعديـة من: حسـن وصلح اللازمين. «**ما**» في قوله:«**فيما بينه، وبين الله**»، و«**فيما بينه وبين الناس**» موصولة بـالظرف بعـدها، وهـو الظـاهر منهـا، ويحتمـل أن يكـون نكـرة موصوفة بالظرف بعـدها، كأنـه قـال: في شـيء بينـه وبين الله، وفي شـيء بينه، وبين الناس.

النظر الثـالث: في بيـان ما اشـتمل عليه من العلـوم المعنوية

وفيه مقصدان:

المقصد الأول: في بيان ما تضمنه من علوم المعاني

فمن **الإبهام**، قوله صلى الله عليه وآله وسـلم في هـذه الجمـل المترادفـة المصدرة بـ «**من**»، فإنها واردة على جهة الإبهام، وله موقع حسن يعرفه من لـه أدنى ذوق، ومن **الشمول**، قوله: «**كفاه اللـه كـل مؤنة**»، ويـرد في الإيجـاب والنفي، فإذا قلت: جاءني كل القوم، كان مفيدًا للإحاطة والشـمول، وإذا ورد في النفي كان حسنًا، فإذا قلت**:** ما جاءني كل القوم، وجاءك بعضهم، كـان متناقضًـا، وإذا قلت: ما كل القوم جاءني، وجـاءك بعضـهم لم يكن متناقضًـا، ومن **الفصل**، قوله: و«من انقطع إلى الله كفاه الله»؛ لأنـه وارد من غـير (واو)، ومن **الوصل**، قوله: «**ومن انقطع إلى الدنيا**...» إلى آخر الجمل الشرطية، فإنها واردة مـع «**الواو**»، وهو وصل بين هذه الجمل المترادفة.

المقصد الثاني: في بيان مراده صلى الله عليه وآله وسلم من كلامه

فقوله: «**من انقطع إلى الله كفـاه اللـه كـل مؤنـة فيها**»، وأراد أن

كل من ألقى أمره إلى الله، وعظم رجاؤه فيه، وكـانت وسـائله متعلقـة به؛ فإنـه يكفيه جميع مؤن الدنيا ومشاقها، وذلك يكون بأمرين: **إما** بـالتمكين من المنـافع, **وإما** بدفع المكاره عنه كلّها، وعند ذلك لا يبقى على العبـد مشـقة، ويكـون فرحًـا مسرورًا جذلاً محبورًا، فإن كل مأمول سواه ربّما خاب فيه الأمل، إما لعجـزه عن إعطاء المأمول، وإما لبخله به، أو توهم الحاجـة إليـه إلى غـير ذلـك من صـوارف العاجزين، وهـو عزّ سـلطانه بخلاف ذلـك كلّـه، فإنـه الغـني الـذي تسـتحيل عليـه الحاجة، والقاهر الذي لا يعجزه شيء، والجواد الذي لا يفرّ ملكه المنع، ولا ينقصـه الإعطاء، وهو على ما يشاء قدير.

وفي الحديث عنه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم أنـه قـال: «يقـول الله- عزّ وجلّ-: لو أن أولكم وآخركم، وحيّكم وميّتكم، وذكركم وأنثاكم، اجتمعوا فسأل كل سائل ما بلغت إليه أمنيته، وأعطى كل سائل ما سأل، ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو كان أحدكم على شفة البحـر فغمس فيـه إبـرة، ثم انتزعهـا»[1]، وفي كلام لعلي- عليه السلام- أنه قال: لو وهب ما ضحكت عنه أصـداف البحـار من سـبائك العقيان، وفلز اللجين ما نقص في ملكه شيء[2]، فهذا لعمر الله هو الجود الذي لا يساجل والاقتدار الذي لا يقابل.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ومن انقطـع إلى الـدنيا وكلـه اللـه إليها**»، ومعنى ذلك أن كل من جعل الدنيا همّه وأمله، وجعل لهـا سـعيه وعملـه، فإن الله تعالى لعظيم حكمته يكله إليها على معنى أنه لا يعطي خيرًا سواها، وقد علم العالمون قلّة بقائها وسرعة فنائها، فمن وكّل إليها فقد وكّل إلى غـير كـافٍ،

1 (?) مسند أحمد، 5/ 154. بلفظ: «ولو أن أولكم وآخركم، وحيّكم وميّتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعـوا، فسـألني كل سـائل منهم ما بلغت أمنيتـه، فـأعطيت كل سـائل منهم ما سـأل ما نقصني كما لو أن أحدكم مرّ بشفة البحر فغمس فيه إبرة، ثم انتزعها».

2 (?) نهج البلاغة، 124. بلفظ: «وضحكت عنه أصداف البحـار من فلز اللجين والعقيـان ... ما أثر ذلك في جوده». الفلز: اسم الأجسام الذائبة كالذهب والفضة، اللجين: النحـاس الأبيض، العقيان: الذهب الخالص. ينظر: شرح نهج البلاغة، 6/ 402.

وإنما وكّل إليها؛ لأنه لم يعمل للآخرة فيستحق ثوابها، وينعم بحورها وقبابها ولذاتها وبرد شرابها، فكيف يستحق ذلك، وقد جعل همّه جمع حطامها، واغتر بزخارفها، وتدنس بآثامها؟! فليس يبلغ من مطالبها نهاية، ولا يزال في كدّه وكدحه في نَصب شديد حتى ينزله به ما كان يفرّ منه ويحيد، فيندم حيث لا ناصر يمنعه، ولا عذر ينفعه، فبعدًا وسحقًا لأصحاب السعير، وكيف لا يكون كذلك وقد أخرب ما عمر الله من آخرته الباقية، وعمر ما أخرب الله من الدنيا الفانية!! ولقد كان يكفيه من الدنيا اليسير إذا تحقق الأمر ونظر بعين البصيرة، واستعمل بعقله مواد التفكير، وروي أن سعدًا[1] دخل على سلمان[2] في مرضه وهو يبكي، فقال: يا أبا عبدالله أبشر ما هذا البكاء، تقدم على رسول الله، وهو عنك راضٍ، فقال سلمان: يا سعد سمعت رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: «من سرّه أن يلحقني فليكن زاده من الدنيا كزاد الراكب»[3]، ألا ترى إلى ما جمعنا من هذه الأساود فبيع كل ما كان في بيته فبلغ ثمانية وعشرين درهمًا[4].

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ومن حاول أمرًا بمعصية الله كان أبعد له ممّا رجا، وأقرب**[5] **ممّا اتقى**» أراد أن كل من يتعاطى أمرًا، ويأتي عليه في التحصيل من جميع جهاته بالمعصية، فإنه يصل إلى خصلتين:

الخصلة الأولى: أن يكون في غاية البعد مما كان راجيًا لحصوله لا يناله أبدًا.

---

1 (?) وهو سعد بن أبي وقاص، واسم أبيه: وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف، كان سابع من أسلم، توفي سنة 55هـ، وقيل 58هـ، ودفن بالبقيع. ينظر: الاستيعاب، 2/ 606- 608.

2 (?) وهو سلمان الفارسي، أصله فارسي، كان يطلب دِّين الله فدان بالنصرانية، وقرأ الكتب، وصبر على مشقات نالته حتى أفضى إلى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وأول مشاهده الخندق، وهو من أشار بحفره، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه. ينظر: الاستيعاب ، 2/ 634- 636.

3)) سنن ابن ماجة، 2/ 1374.

4 (?) نفسه.

5)) سقط: له. {وقد ورد في متن الحديث}.

الخصلة الثانية: أن يكون في غاية القرب لما كان يخاف ويحذر لا محالــة؛ والغرض أن المعصية هي السبب في حصول الأمرين جميعًا، فلا يدرك غرضه، ولا ينال مطلوبه، وسـواء كـانت المعصـية فعلاً أو تركًـا، وبعـد الرجاء إنمـا يكـون عن ثواب الله ورضوانه، والقرب الذي يتقى إنما هو عذاب الله وسخطه.

سؤال: ترى كثيرًا يتوصل بالمعاصي فيحصل مـراده، ويتـوفر لـه مـا رجـاه، فكيف قال عليه السلام: «**كان أبعد له ممّا رجا، وأقرب ممّا اتقى**»؟

وجوابه: أن مراده عليـه السـلام هـو مـا يرجـو من ثـواب الله، ويخافـه من عقابـه، فـالغرض بـذلك منـافع الآخـرة ومضـارها دون مـا يتعلـق بمنـافع الـدنيا ومضارها.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ومن طلب محامد الناس بمعاصي الله عاد حامده منهم**[1] **ذامًّا**»، وأراد أن الأغلب فيمن يطلب محامـد النـاس الـتي هي الثناء منهم والمدح لهم بمعاصي اللـه سـبحانه، وتوصـل إلى ذلـك بمعاصـي اللـه، أن حامده منهم يكون ذامًا له في الدنيا، ويؤيد ذلـك مـا روي عنـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسلم أنه قال: «كل صداقة في غير الله فآخرها عداوة»[2]، وفي حـديث آخـر: «من أعـان ظالمًـا أغـري بـه»[3]، وقـال تعـالى: [illegible][4]، فهذا محمول على الأكثر، والأغلب، وذلك مشاهد، وأما في الآخرة فعلى العموم، ولا بدّ أن يلعن بعضـهم بعضـًا، ويتـبرأ بعضـهم من بعض، كما حكى الله تعالى: [illegible]

---

[1])) لم يرد في متن الحديث: منهم.

[2] (?) لم يقف الباحث فيما بين يديه من المصادر والمراجع على أصل لهذا الحديث.

[3] (?) تـاريخ مدينة دمشـق، علي بن الحسن الشـافعي المعـروف بـابن عسـاكر، تحقيق علي شـيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيـع، ط1، عـام 1998م، بـيروت، لبنـان، 4/ـ 34. بلفظ: «من أعان ظالمًا سلّطه الله عليه».

[4] (?) سورة المائدة من الآية 14.

﴿[illegible]﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿[illegible]﴾[3].

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ومن أرضى الناس بسخط الله وكّلـه الله إليهم**»، والمعنى: في هذا هو أن العبد إذا علم أن لا مانع لمـا أعطى اللـه ولا معطي لما منع، وأن بيده الإعطـاء والمنـع والقبض والبسـط والـردّ والقبـول والأمـر والنهي، وأنه لا مردّ لأمره ولا معقب لحكمه، ثم مع ذلك إذا وكّل أمره إلى من ليس هذه صفته كيف يقرّ ناظره، ويسلو خاطره وهو موكول إلى من لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فكيف يرضى عاقل أن يصـرف أمـره إليه، وأن يمسي ويصبح متوكلاً عليه!! كلا وحاشا.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ومن أرضى الله بسخط الناس كفـاه الله شرّهم**»، وهـذا على النقيض ممّـا قبلـه، وهـو أحقّ الأمـرين بالعاقـل المميـز، وأحمــدهما عاقبة، وأدخلهمــا في العقــل من جهــة أن الخــالق أحقّ بالإرضــاء من المخلوق والمالك من المملوك، ومن أرضى الملوك بسخط المالك فقد عكس الأمر ورمى نفسه في المهالك، ومن أرضى المالك بسخط المملـوك فقـد وضـع الشـيء في موضـعه، وقـد قـال بعض الحكمـاء: إذا خـالطت ملكًـا حازمًـا فأرضـه بسـخط الحاشية، وإذا صـحبت ملكًا أحمـق فأسـخطه برضـى حاشـيته، والحـازم هـو العـالم بوجود المنافع وأسباب المضار، الذي لايمنعه التواني عن أخذ أهبـة الاسـتعداد، فـإذا كان الله تعالى هو العالم لذاته والقادر لذاته الـذي يسـتحيل عليـه الغفلـة والنسـيان والعجز، وهو الـذي لا ينجي من غضـبه إلا رضـاه، ولا من معصـيته إلا مغفرتـه، وكـل

1 (?) سورة البقرة الآية 166.
2 (?) سورة الأعراف من الآية 38.
3 (?) سورة العنكبوت من الآية 25.

الخلق عبيده، والدار داره، فكيف يرضي العبد عبدًا مثله بسخط مولاهما؟! هـذا ممّـا لا يقبله عقل سليم، وكفاية شرهم تكون بأحد أمـرين، إمـا بصـرفهم ودفـع ضـررهم عنه كيف شاء، وعلى أيّ وجه شاء، وإما بأن يعزّه ويحميه بألطافـه الخفيّـة عن كـل مكروه تصله من جهتهم.

قوله صلى الله عليه وآله وسـلم: «**ومن أحسـن فيمـا بينه، وبين اللـه كفاه الله فيما بينه، وبين الناس**» اعلم أن الإحسـان الـذي فيمـا بينـه وبين اللـه هـو أن يعامـل اللـه تعـالى معاملـة المحسـنين في إصـلاح ظـاهره وباطنـه، وإخلاص العمــل لوجهــه، وإيثــار رضــاه على رضــا النــاس[1] نفســه، فهــؤلاء هم المحسنون حقًّا الذين لا تضيع أجورهم، ولا تحرج في موقف الحســاب صــدورهم، ويكون لهم الأمن يوم الفزع الأكبر، **وكفاية الله له فيما بينه وبين النــاس:** هو أن يصرف عنه شرّهم، إما بكفهم عنـه، وإمـا بـأن يجعـل لـه عزًّا وحمايـة من مكرهم، فإذا كان أحد الأمرين جعل الله الكفاية لا محالة.

قوله صلى الله عليه وآلـه وسـلم: «**ومن أصلح**[2] **سـريرته أصـلح اللـه علانيته**» اعلم أن صلاح السريرة هو أن يلطف به الله بالألطاف الخفية، فيطهـر قلبه من جميع القبائح المفسـدة للقلب، نحـو الغلّ، والحقـد، والحسـد، والخـداع، والمكر، وسائر الأوصاف الذميمة في القلوب التي لا يطلـع عليهـا إلا اللـه تعـالى، فإذا صلح القلب صلح سائر الأعمال، وإذا خبث القلب خبثت سائر الأعمـال، وأمـا إصلاح العلانية، فبأن يطهر الله جوارحه عن الأفعـال القبيحـة من الظلم والكـذب وسائر الأعمال الخبيثة، فإذا صلحت الأسرار والعلانية فـإن اللـه يجعـل لـه لسـان صدق في الآخرين، ويجري الله له ذكرًا حسـنًا على ألسـنة الـذاكرين، وينشـر لـه

---

1 (?) في (د،ك،م) سقط: الناس. {وهو مناسب. أما لفظه: نفسه، فلا تناسب السياق}.
2)) في متن الحديث: أحسن.

ثناء جميلاً في الغابرين.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه**» اعلم أن المراد من عمل الآخرة هو الأعمال الصالحة الخالصة لوجهه التي يلقى بها ربه، كالقادم من سفر إلى أهله جذلا مسرورًا فرحًا محبورًا قد جعل الله من خلفه نورًا ومن بين يديه نورًا، والمراد بكفاية الدنيا هو أن يخفف عنه ما بين يديه من مؤن الدنيا ويكرّه إليه قبيحها، ويحبب إليه حسنها، ويزهده في حلالها، وينفره من[1] حرامها حتى تستيريح جوارحه من همها ونكدها.

النظر الرابع: في بيان ما تضمنه من علوم البيان

وقد اشتمل على مجازات:

المجاز الأول: **الانقطاع**، فإنه استعارة ومبالغة أخذه من انقطاع الحبل، وهو أصل فيه، والانقطاع إلى الدنيا مجاز أيضًا.

المجاز الثاني: «**إلى**»، فإن الغاية[2] واردة على جهة الاستعارة.

المجاز الثالث: «**وكّله الله إليها**»، فإنه مجاز لا محالة.

المجاز الرابع: «**الباء**»، في قوله: «**بمعصية الله**»، فإن حقيقتها للإلصاق، والإلصاق هاهنا، و«**الباء**» في قوله: «**بمعاصي الله**» مجاز أيضًا.

المجاز الخامس: قوله: **البعد والقرب**، فإنهما مجازان أيضًا[3]، واستعمال **البين** هاهنا مجاز أيضًا، **وصلاح العلانية، وحسن السريرة** مجازان أيضًا، **وكفاية أمر الدنيا** مجاز أيضًا، فهذه المجازات كلّها، وقعت هاهنا أحسن موقع؛ لما تفيده من البلاغة والصلاحية وحسن السبك.

---

1 (?) في(د،ك،م)عن .

2)) في (د،ك،م) زيادة: هاهنا.

3 (?) في (د،م) زيادة: لأن الحقيقة فيهما إنما تستعمل في الجهة هاهنا والسخط والرضا مجازان أيضًا. {وهو مناسب}.

النظر الخامس: في بيان ما اشتمل عليه من علوم البديع

وقد اشتمل على أجناس ثلاثة:

الجنس الأول: الطباق

وهذا كقوله: «**أقرب ممّا اتقى**»، و«**أبعد ممّا رجا**»، ونحو قوله: «**عاد حامده منهم ذامًا**»، فإن **الحمد والذم** يكونان طباقًا، **والرضا والسخط** فإنهما طباق.

الجنس الثاني: الجناس

كقوله: «**من انقطع إلى الله**»، وقوله: «**ومن انقطع إلى الدنيا**»، فإن تكرير الانقطاع جناس.

الجنس الثالث: السجع

وهذا كقوله: «**رجا**»، و«**اتقى**»، فإنهما من التسجيع، فإن هذه الأمور تُعد من علم البديع، وهو كلام يتعلق بتحسين الكلام فيما يتعلق بالبلاغة، ومحاسن الفصاحة، هذا كلّه من غير ما تضمنه الحديث من حسن التأليف، ورشاقة الرصف، وبلاغة المعاني، وفصاحة الألفاظ، فإن هذا يُعدّ من البديع، كما أشرنا إليه، والله أعلم .

الحديث التاسع

عَنِ ابْنِ عُمَرَقَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللـهِ- صَـلَّى اللهُ عَلَيّـهِ وَآلِـهِ وَسَـلّمَ- : «**رَحِمَ اللـــهُ عَبْدًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ، أَوْ سَــكَتَ فَسَــلِمَ، إِنَّ الِّلِسَـــانَ أَمْلَــكُ شَــيْءٍ لِلإِنْسَانِ، أَلاَ وَإِنَّ كَلاَمَ الْعَبْدِ كُلَّهُ عَلَيْهِ، إِلاَّ ذِكْرًا لِلَّهِ، أَوْ أَمْرًا بِمَعْـرُوفٍ، أَوْ نَهْيًا عَنْ مُنْكَرٍ، أَوْ إِصْلاَحًا بَيْنَ مُؤْمِنِينَ»،** فَقَـالَ لَـهُ مُعَـاذُ بْنُ جَبَـلٍ:- يَـا رَسُولَ اللَّهِ- أَنُؤاخَذُ بِمَا نَتَكَلَّمُ بَهِ؟ فَقَالَ: «**وَهَـلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَـاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ، فَمَنْ أَرَادَ السَلاَمَةَ فَلْيَحْفَظْ مَا جَرَى بِـهِ لِسَانُهُ، وَلْيَحْرُسْ مَـا انْطَـوَىَ عَلَيْـهِ جَنَانُـهُ، وَلْيُحْسِـنْ عَمَلَـهُ، وَلَيُقَصِّـرْ أَمَلَـهُ»**[1]، ثُمَّ لَمْ تَمْضِ أيـامٌ حَتَّى نَـزَلَتْ هَـذِهِ الآية : [illegible][2].

فنقـول: الحمـد للـه الحميـد المجيـد الـذي أنطـق الألسـنة بأسـرار التوحيـد فأفصحت له بحقائق المعرفة، وصـرّحت لـه بـأنواع التمجيـد، الـذي لم يقـدر لانتهـاء عزّته وكمال عظمته قدرًا، ولم يجعل لمراقي أقدام الأوهام، ومرامي سهام الأفهـام على حمى جلالته مجرى، وترك قلـوب الطـالبين في بيـداء كبريائـه والهـة حسـرى، فكلما اهـتزت لطلب مرادهـا ردهـا سـبحات الجلال ناكصـة قسـرى[3]، ونـوديت من سرادقات[4] الجلال وحجرات القدس: ارجعي فقد حاولت أمرًا إمرًا، فسبحان الــذي لم يجعل في قلوب العارفين من مخالفة تقديسه طيًّا ولا نشـرًا، ونزّه ألسـنتهم عن أن تفوه بالنطق باللغو والكذب، وأن تقول هجرًا، فلطائف نعمـه وفواضـل أياديـه لم تــزل على خلقــه جاريــة تــترى، وفائضــة على العــالمين في كــل الأحــوال نفعًــا

---

1 (?) الأربعون حديثًا السيلقية،22.

2 (?) سورة النساء من الآية 114.

3 (?) في (د،ك) حسرى. {ولعله الأنسب}.

4 (?) السردق: ما أحاط بالشيء والجمع سرادقات. ينظر: لسان العرب، مادة (سردق).

وضرّ

ًا وعسرًا ويسرًا.

والصلاة على من هو مفتاح الأنوار الإلهيـة، ومبـدأ الاستبصـار في اللطـائف الدينيـة، وخـاتم لمنقطـع التكـاليف الشـرعية، وعلى آلـه الطيـبين جبـال العلم الراسخة، ومثاقيـل الحلم الراجحـة، صـلاة دائمـة إلى يـوم الـدين، واعلم أن هـذا الحديث قد اشتمل على النظر في أمور ثلاثة.

النظر الأول: في بيـان ما اشـتمل عليه من المعـاني الأدبية[1]

وفيه بحثان:

البحث الأول: في بيان ما تضمنه من الألفاظ اللغوية

الرحمة من الله: هي الملاحظة بالألطـاف الخفيّـة للعبـد، وبالإحسـان من جهته وتوفير الثوابات العظيمة، ومن العبـاد الشـفقة والمحبة، واسـم **الله** تعـالى مختلف فيه: فمنهم من زعم أنه اسم سرياني، وذهب الأكثر إلى كونه عربيًا، فإذا كان عربيًّا، فهل يكون جامدًا أو مشتقًا؟

فمنهم من ذهب إلى أنه جنس لا اشتقاق له، والأكثر ذهبـوا إلى كونه[2] مشـتقًا، ثم اختلفـوا في وجـه اشـتقاقه: فـزعم بعضـهم أنه[3] من قولنـا: ألـه إلى تحيّـر؛ لأنّ

---

1)) ابتداً من الحـديث التاسع خـرج المصـنف عن إطـار المنهج الـذي نظّر له في المقدمـة، والــذي التزمه في شــرح الأحــاديث الثمانية الأولى، أما المنهج المتبع عند تناوله للحــديث التاسع إلى نهاية الجزء الأول بالشرح والتفصيل؛ فيتمثل في:
النظر الأول في بيــان ما اشــتمل عليه من المعــاني الأدبية، وفيه مبحثــان: الأول في بيــان ما تضمنه من الألفاظ اللغوية. الثاني في بيان ما اشتمل عليه من المعاني الإعرابية.
النظر الثاني في بيان ما اشتمل عليه من علـوم المعـاني والبيـان والبـديع، وفيه ثلاثة مطـالب: الأول في بيان ما تضمنه من علوم المعاني. الثاني في بيان موقعه من علوم البيان. الثــالث في بيان ما احتوى عليه من علم البديع.
النظر الثالث في الإشارة إلى مقاصده صلى الله عليه وآله وسلم.
يبرز من هذا أنَّ المصـنف وإنْ عـدل عن المنهج الـذي قـرره في المقدمة لكنه لم يسـقط في منهجه الجديد أيّ نظر وإنما أعاد ترتيب الأنظار ليس إلا، ولهذا العـدول تفصـيل في المبحث الثاني: منهجه، من الفصل الثاني: الأنوار المضيئة.

2 (?) في (د) أنه.

3 (?) في (م) زيادة: مشتق.

العقول تحيرت في كنهّ ذاته وفي معقـول حقيقتـه، ومنهم من قـال: إن اشـتقاقه من قـولهم: ألـه إذا احتجب؛ لأن اللـه تعـالى محتجب عن إدراك العيـون، وعن تصـوير الأوهام، وعن إحاطة الأفهـام[1]، والمختـار عنـدنا أنـه مشـتق، وعلى كلا الـوجهين في الاشتقاق، هل يكون لقبًا أو لا؟

فيه تردد، والحقّ أنه اسم جنس في معنى اللقب، فبمـا فيـه من الجنسـية لا يجوز تغيره بالبدل إلى غيره، كلفظ الرجل والسواد، وبما فيـه من اللقب لا يجـوز فيه الاشتراك، كما لا يجوز في الألقاب كزيد وعمرو، وقد رمزنـا إلى أسـرار هـذه المسألة في أسماء اللـه تعـالى من كتـاب (**الشامل**)[2] في المبـاحث الكلاميـة، وردنا على الفلاسفة مقالتهم.

الكلام اللغوي: ما تركب من حرفين فصـاعدًا وينطلـق على المفيـد وغـير المفيد، **والكلام الاصطلاحي:** هـو المـركب من كلمـتين أسـندت أحـداهما إلى الأخرى إسنادًا له إفادة، فهذا هو المعـول[3] في اصـطلاح[4] النحـاة، و**الغنم**: أحـد فوائد الأموال، و**الغنيمة**: ما أخذت[5] من الأمول بالقتل أو إيجـاف العـدو بالخيـل والركاب، و**الفيء**: ما أخذ من الأموال من غير إيجاف خيل ولا ركاب، ولهذا قـال عليه السلام: «الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة»[6] استعارة من الغنيمة التي لم يصلوا فيها حرّ القتال؛ لقصـر اليـوم وسـهولة صـومه، و**السكوت**: نقيض الكلام، و**السلامة**: هي المعافاة من كل سوء، و**اللسان**: هو العضو الذي جعله اللـه آلـة

---

1 (?) ينظر: الديباج الوضي، 1/ 116.

2)) وهو الشامل لحقائق الأدلة العقلية وأصول المسـائل الدينيـة، في (علم الكلام) مخطوطة في أربعة مجلدات، نسخة بالمكتبة الغربية للجامع الكبير بصنعاء، وأخرى بمكتبة المصـطفى بمركز بدر العلمي بصنعاء. ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 1129.

3)) في (د،ك،م) المقول.

4 (?) في (د،م) مصطلح.

5 (?) في (د،ك،م) أخذ.

6 (?) مسند أحمد، 4/ 335.

للكلام، **والأملك**: هو الأغلب والأحق، وفي الحـديث: «ملاك الدّين الـورع، وملاك العمـل خواتمـه»[1]، **والأمر**: صـيغة تقتضـي الطلب للفعـل على جهـة الإنشـاء، و**النهي**: صـيغة تقتضـي المنـع من الفعـل على جهـة الإنشـاء، **والمعروف**: مـا عرفتـه العقـول لحسنه وزيادته، **والمنكـر:** مـا أنكرتـه العقـول، وتقضـي بقبحه، **والإصـلاح:** نقيض الإفسـاد، **والمؤاخـذة:** (مفاعلة) من الأخذ، **والكبّ:** إلقـاء الشيء على وجهه، **والمناخر:** هي الأنوف، وهي أعزّ مـا في الإنسـان وأشـرف، **والحصـائد:** جمـع حصـيدة، وهي طـرف اللسـان ومسـتدقه، **والحصـدة:** حدّ السيف، **والحفظ:** نقيض الضياع، **والحراسة:** نقيض الإهمال، **والانطواء:** هـو التضمن، **والجَنان:** هـو القلب، سـمي جَنَانًـا؛ لاسـتتاره بـالجوانح، **والإحسـان:** نقيض الإسـاءة، **والإحسان**: هاهنـا إصـلاح العمـل وإخلاصـه، **وعمل العبد**: مـا يتعلق بالقلب والجوارح من الأفعـال. **والتقصـير:** نقيض الاسـتطالة، **والنجـوى في الآيـة:** هـو الكلام الخفي، ويحتمـل أن يـراد بـه المراجعـة في الأمـور كلها، **والصدقة:** الإعطاء، **والإصلاح:** نقيض الإفساد، فهذا ما يتعلـق بمعـاني الألفـاظ اللغوية، والله أعلم بالصواب.

البحث الثاني: في بيان ما اشتمل عليه من المعاني الإعرابية

فقوله: «**رحم الله**» جملة فعلية لا موضع لها من الإعراب؛ لأنـه لم يسـبقها كلام قبلها، و«**عبدًا**» منصوب على المفعولية لـ «**رحم**»، «**أو سكت**» معطـوف على قوله، «**تكلم فغنم**»؛ لأنها كلها أفعال ماضية، وقولـه: «**تكلم**» في موضـع الصفة لــ «**عبد**»، وقوله: «**فسلم**» عطـف على «**تكلم**»، و«**الفـاء**» للعطـف المرتب المعقب، و«**أو**» للشك والتخيير.

---

[1])) مسند الشهاب، 1/ 59. بلفظ: « فضل العلم أفضل من العبادة، وملاك الدين الورع».

«**إنّ اللسـان أملك**»، فــ «**إنّ**»مؤكـدة رافعـة للأخبـار وناصـبة لأسـمائها، و«**شـيء**» مجـرور بإضـافة «**أملك**» إليـه، و«**اللام**» في قولـه: «**للإنسـان**» متعلقة بــ «**أملك**»، ويغتفر إعمال (أفعل) في الجار والمجـرور؛ لكثرتـه وسـعته، ولا يعمل رفعًا ولا نصبًا في المفاعيل لضعفه عن العمل فيها، وينصب التمييز؛ لأنه في معنى المجرور.

«**ألا**» حرف للتنبيه، و«**إنَّ**» مؤكدة ناصبة لما بعـدها، و«**كلام**» مضـاف إلى ما بعده، و«**كله**» منصوب على التوكيـد يفيـد الشـمول والإحاطـة، و«**عليه**» في موضع رفع خبر؛ لــ «**إن**»، «**إلا ذكرًا**» منصوب على الاستثناء من الموجب، ومـا بعده من هذه المنصوبات عطف عليه، والجار والمجرور في قوله: «**بمعروف**»، و«**عن منكر**» متعلقان بالمصدرين قبلهما.

قوله: «**وهل**» في جواب[1] معاذ استفهام في معنى التقرير. «**يُكبّ**» فعـل مضــارع مرفــوع بالمضــارعة. «**النــاس**» منصــوب على المفعوليــة. «**على منـاخرهم**» جـار ومجـرور، يتعلقـان بـ «**يُكبّ**». «**إلا حصـائد**» مرفـوع على الفاعلية لــ «**يُكبّ**» استثناء مفرغ عن الفاعلية، كقولك: ما قام إلا زيد. «**الفاء**» في قوله: «**فمَن**» للاستئناف، ويحتمل أن تكون عاطفة لجملة على جملـة قبلها، و«**مَن**» شــرطية في موضــع رفــع على الابتــداء، و«**السـلامة**» نصــب على المفعولية لــ «**أراد**»، والخبر جوابها؛ لأنه تتم به الفائدة، وهو قولـه: «**فليحفـظ ما جرى به لسانه**»، و«**لسـانه**» مرفـوع على الفاعليـة لــ «**جـرى**»، والجـار والمجرور في «**به**» يتعلـق بـ «**جرى**»، و«**ما**» موصـولة، وصـلتها جملـة فعليـة بعدها والعائد الضمير في قولـه: «**به**»، و«**اللام**» لام الأمر، والفعـل مجـزوم به، ولــ «**يحرس**» أيضًا جملة فعلية معطوفة على ما قبلها.

---

[1])) في (د) زيادة: كلام.

وقولـه: «**مـا انطـوى**»«**ما**» موصـولة، و«**جَنانه**» مرفـوع على الفاعليـة، والعائـد الضـمير في «**عليه**». «**ولْيُحسـن عمله**» جملـة فعليـة مجزومـة بلام الأمر، و«**عمله**» منصـوب على المفعوليـة «**ولْيُقصر أمله**» مثلـه في العطـف والإعراب، و(لام الأمر) في هذه الأفعال الرواية فيها بالسـكون على البنـاء نـزلت مع (الواو) للاتصال بمنزلة تاء كتْف[1] في التخفيف بالسـكون، كمـا قـال تعـالى: □ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □[2] بالسكون، ويجوز فيها الكسر على أصل التقاء الساكنين؛ لأن (الواو) في الأصل جيء بها ساكنة، و(اللام) سـاكنة فلا جـرم حركت (اللام) لما ذكرنـاه، وهـذا كلـه تعسـف، والأحسـن أن يقـال: إنمـا حـركت بالكسـر؛ لأنهـا في الأصـل مكسـورة، فبقيت كسـرتها مـع حـروف العطـف على أصلها، وإن سكنت فعلى التشبيه عند اتصال (الواو)، و(الفاء) بتأكيد، وقـد جـاءت عليـه القراءتـان في□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □[3]، فهمـا لغتـان كمـا ترى، وأفصحهما السكون؛ لما فيه من الخفّة، ثم إن هذه الآية نزلت مطابقـة لمـا قرره من كلامه هاهنا.

فقوله تعـالى:□ □□□□□ □□ □[4] مبـني مـع لا على الفتح، والجـار والمجـرور في قوله:□ □□□□□□ □□□ □[5] في موضع رفع خبر «**لا**»، وقوله:□ □□□ □□□ □□□ □□□□ □[6] فإنها موصولة، والظاهر من أمرها، ويحتمل أن تكون نكرة موصوفة بما بعـدها من الجمـل، وفي إعرابها وجهان:

أحدهما: أن تكون مرفوعة على الخبرية، كقولك: لا رجل في الـدار إلا زيد، **وثانيهما**: أن تكون منصوبة على الاستثناء المنقطع مقدرة بـــ (لكن)، كأنه قـال:

---

1)) في (ك،م) تأكيد. {وهو الأنسب}ـ

2 (?) سورة الحج من الآية 29 .

3 (?) السورة نفسها ومن الآية نفسها.

4)) سورة النساء من الآية 114.

5)) السورة نفسها ومن الآية نفسها.

6)) السورة نفسها ومن الآية نفسها.

لا خير في كثير لكن من أمر بصدقة ففيه الخير، وإذا كانت في موضع رفع فلا بدّ من تقـدير محـذوف مضـافًا إليهـا، كأنـه قـال: لا خـير في كثـير إلا خـير من أمـر بمعروف، ويجوز أن تكون خبرًا لقوله: لا خير على المبالغة، كما في قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[1].

سؤال: قـال في الخـبر: «أو إصـلاح بين مؤمـنين»، وقـال في الآيـة: ﴿ [illegible] ﴾[2]، فأيّهما يكون أبلغ؟

وجوابه: إن الذي في الآية عـام، والـذي في الخـبر خـاص، والعمـوم هاهنـا أوقع وأكثر فائدة وأعظم نفعًا وجدوى، فللّه درّ التنزيل، فما أحسن معانيـه وأكـثر فوائده، وأوقعه في البلاغة، ﴿ [illegible] ﴾[3].

النظر الثـاني: في بيـان ما اشـتمل عليه من علـوم المعاني والبيان

وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: في بيان ما تضمنه من علوم المعاني

وإنمـا تظهـر فائـدتها بتتبـع ألفـاظ الحـديث، فصـدّر الحـديث بلفـظ الـدعاء ملاحظة[4] وتقريبًا، وجاء فيها بلفظ الماضي على جهة العبودية؛ لما فيه من إفـادة التواضع، وكأنه فرغ من الرحمة وحصلت لا محالة، وأتى بلفـظ العبوديـة لمـا فيـه من إفادة التواضع، فيكون ذلك أسـرع في قبـول الـدعاء وأقـرب للإجابـة، ثم إنـه أشار إلى خصلتين نافعتين تحصل بهما السلامة، وهو الكلام الـذي يغنم بـه الخـير في الأمور الواجبة والمستحبة، والسكوت الذي فيه السلامة عن جميع التبعات.

وعن بعضـهم: إذا كـان الكلام من فضـة فالسـكوت من ذهب، ثم إنـه أردفـه

---

1 (?) سورة البقرة من الآية 177.

2)) سورة النساء من الآية 114.

3 (?) سورة فصلت من الآية 42.

4 (?) في (د،م) ملاطفة.

بالتأكيد الوارد على جهة التعليل؛ لأن الغنيمة في الكلام، والسـلامة في السـكوت إنما كان من أجل كون اللسان أملك ما يكون للإنسـان؛ لأنـه أسـهل الجـوارح في العمل ولا تلحقه كلالة ولا ملل، بخلاف أعمـال الجـوارح فإنهـا تلحـق بهـا السـآمة والملالة، ثم عقبه بذكر حرف التنبيه إيقاظًا للأسماع، وحثًا على الإصغاء، وتحفظًـا من الغفلـة، فقـال: «**ألا وإن كلام العبد كلـه عليه**» إلا مـا اسـتثناه من هـذه الخصال المحمودة، ثم إن معاذًا لما رأى شدة الوعيد في الكلام بما لا يعني سأل الرسول- صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- فائـدة، فقـال: «أنؤاخـذ بمـا نتكلم بـه»؟ فأجابه الرسول- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- بالشِـدة في ذلـك، وأورده مـورد الاستفهام، والغرض منه التقرير، فقال: «**وهل يُكبّ الناس على مناخرهم**»، وهذه حالة أعظم ما يكون من الألم، فالكبّ أولاً وهـو جمـع أطـراف الإنسـان، ثم الإلقـاء على المنـاخر الـتي هي أعزّ الأعضـاء وأشـرفها، ثم النـار، فـانظر إلى مـا تضمنه من المبالغة بما يحصل من الكلام من الوعيـد الشـديد، ثم أردفـه بالـدواء، والإشارة إلى ما تكون به السلامة، فقال: «**فمن أراد السـلامة**» ممّـا ذكرنـاه، وأشار إلى خصال أربع: حفظ اللسـان عن الـرفث والكـذب، وحراسـة القلب عن الاعتقادات الخبيثة، والإرادات القبيحة، وحسن العمل تنزيهه عمّا يشوبه من الرياء والعجب وغير ذلك من الآفـات المحبطـة للأعمـال، وتقصـير الأمـل؛ لأن بـه يزكـو العمل ويصلح حاله، ثم لما كان صلى الله عليـه وآلـه وسـلم لا ينطـق عن الهـوى أنزلت الآية تصديقًا لكلامه، وتقريرًا لمـا قالـه من الحكمـة بكلامـه هـذا، فالكتـاب والسّنّة متطابقان في المعاني، ويتواردان على المقاصد الحسنة.

المطلب الثاني: في بيان موقعه من علوم البيان

وتقريـره يكـون بإظهـار مـا تضـمنه من الاسـتعارات الرشـيقة والمجـازات

الرقيقة:

فالمجاز الأول: قوله: «**غنِم**» فـالغرض **بالغنم** لمـا يحصـل من الثـواب بالكلام والأجر، وحقيقة الغنيمة ما ذكرناه.

المجاز الثاني: السلامة بالسكوت، فظاهره أن السلامة بالسكوت، فـإيراد «**الفـاء**» دلالـة على أن السـكوت سـبب السـلامة، وليس الأمـر كـذلك، فـإن السكوت ربّما كان فيه العطب والهلاك.

المجاز الثالث: قوله: «**اللسان أملك شيء للإنسـان**»، والمجـاز فيـه توجيهان:

التوجيه الأول: أن يكون المقصود أن اللسان أعظم ما يملكه الواحـد منـا ويقدر عليه؛ لأنه ينطق به كيف شـاء من مليح، وقـبيح، وردّ، وقبـول، وأمر، ونهي، فالإنسان أقدر ما يكون عليه يصرفه كيف أراد.

التوجيه الثاني: عكس هذا، وهو أن يكون المراد[1] يملك الإنسـان، ويحكم عليه بمـا يقولـه وينطـق بـه، ومصـداق هـذا قولـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «المسؤول حرّ حتى يعد»[2] أراد أن وعده يدخله في الرقّ، فكلا التوجهين لا غبـار عليه، وممّـا يؤيـد مـا ذكرنـاه من توجيـه المجـاز على التـوجهين مـا قالـه بعض الحكماء: إذا تكلمت بالكلمة ملكتني، وإذا سكت عنها ملكتها، وفي هذا دلالة على أن اللسان يملك الإنسان، ويملكه الإنسان على التقرير الذي لخصناه.

المجاز الرابع: إطلاق العموم في «**كل**»، والمـراد بـه الخصـوص، وقولـه: «**عليه**» هو مجاز؛ لأن العلو حقيقة لا وجه له هاهنا.

المجاز الخامس: قوله: **المعروف والمنكر** فإنهما مجازان، فـإن المـراد

---

[1] (?) في (د،م) زيادة: أن اللسان.

[2] (?) ورد للإمام علي كرم الله وجهه. ينظر: نهج البلاغة، 534.

بالمعروف ما طابق العقل والشرع، والمـراد **بالمنكر** مـا كـان مخالفًـا للعقـل والشرع، فوضعهما مخالف لمفهومهما، فلا جرم كانا مجازين.

المجاز السادس: مجاز الإفـراد، وهـو قولـه: «**حصائد ألسـنتهم**»، ولـه توجيهان:

التوجيه الأول: أن حصـيدة اللسـان مسـتدق طرفـه، وهي مسـتعارة من حصيدة السيف، وهي حدّه، فلما كان الكلام يجرح ويؤلم لاجرم استعير له، ويؤيـد هذا التأويل قوله تعالى: ﴿ ... ﴾[1]، وقول من قال:

وَكلْمُ السـَّيْفِ تَدْمِلُــهُ فَيَبْــرَى   وَكُلْمُ الدَّهَرِ مَا جَرَحَ اللّسَانُ[2]

التوجيه الثاني: أن المراد بحصائد الألسنة ثمارها، فهذا[3] هو الذي ذكره المنصور بالله، وقـال: إن هـذا من جملـة الاسـتعارة الفصـيحة، وهـو جعـل الكلام زرعًا للسان[4]، وهذا فإن كان محتملاً لكنه مجاز بعيد، والمجاز البعيد مـع المجـاز القريب كالمجاز مع الحقيقة، فلأجل هذا كان حملة ما ذكرناه أليق وأحسن.

المجاز السابع: مجاز الـتركيب، وهـو إسـناد **الكبّ** إلى **الحصـائد**، فليس مضافًا إليها إلا على جهة المجـاز لا غـير، فصـار مركبًـا كمـا تـرى، وهكـذا إضـافة الأفعال المذكورة إلى **اللسان والجنان**، فإنهما مجازات مركبة؛ لأنها غير فاعلـة على الحقيقة، وإنما الفاعل هو الجملة، وهو محتمل لمجـازات أكـثر ممّـا ذكرنـاه، ولكن ما ذكرناه يدل على ما لم نذكره.

المطلب الثالث: في بيان ما احتوى عليه من علم البديع

---

1 (?) سورة الأحزاب من الآية 19.

2 (?) البيت من الوافر، وقد ورد ولم ينسب لقائل معين، ونصّه:
وَجُرْحُ السّيْفِ يَدْمِلُهُ فَيَبْرَا   وَيبْقِى الـدَّهَرَ مَا جَـرَحَ اللّسَـانُ.ينظـر: البيـان والتبـيين، 1/ـ 167. لسان العرب، مادة (دمـل). ملامح يونانية في الأدب العـربي، د. إحسـان عبـاس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، عام 1977م، بيروت، لبنان، 139.

3)) في (د،م) الواو بدلاً عن الفاء.

4 (?) ينظر: حديقة الحكمة النبوية، 92.

وقد اشتمل على أصناف ثلاثة:

الصنف الأول: التسجيع

وهذا كقولـه: «**تكلم فغنم، أو سكت فسـلم**»، وقولـه: «**إن اللسـان أملك شيء للإنسان**».

الصنف الثاني: الطباق

وهذا كقوله: « **تكلم**»، و«**سكت**»، فإنهما طبـاق، و**الأمر**، و**النهي** طبـاق، و**المعروف**، و**المنكر** طباق.

الصنف الثالث: الاقتباس

وهو إيراد الآيـة مقـررة لمـا قبلهـا، **والاقتباس**: هـو إيـراد الكتـاب الكـريم والسنّة الشريف في أول الكلام وآخـره ووسـطه مطابقًـا لمعانيهـا، فـإذا ورد في الخطب والأمثلة والكتب على جهة التقرير والتأييد سُمي ذلك اقتباسًا للوجه الذي أشرنا إليه.

النظر الثـالث: في الإشـارة إلى مقاصـده صـلى الله عليه وآله وسلم

أراد بالكلام الذي يغنم هو قراءة كتاب الله تعالى، ودراسـة السنّة الشـريفة، وذكر اللـه تعـالى بالتسـبيح والتحميـد والتمجيـد، وذكـر الملائكـة والأنبيـاء والأئمـة والصـالحين بالثنـاء والإجلال والتعظيم والأمـر بالطاعـة والنهي عن المعاصـي مـع القول بالحقّ في جميع ما افترض اللـه على عبـاده، فأمـا الكلام فيمـا يعينه[1] من معاملة دنياه، وتحصيل أسباب المعاش ومكاسـب الحلال، فهـو يكـون على أوجـه ثلاثة:

أولها: أن يكـون واجبًـا، وهـو الكلام في إصـلاح حالـه وحـال من يمونـه من

---

[1] (?) في (ك) يعنيه.

الزوجات والأولاد الصغار والعبيد والإماء.

وثانيها: أن يكون مندوبًا، وهو ما كان الكلام فيه قربة في تحصيله.

وثالثها: أن يكون مباحًا، وهو كل ما كان الكلام فيه خاليًا عن الوجهين الأولين، وقد يكون الكلام فيه محظورًا، وهو إذا أريد به المكاثرة والرياء والسمعة، فلا يخلو الكلام عمّا ذكرناه في هذه الأوجه والصمت عن أكثر الكلام أفضل، ومصداق ذلك قوله عليه السلام: «من صمت نجا »[1]، وفي حديث آخر: «الصمت حكم وقليل فاعله»[2].

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن اللسان أملك شيء للإنسان**» أراد أنه[3] أعظم أعضاء ابن آدم، وهو السفير للقلب، وبه تقع المحاورات، والمجادلات والوعظ والطرب واللهو والأمر والنهي والوعد والوعيد والغيبة والنميمة والتهدد والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فخطره واسع، وحواشيه كثيرة، وقد قيل: رُب قول أنفذ من صول، وسُمي الكلام كلامًا؛ لأنه يكْلم القلوب أيْ: يجرحها بوقعه، ورُب كلمة تنبت[4] مجدًا طويلاًّ، ورُب كلمة أورثت ذلاً طويلاً، وربّما قيل: المرء مخبوء تحت لسانه، وهو أطيب الأشياء إذا طاب، وأخبثها إذا خبث.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ألا وإن كلام العبد كله عليه إلا ذكرًا لله، أو أمرًا بمعروف، أو نهيًا عن منكر، أو إصلاحًا بين مؤمنين**»، فالمعنى أن ما عدا هذه الأمور الأربعة فإن العبد مؤآخذ به، ومكتوب عليه، **وأما** هذه فهي مكتوبة له؛ لأنها لا تنفك عن الوجوب، والندب، وكلاهما

---

[1] (?) سنن الترمذي، 4/ 660.
[2] (?) مسند شمس الأخبار، 1/ 507.
[3] (?) في (د،م) به .
[4] (?) في (ك) بنت.

يقصد للثواب، ونحن نشير إلى فضل هذه الأنواع الأربعة.

النـوع الأول: منـها ذكـر الله تعالـى، فإنه أصل الإيمان وقاعدته، وقد قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[2]، وقال تعالى:﴿ [illegible] ﴾[3]، وقال تعالى: [illegible] ﴿ [illegible] ﴾[4]، ﴿ [illegible] ﴾[5] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على فضل الذكر، وقال عليه السلام: «من قعد في مصـلاه الذي صلى فيه الفجر يذكر الله تعـالى حـتى تطلـع الشـمس كـان لـه من الأجـر كالحاج إلى بيت الله»[6]، وقال صلى الله عليه وآلـه وسـلم: «يقـول اللـه تعـالى: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ أفضل منه»[7].

النوع الثاني: الأمر بالمعروف، وهو من جملـة الواجبـات على الكفايـة، والأمر بالواجب واجب وبالنفل نفل؛ لأن الأمر لا يكون أعلى حالاً من المـأمور به، فإن أخلّوا بما أمروا به من هذه الواجبات على الكفاية، فهل يعمهم الإثم والحـرج أم لا؟

فيه تردد، والمختار أنه إنما يلزم الحرج من يتصور منه القيام بـذلك المـأمور به دون غيره، فيخرج عن هذا النساء والشـيوخ والضـعفاء الـذين لا قـدرة لهم ولا حيلة، ويدخل من عداهم في الإثم إذا تركوا.

النـوع الثـالث: النهي عن المقبحـات، وهـو أيضـًا من الواجبـات على

1 (?) سورة البقرة من الآية 152.
2 (?) سورة العنكبوت من الآية 45.
3 (?) سورة الرعد من الآية 28.
4 (?) سورة البقرة من الآية 239.
5 (?) السورة نفسها من الآية 198.
6 (?) تيسير المطالب، 474.
7 (?) صحيح مسلم، 4/ـ 2067. بلفظ: «يقول الله: أنا عند ظن عبدي وأنا معه حين يـذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه»ـ

الكفاية، لكن المأمورات تخالف المنهيات، و[1]المقصود في المأمورات الإتيان بهـا على الوجه الذي يخرج به عن عهدة الأمر بـالحبس والضـرب دون القتـل، بخلاف المنهيات فإن المقصود منها هو الانكفاف عن ملابسـة المنهي عنـه، ولـو أدّى إلى القتل جاز ذلك، وهذه التفرقة أمر شرعي.

النــوع الرابــع: الإصــلاح بين الخلــق فيمــا يجــري بينهم من المشاجرات، فإن هذه الأمور الثلاثة كلّها واجبة على الكفاية.

تنبيه: واعلم أن الأمـر بـالمعروف والنهي عن المنكـر همـا من أجلّ قواعـد الدِّين، وعليهما استدارت رحى الإسلام، وجرت الأحكام الشرعية على أتمّ نظــام، وقوضت قواعد الكفر بعد رسوخها، وكسرت أنف النفاق بعـد شـموخها، وزلـزلت بنيانه، وتضعضعت أركانه، وقد نوّه الله بقـوم ضـيعوه، وأهملـوه، فقـال تعـالى: [2]، وأعظم هذه القواعد جريانًا، وأجزلها ثوابًا، وأرفعها شأنًا الجهاد، فإن فيه رفع شــنار الدِّين وظهور مناره، وبه محو الكفر وتعفيه آثاره.

قوله صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «**فمن أراد السلامة فليحفـظ مـا جرى به لسانه**[3]» أراد **بالسلامة** عمّا تقـدم من الوعيـد، فـإن كـل من أرسـل لسانه كبّه الله على منخريه في النار، **وحراسة** اللسان هـو أن لا يخـرج منـه مـا يكون عليه فيه تبعة، ولا يسكت عما يكون واجبًا عليه، فالكلام في الحقّ خـير من السكوت، والسكوت عن الباطل خير من الكلام.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «**وليحرس ما انطـوى عليـه جنانه**»، وأراد بالحراسة هو أن لا يدع شيئًا من الباطل يدخله ويلج فيه، وينزّهـه عن سـائر

---

[1])) في (د،ك،م) الفاء بدلاً عن الواو.

[2] (?) سورة المائدة من الآية 79.

[3])) في (د،ك،م) زيادة: وليحرس ما انطوى عليه جنانه.

الاعتقادات القبيحة، والإرادات الخبيثة، والعزوم السيئة، والظنون الكاذبة، فإن هذه الأمور كلها محلّها الجنان، وهو سلطان الجوارح وأميرها، وبإصلاحه يستقيم أمرها ويتسق تدبيرها، وفي الحديث: «حراسة العمل أشدّ من العمل»[1]، وفي حديث آخر: «إن في ابن آدم بضعة إذا صلحت صلح الجسد وإذا فسدت فسد الجسد ألا وهي القلب»[2]، فالواجب على العاقل حراسة قلبه بلبه، واستصغار فعله، واستكثار ذنبه.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وليُحسن عمله، وليُقصر أمله**»

تحسين العمل: إخلاصه لوجه الله تعالى عن الرياء والعُجب وسائر الآفات المحبطة للأعمال، **وتقصير الأمل:** أصل لكل نجاة، وسبب لكل سعادة[3]، وبه تحصل تزكية الأعمال، والإيصال إلى كل غاية من الآمال، وفي الحديث: «من كان يأمل أن يعيش غدًا فإنه يأمل أن يعيش أبدًا، ومن كان يأمل أن يعيش أبدًا فإنه يقسو قلبه»[4]، فرحم الله امرأ جعل أمله خلف ظهره، وأجلّه بين عينيه، فبادر هجومه، وحاذر لزومه قبل أن يضرب على الأعناق بخيط الخناق.

قاعدة: وبها يتم الكلام في أسرار هذا الحديث: اعلم أنه عليه السلام قد أشار في هذا الكلام إلى حفظ اللسان وحراسة القلب، وذلك نوع من المحاسبة والمراقبة، فلنذكر ما يتعلق بهما، وذلك يشتمل على طرفين:

الطرف الأول: في المراقبة

واعلم أن حقيقة **المراقبة**، هي ملاحظة الرقيب، وانصراف الهمة إليه، فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال: إنه يراقبه ويراعي جانبه، ونعني

---

1 (?) شعب الإيمان، 5/ 328. بلفظ: «الإبقاء على العمل أشد من العمل».

2 (?) صحيح البخاري، 1/ـ 28 . صحيح مسلم، 3/ـ 1219. بلفظ: «وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب».

3 (?) في (د،ك،م) مسعاة.

4 (?) تيسير المطالب، 577.

بهذه المراقبة حالة للقلب تثمر المعرفة، وتثمر أعمالاً في الجوارح والقلوب، أمـا حالة **القلب**، فهي مراعاة الرقيب واشـتغاله بـه، والتفاتـه إليـه، وملاحظتـه إيـاه، فإذا حصـلت هـذه الحالـة أثمـرت المعرفـة بـأن اللـه يطلـع على الضـمائر، عـالم بالسرائر، رقيب على أعمال العبـاد، قـائم على كـل نفس بمـا كسـبت، فهـذا هـو مرادنا بالمراقبة، فإذا عرفت هذا، فلنذكر فضلها، ثم نردفه بذكر درجاتهـا، فهـذان تقريران:

التقرير الأول: في بيان فضلها

فقد قال الله تعالى: [illegible][1]، وقال تعالى: [illegible][2]، وقال تعالى: [illegible][3]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اعبد الله كأنك تراه، فـإن لم تـره فإنه يراك»[4]، وقال: [illegible][5]، وقال تعالى: [illegible][6]، وعن بعض مشائخ الطريق أنه قال: المراقبة مراعاة السرّ لملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة، وعن بعضهم: اجعل مراقبتـك لمن لا يغيب عن نظره إليك، واجعل شـكرك لمن لا تنقطـع نعمـه عليـك، واجعـل طاعتك لمن لا تستغني عنه، واجعل خضوعك لمن لا تخـرج عن ملكـه وسـلطانه، وسُئل بعضهم عن معنى قوله: [illegible][7]، فقال: ذلـك لمن راقب ربَّه- جلّ وعزّ-، وحاسب نفسـه، وتـزود لمعـاده، وعن بعضـهم: يقـول اللـه

---

[1] (?) سورة النساء من الآية 1.
[2] (?) سورة العلق الآية 14.
[3] (?) سورة الرعد من الآية 33 .
[4] (?) حلية الأولياء، 8/ 202 .
[5] (?) سورة المؤمنون الآية 57.
[6] (?) سورة البينة من الآية 8.
[7])) السورة نفسها ومن الآية نفسها.

تعـالى: إنمـا يسـكن جنـات عـدن الـذين إذا همّـوا بالمعاصـي ذكـروا عظمـتي[1] فراقبوني، والذين انثنت أصـلابهم من خشـيتي، وعزّتي وجلالي، إني لأهمّ بعـذاب أهـل الأرض، فـإذا نظـرت إلى أهـل الجـوع والعطش من مخـافتي صـرفت عنهم العذاب، وعن بعضهم: عليك بالمراقبة ممّن لا تخفى عليه خافيـة، وعليـك بالرجاء ممّن يملك الوفاء، وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة

التقرير الثاني: في بيان درجاتها، ولها درجتان:

الدرجة الأولى: درجة المراقبة للمتورعين من أصـحاب اليمين، وهم قـوم غلب عليهم يقين اطلاع اللـه عليهم على ظـواهرهم وبـواطنهم، وعلى قلـوبهم، ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسـعة إلى الأحوال والأعمال، إلا أنها مع ممارسـة الأعمـال لا تخلـو عن المراقبـة، وقـد غلب عليهم الحياء من الله، فلا يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبت فيـه، ويمتنعـون عن ملابسة ما كانوا يفتضـحون بـه في القيامـة؛ لأنهم يـرون اللـه تعـالى مطلعًـا على قلوبهم، فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة بحال.

الدرجـة الثانيـة: درجـة المقـربين من الصـديقين، وهي مراقبـة الإجلال والتعظيم، وهي أن يصير القلب مسـتغرقًا بملاحظـة ذلـك الحـال ومنكسـرًا تحت الهيبة، فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى ما وراءه، وهذه حالـة من قـد صـار همّـه همًّا واحدًا، فكفاه الله سائر الهموم، ومن نال هذه الدرجة، فقد غفـل عن الخلـق نهاية الغفلة، واشتغل بنفسه حتى لا يخطر بباله شيء سوى الله عزّ وعلا.

الطرف الثاني: في بيان المحاسبة

ونذكر فضلها، ونـذكر تـوبيخ النفس، **أما** فضـلها، فقـال تعـالى:

---

[1])) في (د) غضبي.

[illegible][1]، وقال تعالى: [illegible][2]، وقال تعالى: [illegible][3]، وقال عليه السلام، وقد سأله رجل أن يوصيه، فقال لـه: «إذا هممت بـأمر فتـدبر عاقبته فإن كان رشـدًا فأمضه، وإن كـان غيًّا فانتـه عنـه»[4]، وقـال تعـالى: [illegible][5]، فهذه الآيات والأخبار كلها التي تلوناها دالة على فضل المحاسبة؛ لما فيها من النفع في الدين والسلامة في الآخرة.

وأما توبيخهـا على تقصـيرها، فكـل من حاسـب نفسـه عن مقارفـة المعاصي، وارتكـاب التقصـير في حقّ اللـه تعـالى، فلا ينبغي أن يهملهـا، فإنـه إن أهلمها سهل عليه ارتكاب المعاصي، وأنست النفس بها، وعسر فطامها عنها وإن كان ذلـك سـببًا لهلاكهـا، بـل ينبغي أن يعاقبهـا، فـإذا أكـل لقمـة حرامـا ينبغي أن يعاقبها بالجوع، وإذا نظر إلى محـرم ينبغي أن يعـاقب العين بمنـع النظـر، وهكـذا يفعل في المعاقبة لكل طـرف من أطرافـه يمنعهـا عن شـهواتها، وقـد حُكي عن بعض الزهاد: أنه نظر يومًا إلى امرأة، فجعل على نفسـه ألا يشـرب المـاء البـارد طول عمره، فكان لا يشرب إلا الماء الحـار؛ عقوبـة لنفسه[6]، وعن بعضـهم: أنـه نظر امرأة فرفع كفّه، ولطم عينه فخرجت[7]، وحُكي عن بعضـهم: أنـه مرّ بغرفة، فسأل عنها، متى بنيت؟ فقال لنفسه: تسألين عمّا لا يعنيك، وعاقب نفسه بصـوم سنة كاملة، فهذه جملة ما أردنا ذكره من المراقبة والمحاسبة؛ لما كـان الحـديث

---

1 (?) سورة الحشر من الآية 18.
2 (?) سورة التكوير الآية 14.
3 (?) سورة الانفطار الآية 5.
4 (?) أخرجه هناد عن ابن مسعود. كنز العمال، 15/ 335.
5 (?) سورة الأعراف الآية 201.
6 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 406.
7 (?) ينظر: نفسه، 4/ 406.

متضمنًا لهما بظاهره، وهما يحتملان كلامًا أكثر ممّا ذكرناه، لكن مـا أوردنـا ذكـره كافٍ في مقدار غرضنا.

الحديث العاشر

عَنِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِي[1] قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ- صَـلّى اللهُ عَلّيّـه وَآلِـهِ وَسَـلّمَ- : «**لاَ تَسُبُّوا الـدُّنْيَا فَنِعْمَتْ مَطِيَّةُ الْمُـؤْمِنِ، عَلَيْهَـا يَبْلُـغُ الْخَيْـرَ، وَبِهَا يَنْجُو مِنَ الشَّرِّ، إِنَّهُ إذا قَالَ الْعَبْدُ: لَعَنَ اللَّهُ الدُّنْيَا، قَـالَت الـدُّنْيَا: لَعَنَ اللَّهُ أَعْصَانَا لِرَبِّهِ**»[2].

قَالَ السَّيِدِ الشَّرِيفِ[3]: فَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُهُمْ، فَقَالَ:

يَقُولُـونَ الزَّمَـانُ بِـهِ فَسَـادٌ   الزَّمَـانُ[4]

فنقـول: الحمـد للـه المسـبح بصـفات[5] المجدّ والجلال، المقـدس بـأنواع التمجيد، والبعيد[6] عن مضاهاة الأمثال، المنزّه عن مشـاكلة المقـادير والأشـكال، الموصوف بالعزّة والكبرياء والجبروت وشدّة المحال، الخالق للإنسـان من الطين اللازب والصلصال، والمكمـل لصـورته في أحسـن تقـويم، وأتمّ اعتـدال، العاصـم لقلبه بنور الهداية عن اقتحام ورط الضلال، المسـتحق للعبـادة، والقيـام بالخدمـة من عباده بالغدو والآصال، الذي جعل الـدنيا متجـرًا لعبـاده[7] بالأعمـال الصـالحة،

---

1 (?) وهو عبد الله بن قيس بن سـليم، من قحطـان، وُلد بزبيـد، وأسـلم بمكـة، وهـاجر إلى الحبشـة، وعـاد والرسـول- صـلى الله عليه وآله وسـلم- بخيـبر، تـوفي سـنة 44هــ. ينظـر: الاستيعاب، 4/ 1762، 1762. الأعلام للزركلي، 4/ 114.

2 (?) الأربعون حديثًا السيلقية، 23.

3 (?) وهو الشـريف الرضي محمد بن الحسـين بن موسى الكـاظم، أشـعر الطـالبيين، مولـده سـنة 359هــ ببغـداد، ووفاته فيها سـنة 406هــ. ينظـر: وفيـات الأعيـان، 4/ـ 414 . الأعلام للزركلي، 6/ 99.

4 (?) البيت من الرمل، ونُسب هذا البيت لأبي مياس الشـاعر. ينظـر: العقد الفريـد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، دار إحياء التراث العربي، ط3، عام 1999م، بيروت، لبنان، 2/ 176.ــ ولم يقف البـــاحث له على ترجمة فيما بين يديه من المصـــادر والمراجع. وفي (د) سقط: قَالَ السَّيِدِ الشَّرِيفِ: فَأَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُهُمْ، فَقَالَ:

يَقُولُـونَ الزَّمَـانُ بِـهِ فَسَـادٌ   وَهُمْ فَسَـدُوا وَمَا فَسَـدَ الزَّمَـانُ.

5 (?) في (د) بصفة.

6 (?) في (د) التعبد .

7 (?) في (د،ك،م) لأوليائه.

ومعبرًا للوصول إلى إحراز التجارات الرابحة، ثم كحل بصائر المخلصين من عباده بأنوار توفيقه، فأبصروا ظاهر الدنيا في صورة امرأة جميلة تميس وتختال، ثم انكشف لهم باطنها عن عجوز شوهاء عجنت من طينة الخزي، وضربت في قالب النكال، وتلفعت بجلبابها؛ لتخفي قبائح أسرارها بلطائف السحر والاحتيال، ونصبت حبائلها في مدارج الرجال، فهي تقتنصهم بضروب حبائل المكر والاغتيال، فلما انكشفت للعارفين منها قبائح الأسرار والأفعال زهدوا فيها زهد المبغض لها، فتركوا التفاخر فيها، والتكثر[1] بالأموال، وأقبلوا بكنه هممهم على تركها غاية الإقبال، واثقين بما يحصل بتركها من نعيم ووصال ليس دونه فصال.

والصلاة على المخصوص بأحسن الفضائل، والمبعوث خاتمًا لجميع الرسائل، وعلى آله الطيبين الموضحين لأحكام الدِّين، والسالكين مسلك الإيضاح لسنن المرسلين، واعلم أن هذا الحديث على اختصاره، وتقاصر حجمه، وأطرافه مشتمل على النظر في أمور ثلاثة:

النظر الأول: في بيان ما اشتمل عليه من العلوم الأدبية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في بيان ما تضمنه من الألفاظ اللغوية

فالسبّ: هو الذمّ، والقول الشنيع، و**الدنيا:** هي أوقات التكليف، و**نِعم**: من أفعال المدح، **والمطيّة:** ما يركب ظهره من البهائم، و**الظهر**: مطاة، هذا في أصل اللغة، ثم صار في عرف اللغة: عبارة عمّا يركب من الإبل، حتى لايقال للفرس مطيّة، كما كان في الأصل الدابة اسم لكل ما يدبّ، حتى الذبابة، ثم تعورف فيه على ذوات الأربع من البهائم عليها يبلغ الخير، **والشر والخير**: نقيضان، **والخير:** ما طابق النفوس، **والشرّ:** ما نافرها. **اللعن:** هو البعد من

[1] (?) في (د) التكاثر.

كل شيء، ثم صـار في الشـرع: إبعـاد عن الرحمـة والمغفـرة، **والمعصـية**: هي المخالفة. **البلوغ**: هو الوصول إلى الغـرض، **والنجـاة**: هي السـلامة والبعـد عن الشرّ. **المؤمن**: قد فسرناه فيما مضى وذكرنا معناه اللغوي والشرعي.

المطلب الثاني: في بيان ما تضمنه من العلوم الإعرابية

فــ «**لا**» هاهنـا للنهي، والفعل[1] مجـزوم بهـا وعلامـة جزمـه طـرح نـون الإعراب، و«**الواو**» هي الفاعلة، والضمير يفسره شاهد الحال، وحاله الخطاب.

«**الـدنيا**» منصـوب على المفعوليـة، والجملـة الفعليـة لا موضـع لهـا من الإعراب؛ لأنها مصدرة لا شـيء فيهـا من العوامـل، ومن حقّ المعمـول أن يكـون متأخرًا على عامله.

«**نعم**» فعل غير متصـرف دال على المـدح، وإنمـا تـرك تصـرفه إيـذانًا بكونـه موضوعًا للإنشاء في المدح وليس خبرًا؛ لأنه غير محتمل للصدق والكـذب، فلا جـرم كان موضوعًا للإنشاء، كالأمر والنهي، و«**مطية**» مرفوع على الفاعليـة لــ «**نِعم**»، و«**التاء**» للتـأنيث؛ لأن موضـوعها على الفعليـة، ولا بدّ لهـا من فاعـل، ومخصـوص بالمدح، ففاعلها هو ما ذكرناه، ولا بدّ في فاعلها من أن يكـون بـاللام أو مضـافًا إلى ما فيه اللام، والمخصـوص بالمـدح محـذوف تقـديره: نعم مطيـة المـؤمن هي، كمـا حذف في قوله تعالى في قصة أيوب: ﴿□□□□□□ □□□□□□□ □ □□□□□□□□□ □□□□□﴾[2] أيْ: نعم العبد هو، وقد يحـذف الفاعـل كمـا في قولـه تعـالى: ﴿□□ □□□□ □□□□□□□□﴾[3] أيْ: فنعم الصدقة هي، ولا يحذف الفاعل إلا إذا كان هناك تميـيز يفسـره، كقولـه: نعم رجلاً زيد.

«**عليها يبلغ الخير**» جملـة فعليـة، والفاعـل مضـمر، و«**الخير**» مفعـول،

---

1 (?) المراد هو الفعل: تسبوا.
2 (?) سورة ص من الآية 30.
3 (?) سورة البقرة من الآية 271.

والجار والمجرور في موضع المفعول. «**وبها ينجو من الشرّ**» جملة فعلية ثانية، و«**من**» لابتداء الغاية، ولا موضع لهذه الجمل من الإعراب، ويحتمل أن تكون منصوبة على الحال من «**مطية المؤمن**»، كقولك: نعم الرجل زيد يفعل الخير ويترك الشر، وكقولك: نعم الرجل قائمًا زيد.

«**إنه إذا قال العبد**»، الضمير في «**إنَّ**» للشأن، والجملة الشرطية بـ «**إذا**» هي المفسرة له، وهو في موضع نصب بـ «**إنَّ**»، والجملة في موضع رفع خبر لـ «**إنَّ**». «**العبد**» مرفوع على الفاعلية لـ «**قال**»، واسم «**الله**» مرفوع على الفاعلية[1]. «**الدنيا**» منصوبة على المفعولية.

«**قالت الدنيا**» جواب الشرط في «**إذا**»، وهو العامل فيها «**أعصى**»[2] هو أفعل التفضيل، كقولك: زيد أفضلنا، وهو في موضع نصب على المفعولية، والجار والمجرور نصب بـ «**أعصانا**».

فأما البيت الذي أنشده **الشريف**، فلنذكر إعرابه، وموضع الشاهد منه، أما إعرابه، **فيقولون:** فعل مرفوع على المضارعة، **والزمان**: مرفوع على الابتداء، و**به فساد**: جملة ابتدائية، وإنما ابتدأ بالنكرة؛ لما تقدم خبرها، كقولك: في يدي سيف، و**هم فسدوا:** جملة ابتدائية، و**الواو**: هي الفاعلة، وقوله: **وما فسد الزمان**: جملة سلبية لا موضع لها من الإعراب، ويحتمل أن تكون منصوبة على الحال كقولك: جاء زيد والشمس طالعة، و**الواو:** كافية عن الضمير، وأما موضع الشاهد منه، فإنما أورده تصديق لمقصود الحديث ومطابقة لمعناه، وكان عليه السلام يعجب بالأشعار الدالة على التوحيد، كقول لبيد[3]:

---

[1]) في (د) سقط: لـ «قال»، واسم «الله» مرفوع على الفاعلية.

[2] (?) في (د) أعصانا.

[3]) وهو لبيد بن ربيعة العامري، أبو عقيل، قدم على النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- سنة وفد قومه بنو جعفر بن كلاب، فأسلم وحسن إسلامه، وهو من أهل عالية نجد، كان أحد الشعراء الفرسان في الجاهلية، وأحد شعراء المعلقات السبع، سكن الكوفة، وتوفي سنة

أَلاكُلُّ شيْءٍ مَا خَلا اللهَ بَاطِلُ[1]

وقال: «إن من الشعر لحكمة وبيانًا»[2].

النظر الثـاني: في بيـان ما اشـتمل عليه من علـوم المعاني والبيان والبديع

ويتضمن مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: في تقرير ما تضمنه من العلوم المعنوية

صدّر الحديث بالنهي عن السبّ للدنيا، وأردفـه بالمـدح على جهـة التعليـل، كأنه قـال: لا تسـبوها؛ لأنهـا نعم المطيـة للمـؤمن، **والمطية**: مـا يُمتطى ظهـره للركوب، ثم عقبه بــ «**على**» دلالة على الاستعلاء، وقدمه على العامل على جهة الاهتمام، و**بلوغ الخير**: هو الجنة، و«**بها**» أيضًا مقدم على عامله للاهتمام أيضًا، و«**الخير**» هو الجنة؛ إذ لا خير أعظم من خـير الآخـرة وهـو الجنـة، ولا شرّ أعظم من شرّ الآخرة وهو النار.

«**إن العبد**» جملة مؤكـدة واردة على جهـة الفصـل من غـير (واو)، وقولـه: «**لعن الله**» هي الجملة المقولة، وقوله أيضًا: «**قالت: لعن الله**» هي الجملــة المقولة أيضًا، وأفعل التفضيل يرد على وجهين:

أحـدهما: أن يكـون واردًا على جهـة المشـاركة، وهـو الأكـثر المطـرد في استعماله، كقولك: زيد أفضل من عمرو.

وثانيهما: أن يرد على الانفـراد دون الاشـتراك، كقولـك: العسـل أحلى من الخلّ، ليس الغرض أنهما اشـتركا في الحلاوة، وزاد عليـه العسـل، ولكن الغـرض

41هـ. ينظـر: الاسـتيعاب، 3/ـ 1335. معجم رجـال الاعتبـار وسـلوة العـارفين، عبد السـلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط1، عام 1421هـ، عمان، الأردن، 357.

[1] (?) البيت من الطويل، وعجزه: وَكُلُّ نَعِيْمٍ لا مَحَالَةَ زَائِلُ. ينظـر: شـرح ديـوان لبيد بن ربيعة العامري، حققه وقدم له د. إحسان عباس، مطبعة حكومة الكـويت، عـام 1962م، الكـويت، 256.

[2] (?) سنن ابن ماجة، 2/ 1235. بلفظ: «إن من الشعر لحكمة».

انفراد العسل بالحلاوة واستبداده بها، فإذا تمّ ذلك، فقوله: «**أعصانا لربه**»، إنما هو دال على الانفراد دون المشاركة، وليس يتعقل من جهة الـدنيا عصـيان، وإنمـا الغرض ما قلناه من الانفراد، كأنه قال: لعن الله العاصي منهما، ومنه قولـه عليـه السلام: «ألا أخبركم بأبغضكم إليّ، وأبعدكم مني مجالس يـوم القيامـة أسـاوؤكم أخلاقًـا الثرثـارون والمتفيهقـون»[1]، فـأراد المختصـين بـالبغض، والبعـد دون المشاركة.

المبحث الثاني: في بيان ما تضمنه من علوم البيان

وهو مشتمل على مجازات:

المجاز الأول: منها «**مطية المؤمن**» اسـتعارة للـدنيا، فإنـا راكبـون لها، وهي تسير بنا، ولو كنا واقفين كما تسير المطية.

المجاز الثاني: قولـه: «**عليها**»، فـإن «**على**» للاسـتعلاء، وهـو من بـاب توشيح الاستعارة، فلمـا ذكـر **المطية**، وهي ممّـا يعلي ذكـر الحـرف الـدال على الاستعلاء، فصار توشيحًا، كما قال تعالى: [illegible][2]، فلما ذكـر **الشراء** أردفه **بالربح** توشيحًا.

المجاز الثالث: قولـه: «**بها**»، فـإن «**الباء**»، إنمـا حقيقتهـا للإلصـاق، ولا إلصاق هاهنا، وإنما هو مجاز.

المجاز الرابع: قوله: «**قالت الدنيا: لعن الله**»، فإن مقالتهـا إنمـا كـان بلسان الحال، وهو مجاز[3]، نظـيره مـا يحكى عن العـرب: قـال الجـدار للوتـد لم

---

1 (?) مسـند أحمـد، 4/ـ 193. بلفـظ: «إن أحبكم إليّ وأقـربكم مـني في الآخـرة مجـالس محاسنكم أخلاقًـا، وإن أبغضـكم إليّ وأبعـدكم مـني في الآخـرة مسـاوئكم أخلاقًا الثرثـارون المتفيهقون المتشدقون».

2 (?) سورة البقرة من الآية 16.

3)) في (د،ك،م) زيادة: الواو.

تشقني؟ فقال: سلْ من يدقني[1]، فكلّه إنما هو بلسان الحال كما قررناه.

المبحث الثالث: في بيان ما تضمنه من علوم البديع

وقد اشتمل على: الطباق، وهو ذكر الخير والشر، وهذا الحديث على تقارب أطرافه وقلة ألفاظه قد اشتمل على البلاغة التامة، وقد ذكرنا من قبل أن الاقتباس من علم البديع، وكما يرد في الآيات القرآنية، وفي الأخبار الشريفة النبوية فقد يكون واردًا في الأبيات الشعرية، فإذا ورد البيت الشعري مطابقًا للكلام موافقا لمعناه كما ورد هذا البيت الذي أورده الشريف على جهة المطابقة لما دل عليه الحديث، فإنه لا محالة معدود في الاقتباس.

النظر الثالث: في بيان مقاصده عليه السلام

فإنما نهى عن سبّ الدنيا لأمرين:

أما **أولاً،** فلأنها لا تستحق سبًّا ولا لعنًا، فإنه لا جرم لها، وإنما الجرم لما[2] خرج عن طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله بالكفر والفسوق، وحاد الله ورسوله، وأما **ثانيًا:** فلأنه لا ثمرة لسبّها، ولا فائدة فيه.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فنعمت مطيّة المؤمن عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشرّ**»، والمعنى في هذه الاستعارة البليغة، أنَّا على ظهرالدنيا مستقرين عليها كاستقرار الراكب على المطيّة، وهي الراحلة، فصارت قاعدة لمهادنا، وحاملة لأثقالنا، ومقرًّا للأحياء والأموات، كما قال تعالى: [illegible][3] أراد أنها تكفت الأحياء في البيوت والأموات في القبور، فنحن مستقرون على ظهرها حتى نلقى ربنا نياما وأيقاظًا

1 (?) إحياء علوم الدين،1/ 103.
2)) في (د،ك،م) لمن. {وهو المناسب}.
3 (?) سورة المرسلات الآيتان 25، 26.

وناسين وحفّاظًا، فخاسر ورابح، وصالح وطالح، كما قال تعالى: [illegible][1]، فإن جعلنا بضاعتنا إلى سوق الآخرة التقوى كثرت أرباحنا، وظهر فلاحنا وعظم نجاحنا، وإن كانت بضاعتنا، والعياذ بالله النيات الفاسدة، والآمال الكاسدة عظم الخسار، وظهر البوار، وكثر التبار، وضلت الحيل، وانقطع الأمل، ولات حين مناص، ولا رجوع ولا خلاص، فنسأل الله توفيقًا يقودنا إلى رضوانه، ونفوز بجواره في جنانه.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**عليها يبلغ الخير**» أراد بالخير هاهنا الجنة، وأراد بالشرّ هو النار، وهذه صفة المؤمن حقًّا، فإنها دار تجارته، ومحلّ بضاعته[2].

سؤال: أراه فصل بين الحرفين، فعدّى «**يبلغ**» بـ «**على**»، وعدّى «**ينجو**» بـ «**الباء**»، وما السرّ في ذلك؟

وجوابه: هو أن بلوغ الخير إنما كان بالإسلام والإيمان وسائر الأعمال الصالحة، وهذه عالية على كل شيء، كما قال عليه السلام: «الإسلام يعلو ولا يُعلى»[3]؛ لأنه إنما يصل إلى الجنة بما ذكرناه، والمعاصي دنية[4]، وإنما ينجو من النار بسببها فهو الانكفاف عن المعاصي، وليس هناك ما يوجب العلو، فلا جرم فصل بين الحرفين إشارة إلى ما قلناه.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن العبد إذا قال: لعن الله الدنيا. قالت الدنيا: لعن الله أعصانا لربه**»، واعلم أن ذم الدنيا يكون على وجهين:

أحدهما: أن يكون مكروهًا، وهذا نحو أن تذم الدنيا على أنها لولاها لما

---

1 (?) سورة التغابن من الآية 2.

2 (?) في (د،ك،م) طاعته.

3 (?) صحيح البخاري ، 1/ 454 .

4 (?) في (د،ك،م) سقط: والمعاصي دنية.

عصينا الله تعالى ولا أغضبناه؛ لأن زينتها وزخرفها هو الذي حملنا على ذلك وافتتنا بها، فهذا لا محالة يكره ويكون مذمومًا من الله تعالى بلسان المقال، ومن الـدنيا بلسان الحال، ويؤيده ما روي أنّ عليًّا- عليه السلام- سمع رجلاً يذم الـدنيا، فقـال له: يا هذا أنت المجترم على الدنيا أم هي المجترمة عليك؟! أغرتك بمصارع آبائك على الدنيا أو بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟![1] فما هذا حاله يذم ولا يحمد.

وثانيهما: أن يكون ذمّها على غير هذا الوجه على معـنى أن أيامهـا منقطعـة، ولذاتها فانية، وهذا قد أشار الله إليه تعالى بقوله: [illegible][2]، وقوله تعالى: [illegible][3]، وقوله: [illegible][4]، وقوله تعالى: [illegible][5].

وقوله: «لعن الله أعصانا لربه» فيه غاية الإنصـاف؛ لأن كـل من عصى فهو مستحق للعقاب من جهة الله تعالى، واللعن والطرد كمـا قال حسان بن ثـابت[6] في جوابـه لابن الزبعـرى[7] لمـا هجـا رسـول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-:

أَتَهْجُـــوْهُ وَلَســـْتَ لَـــهُ بِكُفءٍ   فَشَـــرُّكُما لِخَيرِكُمَـــا الفِـــداءُ[8].

---

1 (?) تيسير المطالب، 507.

2 (?) سورة العنكبوت من الآية 64.

3 (?) سورة التوبة من الآية 38.

4 (?) سورة الحديد من الآية 20.

5 (?) سورة الكهف من الآية 45.

6 (?) وهو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، شاعر الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- وأحد المخضرمين، لم يشهد مع الرسول مشهدًا، توفي بالمدينة سـنة 54هـ. ينظـر: الإصابة، 2/ 62- 64. الأعلام للزركلي، 2/ 175، 176 .

7 (?) وهو عبد الله بن الزبعـرى بن قيس السـهمي القرشـي، كـان من أشـعر قـريش، وكـان شـديدًا على المسـلمين، ولمّـا فتح الرسـول- صـلى الله عليه وآله وسـلم- مكة هـرب إلى نجران، ثم عاد إلى مكة وأسلم. ينظر: الإصابة، 4/ 87.

8 (?) البيت من الوافر، والبيت ثابت في ديوان حسان بن ثابت. ينظر: شرح ديوان حسـان بن

فقال أهل البلاغة: أنصف بيت قالته العرب بيت حسان هذا[1]، وهكذا مقال[2] الدنيا بلسان الحال، فيه غاية الإنصاف لمن لعن الدنيا، ولو قالت الـدنيا: لعن اللـه من لعنني لكان ذلك جزاقًا لا وجه له، فلما قالت هـذه المقالـة عـرف بهـا مقصـد الإنصاف، فهذا ما أردنا ذكره في شرح هـذا الحـديث الـذي كـانت ألفاظـه قليلـة، ومعانيه كثيرة غزيرة، كما ترى، ونختم الكلام في هذا الحديث بذكر ماهيــة الزهد، وفضله، ودرجاته، فهذه مقامات ثلاثة:

المقام الأول: في بيان ماهية الزهد

واعلم أن الزهـد مقـام شـريف، وهـو من أعظم مقامـات السـالكين طريـق الآخرة، وتنتظم ماهيته ببيان أمور ثلاثة: **الحـال**، و**العلم**، و**العمل**، أمـا **الحـال،** فنعني به ما يسمى زهدًا، وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى مـا هـو خير منه، فكل من عدل عن شيء إلى غـيره فحالـه بالإضـافة إلى المعـدول عنـه يسمى زهدًا، وبالإضافة إلى المعدول إليه يسمى رغبة، وعلى هـذا يكـون كـل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهـو أيضًـا زاهـد في الآخرة، ولكنه لا يسمى زاهدًا؛ لأن العادة جاريـة بتخصـيص اسـم الزهـد على من يزهد في الدنيا، فحصل من مجموع ما ذكرناه أن الزهد عبارة عن رغبة العبـد عن الدنيا عدولاً إلى الآخرة، وعن غـير اللـه عـدولاً إلى اللـه، وهـذه هي الدرجـة العليا، ولا بدّ في الزهد من اعتبار شرطين:

أحدهما: أن يكون المرغوب إليه أحبّ من المرغوب عنه حتى يقال: إنه إذا تركه كان زاهدًا، فلا يكون الزهد في الدنيا حتى تكون الآخرة أحبّ إليه من الدنيا.

ثابت الأنصاري، وضعه وضبط الديوان وصححه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتـاب العـربي، (ت)، بيروت، لبنان، 61.

1 (?) ينظر: الوافي بالوفيات، 11/ 273.

2 (?) في (د،ك،م) مقالة.

وثانيهما: أن يكون المرغوب عنه مقدورًا عليه، فمن ترك الدنيا لعجزه عن تحصيلها لم نقل إنه زاهد، ولهذا قيل لبعض الصالحين: يا زاهد، فقال: إني لست زاهدًا، وإنما الزاهد عمر بن عبدالعزيز حيث جاءته الدنيا راغمة فتركها، وأما أنا فبماذا أزهد؟!

وأما **العلم** الذي يبيّن هذه الحال، فهو العلم بكون المتروك حقيرًا، بالإضافة إلى المأخوذ ، وكل من عرف أن ما عند الله باقٍ، وأن الآخرة خير وأبقى، فليس يحتاج من العلم بالزهد إلا إلى هذا القدر، فإذا علم ذلك فقد أحرز ما يشترط من العلم بالزهد، وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا، إما بضعف[1] علمه وثقته، وإما لأجل استيلاء الشهوة في الحال عليه، وكونه مقهورًا في يد الشيطان، وإلى تعريف خساسة الدنيا الإشارة بقوله: [illegible][2]، وإلى نفاسة الآخرة بقوله: [illegible][3].

وأما **العمل** الصادر عن حال الزهد، فهو ترك وأخذ، فالترك للأدنى، وهي الدنيا، وأخذ الآخرة بالزهد يوجب ترك الدنيا بأسرها وعلائقها، وفقد ما بها، ويدخل حبّ الآخرة في قلبة، فإذا وفى بالأمرين كليهما الأخذ والترك، فقد أحرز الزهد، واستبشر بالبيع الذي باع به.

المقام الثاني: في بيان فضيلة الزهد

فقد قال تعالى: [illegible][4]، وقال تعالى: [illegible]

---

1 (?) في(د،ك) لضعف.

2 (?) سورة النساء من الآية 77.

3 (?) سورة آل عمران من الآية 198.

4 (?) سورة الشورى الآية 20.

[illegible][1]، وقال تعالى: [illegible]

[illegible][2] جاء في تفسيره على الزهد في الدنيا، وقال تعالى: [illegible]

[illegible][3] قيل: معناه أيّهم أزهد في الدنيا[4]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أصبح وهمّه الدنيا شتت الله عليه أمره، وفرق عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن أصبح وهمّه الآخرة جمع الله له همّه، وحفظ عليه ضيعته، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»[5]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا رأيتم العبد قد أعطي صمتًا وزهدًا في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يُلقّى الحكمة»[6]، وقال تعالى: [illegible]

[illegible][7]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا»[8]، وعن بعض الصحابة- رضي الله عنهم- قال: قلنا:- يا رسول الله- أيّ الناس خير؟ قال: «كل مخموم القلب، صدوق اللسان» قلنا:- يا رسول الله- وما مخموم القلب؟ قال: «التقي النقي الذي لا غلّ فيه لا غشّ ولا بغي ولا حسد». قيل:- يا رسول الله- فمن على إثره؟ قال: «الذي يشنأ الدنيا، ويحب الآخرة»[9]، ومفهومه أن شرّ الناس من يحب الدنيا، وقال صلى الله عليه وآله

---

1 (?) سورة طه من الآية 131.

2 (?) سورة القصص من الآية 54.

3 (?) سورة الكهف من الآية 7.

4 (?) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب الأندلسي، تحقيق عبد السلام عبد الشافعي محمد، دار الكتب العلمية، ط1، عام 1993م، بيروت، لبنان، 3/ 496.

5 (?) المعجم الكبير، 5/ 143. بلفظ : «من كانت نيته الآخرة جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا راغمة، ومن كانت نيته الدنيا فرق الله عليه أمره، وجعل فقره ... الحديث».

6 (?) نفسه، 22/ 392. بلفظ:«إذا رأيتم الرجل المؤمن قد أعطي زهدًا في الدنيا،وقلّة منطق فاقتربوا منه، فإنه يلقى الحكمة».

7 (?) سورة البقرة من الآية 269.

8 (?) سنن ابن ماجة، 2/ 1373. بلفظ: «ازهد في الدنيا يحبك الله».

9 (?) حلية الأولياء، 1/183. بلفظ: «قيل لرسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم - : أيّ الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان. قالوا: صدوق اللسان نعرفه. فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي لا أثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد. قالوا: فمن يليه- يا رسول الله - ؟ قال: الذي يشنأ الدنيا، ويحب الآخرة».

وسلم : «الزهد في الدنيا والورع يجولان في القلب كل ليلـة فـإن صـادفا قلبًـا فيـه الإيمان والحياء أقاما فيه وإلا ارتحلا»[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اسـتحيوا من الله حقّ الحياء» قالوا: إنا لنستحيي، قال: «تبنون ما لا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون»[2]، فبين أن ذلك يناقض الحياء من الله عزّ وجلّ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه، وأنطق بهـا لسـانه، وعرفـه داء الدنيا ودواؤها، وأخرجه منها سالمًا إلى دار السلام»[3]، وقال صـلى اللـه عليـه وآلـه وسلم: «من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله بثلاث: همّ لا يفارق قلبـه أبدًا، وفقـر لا يستغني أبدًا، وحرص لا يشبع معه أبدًا»[4]، وقال صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «لا يستكمل عبـد الإيمـان في قلبـه حـتى أن يكـون لا يعـرف أحب إليـه من أن يعـرف، وحتى يكون قلّة الشيء أحب إليه من كثرته»[5].

وقال عيسى- عليه السلام-: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها، وقيـل لـه:- يـا نبي الله- لو أمرتنا أن نبني بيتًا نعبد اللـه فيـه، فقـال: اذهبـوا فـابنوا بيتـا على المـاء، فقالوا: كيف يستقم بناؤه على الماء؟ فقال: كيف تستقيم عبادة على حب الـدنيا؟!![6]

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أراد الله بعبد خيرًا زهّده في الدنيا، ورغّبــه في الآخرة، وبصّره عيوب نفسه»[7]، وقال صلى الله عليه وآله وسـلم: «ازهـد في الـدنيا يحبك الله، وازهد عمّا في أيدي الناس يحبك الناس»[8]، وقال صـلى اللـه عليـه وآلـه

---

1 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 220.

2 (?) المعجم الكبير، 25/ 172. بلفظ:«يا أيها الناس أما تستحيون. قالوا: ممَ ذاك- يا رسول الله- ؟ قال: تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تعمرون».

3 (?) شعب الإيمان، 7/ 346. بلفظ: «من زهد في الدنيا أسكن الله الحكمة قلبه، وأطلق بها لسانه، وبصّره عيوب الدنيا داءها ودواءها، وأخرجه منها سالمًا مسلمًا إلى دار السلام».

4 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 223.

5 (?) نفسه. بلفظ: «لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف، وحتى يكون قلته أحب إليه من كثرته».

6 (?) نفسه، 4/ 223.

7 (?) شعب الإيمان، 7/ـ 347. بلفظ: «إذا أراد الله بعبد خـيرًا جعل فيه ثلاث خلال: فقهه في الدين، وزهّده في الدنيا، وبصّره عيوب نفسه».

8 (?) المعجم الكبير، 6/ 193 .

وسـلم : «من أراد أن يؤتيـه اللـه علمًـا بغـير تعلم، وهـدى بغـير هدايـة فليزهـد في الـدنيا»[1]، وقـال صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «من اشـتاق إلى الجنـة سـارع إلى الخيرات، ومن خاف النار لها عن الشهوات، ومن خاف الموت ترك اللذات، ومن زهد في الدنيا هانت عليـه المصـيبات»[2]، ولنقتصـر على القـدر في فضـيلة الزهـد، ففيـه كفاية في مقدار غرضنا، والله أعلم بالصواب.

القسم[3] الثالث: في بيان درجات الزهد

اعلم أن درجات الزهد منقسـمة إلى مـا يكـون بالإضـافة إلى الزهـد نفسـه، وإلى ما يكون بالإضافة إلى المرغوب فيه، وإلى المرغوب عنه، فهذه ثلاثة أقسام نشير إلى ما يختص كل واحد منها.

القسم الأول: في بيان درجات الزهد في نفسه

اعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب قوته وضعفه إلى ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: منها أن يكون زاهدًا في الدنيا، وهو في غاية الشهوة لهــا، وقلبه إليها مائل، ونفسه إليها تائقة، ولكنه يجاهد نفسه ويكفها، وهـذا ليس زاهـدًا على الحقيقة، وإنما هو متزهد، وهذا مبـدأ الزهـد في حقّ من يريـد الوصـول إلى الزهد حقيقة، فالزاهد قد عزم وجرّد نفسه على ترك الدنيا، والمتزهد على خطــر في معالجة نفسه، فإنه ربّمـا غلبتـه نفسـه، وجذبتـه شـهوته، فيعـود إلى الـدنيا لا محالة.

الدرجة الثانية: الذي يترك الدنيا طوعًا لاستحقارها، وهو أنها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالذي يترك درهمًا لأجل حصـول درهمين، فإنـه لا يشـق عليـه ذلـك،

---

[1] (?) شعب الإيمان، 7/، 360. بلفظ: «ألا إنه من رغب في الدنيا، وقصر أمله فيها أعطاه الله علمًا بغير تعلم، وهدى بغير هداية».

[2] (?) نفسه، 7/ 370 .

[3] (?) في (د،م) المقام. {وهو الصحيح حيث سـبق في خاتمة الزهد أن ذكر المقـام الأول في بيان ماهية الزهد ثم المقام الثاني في بيان فضيلة الزهد ، وهذا هو المقـام الثـالث في بيـان درجات الزهد}.

فهذا الزاهد يرى لا محالة زهده، ويلتفت إليه، فيكاد أن يكون معجبا بنفسه وبزهده، ويظن في نفسه أنه قد ترك شيئًا له قدر، وخطر لما هو أعظم منه قدرًا، فهذا لا محالة نقصًا في هذه الدرجة.

الدرجة الثالثة: أن يزهد طوعًا، ويزهد في نفسه في الدنيا، فلا يرى زهده شيئًا؛ إذ لا يرى أنه ترك شيئًا له خطر وقدر؛ إذ عرف أن الدنيا ليس شيئًا فيستحق الزهد، كمن يترك بعرة ويأخذ جوهرة، فلا يرى ذلك معاوضة على حال، ولا يرى نفسه تاركة لشيء، ولا الدنيا بالإضافة إلى الله وإحراز نعيم الآخرة أخسّ من البعرة، بالإضافة إلى الجوهرة، فهذا هو الكمال في الزهد، ومثل هذا الزاهد آمن مِن خطر الالتفات إلى الدنيا، كما أن تارك البعرة بالإضافة إلى الجوهرة آمن من طلب الإقالة فيها.

القسم الثالث[1]: بالإضافة إلى المرغوب فيه

وذلك أيضًا يكون على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى:- أدناها- وهو أن يكون المرغوب فيه السلامة من النار والنجاة منها، وسائر الآلام كعذاب القبر، ومناقشة الحساب، وسائر أهوال القيامة، فهذا لا محالة زهد الخائفين، وكان هؤلاء راضون بالإعدام؛ لأن الخائف يرضى بالإعدام لأجل الخلاص.

الدرجة الثانية: أن يزهد رغبة في الوصول إلى ثواب الله ونعيمه، وإلى اللذات الموعود بها في الجنة من الحور، والقصور، وغيرها من الملاذ العظيمة، فما هذا حاله زهد الراجين، فإن هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الآلام[2]، بل طمعوا في وجود دائم على نعيم قائم لا آخر له ولا انقضاء لوجوده.

---

1 (?) هذا هو القسم الثاني كما ذكر المصنف في درجات الزهد حيث جعله ثانيًا.

2 (?) في (د،ك،م) الألم.

الدرجة الثالثة:- وهي العليا- لا يكون للزاهد رغبة إلا في الله تعالى ولقائه، ولا يلتفت قلبه إلى شيء من الآلام ليتخلص عنها، ولا إلى اللذات ليحصل عليها ويظفر بها، بل[1] مستغرق الهمّ بالله، وهو الذي أصبح، وهمّه همّ واحد، فما هذا حاله يقال له زهد المحبين، وهم العارفون؛ لأنه لا يحب الله إلا من عرفه، فهذه الدرجة هي أنفس الدرجات وأعلاها، والله الموفق.

القسم الثالث: بالإضافة إلى المرغوب عنه

اعلم أن الله تعالى قد ذكر في كتابه الكريم الأشياء المحبوبة إلى الخلق؛ ليحصل الزهد فيها، فذكر في آية أمورًا سبعة، فقال تعالى: [illegible][2]، ثم رده في آية أخرى إلى خمسة، فقال: [illegible][3]، ثم ردّه في موضع آخر إلى اثنين، فقال: [illegible][4]، ثم ردّ الكلّ إلى واحد في موضع آخر، فقال: [illegible][5]، فالهوى يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا، فينبغي أن يكون الزهد حاصلاً فيه، فإذا عرفت هذا، فاعلم أن الزهد بالإضافة إلى ترك الأشياء كلّها على مراتب أربع:

المرتبة الأولى: الزهد في المحظورات عن الوقوع فيها، وهذا لا محالة أولى درجات الزهد؛ لأن خلاف ذلك يؤدي إلى الوقوع في المحظورات الشرعية.

---

[1] (?) في (ك،م) زيادة:هو.

[2] (?) سورة آل عمران من الآية 14.

[3] (?) سورة الحديد من الآية 20.

[4] (?) سورة الأنعام من الآية 32.

[5] (?) سورة النازعات الآية 40.

المرتبة الثانية: الزهـد عن الوقـوع في الأمـور المتشـابهة الـتي لا يـؤمن ضررها شرعًا، فما هذا حاله نوع من الزهد دون الأولى.

المرتبة الثالثة: الزهد عن الحلال حذرًا عن الوقـوع في الحـرام، وهـذه أيضًـا أعلى ممّا قبلها كما ترى.

المرتبة الرابعة: الإعراض عن كل شيء ممّا سوى الله تعـالى، وهـذه هي أعلى المراتب، وأفضلها، وأولاها.

ولنشر إلى ما ذكره الزّهاد في ضبط الزهد: قال بعضهم: الزهـد: هـو القناعـة، وهذه إشارة إلى الزهد في المال خاصة، وقال آخـرون: الزهـد قصـر الأمـل، وهـذه إشارة إلى ترك جميع المشتهيات التي تميل إليها النفوس، وإن كـل من طـال أملـه كثرت رغبته في الدنيا كلها، وقال بعضهم: الزهد: هو ترك المضمون، وهذا[1] إشارة إلى الرزق، وقال بعضهم: اتباع العلم ولزوم السّنّة، فهـذه الأقاويـل كلّهـا دالـة على حدّ ما يجده كلّ واحد من نفسه من الزهد، والمختار من هذه الأحاديث كلّها ما قالـه بعض الزهاد، وهو أجمع ما قيل في الزهد، أن يقال: هو ترك كل شـيء يشـغلك عن الله- عزّ وجلّ- وهذا جامع لجميع مقاصد الزهد كلّها؛ لأن كل من كان مشـغولاً قلبـه بالله عزّ[2] سلطانه، فهو معرض عمّا سواه، والله الموفق للصواب.

1 (?) في (د،م) هذه.
2 (?) في (د) عن بدلاً من: بالله عزّ.

الحديث الحادي عشر

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وآله وسلم- : «**أكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ، فَإِنَّكُمْ إِنْ ذَكَرْتُمُوهُ فِي ضِيقٍ وَسَّعَهُ عَلَيْكُمْ فَرَضِيتُمْ بِهِ فَأُجِرْتُمْ، وَإِنْ ذَكَرْتُمُوهُ فِي غِنَى بَغّضَهُ إِلَيْكُمْ فُجُدتُّمْ بِهِ فَأُثِبْتُمْ، فِإِنَّ الْمَنَايَا قَاطِعَاتُ الآمَالِ، وَاللَّيَالِي مُدْنِيَاتُ الآجَالِ، وَإِنَّ الْمَرءَ بَيْنَ يَوْمَيْنِ، يَوْمٌ قَدْ مَضَى أُحْصِيَ فِيه عَمَلُهُ فَخُتِمَ عَلَيْهِ، وَيَوْمٌ قَدْ بَقِيَ لاَ يَدْرِي لَعَلَّهُ لاَ يَصِلُ إِلَيْهِ، إِنَّ الْعَبْدَ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ وَحُلُولِ رَمْسِهِ يَرَى جَزَاءَ مَا أَسْلَفَ، وَقِلَّةَ غَنَاء مَا خَلَّفَ، وَلَعَلَّهُ منْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ، أَوْ مِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ**»[1].

فنقول: الحمد لله القاهر الذي قصم بالموت رقاب الجبابرة، وكسر به ظهور الأكاسرة، وقصر به آمال القياصرة[2]، وأرغم به أنوف الملوك الغابرة، الذي[3] لم تزل قلوبهم عن ذكر[4] الموت معرضة نافرة، حتى جاءهم الوعد الحق، فإذا هم في الحافرة، فنقلوا من سعة القصور إلى ضيق القبور، ومن ضياء المجالس، ونورها إلى ظلمة اللحود، ومن ملاعبة الخود[5] والغلمان إلى مصاحبة الهوام والديدان، ومن التنعم بلذيذ الطعام والشراب، ومن الاتكاء على الأرائك، ونفيس الثياب إلى توسد الأحجار واللبن والتمرغ بالتراب، ومن أنس العشيرة والإخوان إلى وحشة الوحدة ومفارقة الجيران، فانظر هل وجدوا من[6] الموت

---

1 (?) الأربعون حديثا السيلقية،23.

2 (?) في (د) الأقاصرة.

3 (?) في (د) الذين.

4 (?) في (د) سقط: ذكر.

5)) الخود: الفتاة الحسنة الخَلق الشابة، وقيل: الجارية الناعمة. ينظر: لسان العرب، مادة (خود).

6 (?) في (ك،م) عن بدلاً عن من.

حصنًا رفيعًا؟! أو اتخذوا من دونه حجابًا منيعًا؟! وهل حاولوا من دونه حرزًا؟! وأبصر هل تحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزًا[1]؟!

فسبحان من تفرد بالقهر والاستيلاء، واستأثر باستحقاق الدوام والبقاء، وأذلّ أصناف الخلائق بما كتب عليهم من الفناء، ثم جعل الموت مخلصًا للأتقياء، وموعدًا في حقهم باللقاء، وجعل القبر سجنًا للأشقياء، وحبسًا ضيقًا عليهم إلى يوم النداء، فله الإنعام بالنعم الظاهرة، وله الانتقام بالنقم القاهرة، وله الشكر في السماوات والأرض، وله الحمد في الأولى والآخرة.

والصلاة والسلام على المؤيد بالمعجزات الظاهرة، والمرفود بالآيات الباهرة، وعلى آله الطيبين أهل الإحسانات الغامرة[2]، والأحساب الفاخرة، واعلم أن ما ذكره صلى الله عليه وآله وسلم مشتمل على النظر في أمور ثلاثة نوضحها بمعونة الله تعالى.

النظر الأول: في بيان ما تضمنه من العلوم الأدبية

وفيه مقصدان، نفصلهما بمعونة الله.

المقصد الأول: في بيان ما تضمنه من الألفاظ اللغوية

فالإكثار: الزيادة، وهي نقيض الإقلال، **والذكر**: نقيض النسيان، **والهادم**: المخرب، **والهدم**: الخراب، **واللذّة**: كل ما يلائم المزاج، **والضيق**: نقيض السعة، **والرضا**: نقيض الغضب، **والأجر**: ما كان في مقابلة العمل. **المرء** في اللغة: موضوع للذكر والأنثى، واللام فيه للجنس، وهي تفيد العموم والاستغراق كالرجل والمرأة والدينار والدرهم، وهل يفيدان الاستغراق بمطلقهما أو بقرينة؟ فيه تردد بين الأصوليين ذكرناه في الكتب الأصولية.

---

[1])) الركز: الصوت. ينظر: لسان العرب، مادة (ركز).
[2] (?) في (م) العامرة.

والأيام ثلاثة: يوم نحن فيه، ويوم خلفناه، ويوم أمامنـا، فيومنـا الـذي نحن فيه هواليوم الثالث، وهو اليوم الذي لم يذكره صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم؛ لأن غرضه إنما هو ذكر الماضـي والمسـتقبل دون الحـال، فلهـذا قـال: «**المرء بين يومين**»، فالأمس ماضٍ معـدوم ذاهب، فـذهاب[1] الماضـي أُحصـي فيـه العمـل، وبعـدم البـاقي لم يمـدد العاقـل إليـه الأمل، و**الإحصـاء**: هـو الاستقصـاء، وهـو استيعاب الأمـر حفظًـا وتـدبيرًا، والمـراد هاهنـا الحفظ، و**الختم**: هـو العلامـة في الأصل، فلما كان إلصاق الكتاب بالشمع وغيره علمًا للمنع عن فضه وقراءته قيل: إنه مختوم، **والختم على الأفواه**: هـو إلصـاق الشـفاه بعضـها ببعض، والبـاقي نقيض المنقضــي، ولعــل من الألفــاظ الــترجي، والمرجــو لا يقطــع بوصــوله، و**الوصول**: بلوغ الأمل المترجى، **والمنايا:** جمع منية، وهي فراق الروح للجسـد بـأي وجـه كـان، و**القطع**: نقيض الوصل، و**الآمال**: جمـع أمـل، وهـو مـا يـرجى وصوله في المستقبل، وأصل الأمل القصد، فلما كـان الخـير المرجـو يقصـد إليـه سمي أملًا، و**الليالي**: هي زوجات الأيام، وأولادهما هي المصـائب الحادثـة فيهما، و**المدنيات**: المقربات، و**الآجال**: هاهنا هي الأوقات لفراق الأرواح للأجساد.

المرء: اسم يقع على الذكر والأنـثى، واللام فيـه للاسـتغراق، وخصّ الـذكور هاهنا والمـراد الرجـال والنسـاء، إنمـا كـان ذلـك على جهـة التغليب للـذكور على الإنـاث، **العبد**: هـو الإنسـان، وهـو المـذلل لربـه بـالعجز والحـدوث والخضـوع، **الخروج**: هاهنا نقيض الدخول.

سؤال: أراه قال في أول كلامه: «**إنّ المرء بين يومين**»، فصـدّره بـذكر المـرء، وقـال في آخـر الكلام: «**إن العبد عنـد خـروج نفسه**»، وصدّره بـذكر

---

[1] (?) في (د) فبذهاب.

العبد، فهل[1] هناك تفرقة بين الأمرين؟

وجوابه: هو أن ما ذكره من تقسيم الأيام ليس فيه خضوع ولا ذلّة، وإنّما هو أمر محقق لا ينفك منه أحد من الخلق، فلهذا صدّره بذكر «**المرء**» وهو الإنسان بخلاف ما ذكره آخِرًا من خروج النفس وحلول الرمس، فإن فيه خضوعًا وذلّة وتواضعًا وامتهانًا بنزع الروح، ودفنها في القبور وإلقائها جيفة لا حراك لها، وهذا نهاية الذلّ والصغار، فلا جرم صدّر الكلام بذكر العبد إشارة إلى ما قلناه، و**النفس**: هي الروح، وقد أسلفنا ذكر تقرير الكلام فيه، وقد تطلق النفس على ذات الإنسان، وتطلق على الدم، كما قال بعض الشعراء[2]:

تَسِيْلُ عَلَىْ حَدِّ السُّيُوفِ نُفُوسُنَا ... تَسِيْلُ[3]

وتقول الفقهاء: كلما ليس له نفْس سائلة فهو طاهر يريدون دمًا سائلاً، و**الحلول**: نقيض الرحيل، و**الرمس**: القبر، وسُمي رمسًا؛ لأنّه يُرمس فيه الإنسان الميت، يعني: يُغيب ويُغطى ويُوارى كما يرمس الواحد منا في الماء، وهو محلّه حتى يرحل عنه إلى موقف الحساب.

الرؤية والإدراك والمشاهدة معناها واحد، و**الجزاء** في اللغة: هو العوض، والمراد به هاهنا الثواب، و**القلّة** :هي الحقارة، و**السَّلف**: القرض، و**الغَناء**: بفتح (الفاء) هوالنفع الذي ترتفع به الحاجة، و**المخلَّف**: هو ما كان بعد الموت، **الباطل**: نقيض الحق، و**الحق**: هو اللازم الثابت، و**المنع:** نقيض الإعطاء.

---

1 (?) في (د،ك،م) الواو بدلاً عن الفاء.

2)) القائل: السموأل بن غريض بن عادياء، شاعر جاهلي حكيم، سكن خيبر، وكان ينتقل بينها وبين حصن له بتيماء اسمه الأبلق، يضرب به المثل في الوفاء، توفي عام 64ق هـ. ينظر: الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد المرواني الأصبهاني، تحقيق سمير جابر، ط2، دار الفكر، بيروت، لبنان،22/ 122. معجم المؤلفين، 4/ 280.

3 (?) البيت من الطويل، ونصّه: تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظِبَاتِ نُفُوسُنا وَلَيسَتْ عَلَى شَيءٍ سِواه تَسِيلُ. ينظر: ديوان السموأل، تحقيق وشرح د. واضح الصمد، دار الجيل، ط1، عام 1996م، بيروت، لبنان، 72. الظبات: جمع الظبة، وهو حد السيف. ينظر: لسان العرب، مادة (ظبا).

المقصد الثاني: في بيان ما تضمنه من المعاني الإعرابية

قوله: «**أكثروا**» أمر بالإكثار، وهـو الازديـاد، و«**الـواو**» ضـمير هـو الفاعل، و«**هادم**» اسم فاعل مضاف إلى مفعوله، «**ذِكر**»هو منصوب على المفعوليـة لــ «**أكثروا**»، و«**هادم**» مجرور بإضافة «**ذِكر**» إليه، فإن كـان للماضـي فالإضـافة فيه معنوية مفيدة للتعريف، وإن كان للمسـتقبل فالإضـافة فيـه لفظيـة منفصـلة. «**فإنكم**» «**الفاء**» للاسـتئناف، و«**إنَّ**» مؤكـدة، والضـمير منصوب بهـا، و«**إن**» شرطية، والضمير لــ «**هادم**».

«**في ضيق**» جار ومجرور في موضع المفعـول. «**وسـعه عليكم**» جـواب للشرط، والجملة الشرطية في موضع الخبر؛ لأنّ «**الفاء**» في «**فرضـيتم بـه**»، وفي «**فأُجُرتم**» للعطف على ماقبله، « **وإن ذكرتموه**» جملـة شـرطية ثانيـة، «**في غنى**»هو مقصور، وهـو ضدّ الفقـر، «**بغضه**» جـواب الشـرط، والجملتـان الفعليتان بعده عطف على ما قبلهما.

«**فإن المنايا قاطعات**» رفع ونصب بــ «**إنّ**» اسـم، وخـبر «**قاطعات**» اسـم فاعـل مضـاف إلى مفعولـه كـــراكب فـرسٍ، ويحتمـل أن يكـون للماضـي والمستقبل، فإن كان للماضي أفاد التعريف بالإضافة، وإن كان للمستقبل لم يفـد التعريف.

«**والليالي مُدنيات الآجال**» يحتمل أن تكون «**الـواو**» للعطـف على مـا قبله للرفع[1] والنصب على عمل «**إنّ**» ويحتمـل أن تكـون «**الواو**» للاسـتئناف، فتكون جملة ابتدائية، فيقطعها عمّا قبلها، أو يكون عطف جملة على جملة قبلهـا، ويحتمل أن تكون «**المنايا**» عطف على محل «**إن**» بعـد تمـام الخـبر، ومـا قلنـا في «**قاطعــات**» من الاحتمـــال في اســـم الفاعـــل فهـــو بعينـــه حاصـــل في

---

1 (?) في (د،ك،م) بالرفع .

«**مـدنيات**»؛ لأنـه اسـم فاعـل من الفعـل المزيـد من أدنى يـدني فهـو دانٍ[1]، و«**القاطعات**»، و«**المدنيات**» جمـع لـقاطعة ومـدنية على السـلامة من بـاب جمع الصفة في المؤنث.

«**وإن المـرء بين يـومين**» «**بين**» منصـوب على الظرفيـة في المكـان، و«**يومين**» مجرور بإضافته إليهما، ولا يستعمل إلا مضافًا. «**يـوم**» مجـرور على البدلية أو عطف على البيان من يـومين؛ لأنـه بيـان لـه. «قـد» للتوقـع، ومنه: قـد قامت الصلاة، أو التقرير كوقوعه هاهنا.

«**مضـى**»، و«**أحصـي**» جملتـان فعليتـان في موضـع جرّ على الصـفة لــ «**يوم**»، وعمله مرفوع فاعل لــ «**أحصي**» على أنه فاعـل لمـا لم يسـم فاعلـه، قائم مقام فاعلـه الحقيقي المحـذوف، و«**ختم عليه**» جملـة فعليـة عطـف على قلناه، و«**يوم**» مجـرور على مـا قبلـه. «**لا يدري لعلـه لا يصـل إليه**» جملـة فعلية في موضع جرّ على الصفة لــ «**يوم**».

سـؤال: كيـف قـال صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم: «**والليـالي مُـدنيات للآجال**»، والأيام مثلها في إدناء الأجل، فلمَ خصّها بالذكر، وما السرُّ في ذلك؟

وجوابه: أن الأيام كالليالي في تقريب الآجال وإدنائها؛ لأنهمـا المتكـرران[2]، والمدنيان، والمكوران؛ وإنمّا خصّ الليالي بالإدناء للآجال لمّا كـان أكـثر مـا يكـون قطع الآجال والموت حاصله بالليالي، فلا جرم خصّها بذلك.

«**إنّ العبـد عنـد خـروج نفسه**» «**العبد**» منصـوب بــ «**إنّ**»، و«**عنـد**» منصوب على الظرفية، وهو في موضع رفع خبر لـ «**إنّ**»، ولا يستعمل «**عند**» إلا مضافًا، **والخروج والحلول**: مصدران مضافان إلى ما بعدهما.

---

1 (?) في (د،م) مدنٍ. {ولعل السليم: مدنٍ}.
2 (?) في (ك) المتكوران.

«**يـرى جـزاء مـا أسـلف**» جملـة فعيلـة في موضـع نصـب على الحـال، **والقلّة:** مصدر مضاف إلى ما بعده، وما في قوله: «**ما أسلف**،... **وما خلّف**» موصـولة بالجملـة الفعليـة، ولعلـه الضـمير منصـوب بــ «**لعل**»، «**من باطل**» «**من**» هاهنا لابتداء الغاية، «**أو من حقّ منعه**» مثلها لابتداء الغاية.

النظر الثـاني: في بيـان ما تضـمنه[1] من العلـوم في البلاغة

وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: في بيان ما تضمنه من علوم المعاني

وقد اشتمل على الإيضاح كقوله صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «**أجـرتم**»، و«**أثبتم**»، فـإن مـا هـذا حالـه إيضـاح في الكلام وعلى التأكيـد، كقولـه: «**إن العبد**»، وقوله: «**إن المرء بين يومين**»، وعلى الفصل والوصل ؛ فالفصل في قولـه: «**إن العبـد عنـد خـروج نفسه**»؛ لكـون «**إن**» جـاءت من غـير (واو)، والوصل في قوله: «**وإن المرء بين يومين**»، فما هذا حالـه يكـون[2] وصـل بــ (الواو)، وعلى الإبهام في قوله: «**إن ذكرتموه في ضـيق**»، و«**إن ذكرتمـوه في غنى**»، فما هذا حاله معدود في الإبهام، وعلى الترجي في قوله: «**لعلـه لا يصل إليه**»، وفي نحـو قولـه: «**ولعله من باطـل جمعه**»، فهـذا الـترجي لـه موقع عظيم في الكلام، ويستعمل في التوقع للأمـور المكروهـة، كقولـه تعـالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ[3]، وفي التوقع للأمور المحبوبة، كقوله: لعلّ أبـاك يقـدم، وعلى التقديم والتأخير في المعمولات، كقوله: «**أحصي فيه عمله**»، فإن الجار

---

[1] (?) في (د،ك،م) اشتمل عليه.
[2] (?) في (د،ك،م) سقط: يكون.
[3] (?) سورة الشورى من الآية 17.

والمجرور[1] قُدّما على الفاعل وأخر عنهما، وقوله: «**من باطـل جمعه، أو من حقّ منعه**»، فالجار والمجرور قُدّما هاهنا على عاملهمـا من أجـل الاهتمـام بهـذه المتعلقـات، ولأجـل المواظبـة على السـجع بقولـه: «**منعه**»، و«**جمعه**»، فهـذه الأمور كلها متعلقة بعلوم المعاني.

المطلب الثاني: في بيان ما اشتمل عليه من علوم البيان

وحاصله كلام في الأسرار المجازية التي أشار إليها في كلامه هذا.

المجاز الأول: قوله: «**هادم اللـذات**»، فـإن الهـدم إنمـا يسـتعمل في الأبنية، وهو هاهنا مجاز.

المجاز الثـاني: قولـه: «**وسـّعه عليكم**» يعـني: الضـيق، فـإن الضـيق والسعة إنما يستعملان في الأبنية والبيوت.

المجاز الثالث: قوله: «**المنايا قاطعـات الآمـال، والليـالي مـدنيات الآجال**»، فإن القطع والإدناء مجاز في إضافته إلى الأيام، والليالي، والمنايا، وهو من المجاز المركب؛ لأنّ الإسناد حاصل إلى ما لا يسند إليه من جهة الحقيقة.

المجاز الرابع: قوله: «**بين يومين**»، فإن **البين** إنما يستعمل في الأمور المتحيزة في الأمكنة والأجساد.

المجاز الخامس: قوله: «**فختم**» إنمّا يُستعمل في الأجسام الـتي يسـتقر عليها الختم، ويتمكن منها.

المجاز السـادس: قولـه: «**من باطـل جمعه**»، فـإن الأمـور الباطلـة لا يجتمع منها شيء.

المطلب الثالث: في بيان ما تضمنه من علوم البديع

وقد اشتمل على:

---

[1])) في (ك،م) زيادة: قد.

الطباق، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: **الضيق**، و**السعة**، وهكذا قوله: «**بين يومين**» باقٍ، وماضٍ؛ فإنه طباق، وقولـه: «**من باطـل جمعه**»، و«**حقّ منعه**»؛ فإنه من الطباق أيضًا، وهكذا قوله: «**ما أسلف**»، و«**ما خلّف**»؛ فإنهما من الطباق أيضًا، وعلى المبالغـة في حُسـن الوعـظ والتـذكير فإنـه صـدّره بـذكر المـوت، وعقبـه بــ «**إن المنايـا قاطعـات للآمـال**»، و«**مـدنيات للآجـال**»، وأردفه بذكر اليومين الماضي والباقي، وتفصيل حـال ابن آدم بينهمـا ممّـا يحصـل من عمله، ثم عقبه بذكر خروج النفس، وما يحصل عند ذلك من الأسف، والنــدم، وذكـر حـال مـا جمعـه من الأمـوال والنفـائس وجهـات تحصـيلها، وفي ذلـك من المبالغة في الاتعاظ لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

النظر الثالث: في بيان مقاصده صــلى الله عليه وآله وسلم

أراد هاهنـا أنّـه لا يعلم شـيء أهـدم من المـوت لعـامر اللـذات، ولا أنغص للشهوات، ولا أقطع للأمنيات منه، وكيـف لا يكـون كـذلك؟! وكم من مسـرور قـد هُدم سروره بالأحزان، وملتذٌّ قد نغصّ لذّته بالأشجان، فأصـبح بعـد الضـحك باكيًـا وبعد السرور والطرب شاكيًا، وكم في ذلك من شاهد ظاهر ومثل سـائر، ولنـذكر في ذلك قصتين تكونان للقلوب معتبرًا، وعن الرغبة في الدنيا موعظة ومزدجرًا.

القصة الأولى:

محكيّة عن صاحب الخورنق[1]، فإنها عبرة، وصدق محقق، وذلك أنّه كان من الملـوك الغـابرة فمدّ بصـره في ناحيـة المغـرب حـتى انقطـع في رؤية[2] الأنهـار والبساتين والأشجار وأنـواع الثمـار، **فقال**: لمن هـذا الـذي أرى؟ **فقـالوا**: لك -أبيت اللعن-، فالتفت إلى ناحية المشرق فمدّ بصره حتى انقطع في رؤيـة الخيـل والإبـل والبقـر والغنم وسـائر أنـواع الحيوانـات، **فقـال**: لمن هـذا الـذي أرى؟ **فقالوا**: لك- أبيت اللعن-، **فقال**: هل تعلمـون أحـدًا أُوتي مثل الـذي أنت فيه[3] ما أوتيت؟ **فقال** له رجـل من الزهـاد الـذين هم حُجّـة اللـه على كـل أمـة: أيهـا الملك- أبيت اللعن-، هل هذا الملك الذي أنت فيه وصـل إليـك من غـيرك أم أنت فيـه لابث؟ ثم نـزل[4]، **فقـال**: بـل وصـل إليّ من آبـائي مـاتوا، فـورثت بعـدهم ملكهم، **فقال له**: هل تأمن أن يصيبك ما أصابهم؟ **فقـال**: هـو واقـع لا محالـة،

---

1 (?) وهو النعمان بن امرئ القيس اللخمي، ملك الحيرة قبل الفرس ويعرف بالأعور السائح، صاحب قصر الخورنق، زهد عند اكتهاله، واستعاض عن رداء الملك بقبـاء النسـك، وانصـرف سائحًا في البلاد؛ فانقطع خبره، وذلك نحو 198ق هـ. ينظر: تاريخ الأمم والملـوك، محمد بن جرير الطـبري، دار الكتب العلميـة، ط1، عـام 1407هـ، بـيروت، لبنـان، 1/ـ 404. الأعلام للزركلي، 8/ 35.

2 (?) في (د،ك،م) رؤيته. {ولعل المناسب: رؤية}.

3)) في (د،ك،م) سقط: الذي أنت فيه.

4)) في (د،ك،م) لم تزل. {ويناسب السياق: لم تزل}.

فقال: ما أراك في شيء، **فقال له**: فما المخرج؟ **قال**: أحد أمرين: إما أن تعمل في هذا الملك بطاعة الله تعالى فتُنصف المظلوم من الظالم، وتُحسن العلم في الرّعية، وإما أن تعتزل الدنيا، وتنقطع إلى الله تعالى ليورثك ملكًا لا يبلى، **فقال له**: أنظرني في هذه الليلة حتى أنظر في أمري، فإن عزمت على الوقوف في ملكي كنت وزيرًا لا تُعصى، وإن انقطعت إلى ربّي كنت صاحبًا لا تُقلى، فأمسى ليلته مفكرًا[1]، فلما كان آخر الليل أخذ ثيابًا من صوف، وفزع إلى الله تعالى، فلما فتح الباب وجد صاحبه ينتظره، **فقال له**: ما أجمعت عليه؟ **فقال**: على ما ترى، **فقال**: وُفقت، ثم ساحا في الأرض[2].

القصة الثانية:

محكية عن الوليد بن يزيد[3]، وكان جبارًا مترفًا باللذات وأنواع الطرب، فقال يومًا لجلسائه: يزعم الناس أنّ مَلكًا ما تمّ له سرور يوم قط، **قالوا**: كذلك روي، **فقال** متأليًا[4] بوقاحته على كل ملك غير ملكه فهو باطل، وكل سلطان دون سلطانه فهو زائل، والله لأستكملن لذّة يومي هذا، ثم أخذ جارية يقال لها حبابة، وكانت قد اشتريت له بمال جسيم لم يُرَ مثله، ودخل بستانًا في جانب دار الخلافة، فيه أنواع الأشجار والثمار والأزهار[5]، وأخذ غلامًا لطيفًا يصلح للخدمة من أظرف الغلمان وأكيسهم، ثم قال لحاجبه: اطوِ عني جميع الأخبار، ولو أُخِذ نصف المملكة، وأخذ جميع ما يحتاج إليه في يومه ذلك من أنواع الطيبات،

---

1 (?) في (د) متفكرًا.

2)) ينظر: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، عام 1988م، بيروت، لبنان، 2/ 230.

3 (?) وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، تولى سنة 125هـ، فمكث سنة وثلاثة أشهر، ونقم عليه الناس للهوه وشرب الخمر، فبايعوا سرًا يزيد بن الوليد بن عبد الملك، وقتل سنة 126هـ. ينظر: تاريخ الطبري، 4/ 222، 235. سير أعلام النبلاء، 5/ 370- 373. الأعلام للزركلي، 8/ 123.

4 (?)المتألي: الذي يحكم على الله. ينظر: لسان العرب، مادة (ألا).

5 (?) في (د) الأنهار.

وطروف اللذات، ودخل إلى مجلس في بسـتانه، فلمّـا اسـتقرّ بـه المجلس، وهي تُضاحكه وتُغنيه وتُملح في عينيه حتى أخذت بشغاف قلبـه، إذ دعـا **الوليد** برمـان مقشـر في جـام جـوهر، فجـاء بـه الغلام فأخـذت منـه حبّـة فطرحتهـا في فيها، وضحكت فشرقت[1] بها فمـاتت، فقلَّبهـا فصـاح وأعـول، فمـا لبث أن خـرج إليهم مكشـوف الـرأس ينتـف شـعره، ويُخمش وجهـه بـاكي العين حـزين القلب، فلم يقبرها ثلاثة أيام حتى اجتمعت إليه بنو أمية، و**قالوا**: هذه سبّة[2] لا تنسى، فـدخل عليه مسلمة بن عبدالله[3]، فقال له: مـا أنت وحبس هـذه الجيفـة، أمـا علمت أن في حبسها عار الأبد، فدفنها وحزن عليها حزنًا شديدًا[4].

فقد ظهر لك بما ذكرنا مصداق كلام الصادق المصدق من كون الموت هادمًا لكـل لذّة، قاطعًـا لكـل أمنية، وفي حـديث آخـر: «أكـثروا من ذكـر هـادم اللذّات، وكونوا من الله على حذر»[5].

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فَإِنَّكُمْ إِنْ ذَكَرْتُمُوهُ فِي ضِيقٍ وَسَّعَهُ عَلَيْكُمْ فَرَضِيتُمْ بِهِ فَأُجِرْتُمْ، وَإِنْ ذَكَرْتُمُوهُ فِي غِنَى بَغّضَهُ إِلَيْكُمْ فُجُدتُّمْ بِهِ فَأُثِبْتُم**» أراد بمـا ذكـره أن خـير الـدنيا وشـرها حاصـلان في السـعة والضيق اللذين امتحنا الله بهما في قوله: [illegible]

---

1 (?) في (د،ك،م) شرغت. {ولعل السليم: شرقت}، فشرق فلان بريقه، ويقـال: أخذته شـرقة فكاد يموت. ينظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبـراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (ت)، بيروت، لبنان، مادة (شرق).

2 (?) في (د،م) سنّة. {والسليم: سبة}.

3 (?) المقصود مسلمة بن عبد الملك، وهذا تحريف. ينظـر: تـاريخ مدينة دمشـق، 69/ـ 90-92. وهو مسـلمة بن عبد الملك بن مـروان كـان قائد الجيـوش، ويلقب بـالجرادة الصـفراء، توفي سنة 120هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، 5/ 241.

4 (?) هذه القصة تُنسب ليزيد بن عبد الملك بن مروان، المولود سنة 71هـ ، وقد تـولى سـنة 101هـ، وتوفي سنة 105هــ. ينظـر: تـاريخ الطـبري، 4/ـ 110، 111. الأغـاني، 15/ـ 140. الأعلام للزركلي، 8/185.

5 (?) مسند الشهاب، 1/ 392. بلفظ: «أكثروا من ذكر هادم اللذات، فإنه لايكون في كثير إلا قلّله، ولا في قليل إلا كثّره».

[1]، فالضيق واقع بالامتحانات والبلايا من الأمراض والعلل والأسقام ومحن التكاليف كالجهاد والخوف والفقر وغير ذلك من البلوى، والسعة واقعة في الغنى والرفاهية بالأرزاق والمواد بالخيرات والمنافع، وكأن الموت يأتي على ذلك فيرفع مشقة التكليف المكروه؛ إما إلى ما هو أشدّ منه من العذاب الأليم والخطب الجسيم، وإما إلى ما ينسيه ويصغره من الثواب الجزيل والملك العظيم، فمن فكر في نزول الموت وهو ضيق بأحد الأمور التي قدمنا ذكرها وسعه عليه بسرعة[2] الزوال، ووشيك الانتقال، وعلم أن المنقطعات من المصائب في حكم المعدومات عند أهل التحقيق، فلم يرفع لها رأسًا فاستصغر خطرها ورضي بها فيؤجر عند ذلك أجرًا بغير حساب، كما قال تعالى: [3]، وإن ذكر الموت وهو في غنى بكثرة الأموال وسعة الحال بغض ذلك الغنى إليه بأحد أمرين لا بدّ من وقوعهما: إما بذكر فراق الأهل والمال ووحشة المقدم[4] وهول المآل، وإما باجتياح ذلك الأهل والمال وانتزاعه منه، فيبقى لذلك كئيبًا حزينًا كأنه ما غُني ساعة واحدة بأهل ولا مال، فكأن لم يكن الأهل، ولم يكن المال، فحينئذ يفرح العاقل المتوسم بتقديم الأهل والمال وتخفيف باهظ الأثقال من دار الهوان إلى دار القرار.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فَإِنَّ الْمَنَايَا قَاطِعَاتُ الآمَالِ، وَاللَّيَالِي مُدْنِيَاتُ الآجَالِ**» أراد بما ذكره أن المنايا يقطعن كل أمل مرجو، وأن الليالي يقربن كلّ أجلّ، وهذا ظاهر لا شكّ فيه، فكم من أمل قطعته المنايا؟! وكم من أجل بعيد أدنته الليالي فصار الأمل بعيدًا قاصيًا والأجل قريبًا دانيًا، فأوشك بموصول عضّته أفواه المنايا أن ينقطع، وبعيد جعلت الليالي له

---

1 (?) سورة الأنبياء من الآية 35.

2)) في (م) سقط الباء.

3 (?) سورة الزمر من الآية 10.

4 (?) في (د) المقام . {والأنسب: المقام}.

مطية أن يصل، والحازم، والحال هذه من جعل الأمل خلفه والأجل أمامه فحاذر لزامه، وأجال في مكاسب الخيرات سهامه ففاز بالسلامة، ونجا من الحسرة والندامة.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم :«**وَإِنَّ الْمَرءَ بَيْنَ يَوْمَيْنِ، يَوْمٌ قَدْ مَضَى أُحْصِيَ فِيه عَمَلُهُ فَخُتِمَ عَلَيْهِ، وَيَوْمٌ قَدْ بَقِيَ لاَ يَدْرِي لَعَلَّهُ لاَ يَصِلُ إِلَيْهِ**» اعلم أنّا قد ذكرنا فيما سبق أن الأيام ثلاثة: اليوم الماضي، واليوم المستقبل، واليوم الذي نحن فيه، وأن الأيام منقسمة باعتبار الأزمنة الثلاثة: الماضي، والمستقبل، والحال، وإنما لم يذكر عليه السلام الحال مع أنه هو الأصل؛ لأنه هو الذي نشأ عنه الماضي، وتفرع عنه المستقبل لأمرين: أما أولاً، فلأنّه زمن يسير غير مستقر، فلا يكاد يتحقق ، وأما ثانيًا، فلأنّ غرضه صلى الله عليه وآله وسلم ما قد تقضى فختم عليه، وهو الماضي وما لا يدري لعله لا يصل إليه، وهذا إنما يكون في المستقبل لا غير.

ومن النحاة من زعم إنكار الحال وليس شيئًا[1]، فإنه الأصل، ,وإليه أشار بقوله تعالى: [illegible][2] حيث قال: [illegible][3]، وقد استقصينا الكلام في هذه المسألة في كتابنا (**الأزهار في علم الإعراب**)[4]، فاليوم الماضي: هو الذي قد ختم فيه العمل،

---

[1] (?) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر،(ت)، دمشق، سوريا، 1/ 252- 258.

[2] (?) سورة مريم من الآية 64.

[3] (?) السورة نفسها ومن الآية نفسها.

[4] (?) الأزهار الصافية في شرح مقدمة الكافية، وورد بعنوان الأنهار الصافية في شرح مقدمة الكافية، في مجلدين. ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 1125. وقد قُدم الجزء الأول رسالة دكتوراة مقدمة من محمد علي سالم العطاونة إلى كلية اللغة العربية جامعة الأزهر، عام 1982م، والجزء الثاني رسالة دكتوراة مقدمة من عبد الحميد مصطفى السيد إلى كلية اللغة العربية جامعة الأزهر، عام 1982م، بعنوان (الأنهار الصافية في شرح المقدمة الكافية).

وأراد **بالختم:** هو الفصل بين عمل كل يـوم، وكـل ليلـة بعلامـات حـتى يحاسـب على عمل كل يوم، وكل ليلة، فيكون ذلك دالاً على غاية الحصر والإحصـاء، وإنمّـا خصّ الأيام بالـذكر مـع أن الليـالي من أوقـات المكلفين والتكليـف، ويمكن وقـوع الأعمال فيهـا من جهـة أن أكـثر الأعمـال الخـير والشـر إنمـا تقـع في الأيـام دون الليالي، فلا جرم خصها بالذكر، واليوم الباقي هو المستقبل فإنه على غير حقيقــة من الوصول إليه، فالمعنى بكلامه هذا هو التنبيه على تعجيل فعـل الخـير وتجديـد التوبة؛ لأنّها أصل لكلّ خير، وفقـدها سـبب لكلّ خسـران؛ لأنّ يومنـا الماضـي قـد ختم علينا عملنا فيـه، ويومنـا البـاقي لسـنا على يقين من البلـوغ إليـه. فـالواجب الفزع في وقتنا هذا الذي نحن فيه وليس في أيدينا على الحقيقة سواه بإبطال ما تقدم في يومنا الماضـي بالتوبة، والاسـتدراك، وتـرك التسـويف للفعـل في يومنـا الآتي الذي يجوز أن يخترمنا الموت دونه، ويحصل علينا الهلاك فيطمع في الفكاك ولات حين فكاك، فيا أيها المغرور، وكلنا ذلك المغرور ما غرك بربك حتى اجترأت على عظيم ذنبك؟!.

قولـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم : «**وَإِنَّ الْعَبْدَ عِنْـدَ خُـرُوجِ نَفْسِـهِ، وَحُلُولِ رَمْسِهِ يَرَى جَزَاءَ مَا أَسْلَفَ وَقِلَّةَ غَنَاء مَـا خَلَّفَ**»، ومعـنى كلامـه هذا هو أن العبد إذا خـرجت نفسـه بـالموت، ودخـل في قـبره حـتى يصـيح صـائح البعث فيرتحل عنه إلى الموقف، فإنه لا محالة في تلك الحال يشاهد جزاء أفعاله في أيام حياته، ويشاهد أيضًا قلة النفع فيما خلفه بعـد وفاتـه، فـالمخلف لا محالـة حساب وعناء، والمقدم ثواب وغناء.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وَلَعَلَّهُ منْ بَاطِلٍ جَمَعَـهُ، أَوْ مِنْ حَـقٍّ مَنَعَهُ**» اعلم أن «**أو**» هاهنـا: تحتمـل أن تكـون واردة للشكّ؛ لأنّ أحـوال النـاس تختلـف في ذلك، ويحتمـل أن تكـون للتخيـير؛ لأنّ جمـع المـال لا ينفـك عن أحـد

الأمرين، ومعنى ذلك هو أن جامع المال لا ينفـك عن حـالين: إمـا من باطـل نحـو تحصيل المال من الظلم، والغدر، وسائر المداخل القبيحة، وإما من حقّ منعه بأن يكون مستحقًا عليه، نحو قضاء الدَّين[1]، وردّ الودائع، فيا جامع المـال من الوجـوه الباطلة لمن تجمعـه في دار الـزوال؟! هـل تجمعـه لنفسـك؟ فقـد علمت وشـيك الارتحـال، وتحققت سـرعة الانتقـال، أم لولـدك؟ فمـا ينفعـك وأنت في العـذاب والنكال؟! ويا مانع الحق من أهلـه مـا دهـاك، وما الـذي دعـاك إلى الإنكـار[2] بمـا عليك، والنكوص عن الاعتراف بما عندك من الحق ولديك؟!

ولنختم هذا الحديث بمـا يلائمـه ويتعلـق بـه من ذكـر الأمـل والحثّ على تقصـيره، ويشتمل على مقامات أربعة:

المقام الأول: في فضيلة قصر الأمل

قال صلى الله عليه وآله وسـلم لعبداللـه بن عمـر: «إذا أصـبحت فلا تحـدث نفسـك بالمسـاء، وإن أمسـيت فلا تحـدث نفسـك بالصـباح، وأعـدد نفسـك في الموتى، وخذ من حياتك لموتك، ومن صحتك لسقمك، فإنك- يـا عبدالله- لا تـدري ما اسمك غدًا»[3]، وفي حديث آخر أن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- اطلّع على الناس، فقال: «يا أيها النـاس أمـا تسـتحيون»؟ فقـالوا: ومـا ذاك يـا رسـول اللـه؟ فقـال: «تجمعـون مـا لا تـأكلون، وتـأملون مـا لا تـدركون، وتبنـون مـا لا تسكنون»[4]، وفي حديث آخر: روى أبو سعيد الخدري أنّ أسـامة بن زيد[5] شـرى

---

1 (?) في (د،م) الديون.
2 (?) في (د) الإفكار. {وهذا ليس سليمًا}.
3 (?) المعجم الكبير، 12/ 417.
4 (?) نفسه، 25/ 172.
5 (?) هو أسامة بن زيد بن الحارثة بن شرحبيل، اختلف في سِنّه يوم مـات النـبي- صـلى الله عليه وآله وسلم- فقيل: ابن عشرين، وقيل: ابن ثماني عشرة، سكن وادي القرى بعد وفـاة النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- ثم عاد إلى المدينة فتـوفي بـالجرف سـنة 54هــ. ينظـر: الاستيعاب، 1/ 75- 77.

وليدة من زيد بن ثابت[1] إلى شهر بمائة دنيار، فسمعت رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: «ألا تعجبون من أسامة اشترى إلى شهر، إن أسامة لطويل الأمل، فوالذي نفسي بيده ما طرفت عيناي إلا ظننت أن شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي، ولا رفعت طرفي فظننت أني واضعه حتى أقبض، ولا لقمت لقمة إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغصّ بها من الموت»، ثم قال: «يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا نفوسكم في الموتى، فوالذي نفسي بيده إنما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين»[2]، وعن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه كان يخرج ليهريق الماء فيمسح بالتراب، فقال له ابن عباس: يا رسول الله إن الماء منك لقريب، فقال: «وما يدريني لعلي لا أبلغه»[3]، وفي حديث أنس بن مالك عن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «يكبر ابن آدم ويشب معه اثنان: الحرص، وطول الأمل»[4]، وقال عليه السلام: «نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد، ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل والأمل»[5]، وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أكلكم يحب أن يدخل الجنة»؟ قالوا: نعم يا رسول الله، فقال: «قصروا في الأمل، وثبتوا آجالكم بين أعيانكم، واستحيوا من الله حق الحياء»[6]، وكان صلى الله عليه وآله وسلم يقول في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من ذنب يمنع خير الآخرة، وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات، وأعوذ بك من أمل يمنع

---

1 (?) هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري، كان يوم قدم الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- المدينة ابن إحدى عشرة سنة، لم يشهد بدرًا لصغر سِنه، كان أحد فقهاء الصحابة الجلة، وقد أمره أبو بكر- رضي الله عنه- بجمع القرآن في الصحف، توفي سنة 56هـ. ينظر: نفسه، 2/ 537- 539.

2 (?) حلية الأولياء، 6/ 91. شعب الإيمان، 7/ 355.

3)) الزهد، لابن المبارك، 99.

4 (?) صحيح البخاري، 5/ـ 2360. بلفظ: «يكبر ابن آدم، ويكبر معه اثنان: حب المال، وطول العمر».

5 (?) قصر الأمل، أبو بكر عبد الله بن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، ط2، عام 1997م، بيروت، لبنان، 36.

6 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 454.

خير العمل»[1].

المقام الثاني: في بيان السبب في طول الأمل

اعلم أن طول الأمل هو الغالب على أكثر الخلق، والمستولي على الأفئـدة، إلا على من وفقه الله، وله سببان:

السبب الأول: **حبّ الدنيا**، فإن الإنسان إذا أنس بها، واستعمل شهواتها وانهمك في لذاتها، والتبس في[2] علائقها فإنه يثقل مفارقتها على قلبه، فعند ذلك يمتنع قلبه عن الفكر في الموت الـذي هـو سـبب مفارقتهـا، وكـل من كـره شـيئًا دفعه عن قلبه وأزاله عن نفسه، والإنسان مشغول بالأماني الباطلة، فيمني نفسه أبدًا بما يوافـق مـراده، وإنمـا يوافـق مـراده البقـاء في الـدنيا، فلا يـزال يتوهمه، ويقدّره في نفسه، ويقدّر توابع البقاء، وما يحتاج إليه من أهل ومال ودار وأصدقاء ودواب، وسائر أسباب الدنيا، فيصير قلبه عاكفًـا على هـذا الفكـر، موقوفًـا عليـه، فيلهو عن ذكر الموت، ولا يقدر قربه، وإن خطر له في بعض الأحوال من المــوت والحاجة إلى الاستعداد له سوّف قلبه، ووعد نفسه، وقال: الأيام بين يديك فاصـبر حتى تكبر ثم تتوب، فإذا كبر قال له: إذا كنت شيخًا، فإذا صار شيخًا قـال إلى: أن تفرغ من عمارة هذه الدار، وعمارة هذه الضـيعة، أو ترجـع من هـذه السـفرة، أو تفرغ من قهر هذا العدو، فلا يزال يسوف، ولا يخوض في شغل إلا ويتعلق بإتمــام ذلك الشغل عشرة أشغال إلى أن تختطفـه المنيـة في وقت لا يحتسـبه، فيطـول عند ذلك حزنه. وأكثر أهل النار صياحهم من (سوف) يقولون: وا حزنا من سوف.

السبب الثاني: الجهل، فهو أن الإنسان قد يُعوّل على عصارة شبابه وحداثـة سِنه، فيستبعد الموت مع الشباب ولا يتفكر المسكين أن مشائخ بلده لو عـدوا لكـانوا

---

1 (?) قصر الأمل، لابن أبي الدنيا، 48.

2 (?) في (د،ك،م) سقط: في، و زيادة: الباء.

أقلّ من عشر رجال البلد، وإنّما قلوا؛ لأنّ الموت في الشباب أكـثر، فـإلى أن يمـوت شيخ يموت ألف صبي وشباب[1]، وقد يستبعد الموت لصحته، ويستبعد الموت فجــأة، ولا يدري أن ذلك غير بعيد، فإذا كان ذلـك غـير بعيـد فـالموت فجـأة غـير بعيـد، وكـل مرض فإنمّا يقع فجأة، وإذا مرض لم يكن المـوت بعيـدًا، ولـو تفكّـر العاقل، وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من الشباب والمشيب والكهولـة، ومن صـيف وشـتاء وخريف وربيع، ومن ليل ونهار لعظم استشعاره للموت واشتغل بأخذ الأهبة له، ولكنه جهل بهذه الأمور مع حبّ الدنيا، وهما اللذان دعواه إلى طول الأمل وإلى الغفلــة عن تقدير الموت القريب.

المقام الثالث: في بيان دفع الأمل وعلاجه

واعلم أنّ علاجه إنمّا يكون بدفع أسبابه، وهما السببان اللذان ذكرناهما: حبّ الدنيا، والجهل، والتفكر، فهذه علاجات أربعة:

العلاج الأول: في إزالة حب الدنيا عن قلبه، وهو عسـير صـعب؛ لأنـه الداء العضال، والذي يستولي على أفئـدة العقلاء فضلاً عن الجهـال، ولا علاج في دفعه إلا بالإيمان بالله واليوم الآخر، وبما فيه من عظيم العقاب، وجزيـل الثـواب، ومهمــا حصــل لــه اليقين بــذلك ارتحــل عن قلبــه حبّ الــدنيا وزال، وإن حبّ الحظير[2]هو الذي يمحـو عن القلب حبّ الحقـير، وإذا رأى حقـارة الـدنيا ونفاسـة الآخــرة فإنــه يســتنكف أن يلتفت إلى الــدنيا كلهــا، وإن أُعطي ملــك الأرض من المشرق والمغرب فكيف وليس لكل عبد من الـدنيا إلا قـدر يسـير مكـدر منغص، فأنّى له أن يفرح بها أو يترشح في القلب حبها مع الإيمان بالآخرة.

العلاج الثاني: تقريـر المـوت في قلبه، وهـذا نحـو أن ينظـر إلى من

---

1 (?) في (ك،م) شاب، وفي (د) سقط.
2 (?) الحظر: الحجر والمنع، والحظير الممنوع. ينظر: لسان العرب، مادة (حظر).

مـات من الأقـران والأشـكال فـإنهم كيـف جـاءهم المـوت في وقت لم يحتسـبوا لنزوله فيه، فأما من كان مستعدًا فقد فـاز فـوزًا عظيمًـا، وأمـا من كـان مغـرورًا بطول الأمل فقد خسر خسرانًا مبينًا.

العلاج الثـالث: أن ينظـر الإنسـان في كـل سـاعة في أطرافـه وأعضائه، وليتدبر فيها كيف تأكلها الهوام والدود في قـبره فتبـدأ بحدقتـه اليمين أولاً ثم باليسرى ثانيًا، ثم سائر جسـده فلا يبقى على يديـه شـيء إلا وهـو طعمـة للدود، وما له من نفسه إلا العمل الصالح والعلم النافع، و[1] يتفكر فيمـا يسـتورده من عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير، ومن الحشـر والنشـر وأهـوال يـوم القيامـة وغير ذلك من الأمور الهائلة التي تدعوه إلى قصر الأمل وأخذ أهبة الاستعداد.

العلاج الرابع: بدفع الجهل، و[2]دفعـه إنمّـا يكـون بـالتفكر الصـافي من القلب الحاضر، وبسماع الحكمة من القلوب الطـاهرة، فهـذه العلاجـات كلهـا بهـا تندفع أسباب طول الأمل، فنسأل الله تعالى أن يرينا الـدنيا كمـا أراهـا الصـالحين من عباده التاركين لها.

المقام الرابع: في بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره

اعلم أن الناس يتفاوتون في ذلك، فمنهم من يأمل البقاء ويحب ذلك أبدًا، كما قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[3]، ومنهم من يأمل البقاء إلى الهرم، وهو أقصى العمر الذي شاهده وراءه، وهذا هـو الـذي يحبّ الـدنيا حبًّا شديدًا. قال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- : «الشيخ شـاب في حبّ طلب الدنيا، وإن التفت ترقوتاه من الكبَر، إلا الذين آمنـوا وقليـل مـاهم»[4]، ومنهم من

---

1 (?) في (د،ك،م) زيادة: كذلك.

2 (?) في (د،ك،م) الفاء بدلاً عن الواو.

3 (?) سورة البقرة من الآية 96.

4 (?) مسند أحمد، 2/ـ 358، سنن الترمذي، 4/ـ 570. بلفظ: «قلب الشـيخ شـاب على حب اثنتين: طول الحياة، وكثرة المال». إحياء علوم الدين،4/458.

يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراه، ولا يقدّر لنفسـه وجـودًا في عـام قابـل، ولكن هو[1] يستعد للصيف للشـتاء وللشـتاء للصـيف، فـإذا جمـع مـا يكفيـه لسـَنَة اشتغل بالعبادة، ومنهم من يأمل مدّة الشتاء أو الصـيف لا غـير ولا يـدخر للصـيف ثياب الشتاء، ولا في الشتاء ثياب الصيف، ومنهم من يرجع أمله إلى يوم وليلة فلا يسـتعد إلا لنهـاره ، وأمـا الغـد فلا يعدّ لـه شـيئًا، ومنهم من لا يجـاوز أملـه سـاعة واحدة، كما قـال صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «إذا أصـبحت فلا تحـدث نفسـك بالمسـاء، وإذا أمسـيت فلا تحـدث نفسـك بالصـباح»[2]، ومنهم من لا يقدّر البقـاء ساعة واحدة، ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كأنه واقع به فهو ينتظره، وهذا هو الذي يصلي صلاة مودع، وفيه ما ورد عن معـاذ لمـا سـأله رسـول الله- صـلى الله عليه وآله وسلم- عن صفة إيمانـه فقـال: مـا خطـوت خطـوة إلا ظننت أن لا أتبعها أخرى[3]، فهذه مـراتب النـاس في الأمل، ولكـل درجـات عنـد اللـه تعـالى، فليس من أملـه مقصـور على أسـبوع كمن أملـه مقصـور على شـهر، بـل بينهمـا تفاوت في الدرجة عند الله تعالى، فكل من يـدعي أنـه قصـير الأمـل فربمـا كـان كاذبًا، وإنمـا علامـة التوفيـق أن يكـون المـوت نصـب عينيـه لا يغفـل عنـه سـاعة واحدة، ويكون مستعدًا لنزوله، ويبادر[4] الأعمال الصالحة قبل أن يحال بينه وبينهـا بالموت.

---

1 (?) في (د،م) هذا بدلاً عن: هو.
2 (?) المعجم الكبير، 12/ 417.
3 (?) حلية الأولياء، 1/ 242.
4)) في (د،ك،م) ليبادر.

الحديث الثاني عشر

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَليهِ وَآلِـه وَسَلَّمَ-: «**أيُّهَـا النَّاسُ إِنَّ الـرِّزْقَ مَقْسُـومٌ لَنْ يَعْـدُوَ امْـرُأً مَـا كُتِبَ لَـهُ، فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَإِنَّ الْعُمْرَ مَحْدُودٌ لَنْ يَتَجَـاوَزَ أَحَـدٌ مَـا قُـدِّرَ لَـهُ، فَبَـادِرُوا قَبْـلَ نَفَـادِ الأَجَـلِ، وَالأَعْمَـالُ مَحْصِيَّةٌ-** قـال السيد[1]: الوُجـه مُحْصاة**- لَنْ يُهْمَلَ مِنْهَا صَغِيرَةٌ وَلاَ كَبِـيرَةٌ، فَـأكْثِرُوا مِنْ صَـالِحِ الْعَمَـلِ، أيَّهَا النَّاسُ: إِنَّ فِي الْقُنُوعِ لَسَعَةً، وَإِنَّ فِي الاقْتِصَـادِ لَبُلْغَـةً، وَإِنَّ فِي الزُّهْدِ لَرَاحَةً، وَلِكُلِّ عَمَلٍ جَزَاءٌ وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ**»[2].

فنقول: الحمد لله المنعم المتفضل الذي ضمن لجميع الحيوانـات أرزاقهـا، وتكفّل لها بكرمه، ولطفـه مصـالحها، وقـدر أقواتهـا، المـدبر الملك[3] والملكـوت، المتفرد بالعزّة والجبروت، الرافع للسماء بغير عمـاد، المقـدر فيهـا أرزاق العبـاد، الذي صرف أعين ذوي العقـول عن الإحاطـة بجلالـه، وكفّ أناسـي أبصـارهم عن التطلع، والاستيلاء على حقيقة كماله، الذي لا مـدبر للخلـق سـواه، ولا نتوكـل ولا نعبد إلا إياه، علمنا بأنه الواحد الصمد الإله ، وتحققنا بأن جميـع أصـناف[4] الخَلْـق عباد أمثالهم، لا يبتغي من عندهم الرزق، وأنه ما من ذرة إلا إلى الله خلقهـا، ومـا من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، فلما تحقق أهل البصائر أنه لـرزق عبـاده ضـامن وبـه كفيـل توكلـوا على اللـه حقّ توكلـه، [illegible]، [illegible][5] [illegible][6]، ورضـــوان ، وقنعـــوا

---

1 (?) المقصود هو الشريف الرضي. ينظر: متن الحديث العاشر.

2 (?) الأربعون حديثًا السيلقية،24.

3 (?) في (د،ك،م) للملك.

4 (?) في (د) سقط: أصناف.

5 (?) سورة آل عمران من الآية 173.

6 (?) السورة نفسها من الآية 174.

واطمأنت قلوبهم إلى ما قسمه لهم الرحمن.

والصلاة على القامع للأباطيل، والهادي إلى الدِّين الحـنيف، والمـاحي لجميـع الأضـاليل، وعلى آلـه الطيـبين الأعلام الطـاهرين الـبررة الكـرام، واعلم أن هـذا الحديث قد اشتمل على النظر في أمور ثلاثة:

النظر الأول: في بيــان ما اشــتمل عليه من العلــوم الأدبية

وفيه بحثان:

البحث الأول: في بيان ما تضمنه من الألفاظ اللغوية

الرزق: ما ينتفع به العباد، ويجوز لهم تناوله، وليس لأحد منعه، و**القســمة**: توفير النصيب والإجزاء، **التعدي**: المجاوزة، و**الإجمال**: التساهل والأخذ باليسر.

الطلب: التحصيل للشيء، **العمر**: هو أيـام حيـاة الإنسـان، **الحدّ**: المقـدار. **المجاوزة**: ما زاد على المقدار المحدود، و**المبادرة**: المعاجلة. **النَّفاد**: الـزوال والانقطاع، و**العمل**: ما يفعله الإنسان وتتعلق به قدرته. **الإحصـاء**: هـو الإحـراز. **الإهمال**: هو التضييع. **الصغيرة من الأعمال**: مـا لا يعـرج عليـه ولا يكـون لـه قـدر، و**الكبـيرة**: مـا كـان وراء ذلـك هـذا كلـه بالإضـافة إلى وضـع اللغة، وأمـا **الصغيرة** في الشرع، فهي كلما كان عقابها مكفرًا في جنب ثواب صـاحبها، وأمـا **الكبيرة**، فهي كلمـا كـان ثـواب صـاحبها محبطًـا في مقابلـة عقابها، **وتنقسـم الكبــائر إلى** مــا يكــون مشــروعًا فيهــا الحــدود، كالزنــا والســرقة وشــرب المسكر،وإلى ما لا يكون كذلك، وهو نحو الفـرار من الزحـف، وأكـل مـال اليـتيم ظلمًا، فإن الوعيد حاصل في حق هاتين المعصيتين من غير حدود عليهما.

وتنقسم الصغيرة إلى مُحققة، **ومقـدرة**؛ فالمحققـة في حقّ المـؤمن

فإن ثوابه المحقق مكفر لعقابها، والمقدرة في حقّ الكافر فإن عقابها إنما ينحبط[1] في مقابلة ثوابه لو كان له ثواب، وهكذا حال الكبيرة فإنها تكون محققة ومقدرة؛ فالمحققة في حقّ المؤمن إذا فسق فإنها محبطة لثوابه الحاصل قبل الفسق، و**المقدرة** تكون[2] في حقّ الكافر فإنّها محبطة لثوابه إذا كان له ثواب مستحق تقديرًا؛ لأن ثوابه قد سقط وحبط بكفره، و**الإكثار**: نقيض الإقلال، و**الصالح**: نقيض الفاسد، و**العمل**: ما يضاف إلى الإنسان من أفعال القلوب والجوارح.

القنوع والقناعة مصدران لـــقنع[3]، فالقنوع كالدخول، والقناعة مثال الزهادة، وهما مصدران في الثلاثي، و**السعة**: نقيض الضيق، و**الاقتصاد**: هو الاكتفاء بالقليل عن الكثير، و**الزهد**: الامتناع من الشيء، و**الراحة**: نقيض التعب، و**الجزاء**: ما كان في مقابلة العمل، و**الآتي**: نقيض الماضي، و**القريب**: نقيض البعيد، والله أعلم.

البحث الثاني: في بيان ما تضمنه من العلوم الإعرابية

«**إنَّ**»هاهنا مؤكدة، و«**الرزق**» منصوب؛ لأنّه اسمها، و«**مقسوم**» مرفوع على أنه خبرها، و«**لن**» حرف[4] لتأكيد ما تعطيه «**لا**» من نفي المستقبل، فإنهما جميعًا – أعني لا، ولن- موضوعان لنفي الفعل المستقبل[5]، خلا أن «**لن**» أقعد منها؛ لأنها تفيد المبالغة، في النفي كما قال تعالى: ﴿ □□□ □□□□□□□ ﴾[6] مبالغة في

---

1 (?) في (د) يحبط. {ولعل المناسب في السياق: يحبط}.

2 (?) في (د) سقط: تكون.

3)) في (ك) لتقنع. {والسليم: قنع}.

4)) في (د،ك) سقط: حرف. وفي (د،م) زيادة: محذوف ـ وفي (ك) زيادة: حذف.

5)) في (د) سقط: فإنهما جميعًا- أعني لا، ولن- موضوعان لنفي الفعل المستقبل.

6 (?)سورة الأعراف من الآية 143.

نفي الرؤية عنه[1].

«**يعــدو**» منصــوب بـ «**لن**»، و«**امرأً**» منصــوب على المفعوليــة، و«**ما**» موصولة في موضع رفع على الفاعلية لــ «**يعدو**»، ويحتمــل أن تكــون مصــدرية، والأول أظهر، والجار والمجرور في موضع المفعـول، و«**الهـاء**» هي العائـدة من الصلة على الموصول. «**الفاء**» في «**فأجملوا**» للاستئناف، وهو فعل أمر مبني على السكون في الفعل المفرد، وهو هاهنا مبني على مـا يجـزم بـه، وهـو حـذف النون، والجار والمجرور في موضع نصب على المفعولية.

«**الفاء**» في قوله: «**فبادروا**» للعطف جملة على جملة قبلها، وهي قولـه: «**فأجملوا**» فإنهما جملتان للأمر مشتركتان في كونهما للإنشاء، فلا جـرم حسـن العطف لأحداهما على الأخـرى، ويحتمـل أن تكـون[2] للاسـتئناف أيضًـا، و«**قبل**» منصـوب على الظرفيـة للزمـان، وهـو مضـاف إلى مـا بعـده، و«**نفاد**» مجـرور بإضـافة مـا قبلـه إليه، و«**الأجل**» مجـرور بإضـافة المصـدر وهـو« **نفاد**» إليـه. «**والأعمال محصية**» جملة ابتدائية مرفوعة، وهي في موضع نصب على الحال من الضمير في «**بادروا**» كقولـك: سـرنا والشـمس طالعـة، و«**الـواو**» هاهنـا: سادة مسد الضمير، ويحتمل أن تكون الجملة مستأنفة لا محـل لهـا من الإعـراب منقطعة عمّا قبلها، معطية فائدة جديدة.

قـال السـيد- رضـي اللـه عنه-: «**الوجه محصـاة**»، والأمـر كمـا قـال؛ لأن القياس المطّرد في التصـريف أن (الـواو)، و(اليـاء) إذا تحركتـا وانفتح مـا قبلهمـا قلبتا ألفين، كقولك: غزا ورمى في الأفعال، وعصا ورحى في الأسماء، لكنه صلى الله عليه وآله وسلم جـاء بـه على الأصـل منبهًـا بـه على أن الأعلال في الأفعـال

---

1 (?) في (د) سقط: عنه.
2 (?) في (د،م) زيادة: الفاء.

أصل[1]، وهو من الأسماء دخيل[2]، وإنمّا أعلّت الأسماء بـالقلب لمّـا كـانت ضـاربة بعرق في الأفعال بالاشتقاق منها، فلأجل هذا كان «**محصاة**» هو الوجـه لجريانـه على قواعد التصـريف بـالقلب، وجـاء «**محصية**» منبهًـا على مـا ذكرنـاه من أن الإعلال دخيل في الأسماء[3] كما ذكرناه.

«**لن يهمل**»: منصـــوب بـ «**لن**». «**منها**» جـــار ومجـــرور في موضـــع المفعـول، و«**صغيرة**» و«**كبـيرة**» مرفوعـان لقيامهمـا مقـام الفاعل، و«**من**» لابتـداء الغايـة، ويحتمـل أن تكـون للتبعيض.«**فـأكثروا**» جملـة أمريـة إنشـائية معطوفة على ما قبلها من قوله: «**أجملوا**»، و«**بادروا**» فكلها جمل متساوية.

«**من صالح العمل**» جار ومجرور متعلق بـ «**أكثروا**» في موضع المفعول له، و«**صالح العمل**» اسـم فاعـل مضـاف إلى فاعلـه وهـو «**العمل**»، وأسـماء الفاعل إذا كانت غير متعدية فإنها تنزل منزلة الصفة المشبهة باسـم الفاعـل في جواز إضافتها إلى فاعلها، كقولك: حسن الوجه، ولا يجوز ذلـك إذا كـانت متعديـة، فلا يجوز أن يقال: ضارب زيد عمرًا؛ لأنّه يكون إضافة الشيء إلى نفسه.

«**أيُّها النـاس**» مضـى تقريـر إعرابـه. «**إن في القنـوع لسـعة**» جملـة مؤكدة بـ «**إن**» تامـة باسـمها وخبرهـا، و«**اللام**» في قولـه «**لسعة**» هي (لام) الابتداء جاءت مؤكدة أيضًا كتأكيد «**إن**» خلا أنّها أخّرت لأجل دخول «**إن**» مخافـة اجتماع مؤكدين، فلا جرم أخرت إلى الخبر، والجار والمجرور في موضع رفع على الخبر لـ «**إن**». «**وإن في الاقتصاد لبلغة**» مثل الجمـل الأولى في الإعـراب

---

1 (?) في (د،ك،م) الإعلال في الأفعال دخيـل. والسـليم: الإعلال في الأفعـال أصـل. ينظـر: حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان، مكتبة الإيمان، (ت)، المنصورة، مصر، 4/ 473.

2 (?) في (د،ك،م) الإعلال في الأسـماء أصـل. والسـليم: الإعلال في الأسـماء دخيـل. ينظـر: نفسه، 4/ 473.

3)) في (د) في الأفعال. {وهو غير سليم}.

والتأكيد، وهكذا قوله: «**وإن في الزهد لراحة**» كلها جمـل مترادفـة دالـة على ما ذكرناه من الإعراب. «**ولكل عمل جزاء**»جملة ابتدائية مقـدم خبرهـا عليهـا. «**وكل آت قـريب**» جملـة ابتدائيـة، ولا موضـع لهـاتين الجملـتين من الإعـراب؛ لأنهما في حكم المبتدأ بهما لم يتقدمهما عامل، فيكـون لهمـا محـل من الإعـراب كما ترى، و«**آت**» اسم منقوص كقاضٍ، وهو اسم فاعل من الإتيان، حـذفت يـاؤه على جهة التخفيف؛ لما ثقل عليها الرفع والجر، وهذه الكسرة فيه من أجل التقاء السـاكنين، وقـد ذكرنـا وجـه تعليلـه وطريقـه في كتابنـا (**الحاصـر في علم الإعراب**)[1]، والحمد لله ، و«**كل**» من ألفاظ العموم الشاملة؛ لما ينـدرج تحتهـا المستغرقة له لا يخرج عنها شـيء إلا بـدليل خـاصٍ دالٍ على الإخـراج، وهـذه هي فائدة العموم والاستغراق.

النظر الثـاني: في بيـان ما تضـمنه من العلـوم في البلاغة

وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: في بيان ما يشتمل عليه من العلوم المعنوية

وله مواقع أربعة[2]:

الموقع الأول: الجمـل المؤكـدة بـ «**إنّ**»، في قولـه: «**إنّ الـرزق**... »، و«**إنّ في القنوع لسعة** ...» إلى آخـر الجمـل، فهـذه جمـل جـاءت على جهـة التأكيد مصدرة بـ «**إنّ**».

الموقع الثاني: الجمل الإنشائية، في نحو قوله: «**أجملوا**»، و«**بـادروا**»،

---

[1] (?) وهو الحاصر في شـــرح مقدمة طــاهر، مجلد (في النحـــو)، وورد باسم الحاصر لفوائد مقدمة طاهر. ينظر: أعلام المؤلفين الزيدية، 1127. قُدم رسالة ماجستير مقدمة من زكريا محمد حسن علي إلى كلية دار العلــوم، جامعة القــاهرة، عــام1994م، القــاهرة، مصــر، بالعنوان الأخير.

[2])) في (د،ك،م) سقط: أربعة.

و«**أكثروا**»، فهذه جمل أيضًا واردة على جهة الإنشاء دالة على الزجـر والمبالغـة في الوعظ.

الموقع الثـالث: تقـديم الأخبـار على الأسـماء، في نحـو قولـه: «**إنّ في القنوع لسعة، وإنّ في الاقتصاد، وإنّ في الزهد**»، وإنمّا قـدم على جهـة العناية بذكره والاهتمام بحاله.

الموقــع الرابع: الفصــل والوصــل، فالفصــل في قولــه: « **إن الــرزق مقسوم**»، فإن الجملة آتية من غير (واو) وهو فصل، والجملة الثانية مصـدرة بــ «**إن**» مع (الواو) لأجل الوصل بها، فهذه كلها أسرار متعلقة بعلوم المعـاني، وقـد أشرنا إليها على جهة الاختصار فيها.

المطلب الثاني: في بيان ما تضمنه من علوم البيان

وهو مشتمل على استعارات، ومجازات نوضحها بمعونة الله:

المجــاز الأول: مــركب، وهــو إســناد الفعــل، وهــو قولــه: «**يعــدو**» إلى «**الرزق**» وليس «**الرزق**» فاعلاً على الحقيقة إنما هو مجاز لا غير.

سؤال: معنى «**يعدو**» يجاوز، والواحد منا كما لا يجاوز رزقه، فرزقـه أيضًـا لا يجــاوزه، فكــل واحــد منهمــا يصــلح أن يكــون فــاعلاً للمجــاوزة، فــأراه خص «**الرزق**» بكونه فاعلاً ولم يعكس الأمر.

و**جوابه**: هو أنّ كل واحد منهما يصلح أن يكون فاعلاً كما ذكرت، لكنّـه إنمـا خصّ «**الرزق**» بكونه فاعلاً لمّا كان الكلام موجهًـا إلى «**الـرزق**»، فلهـذا كـانت «**ما**» موصـولة في موضـع رفـع على الفاعليـة لــ «**يعدو**»، والضـمير عائـد من الصلة.

المجـاز الثـاني: اللامـان في نحو[1] قولـه: «**كتب له**»، و«**قدر له**» إنمـا

---

[1] (?) في (د،م) سقط: نحو.

حصلا على جهة المجاز؛ لأنهما حقيقة للملك ولا ملك هاهنا، فلهذا كانا مجازين.

المجاز الثالث: قوله: «**محصية**»؛ فإنه وارد على جهة المجاز، بالإضافة إلى ما اطرد في الاستعمال من إعلاله، فصار مجازًا بالإضافة إلى الاستعمال المطرد.

المجاز الرابع: قوله: «**في القنوع**» وقوله: «**في الاقتصاد**» و«**في الزهد**» فإن «**في**» هاهنا واردة على جهة المجاز؛ لأنها للمكان والظرفية، وليس هاهنا حقيقة للظرفية.

المجاز الخامس: قوله: «**لكل عمل جزاء**» فإن العموم هاهنا يُراد به الخصوص؛ لأن المباحات من جملة الأعمال، وليس عليها جزاء، فلهذا كان العموم واردًا على جهة المجاز والاستعارة.

المجاز السادس: قوله: «**وكل آت قريب**» إنما ورد على جهة الاستعارة، فإن يوم القيامة آت وهو بعيد؛ لأنّ لكلامه هذا من يوم تكلم به سبعمائة سنة، فما هذا حاله وارد على جهة الاستعارة، فهذا ما أردنا ذكره مما تضمنه من علوم البيان.

المطلب الثالث: في بيان ما تضمنه من علوم البديع

وجملة ما تضمنه من ذلك ممّا يكون متعلقًا بعلوم البلاغة، فمن ذلك:

التسجيع، في قوله: «**الرزق مقسوم**»، و«**العمر محدود**» فقد استويا في الأوزان لآخر الكلم، ومن **الطباق**، قوله: «**صغيرة ولا كبيرة**»، ومن **التجنيس**، قوله: «**إنّ في القنوع**...، **وإنّ في الاقتصاد**» مكرران في أوائل الجمل المؤكدة بها تجنيس لا محالة، وهكذا قوله في قوله: «**كتب له**، ... **وقُدر له**» تجنيس أيضًا.

سؤال: أراه رفع **أحدًا** في قوله: «**لن يتجاوز أحد مـا قـدر له**»، ونصب «**امرأً**»، وكل واحد منهما يصلح أن يكون فاعلاً ومفعولاً في الحالين جميعًا، فمـا وجه التفرقة بينهما؟

وجوابه: إن التفرقة بينهما ظاهرة، فإن المقصـود في الأول الـرزق، فلهـذا رفعه، والمقصود هاهنا أن الواحد منا لا يتجاوز العمر الذي قدر له، فلهذا افترقا.

النظر الثالث: في بيان مقاصده في كلامه هذا[1]

قوله صلى الله عليه وآله وسـلم: «**إِنَّ الرِّزْقَ مَقْسُـومٌ ...، فَـأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ**». اعلم أن الله تعالى لم يخلق أحدًا إلا وقد جعل له رزقًا يعيش به، ويصـلح به نفسه كما قال تعالى: [illegible][2]، ثم جعلهم في الرزق على مراتب؛ لما يعلم في من المصلحة، فمنهم الموسع عليه في رزقـه، ومنهم المقـترّ عليـه في رزقـه فضـيق عليـه، ومنهم من هـو متوسـط بين الأمرين، رزقه يكون كفافًا من غير سعة لا تضييق، وقد أشار تعـالى إلى مـا ذكرنـاه بقوله تعالى: [illegible][3]، وقال: [illegible][4]، والرزق من جملة المصالح الغيبية التي لا يعلمها إلا الله، وهو المستأثر بعلمها والاستصـلاح بها، وقـد قـال صـلى اللـه عليـه وآله وسلم: « الرزق رزقـان: رزق تطلبـه، ورزق يطلبـك »[5]، وقـال صـلى اللـه عليه وآلـه وسـلم: «إن الـرزق ليطلب الرجـل كمـا يطلبـه أجلـه»[6]، وقـال عليـه

---

[1])) في (د) سقط: هذا.

[2] (?) سورة هود من الآية 6.

[3] (?) سورة النحل من الآية 71.

[4] (?) سورة الإسراء من الآية 30.

[5] (?) ورد أن الإمام علي- كرم الله وجهه- كتب إلى ابنه الحسن كتابًا، ومنه: «الرزق رزقـان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك». ينظر: نهج البلاغة، 404. كنز العمال، 16/ 75.

[6] (?) القضـاء والقـدر، أبو بكر أحمد بن الحسـين بن علي الـبيهقي، تحقيق محمد عبد الله آل عامر، مكتبة العبيكان، ط1، عام 2000م، الرياض، المملكة السعودية، 210.

السلام: «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما يـرزق الطـير تغـدو خماصًـا، وتروح بطانًا»[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن رزق اللـه لا يجرّه حـرص حريص، ولا يردّه كراهة كاره»[2]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أبى اللـه أن يرزق المؤمن إلا من حيث لا يحتسب»[3]، وقال تعالى: [illegible] [4]، وهذه الآيات التي تلوناها، والأخبار التي رويناها كلها دالة على أن الله تعالى ضامن للرزق متكفـل بـه، وأنـه مفـروغ منه، وسبق به علمه وخطّه في لوحه المحفوظ، وأخبر به في كتابه، وعلى لسـان رسوله الصادق أنّه لا يزاد فيه ولا ينقص، ولا يتأخر عن صاحبه، ولا يقدر أحـد على جلبه، ولا على منعه، وإذا كان الأمر كما قلناه من حال الأرزاق من كونها مضمونة وواصلة لا محالة، فينبغي الإجمال في الطلب كما أشار إليه عليـه السـلام بقولـه: «**أجملـوا في الطلب**»، وأراد اطلبوهـا برفـق وسـهولة من غـير إلحـاف في السؤال، ولكن بالتعريض في المقال وترك الكد الذي يؤدي إلى الإهمـال والإخلال بالمفروضات في مستقبل الأحوال وشغل النفس، وإلحاحها بسؤال الرجـال، فمـا هذا حاله يكون في الدِّين نقصًا وحطًّا من جانب المروءة، وعلى الـرزق، وحرصًـا، وقلّة ثقة بالله تعالى.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وَإِنَّ الْعُمْرَ مَحْدُودٌ لَنْ يَتَجَاوَزَ أَحَدٌ مَا قُدِّرَ لَهُ، فَبَادِرُوا قَبْلَ نَفَادِ الأَجَلِ**» أراد أن الله تعـالى تـولى قسـمة الآجـال وطولها وقصرها وقدمها وآخرها، وجعل الموت غايتهـا وقصـاراها ومزيل[5] أمرهـا ومنتهاها، وهو الجائح لأسطانها[6]، والقاطع لمرائر أقرانها، ودلّ كلامـه صـلى اللـه

---

[1] (?) المستدرك على الصحيحين، 4/ 354.

[2] (?) حلية الأولياء، 5/ 106، شعب الإيمان، 1/ 221.

[3] (?) مسند الشهاب، 1/ 341. بلفظ: «أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يعلم».

[4] (?) سورة الطلاق الآيتان 2، 3.

[5] (?) في (ك،م) موئل.

[6] (?) الساطن: الخبيث. ينظر: لسان العرب، مادة (سطن).

عليه وآله وسلم أن الأعمار محدودة حدّها علامُها على وجوه علم حسنها من تطويل وتقصير على قدر مقدور، وحدّ محدود، وأن أحدًا من الخلق لا يمكنه تجاوز ما قدر له منها من تطويل طويلها وتقصير قصيرها وتقديم مقدمها وتأخير مؤخرها، ثم لمّا كان الأمر فيها كما أشار إليه أمر بالمبادرة قبل انقطاع الآجال ونفادها، فإنه لا سبيل لأحد إلى ردها ولا وسيلة لمخلوق إلى مجاوزة قصدها.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وَالأَعْمَالُ مُحْصَاةٌ**[1] **لَنْ يُهْمَلَ مِنْهَا صَغِيرَةٌ وَلاَ كَبِيرَةٌ**» أراد صلى الله عليه وآله وسلم بالأعمال أفعال القلوب، وأفعال الجوارح، فإنها محفوظة محصورة بالكتابة في الصحف وشهادة الملائكة، وتحفظهم عليها، كما قال تعالى: [illegible][2]، لا يغادر منها صغيرة ولا كبيرة، كما قال تعالى: [illegible][3].

سؤال: ذكر أنّ «**الرزق مقسوم**»، و«**العمر محدود**»، وأردفه بقوله: «**والأعمال محصاة**[4]»، وليس له بالأول تعلق، فكاد أن يكون بينهما تنافر، فكيف الملاءمة بينهما؟

وجوابه: أن الملاءمة حاصلة، وبيانه هو أنه عليه السلام لمّا ذكر الرزق، وعطف عليه العمر وأنهما محدودان معلومان ذكر على إثرهما الأعمال؛ لأنّ العمر إذا كان ممتدًا بإدرار الرزق، فالضرورة قاضية بأنه لا بدّ هناك من عمل من أعمال القلب، وأعمال الجوارح؛ لأنّه يستحيل في العبد أن يخلو من الفعل، فلهذا

---

[1])) لفظ الحديث: «والأعمال محصية».

[2] (?) سورة الانفطار الآيات 10- 12.

[3] (?) سورة الكهف من الآية 49.

[4])) لفظ الحديث: «والأعمال محصية».

عقبه بذكره لمّا كان لا ينفك عنـه بحـال لن يهمـل منهـا صـغيرة ولا كبـيرة أتى بـ «**لن**» لما كانت دالة على الاستغراق في النفي عن الإهمال، وقد أشـار إلى هـذا جلّ وعزّ كمـا قـال: [illegible][1] أيْ: مكتوب محفوظ.

واعلم أن المعاصـي منقسـمة إلى صـغائر وكبـائر كمـا أشـار إليـه الشـرع، والصغيرة قد ذكرناها، وهل تكون معلومة أم لا؟

فيه تردد بين المتكلمين، ومنعوا من الإعلام بها قبل فعلهـا، وجـوزوا تعريفهـا بعد فعلها، والمختار جواز الإعلام بها قبل فعلها في حقّ من يؤمن من جهتـه عـدم الإغراء، كما جاز تعريفه ببقائه مدة من العمر كثيرة[2]، وأمـا الكبـائر، فهي موكلـة إلى تعريف الشرع، وأما الطاعات فهي تنقسم أيضًـا إلى كبـائر وصـغائر، ولا يعلم من الطاعات كبيرة إلا التوبة فإنها مكفرة لجميع العقاب الحاصل بالكبائر ومزيلـة له، وهل تكون مزيلة للعقاب بنفسها أو بالثواب المستحق عليها؟

فيه تردد بين المتكلمين، والمختار أنهـا مزيلـة للعقـاب بنفسـها؛ لأن الأدلـة الشرعية دالة على محوها للذنوب من غير واسطة.

قوله صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «**فَأكْثِرُوا مِنْ صَـالِحِ الْعَمَـلِ**» أمـر بالإكثار من الأعمـال الصـالحة الـتي لا يشـوبها شـائب من جهـة الريـاء والسـمعة والعمل لغير الله تعالى، وأعظم الأعمال الصالحة هو التوبـة فإنهـا تمحـو الـذنوب وتغسلها وتدحضها، وقد أشار تعالى إلى ذلك بقوله تعـالى: [illegible][3]، وقال تعالى: [illegible]

1 (?) سورة القمر الآيتان 52، 53.

2)) في (د،ك،م) كبيرة.

3 (?) سورة نوح من الآية 10.

▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯ ▯▯▯▯▯▯▯▯[1]، وفي الحديث: «أنّي أتوب في اليوم مائة مرّة»[2]، وفي حديث آخـر: «إنـه ليغـان على قلـبي فأسـتغفر اللـه»[3] – بـالغين المنقطوطـة، والإغانـة التغطية[4]، وأقلّ ما يفعلها الخادم[5] اليقظ في أول يومه لما مضى في ليلــه وفي أول ليله لما مضى في يومه، فلا يمسي إلا تائبًـا ولا يصـبح إلا تائبًـا، وعنـدها تنمـو الأفعال،و تصلح الأعمـال، ويـرجى مـا يحصـل من اللـه تعـالى من عظيم الآمـال، اللهم اجعلنا ممّن تاب إليك وأناب، والفزع إلى التوبة هو دأب الأنبياء والأئمــة من أهل البيت وأهل الصلاح- رضي الله عنهم-؛ لما تضـمنته من إزالـة الـذنوب؛ ولمـا فيهـا من تعظيم الخـالق، وخضـوع المخلـوق بـالاعتراف بعظمتـه، والخـوف من سـطوته، فمن ألزمهـا نفسـه في معظم أوقاتـه فقـد وفـق للخـيرات وفـاز، ومن أعرض عنها فقد خسر وخاب، وفي الحديث: «يغفر اللـه للعـالم أربعين ذنبًـا قبـل أن يغفــر للجاهـل ذنبًـا واحدًا»[6]، ومـا ذاك إلا لأن العـالم بعلمـه يعـرف أحكـام الأفعال، ويتحقق عظمة الله تعالى وجلال كبريائه، فبوقعها على وجه يليق بالجلال والكبرياء.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ فِي الْقُنُـوعِ لَسَـعَةً، وَإِنَّ فِي الإِقْتِصَادِ لَبلْغَة، وَإِنَّ فِي الزُّهْدِ لَرَاحَةً، وَلِكُلِّ عَمَلٍ جَزَاءٌ وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ**» اعلم أنه صلى الله عليـه وآلـه وسـلم قـد أتى في هـذا بحكم خمس نوضحها بمعونة الله تعالى:

الحكمـة الأولى: قولـه: «**في القنـوع لسـعة**»، وأراد أن كـل من قنـع

---

1 (?) سورة التحريم الآية 8.
2 (?) صحيح مسلم، 4/ 2075.
3 (?) نفسه.
4 (?) غين على قلبه غطي عليه. ينظر: لسان العرب، مادة (غين).
5 (?) في (ك،م) الحازم. {ولعل المناسب في السياق: الحازم}.
6 (?) مسند الشهاب، 2/ 241.

بالقليل في هذه الدنيا حصل له عوضان[1]:

أحـدهما: أنـه يفضـي بـه القنـوع إلى السـعة في الآخـرة ونعيمهـا الواسع، **وثانيهما:** إن القنوع بالحلال وإن قلّ فيه سعة وغنية عن الحـرام وإن كـثر، وقـد قال بعض أهل الصلاح: أدنى ما في الدنيا يكفيـك، فـإن لم يكفـك فليس مـا فيهـا يكفيـك، فطـالب الكثـير لا ينتهي إلى غايـة؛ لأن الاحتـواء على مـا في الـدنيا كلّـه مستحيل، وتحمله لو اتفق ثقيل، ومرعاه وخيم وبيل، ومتاع الغـرور قليـل، وليس إلى نيل الخلود سبيل.

الحكمـة الثانية: قولـه: «**إن في الاقتصـاد لبلغة**» اعلم أن الاقتصـاد أصل قوي من أصول السلامة؛ لأن فيه النجاة من المهالـك، وبالتمسـك بـه يكـون النجاة من جميع الشرور لكلّ سالك؛ لأن أهل التوسع في الدنيا ربّمـا أفضـت بهم السعة إلى ضيق الحسـاب، والوقـوع في ورط العـذاب، وخـير الـزاد مـا بلـغ إلى الآخرة، وما زاد فوق ذلك فهـو حسـرة وندامـة وحسـاب وعسـرة وغرامـة، ولقـد صدق من قال: ما زاد فوق الزاد خلف ضائعًا في حادث أو وارث أو عار.

الحكمة الثالثة: الزهد، فأمـا الزهـد فهـو تـاج الإسـلام، وعـروة الإيمـان، وعنوان السلامة، ورأس الدِّين، وفيه نجاة العباد في يوم التناد من جميع التبعـات، وبه تزكو الأعمال الصالحات، ومن وفّقه الله للزهد في الدنيا فقد خصّه بالكرامة، وأراد له السلامة، وهو الذي اختص به الأنبياء- عليهم السلام-، وتفاضـل فيـه أهـل الصلاح والعبادة، وهو أحد الأوصاف في الإمامة التي هي خلافة النبوة، فانظر إلى حاله ما أعلاه، وإلى قدره ما أسناه، وفيه راحـة القلب والجـوارح كمـا أشـار إليـه الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- هاهنا، ويؤيد ذلـك مـا روي عنـه صـلى اللـه عليه وآله وسلم أنه قال: «إن لله خواص يسكنهم الرفيع من الجنان، كانوا أعقـل

---

[1] (?) في (د،م) عرضان.

الناس» قلنا:- يا رسـول الله-، وكيـف كـانوا أعقـل النـاس؟ قـال: «كـانت همتهم المسـابقة إلى ربهم والمسـارعة إلى مـا يرضـيه، وزهـدوا في الـدنيا وفضـولها ورياشها ونعيمها، وهانت عليهم فصبروا قليلاً واستراحوا طويلاً»[1].

الحكمة الرابعة: قوله: «**لكل عمل جزاء**» اعلم أن الأعمال التي تجـازى عليها نوعان:

فالنوع الأول: ما كان من قبل[2] الواجبات وترك المقبحات، ومـا كـان من قبيل المندوبات وترك المكروهات، فما[3] هذا حاله يستحق عليه الثواب.

والنوع الثاني: يستحق عليه العقاب، وهو كل ما كان من فعـل المقبحـات وترك الواجبات، فإن ما هذا حاله يستحق عليه العقاب من الله تعالى.

فأما **المباحات**، فليس يستحق عليها[4] ثواب ولا عقاب، وإنّما هـو من قبيـل ما يستوي فعله وتركه عند الله، ويؤيـد ذلـك قولـه تعـالى: [illegible][5]، إلى غير[6] ذلـك من الآيـات الدالـة على الاسـتحقاقات من ثـواب أو[7] عقـاب، و[8]هـذا العموم شامل لكل عمل، إلا ما خصّ دلالة.

الحكمة الخامسة: قوله: «**وكل آت قريب**»، فهذا العموم شامل لكل ما ينتظر وقوعه في المسـتقبل، فإنـه وإن تباعـد حصـوله فهـو قـريب بالإضـافة إلى

---

1 (?) تيسـير المطـالب، 498. بلفـظ: «إن لله خـواص يسـكنهم الرفيع من الجنة كـانوا أعقل الناس» قلنا يا رسول الله، وكيف كانوا أعقل النـاس؟ قـال: « كـانت نهمتهم المسـابقة إلى ربهم، والمسـارعة إلى ما يرضـيه، وزهـدوا في الـدنيا وفضـولها ورياسـتها ونعيمهـا، وهـانت عليهم فصبروا قليلاً واستراحوا طويلاً».

2 (?) في (د،م) قبيل. {ولعل المناسب للسياق: قبيل}.

3 (?) في (ك،م) فإن ما.

4)) في (د) عليه.

5 (?) سورة الأنعام من الآية 160.

6)) في (د) سقط: غير.

7 (?) في (د) الواو بدلاً عن أو.

8 (?) في (د،م) الفاء بدلاً عن الواو.

تقريب الليالي والأيام، وما كان الموعود به عظيم من العقاب على المعصية، وكان الوعد عظيمًا أيضًا من الثواب وخاف أحدهما ورجا الآخر، فإنه يكون إلى الاجتهاد فيما هو بصدده من الأعمال الصالحة والانكفاف عن الأمور القبيحة، فمن كانت هذه حاله فقد فاز بالحظ الأوفر واختص بالنصيب الوافي، وأحرز القدح الأقمر ممّا[1] يكون فيه رضا لله تعالى وفوز بعظيم ثوابه، ولنختم كلامنا في هذا الحديث بما يتلوه[2]، ويتعلق بأسراره، فنذكر علامات الزهد، ثم نردفه بالكلام في تقسيم الزهد، ثم بالكلام في كيفية استعمال الزهد، فهذه مقامات ثلاثة:

المقام الأول: في بيان علامات الزهد

اعلم أنّه قد يُظن أن الزهد هو ترك المال، ولبس الصوف، وليس الأمر كما توهموه، فإن ترك المال وإظهار البعد منه سهل على كل من أحب المدح بالزهد، فكم من الرهبانية ردوا أنفسهم كل يوم إلى قدر يسير من الطعام، ولازموا ديرًا لا باب له، وغرضهم بذلك معرفة الناس[3] حالهم ونظرهم إليهم، وإظهار المدح لهم بذلك، وهكذا الحال في لبس الصوف، فإن قومًا ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون على الناس بذلك ليهدى إليهم مثل لباسهم، فهؤلاء ليسوا من الزهد في وردّ ولا صدر، وإنما الزهد الذي يراد به وجه الله تعالى هو الذي يظهر عليه علامات أربع:

العلامة الأولى: أن لا يعرج بموجود من الدنيا، ولا يحزن على مفقود منها كما أشار إليه تعالى: [illegible][4] بل ينبغي أن يحزن لوجود المال ويفرح بفقده.

---

1 (?) في (د) فيما.
2 (?) في (د،ك،م) يليق به.
3 (?) في (د،م) سقط:الناس.
4 (?) سورة الحديد من الآية 23.

العلامة الثانية: أن يستوي عنده مادحه وذامه:

فالأول: علامة الزهد في الجاه، **والثاني**: علامة الزهد في المال، فكلّ من اشتغل بنفسه شغل عن الناس. وهذا مقام العاملين، ومن شغل بربه شغل عن نفسه، وهذا مقام العارفين.

العلامة الثالثة: أن يكون أُنسه بالله، فلا يأنس بأحد غيره، وأن يكون الغالب على قلبه حلاوة الطاعة؛ إذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة؛ إما محبة الدنيا، وإما محبة الله تعالى، وهما في القلب كالماء والهواء في الإبريق، فالماء إذا دخل خرج الهواء، ولا يجتمعان أبدًا، فكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشتغل بغيره، ولهذا قيل لبعض الزهاد: إلى ماذا أفضى بكم الزهد؟ فقال: إلى الأنس بالله[1].

العلامة الرابعة: أن يستوي عنده الغنى والفقر، والعزّ والذلّ، والمدح والذم، وكلّ ذلك إنما كان من أجل أُنسه بالله واطراحه لما عداه. قال بعض الزهاد: الزهد عزف النفس عن الدنيا بلا تكلف. وقال آخر: علامة الزهد ثلاث: عمل بلا رياء، وقول بلا طمع، وعزّ بلا رئاسة، وقال آخر: جعل الله الشرّ في بيت، وجعل مفتاحه حبّ الدنيا، وجعل الخير في بيت وجعل مفتاحه حبّ الزهد.

المقام الثاني: في تقسيم الزهد

وينقسم إلى: فرض، ونفل، وسلامة، فالفرض، فهو الزهد في الحرام؛ لأنّ ترك الحرام فرض على كل مسلم، وفي ذلك إحراز العدالة، وأما الفضل[2]، فهو الزهد في الحلال؛ لأن خلاف ذلك لا يضرّ في الدِّين، ويكون سالمًا بتركه، وأما السلامة، فهو الزهد في ترك الشهوات، ولهذا قيل لمالك بن أنس[3]: ما الزهد؟

---

1)) ينظر: إحياء علوم الدين، 2/ 227.

2 (?) في (د) النفل. {وهو الأنسب حيث ذكره المؤلف عند تقسيم الزهد}.

3)) وهو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني، الفقية إمام دار الهجرة، قال

قال: التقوى، ودرجات الزهد متقاربة بعضها أرفع من بعض، ومن أقصى مراتب الزهد ما يُحكى عن عيسى- عليه السلام- أنه توسد يومًا حجرًا في نومه، فقال له إبليس: أما كنت تركت الدنيا، فقال له: فما الذي بدأ لك مني؟ وما الذي تجدد؟ قال له: توسدت الحجر وتنعمت برفع رأسك عن الأرض في النوم، فرمى بالحجر وقال: خذها فقد تركتها لك[1]، وروي عن يحيى بن زكريا- عليه السلام- أنه لبس المسوح حتى ثقب جلده فسألته أمه أن يلبس مكانها جبّة من صوف ففعل، فأوحى الله إليه:- يا يحيى- آثرت عليّ الدنيا، فبكى ونزع الصوف وعاد إلى ما كان[2]، ويُحكى أن عيسى- عليه السلام- جلس في ظل حائط لإنسان، فأقامه صاحب الحائط، فقال: ما أقمتني أنت وإنما أقامني الذي لم يرض لي أن أتنعم بظل الحائط[3].

المقام الثالث: في كيفية استعمال الزهد فيما هو من ضرورات الحياة

اعلم أن كل ما كان الناس منهمكين فيه فهو ينقسم[4] إلى: **فضيلة**[5]، و**مُهم**، **فالفضيلة**[6]: الخيل المسوّمة مثلاً، فإن الإنسان يقتنيها، وهو قادر على المشي، وأما **المهم**: فالأكل والشرب، ولا حاجة بنا إلى تفصيل أصناف الفضلات، فإن ذلك يعسر ولا ينحصر، وإنما ينحصر المهم الضروري، والمهم أيضًا يتطرق إليه فضلات في مقداره، وجنسه، وأوقاته، فلا بد من بيان وجه الزهد فيه،

البخاري: أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع، توفي سنة 76هـ. ينظر: تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، ط1، 1986م، دمشق، سوريا، 1/ 156.

1 (?) إحياء علوم الدين، 3/34.
2 (?) نفسه، 4/ 229.
3 (?) نفسه.
4 (?) في (د،م) منقسم.
5 (?) في (د) فضلة. {ولعل المناسب: فضلة}.
6 (?) في (د،م) فالفضلة.

والمهمات ستة: المطعم، والملبس، والمسكن، والنكاح، والأثاث، والمال.

المهم الأول: المطعم، ولا بدّ للإنسان من قوت حلال يقيم به صلبه، وأقلّ درجات الزهد الاقتصار على قدر دفع الجوع عند شدته، وخوف المرض، وله جنس، ومقدار ووقت نفصلها، أما **جنسه:** فالبُرّ أعلاه، والأوسط الشعير والذرة، وأدناه النخالة، وأما قدره فأقله نصف رطل، وأوسطه رطل، وأعلاه مُدّ، هذا كله في اليوم والليلة لمن أراد التزهد، وأما وقته فأدناه في اليوم والليلة أكلتان، وأوسطه في اليوم أكلتان، وأعلاه أن يطوي اليومين فلا يأكل فيهما شيئًا بعد الرياضة، فاما تركه دفعة واحدة فذلك مما يشق فعله.

المهم الثاني: الملبس، وأقلّ درجاته في الزهد ما يدفع الحرّ والبرد، ويستر العورة وهو كساء يتغطى به ، وأوسطه قميص وقلنسوة، وأعلاه قميص وقلنسوة وسراويل ونعل، فما جاوز هذا من حيث المقدار فهو مجاوز لحدّ الزهد، وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه، بل يلزمه القعود في البيت، فإذا كان له اثنان من ذلك فهو خارج عن حدّ الزهد، وأما **جنسه،** فأقلّه المسوح الخشن، وأوسطه الصوف الخشن، وأعلاه القطن الغليظ، وأما **وقته،** فأقصاه ما يستره سنة، وأقله ما يبقى أسبوعًا، وأوسطه ما يبقى شهرًا، وطلب ما يبقى فوق السنة خروج إلى طول الأمل، فهو مضاد للزهد، ولقد كان رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يحب الاقتصاد في الأمور كلّها، وربما شرع لأمته ما شرع[1]، وكان اشترى ثوبًا بأربع دراهم[2]، وكان يساوي عشرة، وكان إزاره أربعة أذرع ونصف[3]، واشترى سراويل بأربعة دراهم[4]، وفي الحديث: كان

1 (?) في (ك) يشرع.
2 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 232.
3 (?) نفسه، 4/ 232.
4 (?) مسند أبي يعلى، 11/ 24.

قميص رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- كأنه قميص زيات من الدرن[1]، ولبس رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يومًا حلة سيراء من سندس قيمتها مائتا درهم أهداها له المقوقس ملك الاسكندرية، ثم نزعها ووهبها لرجل من المشركين في مكة[2]، ثم حرم الديباج، ولبس يومًا خاتمًا من ذهب ثم نزعه، وحرم لبسه على الرجال[3].

المهم الثالث: المسكن، وأعلى الزهد فيه أن لا يطلب موضعًا يسكنه لنفسه، بل يقنع بزوايا المساجد كأصحاب الصّفّة، و**أوسطها** أن يطلب موضعًا يسكنه من خوص أو سعف، و**أدناه** أن يُطلب حجر مبنية باللبن إما شراء أو إجارة، فإن كان قدر سعته على قدر حاجته من غير زيادة لم يخرجه هذا القدر عن آخر درجات الزهاد، فإن طلب السعة بكثرة الأزقة والزينة بالجصّ وارتفاع الأبنية وزينتها، فهو خارج عن حدّ الزهد لا محالة، ولقد توفي رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة، قال عبدالله بن عمر: مرّ رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ونحن نعالج خصًّا لنا، فقال: «ما هذا»؟ فقلنا: خصّ قد وهي، فقال: «أرى الأمر أعجل من ذلك»[4].

المهم الرابع: أثاث البيت، وللزهد فيه درجات أعلاها حال عيسى- عليه السلام-؛ إذ كان لا يصحبه إلا مشط وكوز، فرأى يومًا إنسانًا يمشط لحيته بأصابعه، فرمى بالمشط، ورأى آخر يشرب بكفه فرمى بالكوز، وهذا حكم كل أثاث، فإذا استغنى عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة، و**أوسطها** أن يكون له أثاث بقدر الحاجة، لكن ينبغي أن تكون الآلة الواحدة تصلح لحوائج كثيرة، كالقصعة

---

1 (?) إحياء علوم الدين، 4/ـ 232. والزيات: الذي يبيع الزيت. ينظر: لسان العرب، مادة (زيت). والدرن: الوسخ. ينظر: نفسه، مادة (درن).

2 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 232.

3 (?) صحيح البخاري، 5/ 2202.

4 (?) سنن ابن ماجة، 2/ 1393. سنن الترمذي، 4/ 568.

فإنها للشرب والعجين والغسل، والوضوء وغير ذلك، و**أدناها**[1] أن تكون لـه آلـة بعدد كـل حاجـة، فـإن زاد في العـدد فهـو خـارج عن حدّ الزهـد والعبـادة، وطلب الفضلات التي لا يحتاج إليها، ولينظـر الزاهـد إلى سـيرة رسـول الله- صـلى اللـه عليه وآله وسلم- وسـيرة أصـحابه، فلقـد كـانوا في غايـة الزهد، قـالت عائشة[2]- رضي الله عنها-: كان ضجاع الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- الذي ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف[3].

المهم الخامس: المنكح، وقد قال قائلون: لا معنى للزهـد في أصـله، ولا في كثرته، ولقد كان أزهـد الصـحابة، وأعلاهم في الزهـد هـو علي بن أبي طـالب فقد كان معه أربع زوجات وبضع عشرة سرية، والمختار أن ذلك يختلـف بـاختلاف الأشخاص، وإن كان الشبق شاغلًا له فقد يكون واجبًا إذا كان لا يأمن على نفسه، وإن كان أجمع على المواظبة على العبادات فهو مستحب في حقّه، وإن كان غـير ذلك فهو مباح في حقّه، فإذا كان الأمر كذلك فمن كـان لا يشـغله كـثرة النسـوة، ولا يشغل[4] قلبه بإصلاحهن، والإنفاق عليهن فلا معنى لزهـده في ذلـك حـذرًا من مجرد لذّة الجماع والنظر إليهن، ولكن أنّى يكون ذلك لغير الأنبياء والأولياء، فأكثر الخلق يشغلهم كثرة النسوان، فالأحسن أن يراعي في ذلك قلبه ويعمـل على مـا يكون فيه موافقة لإصلاح حال الآخرة من حاله.

المهم السادس: ما يكون وصْلة إلى هـذه الأمـور الخمسـة، وهـو المال، فهو ضروري في إصلاح المعيشة، أعني القليل، فإن كـان الرجـل كسـوبًا

---

1 (?) في (د) أعلاها.

2 (?) هي عائشة بنت أبي بكر الصـديق بن أبي قحافة بن عـامر- رضي الله عنهمـا-، تزوجها النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- بمكة قبل الهجـرة بثلاث سـنوات، وهي ابنة ست سـنين، وبـنى بها وهي ابنة تسع سـنين، تـوفيت سـنة 57هـ، وقيـل: 58هـ، ودفنت بـالبقيع. ينظـر: طبقات ابن سعد، 8/ 58- 77. الاستيعاب، 4/ 1881، 1885.

3 (?) سنن أبي داود، 4/ 71.

4 (?) في (ك،م) يشتغل.

فإذا اكتسب حاجة يومه فينبغي أن يترك التكسب،[5]هذا شرط الزهد، فـإن جـاوز ذلك إلى ما يكفيه أكثر من سَنة، فقد خرج عن حد عادة الزهادة، ونعني بخروجــه عن حد الزهد أن كـل مـا وعـد الله بـه الزاهـدين في الـدارالآخرة من المقامـات المحمودة لا يناله، وإلا فاسم الزهد قـد لا يفارقـه بالإضـافة إلى مـا زهـد فيـه من الفضولات والكثرة، فهـذا مـا أردنـا ذكـره فيمـا ينبغي للزاهـد اسـتعماله من هـذه المهمات على جهة الاختصار، وقد قال بعض الزهاد: الزاهد الذي يصدق في زهده قوتـه مـا وجـد، ولباسـه مـا سـتر، ومسـكنه حيث أدرك، والـدنيا سـجنه، والقـبر مضجعه، والخلوة مجلسه، والاعتبار فكره، والقرآن حديثه، والرّبّ أنيسه، والــذكر رفيقه، والزهد قرينه، والحـزن شـأنه، والحيـاء شـعاره و الجـوع إدامـه، والحكمـة كلامه، والتراب فراشه، والتقوى زاده، والصمت غنيمته، والصبر معتمده، والتوكل جيشه، والعقل دليله و العبادة حرفته و الجنة مبلغه، والله أعلم.

---

[5] (?) في (د) زيادة: الواو.

الحديث الثالث عشر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَـالَ: سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللَّهِ- صَـلّى الله عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُـولُ فِي بَعْضِ خُطَبِـهِ أَوْ مَوَاعِظِـهِ: «**أَمَا رَأَيْتُ الْمَـأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ، وَالْمَزْعَجِينَ بَعْدَ الطُّمَأْنِينَةِ، الَّذِينَ أَقَامُوا عَلَى الشُّـبُهَاتِ، وَجَنَحُوا إِلَى الشَّـهَوَاتِ، حَتَّى أَتَتْهُمْ رُسُـلُ رَبِّهِمْ، فَلاَ مَـا كَـانُوا أَمَّلُـوا أَدْرَكُوا، وَلاَ إِلَى مَا فَاتَهُمْ رَجَعُوا، قَدِمُوا عَلَى مَا عَمِلُـوا، وَنَـدِمُوا عَلَى مَا خَلَّفُـوا، وَلَنْ يُغْنِيَ النَّدَمُ، وَقَـدْ جَـفَّ الْقَلَمُ، فَـرَحِمَ اللَّهُ امْـرَأً قَـدَّمَ خَيْراً، وَأَنْفَقَ قَصْداً، وَقَالَ صِـدْقاً، وَمَلَـكَ دَوَاعِي شَـهْوَتِهِ وَلَمْ تَمْلِكْـهُ، وَعَصَى أَمْرَ نَفْسِهِ فَلَمْ تُهْلِكْهُ**»[1].

فنقـول: الحمـد للـه المنتقم، القـاهر الـذي أهلـك العصـاة بسـيف القهـر والانتقـام، ومحـا آثـارهم، وقطـع دابـرهم بالسَّـحْب[2]، والاصـطلام[3]، خـالفوه فأهلكهم، وعصوه فأبادهم، وحادوه فدمدم عليهم، وللكافرين أمثالها، أعرضوا عن الألطـاف الخفيّـة حين أقبلت، وجنحـوا إلى الشـهوات حـتى غطت على قلـوبهم وأغفلت، استمالهم الشـيطان بـالمكر والخديعـة، واسـتولى عليهم الخـذلان حـتى تعلقوا بسراب بقيعة، وأعرضوا عن داعي الهدى، وأجابوا ناعق الشيطان والهوى، فـأعقبهم الإعـراض والخسـران والندامـة، فخـابوا وخسـروا واسـتحقوا من اللـه العذاب والملامة، فبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون.

والصلاة على المبعوث بأحسن المعاني وأبلغ الحقائق، والمخصوص من اللـه

---

[1] (?) الأربعون حديثًا السيلقية، 25.

[2] (?) السحب: جرّك الشيء على وجه الأرض كالثوب. ينظر: لسان العرب، مادة (سحب).

[3] (?) الاصطلام: إذا أبيد قوم من أصلهم. ينظر: نفسه، مادة (صلم).

تعالى بأحسن الشمائل، والطرائق ٱُرسل إلى الأسود والأحمر وإلى كافة الخلائق، وعلى آلـه الطيـبين الأطهـار الصـادقين الأبـرار الـذين أذهب اللـه عنهم الـرجس وطهرهم تطهيرًا، واعلم أن ما ذكره صلى الله عليه وآله وسلم في هـذا الحـديث مشتمل على النظر في أمور ثلاثة نفصلها بمعونة الله.

النظر الأول: في بيـــان ما اشـــتمل عليه من العلـــوم الأدبية

وفيه بحثان:

البحث الأول: في بيان ما تضمنه من الألفاظ اللغوية

الرؤية: أصلها الإدراك، وقد تكون بمعنى العلم، و**المأخوذ**: هـو المبطـوش به، و**الغِـرَّةِ**: أن يفاجـأ الإنسـان الأمر، وهـو على غـير أهبـة ولا اسـتعداد، يقـال: جاءهم الأمر فجأة، وفي الحديث أن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- غـزا بـني المصـطلق وهم غـارُّون[1] على منـاهلهم فأخـذ الأمـوال، وسـبى الـذراري، واصطفى جويرية[2] لنفسه من السبايا[3].

الإزعاج: هو الإخراج بعنف عن الأمر المسكون إليه بشـدة في الإخـراج، ولا يكون الإزعاج إلا كـذلك، و**الطمأنينة**: هي السـكون والدعـة، يقـال: اطمـأن إلى الأمر، إذا ســكن إليــه، ويقــال: فيــه الطمأنينة[4]. **الإقامة**: نقيض الانتقــال، و**الشبهات**: الأمور الملتبسة بالحق المزورات عليه، وسميت شبهات؛ لأنها تشـبه الحق. **الآتي**: هو الواصل، و**الغادي**: هو الذاهب، و**الرُسـُل:** هاهنـا هم الملائكـة المقربون الناصحون المتحابون الذين جرى عذاب الأمم العاتية، والقـرون الخاليـة على أيديهم سلام الله ورضوانه على أرواحهم المكرمة .

---

1)) غارون: غافلون. ينظر: تاج العروس، مادة (غرر).

2)) وهي جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار، من بني المصـطلق من خزاعـة، تزوجها مسـافع بن صفوان، فقُتل يوم المريسـيع، وكـانت في سـهم ثـابت بن قيس الأنصـاري، وكاتبها على تسع أوراق، فأدى النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- عنهـا، وتزوجهـا، تـوفيت بالمدينة سـنة خمسين للهجرة، وقيل: سنة ست وخمسين. ينظر: طبقات ابن سعد، 8/ 116- 120.

3 (?) ينظر: السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، تحقيق طه عبد الـرؤوف سعد، دار الجيل، ط1، عام 1411هـ، بيروت، لبنان، 4/ 252.

4)) في (د،ك،م) زيادة: أيضًا.

القدم[1]: هو الورود على المحبوب، يقال: قـدمت[2] خـير مقـدم. **الجنـوح**: الميل إلى الشي، و**الشهوات**: جمع شهوة، وهي كل ما يلتذّ به الإنسان ويلائمـه، و**الأعمـال** و**الأفعـال**: أمـر واحـد، وهـو مـا يقـع من العبـد بحسـب الداعية، و**التقدمة**: هي السابقة، و**النّدم**: هو الأسف على ما فات، وللخلف[3] ما كان من وراء الإنسان. **الإغناء**: هو الكفاية، لا فرق بين قولهم: أغنـاني وكفـاني، و**القلم**: ما تقع به الكتابة، وقد أقسم الله به حيث قال: [illegible][4]، و**جفـاف القلم**: إذا فـرغ الكـاتب من الكتابـة. **الرحمـة من الله**: هي الرضـا والغفران، و**الإنفاق**: هو العطاء[5]، **والإحسان والقصد**: هو الإنفاق على خلاف التبذير والتقتير، و**الصدق**: نقيض الكذب، و**الملك**: هو التصرف في الأمر تصـرفًا عامًا، ويقال للعجين مملوك؛ لأنه يتصرف في عجنـه تصـرفًا بالغًـا، ويقـال للعبـد: مملوك أيضًا؛ لما كان يتصرف عن أمر سيده، **ودواعي الشهوة**: هنّ المؤديـات إليها، وأعظمها النظر وتوابعه من الأفكار المؤدية إلى الملاذ المُوقعة في العظائم والعـذابات الدائمـة. **الشـهوة**: هي ملاءمـة المـزاج عنـد إدراك المُشـتهى، و**المعصـية**: نقيض الطاعة، و**النَّفْس**: هي الأمـارة بالسـوء، و**الهلاك**: نقيض السلامة.

البحث الثاني: في بيان ما تضمنه من العلوم الإعرابية

فـ «**أما**» هاهنا هي[6] للتنبيه، و«**رأيت**» «**التاء**» فيه للخطاب للواحـد، ولهـا في الاحتمال وجهان:

أحدهما: أنها تكون بمعـنى المشـاهدة، والإدراك فتكـون على هـذه متعديـة

---

1 (?) في (ك،م) القدوم. {المناسب: القدوم}.
2)) في (د) قدم.
3 (?) في (ك،م) المخلف.
4 (?) سورة القلم الآية 1.
5 (?) في (د) الإعطاء. {وهو المناسب}.
6 (?) في (د،م) زيادة: التي.

إلى مفعول واحد، وهو «**المـأخوذين**»، والجـار والمجـرور على هـذا في موضـع نصب على الحال، أو يكونان في موضع مفعول متعلقين بالرؤية.

و**ثانيهما**: أن تكـون الرؤيـة بمعـنى العلم، فتكـون متعديـة إلى مفعـولين؛ الأول: «**المأخوذين**»، والثاني: الجار والمجـرور أيْ: المـأخوذين الحاصـلين على غِرَّة، و«**المزعجين**» منصوب بالعطف على الوجهين جميعًا اللذين ذكرناهما في المـأخوذين. «**بعـد الطمأنينة**» مضـاف، ومضـاف إليه، و«**بعد**» منصـوب على الظرفية. «**الذين أقاموا على الشـبهات**» في موضـع نصـب على الصـفة لــ «**مأخوذين**»، و«**المزعجين**». «**وجنحوا إلى الشهوات**» عطف على قولــه: «**أقاموا**»، و**الجنوح**: الميل.

«**حـتى أتتهم رُسـُل ربهم**» «**حـتى**» هاهنـا ابتدائيـة ليس فيهـا معـنى التعليل. «**رسل ربهم**» مرفـوع على الفاعليـة. «**فلا مـا كـانوا أملـوا**» «**لا**» هاهنا نافيـة، و«**ما**» موصـولة في موضـع رفـع بــ «**لا**» على أنـه مبتـدأ، وصـلتها الجملة الفعلية بعدها، وهي: «**كانوا**»، وقولـه: «**أملوا**» جملـة فعليـة في موضـع خبر لــ «**كان**»، فـ «**أدركوا**» جملة فعلية في موضع الخبر لـ «**لا**»؛ إما على أن ما بعدها جملة ابتدائية، وإما على أنها بمعـنى (ليس)، فتكـون الجملـة في موضـع نصب خبرًا لها، ويُحتمل أن تكـون «**مـا**» موصـولة في صـدر«**لا**» منصـوبة بــ « **أدركوا**»، وهو الظاهر لأن الفعل لم يشتغل بالضمير،وإذا كان مرفوعًـا فلا بدّ من تقـدير ضـمير في «**أدركـوا**» راجـع إلى المبتـدأ، ولا بدّ من تقـدير ضـمير في «**أملوا**» يرجع إلى اسم (كان) ليستوفي كلّ واحـد مـا يسـتحقه، و«**الـواو**» في «**أملوا**»، و«**أدركوا**» ضميران للفاعل يرجعان إلى «**المأخوذين**».

«**ولا إلى ما**[1] **فاتهم رجعـوا**» هـذه الجملـة السـلبية معطوفـة على مـا

[1] (?) في (د،ك،م) الذين بدلاً عن ما. {ولعل السليم: ما}.

قبلها، و«**ما**» موصولة بالفعل بعدها، و«**رجعوا**» معطوف على ما قبله، و«**إلى**» متعلقــة بــ «**رجعــوا**». «**قدّموا**» جملــة فعليــة. «**على مــا عملــوا**» «**ما**» موصـولة، ويحتمـل أن تكـون مصـدرية، فعلى الأول تقـديره: على الـذي عملـوه، والعائد محذوف، و[1]على أنها مصدرية لا تفتقـر إلى عائـد، والجـار والمجـرور في موضـع نصـب على المفعوليـة. «**وندموا**» جملـة فعليـة عطـف على مـا قبلهـا. «**على ما خلفـوا**» جـار ومجـرور، و«**ما**» فيهـا الوجهـان اللـذان ذكرناهمـا في قوله: «**قدموا على ما عملوا**»، والموصولة هاهنا أظهر من المصدرية.

«**ولن**» للنفي المستغرق. «**يغني الندم**» جملة فعلية سلبية. «**وقـد جف القلم**» جملة فعلية في موضـع نصـب على الحـال، و«**الواو**» هاهنـا كافيـة عن الضمير، و«**قد**» هاهنا هي المصححة لكون الجملة حالاً؛ لأنك لا تقول: جاءني زيد ضحك، وإنما تقول: قد ضحك؛ ليستقيم كونها حالاً.

«**فرحم الله امرأ**» «**الفاء**»هاهنا للاسـتئناف، ويحتمـل أن تكـون عاطفـة لما بعدها على ما قبلها، و«**رحم**» جملة من فعل وفاعل ومفعول. «**قدم خيرًا**» جملة أيضًا من فعل وفاعل ومفعول، والفاعـل مضـمر، و«**خـيرًا**» منصـوب على المفعولية. «**وأنفق قصدًا**» جملة فعلية أيضًا. و«**قصدًا**» مفعـول لـه. «**وملـك دواعي شهوته**» جملة فعلية أيضًا، و«**دواعي**» جمع داعية كضوارب في جمـع ضاربة، و«**شهوته**» مجرور بإضـافة مـا قبلـه إليـه. «**ولم تملكه**» جملـة فعليـة سلبية معطوفة على ما قبلها، وهو قوله: «**ملك**»، «**وعصى أمر نفسه**» جملة فعلية معطوفـة على قولـه: «**عصى**»، «**وتملكه**»، و«**تهلكه**» فعلان مجزومـان بــ «**لم**» النافية، وهي موضوعة لنفي الفعل الماضي.

---

[1])) في (د) سقط: الواو.

النظر الثـاني: في بيـان ما اشـتمل عليه من العلـوم في البلاغة

وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: في بيان ما تضمنه من العلوم المعنوية

وقد تضمن هذا الحديث معاني:

المعنى الأول: قوله: «**رأيت**» الخطاب بــ «**التاء**» فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون خطابًا لمن يكالمه صلى الله عليه وآله وسـلم على جهـة الإفراد، وهذا هو الظاهر من حاله.

و**ثانيهما**: أن يكـون ذلـك واردًا على جهـة المثـل من غـير أن يكـون خطابًـا لواحد، بل كما يكون خطابًا لواحد، و[1]هـو خطـاب لاثـنين وثلاثـة ومـا فـوق ذلـك، ونظيره قوله تعالى: ﴿ □□□□□ □□□□ □□□□□ □□□□□□ □□□□□ ﴾[2]، وقوله تعالى: □□□□□ □□□□ □□□□□ ﴿ □□□□□□ ﴾[3]، وغير ذلك فهو محتمل للوجهين جميعًا أن يكون خطابًا للرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- وأن يكون جاريًا على جهة المثـل، وهـذا هـو الأحسـن، فـإن مثل ذلك يقال للواحد والاثنين والجماعـة، وفي هـذا دلالـة على أنـه لم يقصـد بـه الخطاب إذن لوجب المطابقة في الخطـاب، ولـوجب اختلاف حالـه بالإضـافة إلى المخاطبين.

المعنى الثاني: قوله، في الفصل والوصل، فـإن «**الواو**» في قولـه: «[4] **والمزْعَجين بعـد الطمأنينة**» إنمـا جيء بهـا من أجـل الوصـل دلالـة على المغايرة بين «**المأخوذين**»، و«**المزعجين**»؛ لأن «**الواو**» دالة على المخالفـة

---

1 (?) في (د،ك،م) الفاء بدلاً عن الواو.

2 (?) سورة الفجر من الآية 6.

3 (?) سورة الفرقان من الآية 45.

4)) في (د،م) زيادة: والمأخوذين على الغرة. {وليست من الوصل في شيء؛ لـذا هي زيـادة غير مناسبة}.

بين الصنفين، وجاء بقوله: «**الذين أقـاموا على الشـبهات**» من غـير «**واو**» للدلالة على الفصل، وأن إقامتهم على الشبهات وصـف شـامل للصـنفين جميعًـا، فانظروا إلى سرّ كلامه صلى الله عليه وآله وسلم في الفصل والوصل ما أحسـن مغزاه وأجمع للفوائد معناه!

المعنى الثـالث: الإبهـام بــ «**ما**» الموصـولة في قولـه: «**فلا كـانوا مـا أملوا**»، وقوله: «**ولا ما فاتهم**»، وقوله: «**قدموا على ما عملـوا**»، وقولـه: «**ندموا على ما خلفوا**»، وهذه مواقع أربعة في: «**ما**»؛ دلالة على الإبهام فيما تناولته، ولم يخصّ شيئًا من شيء، فقد وقع هاهنا أحسن موقـع؛ لمـا تضـمنته من الإبهام الدال على المبالغة فيما اندرج تحته.

المعنى الرابع: تصـدير الكلام بالتنبيـه إيقاظًـا للأفئـدة، وخرقًـا لقـراطيس الأسماع لتحقق الموعظة، وتَرَك الابتداء في هذه الخطبة بالتوحيد وذكر التحميد[1] في أولهـا، ومـا ذاك إلا لأجـل العنايـة بالمقصـود بالموعظـة، وهزّ الأعطـاف إلى الإصغاء إليها، وتحريك القلوب إلى قبولها.

المعنى الخامس: الإيجـاز والاختصـار، ولقـد أشـار صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم في هـذه الخطبـة إلى المعـاني الجمّـة والنّكت المتكـاثرة بـأوجز عبـارة وأخصرها، فأدى الأمانة وبـالغ في النصـيحة لمن عقـل وتـدبّر[2]، واسـتعمل عقلـه وتفكر وبالغ في العظة في كل جهة نافعة، وحـذر عن كلّ غفلـة مهلكـة، وكم من آية يمرون عليها، وهم عنها معرضون، ولله در كلامه صلى الله عليـه وآلـه وسـلم ما أسلسها على الألسنة، وأجمعها للمعاني، وأحواهـا للمقاصـد وأحلاهـا، فلا تمـل على تكرر الأيام والأزمنة.

---

1 (?) في (د) الحمد. {ولعل المناسب في السياق: التحميد}.
2)) في (ك) تبدر. {والمناسب في السياق: تدبر}.

المطلب الثاني: في بيان ما تضمنه من الأسرار البيانية المتعلقة بالمجازات العالية والاستعارات الرائقة

وقد اشتمل على مجازات ستة:

المجاز الأول: قوله: «**أما رأيت المأخوذين على الغِرَّة**»، فإن ما هـذا حاله من أحسن الاستعارات، وأعظمها في البلاغة، وأوقعها في الدلالـة على أنهم أخرجوا من الدنيا وهم على غير أهبة ولا أخذ عدّة، فجاءهم الموت فجـأة، فيجمـع هذه المعاني وغيرها.

قوله: «**المأخوذين على الغِرَّة**»، ولو أتى بالحقائق لم يعط هـذا المعـنى، فهذه هي فائدة المجازات، فإن قولك: رأيت الأسد، أدخل في إفادة الشجاعة من قولك: رأيت الشجاع، وما ذاك إلا من جهة[1]استعمال المجاز الدّال على المبالغة.

المجـاز الثـاني: قولـه: «**المزْعجين بعـد الطمأنينة**» هي اسـتعارة رشيقة[2] لما تضمنته من الإسراع والمعاجلة والقلق في سرعة الأخذ بعـد التمكن والاستقرار، وهو ألمّ ما يكون للنفوس وأبلغ في المشقة.

المجاز الثالث: قوله: «**أقاموا على الشبهات**» استعارة لتمكنهم منهـا، واستغراق أعمارهم على الإكباب عليها، والاستمرار على فعلها.

المجاز الرابع: قوله: «**وجنحوا إلى الشـهوات**» اسـتعارة أيضًـا لميلهم إليها وإصغائهم إلى شغل قلوبهم وحواسهم بها، ومنه جناح الطائر؛ لأنـه يميـل بـه إلى كل جهة في طيرانه.

المجـاز الخـامس: قولـه: «**وقـد جفّ القلم**» فجفـاف القلم اسـتعارة للفراغ من كتابة الأعمال والختم عليها، وليس الغـرض الجفـاف حقيقـة فإنـه بعـد الموت قد بطل كلّ شيء وفرغ من الأعمال كلها ومن قبول التوبة وبطلان الندم،

---

[1] (?) في (د،م) أجل.

[2])) في (ك) مشتقة. {وهذا غير سليم}، وفي (د،م) زيادة: أيضًا.

فوضع جفاف القلم للدلالة على الفراغ من كل شيء، وهو أحسن مجاز كما ترى.

المجاز السادس: قوله: «**وملك دواعي شـهوته، ولم تملكه**» الملـك هاهنا من أحسن الاستعارات، وأراد أن الإنسان إذا كان مقتدرًا على كفّ الدواعي عن الشهوات وقـدر عليهـا نهايـة القـدرة، فقـد حصـل لـه النجـاة، وقولـه: «**ولم تملكه**» لأنهـا إذا ملكتـه أوقعتـه في المهـاوي وأوبقتـه في المهالـك، فـانظر إلى قولـه: «**ملك دواعي شـهوته، ولم تملكه**»، وكـان قولـه: «**وملـك دواعي شهوته**» كافيًا عن قوله: «**ولم تملكه**»؛ لأنه إذا ملكها لم تملكـه، ولكنـه أورده على جهة التأكيد والحصر، كما يقال: فلانٌ قائم غير قاعد، وهذا الكلام حسن غـير قبيح، وهو من علوم المعاني، وليس من علوم البيـان، ولكن أحـوج لمـا ذكرنـاه[1] ذكر المجاز في الملك.

قوله صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «**وعصى أمـر نفسـه فلم تهلكه**» **العصيان** هاهنـا مجـاز؛ لعـدم المغـايرة بين العاصـي والمعصـي؛ لأنّ الإنسـان لا يعصي نفسه، وقولـه: «**فلم تهلكه**» بالانقيـاد؛ لأن المسـاعدة للهـوى فيـه هلاك النفوس وإتلافها.

سؤال: أراه صدّر الجملة السلبية الأولى بـ «**الواو**» فقال: «**ولم تملكه**»، وصدّر الثانية بـ «**الفاء**» فقال: «**فلم تهلكه**» فهل هناك تفرقة بينهما؟

وجوابه: أن قوله: «**ولم تملكه**» إنما وردت على جهـة التأكيـد لمـا قبلهـا، فلهذا وردت بـ «**الواو**» إشعارًا بالحال المؤكـدة، بخلاف الثانيـة فإنهـا واردة على جهة الإشعار بكونها عاطفة لما بعدها على جهة التعقيب، وفيهـا إشـعار بـأن عـدم الهلاك مسبب عن عصيان الهوى، فلا جرم افترقا.

---

[1] (?) في (ك،م) إلى ذكره بدلاً عن: لما ذكرناه.

المطلب الثالث: في بيان ما تضمنه من علوم البديع

وهو مشتمل على نكت خمس:

النكتة الأولى: التسجيع[1]، فقوله: «**الشبهات**» مع «**الشهوات**» سـجع، وقوله: «**أدركوا**» مع قوله: «**رجعوا**» سجع أيضًا، وقوله: «**عملـوا**» مـع قولـه: «**ندموا**» سجع، وهكذا قوله: «**الندم**» مع قوله: «**جف القلم**».

النكتة الثانية: الطباق أيضًـا، وهـو ذكـر النقيضـين، فـإن قولـه: **الإزعاج**، و**الطمأنينة** طباق، و**الإقامة** و**الجنوح** طباق أيضًا.

النكتة الثالثة: الفصـاحة في الألفـاظ، فإنـك إذا فكـرت في مفـردات هـذا الحديث وجدتها في غاية ما يكون من الرقّة والسلاسـة والخفّـة على الأسـماع لم تختصّ بـالنزول، فيكـون فيهـا ركّـة وثقـل ولأدخلت في الغرابـة، فيكـون فيهـا عنجهانية[2] وتقعر.

النكتة الرابعة: البلاغة في المعاني، فإنك إذا نظرت فيما اشتمل عليـه من المعاني رأيتها قد بلغت كل غاية في حسن الوعظ وتحريـك الـدواعي إلى إصـلاح حال الآخرة والنجاة من المهالك.

النكتة الخامسة: حسن التأليف وجودة السبك، فإنه ابتدأ بـذكر المـوتى ثم ذكر حالهم في الـدنيا من الإقامـة على الشـبهة والجنـوح إلى الشـهوة، ثم أردفـه بحالهم في الآخرة بقولـه: «**قدموا على مـا عملـوا**» وحقـق حـالهم فيهـا من الندامة والأسـف على مـا فـات، وانقطـاع أملهم بجفـاف الأقلام، وطي الأعمـال، وانقطاع الأعمار، إلى غير ذلك من البلاغة الرائقة التي تضـمنها، وهي غـير خافيـة على من له أدنى ذوق وظفر من علوم البلاغة بحظ وافر.

---

[1] (?) في (ك) السجع.

[2])) عنجهانية: الكِبْر، والعظمة، والخشونة. ينظر: لسان العرب، مادة (عجه).

النظر الثالث: في بيان مقاصده صــلى الله عليه وآله وسلم

وأراد التخويف من عاقبة الاغترار والمحاذرة، وهي من جملة النعم عنـد ذوي البصائر، ومصداق ذلك هو أن كـل من أخافـك حـتى يوقعـك في الأمن أنصـح لـك ممن أمنك حتى يوقعك في المخوف، وقد رأينا المـأخوذين على الغـرة، وشـاهدنا أحوالهم، والسعيد من وُعـظ بغـيره، والشـقيّ من وُعـظ بـه غـيره، فنسـأل اللـه بصـيرة في الـدنيا نافعـة، وموعظـة تنفـع في الآخـرة ناجعـة، وأيّ عـذر لنـا في الاغترار، وقد وعظنا بغيرنا إن كنا متعظين، وذكرتنا القوارع إن كنا متذكرين، فكم من مأخوذ على فجـأة ونحن نـاظرون لم ينفعـه ممـا نـزل بـه مـال ولا بنـون، ولا دفعت عنه ما ألمّ به عشيرته الأقربون، بل حملوه ثقل أوزاره، وأزعجوه عن داره وقراره، وأشخصوه عن جميع مستروحاته في ثياب رثة وزينـة حقـيرة ودلـوه في حفرة قعيرة، فهالوا عليه التراب، وأسلموه إلى الوحشـة والضـيق والعـذاب، وأي واعظة أبلغ من هـذه وأنجـع وألمّ للقلـوب والأفئـدة، وأوجـع وأبلـغ في الموعظـة للمهتدين وأنفع، فيا أيها المغرور انج نفسك من حبالة الاغترار، ولذ بكنف خالقـك، وراحمك العزيز الجبار، فالتزم بعرا رحمته المتينة واجعلهـا لـك عن بحـار الضـلال سفينة.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**والمزعجين بعد الطمأنينة**»، وعنى[1] بـذلك أنّـا قـد رأينـا المـزعجين بعـد الرفاهيـة والسـرور والاطمئنـان في الـدور المزخرفـة والقصـور كيـف حملـوا على أعـواد المنايـا فوضـعوا في القبـور ذات الوحشة والظلمة والبلايا، فإن تفكرت في ملوك الإسلام كأرباب الدولتين من بني أميـة وبـني العبـاس في دولتهم القـاهرة وعـزتهم الفـاخرة، ونخـوتهم العاليـة،

---

[1] (?) في (د) أراد.

وسطوتهم العاتية، فهل ترى لهم من باقية، فعطلت منهم البلاد؛ لمّـا أكـثروا فيهـا الفساد[1]، حتى لقد رُوي أنه يخطب لكل واحد منهم على ثمـانين ألـف منـبر على رؤوس الأشهاد، وإن فكرت في ملـوك الجاهليـة، فكم من واعظـة جليلـة!! فـأين الأكاسرة والقياصرة والتبابعة والفراعنة والعمالقة؟! أين من بـنى وشيّد وزخـرف ونجد؟! لقد طحنت منهم المنون بكلكلها، وقطع دابرهم فأضحت قبورهم عـامرة، وقصـــورهم خاويـــة داثـــرة، [illegible][2].

قولـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «**الَّذِينَ أَقَـامُوا عَلَىَ الشُّبُهَاتِ، وَجَنَحُوا إِلَى الشَّهَوَاتِ**» المعنى في ذلك أنه صلى الله عليه وآلـه وسـلم حذّر عن الإقامـة على الشـبهة والاسـتمرار عليهـا، وهي الأمـور المـزورة الـتي تلتبس بالحق وليست حقًـا فيعظم بهـا فسـاد الـدين ويلتبس بهـا أمـره، والشـهوات لهـا معنيان:

أحدهما: أن يراد بها الميل إلى المشـتهيات المحظـورات من جميـع الملاذ، **وثانيهما**: أن يراد بها حبائل الشيطان وغروراتـه الكاذبـة، فسـماها شـهوات لمـا كانت الشهوات تدعو إليها وتوقع فيها.

ولنورد هاهنا كلامين هما خليقان بما نحن فيه:

الكلام الأول: عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «إن اللـه تعالى لمّا خلق الجنـة قـال:- يـا جبريل- اذهب فـانظر إليهـا، فـذهب فنظـر فيهـا، فقال:- يا رب- وعزتـك وجلالـك لا يسـمع بهـا أحـد إلا دخلهـا، ثم حفهـا بالمكـاره، فقال:- يا جبريل- اذهب فانظر إليها، فنظر إليها، فقال:- يا رب- وعزتك وجلالك لا

---

[1])) من أرباب هاتين الدولتين من خدم الأمة، وأعزّ مجدها، وحضارتها.

[2] (?) سورة الأحقاف من الآية 25.

دخلها إلا من رحمته، ثم خلـق اللـه النـار، فقـال:- يـا جبريل- اذهب فـانظر إليهـا، فذهب فنظر إليها، فقال:- يا رب- وعزتك وجلالـك لا يسـمع بهـا أحـد فـدخلها، ثم حفها بالشهوات، فقال:- يا جبريل- اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، فقـال:- يا رب- وعزتك وجلالك لا نجا منها أحد إلا من رحمته»[1].

الكلام الثاني: ما روي عن أمـير المؤمـنين- كـرم اللـه جهه- [2]: الحـق لـو أخلص لم يخف على ذي حجا، والباطـل لـو أخلص لم يخـف على ذي حجـا، ولكن يؤخذ من هذا ضغث[3]، ومن هذا ضغث، فيمزجان فيمتزجـان ... ، ألا وإن الباطـل خيل شُمّس ركبها أهلها، وأرخوا أعنتها حتى أوردتهم النار، وإن الحـق مطايـا ذلـل ركبهـا أهلها، وأرخـوا أعنتهـا حـتى أوردتهم ظلاً ظليلا[4]. فهـذان الكلامـان فيهمـا موعظة لمن اهتدى وتبصرة لمن خشي واتقى.

ثم أجلْ فكـرك في المغـترين باللـه، فمن عابـد وثن، وخاضـع لصـنم، ومكبّ على عبادة نـور، أو نـار، ثم انظـر في أهـل الكتب المنزلـة من اليهـود والنصـارى وغيرهم من الملل الكفرية، ثم تفكر في أهل القبلة، وأهل الشـهادتين، ممّن ظلم وبغى وتكبر واختال في غيّـه، ومن الظلم والبغي اسـتكبر، فمـا كـان السـبب في الغيّ والشـقاوة إلا إيثـار الشـهوة أو إعمـال الشـبهة، فنعـوذ باللـه من اسـتيلاء الشبهات على القلوب، وإيثار الشهوات في معصية علام الغيوب.

قوله صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم : «**حَتَّى أَتَتْهُمْ رُسُلُ رَبِّهِمْ، فَلاَ مَـا كَانُوا أَمَّلُوا أَدْرَكُوا، وَلاَ إِلَى مَا فَاتَهُمْ رَجَعُوا**» الرسل من اللـه هم ملائكـة العذاب يأتونهم بالويـل المعجـل في الـدنيا، كمـا فعـل بـالأمم الماضـية والقـرون

---

[1] (?) ينظر: مسند أحمد، 2/ 332.
[2] (?) في (م) زيادة: قال.
[3])) الضغث: كل مجموع مقبوض عليه بجمع الكفّ. ينظر: لسان العرب، مادة (ضغث).
[4] (?) ينظر: تيسير المطالب، 270.

الخاليـــــــــة، [illegible]

[illegible][1]كمـا حكى اللـه تعـالى في كتابه الكريم، ومرّة بقطع الدابر؛ إما بـاقتلاع الـديار والمسـاكن، كمـا فعـل بقـوم لوط، وإما بإرسال الحجارة من سجيل، إلى غير ذلك من أنواع العذاب، وضــروب النكالات، وأما في حال الوفـاة فيضـربون وجـوههم، كمـا حكى اللـه تعـالى عنهم بقوله: [illegible]

[illegible][2] فبعد الموت، وانقضاء آثارهم من الدنيا، وملاقـاة العـذاب، فلا مـا أملـوا أدركـوا من التنعم باللـذات المحظـورة في مسـتقبل أعمـارهم أدركـوه، وحصلوا عليه لأجل[3] حيلولة الموت بينهم وبين ذلك، ولا إلى ما فـاتهم من جميـع ما تركوه وراء ظهورهم رجعوا إليه وانتفعوا به، فانظر في حال المغترين بـالأهواء كيف غرقوا في بحار الاغترار، فـافتتنوا[4] بعاجل الدنيا وحطامهـا، واغـتروا بطـول الأعمار، فيالها من حسرة تذيب الفؤاد، وتقطع نياط القلوب، وتخرج الأكباد.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**قَدِمُوا عَلَى مَا عَمِلُوا، وَنَـدِمُوا عَلَىَ مَا خَلَّفُوا**»إنما أبهم الأمر فيما قدموا عليه مبالغة في حقّه؛ ليكون ذلك أبلـغ في الحسرة، وأدخل في الندامة، والمقصود أنهم قدموا على أعمـال قبيحة، وفضـائح شنيعة منكرة شهد عليهم بها الملائكة الكرام الموكلون بحفظها على ممر الليالي والأيام، وندموا على ما خلفوا، أصابتهم الحسرة وتقطعت أفئدتهم ندامـة على مـا تركوه وراء ظهورهم، كما أشار إليه تعالى بقوله: [illegible]

[illegible][5]، فانظر إلى عواقب الإنفـاق مـا أحمـدها، وإلى سـوابق التقـديم مـا

---

1 (?) سورة العنكبوت من الآية 40.

2 (?) سورة الأنفال من الآية 50.

3 (?) في (ك،م) لأن.

4 (?) في (ك) الواو بدلاً عن الفاء.

5 (?) سورة الأنعام من الآية 94.

أسعدها، وإياك والميل إلى التخليف والاغترار بطول الأمل والتسويف.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ولَنْ يُغْنِيَ النَّدَمُ، وَقـدْ جَـفَّ الْقَلَمُ**» أخبر صلى الله عليه وآله وسلم أن الندم غير نافع، والتحسر غير مجدٍ بعـد نـزول الموت؛ لأن الإنسان في تلك الحالـة لا يتمكن من إصـلاح فاسد، ولا تقـويم معـوج من العمل مائل خاصة بعد جفاف القلم، والأخذ بالكظم[1]، فهنـاك يعلـل الإنسـان نفسه بالندامة التي هي غير نافعة، والحسرة التي هي غير مانعـة ولا دافعة، وأراد بجفاف الأقلام فراغ الملائكة الكرام الحفظـة عن الكتابـة للأعمـال والختم عليهـا، فلا يزاد على حسنة ولا ينقص عن سيئة.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأ قَدَّمَ خَيْـراً، وَأَنْفَـقَ قَصْداً، وَقَالَ صِدْقاً**»، وهذا منه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم دعـاء بالرحمـة، ودعاؤه غير مردود لمن قدّم ماله بين يديه؛ لأنّه لا محالة عن قريب يصـير[2] إليـه وما خلَّفه، فهو حسـرة وندامـة عليـه. «**وأنفق قصـدًا**» أراد إنفاقًـا يـأجُرُه اللـه تعالى عليه من غير إسـراف ولا تقتـير. «**وقـال صـدقًا**» يعـني: نزّه لسـانه عن الكذب، واعلم أنه عليه السلام قد أشار هاهنا إلى خصال من الخير ثلاث نورد مـا ورد فيها من الفضل:

الخصلة الأولى: تقديم الخـير[3] أمامـه ليـوم فاقتـه وحاجتـه، فـإن ميدانـه لواسع، وإنه لصاحبه لمعين نافع، وفي الحديث عن الرسول- صلى الله عليه وآلـه وسلم-: «ما من يوم طلعت شمسه إلا وكّل بجنبيها ملكان يناديان: يا أيهـا النـاس هلموا إلى ربكم، إن ما قلّ وكفى خير ممّا كثر وألهى، ولا غـابت شـمس إلا وكّـلَ

1)) كظم الرجل غيظه: إذا ردّه، وحبسه. ينظر: لسان العرب، مادة (كظم).
2 (?) في (د) يصل.
3 (?) في (د،ك،م) الخيرات.

بجنبيها ملكان يناديان: اللهم أعط كلّ منفـق خلفًـا، وأعـط كـل ممسـك تلفًـا»[1]، وتقديم الخير هو الأعمال الصالحة، وفي حديث آخر: «إن لله ملكًا ينادي كل يوم: يا طالب الخير أكثر، ويا طـالب الشرّ أقصـر»[2]، وفي حـديث آخـر: «إن للإنسـان أخلاء ثلاثة: فأما خليل فيقول: ما أنفقت فلك وما خلفت فليس لـك، فـذلك مالـه، وأما خليل فيقول: أنا معك، فـإذا متّ ودخلت قـبرك تركتـك ورجعت عنك، فـذلك أهله وحشمه، وأما خليـل فيقـول: أنـا معـك حيث دخلت وخـرجت، فـذلك عملـه، ويقول: وإن كنت أهون الثلاثة عليك»[3].

الخصلة الثانية: الصدق، اعلم أن الصدق هو حلية اللسان، وزين الإنسـان، وتاج الشرف وترجمانه، وغاية السؤدد والكرم للطبع، وعنوان الكرم، ومفتاح باب الجنة، وفي الصدقة توقير الصغير، وفي الكذب تحقـير الكبـير، وفي الحـديث عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البِرّ، وإن البِـرّ يهـد ي إلى الجنـة، وإن الرجـل ليصـدق حـتى يكتب عنـد الله صديقًا، وإياكم والكـذب فـإن الكـذب يهـدي إلى الفجـور، وإن الفجـور يهـدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند اللـه كـذاباً»[4]، وفي حـديث آخـر: «ثلاث من علامات النفاق: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا استؤمن خان»[5].

الخصلة الثالثة: الإنفاق بالقصد، ويريد بالقصـد العـدل، فـإذا كـان الإنفـاق جاريًا من غير تبذير، ولا تقتـير فهـو القصـد المحمـود، ويؤيـد ذلـك قولـه تعـالى: ﴿[illegible]﴾[6]، ثم إن المنفق لا يخلو حاله، إمـا أن

---

[1] (?) شعب الإيمان، 3/ 233.

[2] (?) كنز العمال، 14/ 80. بلفظ: «يا طالب الخير أقبل، ويا طالب الشر أقصر».

[3] (?) ينظر: تيسير المطالب، 433.

[4] (?) سنن البيهقي الكبرى، 10/ 195.

[5] (?) صحيح البخاري، 1/ 21. بلفظ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان».

[6] (?) سورة البقرة من الآية 219.

يكون موسرًا، أو معسـرًا، فـإن كـان الغـالب من حالـه اليسـار فإنـه يسـتحب لـه الإنفاق، وقـد يجب في حـال على الأقـارب والزوجـات وأولاده الصـغار، وإن كـان معسرًا نظرة، فإن كان إذا تصدق بما في يده لا يتكفف النـاس ولا يسـألهم، فإنـه يستحب له الإنفاق، ويكون من المؤثرين على أنفسـهم، وإن كـان إذا تصـدق بمـا في يده تكفف الناس فإنه يكـره لـه الإنفـاق؛ لأن السـؤال والتكفـف محظـوران، فهذه الخصال كلها محمودة على الوجه الذي ذكرناه.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وَمَلَكَ دَوَاعِي شَـهْوَتِهِ، وَلَمْ تَمْلِكْـهُ، وَعَصَى أَمْرَ نَفْسِهِ فَلَمْ تُهْلِكْهُ**» أراد أن كلّ من ملـك دواعي الشـهوة، وحكم عليهـا وقهرها، فقـد استمسـك بـالعروة الـوثقى من السـلامة، ولم يكن سـلطان الشهوة غالبًا عليه، فقد فاز كما قال تعالى: [illegible][1].

«**وعصى أمر نفسه**» بالمخالفة لهواها فلم تهلكه بما تدعو إليه، فأمـا من أجاب ناعق الهوى، وجذبه الشـيطان بزمـام الـردى، وكـانت الشـهوة هي الغالبـة لعقله، موطئًا بقدمها مقهورًا تحت أسرها، فهذا هو الذي غلب عليه الشقاء بفعله، واستولى عليه الردى، وأجلب عليه إبليس بخيله ورجله.

تنبيه: نجعله خاتمًا لأسرار هذا الحديث التي ذكرناها، واعلم أنه صلى اللـه عليه وآله وسلم قد أشار فيه إلى التفكر بقوله صلى الله عليه وآلـه وسـلم «**أما رأيت المأخوذين على الغرة، والمزعجين بعد الطمأنينة**»، والتفكر أصل من قواعد الإيمان، وركن من أركانه، فلنذكر ماهية التفكر، وثمرتـه، وفضـيلته، ثم نردفه بمجاري الفكر، فهذه مقامـات أربعـة نفصـلها بمعونـة اللـه تعـالى وحسـن توفيقه، ونذكر أسرارًا بديعة.

---

[1] (?) سورة النازعات الآيتان 40، 41 .

المقام الأول: في بيان ماهية التفكر وحقيقته

واعلم أن **التفكر**: هــو إحضــار القلب في معرفــة أحــوال الآخــرة؛ اعلم أن حقيقة الفكر إنما تحصل بتفصيل نورده، وهــو أن كــل من مــال إلى العاجلــة وآثــر الحياة الــدنيا، وأراد أن يعــرف أن الآخــرة أولى من الــدنيا بالإيثــار، فلــه إلى ذلــك طريقان:

الطريق الأول: أن يسمع من غيره أن الآخرة أحق بالإيثار فيقلده ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الأمر، فيقبل بقلبه إلى إيثــار الآخــرة؛ اعتمــادًا على مجــرد قوله، وهذا يسمى تقليدًا ولا يسمى معرفة.

الطريق الثــاني: أن يعــرف أن الإبقــاء أولى بالإيثــار، ثم يعــرف أن الآخــرة أبقى ، فيحصل له من هاتين المقــدمتين نتيجــة ثالثــة عنهمــا، وهــو أن الآخــرة أولى بالإيثار، ولا يمكن تحقق المعرفة بأن الآخرة أولى بالإيثار إلا بالمقدمتين السابقتين، فإحضار المقدمتين السابقتين في القلب؛ ليتوصل بهما إلى النتيجة، وما هــذا حالــه يسمى تفكرًا ونظرًا وتأملاً وتدبرًا، وهي عبارات مختلفة مترادفة على معنى واحــد، وهكذا[1] حال الاعتبار والتذكر فإنهما يفيدان معنى واحدًا؛ فإنهــا تتــوارد على معــنى واحد، ولكن باعتبارات مختلفة، كما أن السيف والصارم والمهنــد يــدلّ على حقيقــة السيف باعتبارات مختلفة، فالصارم دال على السيف من جهة أنه قــاطع، والمهنــد دال عليه من جهة نسبته إلى الهند[2]، والسيف دال عليها بمطلقــه من غــير إشــعار بهذه المعاني، فهكذا حال الاعتبار، فإنه يطلــق على المقــدمتين من جهــة أنــه يعــبر بهمــا إلى معرفــة النتيجــة، فــإن لم يقــع العبــور بهمــا ولم يكن إلا الوقــوف على المقدمتين لا غير فإنه يطلق عليهما اسم التذكر دون الاعتبار.

---

1 (?) في(د) وهذا.

2)) سيف مهند: إذا عمل ببلاد الهند، والمهند: السيف المطبوع من حديد الهند. ينظــر: لســان العرب، مادة (هند).

وأما النظر والتفكر فإنهما يطلقان من جهة أن المقصود بهما طلب النتيجة، فمن لم يطلب النتيجة فإنه لا يقال له ناظر ولا متفكر، فهذه هي التفرقة بين هذه الإطلاقات بهذه الألفاظ، فإذا حصلت العلوم في القلب ورتبت على ترتيب مخصوص فإنها تثمر العلوم بالمعلومات النظرية، ولا يزال يثمر النتائج باعتبار ترتيبها إلى غير غاية.

المقام الثاني: في بيان ثمرة الفكر

اعلم أن العلوم والأحوال والأعمال هي ثمرات الأفكار، فإذا حصل الفكر حصل العلم، وإذا حصل العلم تغير حال القلب بالتنبه والذكر، وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح، فالعمل[1] تابع للحال، والحال تابع للعلم، والعلم تابع للفكر، والنظر والفكر هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها، وبهذا يظهر لك فضيلة التفكر، كما ورد في الخبر: «فكر ساعة خير من عبادة سَنة»[2]، وهو أفضل من الذكر، فإن التفكر ذكر القلب، وذكر القلوب أفضل من عمل الجوارح، وإذا أردت أن تعرف الحال بالفكر فإنما يكون بالمثال الذي أوردناه من أمر الآخرة، فإن الفكر يعرّفنا إلى[3] أن الآخرة أحقّ بالإيثار من الدنيا، فإذا رسخت هذه المقدمة يقينًا في قلوبنا، فإن القلوب تتغير بالرغبة إلى الآخرة والزهد في الدنيا، فهذا ما عنيناه بالحال؛ إذ كان حال القلب قبل العلم بهذه المقدمة هو حب العاجلة، والميل إليها، والنفرة عن الآخرة وقلّة الرغبة فيها، وبهذه المقدمة تغير حال القلب، وتبدلت إرادته ورغبته، ثم أثمر تغير الإرادة بغير أعمال الجوارح في اطّراح الدنيا، والإقبال على أعمال الجوارح، فهذه خمس مراتب:

---

[1])) في (د) الواو بدلاً عن الفاء.

[2] (?) العظمة، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، تحقيق رضاء الله محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، ط1، عام 1408هـ، الرياض، المملكة السعودية، 1/ 300. بلفظ: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- «فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة».

[3] (?) في (ك) سقط: إلى.

الأولى: التذكر، وهو إحضار المقدمتين في القلب.

الثانية: ترتيب هذه المقدمات في القلب.

الثالثة: حصول العلم المطلوب.

الرابعة: تغير حال القلب بسبب حصول المعرفة.

الخامسة: خدمة الجوارح للقلب بحسب ما تجدد له من الحال، فمتى حصلت هذه المراتب على ما ذكرناه من هذه الكيفية، فقد صحّ لك بما ذكرناه هاهنا ظهور ثمرة الفكر.

المقام الثالث: في بيان فضيلة الفكر

اعلم أن الله تعالى قد أمر العباد بالفكر والتدبر، وأثنى على المتفكرين بقوله تعالى: [illegible][1]، وقال تعالى: [illegible][2]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «تفكروا في أفعال الله، ولا تفكروا في ذاته، فإنكم لا تقدرون قدره»[3]، وعن النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه خرج على قوم ذات يوم، وهم يتفكرون، فقال: «ما بالكم لا تتكلمون»؟ فقالوا: نتفكر في خلق الله- عزّ وجلّ-، فقال: «كذلك فافعلوا تفكروا في خلقه، ولا تفكروا في ذاته، فإن وراء هذا المغرب أرضًا نورها بياضها، أو قال : بياضها نورها فيها خلق لله لم يعصوا الله طرفة عين»، قالوا:- يا رسول الله- فأين الشيطان منهم؟ قال: «لا يدرون أخلق الشيطان أم لا». قالوا: من ولد آدم؟ قال: «لا يدرون خلق آدم أم لا»[4]، وعن عبدالله بن عمر قال: قلت لعائشة- رضي الله عنها-: أخبرينا بأعجب

---

1 (?) سورة آل عمران من الآية 191.

2 (?) سورة الأعراف من الآية 185.

3)) كنز العمال، 3/ـ 47. بلفظ: «تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون قدره».

4 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 424.

شيء رأيتيه من رسول الله- صلى الله عليه وآلـه وسـلم-، قـال: فبكت، وقـالت: كل أمر رسول الله كان عجبًا، أتاني في ليلـتي حـتى مسّ جلده جلـدي، ثم قـال: «ذريني أعبد ربي عزّ وجلّ»، فقام إلى القربة فتوضأ منها، ثم قـام يصـلي، فبكى حتى بلّ لحيته، ثم سجد حتى بلّ الأرض، ثم اضطجع على جنبه، حتى جـاء بلال[1] يؤذنه بصلاة الصبح، فقال: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك من ذنبـك مـا تقدم وما تأخر؟ فقال: «ويحك يا بلال وما يمنعـني أن أبكي وقـد أنـزل اللـه علي في هذه الليلة: [illegible][2]»، ثم قال: «ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها»[3]، وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول- الله صلى الله عليه وآلـه وسـلم-: «أعطـوا أعينكم حظها من العبادة». قالوا:- يا رسول الله- ومـا حظهـا من العبـادة؟ قـال: «النظر في المصحف، والتفكر فيه، والاعتبار عند عجائبـه»[4]، وقيـل: في تفسـير قوله تعالى: [illegible][5] قال: أمنعهم عن التفكر في أمري[6]، وعن ابن عباس- رضي اللـه عنهما- أنـه قال: التفكر في الخير يدعو[7] إلى العمل به، والندم على الشرّ يدعو إلى تركه[8]، وروي أن الله تعالى قال في بعض كتبـه: إني لسـت أقبـل كلام كـل حكيم، ولكن أنظر إلى همّه وهواه، فإذا كان همه وهواه لي جعلت صمته تفكرًا وكلامـه حمـدًا،

---

1)) وهو بلال بن ربـاح، مـؤذن الرسـول- صـلى الله عليه وآله وسـلم- سـابع سـبعة أظهـروا إسلامهم، فعذبه المشركون حتى اشتراه أبو بكر- رضي الله عنـه- وأعتقـه، شـهد المشـاهد كلها، توفي سنة 20هـ، وقيل: 21هـ. ينظر: الاستيعاب، 1/ 178، 179.

2 (?) سورة آل عمران الآية 190.

3 (?) ينظر: صحيح ابن حبان، 2/ 386.

4 (?) شعب الإيمان، 2/ 408.

5 (?) سورة الأعراف من الآية 146.

6 (?) ينظر: (تفسير الطبري) جامع البيان في تأويل القرآن، 13/ 112، 113.

7)) في (د) يدل.

8)) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 425.

وإن لم يتكلم[1].

المقام الرابع: في ذكر مجاري التفكر[2]

واعلم أن مجاري التفكر واسعة، وطرقه كثيرة، وليس يخلو حاله؛ إما أن يكون في أمور الدين، أو في غيره، ولا حاجة بنا إلى ذكره، وإنما المهم ما يتعلق بأمر الدِّين، وما عداه خارج عن مقصدنا، ثم لا يخلو حاله؛ إما أن يكون تفكرًا في جلال الله وعظمته وكبريائه، وإما أن يكون مختصًّا بالعبد، فهذان قسمان نذكر ما يتعلق بكل واحد منهما، ونبدأ بالأعظم منهما، وهو ما يختصّ العظمة الإلهية، وهو إما أن يكون نظرًا في الذات، أو الصفات.

القسم الأول: في التفكر في جلال الله وكبريائه

والفكر إما أن يكون في ذاته، أو في صفاته، فهذان مقامان:

المقام الأول: التفكر[3] في الذات

واعلم أن الفكر في الذات قد ورد الشرع بالمنع منه، حيث قيل: تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في ذاته[4]، وذلك أن العقول قاصرة فلا يطيق على ذلك إلا العلماء الراسخون، ثم إنهم لا يطيقون على الوصول إلى العلم بكنه الحقيقة لذاته؛ لأن أفكارهم بالإضافة إلى جلال الله وعظيم كبريائه، كحال أبصار الخفافيش بالإضافة إلى نور الشمس، فإنها لا تطيقه البتة بل تكفّ أبصارها، ولا تقدر على الظهور نهارًا، وتبرز ليلاً، وأحوال العلماء الذين رسخت أقدامهم في العلم في ذات الله تعالى كحال الإنسان في نظره إلى قرص الشمس، فإنه لا يقدر بصره على التحقق إليها، ولو نظر إليها لحظة واحدة[5] فلا يقدر على الإدامة، ويخشى على

1 (?) ينظر: نفسه.
2 (?) في (د،م) الفكر. {السليم: الفكر؛ لأن المصنف عندما عدد المقامات مجملة سماه الفكر}.
3 (?) في (د،م) الفكر. {السليم الفكر للعلة الآنف ذكرها}.
4 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 434.
5 (?) في (د،ك) سقط: واحدة.

بصـره لـو أدام النظـر إليهـا، فهكـذا النظـر في ذات اللـه تـورث الحـيرة والدهشة، واضطراب العقل والصواب أن لا يتعرض للفكر في ذات الله تعالى، فـإن الإيغـال لا تحتمله العقول، ولا تصبر عليه، ولا تزداد معه إلا ضعفًا وتلاشيًا، بل القدر الذي صـرح به العلماء كافٍ من غير زيادة، وهو أن الله تعالى ذات مقدسـة بالصـفات الحسـنى، كالقادرية والعالمية[1] وغيرها من سائر الصفات الإلهية منزّه عن الأمكنـة والجهـات، وأنه ليس داخلاً في العـالم ولا خارجًـا عنه[2]، ولا هـو منفصـل عنـه، وقـد تحيّـر فيـه عقول أقوام حتى أنكروه ولم يطيقوا على معرفته، وضعفت طائفة أخرى لمّـا قيـل لهم: إنه تعالى منزّه عن سائر الأعضاء، وأن يكون جسمًا له مقـدار وحجم، فـأنكروا هذا، وظنوا أن ذلك قدح في عظمة الله تعالى، حتى قال بعض الحمقى من العـوام: إن هـذا وصـف لبطيخ هنـدي لا وجـود لـه وليس وصـفًا لـذات اللـه تعـالى، فظن[3] الأحمق أن الجلالة والعظمـة والكبرياء إنمـا تكـون في هـذه الأعضـاء، وانقـداح هـذا الوهم من جهة أن الإنسان لا يعرف إلا نفسه، فكلّ ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمـة فيـه، وهـذا كلـه من ضـعف العقـل وتحكيم الخيـال واسـتيلاء الـوهم، فـإن الإنسان ظلوم جهول[4] كفّـار للنعم، ولهـذا أوحى اللـه سـبحانه إلى بعض أنبيائه: لا تخبر عبادي بصفاتي فينكرون[5]، ولكن أخبرهم عني بما يفهمون[6]، ولمّا كان النظـر في ذات الله تعالى ليس له غاية اقتضى أدب الشـرع وصـلاح الخلـق، إن لا يتعـرض لمجاري الفكر فيها، فإنـه لا سـبيل إلى الوصـول لأحـد إلى العلم بكنـه الـذات، وقـد ذكرنا هذه المسألة في الكتب الكلامية وذكرنـا فيهـا خلاف العلمـاء، وأن العلم بكنـه

---

1 (?) في (د) العلمية.
2 (?) في (ك) منه.
3 (?) في (د) الواو بدلاً عن الفاء.
4 (?) في (د،ك) جهول ظلوم. {وهذا المناسب، لأن الظلم نتيجة للجهل}.
5 (?) في (د) سقط: فينكرون.
6 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 434.

الذات، وإن كان ممكنًا لكنه ليس واقعًا لأحد من البشـر، فلا جـرم عـدلنا إلى النظـر في مصنوعاته ومكوناته.

المقام الثاني: وهو التفكر في أفعاله وعجائب مصنوعاته

من جميـع المكونـات وبـدائع الأمـر في المخلوقـات، فإنهـا دالـة على جلالـه وكبريائه وتقدسه عن مشابهة الممكنات وتعاليه عن مماثلة المبتدعات، وكمـا هي دالة على ذلك فهي دالة أيضًا على كمال علمه وظهور حكمتـه، وعلى نفاذ حكمـه ومشـيئته وقدرتـه، فـإذا كنّـا لا نقـدر على التفكـر في الـذات كمـا شـرحنا فنحن قادرون على التفكر في آثارها، وهي المخلوقـات، كمـا أنّـا لا نقـدر على التحـديق إلى قرص الشمس، ونحن قادرن على التحديق إلى نورها على الأرض، وجميع ما في الأرض من المكونات آثار قدرة الله تعالى، فهكذا حال الأفعال تكون واسـطة نشاهد فيها صفات الفاعل، ولا يبهرنا نور الذات لما تباعدنا عنها بوساطة الأفعال، وبهذا يظهر السرّ في قوله عليه السلام: «تفكـروا في خلـق اللـه ولا تفكـروا في ذاته»[1]، فإن كلّ من فكّر في الذات ألحد، ومن طال فكره في الأفعال وحّد.

فإذا عرفت هذا، فاعلم أن المكونات من هـذه المخلوقـات المتعلقـة بقـدرة الله تعالى فيها من العجائب والغـرائب مـا يظهـر بهـا حكمـة اللـه تعـالى وقدرتـه وجلالـه وعظمتـه، وإحصـاء ذلـك غـير ممكن؛ لأنه: [illegible][2]، ولكنّا نشير إلى جُمل تكون مثالاً لما نريـده، فنقـول: الموجـودات المخلوقـة منقسـمة إلى **ما لا يُعرف أصلها، فلا يمكنا التفكر فيها**، كما قال تعالى: [illegible][3]، وإلى **ما**

1 (?) كنز العمال، 3/ 47.
2 (?) سورة الكهف من الآية 109.
3 (?) سورة يس الآية 36.

يعـرف أصـلها وجملتهـا، ولا تعـرف تفاصـيلها، فلا يمكننـا الوقـوف على تفاصيلها، وهي منقسمة إلى **ما أدركنـاه بحسـن البصر**، وإلى **مـا لا ندركـه بحسـن البصر**، أمـا الـذي لا ندركـه بالبصر، فالملائكـة والجن والنـار والجنـة والشياطين والعرش والكرسي وغيرهـا، ومجـال التفكـر فيهـا ممـا يغمض ويـدقّ، فلنعـد إلى الأقـرب إلى الأفهـام، وهي المـدركات بحسـن البصـر، وذلـك هي السماوات السبع والأرضون وما بينهما، فالسماوات مشـاهدة بكواكبهـا وشمسـها وقمرها وحركتها ودورانهـا في طلوعهـا وغروبهـا، والأرض مشـاهدة بمـا فيهـا من جبالها ومعادنها وأنهارها وبحارها وحيوانهـا ونباتهـا، ومـا بين السـماء والأرض وهـو الجوّ يـدرك بغيومهـا وأمطارهـا وثلوجهـا و رعودهـا وبروقهـا وصـواعقها وشـهبها وعواصف ريحها، فهذه هي الأجناس المشاهدة من السماوات والأرض وما بينهما، وكل جنس منها ينقسم إلى أقسام[1] وأنواع، وكـل نـوع يتشـعب إلى أصـناف، ولا نهايـة لانشـعاب ذلك، وانقسـامها في اختلاف صـفاتها وهيأتهـا ومعانيهـا الظـاهرة والباطنة، وجميع ذلك للفكر فيه مجـال، فلا يتحـرك دورة في السـماوات والأرض من جماد وسفن ونبات وفلك وكوكب إلا والله تعـالى المحـرك لهـا، وفي حركتهـا حكمة، أوحكمتان،أوألف حكمة، وشيء بلا نهاية ولا غاية، كل ذلك شاهد لله تعالى بالوحدانية، ودالة[2] على جلاله وكبريائه، وقد ورد القرآن بالتفكر في هذه الآيـات، وإليه الإشارة بقوله تعالى: [illegible][3]، ولنذكر أبهر الآيات، وأدلهـا على الحكمة، وأفوقها في الإتقان والصنعة، ونكتفي بها عمّا سواها، وبالله التوفيـق، وهي خلقـه الإنسـان، ونـذكر بعض مـا اشـتمل عليـه من عجيب الصـنع وعظيم الإتقـان، فمن

---

1 (?) في (د) أجناس.
2 (?) في (د،م) دلالة.
3 (?) سورة آل عمران الآية 190.

الآيات الباهرة الإنسان المخلـوق، وقـد أشـار اللـه تعـالى في خلقـة الإنسـان إلى سبعة أطوار:

أولها: خلقه من الـتراب، وإليـه الإشـارة بقولـه: [illegible][1].

وثانيها: خلقه من الطين، وإليه الإشارة بقوله: [illegible][2].

وثالثها: من الصلصال، وإليه الإشارة بقوله: [illegible][3].

ورابعها: من الطين اللازب، وإليه الإشارة بقوله: [illegible][4].

وخامسها: النطفة، وإليه الإشارة بقوله: [illegible][5].

وسادسها: العلقة، وإليه الإشارة بقولـه: [illegible][6].

وسابعها: المضغة، وإليه الإشارة بقوله: [illegible][7]، ثم من بعد ذلك إنشاء العظام واللحم، وجعله في أتمّ صورة، وأحسن تقـويم، من العظام والأعصـاب، والعـروق والأوتـار واللحم والشـحم وغـير ذلـك من العجـائب الدالة على حكمة الله تعالى، وبديع قدرته التي لو استغرقنا الأعمار ما وقعنا منها

---

1 (?) سورة الروم من الآية 20.
2 (?) سورة الأنعام من الآية 2.
3 (?) سورة الرحمن الآية 14.
4 (?) سورة الصافات من الآية 11.
5 (?) سورة الإنسان من الآية 2.
6 (?) سورة المؤمنون من الآية 14.
7 (?) السورة نفسها ومن الآية نفسها.

على عُشر العشير من معشـارها فضلاً عن استقصـائها، والإحاطـة بهـا، فلا يطلـع عليها إلا خلاقها[1] وعلامها، فسبحان من نفـذت في الأشـياء حكمته، ووسـعها في الإيجاد، والإتقـان علمـه وقدرتـه، وفيمـا ذكرنـاه كفايـة فيمـا نريـد من التنبيـه في التفكر في الآيات بمعونة الله تعالى.

القسم الثاني: في التفكـر في صـفات العبـد وأفعالـه ، ثم كـل واحـد من الصفات والأفعال الظاهرة والصفات الباطنة تنقسم إلى **محمـود ومـذموم** في الأفعال، وإلى **مهلكات ومنجيات** في الصفات، فهذه أنواع أربعة نذكر ما يتعلق بكل واحد منها:

النوع الأول منها: **الطاعات**، فينظـر أولاً في الفـرائض المكتوبـة في أن العبـد كيـف يؤديها، وكيـف يحرسـها عن النقصـان والتقصـير فيها؟! وكيـف يجْبُـر نقصانها بكثرة النوافل، ثم نرجع في التفكر إلى عضو عضـو، فيفكـر في الأفعـال التي تتعلق بها ممَّا يحبه الله تعالى ويريـده، فنقـول مثلاً: إن العين خلقت للنظـر في ملكوت السماوات والأرض عبرة، ويستعمل في طاعة اللـه تعـالى، ثم ينظـر في كتاب الله وسُنَّة رسـوله- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم-، وأنـا قـادر على أن أشغل العين بمطالعة القرآن والسُنَّة، فلمَ لا أفعله؟! وأنا قادر على أن أنظــر إلى فلان المطيع بعين الكرامة والتعظيم، فأدخل السرور على قلبه، وأنظــر إلى فلان الفاسق بعين المقت والسخط، فـأزجره بـذلك، فلمَ لا أفعلـه؟! وهكـذا يقـول في سمعه ولسانه وسائر جوارحه فإنه يمكنـه أن يسـتعملها في الطاعـات، ثم يتفكـر فيمـا رغبـه في البـدار إلى تلـك الطاعـات ويتفكـر في إخلاص النيـة، ويطلب لهـا مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله، فعليه إعمال فكره فيما يورده ويصدره.

النوع الثاني: المعاصي، فإنه ينبغي للعبد في صبيحة كل يـوم أن يحاسـب

[1])) في (د،ك،م) خالقها.

نفسه، هل هو في الحال ملابس لمعصية لربه فيتركها أو لابسها بالأمس فيتداركها بالتوبة والندم، أوهو متعرض لهـا في نهـاره، فيسـتعد للاحـتراز والتباعـد عنهـا، ثم ينظر في اللسان، ويقول: إنـه متعـرض للغيبـة والنميمـة والكـذب وتزكيـة النفس والاستهزاء[1] والمماراة والممازحة، والمجـون، والخـوض فيمـا لا يعـني، إلى غـير ذلك من المكاره، فيقرر أولاً في نفسه أنها مكروهة عند الله، ويتفكر في شـواهد القرآن والسُنَّة على شدّة العذاب فيها، ثم يتفكر في أحواله كيـف يكـون متعرضًـا لها من حيث لا يشعر، ثم يتفكر في أحواله كيـف يحـترز عنهـا ويتحقـق أنـه لا يتم ذلك إلا بالاعتزال والانفراد، وألاّ يجالس إلا صالحًا تقيًّا يقتبس منه الهدايـة، وينكـر عليه مهمًّا همّ بفعلها، وهكذا يتفكر في سمعه أنه يصـغي بـه إلى الغيبـة والكـذب وحصـول الكلام واللهـو والبدعـة،وهكـذا يفعـل في كـل أحوالـه بالتعهد لهـا عن الاحتراز عن كل معصـية، فمهمـا حصـل الفكـر حصـلت المعرفـة الحقيقيـة بهـذه الأحـوال، واشـتغل بالمراقبـة للـه طـول نهـاره حـتى يحفـظ جميـع أعضـائه عن المعصية.

النوع الثالث: المحاذرة عن الصفات المهلكة التي محلّهـا القلب، فيعرفهـا ليكون مجانبًـا لهـا بلطـف الله، وجملتهـا عشـرة: البخـل والكِـبر والعُجب والريـاء والحسد والغضب وشره الطعام وشره الوقاع وحبّ المال، وحبّ الجــاه، فينبغي للعاقل أن يكون متحرزًا عن هذه الصفات المذمومة المبعدة لـه عن اللـه تعـالى، والمقربة إلى سخطه، وليتفقد نفسـه، فـإن ظنّ أن قلبـه متـنزِّه عنهـا حمـد اللـه تعالى، وأثنى عليه في توفيقه للبراءة عنها، ويمتحن نفسه بالعلامـات الدالـة على البراءة، فإن النفس أبدًا تَعِد بـالخير من عنـدها وتكـذب، وإن وجـد نفسـه متلوثـة بشيء منها، فإنه يحتـال في كيفيـة الخـروج عنهـا بكـل حيلـة يجـدها، فليقـرر في

[1])) في (د،ك،م) الاستهواء. {ولعل المناسب: الاستهزاء}.

نفسه معصية الله تعالى بملابستها واستحقاقه للذم واللوم من عنده، ثم العقوبة الأبدية في الآخرة، أعاذنا الله منها، فإن رأى في نفسه عُجبًا بالعمل، فليتفكر، ويقول: ما عملي وما وزنه عند الله تعالى؟ فإن أدنى نعمة من نعمه، وهو إدخال الماء وإخراجه على حدّ العافية والسلامة لا يعدل في مقابلته عمل، ثم إن العمل إنما كان بيدي، وقدرتي وجارحتي، وكل هذه الأمور منّة من الله تعالى، ونعمة من جهته، فأي عمل في الحقيقة أكافئ به نعمة الله تعالى، وفضله عليّ، وإن أحس من نفسه بالكِبر قرر على نفسه ابتداء خلقه، وأن أوله نطفة مذرة، وآخره جيفة قذرة، ويحمل فيما بين ذلك عذره، فكيف وقد جرى في موضع الحيض مرتين، وعلى الجملة فكل من غلبت عليه هذه الصفات المذمومة أو أكثرها فهو أشبه ما يكون بالبهائم والسباع، وكل من تنزّه عنها كان مشبهًا للملائكة والأنبياء، فليختر الإنسان أي الصنفين يكون مشبهًا له.

النوع الرابع: الاجتهاد في الاتصاف بالصفات المحمودة التي تكون فيها النجاة، ويرجى بها السلامة، وجملتها عشرة: التوبة، والصبر على البلاء، والرضا بالقضاء، والشكر على النعماء، واعتدال الخوف والرضا[1]، والزهد في الدنيا، والإخلاص في الأعمال، وحسن الخُلق مع الخَلق، وحبّ الله تعالى، والخشوع لجلاله وعظمته، فهذه العشر كلها تكون وسيلة إلى النجاة، وسببًا فيها، فإذا أنصف[2] بواحدة منها، وهي التوبة والندم على القبائح إن فعلها حمد الله وأثنى عليه في التوفيق للاختصاص بها، وسأل الله تعالى التوفيق؛ لتحصل الباقية، فهذه صفة أهل التقوى المختصين بالله الباذلين نفوسهم في حقّ الله، فأما أمثالنا فينبغي أن يكون تفكرنا فيما يقوى به إيماننا ليوم الحساب، إذ لو رآنا السّلف

---

[1] (?) في (د) الرجاء. {ولعل المناسب في السياق: الرجاء}.

[2] (?) في (ك) اتصف. {ولعل المناسب في السياق: اتصف}.

الصالحون لقالوا: قطعًا هـؤلاء لا يؤمنـون بيـوم القيامـة، فمـا أعمالنـا أعمـال من يؤمن بالجنة والنار، فإن كل من خاف شيئًا هرب منه، ومن رجا شـيئًا طلبه، وقـد علمنــا أن الهــرب من النــار بــترك الشــهوات والحــرام، وتــرك المعاصي، ونحن منهمكــون فيهــا، وأن طلب الجنــة بتكثــير النوافــل والطاعــات الموفقة، ونحن مقصرون بالفرائض منها، فلم يحصل لنا من ثمـرة العلم إلا مـا يقـوى بـه حرصـنا في الدنيا والتكالب عليهـا، وعنـد هـذا يجـترئ النـاظرون إلينـا على معاصـي اللـه بسببنا، ويقولـون: لـو كـان هـذا مـذمومًا لكـان العلمـاء أحقّ باجتنابـه، فليتنـا كنّـا كالعوام إذا متنا ماتت معنا ذنوبنا، فما أعظم الفتنة التي تعرضنا لها لـو بالغنـا في الفكرة والتدبر وكثرة التأمل، فنسأل الله تعـالى أن يصـلحنا، ويصـلح بنا، ويوفقنـا للتوبة المقبولة، والندم البالغ على ما أسلفنا من الذنوب قبـل أن يتوفانـا إنـه هـو الكريم المنعم الرحيم، وقد نجز غرضنا من التنبيـه على مجـاري فكـرة العبـد في أفعاله المحمودة والمذمومة، وفي صفاته المكروهة والمحبوبة عند الله تعالى.

الحديث الرابع عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وآله وسلم- : «**أَيُّها النَّاسُ لاَ تُعْطُوا الْحِكْمَةَ غَيْرَ أَهْلِهَا فَتَظْلِمُوهَا، وَلاَ تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ، وَلاَ تُعَاقِبُوا ظَالِمًا فَيَبْطُلَ فَضْلُكُمْ، وَلاَ تُرَاؤُوا النَّاسَ فَيَحْبَطَ عَمَلُكُمْ، وَلاَ تَمْنَعُوا الْمَوْجُودَ فَيَقِلَّ خَيْرُكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ الأَشْيَاءَ ثَلاَثَةٌ: أَمْرٌ اسْتَبَانَ رُشْدُهُ فَاتَّبِعُوهُ، وَأَمْرٌ اسْتَبَانَ غَيُّهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَأَمْرٌ اخْتَلَفَ عَلَيكُمْ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ، أَيُّهَا النَّاسُ: أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَمْرَيْنِ خَفِيفَيْنِ مُؤْنَتُهُمَا عَظِيمٌ أَجْرُهُمَا لَمْ يَلْقَ اللَّهَ بِمِثْلِهِمَا، الصَّمْتُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»[1].

فنقول: الحمد لله المنعم المحسن الذي أفاض على المخلصين أنوار هدايته، ونوّر أفئدة أوليائه المتقين بما أعطاهم من الحكمة في بداية الأمر ونهايته، وشرح صدورهم بالتقوى، وأراح قلوبهم بما أنعم عليهم من الزهد في الدنيا، زهرت مصابيح الهدى في صدورهم، واشتعلت نيران الخوف في قلوبهم، فهو المرجو لطفه وثوابه، والمخوف مكره وعقابه، الذي خصّ جميع أوليائه بروح رجائه، حتى ساقهم بلطائف آلائه إلى النزول بفنائه، والعدول عن دار بلائه التي هي مستقر أعدائه، وضرب بسياط التخويف، وزجر التعنيف وجوه المعرضين عن حضرته إلى دار ثوابه وكرامته، وصدّهم عن التعرض للأئمة، والاستهداف لسخطه ونقمته، قودًا لأصناف الخلائق بسلاسل القهر والعنف، وجدّ بالهم[2] بأزمة الرفق واللطف إلى جنته، فأورثهم ذلك الفوز برضوان الله، وجزيل كرامته، واستحقوا من الله نيل ثوابه وعظيم رحمته ورأفته. والصلاة والسلام على الموضح لأعلام

---

[1])) الأربعون حديثًا السيلقية، 26.

[2])) في (د،ك) وجذبًا لهم. {ولعله المناسب في السياق}.

الإسلام، والهـادي إلى الدِّين الحـنيف وإلى دار السـلام، وعلى آلـه الطيـبين أعلام الهدى، والداعين للخلق إلى مسالك التقوى، واعلم أن هذا الحديث مشـتمل على النظر في أمور ثلاثة، نوضحها بمعونة الله تعالى.

النظر الأول: في بيـــان ما اشـــتمل عليه من العلـــوم الأدبية

وفيه بحثان:

البحث الأول: في بيان ما تضمنه من الألفاظ اللغوية

فالإعطـاء: نقيض المنع، و**الحكمة**: هي العلم النـافع، وهـو علم القـرآن وتفصيل معانيـه، وتفسـيرمُجمله، والمعرفـة بأحكـام أوامـره ونواهيـه، ومُحكمـه، ومتشـابهه، وعامـه، وخاصـه، ومجمله[1]، ومبينـه، وناسـخه، ومنسـوخه، والفهم لامثاله وقصصـه وأخبـاره، و[2]هـذا عنـدنا هـو رأس الحكمة، ومفتـاح الرحمـة مـع احتمالها لمعـانٍ - أعـني الحكمـة-، قـد رمزنـا إليهـا من قبل، **وأهل الرجل**: هم أولى الناس به، وأقربهم إليه.

الظلم: وضـع الشـيء في غـير موضـعه لغـة، ثم تُعـورف في لسـان حملـة الشريعة أنه الضـرر العـاري عن جلب منفعـة أو دفـع مضرّة تزيـد عليـه من غـير استحقاق، فما هذا حاله من الضرر، و[3]هو يكـون ظلمًا، و**المنع**: نقيض الإعطـاء، و**ظلمها**: وضـعها في غـير أهلها، و**المعاقبة**: (مفاعلة) من العقـاب، و**العقـاب** في اللغة: اتباع الشيء بالشيء من جنسه إذا كان شاقًا، وهـو مُبقى على أصـله، و**الظالم**: فاعل الظلم لغة وشرعًا، و**البطلان**: هـو الـذهاب والهلاك، و**الفضل**: الشرف والثواب.

الرياء: أصله كل ما كان لا حقيقة له تعلم مأخوذ من التخيل لرؤية الأبصـار، وقد صار في لسان حملة الشريعة مفيدًا لما يعمـل من جنس الأعمـال الصـالحة،

---

1)) في (د) سـقط: والمعرفة بأحكـام أوامـره ونواهيه ومُحكمه ومتشـابهه وعامه وخاصه ومجمله. {وهو سقط مخلّ بالمعنى، ولعل سبب السقط هو توهم الناسخ أنه نسخ السـاقط عند تكرر لفظة: مجمله، في المقطع}.

2 (?) في (د،ك) الفاء بدلاً عن الواو.

3 (?) في (د،ك) الفاء بدلاً عن الواو.

ولا يُقصد به وجه الله، وإنما يراد به ما يظهر للناس، ولقد صدق فيه من قال:

ثُـوْبُ الرِّيَـاءِ يَشِـفُّ عَمَّا تَحْتَـهُ فَإِذَا ارْتَدَيْتَ بِـهِ فَإِنَّكَ عَـارِي[1]

الحبط: هـو الهلاك، وأصـله من البعـير يأكـل من الربيـع فـوق مـا يحتملـه فيموت حبطًا[2] يقال: حبـط البعـير إذا هلـك من البطنـة. **المنع**: مضـى تفسـيره، و**الموجود**: نقيض المعدوم، و**الإقلال**: نقيض الإكثار، و**الخير** هاهنا فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد به عدم الثواب، وذهابه، وهذا إنما يكون من منع الواجبات المستحقة كالزكوات والأعشار، فالمنع من هذا الخير يكون محظورًا يعاقب عليه، ويستحق حرمان الثواب لا محالة.

و**ثانيهما**: أن يراد بالموجود ما يتعلق ببـاب الفضـل والإحسـان من صـدقات النفل، **والتفضل والمواساة**: من إعطاء السـائل، وبـذل النائـل، وفكّ العـاني، وإطعام الجائع. **الأشياء**: هي جمع شيء، وهو لفظ يفيد العموم والاستغراق لكلّ ما يندرج تحته ممّا يسمى شيئًا، و**الأمر**: يقع على كلّ مفهوم في الموجـود، وهـو أعمّ من قولنا: شيء، فإن اسم الشيء إنما يطلـق على مـا كـان مسـتقلاً بنفسـه من الذوات الموجودة، والمتصورة المعدومة في الـذهن دون الأحكـام والصـفات، فلا يقال لها شيء بخلاف اسم الأمر، فإنه مقول عليها لا محالة، و**الاستبانة**: هي الظهور والوضوح، و**الرشد**: نقيض الغي، و**الرشد**: الإصابة أيضًـا، و**الاتبـاع**: هـو اللحاق، و**الغيّ**: نقيض الهدى، و**الاجتناب**: هـو العـدول عن الشـيء، والإعـراض عنه، و**الاختلاف**: نقيض الاتفـاق، و**الـردّ**: هــو الرجــوع، فصــارت لفظــة الأمــر مشتركة بين معانٍ كثيرة من هذه الثلاثة وغيرها، كما أشار إليـه صـلى اللـه عليـه وآله وسلم هاهنا. **الإنباء**: هو الإعلام، و**الإخبار**:[3]هو تعريف الغير بحقيقـة الأمر،

[1] (?) البيت للتهامي، وهو من الكامل، ونصّ عجز الـبيت: فَـإِذَا التَحَفْتَ بِـهِ فَإِنَّـكَ عَـارِ. ينظـر: ديوان التهامي، 469.

[2])) في (د) زيادة: الواو.

[3])) في (د،ك) زيادة: الواو.

والخفيف: نقيض الثقيل، **والمؤنة**: الثقل، **والعظيم**: نقيض الحقـير، و**اللقـاء**: هـو المواجهة، و**المثلان**: همـا المتشـابهان. **الصـمت**: نقيض الكلام، **وحُسـن الخلق**: نقيض المساءة فيه.

البحث الثاني: في بيان ما تضمنه من العلوم الإعرابية

فـ «**لا**» هاهنا للنهي، و«**تعطوا**» مجـزوم بها، وعلامـة جزمـه حـذف النـون، و«**الـواو**» هي الفاعلة، و«**الحكمة**» منصـوبة على المفعولية، و«**غـير**» هاهنـا موضوعة للاستثناء المفرغ، وهو[1] المفعول الثاني لـ «**تعطوا**»[2]؛ لأنه يتعدى إلى اثنين، والتقدير: لا تعطوا الحكمة إلا أهلها. «**فتظلموها**» «**الفاء**» هاهنـا ناصـبة في جواب النهي، والفعل منصوب بإضمار «**أن**»، و«**الفاء**» دالـة عليهـا وعـوض عنهـا، و«**الهـاء**» منصـوبة بالمفعوليـة بالفعـل المتصـل بهـا. «**ولا تمنعوها**» «**الواو**» هاهنا عاطفة للجلمـة الثانيـة المنهيـة على الجملـة الأولى، و«**لا**» للنهي كالأولى، والفعل مجزوم وعلامة جزمة حذف النون منها، و«**الهاء**» مفعـول أول، و«**أهلها**» منصوب؛ لأنه المفعول الثاني؛ لأن المنع يتعدى إلى مفعولين، كقولـك: منعت زيدًا حقه.

«**فتظلموهم**» «**الفاء**» هاهنا[3] ناصـبة للفعـل في جـواب النهي، وعلامـة نصبه حذف النون، كما في غيره. «**ولا تعاقبوا ظالمًا**» جملـة منهيـة مجزومـة بـ «**لا**»، و«**الواو**» عاطفة لها على مـا قبلهـا، و«**الواو**» فاعلـة لمـا اتصـل من الأفعـال، و«**ظالمًا**» منصـوب على المفعوليـة. «**فيبطل**» منصـوب في جـواب النهي وعلامــة نصــبه الفتحــة في اللام، و**الفضل**: مرفــوع على الفاعليــة لــ «**يبطل**». «**ولا تمنعوا الموجود**» جملـة منهية، و«**الموجـود**» منصـوب على

---

[1])) في (د) هي.

[2])) في (د،ك) لأعطى.

[3])) في (د،ك) سقط: هاهنا.

المفعولية. «**فيقِلَّ**» منصوب بـ «**الفاء**»على إضمار «**أن**»، و«**خيركم**» مرفوع على الفاعلية، وهـذه الجمـل كلهـا جمـل إنشـائية، ولا تحتمـل صدقًا ولا كـذبًا، ولا محل لها من الإعراب؛ لأن الإعراب في الجمـل إنمـا يكـون في الجمـل الخبريـة؛ لاحتمالها للصدق والكذب، ووقوعها موقع المفردات، فلا جرم كـان لهـا الإعـراب، بخلاف هذه.

«**أيُّها الناس**» مضى إعرابه. «**إن الأشياء ثلاثة**»، فـ «**إن**» للتأكيد، وهي ناصبة للأشياء، ورافعة **للثلاثة** على الاسمية والخبريـة لهـا . «**أمر**» مرفـوع على أنه عطف بيان على ثلاثة، أو بدل منها، فكلا الـوجهين لا غبـار عليـه، ورفعـه على الابتـداء يضـعف؛ لكونـه نكـرة، و«**السـين**» في «**اسـتبان**» للطلب، وهـو من البيـان، و«**رشــده**» مرفــوع على الفاعليــة، «**فــاتبعوه**» «**الفــاء**» للعطف، و«**الـواو**» فاعلة، و«**الهـاء**» ضـمير في موضـع نصـب على المفعولية. «**وأمـر استبان غيه فاجتنبوه**» مثل الجملة الأولى في الفاعليـة والمفعوليـة من غـير مخالفة، و«**أمر**» مرفوع على العطـف على مـا قبلـه. «**اختلف عليكم**» جملـة خبرية في موضع رفع صفة لـ «**أمر**». «**فرُدّوه**» جملة إنشائية أمرية، و«**الفاء**» للعطف على ما قبلها، و«**الهاء**» ضمير في موضع رفع[1]المفعول.

«**إلى الله**» فيه وجهان:

أحــدهما: أن يكــون في موضــع نصــب بالمفعوليــة؛ لتعلقــه بــ «**رُدّوا**»، و**ثانيهما**: أن يكـون في موضـع نصـب على الحـال، أي: ردوه صـائرًا إلى اللــه. «**ألا**» هاهنـا للتنبيه، و«**أنـبئكم**» فعـل مضـارع، و«**الكـاف**» ضـمير في موضـع المفعـول الأول، وهـو من الأفعـال المتعديـة إلى ثلاثة، فــ «**الكـاف**» هي الأول، و«**الباء**» مزيدة في موضع النصب كما زيدت «**الباء**» في مقام الرفع في قوله:

---

[1])) في (د،ك) سقط: رفع. {وهو السليم}.

«**كفى بالله**»، والمفعولان الثانيان هما: قوله: «**أمرين خفيفين**[1]»، كقولـك: مــررت برجــل حســن وجهه، و«**عظيم**» مجــرور على الصــفة لـ «**أمــرين**»، و«**أجرهما**» مرفوع على الفاعلية للصفة في قولك: **عظيم**، «**لم**» حرف جزم، و«**يلقَ**» مجزوم بها، وعلامة جزمه حذف الألف، من قولـك: يلقى، **واسـم الله**: مرفوع على الفاعلية قائم مقام الفاعل؛ لأنه اسم ما لم يُسم فاعله.

«**الصمت**» مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف، أيْ: هو الصمت. «**وحسـن الخلق**» عطف عليه، ولو جرى على عطف البيان، والبدلية من «**أمـرين**» لكـان وجهًا، لكنه أعرض عن الإتباع، ورفعهما على الابتداء المحذوف وهما خبران.

سؤال: القياس في الصفة المشبهة إذا رفعت الظـاهر أن تكـون مفـردة لا يجـوز تثنيتهـا ولا جمعهـا؛ لأنهـا بمنزلـة الفعـل في الرفـع، فلهـذا وجب إفرادها، و**خفيفتان** رافعتان[2] **للمؤنة**، وهي مثناة، فما وجه ذلك؟ وما السرّ فيه؟ ولهـذا فإنه لا يجوز: مررت برجلين حسنين وجوههما ولا برجـال حسـنين وجـوههم؛ لمـا ذكرناه؟!

وجوابه: من وجهين:

أحدهما: أنّا لا نسلم رفع **المؤنة بخفيفتين**[3]، وإنمـا هي مرفوعـة على أنها مبتدأ وخبره محذوف تقديره: بأمرين خفيفين مؤنتهما خفيفـة، فتكـون الخفّـة شـاملة للأمــرين مطلقًا، و**المؤنة** مطلقـة، وفيـه من المبالغـة في الوصـف في الخفة ما لا يخفى.

وثانيهما: أنّا نسلم أن **المؤنة** مرفوعة **بخفيفين**، وإنما جـاء مثـنى منبهًـا

---

[1])) في (د) زيـادة: مؤنتهمـا، ومؤنتهمـا: مرفـوع على الفاعلية للصـفة المشـبهة وهي قولـه: خفيفين . {وهي زيادة مناسبة وسليمة}.

[2])) المناسب: خفيفان مرفوعان.

[3])) المناسب: بخفيفين.

على الأصـل؛ لأنـه في الأصـل اسـم، وكـان يجب فيـه المطابقـة لموصـوفه[1] في التثنية. لكنه جاء مرفوعًا[2] تشبيهًا له بالفعل، فجاءت مثنية[3] مع كونه رافعًا تنبيهًا على ماله بحكم الأصالة كما جاء القود والصيد على الصحة في الإعلال تنبيها على أن الإعلال ليس أصلاً في الأسماء، وإنما هو بالمشـابهة للفعـل، كمـا أن الإعـراب أصل في الأسماء، والإعراب في الأفعال بالمشابهة ليعطى كل شيء ما يسـتحقه بالأصالة، فهذا كلام فيما يحتمله الحديث من علوم الإعراب.

النظر الثاني: في بيان ما تضمنه من علوم البلاغة

وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: في بيان ما تضمنه من العلوم المعنوية

وهو مشتمل على معانٍ أربعة:

المعـنى الأول: الفصـل والوصل، فالفصـل في قولـه: «**لا تعطـوا**»، وقوله: «**إن الأشياء ثلاثة**»، وقوله: «**ألا أنبئكم**» فإن هذه الجمـل جـاءت من غير (واو) دالة على الفصل، وأما الوصل، ففي سائر الجمل كلّها، فإنهـا جـاءت بــ «**الواو**»، ومُؤذنة بالوصل بين الجمل والملاءمة بينها.

المعنى الثاني: الجمل الإنشائية المنهيّة، فإنها جاءت مُؤذنـة بـالآداب الحسنة منبهة[4] على جهة الترادف والتساوق يتلو بعضـها بعضـًا، والجمل الخبريـة جاءت دالة على الآداب الحسنة منبهة عليها ومتضمنة للأوامـر الإنشـائية، كقولـه: «**اتبعوه**»، و«**اجتنبوه**»، فقد وقعت هاهنا أحسن موقع؛ لاشـتمالها على الأوامـر الإنشائية، والمناهي الإنشائية، والأخبار الصادقة الدالة على الحكم النافعة.

---

1)) في (د) الموصوفة.

2)) في (د) مفردًا. {وهو غير مناسب}.

3 (?) في (د) تثنيته.

4 (?) في (ك) سقط: منبهة.

المعنى الثالث: الإضمار والإظهـار، فالإظهـار: في قولـه: «**الحكمة**»، فإنهـا اسـم ظـاهر، والإضـمار: مـا في قولـه: «**تظلموها**»، و«**تمنعوها**»، و«**أهلها**» فإنها كلّهـا ضـمائر دالـة على رجوعهـا إلى «**الحكمة**»، وهكـذا قولـه: «**أمر**» فإنـه اسـم ظـاهر، وقـد رجعت هـذه الضـمائر في قولـه: «**اتبعـوه**»، و«**اجتنبـوه**»، وفي قولـه: «**رُدُّوه إلى الله**»، وقـد عـرفت مـا في الإظهـار والإضمار من مواقع علم المعاني، فإن الإظهار دال على الإيضـاح، والإضـمار دال على الاختصار والإيجاز، وهمـا في علـوم المعـاني والبيـان في أرفـع قـدر ومحـل ومكان.

المطلب الثاني: فيما اشتمل عليه من علوم البيان

وقد تضمن أنواعًا من المجازات الرشيقة والاستعارات الفائقة، وهي سبع:

الاستعارة الأولى: قوله: «**لا تعطوا الحكمة**»، فالإعطاء هاهنا اسـتعارة حسـنة؛ لأن حقيقـة الإعطـاء المناولـة، وهـذا لا يتعقـل في الحكمـة، فلهـذا كـانت مجازًا.

الاستعارة الثانية: وصـف الحكمـة بكونهـا مظلومـة مجـاز واسـتعارة؛ لأن الظلم هو الضرر الخالي عن النفع، وهذا لا يتأتى في حقّ الحكمة، فـإطلاق الظلم عليها يكون مجازًا بالإضافة إلى العرف الشرعي في الظلم.

الاستعارة الثالثة: ظلم الأهـل، حيث قـال: «**فتظلمـوهم**» فإنـه مجـاز واستعارة كما ذكرناه في وصف الحكمة بالظلم، فهما مجازان لا محالة.

الاسـتعارة الرابعة: قولـه: «**فيحبـط عملكم**» الغـرض هاهنـا بالإحبـاط إبطال الأعمال الصالحة بارتكاب الكبائر، و**الحبط**: هو داء[1] يصيب الإبل من أجل الامتلاء، وهو هاهنا مجاز بالإضافة إلى الوضع اللغوي.

---

[1])) في (د) أذى.

الاستعارة الخامسة: **استبانة الرشد**، فإنــه مجــاز؛ لأن **الاستبانة**: هي الوضوح، ووصف الأمر بالوضوح مجاز لا محالة.

الاستعارة السادسة: **وصـف الأمـر بـالغيّ**، مجـاز أيضًـا، فـإن **الغيّ**: نقيض الهدى، وهو مجاز لا محالة، والغياية والغيايـات هي الحجـاب على الشـمس عن الاستنارة، فوصف الأمر **بالغيّ** مجاز في جمعه، فنُقـل من هـذا المعـنى إلى ما يناقض الهدى، وذكر (المنصور بالله)- عليه السلام- أن الغيّ مأخوذ من قولهم: غوي الفصيل[1] إذا زاد رضاعه فوق الحدّ، فيهلك أو يقارب الهلاك[2].

وليس الأمر كذلك، فإن **الغيّ**: مخالف للغَـوي من جهـة لفظـه ومعنـاه، أمـا لفظه: فلأن (**لام**) الغيّ وعينه (ياآن) من باب حيي، بخلاف غوي فإن عينـه (واو)، ولامه (يـاء)، وأمـا من جهـة معنـاه، فلأن **الغيّ**: هـو التغطيـة عن الهدايـة، ومنـه الغيايــة والغيايــات، وأمــا **الغــوي**: فهــو بشم[3] الفصــيل من كــثرة اللبن، فهمـا مفترقان كما ترى.

المطلب الثالث: في بيان ما تضمنه من علوم البديع

وقد اشتمل على أجناس ثلاثة:

الجنس الأول: منها التسجيع

وهذا كقوله: «فيحبط عملكم»، وقوله: «يقِل خـيركم»، وقولـه: «اجتنبـوه»، و«اتبعوه» فإنه كله سجع.

الجنس الثاني: الطباق

وهــذا كقولــه: الغي والرشــد، فإنهمــا طبــاق، ونحــو قولــه: «**اتبعــوه**»، و«**اجتنبوه**».

---

[1]) الفصيل ولد الناقة إذا فصل عن أمه. ينظر: لسان العرب، مادة (فصل).
[2]) ينظر: حديقة الحكمة، 134.
[3]) البشم: تخمة على الدسم. ينظر: لسان العرب، مادة (بشم).

الجنس الثالث: التجنيس

وهـذا كقولـه:«**تظلموها**»، و«**تظلمـوهم**» فإنـه جنـاس، ونحـو قولـه: «**أهلِها**»، و«**أهلَها**»، فإنـه جنـاس كامل، وقولـه: «**استبان رشـده**»، وقولـه: «**استبان غيّه**»، فإن قوله: «**استبان**» دفعتين جناس كامل، وكقولـه:« **أمْـرٌ**»؛ فإنه كرره مرارًا ثلاثًا، وكلّه من الجناس الكامـل، فهـذه الأمـور كلهـا معـدودة من علم البديع، وهو كما ذكرنا متعلق بعلوم البلاغة والفصاحة وتحسين الكلام بجــودة النظم وحسن السبك كما قررناه من قبل.

النظر الثالث: في بيـان مقاصـده صـلى الله عليه وآله وسلم التي أرادها من هذا الحديث

أراد بما أشار إليه هو أن إعطاء الحكمة غير أهلهـا يكـون ظلمًـا لهـا، ومنعهـا من أهلهـا يكـون ظلمًـا لهم؛ لأنهـا إذا أُعطيت غـير أهلهـا فقـد وُضـعت في غـير موضعها، وأُحلت في غير محلها، فلا جرم كان ظلمًا لها، وإذا مُنعت من أهلها فقد ظلموا بالعُدول بها عنهم، فهي لا تنفك عن الظلم في الوجهين جميعًا، فقـد أشـار عليه السلام في كلامه هذا إلى أن الحكمة لها أهل يسـتحقونها، فلا ينبغي وضـعها في غير أهلها، كمن يعلق الدرّ بالخنازير[1]، واعلم أنه عليه السلام قـد ضـمن هـذا الحـديث آدابًـا وإرشـادات وحِكمًـا، ونحن نشـير إلى تفصـيل كـل واحـد من هـذه، ونجعل لكل واحد منها مقامًا يحتوي على أسراره.

المقام الأول: في بيان الآداب التي أشار إليها

وجملتها خمسة:

الأدب الأول: منها قوله: «**لاَ تُعْطُوا الْحِكْمَةَ غَيْـرَ أَهْلِهَـا فَتَظْلِمُوهَا**»

اعلم أن الحكمـة عبـارة عن إحـراز علـوم القـرآن والسُّـنّة النافعـة، وإحـراز علم

---

[1])) في (د،ك) سقط حرف الجر الباء.

طريق الآخرة، وغير ذلك من سائر العلـوم الدينيـة، فمـا هـذا حالـه من العلـوم لا يصلح وضعه في غير موضعه، ويجب إعطاؤه أهله إذا طلبوه، ويؤيد ما ذكرنـاه مـا رُوي عن الرسول- صلى الله عليه وآلـه وسـلم- أنـه قـال: «إن للـه في الأرضـين أهلين: أهـل القـرآن منهم»[1]، وأهـل الحكمة، وهم المتبعـون لأوامـر الشـريعة الملتزمون لأحكامها، المحللون حلالهـا، والمحرمـون حرامهـا، الجـاعلون الوقـوف عند ملتبسها رسـوخًا في العلم دون التقحم على سـددها المرتجـة، والتعدّي على حدودها المضروبة، الـذين جعلـوا العلم سـببًا للقـول، وأساسًـا للعمل، فأمـا أهـل الزيغ، والعناد، والقلوب الخالية من خوف الله، والمائلين عن طريق الرشـاد، فهم أعـداء الحكمـة فضلاً عن أن يكونـوا أهلاً لهـا، وكيـف وقـد كرعـوا[2] في حيـاض الضلالة، وارتووا من آجن[3] الجهالة، ويحكى عن مالك بن أنس بن مالك[4] أنه قـال: رويت عن رجال الأحاديث بعدد أساطين هذا المسـجد، فمـا اسـتجيز أن أروي عنهم حديثًا واحدًا ، قالوا: فتتهمهم. قال: لا، ولو وشروا بالمناشير ما كذب منهم أحـد على رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ولكن لم يكونـوا أهلاً لهـذا الشـأن، فـانظر إلى تحرّزه، وعظم بصيرته، واتقاد قريحته في ذلك، وفي هذا دلالة على أن الحكمـة تحتاج إلى أهلية تختص بها، فإذا جاوزنا بها غيرهم كنا ظالمين لها؛ لمّـا وضـعناها في غير محلها ومكانها.

الأدب الثاني: قوله: «**وَلاَ تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ**»؛ لأنّا إذا منعناها أهلهـا المسـتحقين لهـا لقبـولهم لها، وانتفـاعهم بها، ونفعهم لغـيرهم من

1)) تيسير المطالب، 242. بلفظ: «إن لله أهلين من الناس: أهل القرآن أهل الله عزّ وجلّ».

2)) كرع في الماء أيْ تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفه ولا إنـاء. ينظـر: لسـان العرب، مادة (كرع).

3)) الآجن: الماء المتغير طعمه ولونه. ينظر: نفسه، مادة (أجن).

4 (?) وهو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عـامر الأصـبحي المـدني، الفقية إمـام دار الهجـرة، قال البخاري: أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع، توفي سنة 76هـ. ينظـر: تقـريب التهـذيب، أحمد بن علي بن حجر العسـقلاني، تحقيق محمد عوامـة، دار الرشـيد، ط1، 1986م، دمشق، سوريا، 1/ 156.

المسترشدين لغرائب فوائدها كنا قد ظلمناهم ظلمًا عظيمًا، وارتكبنا في حقهم حوبًا جسيمًا، ويؤيد ذلك ما رُوي عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم، فقولوا لهم مرحبًا بوصية رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وأفتوهم». قلت: وما أفتوهم؟ قال: «علّموهم»[1]، والذي أوصى بهم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- هم الطالبون للعلم الراغبون فيه، العاملون بأحكامه، فأما من خالف هذه الصفة فالأخبار النبوية دالة على منعهم، والإبعاد عنهم؛ لما روى أنس بن مالك عن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب»[2]، فهذا منه صلى الله عليه وآله وسلم تنبيه على قبح وضع الحكمة في غير أهلها، وقد روي عن أمير المؤمنين- كرم الله وجهه- أنه قال لكميل بن زياد[3]: يا كميل إن هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها، فاحفظ عني ما أقول لك: الناس ثلاثة : فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق،... لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق[4].

الأدب الثالث: قوله: «وَلاَ تُعَاقِبُوا ظَالِماً فَيَبْطُلَ فَضْلُكُمْ، وَلاَ تُرَاؤوا النَّاسَ فَيَحْبَطَ عَمَلُكُمْ» نهى عليه السلام عن معاقبة الظالم، وأخبر أن ذلك يبطل الفضل، وله تأويلان:

التأويل الأول منهما: أنه صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن معاقبة الظالم، وأخبر أن ذلك يبطل الفضل إذا كانت العقوبة ظلمًا مثل ظلمه، وفي ذلك بطلان

---

1 (?) تيسير المطالب، 206.

2 (?) سنن ابن ماجة، 1/ 81.

3 (?) وهو كميل بن زياد بن نهيك، ويقال: ابن عبد الله النخعي، التابعي الشهير، توفي سنة 82هـ، قتله الحجاج، وهو شيخ كبير. ينظر: الإصابة، 5/ 653.

4 (?) ينظر: نهج البلاغة، 496.

الفضل؛ لأنه لا يحل لأحد ظلم أحد من الناس، ويؤيـد ذلـك مـا روي عنـه صـلى اللـه عليـــــــــــه وآلـــــــــــه وســــــــــــلم أنـــــــــــه قـــــــــــال: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك»[1].

التأويل الثاني: أن يكون المراد أن العفو عن الظلم فيه أجر كبـير وثـواب خطير[2]، وأن في مقابلة ذلك العفو من الفضل ما لا يعلم تفاصـيله إلا اللـه، فـإذا استنصف المظلوم من الظالم بطل ذلك الفضل الذي كـان يقـع في المعلـوم في مقابلة العفو، ويؤيد هذا التأويل ما رُوي عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «ثلاث من أخلاق أهل الجنة: العفو عمّن ظلمك، والإعطـاء لمن حرمـك، والإحسان إلى من أساء إليك»[3]، وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ما عفا رجل عن مظلمة ظُلِمها إلا زاده اللـه بهـا عـزًّا، فـاعفوا يـزدكم الله عزًّا»[4].

الأدب الرابع: قولـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «**وَلاَ تُرَاؤوا النَّاسَ فَيَحْبَطَ عَمَلُكُمْ**» اعلم أن الرياء معصـية من كلّ وجـه، وظـاهر الخـبر دال على كونه كبيرة؛ لأنه لا يحبط العمل إلا الكبائر، وقد ورد الوعيـد عليـه بقولـه تعـالى: ﴿ ﴾[5]، وقـال تعـالى: ﴿ ﴾[6]، ثم قال: ﴿ ﴾

---

[1] (?) مسند أحمد، 3/ 414.

[2] (?) خطير: له قدر. ينظر: مختار الصحاح، مادة (خطر).

[3] (?) سنن البيهقي الكبرى، 10/ـ 235. بلفـظ: «ألا أدلكم على أكـرم أخلاق الـدنيا والآخـرة؟ تعفو عمّن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك».

[4] (?)مسند أحمد، 2/ 235، بلفظ: «ما نقصت صدقة من مال، ولا عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله عزًّا». مسند الشهاب، 2/ 29.

[5] (?) سورة النساء من الآية 142.

[6] (?) سورة الماعون الآيتان 4، 5. وفي (د،ك) سقط الآية رقم 5.

﴾[1]، وهو من جملة الخصال المهلكة، وإذا كـان كبـيرًا لظـاهر الخـبر كمـا قررنـاه، فهل يكون فسقًا عندنا وعند الله أو لا يكون فسقًا إلا عند الله؟

فيه تردد، فإن قلنا: إنه فسق[2] عند الله لا غـيره ؛ فلأن الفسـق إنمـا يتقـرر بدليل مقطوع به، وهذا الخبر ليس متواترًا، فلا يقطع بصحته، وهـذا هـو المختـار؛ لأن الإجماع منعقد على أن طريق الإكفار والتفسيق إنما يكـون قاطعًـا لا محالـة، والإحباط هو الإبطال؛ لأن ثواب صاحب الكبيرة يبطل لا محالـة على معـنى أنـه لا يوفر ثوابه؛ لأن الثـواب والعقـاب لا يجتمعـان لتضـادهما، وإذا بطـل توفـيره ثوابًـا فيجب سقوط مثله في الأجزاء من العقاب على القول بالموازنـة، وهـو المـذهب القوي والمنهاج المستقيم السوي.

الأدب الخامس: قوله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم: «وَلاَ تَمْنَعُـوا الْمَوْجُـودَ فَيَقِلَّ خَيْرُكُمْ»، الخير: هاهنا له تأويلان نذكرهما:

التأويـل الأول: أن يكـون مـراده بـالموجود الحـق الـواجب كـالزكوات والأعشار، فمنع ما هذا حاله يكون لا محالة محظورًا لا يحل، **وقلة الخير**: هاهنـا عدم الثواب، وعلى هذا لا يحل للمسـلم أن يمنـع الموجـود من الحقـوق الواجبـة؛ لأنه يفوت على نفسه بذلك ثوابًا عظيمًا، ويجلب لهـا عـذابًا أليمًا، ويؤيـد ذلـك مـا رُوي عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنـه قـال: «إن اللـه تعـالى فـرض للفقير في مال الغني في كـل مـائتي درهم خمسـة دراهم، فمن منعهم من ذلـك فعليه لعنة الله، ولعنة اللاعنين، ولعنة الملائكة، والناس أجمعين»[3]، ولا أقلّ خيرًا ممّن هذا حاله.

التأويـل الثـاني: أن يكـون المـراد بـالموجود مـا يتعلـق بالإحسـانات

1 (?) سورة الماعون الآية 6.

2 (?) في (د) سقط: إنه فسق.

3 (?) تيسير المطالب، 360.

والتفضلات من صدقات النفل، وبذل المعروف، والبذل الـتي تكـون[1] من مكـارم الأخلاق ومحامد الشّيم، وعلى هذا يكون الخير ما يقع في مقابلة ذلك من الثواب، وقلّة الخير هي عدم الثواب، فإن اكتسـاب الخـير، ومتـاجرة الرّب بالإحسـان إلى المؤمـنين خاصـة، وسـائر الخلـق عامـة من أخلاق الأنبيـاء، وسـيرة الأوصـياء، فلا ينبغي لمسلم أن يضيع نصيبه[2] من هذا الخير، ويؤيد ذلـك مـا رُوي عن الرسـول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قـال: «مـا من مـؤمن أتـاه أخـوه المـؤمن يسـأله حاجة، وهو يقدر على قضائها فردّه عنها، إلا قـال اللـه تعـالى يـوم القيامـة: أتـاك عبدي المـؤمن في دار الـدنيا يسـألك حاجـة قـد ملكتـك قضـاها، فرددتـه عنهـا لا قضيت لك اليوم حاجة»[3]، فهذا الخبر كما ترى لا يعمل بـه إلا من نـور اللـه قلبـه بالتقوى، ونزع عن صدره حب الدنيا، وفي حديث آخر عنـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسلم أنه قال: «ارحموا حاجة الغني»، فقام رجـل فقـال:- يـا رسـول الله-، ومـا حاجة الغني؟ قال: «الموسر يحتاج فصدقة الدرهم عليه بمنزلـة سـبعين ألفًـا»[4]، فمن ضيّع على نفسه شيئًا من هذه المداخل الحسنة فقـد ضيّع على نفسـه خـيرًا كثيرًا.

المقام الثاني: في بيان الإرشادات[5] إلى المصالح الدينية

وهو قوله:«الأشياء ثلاثة» اعلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أشـار هاهنا إلى أساس الدِّين وقوامه ، وإن كلّ أمـر فلـه طرفـان واضـحان في الحُكم، والذي يقع فيه الاشتباه هي الواسطة فلا جرم كـان الأمـر فيـه على ثلاث مـراتب نشير إليها:

---

1 (?) في (د) الذي يكون . {وهو المناسب في السياق}.
2 (?) في (د،ك) نفسه.
3 (?) تيسير المطالب، 446.
4 (?) نفسه، 359. كنز العمال، 6/ 189.
5 (?) في (د) الإرادات.

المرتبة الأولى: ما كان رشده واضحًا والحق فيه بيّن[1]، وما هذا حاله فإنه يتبع ويجوز فعله، ويُحمد صاحبه على التلبّس به، سواء كان ذلك من باب العبادات، أوالعادات، أوالمعاملات، فما كانت الطرق في حقه وصحته واضحة عن علم ومعرفة، فهو الذي استبان رشده وخيره، وكونه رشدًا إنما يدرك بالعلم القاطع والبصيرة النافذة بما يدل عليه العقل، ويرشد إليه الشرع، فكل ما كان بهذه الصفة فهو الحق الذي لا معدل عنه، وفي الحديث عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «إن الله لا ينتزع العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم، بقبض العلماء، كلما ذهب عالم ذهب بما معه حتى إذا لم يبق بيننا عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»[2].

المرتبة الثانية: ما يقابل الأولى على نعت المناقضة، وهو الأمر الذي استبان غيّه، وهو الطرف الثاني، وما كان هذا حاله فالحكم فيه التجنب والترك، وهذا يعلم قبحه تارة بأدلة العقل، وتارة بأدلة الشرع، وفي الحديث: «من باع واشترى بغير فقه، فقد ارتطم في الربا، ثم ارتطم»[3].

المرتبة الثالثة: وهي الوسطى ممّا تقدم، وهو كل أمر ملتبس، وحكم ما هذا حاله الرد إلى الله تعالى، والرد يكون له مستندان:

المستند الأول: إلى الله تعالى، والعرض إلى كتابه، وإلى سنّة رسوله- صلى الله عليه وآله وسلم- فما حكم به القرآن والسنّة فهو الحق الواضح والطريق المستقيم اللائح.

---

1 (?) في (د،ك) مبين.

2 (?) صحيح مسلم، 4/ 2059. بلفظ: «إن الله لا ينتزع العلم من الناس انتزاعًا، ولكن يقبض العلماء، فيرفع العلم معهم، ويبقى في الناس رؤساءً جهالاً يفتونهم بغير علم فيَضلون ويُضلون».

3 (?) المجموع الحديثي والفقهي، 177. بلفظ: «إن من باع، واشترى، ولم يسأل عن حلال، ولا حرام ارتطم في الربا، ثم ارتطم».

المستند الثاني: إلى ولاة الأمر، وهم عترة الرسول- صلى الله عليه وآلـه وسلم- فإنهم معدن العلم ونصابه وتراجمته وأربابه، فـإن بهم حـل مشـكله، وفتح مقفله، وقد جعلهم الله الحفظة على حكمه والأمنـة على وحْيـه، حيث قـال عليـه السلام: «إني تارك فيكم الثقلين: كتـاب اللـه، وعـترتي أهـل بيـتي»[1]، ومصـداق ذلك قوله تعالى: [illegible][2]، وقد فسره الأئمة من العترة بأنهم المرادون بالآية[3]، فإنهم المسـتنبطون الراسـخون في العلم فـإن حصـل إيضـاحه من هـذه الطرق، وإلا وجب الوقف فيه، والوقف فيه لا يخلّ بشيء من أمور الـدين، ويؤيـد ما ذكرناه قوله صلى الله عليه وآله وسـلم: «الحلال بيّن والحـرام بيّن وبين ذلـك مشـتبهات»[4]، وقولـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «دع مـا يريبـك إلى مـا لا يريبـك»[5]، وقولـه عليـه السـلام: «المؤمنـون وقـافون عنـد الشـبهات»[6]، ومـع الوقف[7] فالسلامة في الدِّين ظـاهرة، ومـع الإقـدام من غـير بصـيرة فيـه معظم الخطر في الدين.

تنبيه: اعلم أن ما ذكره صلى الله عليـه وآلـه وسـلم من تقسـيم الأمـر إلى هذه الأقسام الثلاثة قد بلغ في الاختصار والإيجاز كل غاية، حتى إن جميـع مـا أُثـر عنه من الأحاديث الكثيرة، والروايات البالغة قد أخذت منها، واندرجت تحتها، فقـد أخذ عليه السلام بطـرفي البلاغـة، فتـارة بالتطويـل والإسـهاب في شـرح مواقـع

1 (?) مسند أحمد، 3/17. المعجم الكبير، 5/ 154.
2 (?) سورة النساء من الآية 83.
3 (?) ينظـر: المصـابيح السـاطعة الأنـوار تفسـير أهل الـبيت، القاسم بن إبـراهيم، محمد بن القاسـم، الإمـام الهـادي يحـيى بن الحسـين، جمع وتـأليف عبد الله بن أحمد بن إبـراهيم الشرفي، تحقيق محمد قاسم الهاشمي، عبد السلام عباس الوجيه، إشراف صلاح بن محمد الهاشمي، مكتبة التراث الإسلامي، ط1، عام 1998م، صعدة، الجمهورية اليمنية، 1/ 74.
4 (?) سنن البيهقي الكبرى، 5/ 335.
5 (?) مسند أحمد، 1/ 200.
6 (?) الانتصار، 3/ 32.
7 (?) في (د) الوقوف.

التحليل، والتحريم، والإطناب في ذلك بإيراد التفاصيل البالغة، وتارة بالإيجاز البالغ والاختصار الكلّي، كما ورد في هذا الحديث فإنه قد تضمن المعاني الكثيرة، والنكت الغزيرة في أوجز عبارة وأخصرها.

المقام الثالث: في بيان الحكم التي أوردها في هذا الحديث

وقد ضمنه حكمتين:

الحكمة الأولى: الصمت[1]

فلنذكر فضيلة الصمت، ثم نردفه بذكر آفات اللسان، فهذان تقريران نفصلهما بمعونة الله تعالى.

التقرير الأول: في بيان فضيلة الصمت

اعلم أن اللسان من جملة نعم الله العظيمة، ولطائف صنعته القويمة، فإنه على صغر حجمه وعظيم طاعته وجرمه، فمن أطلق عذبة اللسان، وأهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان، واضطره إلى البوار، وساقه إلى شفا جرف هار فانهار، وخطر اللسان عظيم، ولا نجاة من خطره إلا بالصمت، فمن أجل ذلك مدح الشرع الصمت وحثّ عليه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من صمت نجا»[2]، وقال أيضًا: «الصمت حكم، وقليل فاعله»[3]، أيْ: هو حكمة وحزم.

وروى عبدالله بن سفيان[4] عن أبيه[5] قال: قلت:- يا رسول الله- أخبرني عن

---

1 (?) في (د) سقط: الصمت.

2 (?) مسند أحمد، 2/ 159.

3 (?) شعب الإيمان، 4/ 264.

4 (?) وهو عبد الله بن سفيان بن عبد الله بن ربيعة الثقفي الطائفي، قال النسائي: ثقة. ينظر: تقريب التهذيب، 1/ 306.

5 (?) وهو سفيان بن عبد الله بن ربيعة الثقفي الطائفي، صحابي، كان عامل عمر على الطائف. ينظر: نفسه، 1/ 244.

الإسلام بأمر لا أسأل أحدًا بعدك، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم». قلت: فما أتقي؟ فأومى بيده إلى لسانه[1]، وقال عقبة بن عامر[2]: قلت:- يا رسول الله- ما النجاة؟ قال: «املك عليك لسانك، واشتغل بعيبك، وابكِ على خطيئتك»[3]، وقال سهل بن سعد الساعدي[4]: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «من يتوكل لي ما بين لحييه ورجليه أتوكل له بالجنة»[5]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من وُقيّ شرّ قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وُقيّ»[6]، و**القبقب**: البطن، و**الذبذب**: الفرج، و**اللقلق**: اللسان، فهذه الشهوات الثلاث بها يهلك أكثر الخلق.

وسئل رسول- الله صلى الله عليه وآله وسلم- عن أكثر ما يُدخل الجنة، فقال: «تقوى الله، وحُسن الخلق»[7]، وسئل عن أكثر ما يُدخل النار، فقال: «الأجوفان: الفم، والفرج»[8]، فيحتمل أن يكون المراد بالفم آفة اللسان؛ لأنه محله، ويحتمل أن يراد به البطن؛ لأنه مدخله، وقال معاذ: قلت:- يا رسول الله- أنؤاخذ بما نقول؟ فقال: «ثكلتك أمك- يا ابن جبل-، وهل يُكبّ الناس يوم القيامة على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم»[9]، وقال عبدالله الثقفي: قلت:- يا رسول الله- حدثني بأمر أعتصم به، قال: «قل ربي الله ثم استقم» قال: قلت:- يا رسول الله- ما أخوف ما تخاف عليّ؟ فأخذ بلسانه فقال: «هذا»[10].

---

1 (?) مسند أحمد، 3/ 413.

2 (?) وهو عقبة بن عامر الجهني، سكن مصر، وكان واليًا عليها في عهد معاوية، توفي سنة 58 هـ. ينظر: الاستيعاب، 3/ 1073.

3 (?) المعجم الكبير، 17/ـ 270. بلفظ: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابكِ على خطيئتك»ـ

4 (?) وهو سهل بن سعد بن مالك الساعدي الأنصاري، توفي رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وسهل ابن خمس عشر سنة، وتوفي سنة 88هـ، وقيل: 91هـ، وكان آخر من بقي من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. ينظر: الاستيعاب، 2/ 664، 665.

5 (?) مسند أحمد، 5/ 333.

6 (?) شعب الإيمان، 4/ 361.

7 (?) مسند أحمد، 2/ 442.

8 (?) نفسه.

9 (?) نفسه، 5/ 231.

10 (?) مسند أحمد، 3/ 413.

ورُوي أن معاذًا قال:- يا رسول الله- أيّ الأعمال أفضل؟ فأخرج رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- لسانه ثم وضع عليه إصبعه[1]، وقال أنس بن مالك: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن أخوه بوائقه»[2]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من سرّه أن يسلم فليلزم الصمت»[3]، وعن سعيد بن جبير[4] يرفعه إلى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تناشد اللسان بأن تقول: اتق الله فينا، فإنك إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»[5].

وروى أبو بكر[6]- رضي الله عنه- أن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «ليس شيء من الجسد إلا يشكو إلى الله اللسان على حدّته»[7]، وعن ابن مسعود- رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول- الله صلى الله عليه وآله وسلم-: «إن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه»[8]، وقال ابن عمر قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «من كفّ لسانه ستر الله عورته، ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه، ومن

---

1 (?) المعجم الكبير، 20/ 64.

2 (?) مسند أحمد، 3/ 198.

3 (?) المعجم الأوسط، 2/ 264.

4 (?) وهو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء، كوفي، أحد أعلام التابعين، عالم، ورع، قتله الحجاج سنة 95هـ، وقيل: 94هـ، ودفن بواسط. ينظر: وفيات الأعيان، 2/ 371- 373.

5 (?) مسند أحمد، 3/ 95.

6 (?) وهو عبد الله بن أبي قحافة- رضي الله عنه- كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، واسم أبيه أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو التميمي القرشي، وهو أول من أسلم من الرجال، رافق الرسول- صلي الله عليه وآله وسلم- في هجرته إلى المدينة، بويع بالخلافة بعد وفاة رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- في سقيفة بني ساعدة، ومكث في خلافته سنتين وثلاثة أشهر، توفي سنة 13هـ، ودفن بجوار الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- بالمدينة. ينظر: الاستيعاب، 3/ 963- 977.

7 (?) الفصل للوصل المدرج، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، تحقيق محمد مطر الزهراني، دار الهجرة، ط1، عام 1418هـ، الرياض، المملكة السعودية،1/ 202. أما شعب الإيمان، 4/ 244، فبلفظ: «ليس شيء من الجسد إلا يشكو ذرب اللسان على حدته». الذرب الحادّ. ينظر: لسان العرب، مادة (ذرب).

8 (?) المعجم الكبير، 10/ 197. شعب الإيمان، 4/ 240.

اعتذر إلى الله قبل الله عذره»[1].

وروى معاذ- رضي الله عنه- قال:- يا رسول الله- أوصني. قال: «اعبد الله كأنك تراه، وأعدد نفسك في الموتى، وإن شئت أنبأتك بما هو أملك لك من هذا كله»، وأشار بيده إلى لسانه[2]، وعن صفوان بن سليم[3] قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «ألا أخبركم بأيسر العبادة، وأهونها على البدن. الصمت، وحُسن الخلق»[4].

وقال أبو هريرة قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا، أو ليصمت»[5]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله عند لسان كل قائل، فليتق الله امرؤ فيما يقول»[6].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا رأيتم المؤمن صموتًا وقورًا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة»[7]، وعن عيسى- عليه السلام- أنه قال: العبادة عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت، والعاشر في الفرار من الناس[8]، فما ذكرناه دال على فضل الصمت وعلوه.

التقرير الثاني: في بيان آفات اللسان

اعلم أن الكلام أربعة أقسام: فقسم منه هو ضرر محض، والواجب السكوت

---

1 (?) الصمت وآداب اللسان، عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق أبي إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، ط1، عام 1410هـ، بيروت، لبنان، 55.

2 (?) الصمت وآداب اللسان، 56.

3 (?) وهو صفوان بن سليم المدني، أبو عبد الله، وقيل: أبو الحارث القرشي الزهري، كان ثقة كثير الحديث عابدًا، توفي سنة 132هـ. ينظر: تهذيب التهذيب، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، ط1، عام 1984م، بيروت، لبنان، 4/ 373، 374.

4 (?) الصمت وآداب اللسان، 58.

5 (?) صحيح مسلم، 1/ 68.

6 (?) شعب الإيمان ، 4/ 265. بلفظ: «إن الله عزّ وجل عند لسان كل قائل فلينظر عبد ماذا يقول».

7 (?) سنن ابن ماجة، 2/ 1373. بلفظ: «إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدًا في الدنيا، وقلة منطق؛ فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة». إحياء علوم الدين، 3/ 110.

8 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 110.

عنه، وقسم فيه ضرر ونفع، فإنه يجب السكوت عنـه؛ لأن نفعـه لا يقـوم بمـا فيـه من ضرر، وقسم لا ضرر فيـه ولا نفـع، ومـا هـذا حالـه فهـو فضـول لا حاجـة إلى الاشتغال به، وقسم هو نفع محض، فقد ظهر لك سقوط ثلاثـة أربـاع الكلام وبقي ربع، وهذا الربع فيه أخطار كثيرة وآفات عظيمة، وجملة ما نشـير إليـه من آفـات اللسان عشر:

الآفة الأولى: الغيبة

ولا بدّ فيها من بيان أمور خمسة:

أولها: معناها، وهي أن تذكر أخاك بمـا يكرهـه، لـو بلغـه سـواء كـان ذلـك نقصانًا في **بدنه**، نحو أن تقول: هو أعور أو أحول أو قصير أو أسـود، ممّـا يكرهـه أو يكون ذلك نقصانًا في **نسبه**، نحو أن تقول: أبـوه نبطي أو هنـدي أو فاسـق أو خبيث أو اسكافي، أو في **خُلقه**، نحو أن تقول: هـو شـديد الغضـب، أو بخيـل، أو جبان، أو في **أفعاله**، نحو أن يقول: هو سارق، أو كـذاب، أو خـائن، أو يكـون في **أفعاله الدنيوية**، نحو أن تقول: إنـه قليـل أدب يتهـاون النـاس بـه، أو أنـه كثـير الأكل، كثير الجماع، فإن هذه الأمور كلها معدودة في الغيبـة؛ لمـا كـانت مكروهـة لمن قيلت فيه.

وثانيها: ما ورد فيها من الوعيد الشديد من شواهد الشـرع، كمـا قـال اللـه تعالى في كتابه الكريم: [illegible][1]، وقال صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «كـل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضـه ومالـه»[2]، فالغيبـة تتنـاول هـذه الأمـور الثلاثة، وقـال أبـو هريـرة: قـال رسـول الله- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم-: «لا

---

[1] (?) سورة الحجرات من الآية 12.

[2] (?) صـحيح مسـلم، 4/ـ 1986. بلفـظ: «كل المسـلم على المسـلم حـرام: دمـه، ومالـه، وعرضه».

تحاسـدوا، ولا تباغضـوا، ولا تـدابروا، ولا يغتب بعضـكم بعضًا، وكونـوا عبـاد اللـه إخوانًا»[1].

وعن جابر[2] وأبي سعيد قالا: قال رسول الله- صلى الله عليه وآلـه وسـلم-: «إياكم، والغيبة فإن الغيبة أشدّ من الزنا، إن الرجل قد يزني فيتـوب فيتـوب اللـه عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حـتى يغفـر لـه صـاحبه»[3]، وقـال أنس: قـال رسـول الله- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم-: «مـررت ليلـة أُسـري بي، فـرأيت أقوامًا يخمشون وجوههم بأظافيرهم، فقلت:- يا جبريل- من هؤلاء؟ قـال: هـؤلاء الذين يغتابون الناس، ويقعـون في أعراضـهم»[4]، وقـال الـبراء[5]: خطبنـا رسـول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- حـتى أسـمع العواتق[6] في بيـوتهن، فقـال: «يـا معشر من آمن بلسانه، ولم يؤمن بقلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عـوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبـع اللـه عورتـه يفضـحه اللـه في جوف بيته»[7].

وقال أنس: خطبنـا رسـول الله- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- فـذكر الربا، وعظّم شأنه، فقال: «إن الدرهم يصيبه الرجل من الربا أعظم عند اللـه من سـتة

---

1 (?) نفسـه. بلفـظ: «لا تحاسـدوا، ولا تباغضـوا، ولا تـدابروا، ولا يبـع بعضـكم على بيـع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا».

2)) وهو جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد بن عدي الأنصاري السلمي، أحد الستة الذين شهدوا بيعة العقبة الأولى. ينظر: الإصابة، 1/ 433.

3 (?) المعجم الأوسط، 6/ 348.

4 (?) الصمت وآداب اللسان، 119.

5 (?) وهو البراء بن عازب بن الحارث الخـزرجي الأنصـاري، قـال الـبراء: ُاستصـغرت أنا وابن عمر يوم بدر فلم نشهدها، وقد أجازه الرسـول- صـلى الله عليه وآله وسـلم- يـوم الخنـدق؛ وهو ابن خمس عشرة سنة، نزل الكوفة، وتوفي بها أيام مصعب بن الزبـير. ينظـر: طبقـات ابن سعد، 4/ 364، 367، 368.

6)) العواتق: جمع العاتق، وهي الجارية التي قد أدركت، وبلغت، فخـدرت في بيت أهلهـا، ولم تتزوج، سـميت بـذلك لأنها عتقت عن خدمة أبويهـا، ولم يملكها زوج. ينظـر: لسـان العـرب، مادة (عتق).

7 (?) شعب الإيمان، 7/ 108.

وثلاثين زنية يزنيها الرجل، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم»[1]، وفيها أخبار كثيرة دالة على غضب الله، وسخطه لكل من اغتاب.

وثالثها: العلاج الذي يمنع اللسان من الغيبة، وذلك[2] يكون على وجهين: إما على الجملة، وإما على التفصيل، أما **الجملة**، فهو أن يحقق في نفسه تعرضه لسخط الله، وغضبه بالغيبة لأجل هذه الأخبار التي رويناها، فهو مع ذلك يتعرض لمقت الله، ومشبه عنده بآكل الميتة، وفي الحديث عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «ما ذئبان ضاريان في زريبة أحدكم بأسرع من الغيبة في حسنات العبد»[3]، وفي حديث آخر: «ما النار إلى اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد»[4]، وأما **التفصيل**، فهو أن ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فإن علاج العلّة بقطع سببها ، وسنوضح الكلام في ذكر الأسباب الباعثة على الغيبة[5]، فإذا ذكرناها فطريق علاج الغيبة إنما هو بدفعها.

ورابعها: ذكر الأسباب الباعثة على الغيبة، وجملتها ستة:

السبب الأول: شفاء[6] الغيظ، وهو أن يجري من جهة الغير سبب يحمل على الغضب عليه، فإذا هاج غضبه تشفى بذكر مساوئه، ويسبق اللسان إليها بالطبع.

السبب الثاني: موافقة الأقران، ومجاملة أهل العشرة له، فإنهم إذا كانوا يتفكهون بالوقوع في أعراض الناس، فيرى أنه لو أنكر عليهم استثقلوه ونفروا

---

1 (?) الصمت وآداب اللسان، 124.

2 (?) في (ك) وقد.

3 (?) الديباج الوضي، 2/ 641. بلفظ: «ما ذئبان ضاريان في زريبة أحدكم بأسرع من الحسد في حسنات العبد».

4 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 148.

5 (?) في (د) سقط: فإن علاج العلة بقطع سببها، وسنوضح الكلام في ذكر الأسباب الباعثة على الغيبة.

6)) في (ك) يشفي.

عنه.

السبب الثالث: أن ينسب إليه شيء فيريد أن يتبرأ منه بـذكر الـذي فعلـه، وكان يمكنه أن يبرئ نفسه ولا يذكر غيره.

السبب الرابع: الحسد، وهو أن يريد زوال نعمة الغـير، فلا يمكنـه ذلـك ولا يجد إليه سبيلاً إلا بالقدح فيه وذكر مسـاوئه؛ لأنـه يثقـل عليـه سـماع ثنـاء النـاس عليه، ويكره إكرامهم له.

السـبب الخـامس: اللعب والهـزل والمطايبـة وتمضـية الـوقت بالضـحك، فيذكر غيره بما يضحك الناس على جهة المحاكاة.

السبب السادس: الاستهزاء والتسخر استحقارًا لـه، فـإن ذلـك قـد يجـري في الغيبة ومنشؤه الكِبْر واستصغار المستهزأ به، وهذه هي الأسباب الغالبـة على الغيبة، وطريق علاجها بدفع هذه الأسباب، وذكر خوف الله، وملازمـة التقـوى في عباده.

وخامسها: كفارة الغيبة

واعلم أن الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب ويتأسف على ما مضى من فعلـه ليخـرج من حـق اللـه ولائمتـه، ثم يسـتحل من المغتـاب، فيحلـه فيخـرج عن مظلمته، وينبغي أن يستحل منه وهو حزين القلب، متأسف نـادم على مـا فعلـه من ذلك، وحُكي عن الحسن البصري أنه قال: يكفيه الاسـتغفار دون الاسـتحلال[1]، وعن بعض السلف: أنه قال: كفارة أكلك لحم أخيك أن تثني عليـه وتـدعو لـه بخـير، وعن بعضهم أنه قال في التوبة عن الغيبة، فقال: تمشي إلى صاحبك وتقول: كذبت فيمـا قلت، وظلمت وأسأت، فإن شئت[2] أخذت فبحقك، وإن شـئت عفـوت. وهـذا هـو

---

1 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 153.
2 (?) في (د) سقط:شئت.

الأقرب، وهل يجب على من قطع عرضه أن يحلل[1] المغتاب؟

فيه تردد: والمختار أنه لا شيء عليه؛ لأنه تبرع، والتبرع[2] لا يجب، ولكنه يستحب؛ لما فيه من العفو والصفح، فالواجب على المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه، والتودد إليه، ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه، وإذا لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة عند الله تعالى يمحو[3] بها بعض ذنوبه في القيامة.

الآفة الثانية: النميمة

فنذكر معناها، وما ورد من الوعيد فيها، وما ينبغي لمن بلغته النميمة أن يفعل، فهذه فوائد ثلاث:

الفائدةالأولى: في معنى النميمة، والباعث عليها

أما **معناها**، فإنما تطلق على من ينمّ قول الغير إلى المقول فيه، كما تقول: فلان يتكلم فيك بكذا وكذا، وحاصلها: إفشاء السرّ، وهتك الستر عمّا يكره كشفه، سواء كان يكرهه المنقول إليه أو المنقول عنه، بل كلما رآه الإنسان من أحوال الناس فينبغي أن يسكت عنه إلا أن يكون في حكايته فائدة لمسلم، كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود له أو دفع معصية، كما لو رأى قومًا مجتمعين[4] ليشرب[5] المسكر، فعليه أن يشيع أمرهم لينفروا عنه، وأما الباعث على النميمة، فهو إما إرادة السوء بالمحكي عنه، وإظهار الحب للمحكي له، وإما الفرح[6] بالحديث أو الخوض في الفضلات التي لا فائدة فيها ولا جدوى لها.

---

1 (?) في (د) يحلله.
2 (?) في (د) زيادة: فعل.
3)) في (د،ك) زيادة: الله.
4 (?) في (د) يجتمعون.
5 (?) في (د،ك) لشرب .
6)) في (د) التفرح.

الفائدة الثانية: في بيان ما يجب على من بلغته النميمة

فكل من بلغت إليه النميمة وقيل[1] له: إن فلانًا قال فيك: كذا وكذا وفعل فيك كذا وكذا، أو يدبر في فساد أمرك، أو هو في ممالاة عدوك أو في تقبيح حالك أو ما يجري مجرى ذلك، فعليه مراعاة ستة آداب:

الأدب الأول: منها أن لا يصدقه فيما يقوله؛ لأن النمام فاسق، وهو مردود الشهادة؛ لقوله تعالى: [illegible][2].

الأدب الثاني: أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبحه[3] إليه أفعاله، قال الله تعالى: [illegible][4].

الأدب الثالث: أن يبغضه في الله، فإنه بغيض عند الله، ويجب بغض من يبغضه الله تعالى.

الأدب الرابع: أن لا تظن بأخيك الغائب الشرّ؛ لقوله تعالى: [illegible][5].

الأدب الخامس: أن لا يحملك ما حُكي لك عنه على التجسس والبحث؛ لتحقق ذلك؛ لقوله تعالى: [illegible][6].

الأدب السادس: أن لا ترضَ لنفسك ما نهيت النمام عنه، فلا تحكي نميمة وتقول: فلان قد حكى كذا وكذا، فتكون نمامًا ومغتابًا، وتكون قد أتيت بما عنه نهيت،

---

1 (?) في (د) فلت.
2 (?) سورة الحجرات الآية 6.
3 (?) في (ك) يقبح.
4 (?) سورة لقمان من الآية 17.
5 (?)سورة الحجرات من الآية 12.
6 (?) السورة نفسها ومن الآية نفسها.

ورُوي عن عمر بن عبدالعزيز[1]- رضي الله عنه- أنه دخل إليه رجل فـذكر عنـده عن رجل شيئًا، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمـرك، فـإن كنت كاذبًـا كنت من أهـل هذه الآية: ﴿[illegible]﴾[2]، وإن كنت صادقًا كنت من أهل هذه الآية ﴿[illegible]﴾[3]، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو- يا أمير المؤمـنين- ولا أعود أبدًا، وقال الحسن: من نمّ إليك نمّ عليك[4].

الفائدة الثالثة: في بيان ما ورد من الوعيد على النمام من ذمة واستحقاقه للذم واللائمة والعقوبة

قال الله تعالى: ﴿[illegible]﴾[5] قيل: هو النمـام[6]. قـال تعالى: ﴿[illegible]﴾[7] إلى قولـه: ﴿[illegible]﴾[8]، **والزنيم**: هو الدعيّ[9]. قال تعالى: ﴿[illegible]﴾[10] ، وهي أم جميل امرأة أبي لهب، كانت نمامة حمالة للحديث[11]، وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾[12]. قيـل: كـانت امـرأة لـوط تخـبرهم بالضيفان، وكانت امرأة نوح تخبرهم أنه مجنون[13]، وقد قال صلى الله عليه وآلـه

---

[1] (?) وهو عمر بن عبد العزيز بن مـروان بن الحكم، كـان من الخلفـاء الراشـدين، ولد سـنة 63هـ، بالمدينة ، وتـولى إمرتها في عهد الوليـد، بويع بالخلافة سـنة 99هـ، وتـوفي سـنة 101هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، 5/ 114- 141. الأعلام للزركلي، 5/ 50.

[2] (?) السورة الحجرات من الآية 6.

[3] (?) سورة القلم الآية 11.

[4] (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 156.

[5] (?) سورة الهمزة الآية 1.

[6] (?) ينظر: تفسير الطبري، 24/ 596.

[7] (?) سورة القلم الآية 11.

[8] (?) السورة نفسها الآية 13.

[9] (?) ينظر: تفسير الطبري، 23/ 538.

[10] (?) سورة المسد الآية 4.

[11] (?) ينظر: تفسير الطبري، 24/ 678.

[12] (?) سورة التحريم من الآية 10.

[13] (?) ينظر: تفسير الطبري، 23/ 497.

وسلم: «لا يدخل الجنة قتات»[1] أيْ: نمّام، وفي حديث آخر: «لا يدخل الجنة نمّام»[2]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أحبكم إليَّ أحسنكم أخلاقًا الموطئون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون، وأبغضكم إلي المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، المفرقون بين الإخوان، الملتمسون للبرآء العثرات»[3]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أخبركم بشراركم»؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «المشاؤون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، المفرقون بين الإخوان، الباغون للبرآء العيب»[4]، وقال عليه السلام: «من أشاد على مسلم كلمة يشينه بها بغير حق شانه الله في النار يوم القيامة»[5]، وروى أبو الدرداء قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- : «أيّما رجل أشاع على رجل كلمة، وهو منها بريء يشينه بها في الدنيا كان حقًّا على الله تعالى أن يشنيه بها يوم القيامة في النار»[6]، وقال أبو هريرة قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- : «من شهد على مسلم شهادة ليس لها بأهل فليتبوأ مقعده من النار»[7]، وقال عليه السلام: «إن ثلث عذاب القبر من النميمة»[8]، وروى ابن عمر عن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «لمّا خلق الله الجنة قال: تكلمي، فقالت: سعد من دخلني، فقال الجبار- جلّ جلاله-: وعزّتي وجلالي لا يسكن فيك مدمن خمر، ولا مُصر على الزنا ولا قتات، وهو النمام، ولا ديوث، ولا قاطع رحم»[9]،

---

1 (?) صحيح مسلم، 1/ 101.

2 (?) نفسه.

3 (?) الصمت وآداب اللسان، 154.

4 (?) مسند أحمد، 6/ 459.

5 (?) شعب الإيمان، 7/ 107.

6 (?) مجمع الزوائد، 4/ـ 201. بلفظ: «أيما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة، وهو منها بريء سبّه بها في الدنيا كان حقًا على الله أن يذيبه يوم القيامة في النار».

7 (?) مسند أحمد، 2/ 509.

8 (?) إثبات عذاب القبر، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق د. شرف محمود القضاة، دار الفرقان، ط2، عام 1405هـ، عمان، الأردن، 136. بلفظ: «عذاب القبر ثلاثة لثلاث ثلث من الغيبة، وثلث من النميمة، وثلث من البول».

9 (?) كنز العمال، 1/ـ 238. بلفظ: «قالت: سعد من دخلني. قال الله- عزّ وجلّ-: بعزّتي

والديوث: هـو الـذي يحصـل على نسـائه، وروى كعب الأحبـار أن بـني إسـرائيل أصابهم قحط، فاستسقى لهم موسى مرات فما أجيب، فـأوحى اللـه إليـه: إني لا أستجيب لـك ولا لمن معك، وفيكم نمـام. قـال: يـا رب من هـو حـتى أخرجـه من بيننا؟ قال:- يا موسى- أنهاكم عن النميمة وأكون نمامًا[1]، وعلى الجملـة فالنمـام لا ينفـك عن الكـذب والغيبـة والنميمـة والغـدر والخيانـة والغلّ والحسـد والنفـاق والإفساد بين الناس والخديعة، وهـو من السـاعين في قطـع مـا أمـر اللـه بـه أن يوصل.

الآفة الثالثة: الكذب في الأقوال

وهو من قبائح الأفعال والذنوب، قال اللـه تعـالى: [illegible][2]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إيـاكم، والكـذب فإنـه مـع الفجـور، وهمـا في النـار»[3]، وروى أبـو أمامة[4] عن الرسـول- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- أنـه قـال: «الكـذب بـاب من أبـواب النفاق»[5]، وقال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-: «كـبرت خيانـة أن تحـدث أخاك حديثًا هو لك مصدق، وأنت له كاذب»[6]، وعن ابن مسعود- رضي الله عنـه- قال: قال: رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «لا يـزال العبـد يكـذب حـتى يكتب عند الله كذابًا»[7].

حلفت، وبعلـوي على خلقي لا يـدخلك مُصـرّ على الزنـا، ولا مـدمن خمـر، ولا قتـات وهم النمام».

1 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 1/ 307.

2 (?) سورة الزمر من الآية 60.

3 (?) صحيح ابن حبان، 13/ 43.

4)) وهو صـدي بن عجلان بن وهب البـاهلي، كـان ممّن روى عن النـبي- صـلى الله عليه وآله وسلم- سكن الشام، ويعدّ آخر من تـوفي من الصـحابة بالشـام، تـوفي بحمص سـنة 81هــ. ينظر: الاستيعاب، 2/ 736.

5 (?) كنز العمال، 3/ 248.

6 (?) شعب الإيمان، 4/ 209.

7 (?) نفسه، 4/ 200.

وقال عليه السلام: «الكذب ينقص الـرزق»[1]، وقـال صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «إن التجّـار هم الفجـار، فقيـل لـه:- يـا رسـول الله- أليس اللـه قـد أحلّ البيع»؟ قال: «بلى، ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكـذبون»[2]، وقـال عليـه السلام: «ثلاثة لا ينظرالله إليهم ولا يكلمهم يوم القيامة: المنّان بعطيته، والمنفـق سلعته بالحلف، والمسبل إزاره خيلاء»[3]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك منه القوم، ويـل له، وويـل لـه»[4]، وقـال صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم: «رأيت كـأنّ رجلاً جـاءني فقـال لي: قمْ، فقمت معـه، فـإذا برجلين، أحدهما قائم، والآخر جالس بيد القائم كلوب[5] من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله فيجذبـه فيلقمـه الجـانب الآخـر فيمدّه، فـإذا مدّه رجع الآخر كما كان، فقلت للذي أقامني: ما هذا؟ قال: هذا رجل كذاب يعـذب في قبره إلى يوم القيامة»[6]، والكذب[7] أضعف ما يكون، وأسخف[8] للهمة.

الآفة الرابعة: الفحش والسبّ والأذية وبذاءة اللسان

وما هذا حاله فالنهي عنه شـديد وصـاحبه مـذموم، ومصـدره الخبث واللـؤم، قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «إيـاكم والفحش فـإن اللـه لا يحب الفحش ولا التفحش»[9]، ونهى رسول الله- صلى الله عليـه وآلـه وسـلم- عن أن تُسبّ قتلى بدر من المشركين، وقال: «لا تسبوا هؤلاء فإنه لا يخلص إليهم شـيء

---

1 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 134. كنز العمال، 3/ 249.
2 (?) مسند أحمد، 3/ 428.
3 (?) صحيح مسلم، 1/ـ 102. بلفظ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة؛ المنان الـذي لا يعطي شيئًا إلا منّة، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره».
4 (?) مسند أحمد، 5/5.
5)) الكلوب: حديدة معطوفة كالخطاف. ينظر: لسان العرب، مادة (كلب).
6 (?) صحيح البخاري، 1/ 466.
7 (?)في (ك) الكذاب.
8 (?) في (د) أضعف.
9 (?) مسند أحمد، 2/ 159.

مما تقولون، وتؤذون الأحياء، ألا إن البذاء شؤم، ولؤم»[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذيء»[2].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها»[3]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى، يسعون بين الحميم والجحيم، يدعون بالويل والثبور رجل يسيل فوه دمًا وقيحًا، فيقال له: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، فقال: إن الأبعد كان ينظر إلى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذها كما يستلذ الرفث»[4]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «- يا عائشة- لو كان الفحش رجلاً لكان رجل سوء»[5]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله لا يحب الفاحش المتفحش الصَّيَّاح في الأسواق»[6]، وقال عليه السلام: «إن الفحش، والتفحش ليسا من الإسلام في شيء، وإن أحسن الناس إسلامًا أحسنهم أخلاقًا»[7].

وأما معناه وحقيقته، فهو التعبير عن الأمور المستقبحة بالعبارات الصريحة، ويجري ذلك في ألفاظ النكاح، وما يتعلق به، فإن لأهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيها، وأهل الصلاح يتحامون من التعرض لها، بل يكفون[8]عنها[9] يدلون عليها بالرموز، ويذكرون ما يقاربها ويتعلق بها.

قال ابن عباس: إن الله حيّ كريم يعفو ويكني، كنى باللمس عن الجماع،

---

1 (?) الصمت وآداب اللسان، 183.
2 (?) سنن الترمذي، 4/ 350.
3 (?) الصمت وآداب اللسان، 184.
4 (?) المعجم الكبير، 7/ 310.
5 (?) المعجم الأوسط، 1/ 107.
6 (?) الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، ط3، عام 1989م، بيروت، لبنان، 116.
7 (?) مسند أحمد، 5/ 89.
8 (?) في (د،ك) يكنون. {وهو المناسب في السياق}.
9 (?) في (د) زيادة: الواو.

وهكذا بالمسّ والمسيس عن الوقاع[1]، وهكذا حال الدخول، فإنها عبـارات جميلة، وإعراض عن ذكر المستكره المسترذل، فينبغي الإعراض عما هذا حاله.

الآفة الخامسة: المراء والمجادلة بالباطل

وذلك منهي عنه، وقد قال صلى الله عليـه وآلـه وسـلم: «لا تمـار أخـاك، ولا تمازحه، ولا تعده موعدًا فتخلفه»[2]، وقـال صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: « ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته، ولا تـؤمن فتنتـه»[3]، وقـال عليـه السـلام: «من تـرك المراء، وهو محقّ بنى الله له بيتًا في أعلى الجنة، ومن ترك المراء، وهـو مبطـل بنى الله له بيتًا في ربض[4] الجنة»[5]، وعن أم سلمة[6]، قـالت: قـال رسـول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «إن أول مـا عهـد إليّ ربي ونهـاني عنـه بعـد عبـادة الأوثان، وشرب الخمر ملاحاة الرجال»[7]، وقال صلى الله عليـه وآلـه وسـلم: «لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المراء، وإن كان محقًّا»[8].

وقال صلى الله عليه وآلـه وسـلم: «ستّ من كن فيـه فقـد بلـغ حقيقـة الإيمـان: الصيام في الصيف، وضرب أعداء الله بالسـيف، وتعجيـل الصلاة في اليـوم الـدجن[9]، والصبر على المصيبات، وإسباغ الوضوء على المكاره، وترك المراء، وهو صـادق»[10]،

---

1 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 122.

2 (?) سنن الترمذي، 4/ 359.

3 (?) المعجم الكبير- من حديث طويل، دون قوله: «لا تفهم حكمته»-، 8/ 152. إحياء علوم الدين، 3/ 116.

4)) الربض: وسط الشيء. ينظر: لسان العرب، مادة (ربض).

5 (?) إحياء علوم الدين، 1/ 47.

6 (?) وهي هند بنت أبي أمية- المعروفـة بـزاد الـراكب- القرشـية المخزوميـة، تزوجها النـبي- صـلى الله عليه وآله وسـلم- في السـنة الرابعة للهجـرة، كـانت قبله عليه السـلام عند أبي سـلمة بن عبد الأسد المخـزومي، هـاجرت إلى الحبشـة، ويقولـون: هي أول ظعينة دخلت المدينة، توفيت سنة 62هـ. ينظر: الاستيعاب، 4/ 1939. الأعلام للزركلي، 8/ 97.

7 (?) المعجم الكبير، 23/ 250.

8 (?) الصمت وآداب اللسان، 105.

9)) الدجن: المطر الكثير. ينظر: لسان العرب، مادة (دجن).

10 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 117.

وقال عمر بن عبدالعزيز: من جعل دِينه عرضة للخصومات أكثر التنقل[1]، وقال عليه السلام: «من كثر كذبه ذهب جماله، ومن لاحى الرجال سقطت مروءته، ومن كثر همه كثر سقمه، ومن ساء خلقه عذّب نفسه»[2]، وقال عمر- رضي الله عنه-: لا تعلم العلم لثلاث، ولا تتركه لثلاث، فلا تعلمه لتباهي به العلماء، ولتماري به، ولترائي به، ولا تتركه حياء من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه[3]، وقال بعضهم: إذا رأيت الرجل لجوجًا مماريًا معجبًا برأيه فقد تمت خسارته[4].

الآفة السادسة: السخرية والاستهزاء

وما هذا حاله، فهو محرم مهما كان مؤذيًا، قال الله تعالى: [illegible][5]، ومعنى **السخرية**: الاستهزاء والاستحقار والاستهانة، والتنبيه على العيوب على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة بالقول والفعل، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يكن غيبة.

وقال ابن عباس- رضي الله عنه- في قول الله تعالى: [illegible][6]. **الصغيرة**: التبسم بالاستهزاء بالمؤمن، و**الكبيرة**: القهقهة بذلك[7]، وهو إشارة إلى أن الضحك على الناس من الجرائم والذنوب، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة، فيقال: هلم هلم، فيجيء بكربه وغمه، فإذا جاء

---

[1] (?) موطأ مالك، 3/ 402.

[2] (?) شعب الإيمان، 6/ 342. من دون قوله: «من كثر كذبه ذهب جماله».

[3] (?) ورد القول لنبي الله لقمان عليه السلام. ينظر: سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق فواز أحمد، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، ط1، عام 1407هـ، بيروت، لبنان، 1/ 117.

[4] (?) القائل بلال بن سعد، قال الأوزاعي: سمعه منه. ينظر: حلية الأولياء، 5/ 228.

[5] (?) سورة الحجرات من الآية 11.

[6] (?) سورة الكهف من الآية 49.

[7] (?) ينظر: تفسير القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب،(ت)، القاهرة، مصر، 10/ 419.

أغلق دونه، ثم يفتح له باب آخر، فيقال له: هلم هلم فيجيء بكربه وغمه، فإذا جاء أغلق دونه، ولا يزال كذلك، حتى إن الرجل ليفتح له الباب، فيقال: هلم هلم فما يأتيه»[1]، وقال معاذ بن جبل - رضي الله عنه- قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «من عيّر أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله»[2]، وكل هذا يرجع إلى استحقار الغير، والضحك منه استهانة واستحقارًا واستصغارًا له، وقد نبّه الله على ذلك بقوله: ﴿[illegible]﴾[3].

الآفة السابعة: المواعيد الكاذبة

فإن اللسان سابق[4] إلى الوعد، ثم إن النفس لا تسمح بالوفاء، فيصير الوعد خلفًا، وذلك مكروه من أمارات النفاق، وقد قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «من علامات المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا استؤمن خان»[5]، وقال تعالى: ﴿[illegible]﴾[6]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «العدة عطية»[7]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الوأي[8] مثل الدَّين وأفضل»[9]، **الوأي**: الوعد، وأثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل- عليه السلام- فقال: ﴿[illegible]﴾[10]، فيقال: إنه وعد إنسانًا في موضع فلم يرجع، فبقي اثنين

---

1 (?) شعب الإيمان، 5/ 310.

2 (?) سنن الترمذي، 4/ 661.

3 (?) سورة الحجرات من الآية 11.

4 (?) في (د) سباق.

5 (?) صحيح البخاري، 1/ 21. بلفظ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان».

6 (?) سورة المائدة من الآية 1.

7 (?) مسند الشهاب، 1/ 39.

8)) الوأي: الوعد. ينظر: لسان العرب، مادة (وأي).

9 (?) الصمت وآداب اللسان، 230.

10 (?) سورة مريم من الآية 54.

وعشرين يومًا في انتظاره[1]، وعن عبدالله بن أبي الحمساء[2] قال: بايعت النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- فوعدتـه أني آتيـه في مكانـه، فنسـيت يـومي والغـد، فأتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه، فقال: «يا فتى شققت عليّ أنـا ههنـا منـذ ثلاث أنتظرك»[3]، وكان الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- إذا وعد وعدًا قـال: «عسى»[4]، وكان ابن مسعود- رضي الله عنه- إذا وعد وعدًا قـال: إن شـاء اللـه، وهو الأولى[5]، ثم إذا فهم مـع ذلـك الحـزم[6] في الوعـد فلا بـد من الوفـاء، إلا أن يتعذر، فإن كان عند الوعد عازمًا على أن لا يفي فهذا هو النفاق، وقد قـال صـلى الله عليه وآله وسلم: «ليس الخلف أن يعـد الرجـل وفي نيتـه أن يفي، وإذا وعـد الرجل الرجل أخاه وفي نيته أن يفي فلم يجد فلا إثم عليه»[7].

الآفة الثامنة: اللعن لحيوان أو جماد أو لإنسان

وذلك مذموم، قال الرسول- صلى الله عليـه وآلـه وسـلم- : «المـؤمن ليس بلعان، ولا طعان»[8]، وقـال عليـه السـلام: «لا تلاعنـوا بلعنـة الله، ولا بغضـبه، ولا بجهنم»[9]، وقال حذيفة[10]: ما تلاعن قوم قط إلا حقّ عليهم القول[11].

وقال عمران بن حصين[12]: بينا رسول الله- صلى الله عليه وآله وسـلم- في

---

1 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 132.

2 (?) وهو عبد الله بن أبي الحمسـاء العـامري من عـامر بن صعصـعة، قيـل: عـداده من البصريين، وقيل: سكن مكة، له صحبة. ينظر: أسد الغابة، عزّ الدين بن الأثير علي بن محمد الجزري، تحقيق عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، ط1، عام 1996م، بيروت، لبنان، 3/ 219. في (د) الحيساء، وفي (ك) الخنساء.

3 (?) سنن أبي داود، 4/ 299. بزيادة: «ببيع قبل أن يبعث».

4 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 133.

5 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 133.

6 (?) في (د) الجرم. {ولعله الأنسب}.

7 (?) سنن أبي داود، 4/ 299. الجامع لأخلاق الراوي، 2/ 60.

8 (?) مسند أحمد، 1/ 404.

9 (?) سنن أبي داود، 4/ 277. بلفظ: « لا تلاعنوا بلعنة الله، ولا بغضب الله، ولا بالنار».

10 (?) وهو حذيفة بن اليمان، واسم اليمـان حسـيل، حليف الأنصـار، من كبـار الصـحابة، وكـان يُعرف بصـاحب سـرّ الرسـول- صـلى الله عليه وآله وسـلم- شـهد نهاويـد، وحمل الراية بعد استشهاد النعمان بن مقرن، توفي سنة 36هـ. ينظر: الاستيعاب، 1/ 334، 335.

11 (?) شعب الإيمان، 4/ 295.

12 (?) وهو عمران بن حصـين بن عبيد بن خلف الخـزاعي، أسـلم يـوم خيـبر، كـان من فضـلاء

بعض أسفاره إذ امرأة من الأنصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «خذوا ما عليها فاعروها فإنها ملعونة»[1] قال: فكأني أرى تلك الناقة تمشي بين الناس لا يعرض لها أحد، وقال أبو الدرداء: ما لعن أحد الأرض إلا قالت: لعن الله أعصانا لربه[2]، وعن عائشة- رضي الله عنها- قالت: سمع رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- أبا بكر وهو يلعن بعض رقيقه، فالتفت إليه فقال: «-يا أبا بكر- ألعانين وصديقين، كلا ورب الكعبة ألعانين وصديقين، كلا ورب الكعبة مرتين أو ثلاثًا»، فأعتق أبو بكر يومئذ رقيقه، وجاء إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقال: لا أعود[3]، والصفات المقتضية للعن ثلاث: الكفر، والفسق، والبدعة، واللعن في كل واحد منها على ثلاث مراتب:

الأولى: اللعن بالوصف العام، كقوله: لعنة الله على الكفرة والفسقة وأهل البدعة.

الثانية: اللعن بوصف أخصّ منه، كقولك: لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس.

الثالثة: اللعن على الشخص المعين، كقولك: زيد لعنه الله، وهو كافر أو فاسق أو مبتدع، ورُوي أن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- كان يلعن في قنوته الذين قتلوا أصحاب بئر معونة شهرًا[4]، فنزل قوله تعالى: [illegible][5].

الآفة التاسعة: الخصومة

وهي أيضًا مذمومة، وهي وراء المراء والجدال، فالمراء: طعن في كلام الغير

الصحابة، وفقهائها، سكن البصرة، وتوفي بها سنة 52هـ. ينظر:الاستيعاب، 3/ 1208.

1 (?) صحيح مسلم، 4/ 2004. بلفظ: «خذوا ما عليها، ودعوها؛ فإنها ملعونة».

2 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 123.

3 (?) إحياء علوم الدين 3/123..

4 (?) سنن البيهقي الكبرى، 2/ 199.

5 (?) سورة آل عمران من الآية 128.

لإظهار خلل فيه، والجدال: عبارة عن أمر يتعلق بإظهار المـذاهب، وأمـا الخصـومة، فهي لحاح في الكلام ليستوفي بهـا مـالاً أو حقًّا مقصـودًا، وذلـك تـارة يكـون ابتـداء وتارة يكون اعتراضًا. والمراء لا يكون إلا اعتراضًا على كلام سابق.

قـالت عائشة- رضـي اللـه عنها-: قـال رسـول الله- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسلم-: «إن أبغض الرجال إلى اللـه تعـالى الألـد الخصـم»[1]، وقـال أبـو هريـرة: «من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سـخط اللـه حـتى يـنزع»[2]، وقـال بعض العلماء: إياك والخصومة فإنها تمحق الدين، ويقال: ما خاصـم قـط ورع في الدِّين[3]، وما ذكرناه من النهي عن الخصـومة فإنمـا يتنـاول المخاصـمة بالباطـل، والذي يخاصم بغير الحق، فأما من له حق فلا بـد لـه من الخصـومة ليحصـل على حقه، وإنما المقصود هو ما ذكرناه من الخصومات المحظورة التي لا فائدة لها ولا جدوى لها، والخصومة هي مبدأ لكل شرّ، وهكذا حال الجدال والمــراء، فينبغي أن لا يفتح بابهـا إلا لضـرورة، وإذا دعت الضـرورة إليهـا فينبغي أن يتحفـظ عن هـذه الغوائل، ويحرس لسـانه وقلبـه عن تبعـات الخصـومة من الغلّ والحقد، وأقلّ مـا يحصل من تبعات الخصومة هو فوات الكلم الطيب، ومـا ورد فيـه من الثنـاء على صاحبه، وقد قال تعالى: [illegible][4]، وقال ابن عباس: من سلّم عليك من خلق الله فسلّم، ولو كان مجوسـيًا[5]، فـإن اللـه تعـالى يقـول: [illegible][6]، وقال أيضًا: لو قال لي فرعون خيرًا لرددت عليه[7]، وقال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-: «إن في

---

[1] (?) صحيح البخاري، 2/ 867.
[2] (?) الصمت وآداب اللسان، 113.
[3] (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 119.
[4])) سورة البقرة من الآية 83.
[5] (?) مسند أبي يعلى، 3/ 100.
[6] (?) سورة النساء من الآية 86.
[7] (?) إحياء علوم الدين، 3/ 120.

الجنة لغرفًا يـرى باطنهـا من ظاهرهـا، وظاهرهـا من باطنهـا لمن أطعم الطعـام، وأطاب الكلام»[1]، وروي أن عيسى- صلوات الله عليه- مـرً بـه خـنزير فقـال: مر بسلام، فقالوا:- يا روح الله- تقول هـذا للخـنزير؟! فقـال: أكـره أن أعـود لسـاني الشرّ[2]، وقال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-: «الكلمة الطيبـة صـدقة»[3]، و[4]هذا كله في فضل الكلام الطيب، وتضاده الخصومة والمراء واللحاح والجـدال، فإنه الكلام المستكره الموحش المؤذي للقلب، المنغص للعيش، المهيج للغضـب، الموغر للصدور.

الآفة العاشرة: فضول الكلام، وإيراد الكلام فيما لا يعني

وغير ذلك من التقعر، والتشدق، وإظهار الفصاحة والتصـنع فيـه، وغـير ذلـك من الآفات العارضة فيه، واعلم أن أحسن أحوالـك أن تحفـظ ألفاظـك من جميـع الآفات التي ذكرناها، من الغيبة والنميمة، والكذب، والمراء، والنفـاق، وغـير ذلك، وتتكلم فيما هو مباح لا ضرر عليك فيـه ولا على مسـلم أصلاً، فإنـك مـتى تكلمت فيما أنت مستغن عنه ولا حاجة بك إليـه فـأنت بـه مضـيع زمانـك، وأنت محاسـب على عمل لسانك، ومستبدل[5] الأدنى بالذي هو خير؛ لأنك لو صـرفت كلامـك إلى التفكر ربما انفتح لك من نفحات رحمة الله تعالى ما يعظم جدواه، ولو هللت الله سبحانه وذكرته لكان خيرًا لك، فكم من كلمة يبنى بها لصـاحبها قصـر في الجنـة، وكم من كلمة يهوي بها صاحبها في النار، وقد قال صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «المؤمن كلامه ذكر، وصمته فكـر، ونظره عـبرة»[6]، وقـال عليـه السـلام : «من

---

1 (?) صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسـابوري، تحقيق د. محمد مصـطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، عام 1970م، بيروت، لبنان، 3/ 306. مع اختلاف في: «وألين الكلام».

2 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 120.

3 (?) صحيح البخاري، 3/ 1090.

4 (?) في (د،ك) الفاء بدلاً عن الواو.

5 (?) في (ك) تستبدل. وفي (د) زيادة: الذي هو.

6 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 112.

حسن إسلام المرء تركه مـا لا يعنيـه»[1]، واعلم أن فضـول الكلام لا تنحصـر، بـل المهم محصور في كتاب الله تعالى، حيث قال: [illegible] [illegible][2]، وقال صلى الله عليـه وآلـه وسـلم: «طـوبى لمن أنفـق الفضـل من مالـه، وأمسـك الفضـل من قولـه»[3]، فـانظر كيـف عكس النـاس الأمـر فيـه، فأمسـكوا الفضـل من المـال وأطلقوا الفضـل من الكلام، فهـذا مـا أردنـا ذكـره من المهم من آفـات اللسـان، ووراء ما ذكرناه أمور غير هذه، كالإفراط في الشعر، والغناء، والمزاح، وغير ذلـك فلا حاجة بنا إلى ذكرها، وهي مندرجة تحت فضول الكلام الذي أوردنـاه، وبتمامـه يتم الكلام في الحكمة التي أشار إليهـا الرسـول- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم-، وهي حكمة الصمت.

الحكمة الثانية: حسن الخلق

واعلم أن الأخلاق الحسنة هي صفة سيد المرسلين، وأفضل أعمـال الصـديقين، وهـو على التحقيـق شـطر الدّيِن، وهـو ثمـرة مجاهـدة المتقين ورياضـة المتعبـدين، والأخلاق السـيئة هي السـموم القاتلـة، والمهلكـات الدامغة[4]، والمخـازي الفاضـحة، والرذائـل الواضـحة، والخبـائث المبعدة من رضا رب العالمين المنخرطة بصـاحبها في سـلك الشـيطان اللعين، وهي الأبـواب المفتوحـة إلى نـار اللـه الموقـدة الـتي تطلـع على الأفئـدة، كمـا أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الملك المنان، فنذكر الكلام أولاً في ماهية حسن الخلق وسوء الخلق، ثم نـذكر فضـيلته، ثم نـذكر علامـات

---

1 (?) سنن الترمذي، 4/ 558.
2 (?) سورة النساء من الآية 114.
3 (?) حلية الأولياء، 3/ 203.
4)) في (د،ك) الدافعة. {والمناسب: الدامغة}.

حسن الخلق وضده، ثم نذكر الأسباب التي يُنال بها حسن الخلق، فهذه مراتب أربع نذكر ما يتعلق لكل واحدة منها بمعونة الله تعالى.

المرتبة الأولى: في بيان ماهية حسن الخلق وسوء الخلق

اعلم[1] أن العلماء قد ذكروا في ذلك أقوالاً كثيرة، كلها تعرض للثمرة دون المعنى، فقال بعضهم: حسن الخلق بسط الوجه، وبذل الندى، وكفّ الأذى[2]، وقال آخرون: هو أن لا تخاصم أحدًا ولا يخاصم[3] أحد من شدة معرفة الله تعالى، وصار صائرون إلى أنه: كفّ الأذى، واحتمال المؤن، وحُكي عن بعضهم في حسن الخلق أن يكون من الناس قريبًا وفيما بينهم غريبًا، وعن بعضهم: إرضاء الخلق في السراء والضراء، وعن بعضهم : الخلق الحسن أدناه الاحتمال، وترك المكافأة، والرحمة للظالم، والاستغفار له، والشفقة عليه، وحُكي عن أمير المؤمنين أنه قال: حسن الخلق ثلاث: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسيع على العيال[4]، وعن بعضهم: هو أن لا يكون بك هِمّة إلى غير الله تعالى، وعن آخرين: هو أن لا تتهم مولاك في الرزق، وتثق به, وتسكن إليه، وتصدق بالوفاء بما ضمن لك[5]، وتطيعه، فهذه الأقاويل كلها إنما هي تعرض لفوائد الخلق الحسن وثمراته، لا لبيان ماهيته وإظهار حقيقته، واعلم أن الإنسان مركب من الخَلْق والخُلِق: فالخَلق هو هذه الصورة المكرمة التي أشار إليه الله تعالى: [illegible][6] أراد بها الصورة المركبة على[7] التقويم الحسن المعجب، وأما **الخُلق الحسن**، فهو عبارة عن هيئة راسخة تصدر عنها الأفعال المحمودة بسهولة ويسر

---

[1] (?) في (د) زيادة الواو.
[2] (?) القائل: الحسن البصري. ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 52، 53.
[3] (?) في (ك) يخاصمك.
[4] (?) إحياء علوم الدين، 3/ 53. في (د) سقط: على العيال.
[5] (?) في (د) سقط: لك.
[6] (?) سورة التين الآية 4.
[7] (?) في (د،ك) زيادة: هذا.

من غير حاجة إلى فكرة ورؤية، فمتى كانت الهيئة صادرة عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعًا سميت هذه الهيئة خلقًا حسنًا، وإن كانت الصادرة عنها الأفعال المذمومة عقلاً وشرعًا فهي الخلق السيء، وإنما قلنا بأنها هيئة راسخة؛ لأن من يصدر عنه السخاء والجود في بذل المال على الندور لحالة عارضة، فإنه لا يقال: إن خلقه السخاء والجود مالم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وتسهيل، إنما شرطنا أن تكون الأفعال صادرة عنه بسهولة وتيسير من غير تكلف؛ لأن من تكلف بذل المال، والسكوت عند الغضب لجهد ومشقة، فإنه لا يقال: خلقه السخاء والحلم، فههنا أمور أربعة: **أولها**: فعل الجميل والقبيح، **وثانيها**: القدرة عليهما[1]، **وثالثها**: المعرفة بهما، **ورابعها**: هيئة النفس التي تميل إلى أحد الجانبين، ويتيسر عليها أحد الأمرين، وليس الخلق عبارة عن الفعل، فربّ شخص خلقه السخاء، ولم يبذل درهمًا واحدًا، إما لفقد المال، وإما لعارض، ورب شخص يكون خلقه البخل وهو يبذل المال، إما لباعث، وإما للرياء والسمعة، فالرسوخ في النفس هو الأصل: إما إلى الفعل الجميل فيكون خلقًا حسنًا، وإما إلى فعل القبيح، فيكون خلقًا سيئًا، فهذا شرح ماهيتهما.

المرتبة الثانية: في فضيلة الخلق الحسن ومذمة سوء الخلق

قال الله تعالى لنبيه وخيرته على خلقه: ﴿ [illegible] ﴾[2] قالت عائشة- رضي الله عنها-: كان رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- خلقه القرآن[3]، وسأله صلى الله عليه وآله وسلم رجل عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[4]، ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم مفسرًا لها: «هو أن تصل من قطعك، وتُعطي من

---

[1])) في (د) عليها. {ولعل المناسب: عليهما}.
[2] (?) سورة القلم الآية 4.
[3] (?) مسند أحمد، 6/ 91.
[4] (?) سورة الأعراف الآية 199.

حرمك، وتعفو عمّن ظلمك، وتُحسن إلى من أساء إليك»[1]، وقال عليه السلام: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[2]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن»[3].

وجاء رجل إلى الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- من بين يديه، فقال:- يا رسول الله- ما الدِّين؟ قال: «حُسن الخلق»، ثم أتاه من قبل يمينه فقال: ما الدِّين؟ قال: «حُسن الخلق»، ثم أتاه من قبل شماله فقال له: ما الدِّين؟ قال: «حُسن الخلق»، ثم أتاه من تلقاء وجهه فقال: ما الدِّين؟ قال: «حُسن الخلق»، ثم أتاه من ورائه فقال: ما الدِّين؟ فالتفت إليه فقال: «أما تفقه هو أن لا تغضب»[4]، وقيل:- يا رسول الله- ما الشؤم؟ قال: «سوء الخلق»[5].

وقال رجل:- يا رسول الله- أوصني، فقال: «اتق الله حيث كنت»، قال: زدني. قال: «أتبع السيئة الحسنة تمحها»، قال: زدني، قال: «خالق الناس بخلق حسن»[6]، وسئل رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: أيّ الأعمال أفضل؟ فقال: «حسن الخلق»[7]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما حسن الله خَلْق امرئ وخُلقه فتطعمه النار»[8]، وقيل لرسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- : إن فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل، وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها، فقال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «لا خير فيها هي من أهل النار»[9]،

---

1 (?) ينظر: الكشاف للزمخشري، 2/179.
2 (?) سنن البيهقي الكبرى، 10/ 191. ويبدأ الحديث بـ «إنما».
3 (?) صحيح ابن حبان، 2/ 230.
4 (?) تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، تحقيق د. عبد الرحمن عبد الجبار، مكتبة الدار، ط1، عام 1406هـ، المدينة، المملكة السعودية، 2/ 864.
5 (?) سنن أبي داود، 4/ 341.
6 (?) مسند أحمد، 5/ 236.
7 (?) المعجم الكبير، 1/ 180.
8 (?) المعجم الأوسط، 7/ 37.
9 (?) المستدرك على الصحيحين، 4/ 184.

وقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: «أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق السخاء، ولمّا خلـق الله- عزّ وجلّ- الإيمـان قـال: اللهم قوني، فقواه بحسن الخلق والسخاء، ولمّا خلق الله الكفر قال: اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق»[1].

وقال رسول الله- صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- : «إن اللـه اسـتخلص هـذا الدِّين لنفسه، ولا يصلح لدينكم هـذا إلا السـخاء وحسـن الخلـق، ألا فزينـوا دينكم بهما»[2]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «حسن الخلق خلق اللــه الأعظم»[3]، وقيل:- يا رسول الله- أيّ المؤمنين أفضل إيمانًا؟ قال: «أحسنهم خلقًا»[4]، وقـال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنكم لن تسـعوا النـاس بـأموالكم فسـعوهم ببسـط الوجه، وحسن الخلق»[5]، وقال عليه السـلام : «سـوء الخلـق يفسـد العمـل كمـا يفسد الخل العسل»[6]، وعن جرير بن عبدالله[7] قال لي رسول الله- صـلى اللـه عليه وآله وسلم-: «إنك امرؤ قد حسن الله خَلقك فأحسن خُلقك»[8]، وعن البراء بن عازب[9] : كان رسول الله- صلى الله عليه وآله وسـلم- أحسـن النـاس وجهًـا،

---

1 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 50.

2 (?) المعجم الكبير، 18/ 159.

3 (?) المعجم الأوسط، 8/ 184.

4 (?) سنن ابن ماجة، 2/ 1423.

5 (?) مصـنف ابن أبي شـيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شـيبة الكـوفي، تحقيق كمـال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط1، عام 1409هـ، الرياض، المملكة السعودية، 5/ 212.

6 (?) مسـند عبد بن حميـد، عبد بن حميد بن نصر الكسـي، تحقيق صـبحي البـدري، محمـود الصعيدي، مكتبة السنة، ط1، عام 1988م، القاهرة، مصر، 255.

7 (?) وهو جرير بن عبد الله البجلي، أسلم في السنة التي قبض فيها النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- نزل الكوفة، وتوفي بالسراة في ولاية الضحـاك بن قيس على الكوفـة، وذلك بعد ولاية زياد بن أبيه بسنتين ونصف. ينظر: طبقات ابن سعد، 6/ 22.

8 (?) المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها، محمد بن جعفر بن سهل الخـرائطي، تحقيق أحمد محمد السلقي الأصبهاني، دار الفكر، عام 1986م، دمشق، سوريا، 27.

9 (?) وهو البراء بن عازب بن الحارث بن عـدي الخـزرجي الأنصـاري، كـان ممّن استصـغرهم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يوم بدر، شـهد الخنـدق، وشـهد مع علي- كـرم الله وجهه- الجمل وصفين والنهروان، ثم نزل الكوفة، وتوفي بها أيام مصـعب بن الزبـير. ينظـر: الاستيعاب، 1/ 155- 157.

وأحسنهم خلقًا[1].

وعن أبي مسعود البدري[2]: كان رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يدعو: «اللهم كما حسنت خَلقي فحسن خُلُقي»[3]، وعن ابن عمر، كان رسـول الله- صـلى الله عليه وآله وسلم- يكثر الدعاء يقول: «اللهم إني أسألك الصـحة والعافيـة وحسـن الخلق»[4]، وعن أبي هريرة عن النبي- صلى الله عليه وآله وسـلم- أنـه قـال: «كـرم المرء دينه، ومروءته عقله، وحسبه خلقه»[5]، وعن أسامة بن شريك[6] قـال: شـهدتُ الأعراب يسألون رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، يقولون: ما خير مـا أعطي العبد؟ قال: «حسن الخلق»[7].

قال عليه السلام: «ثلاث من لم يكن فيـه أو واحـدة منهن فلا يعتـدنَّ بشـيء من عمله: تقوى تحجزه عن معاصي الله، أو حلم يكف به السفيه، أو خلـق يعيش به في الناس»[8]، وكان من دعائه صلى الله عليه وآله وسلم في افتتـاح الصـلاة: «اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهـدي لأحسـنها إلا أنت، واصـرف عـني سـيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت»[9]، وقـال أنس بن مالـك: بينـا نحن مـع رسـول اللـه- صلى الله عليه وآله وسلم- إذ قال: «إن حسن الخلق يـذيب الخطيئـة كمـا تـذيب الشمس الجليد»[10]، وقال صلى الله عليه وآلـه وسـلم لأبي ذر[11]: يـا أبـا ذر: «لا

1 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 50.

2 (?) وهو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي البدري الأنصاري، صحابي شهد العقبة، اسـتخلفه علي- كرم الله وجهه- على الكوفة لما سار إلى صفين، توفي سنة 40هـ. ينظر: الاستيعاب، 3/ 1074، 1075. الأعلام للزركلي، 4/ 240، 241.

3 (?) صحيح ابن حبان، 3/ 239. بلفظ: «اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي».

4 (?) ينظر: مجمع الزوائد، 10/ 173.

5 (?) صحيح ابن حبان، 2/ 233.

6 (?) وهو أسامة بن شـريك الـذبياني، له صـحبة وروايـة، روى له البخـاري ومسـلم وأبو داود والترمذي، توفي في حدود السبعين للهجرة. ينظر: الوافي بالوفيات، 8/ 243.

7 (?) سنن البيهقي الكبرى، 10/ 246.

8 (?) المعجم الكبير، 23/ 307.

9 (?) مسند أحمد، 1/ 102.

10 (?) المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق،31.

11 (?) اختلف في اسم أبي ذر، والأصح: جندب بن جنادة الغفـاري، من كبـار الصـحابة، خـامس

عقـل كالتـدبير، ولا حسـب كحسـن الخلـق»[1]، وعن أنس بن مالـك قـالت أم حبيبة[2]:- يا رسول الله- أرأيت المرأة ربّما يكـون لهـا زوجـان في الـدنيا وتمـوت ويموتان ويدخلان الجنة لأيهما؟ قال: «لأحسنهما خلقًا كان عندها في الدنيا؛- يا أم حبيبة- ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة»[3].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن المسلم المسدد ليدرك بحسن الخلـق درجة الصـائم القـائم»[4]، وفي روايـة أخـرى: «درجـة الظمـآن القـائم»[5]، وقـال عبدالرحمن بن سمرة[6]: كنّا عند الرسول- صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- فقـال: «إني رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلاً جاثيًـا على ركبتيـه وبينـه وبين اللـه حجـاب، فجاء حسن الخلق فأدخله على الله»[7]، وقال أنس بن مالك، قال الرسول- صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم-: «إن العبـد ليبلـغ بحسـن خلقـه عظيم درجـات الآخـرة، وشرف المنازل، وإنه لضعيف العبادة»[8].

ورُوي أن عمر استأذن على الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- وعنده نسـاء من نساء قريش يكلمنـه، عاليـة أصـواتهن على صـوته، فلمـا اسـتأذن عمـر تبـادرن الحجاب، ودخل عمر ورسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يضحك، فقـال عمـر: أضحك الله سنك، بأبي وأمي أنت- يا رسـول الله- ممَّ تضـحك؟ فقـال رسـول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي لما سـمعن صـوتك

من أسلم، توفي بالربذة سنة 31هـ، وقيل: 32هـ. ينظر: الاستيعاب، 4/ 1652- 1655.

1 (?) سنن ابن ماجة، 2/ 1410.

2 (?) وهي رملة بنت أبي سـفيان بن حـرب، تـزوجت عبيد الله بن جحش، وهـاجرت معه إلى الحبشة في الهجرة الثانية وتنصّر زوجها، فتزوجها النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- تـوفيت سنة 44هـ. ينظر: طبقات ابن سعد، 8/ 96- 100.

3 (?) المعجم الكبير، 23/ 222.

4 (?) مسند أحمد، 6/ 133. بلفظ: «إن الرجل ليدرك بحسن الخلق درجة الصائم القائم».

5 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 51.

6 (?) وهو عبد الـرحمن بن سـمرة بن حـبيب بن عبد شـمس بن منـاف القرشي العبشـمي، أسلم يوم فتح مكة، توفي سنة 51هـ. ينظر: الاستيعاب، 2/ 835.

7 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 51.

8 (?) المعجم الكبير، 1/ 260.

تبادرن الحجاب». قال عمر: فأنت كنت أحق أن يهبن- يا رسول الله-، ثم أقبل عليهن عمر فقال: أيّ عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-؟ قلن: نعم، أنت أغلظ، وأفظّ من رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، فقال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «إيهًا يابن الخطاب ما لقيك الشيطان قط سالكًا فجًا إلا سلك غير فجك»[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «سوء الخلق ذنب لا يغفر»[2]، وقال عليه السلام: «إن العبد ليبلغ بسوء خلقه أسفل درك في جهنم»[3]، وللخلق الحسن فضل عظيم، ونقتصر منه على هذا القدر.

المرتبة الثالثة: في علامات حسن الخلق وسوء الخلق

اعلم أن حسن الخلق هو الإيمان، وسوء الخلق هو النفاق، وقد ذكر الله تعالى صفات المؤمنين والمنافقين، وهي بجملتها ثمرة الخلق، وسوء[4] الخلق، ونحن نورد جملة من ذلك، ليعلم به حسن الخلق وحده، فقد قال تعالى: [illegible][5]... إلى قوله تعالى: [illegible][6]، وقال تعالى: [illegible][7]... إلى قوله: [illegible][8]، وقال: [illegible][9]...إلى قوله: [illegible][10]، وهكذا قوله تعالى: [illegible]

---

1 (?) صحيح البخاري، 3/ 1199.

2 (?) المعجم الصغير(الروض الداني)، 1/ـ 333. بلفظ: «ما من شيء إلا له توبة إلا صاحب سوء الخلق، فإنه لا يتوب من ذنب إلا عاد في شر منه»ـ.

3 (?) المعجم الكبير، 1/ 260.

4 (?) في (د) حسن. {والمناسب: حسن}ـ.

5 (?) سورة المؤمنون الآيتان 1، 2.

6 (?) السورة نفسها من الآية 10.

7 (?) سورة التوبة من الآية 112.

8 (?) السورة نفسها ومن الآية نفسها.

9 (?) سورة الأنفال من الآية 2.

10 (?) السورة نفسها من الآية 4، 74. {وأراد المصنف الإشارة إلى الآية 4 ويُستبعد أن يكون

[illegible][1] ... إلى آخر السورة، فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات، فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق، وفقْد جميعها علامة لسوء الخلق، ووجود بعضها دون البعض يدل على البعض دون البعض، فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده.

ووصف الرسول- الله صلى الله عليه وآله وسلم- المؤمنين بصفات كثيرة، وأشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق، فقال: «المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[2]، وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[3]، وذكر أن صفات الإيمان هي حسن الخلق، فقال: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»[4]، وقال عليه السلام: «إذا رأيتم المؤمن صموتًا وقورًا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة»[5]، وقال: «من سرته حسنته، وساءته سيئته، فهو مؤمن»[6]، وقال: «لا يحل لمؤمن أن يشد إلى أخيه بنظرة تؤذيه»[7]، وقال: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا»[8].

وجمع بعضهم علامات حسن الخلق، فقال: أن يكون كثير الحياء، قليل الأذى، كثير الصلاح، قليل الفساد، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزلل، قليل الفضول، بَرّ، وصول، وقور، صبور، رضيّ، شكور، حليم، رقيق، عفيف، شفيق،

المراد الآية 74 لورود آيات في غير المؤمنين بينها وبين الآية 2}.

1 (?) سورة الفرقان من الآية 63.

2 (?) صحيح البخاري، 1/ 14. بلفظ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

3 (?) نفسه، 5/ 2240. وفي (د) سقط: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

4 (?) سنن أبي داود، 4/ 220.

5 (?) سنن ابن ماجة، 2/ـ 1373. بلفظ: «إذا رأيتم الرجل قد أعطي زهدًا في الدنيا، وقلة منطق؛ فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة»ـ إحياء علوم الدين، 3/ 110.

6 (?) المعجم الأوسط، 7/ 193.

7 (?) الزهد لابن المبارك، 240.

8 (?) مسند أحمد، 5/ 362.

لا لعان، ولا سباب، ولا نمام، ولا مغتاب، ولا عجـول، ولا حقـود، ولا بخيـل، ولا حسـود، هشاش، بشاش، يحب في الله، ويبغض في الله، ويرضى لله، ويغضب لله، فهـذا هـو حسن الخلق.

وأما سوء الخلق، فقد سـئل عليـه السـلام عن علامـات المـؤمن والمنـافق، فقال: «إن المؤمن همته في الصـلاة والصـيام والعبـادة، والمنـافق همـه الطعـام والشراب كالبهيمة»[1]، وقال بعضهم: المؤمن مشغول بالفكر والعمـل، والمنـافق مشغول بالحرص والعمل[2]، والمـؤمن آيس من كـل أحـد إلا من اللـه، والمنـافق راجٍ لكل أحد إلا لله[3]، والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله، والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله تعالى، والمؤمن يقـدم مالـه دون دِينـه، والمنـافق يقـدم دِينـه دون مالـه، والمـؤمن يخشـى ويتقي، والمنـافق يسـيء ويضـحك، والمـؤمن يحب الوحدة والخلاء، والمنافق يحب الخلطة والملأ، والمـؤمن يـزرع ويخشـى الفسـاد، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد، والمؤمن يـأمر وينهى للسياسـة فيصـلح، والمنـافق يـأمر وينهى للرئاسـة فيفسـد، وأحـق مـا يمتحن بـه الخلـق الصـبر على الأذى، واحتمال الجفاء، ومن شكا من سوء خلق غيره فدل على سـوء خلـق نفسـه؛ لأن من حسن الخلق احتمال الأذى.

وقد رُوي أن الرسول- صلى الله عليه وآله وسـلم- كـان يمشـي ومعـه أنس بن مالـك فأدركـه أعـرابي فجذبـه جـذبًا شـديدًا، وكـان عليـه بُـرد نجـراني غليـظ الحاشية. قـال أنس: حـتى نظـرت إلى عنـق رسـول الله- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسلم- قد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه، ثم قال :- يا محمد- مُرْ لي من

---

[1] (?) إحياء علوم الدين، 3/ 70.
[2] (?) في (د،ك) الأمل. {ولعل الأنسب: الأمل}.
[3])) في (د،ك) الله.

مال الله الذي عندك، فالتفت إليـه رسـول الله، فضـحك، ثم أمـر بعطائه[1]، ولمّـا أكثر الكفار عليه الأذى قال: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»[2]، فلهـذا قـال الله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[3].

ورُوي أن علي بن موسى الرضا[4] كان يميـل خَلقـه إلى الخُضـرة والسـواد لمـا كانت أمه جارية سوداء، وكان في نيسـابور[5] على بـاب داره حمـام، وكـان إذا دخـل الحمام فُرغ له، فدخل ذات يـوم، فـأطبق الحمـامي بـاب الحمـام ومضـى إلى بعض حوائجه فقدم إنسان رستاقي إلى بـاب الحمـام، ودخـل ونـزع ثيابـه فـدخل الحمـام، فرأى علي بن موسى الرضـا فظن أنـه بعض خـدم الحمـام، فقـال: قم، فاحمـل إليّ الماء، فقام علي بن موسى، وامتثل جميع ما كان يأمره، فرجع الحمامي، فرأى ثياب الرستاقي، وسمع كلامه مع علي بن موسـى، وسـأل عن الحمـامي، فخـاف وهـرب، وخلاهما، فلما خرج علي بن موسى وسأل عنه، فقيـل: إن الحمـامي خـاف وهـرب، فقال: لا ينبغي له أن يهرب، إنما الذنب على من وضع ماءه في أمة سوداء[6]. هذا ما أردنا ذكره في هذا المقالات.

المرتبة الرابعة: في بيان الأسباب التي ينال بها حسن الخلق

قد أشرنا فيما سبق إلى أن حسن الخلق حقيقـة آيلـة إلى هيئـة راسـخة في

---

1 (?) صحيح البخاري، 3/ 1148.

2 (?) نفسه، 3/ 1282.

3 (?) سورة القلم الآية 4.

4 (?) وهو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسـين بن علي، ثـامن الأئمة عند الإمامية، كان سيد بني هاشم في زمانه، ولد بالمدينة، أحبّه المـأمون فعهد إليه بالخلافة من بعده، توفي في حياة المأمون بطـوس، فدفنه إلى جـانب أبيه الرشـيد سـنة 203هـ ينظـر: الوافي بالوفيات، 22/ 154. الأعلام للزركلي، 5/ 26.

5)) نيسـابور من بلاد خراسـان، فتحها عبد الله بن عـامر في خلافة عثمـان- رضي الله عنـه- وذلك سنة ثلاثين للهجرة. ينظـر: الـروض المعطـار في خـبر الأقطـار، محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، عام 1980م، بيروت، لبنـان، 588.

6 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 71.

النفس تصدر عنها الأفعال المحمودة بسهولة، وهذه الهيئة لها حالتان[1]:

[2]**الأولى**: أن يكون حاصله بجود إلهي، وكمال من جهة الله تعالى، بحيث يخلق الإنسان، ويولد كامل العقل، حسن الخلق، قد كفي غلبة سلطان الشهوة، بل خلقنا منقادين للعقل والشرع، فيصير عالمًا بغير معلم، وأديبًا بغير مؤدب، وهذا كعيسى- صلوات الله عليه-، ويحيى بن زكريا، وهكذا سائر الأنبياء صلوات الله عليهم.

الحالة الثانية: أن تحصل هذه الهيئة بالاكتساب والرياضة والمجاهدة، فرُبّ صبي يخلق صادق اللجهة، سخيًّا، جريًّا، وربّما خلق بخلاف ذلك، فيحصل ذلك بالتعود ومخالطة المتخلقين بهذه الأخلاق، ونعني بالتعود: هو حمل النفس على هذه الأخلاق التي يقتضيها الخلق المطلوب، فمن أراد مثلاً أن يحصل له خلق الجود، فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجود، وهو بذل المال، فلا يزال يواظب عليه تكلفًا مجاهدًا لنفسه حتى يصير ذلك له طبعًا، ويتيسر عليه فعله فيصير جوادًا، وهكذا من أراد خلق التواضع، وقد غلب عليه التكبر، فطريقه أن يواظب على تعاطي أفعال المتواضعين مدة مديدة، وهو فيها يجاهد نفسه، ويتكلف حتى يصير ذلك كله[3] خلقًا وطبعًا، ويتيسر له جميع الأفعال المحمودة شرعًا بهذا الطريق الذي أشرنا إليها، وقد تمّ غرضنا من شرح الحديث الذي أشار فيه النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- إلى هذه الأسرار اللطيفة، والحمد لله رب العالمين.

---

1 (?) في (د،ك) زيادة: في الحصول.
2 (?) في (د،ك) زيادة: الحالة.
3 (?) في (د،ك) له.

الحديث الخامس عشر

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- خُطْبَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ منهَا الْقُلُوبُ، فَكَانَ مِمَّا حَفِظْتُ مِنْهَا: «**أَيُّهَا النَّاس إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ رِفْعَةٍ، وَزَهَدَ عَنْ غُنْيَةٍ، وَأَنْصَفَ عَنْ قُوَّةٍ، وَحَلُمَ عَنْ قُدْرَةٍ، أَلاَ وَإِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عَبْدٌ أَخَذَ مِنَ الدُّنْيَا الْكَفَافَ، وَصَاحَبَ فِيهَا الْعَفَافَ، وَتَزَوَّدَ لِلرَّحِيلِ، وَتَأَهَّبَ لِلْمَسِيرِ، أَلاَ وَإِنَّ أَعْقَلَ النَّاسِ عَبْدٌ عَرَفَ رَبَّهُ فَأَطَاعَهُ، وَعَرَفَ عَدَوَّهُ فَعَصَاهُ، وَعَرَفَ دَارَ إقَامِتِهِ فَأَصْلَحَهَا، وَعَلِمَ سُرْعَةَ رِحْلَتِهِ فَتَزَوَّدَ لَهَا، أَلاَ وَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا صَحِبَهُ التَّقْوَى، وَخَيْرَ الْعَمَلِ مَا تَقَدَّمَتْهُ النِّيَّةُ، وَأَعْلَى النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ أَخْوَفُهُمْ مِنْهُ**»[1].

فنقول: الحمد لله العلام الحكيم، الذي تتحير دون إدراك معرفته القلوب والخواطر، وتدهش في مبادئ إشراق نوره الأحداق والنواظر، المطلع على خفيات السرائر، العالم بمكونات الضمائر، المستغني في تدبير ملكه عن الوزير والمشاور، الذي صرف الأمور بتدبيره، وعدل تركيب الخلق فأحسن في تصويره، وزيّن صورة الإنسان بحسن تقويمه وتقديره، وفوض[2] فعل الطاعات إلى اجتهاد العبد وتشميره ، واستحثه على تأديتها بتخويفه وتحذيره، وسهل على خواص عباده الانكفاف عن المعاصي بتوفيقه وتيسيره، ولطف لهم بأنواع الألطاف الإلهية في الانقياد لأمره بتسهيل عسيره، وامتن عليهم بما عرضهم له من الدرجات العالية من عظيم الثواب وخطيره، ففازوا بجواره في حظائر قدسه، ونجوا ممّا أعدّ لأعدائه من أليم عذابه وسعيره.

---

1 (?) الأربعون حديثًا السيلقية، 26.

2 (?) في (د،م) فرض. {ولعل المناسب: فوض}.

والصلاة على محمد نبيه وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره، الذي لاحت أنوار النبوة، وإشراق الرسالة من أساريره، وانكشفت حقيقة الحق من مخائله وتباشيره، وعلى آله الطيبين الذين أظهروا وجه الإسلام عن ظلمة الكفر وحندسه ودياجيره، وحسموا سواد الباطل فلم يتدنسوا بشيء من قليله وكثيره.

واعلم أن ما ذكره صلى الله عليه وآله وسلم يشتمل على النظر في أمور ثلاثة، تأتي على المقصود من عجائبه وأسراره.

النظر الأول: في بيان ما اشتمل عليه من العلوم الأدبية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في بيان ما تضمنه من الألفاظ اللغوية

فالأفضل: هو الأشرف والأعلى، و**التواضع**: هو نقيض الترفع والتكبر، و**الرفعة**: هي العلو والشرف، **والزهد في الدنيا**: هو نقيض الرغبة فيها، **والإنصاف**: هو الانقياد للحقوق طوعًا، و**القوة**: هي نقيض الضعف، و**الحلم**: نقيض السّفه والخفّة، وهو صبر مخصوص في مقابلة سفه السفهاء وبغي البُطر[1]، و**القدرة**: هي التمكن من الفعل.

العفاف والكفاف؛ فأما **العفاف**: فهو التحفظ عن الأمر الذي يخاف بمواقعته مواقعة القبيح، يقال: عَفَّ يعف إذا ملك نفسه، وأكثر ما يستعمل مجازًا على وجه الاستعارة في الإزار[2]، وأما **الكفاف**: فهو عبارة عن القدر المساوي للحاجة وسدّ الفاقة من غير زيادة، و**المصاحبة**: الملازمة، وسُمي الصاحب صاحبًا لملازمته لمن صاحبه، و**التزود**: رمّ الزاد وإصلاحه للسفر، وسُمي المزود

---

[1] (?) في (ك،م) البطراء.

[2] (?) في (د) الإزراء. {والمناسب: الإزار}.

مزودًا؛ لأنّ زاد المسافر يكون فيه، و**الرحيل** نقيض الحلول، و**التأهب**: إعداد الأهبة، وهي الزانة والعدة، واشتقاقه من الإهاب، وهي شيء من الجلود يترك فيه الإنسان ما يحتاج إليه في السفر، و**الجلد**: إهاب ما لم يدبغ، فإذا دبغ فهو أديم.

الأعقل: الزائد على الناس في العقل والتمييز، و**العبد**: هو المملوك الذليل الخاضع، واشتقاقه من قولهم: طريق معبد أيْ: مذلل بالسلوك كثيرًا، و**المعرفة**: نقيض الجهل، و**الطاعة**: نقيض المعصية، و**العدو**: هو المجانب، ومنه العدوة، وهي جانب الوادي؛ لأن العدوين كل واحد منهما في جانب عن صاحبه.

المعرفة: نقيض الإنكار. **الدار**: هي المحاط عليها بالسور والأبنية، و**الإقامة**: نقيض الرحلة، و**الرحلة**: نقيض الإقامة، و**التزود** أهبة[1] الزاد وإصلاح حاله. **الزاد**: ما يأخذه المسافر ويستصحبه لسفره، و**خيار الشيء**: أقصاه وأعلاه، و**المصاحبة**: المقارنة، و**التقوى**: هي الوقاية، و**خير العمل**: أفضله وأعلاه[2]. **المتقدم**: هو السابق، و**النية**: هي الإرادة المقارنة للفعل، وهي المخالفة للعزم لما كان سابقًا للفعل. **ذرفان العيون**: هو سيلانها بالدموع، **ووجل القلوب**: هو خوفها ورعبها، وهذا كله من كلام ابن عمر، وليس من كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

المطلب الثاني: في بيان ما اشتمل عليه من العلوم الإعرابية

فقوله: «**إنَّ أفضل الناس**» فـ «**أفضل**» منصوب بـ «**إنَّ**» المؤكدة، و«**الناس**» مجرور بإضافة أفعل التفضيل، وله في الاستعمال وجوه ثلاثة: إما

---

1 (?) في (ك،م) تهيئة. {ولعله الأنسب}.

2 (?) في (د) سقط: والمصاحبة: المقارنة، والتقوى: هي الوقاية، وخير العمل أفضله وأعلاه. {وهو سقط مخلّ ولعل سبب السقط تكرر لفظه: أعلاه، ممّا يوهم أنه تم نسخه}.

الإضافة كما ورد هاهنا، والإضافة فيه لفظيـة، كإضـافة الصـفة المشـبهة في نحـو قولك: مررت برجل طاهر الذيل، وعفيف اليـد، وتحتمـل أن تكـون معنويـة؛ لأنهـا تفيد التخصيص كقولك: غلام رجل؛ لأنَّ أفعل التفضـيل غـير عامـل في معمـول لا رفعًا ولا نصبًا، بخلاف الصفة المشبهة، فهي عاملـة للرفـع في فاعلها[1]، والنصـب في شبه المفعول، فلا جرم كانت إضافة معنويـة، فافترقا، وإمـا بـــ (اللام) في[2] قولك: مررت بالأفضل والأكرم، وإما بـ (من) في نحو قولك: مررت برجل أفضــل منك، فهذه كلها استعمالات أفعل التفضيل، لا يخرج عنها بحال.

«**من**» فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون موصولة في موضع رفع خبرًا لـ «**إنَّ**».

و**ثانيهما**: أن تكون نكرة موصوفة بالجملة الفعلية بعدها، كأنه قـال: أفضـل الناس رجل تواضع عن رفعة، الجار والمجرور متعلق بالفعل قبله، و«**عن**» هاهنـا وقعت أحسن موقع للمجـاوزة، فـأراد من جـاوز الرفعـة وأعـرض عنها، و«**زهد**» جملـــة فعلية، و«**عن غنية**» هي للمجـــاوزة أيضًـــا، وقولـــه: «**غنية**» و«**رفعة**» مصدران من الفعل الثلاثي، وهكذا قوله: «**أنصـف عن قـوة**» أيْ: جـاوز القـوة وانحط عنها، و«**حلم عن قدرة**» فهي كلها مصادر للثلاثي، ومصادر الفعل كثيرة واســعة، وقــد ضــبطها (الزمخشــري)[3] مفصــلة بــاثنين وثلاثين بنــاءً، وزاد غــير (سيبويه) ثلاثة أبنية[4]، وطريقها السماع اللغوي.

«**ألا**» هاهنا للتنبيه. «**إن**»[5] حرف مؤكـد يعمـل النصـب في أفعل، و«**عبد**»

---

1 (?) في (د،م) عاملها.

2 (?) في (د،م) زيادة:نحو.

3 (?) وهو محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، كان إمامًا في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم، كبـير الفضـل، ولد بزمخشر من أعمـال خـوارزم، سـنة 468هـ، وتـوفي سـنة 538هـ. ينظر: معجم الأدباء، 5/ 489، 490.

4 (?) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب، 275.

5)) في (د،ك) سقط: إن.

مرفـوع على الخبريـة؛ لـ «**إن**»، وقولـه: «**عبد**» يؤكـد أحـد الاحتمـالين اللـذين ذكرناهمـا في «**من**»، وهـو أن تكـون نكـرة كمـا ورد في الثانيـة. «**أخذ**» جملـة فعلية. «**من**» هاهنا لابتداء الغاية، ويحتمل أن تكون «**من**» للتبعيض، و«**الـدنيا**» (فعلى)، قـد اسـتعملت اسـتعمال الأسـماء، وخـرجت عن أن يكـون مقصـودًا بهـا الصفات، كالفضلى، ولهذا جاءت بغير (لام) ولا إضافة، لما جرت مجرى الأسـماء، وخرجت عن استعمال الصفات.

«**الكفاف**» مصدر منصوب على المفعوليـة؛ لقولـه: «**أخذ**»؛ لكونـه متعـديًا إلى مأخوذ، «**وصاحب فيها العفـاف**» جملـة فعليـة معطوفـة على مـا قبلهـا، و«**العفاف**» منصوب على المفعولية، و«**فيها**» جار ومجـرور في موضـع نصـب على الحال من «**العفاف»**، كأنه قال: وصـاحب العفـاف مسـتقرًا فيها، ويحتمـل أن يكون في موضع المفعول من غير تقدير الحال، كأنه قـال: وصـاحبها العفـاف. «**وتـزود للرحيل**» جملـة فعليـة ماضـية، والضـمير فيهـا راجـع إلى «**عبد**». «**اللام**» في قولـه «**للرحيل**» لام التعليـل، أيْ: تـزود من أجـل الرحيـل، ويجب إظهار (اللام) مع الأسماء، كقولك: جئتك للدينار والدرهم، وهكذا قوله: «**وتـأهب للمسير**» جملة فعلية، واللام للتعليل، أي: تأهب من أجل المسير[1].

«**ألا**» هاهنا للتنبيه، «**وإنَّ أعقل الناس**»[2] اسـمها منصـوب بهـا. «**عبد**» مرفـوع على أنـه خـبر لــ «**إن**». «**عرف ربه**» جملـة فعليـة، و«**دار**» منصـوب بالمفعولية، وهو مضاف إلى إقامتــه المضـاف إلى الضـمير. «**فأصلحها**» جملـة فعلية. و«**الهاء**» في موضع المفعول المنصوب، والضمير للدار، «**وعلم سرعة رحلته**» جملـة فعلية، و«**سـرعة**» منصـوب على المفعوليـة لــ «**علم**» الـذي

---

1 (?) في(د،م) السير.

2)) في (د،ك) زيادة: إن مع. {وبهذه الزيادة لا يستقيم معنى الجملة}.

بمعنى عرف، فلا يكون له إلا مفعول واحـد، و«**الرحلة**» مجـرور بإضـافة سـرعة أيضـًا، وهـو مضـاف إلى ضـمير، «**فتزود**» جملـة فعليـة ماضـية، و«**اللام**» في «**لها**» للتعليل، أيْ: تزود من أجلها.

«**ألا وإنَّ خـير الـزاد**» «**ألا**» حـرف للتنبيـه، و«**إنَّ**» للتأكيـد، و«**خـير**» منصوب بـ «**إن**»، وأصلها أخير من أفعل التفضيل، لكن الهمزة طرحت للتخفيف. «**ما صحبه التقوى**» «**ما**» هاهنا موصولة بالفعـل بعـدها، والضـمير في صـحبه للزاد، و«**التقوى**» مرفوعـة على الفاعليـة لــ «**صحبه**». «**وخـير العمـل مـا تقدمته النية**» جملة ابتدائية، و«**ما**» موصولة في موضع خبر المبتـدأ مرفوعـة، أيْ: وخير العمل الذي تقدمه النية، وقد تمت بجميـع تعلقاتهـا في الصـلة، والعائد. قوله: «**وأعلى الناس منزلة**» «**أعلى**» في موضــع رفع، و«**الناس**» مجــرور بإضافة أفعـل التفضـيل. «**أخوفهم منه**» أفعـل تفضـيل مرفـوع على أنـه خـبر مبتدأ، و«**منه**» جار ومجرور، و«**من**» لابتداء الغاية كما مر في غير موضــع، وهي قياس في أفعل التفضيل، أعني من أنها لابتداء الغاية، فهذا منتهى علم الإعراب.

النظر الثـاني: في بيـان ما اشـتمل عليه من العلـوم في البلاغة

وفيه مباحث ثلاثة:

البحث الأول: في بيان ما تضمنه من العلوم المعنوية

وقد اشتمل من لطـائف علم المعـاني على أسـرار، ونكت نوضـحها بمعونـة الله تعالى:

السرّ الأول: تصدير هذه الجمل الوعظيـة بالتنبيـه في أولها[1]، ومـا ذاك إلا من أجل إيقاظ القلـوب عن غفلتهـا، والحثّ على إصـغاء الأسـماع عن إعراضـها،

[1] (?) في (د،م) أوائلها.

فقال في أول كل جملة «**ألا**» تنويهًا بالذكر، وإشادة[1] لأمره.

السرّ الثـاني: أنـه ضمّ إلى التنبيـه حـرف التأكيـد بــ «**إن**»، فقـال: «**ألا وإن**»،و كل واحد من هذين الحرفين له موقـع عظيم في الكلام، فكيـف بهمـا إذا اجتمعا فهما مشعران بالزجر البـالغ مـع مـا تضـمناه من رشـاقة السـياق وحسـن التأليف.

السرّ الثالث: الفصل والوصل، فإنهما من علم المعاني لفي أرفـع المكـان الرفيع العالي، فالفصل في قوله صلى الله عليه وآله وسـلم: «**أيّها النـاس إن أفضل الناس**»، فإنه جامع حرف التنبيه السابق[2]، وهـو (هـاء) التنبيـه من غـير (واو) دلالة على الفصل والوصل جاء في باقي الجمل بـذكر (الـواو)، وهـو علامـة الوصل، وأمارته.

السرّ الرابع: بيان موقع المجاوزة في هذه الجمل، فإن هـذا الحـرف وهـو قوله: «**من تواضع عن رفعة**» وسـائر الجمـل المصـدرة بــ «**عن**»، فـإن لهـا هاهنا موقعًا عظيمًا، ودخولاً في المعنى، فإن سائر حـروف الجـر لا تقـوم مقامها، ولا تؤدي معناها، فـإن **التواضع** إنمـا يكـون لـه موقـع ومحـل إذا جـاء عن رفعـة وانحط عنها، وهكذا حال **الحلم**[3]، إنما يكون له خطـر إذا صـدر عن قـدرة، فأمـا العاجز فلا وجه لحلمه؛ لأن العجز يقعده عمّا أراد، وهكذا حال الزهد إنما يكون له ثمرة إذا كان متمكنا من الغنى ويتركه زهدًا، فأما من كان فقيرًا فلا معنى لزهده، ولهـذا قيـل لبعضـهم: أنت زاهـد، فقـال: مـا أنـا بزاهـد، وإنمـا الزاهـد عمـر بن عبدالعزيز، جاءته الدنيا صاغرة فتركها[4]، وهكذا حال من أنصف عن قوة، فإنه إذا

---

1 (?) في (ك) إشارة.
2 (?) في (د،م) زيادة: له.
3)) في (د) سقط: الحلم.
4 (?) مسند أحمد، 5/ 249.

أنصف من نفسه بأخذ الحق، وهو قوي على خلافه من أخذ الباطل كان الإنصــاف له ثمرة وموقع، فهذه المعاني إنما تحصل بوقوع هذا الحرف وتوسطه دون غيره، فلهذا أورده.

السرّ الخامس: **اللامات**، في قوله: «**تزود للرحيل، وتأهب للمسير**» هما واردان على جهة التعليل، وباعثان عليه، فإنه لا داعي إلى التزود إلا الرحيــل، ولا باعث على التأهب إلا المسير، فهما كما ترى في الدلالة على ما ذكرناه.

سؤال: أراه صدّر هذه الجمل الدالة على التواضع والزهد والإنصاف والحلم والكفاف والعفاف والتزود وأخذ الأهبة بذكر الأفضـلية، وصدّر الجمـل الدالـة على طاعة الله تعالى، ومعصية الشيطان بذكر العقل، وذكر الـزاد بـالخير، وصدّر ذكـر الله بخوف العلو، فهل هناك تفرقة بين هذه المعاني في الاختصاص بهذا التصـدير المخصوص أم لا؟

وجوابه: أن كلام صـاحب الشـريعة- صـلوات اللــه عليه- لا يخلـو عن سـرّ، ومصلحة، فإنه المحيط بحقائقها، والمسـتولي على أسـرارها ودقائقهـا، والجـاذب لها بزمامهـا، والقائـد لهـا برسـنها وخطامهـا، وإنمـا صدّر هـذه الخصـال الشـريفة كالتواضع والزهد والإنصاف والحلم والكفاف والعفاف؛ لمـا في إحرازهـا من علـو المراتب، وإحراز المناقب، وهي غاية الفضل، وفيها نهايـة الشـرف، فلهـذا خصّـها بالفضـل؛ لتضـمنها لـه واختصاصـها بـه، وصدّر الطاعـة للـه تعـالى، والمعصـية للشـيطان بـذكر العقـل؛ لمـا كـان العاقـل من يحـيي[1] نفسـه بـإحراز الطاعة، والانكفاف عن المعاصي، وعرف ما يستحقه الرّب من الانقيـاد، ويسـتحقه العـدو من الإبعاد، فهـذا هـو العاقـل حقيقـة، فلهـذا خصّه بتصـدير العقـل؛ لمـا فيـه من مطابقة أحكام العقـل، وصدّر التقـوى بصـفة الخـير؛ لأنـه لا خـير كـالتقوى، أوهي

---

[1] (?) في (د،ك،م) الحي.

قاعدة الإعمال كلها، وبها تنصلح القصود الصالحة، وعليها مدار الخـير كلـه، فلهـذا خصّها بـالخير، وإنمـا خصّ العلـو بـالخوف؛ لأن الملائكـة والأنبيـاء- صـلوات اللـه عليهم- ما علت مراتبهم، ولا ارتفعت أقدارهم عند الله تعـالى إلا لخـوفهم، ولهـذا فإنهم أعظم الخلق خوفًا لله تعالى، كما قال تعالى: [illegible][1].

وقال تعالى: [illegible][2]، وبعد خوفهم خوف الأنبياء، وهكذا حال العلماء والأمثل فالأمثل، فخوف اللـه على قـدر معرفتـه، فمن عـرف الله حق معرفته وما اختص به من الجلال والكبرياء والعظمـة والجـبروت فخوفـه يكون على قدر ذلك، وفي الحديث: «إن بعض الملائكة المخصوصين بعظم الخلق ليتضـاءل من خشـية اللـه تعـالى حـتى يصـير كالعصـفور الصـغير خوفًـا من اللـه تعالى»[3]، وإجلالاً لعظمته وكبريائه، فلأجل هذا وصف الخائفين بعلو المنزلـة عنـد الله تعالى وسموالدرجة من أجل ذلك.

البحث الثاني: في بيان ما اشتمل عليه من علوم البيان

وقاعدتها وموضوعها هو الاستعمالات المجازية في أثناء الكلام ومجاريه، وقد تضمن هذا الحديث استعارات بالغة.

الاستعارة الأولى: ذكر التواضع والرفعة، فإنهما هاهنـا جاريـان على جهـة المجاز والاسـتعارة، وقـد حصـل التجـوز هاهنـا في الاسـم والفعـل والحـرف، فـــ «**تواضع**» مجاز، و«**عن**» مجاز، و**الرفعة**: مجاز لاسـتعمال كـل واحـد من هـذه الألفاظ في غير معناها[4] وموضعه، فلهذا قضينا بكونها مجازات.

الاستعارة الثانية: قولـه: «**عن غنية،... وعن قـوة،... وعن قـدرة**»،

---

1 (?) سورة النحل من الآية 50.
2 (?) سورة الرعد من الآية 13.
3 (?) تصفية القلوب من درن الأوزار والذنوب، 388.
4 (?) في (د) سقط: معناها.

فإن استعمال الحرف الذي هو «**عن**» إنما هـو على جهـة المجـاز؛ لأن المجـاوزة هاهنا لا حقيقة لها؛ لأن هذه الأمور لا تعقل فيها المجاوزة.

الاستعارة الثالثة: قوله**: أخذ منها الكفاف، وصاحب فيها العفاف**، فـإن الاسـم والفعـل والحـرف مجـازات كلهـا في الاسـتعمال، فــ «**أخذ**» مجـاز، والمأخوذ مجاز قوله: «**تزود للرحيل، وتأهب للمسير**» فإنهـا مجـازات أيضًـا في أسمائها وأفعالها وحروفهـا، وكلامنـا هـذا إنمـا يدريه[1] من ضـرب في صـناعة المعاني والبيان بعرق، وفاز منها بحظ وافر، وعضّ عليـه بضـرس قـاطع، وغمس يده في أصباغها، واطلع على معاطفها وأرفاعها.

الاسـتعارة الخامسة[2]: قولـه: «**سـرعة رحلته**»، «**فـتزود لها**» كلهـا مجازات عالية، وإنما عظم كلامه صلى الله عليه وآله وسـلم، وأنـاف[3] على كلام البلغاء؛ لما تضمنه من استعمال المجازات والتوسع في الاسـتعارات، فلهـذا فـاق في حلبة السباق.

البحث الثالث: في بيان ما اشتمل عليه من علوم البديع

وهو علم يعرف به تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة، ووضوح الدلالـة فيـه، وقد تضمن هذا الحديث أساليب فيه نوضحها بلطف لله حسن توفيقه.

الأسـلوب الأول: **مراعــاة السـجع**، بقولــه: «**غنية**»، و«**قــوة**»، و«**قدرة**»، و«**رفعة**» كلهـا سـجع؛ لأجـل المطابقـة في الأعجـاز، وهكـذا قولـه: «**العفاف**»، و«**الكفاف**»، فإنهما كلاهما سجع أيضًا، وهكذا قوله: «**تزود لها**»، و«**أصلحها**» من السجع[4] الحسن.

---

1)) في (د) يدر به. {وهذا غير سليم نحويًّا}.
2 (?) لعله سهو عند النسخ، والمناسب: الاستعارة الرابعة.
3)) أناف الشيء على غير: ارتفع. ينظر: لسان العرب، مادة (نوف).
4 (?) في (د،م) التسجيع.

الأسلوب الثاني: **من كلامه التجنيس**، فقولـه: «**أفضل**»، و«**أفضل**» من التجـنيس، وقولـه: «**إنَّ**»، و«**إنَّ**» من الجنـاس، وهكـذا قولـه: «**أعلى**»، و«**أعقل**» من التجـنيس النـاقص، فأمـا «**أفضل**» و«**أفضل**» من التجـنيس الكامل كما ترى.

الأسـلوب الثـالث: **الطبـاق**، وهـو تقابـل الضـدين والنقيضـين، فقولـه: «**التواضع**» مـع ذكـر **الرفعة** طبـاق، وهكـذا قولـه: «**زهـد عن غنية**» طبـاق معنوي، وقوله: «**أنصف عن قوة**» طبـاق في المعـنى أيضًـا، وقولـه: **الطاعة والمعصـية**، فإنهمـا طبـاق، وقولـه: «**ربه**»، و«**عـدوه**» فإنهمـا معـدودان في الطباق المعنوي.

الأسلوب الرابع: **لزوم ما لا يلزم**، وهو أن يلتزم الناثر والناظم يضيقان على أنفسهما في التزامه بأن يكـون آخـر الكلمـتين يتفقـان في حـرفين أو ثلاثة، ومثاله: قوله عليه السلام: «**العفاف**»، و«**الكفاف**»، فإنهما متفقان في أحـرف ثلاثة، وهذا لا يلزم ، ومنه قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾[1]، وقوله: ﴿[illegible]﴾[2]، و﴿[illegible]﴾[3] وقوله: ﴿[illegible]﴾[4]، و﴿[illegible]﴾[5] في سورة الضحى، إلى غير ذلك، فهذا الحديث قد تضمن هذه الأساليب الرائقة مع مـا اشـتمل عليـه من حسن البلاغة، وحسن النظم، ورشاقة التأليف، بحيث لا يدانيـه كلام، ولايقبض لـه أحد بزمام.

---

1 (?) سورة الطور الآيتان 1، 2.
2 (?) سورة التكوير من الآية 15.
3 (?) السورة نفسها من الآية 16.
4 (?) سورة الضحى من الآية 9.
5 (?) السورة نفسها من الآية 10.

النظر الثالث: في بيان مقاصده التي أرادها، وشرح أسرارها التي أشار إليها وقصدها

واعلم أن كلامه صلى الله عليه وآله وسلم مشتمل على فصول خمسة:

الفصل الأول منها : في بيان ذم الكبر، ومحمود التواضع

وقد أشار إليهما بقوله: «**إنَّ أفضل الناس من تواضع عن رفعة**»، فإذا ذكر **التواضع**، فلا بدّ من ذكر ضده[1]، ونقيضه؛ لتظهر نفاسة أحدهما وخساسة الآخر، فلنبدأ بذكر الكِبْر، فإنه أخطر ما يكون على الدين، وأسوأ ما يكون في الأخلاق، فهذه خصال نوضح الكلام فيها باختصار.

الخصلة الأولى: في ذكر الكِبْر

اعلم أن حقيقة **الكِبْر** منقسمة إلى باطن وظاهر، **فالباطن**: هو خلق في النفس، و**الظاهر**: هو أعمال تصدر عن الجوارح، واسم الكِبْر بالخلق الباطن أحقّ، فأما الأعمال الظاهرة، فإنها ثمرات لذلك الخلق الباطن وموجبات عنه، ولهذا فإنه إذا ظهر على الجوارح يقال: فلان متكبر، وإذا لم يظهر يقال:[2] في نفسه كِبْر؛ فالأصل هو الخلق الذي هو كامن في النفس وحاصل فيها، وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس في رتبة عالية، فإذن لا بدَّ في الكبر من الاختصاص بأمور ثلاثة: أن يرى لنفسه مرتبة عالية، وأن يرى لغيره مرتبة نازلة، وأن يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره، فمتى حصلت هذه الأمور الثلاثة حصلت فيه حقيقة الكِبْر، وكان مختصًّا بخلقه، وعند هذا ينتفخ سحره، فيحصل في قلبه هزّة، واعتقاد، وفرح، وعزّة في النفس من أجل ذلك، وينفخ الشيطان في منخره، ويهيجه على العلو والتعاظم، وفيه الهلاك، ولهذا قال صلى الله عليه وآله

---

[1] (?) في (ك،م) حده.

[2] (?) في (د،م) زيادة: فلان.

وسلم: «أعوذ بك من نفخة الكبرياء»[1] يشير به إلى ما قررناه، فإذا عرفت هـذا، فلنذكر ذمّ الكِبْر، ثم نذكر أسبابه، ثم نردفه بذكر درجاته، ثم نـذكر على إثـر ذلـك كيفية دفعه والخلاص منه. فهذه مقامات أربعة هي كافية في بيان مقصـودنا على جهة الاختصار.

المقام الأول: في بيان ما أثر عن صاحب الشريعة صلوات الله عليه في مذمة الكبر

وقد ذمه اللـه تعـالى في مواضـع من كتابـه الكـريم، قـال تعـالى: [illegible][2]، وقـال تعـالى: [illegible][3]، وقـال تعـالى: [illegible][4]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقـال حبـة من كِـبر، ولا يـدخل النـار من كـان في قلبه مثقال حبة من إيمان»[5]، وقال تعالى[6]: «الكبريـاء ردائي، والعظمـة إزاري، فمن نازعني أحدهما ألقيته في جهنم»[7]، وعن ابن عمر: أنـه سـمع رسـول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: «من كان في قلبه مثقـال حبـة من خـردل من كبر كبّه الله على وجهه في النار»[8]، وقال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-: «لا يزال الرجـل يـذهب بنفسـه في الكـبر حـتى يكتب في الجبـارين، فيصـيبه مـا أصابهم من العذاب»[9]، وعنه صلى الله عليه وآله وسـلم قـال: «بئس العبـد عبـد

---

1 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 338.
2 (?) سورة غافر من الآية 35.
3 (?) سورة الأعراف من الآية 146.
4 (?) سورة إبراهيم الآية 15.
5 (?) مسند أحمد، 1/ 399.
6 (?) في الحديث القدسي.
7 (?) سنن أبي داود، 4/ 59.
8 (?) شعب الإيمان، 6/ 280.
9 (?) سنن الترمذي، 4/ 362. دون ذكر:«الكبر».

تجبّر واعتدى، و نسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد تخيّل واختـال ونسـي الكبـير المتعال، بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى، بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبتدأ والمنتهى»[1]، وعن ثابت أنه قال: بلغنا أنه قيل لرسول الله- صـلى الله عليه وآله وسلم-: «ما أعظم كبر فلان، فقال: أليس بعده الموت»؟![2] وقال صلى الله عليه وآلـه وسـلم: «يخـرج من النـار عنـق لـه أذنـان يسـمعان وعينـان يبصران، ولسان ينطق يقول، وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مـع اللـه إلها آخر، وبالمصورين»[3].

وقال سليمان بن داود- عليـه السـلام- يومًـا للجن والإنس والطـير والبهـائم: اخرجوا فخرجوا في مائتي ألـف من الإنس،و مـائتي ألـف من الجن، فرفـع حـتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات، ثم خفض حتى مسـت قـدماه البحـر، فسمع صوتًا يقول: لو كان في قلب صاحبكم مثقال حبة من كبر لخسفت به أبعد ممّا رفعته[4]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «يحشـر المتكـبرون يـوم القيامـة ذرًّا في مثل صور الرجال، يعلوهم كل شيء من الصغار، ثم يسـاقون إلى سـجن في جهنم، ثم يسقون من طينة الخبال[5]، وهي عصارة أهل النار»[6]، وقـال عليـه السلام: «يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيمة في صورة الذّرّ، يطأهم الناس؛

---

1 (?) نفسه، 4/ 362.

2 (?) التواضع والخمـول، عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الـدنيا القرشي البغـدادي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، عام1989م، بيروت، لبنان، 255.

3 (?) المعجم الأوسط، 1/ـ 103. بلفـظ: «يخـرج عنق من النـار لها لسـان تتكلم بـه، وعينـان تبصر بهما، فتقول: إني أمرت بكل جبـار عنيـد، وبمن دعا مع الله إلهًا آخـر، ومن قتل نفسًـا بغير حقّ».

4 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 337.

5)) الخبـال: في الأصل الفسـاد، وطينة الخبـال: ما سـال من جلـود أهل النـار. ينظـر: لسـان العرب، مادة (خبل).

6 (?) مسند أحمد، 2/ 179. بلفظ: «يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس يعلوهم كل شيء من الصغار حتى يدخلوا سجنًا في جهنم يقال له بولس فتعلوهم نار الأنيـار يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار».

لهوانهم على الله»[1]، وعن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «إن في جهنم واديًا يقال له هبهب، حقّ على الله أن يسكنه كل جبار»[2] اللهم أعذنا من الكبر.

المقام الثاني: في ذكر أسباب الكبر

اعلم أنه لا يتكبر إلا من استعظم نفسه، واعتقد أن لها صفة من صفات الكمال، ومجامع ذلك يرجع إلى أسباب سبعة:

السبب الأول: العلم

وأسرع ما يكون الكبر إلى العلماء؛ ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم : «آفة العلم الخيلاء»[3]، فلا يلبث العالم أن يتعزز بعزّ العلم، ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله، ويستعظم نفسه، ويستحقر الناس في نفسه ويستحقرهم وينظر في نفسه إليهم نظرة البهائم.

السبب الثاني: العمل والعبادة

وهم لا يخلون عن رذيلة العزّ، والكبر، واستمالة القلوب إلى الزهاد والعباد، فيحملون الناس على توقيرهم، وتعظيمهم، وقضاء حوائجهم، ويرون أن لهم مزيّة على الخلق، وأن الناس هالكون، ويرون أنفسهم ناجين وهم الهالكون حقيقة بالكبر؛ لما رُوي عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «إذا سمعتم الرجل يقول: هلك الناس فهو أهلكهم»[4].

السبب الثالث: الأصل والحسب

فالذي يكون له نسب شريف فإنه يستحقر الخلق ممّن لم يختصّ بذلك النسب، وإن كان أرفع منه علمًا وعملاً، وقد يتكبر بعضهم، فيرى أن الناس كلهم

---

1 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 338.
2 (?) سنن الدارمي، 2/ 427.
3 (?) إحياء علوم الدين، 2/ 237.
4 (?) صحيح مسلم، 4/ 2024.

له عبيد ومـوالي، ويـأنف من مخـالطتهم ومجالسـتهم، ورُبّمـا يقـول: أنـا فلان بن فلان، ومن أنت؟ ومن أبوك؟، وهذا عرق دقيق لا يكاد يَسلم منـه أهـل الأحسـاب الفاخرة، وقد رُوي عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسـلم- أنـه قـال: «ليـدعنَّ أقوام التفاخر بآبائهم، وقد صاروا فحمًا في جهنم، أو ليكوننّ أهـون على اللـه من الجعلان[1] التي تدوف بآنافها القذر»[2].

السبب الرابع: التفاخر بالجمال

وربمـا يجـري ذلـك في الرجـال والنسـاء، والأغلب جريـه في حـق النسـاء، فيدعوه[3] إلى الثلب، والبغض، والغيبـة، وذكـر عيـوب الخلـق، وهـذا كلـه منشـؤه الكبر؛ لأنه لا يكاد أحد يعيب أحدًا بما فيه مثلـه، وإنمـا يعيبـه بمـا هـو سـالم عنـه، ويتكبر عليه بذلك.

السبب الخامس: الكبر بالمال

وهذا جار في الملـوك بـالخزائن، وبالتجـار في بضـائعهم، وبين أهـل التجمـل بالخيول، والملابس، وامتداد الأمـوال، ويسـتحقرون من لم يكن على مثـل حـالهم من الفقراء، ويتكبرون عليهم بما في أيديهم.

السبب السادس: التكبر بالقوة وشدة البطش على الضعفاء وأهل المرض والفاقة

فيستحقرون من كان مخالفًا لهم في تلك الصفة، ولا يرون له قدرًا.

السبب السابع: التكبر بكثرة الأتباع والأنصار والتلامذة والغلمان والعشيرة والأقارب والبنين والحفدة

---

1)) الجعلان: جمع الجُعَـل، وهي دابة سـوداء من دواب الأرض. ينظـر: تهـذيب اللغـة، مـادة (جعل).

2 (?) سنن أبي داود، 4/ـ 331. بلفظ: «ليدعن رجـال فخـرهم بـأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن»ـ

3 (?) في (د،م) سقط: الهاء.

ويجــري ذلــك بين الملــوك في المكــاثرة بــالجنود، وبين العلمــاء في تكثــير التلامذة، فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض، فيحصل الكبر[1] بتلــك الخصلة على من ليس له تلـك الخصـلة ولمن هـو زائـد فيهـا على من هـو نـاقص عنها.

المقام الثالث: في ذكر درجات الكبر

اعلم أن الإنســان خلــق ظلومًــا جهــولاً، فتــارة يتكــبر على اللــه الــذي خلَقــه وصوره، وتارة على الأنبياء، وتارة على سائر الخلق، فهذه أقسـام ثلاثـة نـذكر مـا يتعلق بكل واحد منها بمعونة الله تعالى:

الأول: التكبر على الله- جلّ جلاله-، وذلك هـو أعظم أنـواع الكـبر، ولا محرك له إلا الجهل المحض، والطغيان، مثل ما كان من النمرود بن كنعــان، كــان يحدث نفسه بحرب ملك السماء، ومثل ما حكي عن فرعون من ادعــاء الربوبيــة؛ لتكبره، حيث قال: أنا ربكم الأعلى، وكل من استنكف أن يكون عبــدًا للــه تعــالى، ومثل ما كان من إبليس، فإنه أول ما تردى برداء الكــبر، حيث امتنــع من السـجود لآدم، واعتلّ بما يدل على الكبر حيث قال: [illegible][2].

القسم الثاني: التكبر على الرسل، لما تعززوا بأنفســهم، وترفعــوا عن الانقياد للأنبيــاء مثــل ســائر الخلــق، وصــرحوا بــذلك، [illegible][3]، [illegible][4]، وقــالوا: [illegible][5]، وقــالوا: [illegible]

---

1. (?) في (د،م) التكبر.
2. (?) سورة الأعراف من الآية 12، ص من الآية 76.
3. (?) سورة المؤمنون من الآية 47.
4. (?) سورة إبراهيم من الآية 10.
5. (?) سورة المؤمنون الآية 34.

[illegible]

[illegible][1]، وقالوا: [illegible][2]، وقال فرعون: [illegible]

[illegible][3]، وقال الله تعالى: [illegible]

[illegible][4]، فقد استكبروا على الله وعلى رسوله. قال وهب: قال له موسى: آمن ولك ملكك، قال: حتى أشاور هامان، فشاور هامان، فقال له هامان: بينما أنت ربٌّ تُعبد إذ صرت عبدًا تَعبد، فاستنكف عن عبودية الله، وعن إتباع موسى، واستكبر[5]، وقالت قريش: [illegible]

[illegible][6]، وهما الوليد بن المغيرة[7]، وعروة بن مسعود[8] الثقفي[9].

القسم الثالث: الكبر[10] **على العباد**، وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره، فتأبى نفسه عن الانقياد لهم، وتدعوه إلى الترفع[11]، ويستصغرهم ويأنف من مساواتهم، فهذا، وإن كان عظيمًا، لكنه دون الأولين، وهو أيضًا عظيم عند الله تعالى، فالخلق كلهم عباد الله، وله العظمة والكبرياء عليهم،

---

1 (?) سورة الفرقان من الآية 21.

2 (?) سورة الأنعام من الآية 8.

3 (?) سورة الزخرف من الآية 53.

4 (?) سورة القصص من الآية 39.

5 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 346.

6 (?) سورة الزخرف من الآية 31.

7)) وهو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم، من زعماء قريش في الجاهلية، كانت قريش تكسو الكعبة عامًا، والوليد يكسوها عامًا وحده، أدرك الإسلام، وهو هرم فعاداه وقاومه، توفي في السنة الأولى للهجرة. ينظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، ط2، عام 1415هـ، بيروت، لبنان، 1/ 26. الأعلام للزركلي، 8/ 122.

8)) وهو عروة بن مسعود بن معتب الثقفي، كان غائبًا عندما حاصر النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- الطائف، فلما قدم أسلم، وذلك في السنة التاسعة للهجرة، وعاد إلى قومه يدعوهم فقتلوه. ينظر: طبقات ابن سعد، 5/ 503، 504.

9 (?) ينظر: تفسير الطبري (جامع البيان)، 21/ 593.

10 (?) في (د،م) التكبر.

11 (?) في (د،م) زيادة: عليهم.

فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد عصى الله وتضمخ برذيلة الكبر؛ لأنـه يـدعو إلى مخالفة الله تعـالى في أوامـره ونواهيه، ورُوي أن رجلاً قـال لـه رسـول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «كل بيمينك» قال: لا أسـتطيع، فقـال لـه الرسـول- صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- : «لا اسـتطعت»، فمـا منعـه إلا تكـبره وأنـف عن القبول، فما رفعها بعد ذلك[1]، أيْ: أنها اعتلت، فهذه درجات الكبر قـد أوضـحناها، وبعضها أعظم من بعض، لكنهـا كلهـا قـد اشـتركت في التعـاظم والعلـو وحصـول المقت من الله تعالى عليه.

المقام الرابع: في إزالته وكيفية العلاج في دفعه

اعلم أن الكِبْر من المهلكات، ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه، وإزالته فرض عين، ولا يزول بمجرد التمني، ولكنـه يـزول بـالعلاج، وعلاجـه يكـون بـأمور تزيله، وجملتها ثلاثة:

المزيل الأول: علمي

وحاصله أن يعرف نفسه ويعرف ربه، فإنه يكفيه ذلـك في إزالـة الكـبر، أمـا **معرفة ربه**، فإنه إذا عرف الله تعالى، وما يليق بـه من العظمـة والكبريـاء فإنـه يتحقـق لا محالـة أن الكبريـاء لا يليـق إلا بالله، وعظمتـه وجلاله، وأمـا **معرفـة نفسه**، فهو إذا عرف أنه أذلّ من كل ذليل، وأقلّ من كل قليل، فإنه[2] لا يليق به إلا الذلة والمهانة والتواضع، ويكفيه في ذلك أن يعرف آية من كتـاب اللـه تعـالى، فـإن في القـرآن علم الأولين والآخـرين، وقـد قـال تعـالى: [illegible][3]، فقد

---

[1] (?) صحيح مسلم، 3/ 1599.
[2] (?) في (د،ك،م) الواو بدلاً عن الفاء.
[3] (?) سورة عبس الآيات 17- 22.

أشار بالآية إلى أول خلقة الإنسان، وإلى آخرها وإلى وسطها، أما **أولها**، فهو التراب، والطين، والصلصال، وأما **وسطها**، فالنطفة، والعلقة، والمضغة، وأما **آخرها**، فالموت بأن يكون جيفة، ويدفن، ثم ينشر، ثم يحشر، ثم يصير[1] إلى النعيم المقيم، وإما إلى السعير والجحيم، وهذه الأطوار كلها دالة على استحقاره وامتهانه، فكيف يتكبر من هذه حاله؟!

المزيل الثاني: عملي

وتقريره يكون بالتواضع لعظمة الله، ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق أهل التواضع، كما حكيناه عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- وهو القدوة، حتى لقد روي أنه كان يأكل على الأرض، ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد»[2]، وقيل لسليمان- عليه السلام-: ألا تلبس ثوبًا جديدًا؟ فقال: إنما أنا عبد، فإذا أعتقت لبست[3]، أراد العتق من النار في الآخرة، فهذا هو العلاج العملي في إزالة الكِبْر.

المزيل الثالث: وهو العلاج بإزالة تلك الأسباب التي ذكرناها، الموجبة لحصول الكبر وتيسيره

ولا يزال يسعى في محوها عن قلبه، وإزالتها عن خاطره، ثم إنه لا يكتفي بالاجتهاد في العلاج بما ذكرناه من الإزالة والتحويل إلا بأن يمتحن نفسه بالامتحانات التي يدرك بها التواضع، فإن النفس قد تعد صاحبها بما يكون فيه التواضع، وهي كاذبة، فيمتحنها بإجابة دعوة الفقير وتحمل الأشياء الحقيرة من السوق، وحاجة أصحابه، وأن يلبس الثياب المرقوعة، ويلابس شيئًا من أعمال بيته، فإذا وجد نفسه قابلة لذلك فقد برأ نفسه من الكبر، وإن وجدها نافرة عن

---

1 (?) في (د،ك،م) زيادة: إما.
2 (?) شعب الإيمان، 5/ 107.
3 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 360.

ذلك عالجها، وسأل الله الإعانة على دفع هذه الخصلة الموجبة للتعـرض لسـخطه وغضبه. اللهم وفقنا حتى ننال درجة التواضع لعظمتك.

الخصلة الثانية: في ذكر التواضع، وما ينبغي من فعله

واعلم أن حقيقة التواضع تظهر بتقسيم نورده، وهو أنه ينقسـم إلى: ظـاهر، وخفيّ، **فالخفيّ**: ما كان حاصلاً في القلب، وهـو خلـق في النفس، وهـو الأصـل في الأعمال الظاهرة، فإذا حصل في قلبه[1] انكسار ومعرفة بحـال خالقـه وحالـه في نفسه، وإلى ما يؤول إليه، فقد حصل له عمل القلب، وأما **الظاهر**: فهـو أن يتعاطى أعمال أهل التواضع، ويلابسها ويباشرها، فإذا عرفت ماهيـة التواضـع بمـا ذكرناه فلنذكر فضيلته، ثم نردفه بذكر أخلاق المتواضعين، فهذان مقامان يكفيـان في مرادنا من التواضع.

المقام الأول: في بيان فضيلة التواضع

قال الله تعالى: [illegible][2] أراد المتواضعين، وقال: [illegible][3] أيْ: يمشون مشية المتواضعين، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما زاد اللـه بعفـو إلا عزًّا، ومـا تواضـع أحـد إلا رفعه الله»[4]، وقال عليه السلام: «ما من آدمي إلا وفي رأسه حكمة بيد ملك، ما تواضع إلا رفعه الله، وما تكبر إلا وضعه»[5]، وقال صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم : «طوبى لمن تواضع في غير مسكنة، وأنفق مالاً من غير معصية، ورحم أهل الذلة والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة»[6]، وقـال صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم:

---

1 (?) في (د،ك،م) قلبك.

2 (?) سورة الحج من الآية 34.

3 (?) سورة الفرقان من الآية 63.

4 (?) سنن البيهقي الكبرى، 4/ 187.

5 (?) المعجم الكبـير، 12/ـ 218. بلفـظ: «ما من آدمي إلا في رأسه حكمة بيد ملـك، فـإذا تواضع قيل للملك: ارفع حكمته، وإذا تكبر قيل للملك: ضع حكمته».

6 (?) ينظر: سنن البيهقي الكبرى، 4/ 182.

«الكرم التقوى، والشرف التواضـع، واليقين الغـنى»[1]، وأوحى اللـه إلى موسى- عليه السلام-: إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي، ولم يتعظم على خلقي، وألزم قلبه خوفي، وقطع النهار بـذكري، وكفّ نفسـه عن الشـهوات من أجلي[2]، وقـال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا هدى الله عبدًا للإسلام، وحسـن صـورته، وجعلـه في موضع غير شائن له، ورزقه مع ذلك تواضعًا، فذلك من صفوة اللـه»[3]، وقـال عليـه السـلام: «أربـع لا يعطيهن اللـه إلا من يحب: الصـمت، وهـو أول العبـادة، والتوكل على الله، والتواضع، والزهد في الدنيا»[4].

وروى ابن عباس- رضي اللـه عنـه- عن رسـول الله- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسلم-: «إن التواضـع لا يزيـد العبـد إلا رفعـة، فتواضـعوا رحمكم اللـه»[5]، وقـال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-: «إذا رأيتم المتواضعين من أمتى فتواضعوا لهم، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم، فإن ذلـك لهم مذلـة وصـغار»[6]، وقـال عليه السلام يومًا لأصحابه: «مالي لا أرى عليكم حلاوة العبادة». قالوا: وما حلاوة العبادة؟ قال: «التواضع»[7]، ولنكتف بهـذا القـدر من التواضـع، فـإن إحـرازه فيـه شرف الدنيا والآخرة.

المقام الثاني: في بيان أخلاق المتواضعين

ونحصره إجمالاً وتفصيلاً، فهذان طرفان:

الطرف الأول: إجمالي[8]

فمجامع الأخلاق في التواضع هو الأخذ بسيرة رسـول الله- صـلى اللـه عليـه

---

1 (?) أخرجه ابن أبي الدنيا في اليقين. ينظر: كنز العمال، 3/ 41.
2 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 341.
3 (?) التواضع والخمول، 157.
4 (?) نفسه، 166.
5 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 182. في (د) سقط الحديث.
6 (?) نفسه، 3/ 341.
7 (?) نفسه.
8 (?) في (ك،م) سقط: الياء.

وآله وسلم- فبه يقتـدى، ومنـه ينبغي أن يتعلم، ولقـد كـان صـلى اللـه عليـه وآلـه وسلم يلابس في بيته بعض الخدم، كان يعلف الناقة، ويعقل البعير، ويقيم الـبيت، ويحلب الشاة، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكـل مـع خادمـه، ويطحن عنـه إذا أعيا، ويشتري الثوب من السوق، ويصافح الغني والفقير والصغير والكبير، ويسلم مبتدئًا على كل من اسـتقبله من صـغير أو كبـير أو حـر أو عبـد من أهـل الصـلاة، يجيب من دعاه، وإن كان أشعث أغبر، ولا يحقر ما دُعي إليه ولـو كـان حشفًا من التمر، هين المؤنة، لين الخلـق، كـريم الطبيعـة، جميـل المعاشـرة، طلـق الوجـه، بسام من غير ضحك، محزون من غير عبوس، متواضـع من غـير مذلـة، جـواد من غير سرف، رحيم بكل ذي قربى، رقيق القلب، دائم الإطـراق، لم يبشـم قـط من شبع، ولا مد يده قط إلى طمع، فما نقل من أحواله صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم يجمع[1] جملة من أخلاق المتواضعين، فمن طلب التواضع فليكن مقتـديًا بـه، ومن رأى نفسه فوق محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- ولم يرض لنفسـه بمـا رضـي هو به، فما أشد جهله وحمقه! فلقد كان أعظم خلق الله منصبًا في الدين والدنيا، فلا عزّ ولا رفعة إلا في الاقتداء به صلى الله عليه وآله وسلم.

الطرف الثاني: على جهة التفصيل

اعلم أن خلـق التواضـع يظهـر في شـمائل الرجـل في أحواله، وأقوالـه وأعمالـه وفي قيامـه وقعـوده، وفي مشـيته وحركاتـه وسـكناته، ونحن نشـير إلى جملة من آداب المتواضعين:

الأدب الأول: أن يكره قيام الناس بين يديه ومشيهم[2] خلفه وقدامه، وقـد قال صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «من أراد أن ينظـر إلى رجـل من أهـل النـار

---

[1])) في (د) سقط: يجمع.

[2] (?) في (د) مشيتهم.

فلينظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام»[1].

الأدب الثاني: أن يزور المرضى، ويسير خلف الجنازة، ويمشي وحده، ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم يمشي مع أصحابه فيأمرهم بالتقدم، ويمشي في الغمار[2].

الأدب الثالث: أن يجلس بقرب أهل الفقر والمسكنة، قال أنس بن مالك: لقد رأيت الوليدة من ولائد أهل المدينة تأخذ بيد رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- فلا ينزع يدها حتى تذهب حيث شاءت[3].

الأدب الرابع: أن يجالس المرضى والمعلولين، ولقد دخل رجل على رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وعليه جدري قد نقش جلده، وعنده أصحابه يأكلون، فما جلس عند رجل إلا قام من جنبه، فأجلسه رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- بجنبه[4].

الأدب الخامس: أن يكون متعاطيًا لشغل في بيته، ولقد كان الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- يتعاطى الأعمال في إصلاح بيته، كما حكيناه أولاً.

الأدب السادس: أن يأخذ متاعه من السوق، ويحمله كما كان رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يفعل ذلك[5]، وقال علي- رضي الله عنه-: لا ينقص الكامل من كماله ما جرّ من نفع إلى عياله[6].

الأدب السابع: أن يكون لباسه أقرب إلى الخشونة، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «البذاذة من الإيمان»[7]، و**البذاذة**: هي الدون من اللباس، وقال

---

1 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 354.
2 (?) نفسه، والغمار: الماء الكثير. ينظر: لسان العرب، مادة (غمر).
3 (?) مسند أحمد، 3/ 174.
4 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 355.
5 (?) نفسه.
6)) نفسه.
7 (?) سنن أبي داود، 4/ 75.

عليه السلام: «من ترك زينة لله، ووضع ثيابًا حسنة تواضعًا لله، وابتغاء وجهه، كان حقًّا على الله أن يدخر له عبقري الجنة»[1]، وهذا القدر كافٍ.

الخصلة الثالثة: الزهد في الدنيا

وإليه الإشارة بقوله: «**وزهد عن غنية**»، وقد أسلفنا في خاتمة الحديث العاشر كلامًا في الزهد يطلع على الأسرار والنهايات نافعًا، والذي نريده هاهنا هو الكلام في ذمّ المال، وكراهية حبه، قال الله تعالى: [illegible][2]، وقال تعالى: [illegible][3]، وقال تعالى: [illegible][4]، وقال تعالى: [illegible][5]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «حبُّ المال والشرف ينبتان النفاق في القلب»[6]، وقال عليه السلام: «ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم بأكثر فسادًا فيها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم»[7]، وقال عليه السلام: «هلك الأكثرون مالا إلا من قال به من عباد الله هكذا وهكذا، وقليل ما هم»[8]، وقال النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- لما قيل له: أيّ أمتك أشر؟ قال: «الأغنياء»[9].

---

1 (?) حلية الأولياء، 8/ 44.
2 (?) سورة المنافقون من الآية 9.
3 (?) سورة التغابن من الآية 15.
4 (?) سورة هود من الآية 15.
5 (?) سورة التكاثر الآيتان 1، 2.
6 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 159.
7 (?) المستدرك على الصحيحين، 3/ـ 474. بلفظ: «ما ذئبان عاديان أصابا فريسة غنم أضاعها ربها بأفسد فيها من حب المال والشرف».
8 (?) مسند أحمد، 2/ـ 309. بلفظ:- من حديث طويل- «هلك المكثرون إلا من قال هكذا، وهكذا ... الحديث»ـ
9 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 232.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «سيأتي بعـدي قـوم يـأكلون أطايب الـدنيا وألوانها، وينكحون المنعمات وألوانها، ويلبسون ألين الثيات وألوانها، ويركبون فرة الخيل وألوانها لهم، بطون من القليـل لا تشـبع، وأنفس بـالكثير لا تقنـع، عـاكفين على الدنيا يغدون ويروحـون إليهـا ، اتخـذوها إلهًـا دون إلههم وربًّا دون ربهم، إلى أمرهم ينتهـون وهـواهم يتبعـون، فعزيمـة من محمـد بن عبدالله لمن أدرك ذلـك الزمان من عقب عقبكم، وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم، ولا يعود مرضاهم، ولا يتبع جنائزهم، ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك، فقد أعـان على هـدم الإسـلام»[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «دعوا الدنيا لأهلها، من أخذ من الـدنيا فـوق مـا يكفيه أخذ حتفه، وهو لا يشعر»[2]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «يـا ابن آدم تقول: مالي مالي وليس لك من مالك إلا ما أكلت فـأفنيت، أو لبسـت فـأبليت، أو تصدقت فأمضيت»[3]، وقال رجل:- يا رسول الله- ما لي لا أحب المـوت؟ فقـال: «هل معك مال»؟ قال: نعم- يا رسول الله-، قال: «قدّم مالك أمامـك، فـإن قلب المؤمن مع ماله، إن قدّمه أحبّ أن يلحقـه، وإن خلّفـه أحب أن يتخلـف معـه»[4]، وقال صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «أخلاء ابن آدم ثلاثـة: واحـد يتبعـه إلى قبض روحه وهو ماله، والثاني: يتبعه إلى قبره وهو أهله، والذي يتبعـه إلى محشـره هـو عملـه »[5]، وقـال الحواريـون لعيسى- عليـه السـلام-: مالـك تمشـي على المـاء، ونحن لا نقدر على ذلك؟! فقال لهم: ما منزلة الـدينار والـدرهم عنـدكم؟ فقـالوا:

---

1 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 232.

2 (?) نفسه.

3 (?) صحيح مسلم، 4/ 2273.

4 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 232.

5 (?) صحيح البخاري، 5/ـ 2388. بلفـظ: «يتبع الميت ثلاثـة: فـيرجع اثنـان ويبقى معه واحـد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عملـه». تيسـير المطـالب، 433. بلفـظ: «للإنسان أخلاء ثلاثة: فأما خليل فيقول: ما أنفقت فلك، وما أمسكت فليس لك فذاك مالـه، وأما خليل يقول: أنا معك فـإذا أتيت بـاب الملك تركتك ورجعت فـذاك أهلـه، وحشـمه، وأما خليل فيقول: أنا معك حيث دخلت وحيث خرجت فذاك عمله ويقول: وإن كنت لأهون الثلاثة عليك».

حسنة، فقال: لكنهما عندي والمدرّ سواء[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا»[2].

الخصلة الرابعة: الحلم

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «**وحلم عن قدرة**»، اعلم أن الحلم نقيض الغضب؛ لأن أحدهما محمود والآخر مذموم، فنذكر فضيلة الحلم، ثم نذكر ذم الغضب، فهذان طرفان، نفصلهما بمعونة الله:

الطرف الأول:[3] إظهار فضيلة الحلم

واعلم أن الحلم دلالة على كمال العقل واستيلائه، وانكسار قوة الغضب وخضوعه للعقل، وابتداؤه يكون بكظم الغيظ تكلفًا، وهي خصلة شريفة، وقد أثنى الله على إبراهيم- عليه السلام- بقوله: ﴿[illegible]﴾[4]، وفضلها ظاهر، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحرّ الخير يعطه، ومن يتوق الشرّ يوقه»[5] أشار بهذا إلى أن اكتساب الحلم طريقه التحلم أولاً وتكلفه، كما أن اكتساب العلم طريقه التعلم، وقال أبو هريرة: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «اطلبوا العلم، واطلبوا معه السكينة والحلم، لينوا لمن تعلمون، ولمن تعلمتم منه، ولا تكونوا من جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم»[6].

وكان من دعاء رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «اللهم اغنني بالعلم، وزيني بالحلم، وأكرمني بالتقوى، وجملني بالعافية»[7]. قال أبو هريرة:

---

1 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 233.
2 (?) سنن الترمذي، 4/ 565. بلفظ: «لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا».
3 (?) في (د،م) زيادة: في.
4 (?) سورة هود الآية 75.
5 (?) المعجم الأوسط، 3/ 118.
6 (?) رواه الديلمي. ينظر: كنز العمال، 10/ 104.
7 (?) رواه ابن النجار عن ابن عمر. ينظر: نفسه، 2/ 81.

قال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-: «ابتغوا الرفعة عند الله» قالوا: وما هي- يا رسول الله-؟ قال: «تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتحلم عمن جهل عليك»[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الرجل ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم، وإنه ليكتب جبارًا، وما يملك إلا أهل بيته»[2]، وعن الحسن البصري في تفسير قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[3] قال: حلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا[4]، وقال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- : «إن الله يحب الحليم الحيي المتعفف، ويبغض الفاحش البذي السائل الملحف الغبي»[5]، وقيل: في تفسير قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[6] أيْ: حلماء علماء[7].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «ليليني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، وإياكم، وهيشات[8] الأسواق»[9]، وعن علي- عليه السلام-: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك[10] ويعظم حلمك، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإذا أحسنت حمدت الله، وإن أسأت استغفرت الله[11]، وقال بعض أهل الصلاح: اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم، وعن بعضهم: دعامة العقل الحلم، وجماع

---

1 (?) مكارم الأخلاق، عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، عام 1990م، القاهرة، مصر، 23.
2 (?) المعجم الأوسط، 6/ 232.
3 (?) سورة الفرقان من الآية 63.
4 (?) ينظر: تفسير الطبري، 19/ 294.
5 (?) المعجم الكبير، 22/ 413. دون ذكر:«الغبي».
6 (?) سورة آل عمران من الآية 79.
7 (?) ينظر: تفسير الطبري، 6/ 540.
8)) هيشات: جمع هيشة، وهي الجماعة. ينظر: لسان العرب، مادة (هيش).
9 (?) المستدرك على الصحيحين، 2/ 10.
10 (?) في (د،م) عملك. {لعله خطأ عند النسخ}.
11 (?) نهج البلاغة، 484.

الأمر الصبر[1]، وسبّ رجل ابن عباس، فلما فرغ قال:- يـا عكرمة[2]- هـل للرجـل من حاجة فنقضيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحيا[3]، وعن علي بن الحسين[4] أنــه سبّه رجل فرمى إليه خميصة[5] كانت عليه، وأمر له بمائة درهم[6].

وقال رجل لجعفر بن محمد الصادق[7]: قد وقع بيـني وبين قـوم منازعـة في أمر، وإني أريد أن أتركه فأخشى أن يقال: أنه ذلّ، فقال له جعفـر الصـادق: إنمـا الذليل الظالم[8]، وفي هذا كفاية.

الطرف الثاني: في بيان ذم الغضب

اعلم أن الغضـب شـعلة نـار من نـار اللـه الموقـدة، خلا أنهـا لا تطلـع على الأفئدة، وإنها لمستكنة في طي الفؤاد استكان[9] الجمر تحت الرماد، ويسـتخرجها الكبر، ولهذا قال صلى الله عليه وآلـه وسـلم : «إن الغضـب ليوقـد في فـؤاد ابن آدم النار، ألا ترونـه إذا غضـب كيـف تحمـر عينـاه وتنتفخ أوداجـه»[10]، وهـو خلـق مذموم، قال الله تعالى: ﴿ ... ﴾[11] ذمّ

---

1 (?) القائل: أكثم بن صيفي. ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 178.

2)) وهو عكرمة بن عبد الله المدني، مولى عبد الله بن عباس- رضي الله عنـه- تـابعي، كـان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، توفي بالمدينة سنة 105هـ. ينظر: ميزان الاعتــدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان المعروف بالـذهبي، تحقيق علي محمد البجـاوي، دار المعرفة، ط1، عام 1963م، بيروت، لبنان، 3/ 93- 96. الأعلام للزركلي، 4/ 244.

3 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 178.

4 (?) وهو علي بن الحسـين بن علي بن أبي طـالب، كـان مع أبيه في كـربلاء، وهو ابن ثلاث وعشـرين سـنة، وكـان مريضًـا نائمًا على الفـراش فلم يقتـل، وهو عـالم ثقة مـأمون كثـير الحديث ورع، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز. ينظر: طبقات ابن سعد، 5/ 211- 222.

5)) الخميصة: كساء أسود من خزّ أو صوف معلم. ينظر: لسان العرب، مادة (خمص).

6 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 178.

7 (?) وهو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الإمـام العلم المـدني، ولد سـنة 80هـ، قـال أبو حنيفـة: ما رأيت أفقه منـه، روى له مسـلم وأبو داود وابن ماجـة، توفي سنة 148هـ، ودفن بالبقيع. ينظر: الوافي بالوفيات، 11/ 98، 99.

8 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 178، 179.

9 (?) في (د،م) استكنان.

10 (?) مسند شمس الأخبار، 1/ 481.

11 (?) سورة الفتح من الآية 26.

الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل، ومـدح المؤمـنين بما أنعم الله عليهم من السكينة، وروى أبو هريرة أن الرسول- صـلى اللـه عليـه وآله وسلم- قال له رجل: مرني- يا رسول الله- بعمل، وأقلل، قال: «لا تغضب»، ثم أعاد عليه، قال: «لا تغضب»[1]، وقال ابن عمر لرسـول الله- صـلى اللـه عليـه وآله وسلم- قل لي قولاً وأقلل، لعلي أعقلـه، فقـال: «لا تغضـب»، فأعـدت عليـه مـرتين كـل ذلـك يرجـع إليّ «لا تغضـب»[2]، وعن عبداللـه بن عمرو[3] أنـه سـأل رسول الله- صلى الله عليه وآله وسـلم مـاذا يبعـدني من غضـب اللـه؟ قـال: «لا تغضب»[4]، وقال ابن مسعود، قال الرسول- صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم-: «مـا تعدون الصرعة فيكم»؟ قلنا: الـذي لا يصـرعه الرجـال، قـال: «ليس ذلـك، ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب»[5]، وقال الرسول- صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم-: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[6]، وقال ابن عمر قال رسول الله- صلى الله عليـه وآلـه وسـلم-: «من كفّ غضـبه سـتر اللـه عورته»[7]، وقال سليمان بن داود- عليه السلام-: يا بني إياك، والغضب، فإن كثرة الغضب تستخف فؤاد الحليم من الرجال[8]، وعن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ﮑﮒ﴾[9] قال: السيد الذي لا يغلبه الغضب[10].

---

1 (?) صحيح البخاري، 5/ 2267.

2 (?) مسند أحمد، 2، 362.

3)) وهو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي، صحابي، أسلم قبل أبيه، توفي سـنة 65هـ. ينظر: الإصابة، 4/ 192، 193. الأعلام للزركلي، 4/ 111.

4 (?) التمهيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق مصطفى أحمد العلـوي، محمـد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغـرب، الدار البيضـاء، عام 1387هـ، 7/ـ 251. وفي (د) سقط: الحديث.

5 (?) مصنف ابن أبي شيبة، 5/ 216.

6 (?) صحيح البخاري، 5/ 2267.

7 (?) المعجم الأوسط، 6/ 140.

8 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 165.

9 (?) سورة آل عمران من الآية 39.

10 (?) ينظر: تفسير الطبري، 6/ 376.

قال أبو الدرداء: قلت- يا رسول الله- دلني على عمل يدخلني الجنة، قال: «لا تغضب»[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل »[2]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما غضب أحد إلا أشفى على جهنم»[3]، وقال رجل لرسول الله: أيّ شيء أشد؟ قال: «غضب الله». قال: فما يبعدني من غضب الله؟ قال: «لا تغضب»[4]، وعن بعض الرهبان أنه سأل إبليس، فقال له: أيّ أخلاق بني آدم أعون لك عليهم؟ قال: الحدّة، فإن الرجل إذا كان حديدًا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة[5].

وعن إبليس: أنه قال: كيف يغلبني ابن آدم؟! وإذا رضي جئت حتى أكون في قلبه، وإذا غضب طرت حتى أكون فوق رأسه[6]، وقال الصادق عليه السلام: الغضب مفتاح كل شرّ[7].

الخصلة الخامسة: الإنصاف

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وأنصف عن قوة**» اعلم أن **الإنصاف** هو الانقياد لإيفاء الحقوق طوعًا، والإنصاف حسن من كل أحد كبيرًا كان أو صغيرًا، ولا يختلف العقلاء في ذلك، وإنما تقع المزية العظيمة إذا كان من قوي يتمكن من الامتناع، فعند هذا يكون الإنصاف من جهته أوقع وأبلغ، والإنصاف يعتوره طرفان، فإذا منع الحق فهو البخل، وقد قدمنا ذمه، والشواهد الشرعية على ذمه، وإن أعطى الحق فهو السخاء، فلنذكر فضلية السخاء.

---

1 (?) المعجم الأوسط، 3/ 25.

2 (?) شعب الإيمان، 6/ 311.

3 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 165.

4 (?) نفسه.

5 (?) نفسه، 3/ 32.

6 (?) شعب الإيمان، 6/ 311.

7 (?) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط7، 1997م، بيروت، لبنان، 1/ 145.

واعلم أن المال إذا كان مفقـودًا، فينبغي أن يكـون حـال العبـد القناعـة، وقلّـة الحـرص، وإن كـان موجـودًا فينبغي أن يكـون حالـه الإيثـار، والسـخاء، واصـطناع المعروف، والتباعد من الشحّ والبخل، فإن السخاء من أخلاق الأنبياء، وهو أصـل من أصول النجاة، وقد قال صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «السـخاء شـجرة من أشجار الجنـة، أغصـانها متدليـة في الأرض، من أخـذ منهـا غصـنا قـاده ذلـك الغصـن إلى الجنة»[1]، وروى جابر، قال: قال رسول الله- صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم-: «قـال جبريل، قال الله تعالى: إن هذا دين أرتضيه لنفسي، ولن يصلحه إلا السخاء، وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه»[2]، وعن عائشة- رضـي اللـه عنها- قـالت: قـال رســـول الله- صـــلى اللـــه عليـــه وآلـــه وســـلم- : «مـــا جبـــل اللـــه وليّ

ًا إلا على السخاء، وحسن الخلق»[3]، وعن جابر قال: قيل لرسـول الله- صـلى الله عليه وآله وسلم-: أيّ الإيمان أفضل؟ قال: «الصبر والسماحة»[4].

قال عبدالله بن عمـر: «خلقـان يحبهمـا اللـه تعـالى، وخلقـان يبغضـهما الله تعالى- عزّ وجلّ-؛ فأما اللذان يحبهما اللـه تعـالى فحسـن الخلـق والسـخاء، وأمـا اللذان يبغضهما الله- عزّ وجلّ-، فهما البخل، وسـوء الخلـق»، هكـذا قالـه رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم[5].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله- صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم-: «تجـافوا عن ذنب السخي فإن الله تعالى آخذ بيده كلما عثر أقاله[6]»[7]، وقالت عائشـة: قـال

---

1 (?) شعب الإيمان، 7/ 435.
2 (?) نفسه، 7/ 432.
3 (?) أخرجه الديلمي. ينظر: كنز العمال، 6/ 168.
4 (?) مسند أحمد، 4/ 385.
5 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 244.
6 (?) في (د،م) سقط: أقاله، وفي (ك) أقامه. {والسليم: أقامه}.
7 (?) المعجم الأوسط، 6/ 33. دون ذكر: «أقاله».

رسول الله- صلى الله عليه و آله وسلم-: «الجنة دار الأسخياء»[1]، وقال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «إن السخاء قريب من الله قريب من الناس قـريب من الجنة بعيد من النار، وإن البخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قـريب من النار»[2].

ورُوي أن اللـه تعـالى أوحى إلى موسـى: لا تقتـل السـامري فإنـه سـخي[3]، وقال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-: «أهون الناس عذابًا يوم القيامـة عبد الله بن جـدعان[4]» قـالوا: ولمَ يـا رسـول اللـه؟ قـال: «كـان يطعم الطعـام»[5]، وحُكي أن يهوديًا كان له على رسـول اللـه دَين، فجـاء يطالبـه قبـل حلـول أجلـه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لنا بقية يومنـا»، فقـال اليهـودي: إنكم يـا بـني هاشم قوم مطل، فقام عمر فأغلظ عليه وتهدده، فنهاه الرسول- صلى الله عليـه وآله وسلم- عن ذلك، ثم قال لعمر: «نحن إلى غير ذلك منـك أحـوج»، قـال: إلى ماذا يا رسول الله؟ قال: «إلى أن تأمرنا بحسن القضاء، وتأمره بحسن الاقتضاء، اذهب معه إلى صدقة بني زريق فأعطه دينه، وزده كذا وكـذا»[6]، فسـار اليهـودي غير بعيد، ثم رجع فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، والله مالي إلى ديني من حاجة، ولكن وجدنا صفتك في كتابنا، هكذا، فما غادر من أمرك شيئًا.

وعن أمير المؤمنين- كرم الله وجهه-، أنه وجد درعًا له مـع نصـراني فعرفهـا، فقال عليه السلام: الدرع درعي لم أبع، ولم أهب، فقال النصـراني: الـدرع درعي،

---

1 (?) مسند الشهاب، 1/ 101.

2 (?) سنن الترمذي، 4/ 342.

3 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 246.

4)) وهو عبد الله بن جدعان التيمي القرشـي، أدرك النـبي- صـلى الله عليه وآله وسـلم- قبل البعثة، كان جوادًا يصل الرحم ويطعم المسكين. ينظر: الأغاني، 8/ـ 340. الأعلام للـزركلي، 4/ 76.

5 (?) ينظر: المراسيل لأبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق شعيب الأرنـاؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، عام 1408هـ، بيروت، لبنان، 143.

6 (?) المستدرك على الصحيحين، 2/ 37. دون ذكر: «صدقة بني زريق».

وما أنت عندي بكاذب، فترافعا إلى شريح[1] قاضيه، فقال أمير المؤمنين: لـو كـان خصـــــمي إســــــلاميًا لجلست معه، ثم ادعى عليه الدرع وأنكر النصراني، فقال شريح: هل من بينـة يـا أمير المؤمنين؟ فقـال: أحسـنت واللـه يـا شـريح، فقـال: لا، فقـال: الـدرع درعـه، فأخذها النصراني فمشـى غـير بعيـد، ثم رجـع، فقـال: أمـير المؤمـنين يمشـي إلى قاضيه، وقاضيه يقضي بالحق، هـذه واللـه أحكـام الأنبيـاء، أشـهد أن لا إلـه إلا اللـه وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، هي والله درعك- يا أمير المؤمنين- تبعت الجيش، وأنت صادر إلى صفين فجررتها من بعيرك الأورق، قال: أما إذا أسـلمت فهي لـك، ثم حملـه على فـرس من أفراسـه فـرزق الشـهادة يـوم النهـروان[2]، فهـذا منتهى الإنصاف وغاية الحلم الذي يفضي إلى كل خير في الدين والدنيا، وقد نجـز غرضـنا من بيان الفصل الأول بمعونة الله تعالى.

الفصل الثاني: في بيان ذم الدنيا

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إن أفضـل النـاس عبـد أخذ من الدنيا الكفاف، وصاحب فيها العفاف، وتزود للرحيل، وتأهب للمسير**».

واعلم أن كلامه عليه السلام قد اشتمل على خصلتين:

الخصلة الأولى: في بيان ذم الدنيا، وما ينبغي للمؤمن منها

وقد ذمها الله تعالى في كتابه الكريم في غير آية، فقال تعالى: □□□□□□□ □□□□□ □□□□□□ □

1 (?) وهو شريح بن الحارث الكندي، القاضي، يُعد من كبار التابعين، كان قاضـيًا لعمـر- رضي الله عنـه- على الكوفة ثم لعثمـان- رضي الله عنـه-، ثم لعلي- رضي الله عنـه-، وكـان أعلم الناس بالقضاء، فكان ذا فطنة، توفي سنة 87هـ. ينظر: الاستيعاب، 2/ 701، 702.

2 (?) ينظر: سنن البيهقي الكبرى، 10/ 136.

[illegible] [1]، وقال تعالى: [illegible] [2]، وقال تعالى: [illegible] [3]، وقال تعالى: [illegible] [4]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم لمّا مرّ بشاة ميتة، فقال: «تـرون هذه الشاة هينة على صاحبها» قالوا: نعم، فقال: «والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله- عزّ وجلّ- من هذه على صاحبها»[5].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الدنيا سجن المؤمن، وجنّة الكافر»[6]، وقـال صلى الله عليه وآله وسلم: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيهـا إلا مـا كـان للـه»[7]، وقـال عليه السلام: «من أحب دنياه أضرّ بآخرته، ومن أحب آخرتـه أضرّ بـدنياه، فـآثروا مـا يبقى على ما يفنى»[8]، وقـال صـلى الـله عليـه وآلـه وسـلم: «حب الـدنيا رأس كـل خطيئة»[9]، وقال صلى الله عليه وآلـه وسـلم: «يـا عجبـا كـل العجب للمصـدق بـدار الحيوان، وهو يسعى لدار الغرور»[10]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الدنيا حلـوة خضرة، والله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون»[11]، وقال صلى الله عليـه وآلـه و سلم: «إن بني إسرائيل لما بسـطت لهم الـدنيا، ومهـدت تـاهوا في الحليـة والنسـاء

---

1 (?) سورة العنكبوت من الآية 64.
2 (?) سورة آل عمران من الآية 185، الحديد من الآية 20.
3 (?) سورة الحديد من الآية 20.
4 (?) سورة الكهف من الآية 45.
5 (?) المستدرك على الصحيحين، 4/ 341. وورد أنه مرّ بشاة شائلة برجلها.
6 (?) صحيح مسلم، 4/ 2272.
7 (?) حلية الأولياء، 3/ 157.
8 (?) مسند أحمد، 4/ 412.
9 (?) شعب الإيمان، 7/ 338. بلفظ: «حب الدينار رأس كل خطيئة».
10 (?) مصنف ابن أبي شيبة، 7/ 82.
11 (?) صحيح مسلم، 4/ 2098.

والطيب والثياب»[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا عقل له، وعليها يعـادي من لا علم لـه، وعليهـا يحسـد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له»[2]، وقال صلى الله عليه وآله وسـلم: «من أمسى وأصبح والآخرة أكبر همّه جعل الغنى في قلبه، وجمع له من أمـره، ولم يخـرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه، ومن أمسى وأصبح وهمّه الدنيا، جعـل اللـه الفقـر بين عينيه، وشتت عليه أمره، ولم ينل من الدنيا إلا ما قسم لـه»[3]، فمن نظر إلى الـدنيا بعين الاحتقـار، ولم تطمح نفسه[4] إلى زينتها، ولم يغـتر بزخرفهـا، واكتفى منهـا باليسير، وجعل زاده فيها كـزاد الـراكب فإنـه النـاجي من هـول الحسـاب وغمّـه، وقال لقمان: الدنيا بحر عميق، قد غرق فيها ناس كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشودها[5]الإيمان بالله، وشراعها التوكل على الله، لعلـك نـاجٍ، ومـا أظنـك بناجٍ إلا برحمة الله تعالى.

الخصلة الثانية: التزود والتأهب

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآلـه وسـلم: «**وتزود للرحيـل، وتـأهب للمسير**». اعلم أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد أشار هاهنا إلى ما يفعل في الدنيا للآخرة من التزود والتأهب، فصار هاهنا أقسام ثلاثة:

القسم الأول: منها ما يفعل في الدنيا، والمقصود به الآخرة، وهذا نحـو العلم والعمل، فالعلم هو العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسـله، والعلم بشريعة رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- والعمل هو العبادة الخالصـة لوجـه الله تعالى، فما هذا حاله لا يعد من الدنيا المذمومة، بل يكون معدودًا من الآخرة.

---

1 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 202، 203.
2 (?) شعب الإيمان، 7/ 375.
3 (?) تيسير المطالب، 509.
4 (?) في (د،ك،م) عينه.
5 (?) في (د،ك،م) حشوها.

القسم الثاني: وهو المقابل للأول على قصد المناقضة، فهو كل ما فيـه حظّ عاجل، ولا ثمرة له في الآخرة أصلاً، وهذا نحو التلذذ بالمعاصـي، والتنعم بالمباحـات الزائدة، على قدر الضرورة، والحاجة الداخلة في جملة الرفاهية، كـالتنعم بالقنـاطير المقنطـرة من الـذهب والفضـة والخيـل المسـومة والأنعـام والحـرث والجـواري والقصور والدور ورفيع الثياب ولذيـذ الأطعمـة، فحظّ العبـد من هـذا كلـه هي الـدنيا المذمومة.

القسم الثالث: ما هو متوسط بين الطرفين، فكـل حظّ في العاجـل معين على أعمال الآخرة، كقدر القوت من الطعام، والقميص الواحد من الثيـاب، وكـل مـا لا بـد منـه ليتـأتى من الإنسـان البقـاء، والصـحة الـتي يتوصـل بهـا إلى العلم والعمل، فليس معـدودًا من أمـور الـدنيا، ولا يصـير بـه من أبنـاء الـدنيا، وإن كـان المقصود به الحظ العاجل من الدنيا دون الاستعانة على التقوى، فهـو من أعمـال الدنيا، وصاحبه معدود من أبناء الدنيا، فقد أشار صلى الله عليه وآله وسلم بكلامه هذا إلى ما أشرنا من هذا التقسيم.

الفصل الثالث: في بيان من يستحق الطاعة والمعصية

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآلـه وسـلم: «**ألا وإنَّ أعقل النـاس عبد عرف ربه فأطاعه، وعرف عدوه فعصاه**».

وأراد صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم أن الزائـد على النـاس في العقـل من استعمل عقله في نجاة نفسه، وفكاك رقبته وخلاصها، فإن الدار في الحقيقة هي دار الآخرة؛ لأنّ دارنا طريق إليهـا، وليسـت بـدار؛ لأنهـا تـزول على القـرب، وقـد صدق من قال فيها:

فَلَيْسَ لِعَيْشِـنَا هَـذَا هَنَـاءٌ   وَلَيْسَـتْ دَارنَـا الدُّنْيَا بِـدَارِ[1].

1 (?) البيت من الوافر، ونُسب لعمران بن حطان، ونصّـه: وَلَيْسَ لِعَيْشِـنَا هَـذَا مُهَـاهٌ وَلَيْسَـتْ

وإنمـا يطلـق عليهـا اسـم الـدار بقرينـة الإضـافة، فيقـال: دار الـزوال، ودار الضلال، ودار الهلاك، ودار الغرور، إلى غير ذلك من الألقاب الصـادقة عليها، فأمـا الآخرة فهي دار القرار، ودار المقامة، ودار الحيـوان لأهـل الطاعـة، ودار القـرار، ودار العذاب، ودار الخسران للعصـاة، وكلا الـدارين دائمـة، وأهلهـا فيهـا دائمـون، وأهل النعيم في نعيمهم لا يسأمون، وأهل العـذاب في عـذابهم لا يرحمـون، فـإذا كانت دار الإقامة إحدى هذين الدارين، وكـانت الرحلـة إليهـا سـريعة، وكـان الـزاد ليس إلا العمل الصالح، وكان ممّن تأخر عن إصلاح دار إقامته فإنما يؤتى من قبل نفســه، وأســكن دار العــذاب الأليم مهــاده الجحيم، وشــرابه الحميم، وطعامــه الزقوم، وفاكهته السموم، وكان من لم يـتزود لرحلته، وأزعج بغـير زاد ولم يمهـد للمعاد، فأيّ عذر لمن اغتر بما هذا حاله؟! وبأيّ شيء يواسـي نفسه؟! ألم ينظـر إلى الداخلين في الدنيا من بطون أمهاتم يدخلونها بغـير شـيء، والخـارجين عنهـا بالموت يخرجـون بغـير شـيء أصلاً، والمتمتعين بين هـاتين الحـالتين من الملـوك فمن دونهم، كـأنهم أضـغاث أحلام، وزيـادتهم إلى نقصـان، وربحهم إلى خسـران، آخر صحتهم سقم، وغاية ملكهم عـدم، ومنتهى حيـاتهم المـوت، وقصـار أمـورهم كلها البطلان والفوت، فهذه حاله حتى يدعى إلى الحكم العدل، فيوقـف بين يديـه حسيرًا لا يملك نقيرًا، ولا قطميرًا، قد جمع كثـيرًا، وخـرج فقـيرًا [illegible] [1].

الفصل الرابع: في بيان خيرالزاد وخيرالعمل

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسـلم: «**ألا وإنَّ خـير الـزاد مـا**

دَارُنَا هَاتَا بِدَار. ينظـر: المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسـماعيل بن سـيدة، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، عام 2000م، بيروت، لبنان، 4/ 113. شعر الخوارج، إحسـان عبـاس، دار الثقافـة، ط3، عـام 1974م، بـيروت، لبنـان، 153.وهو عمران بن حطان بن ظبيان بن لواذن السدوسي، تابعي مشهور، من رؤوس الخوارج، توفي سنة 84هـ. ينظر: الإصابة، 5/ 302- 305.

[1] (?) سورة الأنعام من الآية 62.

صحبه التقوى، وخير العمل ما تقدمته النية»، واعلم أن ما كان ليس لوجه الله خالصًا فهو للدنيا، وما كان لله خالصًا فهو للآخرة، فصارت الأشياء واقعة على أوجه ثلاثة:

أولها: أمر لا يتصور أن يكون لله بحال، فهذا هو الذي يعبر عنه بالمعاصي والمحظورات، وأنواع التنعمات بالمباحات، فهذه الدنيا المذمومة صورة ومعنى.

وثانيها: أمر صورته لله تعالى، ويمكن أن يجعل لغير الله، وهذا نحو الذكر والفكر، والكفّ عن المحرمات، فهذه الأمور إذا جرت سرًّا، والباعث عليها أمر الله، ورجاء اليوم الآخر فهي لله وليست للدنيا، وإن كان الغرض منها خلاف وجه الله، وعَرَض حقير من الدنيا، فهي للدنيا، وليست لله تعالى.

وثالثها: أمر صورته لحظّ النفس، ويمكن أن يجعل معناه لله، وهذا نحو الأكل والشرب، وكل ما يرتبط به البقاء والدوام، فإن قصد به حظ النفس فهو من الدنيا، وإن قصد به الاستعانة على التقوى فهو لله وللآخرة، وإن كان صورته صورة الدنيا، ويؤيد ذلك ما روي عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «من طلب الدنيا حلالاً مكاثرًا مفاخرًا لقي الله، وهو عليه غضبان، ومن طلبها استعفافًا عن المسألة، وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر»[1]، فانظر كيف اختلف ذلك بالقصود والإرادات، والمعنى في ذلك أن الواجب على العاقل الاستعداد، وأخذ الأهبة، واتخاذ التقوى صاحبًا في جميع الأعمال؛ لينجو من الأهوال، وأن يقدم النية على العمل، ليقع خالصًا لوجه الله، فالأعمال إنما تزكو بحسب النيات الصالحة؛ ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا عمل إلا بنية»[2]، و«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[3]،

---

1 (?) مسند عبد حميد، 1/ 418.

2 (?) تيسير المطالب، 242.

3 (?) صحيح البخاري، 1/ 3.

وقد قدّمنا في النية كلامًا شافيًا نرجو أن ينفع الله من أراده بخير، ووفقه لحسن البصيرة، ولفعل الأعمال المقبولة.

الفصل الخامس: في بيان حكم الخوف من الله تعالى

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وأعلى الناس منزلة عند الله أخوفهم منه**» اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب، واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل، ومحصول ما ذكرناه في ماهية الخوف ينتظم من **علم، وحال، وعمل**، فأما **العلم**، فهو إحراز المعرفة بالله، وبصفاته اللائقة به، وعلو جلاله، وعظيم سلطانه، وعلى قدر حاله في المعرفة يكون خوفه وقوته، فأخوف الناس لله أعرفهم بنفسه وبربه، ومصداق ذلك قوله تعالى: [illegible][1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا أخوفكم لله»[2]، وأما **الحال**، فإذا كملت المعرفة أورثت[3] حال الخوف، واحتراق القلب، ثم تفيض تلك الحرقة على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات، أما على **البدن**: فبالنحول[4]، والاصفرار، والغشية، وشدّة البكاء، وأما على **الجوارح**، فبكفها عن المعاصي، وبقيدها بالطاعات، تلافيًا لما فرّط، واستعدادًا في المستقبل، وأما في **الصفات**، فإنها تقمع الشهوات، وتكدّر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة.

وأما **العمل**، فأقلّ ما يظهر أمر[5] الخوف فيه من الأعمال يمنع المحظورات، ويُسمى بذلك ورعًا، فإن زاد قوة وكفّ عمّا يتطرق إليه إمكان التحريم، فكفّ عمّا لا يتيقن تحريمه سمي تقوى، فإن زاد قوة وترك ما لا شك في حلّه سمي صديقًا، فهذا ما أردنا ذكره في ماهية الخوف، فإذا عرفت هذا،

---

[1] (?) سورة فاطر من الآية 28.
[2] (?) مسند أحمد، 5/ 434. بلفظ: «أنا أتقاكم لله».
[3] (?) في (د) أورثته.
[4] (?) في (ك) سقط: الفاء والباء.
[5] (?) في (ك) أثر.

فلنذكر فضيلة الخوف، ثم نذكر درجاته، فهذان مقامان نذكر ما يختصّ كـل واحـد منهما، وبالله التوفيق.

المقام الأول: في بيان فضيلة الخوف

واعلم أنها من طرق ثلاث:

الطريقة الأولى: من جهة الكتاب الكريم، وجملة ما نورده آيات أربع:

الآية الأولى: دالـة على الهـدى والرحمـة، كقولـه تعـالى: [illegible][1].

الآية الثانية: دالة على الخشية والعلم، كقوله تعالى: [illegible][2].

الآية الثالثة: دالة على الرضوان، كقولـه تعـالى: [illegible][3].

الآية الرابعة: الثناء والمدح كقولـه تعـالى: [illegible][4]، وقوله تعـالى: [illegible][5]، فهذه الآيات كلها دالة على فضيلة الخوف وعلو درجة الخائفين[6] عند الله تعالى.

الطريقة الثانية: من جهة الأخبـار الـواردة، كقولـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسلم: «لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمـنين، فـإذا أمِـنـني في الـدنيا أخفته يـوم القيامة، وإن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة»[7]، وعنـه صـلى اللـه عليـه وآلـه

---

[1] (?) سورة الأعراف من الآية 154.
[2] (?) سورة فاطر من الآية 28.
[3] (?) سورة البينة من الآية 8.
[4] (?) سورة المؤمنون الآية 57.
[5] (?) السورة نفسها من الآية 60.
[6] (?) في (د،ك،م) درجته.
[7] (?) شعب الإيمان، 1/ 482.

وسلم أنه قال: «من خاف الله خافه كل شيء، ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء»[1]، وقالت عائشة- رضي الله عنها-: قلت: يا رسول الله [illegible] [illegible][2]، الرجل يسرق، ويزني، قال: «لا، بل الرجل يصوم ويتصدق ويصلي، ويخاف أن لا يقبل منه»[3]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من رجل يخرج من عينيه دموع إن كانت مثل رأس ذباب من خشية الله- عزّ وجلّ- ثم يصيب شيئًا من حرّ وجهه إلا حرمه الله على النار»[4]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يلج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع»[5]، وقال عقبة بن عامر: ما النجاة- يا رسول الله-؟ قال: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»[6]، وقالت عائشة: قلت:- يا رسول الله- يدخل الجنة أحد من أمتك بغير حساب، قال: «نعم، من ذكر ذنوبه فبكى»[7]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمعة من خشية الله، أو قطرة دم أهريقت في سبيل الله»[8]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم ارزقني عينين هطالتين تسقيان القلب بذروف الدموع من خشيتك قبل أن يصير الدمع دمًا، والأضراس جمرًا»[9]، ونقتصر على هذا القدر من الأخبار، فإن فيها كثرة وسعة، وفيما أوردناه كفاية في مقدار غرضنا.

الطريقة الثالثة: من جهة الاعتبار، فسبيله أن تعلم أن فضيلة الشيء

---

1 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 162.
2 (?) سورة المؤمنون من الآية 60.
3 (?) مسند أحمد، 6/ 205.
4 (?) سنن ابن ماجة، 2/ 1404.
5 (?) مسند أحمد، 2/ 505.
6 (?) سنن الترمذي، 4/ 605.
7 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 163.
8 (?) سنن الترمذي، 4/ 190.
9 (?) حلية الأولياء، 2/ 196، 197.

بقدر عنايته في الإفضاء إلى سعادة لقاء الله تعالى؛ إذ لا متصور[1] سوى السعادة الأخروية، ولا سعادة للعبد إلا في لقاء مولاه والقرب منه، فكل ما أعان عليه فلـه فضيلة، فلا تحصل السعادة إلا بالطاعة والانكفاف عن المعصية، وهمـا لا يحصـلان إلا بالخوف ، فكيف[2] لا يكون الخوف أهلاً لكل فضيلة، وبه تحصل العفـة والـورع والتقوى والمجاهدة، وهي الأعمال الفاضلة المحمـودة الـتي يتقـرب بهـا إلى اللـه زلفى.

المقام الثاني: في بيان درجات الخوف

وهو منقسم إلى: **القوي**، و**الضعيف**، و**المتوسط** ، **فالضعيف**، مـا كـان حصوله على وجه الندرة وليس حاثًّا على العمل، وهذا كالذي يصـيبـ عنـد حـدوث المعصية من البكاء والانزعـاج والفشـل، ثم يرجـع إلى مـا كـان عليـه من الغفلـة والإكبـاب على شـغل الـدنيا، وأمـا **القوي**، فهـو الـذي يخـرج عن حدّ الاعتـدال، ويورث القنوط، واليـأس عن الرحمـة الواسـعة، وهـذا كضـرب الدابـة بمـا يكسـر عظامها، ويزيــل لحمهــا، فمــا هــذا حالــه مــذموم يــوجب بطلان العمل، وأمــا **المتوسط**، فهو المحمود، وهو الذي يحمل على العمل، ويحمل على إشـعال نـار الخوف في القلوب، فهذه درجات الخوف بالإضافة إلى الخائفين، وقد نجز غرضنا من هذا الحديث، وبالله التوفيق.

---

[1] (?) في (د،ك،م) يتصور.

[2] (?) في (ك،م) وكيف.

الحديث السادس عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه وسَـلَّمَ-: «**إِنَّمَـا يُؤْتَى النَّاسُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ مِنْ إِحْـدَى ثَلاَثٍ: إِمَّا مِنْ شُـبْهَةٍ فِي الـدِّيْنِ ارْتَكَبُوهَا، أَوْ شَهْوَةٍ لِلَذَّةٍ آثَرُوهَا، أَوْغَضْبَةٍ لِحَمِيَّةٍ أَعْمَلُوهَـا، فَـإِذَا لاَحَتْ لَكُمْ شُـبْهَةٌ فَاجْلُوهَـا بِـالْيَقِينِ، وَإِذَا عَرَضَـتْ لَكُمْ شَـهْوَةٌ فَاقْمَعُوهَـا بِالزُّهْدِ، وَإِذَا عَنَتْ لَكُمْ غَضْبَةٌ فَادْرَؤُوهَـا بِـالْعَفْوِ، إِنَّهُ يُنَـادِي مُنَـادٍ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ، مَنْ لَـهُ عَلَى اللَّهِ أَجْرٌ فَلْيَقُمْ، فَيَقـُومُ الْعَـافُونَ عَنِ النَّاسِ، أَلَمْ تَرَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَـى:** ﴿ [illegible] ﴾[1]»[2].

فنقول: الحمد لله الواحد المتفرد بالجلال في كبريائـه وتعاليـه، المسـتحق للتحميد والتمجيد[3]، والتقديس والتسبيح والتنزيه القائم بالعدل والحكمـة في كـل ما يبرمه، ويقضيه، المتطـول بالفضـل والإنعـام في كـل مـا يجـود بـه على خلقـه ويسديه، المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومصادره ومجاريه، المنعم عليــه بما يريد[4] على مهمات مقاصده وحوائجه، والمكمـل لأمانتـه، فهـو الـذي يرشـده ويهديه، ويوفقه للطاعـات، ثم بألطافـه الخفيّـة يرتضـيه، ويجتبيـه عمّـا يهلكـه في دينه، ويحميه حتى تضيق مجاري الشيطان ومداخله، وجميع دواعيه، ويكسـر عنـه سطوة الهـوى، ونـزوغ النفس الـتي تعاديـه، كـل ذلـك من أجـل أن يمتحنـه اللـه بضروب المحن ويبتليه، فينظر كيف يؤثر مراد مولاه على مراده وينتحيه؟! وكيـف يواظب على امتثال أوامره ونواهيه، ويحافـظ على الاهتمـام بطاعتـه ويـنزجر عن معاصيه؟!

---

1 (?) سورة الشورى من الآية 40.

2 (?) الأربعون حديثًا السيلقية، 27.

3)) في (د،ك،م) للتمجيد والتحميد.

4 (?) في (د) يزيد. {ولعله المناسب}.

والصلاة على المخصوص بالعصمة والتنزيه، والمتوج بتاج الكرامة التي ظهرت عليه، وفيه صلاة تزلفه عنده وتحظيه، وترفع منزلته ومكانه وتعليه، وعلى آله الأبرار من عترته وأقربيه.

واعلم أن ما ذكره صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث مشتمل على النظر في أمور ثلاثة.

النظر الأول: في بيان ما اشتمل عليه من الأمور الأدبية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في بيان ما تضمنه من الألفاظ اللغوية

أراد بقوله: «**يؤتى الناس**» أيْ: يهلكون كما يقول صاحب الغزو: أتينا من كذا، قال الله تعالى: [illegible][1]، ويقول القائل: أتينا من كذا وكذا، إذا نزل بهم مكروه، وأكثر ما يستعمل في المكروه، وقد يستعمل على الندرة في المحبوب.

«**إحدى**» لغة في الواحدة، و**الشبهة**: ما كان يلتبس في الحق ويشبهه وليس منه. **الدين**: ما يذهب إليه الإنسان ويعمل به ويعتقده، ومنه دين اليهودية والنصرانية، ودين الإسلام، فهو خير الأديان وأعدلها، وهو المذهب أيضًا. **الارتكاب**: (افتعال) من قولهم: ركب فلان هذا الأمر، إذا فعله ولابسه، ويقال: ركب فلان هجاج، أيْ: الباطل، وكل ما لابس من الأمور الهائلة فقد ركبه، و**الشهوة**: ميل الطبع إلى ما يوافق الأمزجة، و**اللذة**: إدراك الملائم، والمتكلمون يزعمون أنهما معنيان من المعاني التي لا تكون إلا في الحيّ، كالقدرة والعلم، ولسنا ممّن يقول بالمعاني والإيثار تقديم فعل مع الحاجة إلى ذلك، وقد يقع في الأمور المحمودة، ويقع في الأمور المذمومة، وكله إيثار على

---

[1] (?) سورة النحل من الآية 26.

ما تدعو إليه الحاجة، و**الغضبة**: واحدة الغضبات؛ وهو الغيظ والحنق، وقد يكون محمودًا إذا كان الغضب لله تعالى وللدين، وكان رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- إذا استحلت المحارم غضب حتى يرى لوجه ظللاً ويتمعر وجهه[1]، وإذا استبشر كان وجهه قطعة قمر، فإن كان الغضب للحمية والأنفة، و[2]هو مذموم، و**الحمية**: هي الكِبْر. قال الله تعالى : [illegible][3]، وهي سفه الحق واستصغار الخلق، و**إعمال الحمية**: اشتغال الجوارح بها[4]، ومنه: إعمال الرأي لاشتغال الفكرة فيه[5].

لاح الشيء: إذا كان يبدو في العيون مرة بعد مرة، كما يلوح البرق والسيف، وهكذا حال الشبهة؛ لأنها لا تستقر في أذهان أهل النظر الثاقب، والفكر الموفق، و**الجلاء**: هو إذهاب الصدى عن الأشياء الصقيلة كالمرآة والسيف، و**اليقين**: هو التحقق، فالشبهة تجلى باليقين كما تجلو المداوس[6] السيوف عن صدئها، و**العارض**: هو الطارئ الذي لا استقامة له، وقد يقع في الأمور المحمودة والمذمومة، وهو أقرب شيء إلى الزوال، و**القمع**: هو كفّ الهامة من كل شيء حتى ينقمع ويتكتم، كما يفعل بالقنفذ فإنه يقمع حتى يتحجر في بيته، ومنه المقمعة التي يقمع بها الرأس، و**الزهد**: الرغبة عن الشيء وإهماله وتركه، فقمع الشهوة يكون بالإعراض عنها، وتركها زهدًا فيها ، ومعنى **عنت**: اعترضت، ومنه: عنان السماء، وهو الجو الذي بين السماء والأرض؛ لأنه معترض بينهما، ومنه عنان الفرس؛ لأنه يعترض للفرس دون مرادها، و**الغضبة**: واحدة الغضبات، وهي

---

1)) يتمعّر وجهه: يتغير وتعلوه الصفرة بسبب الغضب. ينظر: لسان العرب، مادة (معر).

2 (?) في (د،م) الفاء بدلاً عن الواو. {ولعله المناسب}.

3 (?) سورة الفتح من الآية 26.

4 (?) في (د،م) لها. {بها: تفيد وجود أمر آخر تشتغل به الجوارح، أما لها: تفيد التفرد، فالجوارح مسخرة لها فقط، لذا كان الأخير أبلغ}.

5 (?) في (د،م) به.

6)) المداوس: جمع مدوس، والمدوس خشبة يشدّ عليها مِسَنٌّ يصقل بها السيف حتى يجلوه. ينظر: لسان العرب، مادة (دوس).

المرة كالضربة والأكلة، و**الدرّ**: هو الدفع، و**العفو**: هو ترك المناقشة على الفعل والمعاقبة عليه.

المنادي: هو الذي يرفع صـوته بإشـادة الأمـور المهمة، والإعلام بها، **ويوم القيامة**: هو اليوم الذي يقوم فيه الأشهاد، ويقوم الناس لرب العالمين، و**الأجر**: هو الثواب؛ لأنه في مقابلة العمل، و**العافون**: جمع عافٍ، وهم الـذين يسـقطون حقوقهم صبرًا واحتسابًا لله تعالى، فهذا ما أردنا ذكره من تقرير الألفـاظ اللغويـة التي تضمنها هذا الحديث على انفرادها.

المطلب الثاني: في بيان ما اشتمل عليه من المعاني الإعرابية

«**إنما**» هاهنا واردة على جهة الحصـر، وهي متضـمنة للنفي والإثبـات، كأنـه قال: ما يؤتى الناس إلا من إحدى ثلاث، و«**يؤتى**» فعل مضارع مبني لما[1] يسـم فاعله، وفاعله محـذوف، و«**الناس**» مرفـوع على الفاعليـة قـائم مقـام الفاعـل الحقيقي.

«**من**» دالة على التبعيض، ويحتمل أن تكون لابتداء الغاية. «**إحدى**» الهمزة فيه بدل من الواو المكسورة، وهو قياس في حقها كإسادة وإقادة، وقرأ سعيد بن جبـير[2]: من إعاء أخيه[3]، وأصـله وحـدى، و«**الألف**» للتـأنيث، وهـو مجـرور بـ «**من**»، ومضـاف إلى «**ثلاث**»، و«**إحـدى**» جاريـة على القيـاس في التـذكير والتـأنيث، فيقـال للـذكر: أحد، وللمؤنثة: إحـدى، ويقـال في لغـة ثانيـة: الواحـدة والواحد على جهة الإشتقاق من الفعل، و«**ثلاث**» للعدد ينعكس الأمر فيـه فيـأتي

---

1)) في (د،ك،م) زيادة: لم. {وهي زيادة مناسبة}.

2 (?) وهو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء، كوفي وأحد أعلام التـابعين، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس، قتله الحجاج سنة 95هـ، وقيل: 94هـ بواسط، ودفن بهـا. ينظـر: وفيـات الأعيان، 2/ 371- 373.

3 (?) ينظر: الكشاف عن غامض حقائق التنزيل للزمخشري، 2/ 463.

للمـذكر بالتـاء، فيقـال: ثلاثـة رجـال وأربعـة غلمـان، ويقـال: ثلاث نسـوة، وأربـع جـواري[1]، وهـو مجـرور بالإضـافة لمـا قبلـه إليـه، وقيـاس «**ثلاث**» إذا كـان بغير(ألف)، و(لام) أن لا يستعمل إلا مضافًا في تمييزه، وقد جاء: ثلاثة أثوابًـا على النصب، وهـو قليـل جدًا، وأقلّ منـه في الاسـتعمال مـا ورد من قـولهم: الثلاثـة الأثواب، والخمسة الدراهم. «**إما**» للعطف، ولا تستعمل إلا مكررة، كقوله تعالى:

[illegible][2]، ولا تستعمل للعطف إلا مكسورة الهمزة، فـ (أما) مفتوحة الهمزة، فإنما تستعمل للتفصيل، كقوله تعالى: [illegible][3]، وقد تقوم مقامها في التكرار، أو كما ورد هاهنا في الحديث؛ لاشتراكهما في العطف، و«**من**» هاهنا لابتداء الغايـة، ويحتمل أن تكون للتبعيض، والابتداء بها أظهر، وهي متعلقة بـ «**يؤتى**» في صـدر الكلام.

الشبهة: اسم للمصدر، والمصدر هو التشبيه، و«**في الدين**» جار ومجرور متعلق بمـا في الشـبهة من رائحـة الفعـل. «**ارتكبوها**» جملـة من فعـل وفاعـل ومفعول، فــ «**الواو**» هو الفاعل، و«**الهاء**» ضـمير المفعـول، والجملـة الفعليـة في موضـع جـر صـفة للشـبهة، كأنـه قـال: شـبهة مرتكبـة، «**أو**» للعطـف على «**شـبهة**» سـادة مسـد «**إما**» حيث كـانت لا تسـتعمل إلا مكـررة، و«**شـهوة**» مجرور بالعطف على ما قبلها، و«**للذة**» جـار ومجـرور متعلـق **بالشـهوة**، وهـو اسم فيه رائحة الفعل، و«**آثروها**» جملة من فعل وفاعل ومفعول، والجملـة في موضع جر صفة، إما لــ «**شهوة**»، وإما «**للذة**»، فكلاهما محتمل.

---

1)) يجـوز الوقف في المنقـوص المنـون بـالرفع والجر على اليـاء، وبـذلك وقف ابن كثـير، والأفصح الوقف عليه رفعًا وجرًا بالحذف. ينظر: شرح قطر الندى، وبل الصدى، 436.

2 (?) سورة مريم من الآية 75.

3 (?) سورة الضحى الآيتان 9، 10.

«**أو غضـبة**» «**أو**» هاهنـا عاطفـة كـالتي قبلهـا، و**الغضـبة**: مصـدر من المصـادر المتصـلة بالتـاء دلالـة على الوحـدة، كالضـربة والأكلـة. «**لحمية**» جـار ومجـرور، و«**اللام**» متعلقـة بالمصـدر المـؤنث. «**أعملوها**» جملـة فعليـة في موضع الصفة، إما «**لحمية**»، وإمـا «**لغضبة**»، والظـاهر أنهـا «**لحمية**»؛ لقـرب المجاورة لـه؛ لأن الصـفة لا يفصـل بينهـا وبين موصـوفها (اللام) في «**لحمية**»، و«**اللام**» في «**للذة**» فيهما معنى التعليل، والمعنى: أن الشهوة من أجـل اللـذة والحمية من أجل الغضب، فإذا فيها معنى الشرط، وهي تفيد التوقيت.

«**لاحت لكم شبهة**» جملـة فعليـة. «**فاجلوها**» «**الفـاء**» جوابهـا، أعـني «**إذا**»؛ لأنها تفيد الشرطية. «**باليقين**» جـار ومجـرور متعلقـان بالفعـل قبلهما، و«**الباء**» فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون مشعرة بالحال، كأنه قـال: فاجلوهـا متيقـنين، و**ثانيهما**: أن تكـون للآلـة، كأنـه جعـل اليقين آلـة للـدفع، كمـا تقـول: كتبت بـالقلم. «**وإذا عرضـت لكم شـهوة**» جملـة فعليـة. «**فاقمعوها**» «**الفـاء**» جـواب «**إذا**». «**بالزهد**» جار ومجرور فيه الوجهـان اللـذان ذكرناهمـا في قولـه: «**باليقين**». «**وإذا عنَّت لكم غضبة**» جملة فعليـة أيضًـا. «**فادرؤوها بـالعفو**» «**البـاء**» هاهنا فيها الوجهان اللذان ذكرناهما فيما قبله. «**إنه**» «**الهـاء**» للشـأن، والقصة، و«**ينادي**» جملة فعلية مفسرة للشأن، وهو فعل مضارع معرب بالرفع، لكنه فيه مقدر لأجل ثقله على حرف العلة، وهو الياء المكسور ما قبلها، و«**منادٍ**» مرفـوع على الفاعلية، وهـو اسـم منقصـوص كقاضٍ، والتنـوين فيـه للعـوض عن حـذف الحركة المقدرة الإعرابية.

«**يوم القيامة**» منصوب على الظرفيـة، وهـو متعلـق بـــ «**ينادي**»، وإنمـا

أعلّ الاسم بطرح الياء في «**منادٍ**»، ولم يعلّ الفعـل في «**ينـادي**» بطـرح اليـاء منـه من أجـل التنـوين الـذي حصـل بـه الثقـل، وليس التنـوين حاصلاً في الفعـل، فافترقا.

«**من لـه على اللـه أجر**» «**من**» هاهنـا شـرطية، والجملـة بعـدها جملـة ابتدائية، وإنما جاز الابتـداء بـالنكرة؛ لمـا تقـدم خبرهـا عليها، و«**على الله**» جـار ومجـرور صـفة[1] للمصـدر، وهـو «**أجر**»[2]. «**فليقم**» «**الفـاء**» جـواب «**من**» «**فيقوم**» جملة فعليـة مضـارعة مرفوعـة للابتـداء، ولا يجـوز فيـه النصـب؛ إذ لا موجب لنصبه هاهنا، و«**اللام**» في قوله: «**فليقم**» للأمـر، والفعـل مجـزوم بهـا وعلامة جزمه حذف الحركة الإعرابية، وكان طرح الواو من أجل التقاء السـاكنين، و«**العافون**» مرفوع على الفاعلية وعلامة رفعه الواو؛ لأنه من جمع السلامة، كـ (المسلمون)، و(لامه) محذوفة لأجل الإعلال، وأصله: العــافيون، و«**عن الناس**» جار ومجرور يتعلقان بـ «**العافون**» لأجـل كونـه مشـتقًا من الفعـل، فعمل[3] في الفعل لأجل الاشتقاق، والآية الشريفة: [illegible][4] فيها شـرطية، و[illegible][5] فعلان شرطان، وقوله تعـالى: [illegible][6] جملـة ابتدائيـة، والفـاء جواب الشرط، و[illegible][7] جار ومجرور يتعلق بالمصدر وهـو الأجر، و**الحميـة والغضبة**: مصدران على القلّة، فوجه القلّة في الغضبة من أجل حـرف التـأنيث، وهـو دليـل القلّـة للمـرة الواحـدة في المصـادر، و(فعيلة) و(فعيل) قليلان في المصادر أيضًا، ولا يرد (فعيل) إلا في الأصوات، كـالزئير والنـئيم والنهيم، و(فعيله)

---

[1])) في (د،م) صلة.

[2])) في (د) سقط: وهو أجر.

[3] (?) في (د) فيعمل.

[4])) سورة الشورى من الآية 40.

[5])) السورة نفسها ومن الآية نفسها.

[6])) السورة نفسها ومن الآية نفسها.

[7])) السورة نفسها ومن الآية نفسها.

أقل منه، والله أعلم.

النظر الثـاني: في بيـان ما اشـتمل عليه من علـوم البلاغة

وفيه مباحث ثلاثة:

المبحث الأول: في بيان ما تضمنه من العلوم المعنوية

ويشتمل على معانٍ خمسة:

المعـنى الأول: الحصر، في قولـه: «**إنمـا يـؤتى النـاس من إحـدى ثلاث**»، وهي أعـني «**إنما**» تـرد في الأمـور الواضـحة، كقولـه تعـالى: [illegible][1]، وقوله: [illegible][2]، فالأمر واضح في هذه الأمور الثلاثة، فهذه هي المهمات من الخصال المهلكة، والمعاصي المورطة.

المعنى الثاني: التفصيل، في هـذه الخصـال الثلاث، فإنـه إنمـا يـرد من أجل الكشف، والبيان، والتنبيه على هذه الأمور الخطيرة في الدين المفسدة له.

المعنى الثالث: أنه أردف كل واحد من هذه الخصال المهلكـة مـا يكون ماحيًا لآثارها، مزيلاً لأحكامها، فوقعت هذه الجمل أحسن موقع؛ لما فيها من الملاءمة والمناسبة لما قبلها.

المعنى الرابع: الإبهام في ضمير الشأن، والقصة، في قولـه: «إنـه ينادي منادٍ يوم القيامة[3]»، فإن فيه من الفخامة ما لا يخفى.

المعنى الخامس: «**إذا**»، فإنها إنما تقع في الأمور الواضـحة دون «إن»[4] الشرطية، فلما كانت هـذه الخصـال لا يخفى ضـررها صـدر الكلام فيهـا بـ «**إذا**»

---

1 (?) سورة طه من الآية 98.
2 (?) سورة الرعد من الآية 7 .
3 (?) في (د) سقط: يوم القيامة.
4 (?) في (د) سقط: إن.

لتدل على الوضوح[1] فيها[2]، كما يقال: إذا طلعت الشمس، ولا يقال: إن طلعت الشمس.

البحث الثاني: في بيان ما تضمنه من العلوم البيانية

وقد اشتمل من المجازات الرشيقة، والاستعارات الحسنة على أمور ثلاثة عشر:

المجاز الأول: **الإتيان** هاهنا هو عمل القبيح[3] في الدنيا، وظاهر الخبر دال على أنها حاصلة في الآخرة، وليس الأمر هكذا، وإنما جعل المسبب، وهو العذاب حاصلاً في يوم القيامة، فلهذا قال: «**يؤتى ... يوم القيامة**»، **والإتيان**: هو في الدنيا، فهذا مجاز لا محالة وضع المسبب مكان السبب.

المجاز الثاني: قوله: «**ارتكبوها**» مجاز مأخوذ من ركوب الدابة، وهو الاستعلاء عليها، فشبه ما يحصل من صاحب الشبهة من الإصغاء إليها والإحكام لها كأنه راكب لها.

المجاز الثالث: قوله: «**أو شهوة للذة آثروها**» الظاهر من الخطاب أنها هي المؤثرة في الهلاك، وليس الأمر كذلك، فإن المؤثر والسبب في الإهلاك إنما هو فعل المعصية، والانهماك فيها، بخلاف الشهوة واللذة، فصار مجازًا من هذا الوجه.

المجاز الرابع: «**أوغضبة لحمية أعملوها**» هو كما ذكرناه من قبل من أن الظاهر في الكلام من الغضبة والحمية هما المؤثران في الإهلاك مجاز، والحقيقة ما ذكرناه.

المجاز الخامس: قوله: «**فإذا لاحت لكم**» مجاز من جهة أن اللوح إنما

---

1 (?) في (د) الوضوع. {والسليم: الوضوح}.
2 (?) في (د) فهمًا.
3)) في (د،ك،م) القبائح.

يستعمل في المرآة، والسيف حقيقة، وهاهنا استعارة.

المجاز السادس: قوله: **الجلاء،** فإنها تستعمل في صدأ السيف والمرآة، وهو هاهنا وارد على جهة المجاز لا غير.

المجاز السابع: **عروض الشهوة**؛ **العروض**، إنما يستعمل حقيقة في الأمور الطارئة المنتقلة.

المجاز الثامن: قوله: «**فاقمعوها**»؛ لأن القمع هو ضرب الهامة، وهو هاهنا مجاز وارد على جهة الاستعارة.

المجاز التاسع: قوله: «**إذا عنت لكم غضبة**» مجاز هاهنا؛ لأن **العنن**: هو الظهور، و**الغضبة** ليست ظاهرة.

المجاز العاشر: قوله: «**فادرؤوها بالعفو**» مجاز أيضًا؛ لأن **الدرء** إنما يستعمل فيما يندفع بالإحساس، وليس **الغضب** مدركًا، فلهذا كان مجازًا.

المجاز الحادي عشر: «**الباء**» في قوله: «**باليقين**»، و«**بالزهد**»، و«**بالعفو**» واردة على جهة المجاز؛ لأنها هاهنا تفيد الآلة، وليس هاهنا تعقل الآلة، فلهذا كانت مجازًا.

المجاز الثاني عشر: لمّا استعار **اللوح** في **الشبهة** عقبه **بالجلاء** توشيحًا للاستعارة، ولمّا استعار **عروض الشبهة** عقبه **بالقمع** توشيحًا أيضًا، ولمّا استعار **العنن** عقبه **بالدرء** توشيحًا، كما قال تعالى: [illegible] [1] على جهة الاستعارة، ثم عقبه بذكر **الربح** توشيحًا لهذه الاستعارة.

المجاز الثالث عشر: إسناد اللوح إلى الشبهة، وإسناد العروض إلى الشهوة، وإسناد **العنن** إلى **الغضبة** من باب المجاز المركب من جهة أن إسنادها إلى هذه الأفعال ليس حقيقة، ولنقتصر على ما ذكرناه ففيه كفاية.

---

1 (?) سورة البقرة من الآية 16.

البحث الثالث: في بيان ما اشتمل عليه من علوم البديع

وقد تضمن أساليب من علوم البلاغة والفصاحة:

الأسـلوب الأول: التسـجيع، وهـذا كقولـه: «**ارتكبوها**»، و«**آثروها**»، و«**أعملوها**»، فإنه كله من السجع، وهكذا قوله: «**العفو**» مـع قولـه: «**الزهد**» سجع أيضًا.

الأسلوب الثاني: الطباق، وهـذا نحـو ذكـر **الشـبهة** مـع **اليقين**، فإنـه طباق معنوي؛ لأن **الشبهة** تورث **الشكّ**، ولو ذكر **الشكّ** لكان طباقًا لفظيًا.

الأسلوب الثـالث: الفصـاحة اللفظية، وأنت إذا جـردّت الفكـرة[1] في مفردات هذا الحديث وجـدتها في غايـة الخفّـة والسلاسـة، ليس فيها ثقل، ولا في تركيب الحروف تنافر، وإذا نظرت أيضًا في تأليف هذه المفردات وجدتها في غاية الحسن والرشاقة.

الأسلوب الرابع: الاقتباس، وهو إيراد الآية على ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع عن شبهة، وخدعة من الشيطان، وما هـذا حاله، فهـو من علم البـديع، يقال له الاقتباس، وله موقع عظيم وفائدة حسنة.

الأسلوب الخامس: البلاغة المعنوية، وأنت إذا فكـرت في سـياق هـذا الحديث، وما تضمنه من المعاني البالغة في الوعـظ والدالـة على الزجـر مـا فيـه كفاية[2] من الوعظ لمن اتّعظ، وبلاغ لمن ازدجر، ولنقتصر على ما أوردنـاه، ففيـه كفاية لمن كان له أدنى ذوق في علوم البلاغة.

النظر الثـالث: في بيـان مقاصد صـلى الله عليه وآله وسلم فيما أورده في هذا الكلام

اعلم أن الغرور أصل كل ضلالة، وكل جهالة، وقبل الخوض فيما نريده نـذكر

---

1)) في (د) سقط: الفكرة.

2 (?) في (ك) الكفاية.

معناه، **والغرور:** هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميـل إليـه الطبـع عن شبهة وخدعة من الشيطان، فمن اعتقد أنـه على خـير في العاجل، أو في الآجـل عن شبهة فاسدة، فهو مغرور، وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطؤون فيه، فأكثر الناس إذن مغـرور، وإن اختلفت أصـناف غـرورهم، واختلـف درجاتهـا، حتى كـان غـرور بعضـهم أظهـر من بعض، وأظهرها، وأشـدها غـرور الكفـار على فرقهم، وغرور العصاة والفساق، فهـذا تقريـر ماهيـة الغـرور، فـإذا عـرفت هـذا، فلنذكر أسباب الغـرور، ثم نـذكر علاجـه، ثم نردفـه بـذم الغـرور، ونـذكر أصـناف المغترين، فهذه مقامات أربعة نذكرها بمعونة الله تعالى.

المقام الأول: في بيان أسباب الغرور

وقد أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى أسباب ثلاثة:

السبب الأول منها: الشبهة في الدِّين

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنما يؤتى النـاس يـوم القيامة من إحدى ثلاث: إما من شـبهة في الدِّين ارتكبوها**»، واعلم أن الشبهة لها مدخل عظيم في فساد الدين، ولهـا تـأثير في هدمه، وبطلانـه إلا على من تجنبها وبعُد عنها، ولها مداخل، وأعظمها ثلاثة:

المـدخل الأول: في الـديانات، فـإن النـاس من أهـل الأهـواء، والفـرق الضالة قد اعتقدوا فيها اعتقادات خاطئة من جهات متفرقة، ولها جهات أربع:

الجهة الأولى: ما يتعلق بالذات، فإن من النـاس من زعم قـدم العـالم، وأبطل الصانع رأسًـا، وزعمـوا أن هـذا التغـير إنمـا كـان بتفاعـل من جهـة الأرض والماء والنار والهواء من غير أن يكون هناك مدبّر لها، وهـذا محكيّ عن المعطلة، وآخرون أثبتوا مؤثرًا، وزعمـوا أنـه مـوجب بذاتـه غـير مختـار كمـا هـو محكيّ عن

جلّ[1] الفلاسفة فإنهم زعموا أنـه مـوجب بالـذات غـير فاعـل بالاختيـار، وأن هـذه التأثيرات موجبة عن ذاته بواسطة العقول السماوية، والنفوس الفلكية إلى هذيان قـد قررنـاه عليهم في الكتب الكلامية، ورددنـا عليهم هـذه الجهالـة، وزيفنـا مـا اعتقدوه من هذه الضلالة، والأقوال المزورة والاعتقادات المنكرة.

الجهة الثانية: ما يتعلق بصفاته، ومنهم من نفى صفاته جلّ جلاله، كمـا هو محكيّ عن الملاحدة، ومنهم من أثبتها، وزعم أنها معانٍ قائمة بأنفسها، كما هو محكيّ عن بعض فرق المجبرة, وبعضـهم أثبت الأحـوال كمـا هـو محكي عن جلّـة المعتزلة، ومنهم من أثبت المعاني، والصـفات جميعًـا، كمـا هـو محكي عمن أثبت العلة والمعلول، كما هو محكي عن بعض الأشعرية أيضًا.

الجهة الثالثة: ما يتعلق بالأفعـال، وهـذا نحـو من أنكـر أفعـال العبـاد، وأضافها إلى الله تعالى كما هو محكيّ عن المجبرة، فإنهم متفقون على أن العبد غير مستقل بالإيجاد، وأنه مضاف إلى قدرة الله تعالى، وأثبتوا للعبد تعلقـات غـير الإيجاد، و[2]هي مضافة إلى قدرة العبد على تفاصيل لهم أودعناها الكتب العقلية.

الجهة الرابعة: أحكـام الأفعـال، وهـذا نحـو اختلاف الأمـة في الإرجـاء، فهو[3] خلاف في فساق أهل الصلاة هل يتناولهم الوعيد أم لا؟

فمنهم من زعم أن الوعيد لا يتناولهم، وأنهم يدخلون الجنة، ومنهم من ذهب إلى أنهم يـدخلون النـار، ولكنهم يخرجـون منها، ومنهم من توقـف في حـالهم، وهـؤلاء هم فـرق الإرجـاء، والمرجئة[4] الخلص هم الـذين زعمـوا أنهم لا يـدخلون النار بحال، فهذه الجهات كلها قد دخلت عليهم الشبهة في جميع هذه الاعتقـادات

---

[1] (?) في (د،ك،م) كل. {والأنسب: جل}.

[2] (?) في (د) سقط: الواو.

[3] (?) في (د) وهو.

[4])) المرجئة: سميت بذلك لتركهم القطع بوعيد الفساق، وذلك جـامع مـذهبهم، والإرجـاء في أصل اللغة التأخير. ينظر: المنية والأمل في شرح الملل والنحل، 27- 121.

الحائدة عن الصواب ومنبعها، كلها الشبهة في الأمور الإلهية.

المدخل الثاني:[1] **الشبهة في المكاسب الحرامية**، وهذا نحـو كسـب البغايا، وهنّ الـزواني الـذي هـو ثمن فـروجهن، ونحـو حلـوان الكهـان[2]، وهـو مـا يأخذونه على الكهانة والتنجيم، ونحو مـا يأخـذه المغنـون على أجـرة الغنـاء، فـإن هذه المداخل كلهـا حـرام من جهـة الشـرع، وهي محظـورة، فـالأموال المـأخوذة عليها تكون محظورة لا محالة، وغير ذلـك من المكاسـب الـتي قـد ورد[3] الشـرع على حظرها، فإذا وردت على ما هـذا حالـه من تحليـل هـذه الأشـياء كـان خطـأً، وقبحيًا لا محالة، وعلى المكلف إعمال نظره، وفكرته في البعد عن هـذه الشـبهة التي تؤدي إلى إباحة هذه الأموال المحظورة.

المدخل الثالث: في الشبهة في المعاوضات، وهذا نحـو ثمن الكلب، والخنزير، والميتة، ونحو أنواع الربويات في الفضل والنسيئة[4]، فـإن هـذه الأمـور قد حرّمها الشرع وحظرها، فكل شـبهة واردة على تحليلهـا فهي من الشـُّبه الـتي يجب دفعها، ولا يعول عليها؛ لأن تحريمها قد تقرر من جهة الشرع بلا إشكال.

السبب الثاني: الشهوة

وإليـه الإشـارة بقولـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم : «**أو شـهوة للـذة آثروها**» اعلم أن أكثر ما يستولي على الخلق في الإيثـار هـو الشـهوة، فـإن لهـا ملكًا عظيمًا عليهم، وهي التي فيها يكون هلاك الأكثر، إلا من عصـمه الله، وجبلت القلوب على حبّ العاجـل، ولا عاجـل أعظم من حكم الشـهوات، ولهـذا فـإن من غلب حكم عقلـه على هـواه، وشـهوته كـان مشـبهًا للملائكـة والأنبيـاء، ومن غلب

---

1 (?) في (د،ك) زيادة: في.

2 (?) في (ك،م) الكاهن.

3 (?) في (د،ك،م) دل.

4)) النسـيئة: التـأخير، والربا في النسـيئة هي الـبيع إلى أجل معلـوم يريد أن بيع الربويـات بالتأخير من غير تقايض، وإن كان من غير زيادة. ينظر: لسان العرب، مادة (نسأ).

هواه، وشهوته على عقله فصار[1] العقل موطئًا بأقدامها، فهو شبيه بالسباع الضارية، وجملة الأمور التي تغلب على العقول شهواتها ما ذكره الله في كتابه الكريم، وهي قوله: [illegible][2]، وهكذا أنواع المأكولات الطيبة، والمشروبات الهنيئة، والملبوسات الحسنة الرقيقة المعجبة التي تروق الناظر، ويستلذ بها الخاطر، فالشبهات تستولي على هذه الشهوات، وتدخلها، وتكون غالبة للنفوس، ولا تبالي بملابسة الشبهة إيثارًا للشهوة، وغلبتها عليها، والخلاص عنها أسهل على من وفقه الله تعالى.

السبب الثالث: الغضبة

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «**أو غضبة لحمية أعملوها**» قد ذكرنا فيما سبق الكلام في ماهية الغضب وذمّه، فأغنى عن الإعادة، ثم إن الناس بالإضافة إلى الغضب على درجات ثلاث: إما **إفراط**، أو **تفريط**، أو **اعتدال**، أما **الإفراط**، فنحو أن تغلب هذه الصفة حتى يخرج الإنسان عن سياسة العقل والدين، ويخرج بالحدّة عن طاعتهما، ولا يبقى للمرء معهما بصيرة، ولا نظر ولا فكر ولا اختيار، بل يصير في صورة المضطر، وأما **التفريط**، فهو أن تفقد هذه القوة وتضعف، وذلك مذموم، وهو الذي يقال فيه: إنه لا حمية له، ولا أنفة، ولهذا قال بعضهم: من استغضب فلم يغضب فإنما هو حمار، وأما **الاعتدال**، فهو أن يكون ساكن المزاج، فإذا حصلت أسباب الغضب فإنه يحرك قوة الغضب، ولهذا وصف الله سبحانه الصحابة بالشدة والحمية،

---

[1] (?) في (د) وصار.

[2] (?) سورة آل عمران من الآية 14.

فقال: ﴿ [illegible] ﴾[1]، وقال الله للرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-: ﴿ [illegible] ﴾[2]، و[3]إذا تقررت هذه القاعدة فالذي نذكر هاهنا هو الكلام في الأسباب المهيجة للغضب، ثم نردفه بالكلام في فضيلة كظم الغيظ، فهذان مقامان:

المقام الأول: في بيان الأسباب المهيجة للغضب

اعلم أن السبب في هيجان الغضب إنما هـو من ضـعف العقـل، ولهـذا فإنـه إلى المريض أسرع منه إلى الصحيح، والمرأة أسـرع غضـبًا من الرجـل، والصـبي أسرع غضبًا من الشاب، والشاب أسرع غضبًا من الكهل، والكهل أسرع غضبًا من الشـيخ[4]، وصـاحب الخلـق الـرذل، والخلائـق السـيئة أسـرع غضـبًا من صـاحب الفضائل، فجملة الأسباب المهيجـة للغضـب هـو الزهـو والعُجب والفخـر والمـزاح والهزل والتعيير والمماراة والمضـارة والغـدر وشدّة الحـرص على فضـول المـال والجاه، وهذه كلها أخلاق رديئة مذمومة عقلاً وشـرعًا، ولهـذا قـال يحـيى لعيسى- عليه السلام-: أيّ شيء أشد؟ قال: غضب الله، قال: فما يقرب من غضـب اللـه؟ قـال: أن تغضـب، قـال: فمـا يبـدي الغضب، ومـا يسـببه؟ قـال لـه عيسى- عليـه السـلام-: الكـبر والفخـر والتعـزز والحميّـة[5]، ومن أعظم البـواعث على الغضـب تسمية الجهال الغضب شجاعة ورجلـة وعزّة نفس وكِـبر همّـة ويلقبونـه بالألقـاب المحمودة غباوة وجهلاً، حتى تميل النفس إليه وتستحسـنه، بـل هـو في الحقيقـة مرض قلب، ونقصان عقل، وهو دلالة على ضعف النفس ونقصانها.

المقام الثاني: في بيان فضيلة كظم الغيظ

---

1 (?) سورة الفتح من الآية 29.

2 (?) سورة التوبة من الآية 73، والتحريم من الآية 9.

3 (?) في (د) الفاء بدلاً عن الواو.

4)) في (د،م) سقط: والكهل أسرع غضبًا من الشيخ.

5 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 172.

قال الله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[1] في معرض المدح لهم، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من كفّ غيظه كفّ الله عنه عذابه، ومن اعتذر إلى ربه قبل الله عذره، ومن خزن لسانه ستر الله عورته»[2]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أشدكم من ملك نفسه عند الغضب، وأحلمكم من عفا بعد القدرة»[3]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من كظم غيظه، وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنًا، وإيمانًا يوم القيامة»[4]، وعن ابن عمر قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «ما جرع عبد جرعتين أفضل من جرعة غيظ تلقاها بحلم، أو جرعة مصيبة تلقاها بصبر جميل»[5].

وقال ابن عباس، قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- : «إنّ لجهنم بابًا لا يدخله إلا من شفى غيظه بمعاصي الله تعالى، ما من جرعة أحبّ إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبد، وما كظمها عبد إلا ملأ الله جوفه أمنًا وإيمانًا»[6]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من كظم غيظًا، وهو يقدر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق يخيره من أيّ الحور شاء»[7]، وقال لقمان: يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة، ولا تشف غيظك بفضيحتك، واعرف قدرك تنفعك معيشتك[8]، وعن عمر: من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما

---

1 (?) سورة آل عمران من الآية 134.

2 (?)مسند أبي يعلى، 7/ 302.

3 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 175.

4)) نفسه.

5 (?) مصنف ابن أبي شيبة، 7/ـ 88. بلفظ: «ما من جرعتين أحبّ إلى الله من جرعة محزنة ردها صاحبها بحسن صبر وعزاء، أو جرعة غيظ كظم عليها».

6 (?) شعب الإيمان، 6/ 320، إحياء علوم الدين، 3/ 175.

7 (?) سنن أبي داود، 4/ 248.

8 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 176.

يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير الأمر ما ترون[1]، وقال رجل لعمر: والله مـا تقضـي بالعدل، ولا تعطي بالجزل، فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه، فقال له رجــل :- يـا أمـير المؤمـنين- ألم تسـمع إلى قولـه تعـالى: [illegible][2]، فقال عمر: صدقت، فكأنما كانت نارًا فأطفئت[3]، وقال بعض الزهاد: ثلاث من من كن فيه استكمل الإيمان بالله: إذا رضـي لم يدخلـه رضـاه في باطل[4]، وإذا غضب لم يخرجـه غضـبه عن الحـق، ,وإذا قـدر لم يتنـاول مـا ليس له[5]، وجاء رجل إلى سلمان[6] فقـال: أوصـني- يا أبا عبدالله-، فقـال لـه: لا تغضـب، قال: لا أقدر. قال: فإن غضبت فأمسك لسانك ويدك[7]، وفيـه فضـل عظيم، ونكتفي بهذا القدر في إظهار فضيلة كظم الغيظ، وهو من أشـرف الشـمائل، وأزكى الخلائـق عند الله.

المقام الثاني: من (النظر الثالث) في مقاصده صلى الله عليه وآله وسلم: في بيان علاج هذه الأسباب المهلكة وإزالتها

وهي ثلاثة:

العلاج الأول: في إزالة الشبهة ودفعها، وقـد أشـار صـلى اللـه عليـه وآله وسلم إلى علاجها بقوله: «**فأجلوها باليقين**»، واعلم أن علاج مـا ورد من الشبه من تلك المداخل التي ذكرناها إنما يكون بالنظر المحقق، والفكر الموفـق، وإيراد الـبراهين البـاهرة، والأدلـة القـاهرة، والاسـتعانة بأهـل الصـلاح والمعرفـة، وإيضاح ما وقعت فيه الشبهة بالأنظـار الصـافية عن كـدورة[8] التمويـه بالعبـارات

---

1 (?) نفسه.
2 (?) سورة الأعراف الآية 199.
3 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 176.
4 (?) في (د) الباطل.
5 (?) القائل: محمد بن كعب. ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 176.
6)) المقصود: سلمان الفارسي رضي الله عنه.
7 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 176.
8 (?) في (د) كدور.

المهذبة، وترتيب العلوم المحققة، ومن ثمة[1] يظهـر فضـل العلمـاء، وتحمـد آثـار أهـل البصـائر، والفضـلاء؛ لمـا يحصـل بهم من النفـع في الـدين، ويحصـل بحميـد سعيهم من جلاء الشبهة بأنوار اليقين؛ ومصداق ذلك ما رُوي عن الرسول- صـلى الله عليه وآله وسلم- أنه قال: «فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكـواكب»[2]، وقـال عليـه السـلام: «فقيـه واحـد أشـد على الشـيطان من ألـف عابد»[3]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «العلماء ورثة الأنبياء»[4]، وقـال عليـه السلام: «مداد العلماء يعدل دم الشهداء»[5]، ومـا ذاك إلا لأن العلمـاء يسـتنقذون الخلق من ورطات الضـلال، وحـيرة الجهـل بعلـومهم وحسـن بصـائرهم النافـذة، والعباد وأهل الجهاد يوشك أن يقعوا في شبهة فإذا هم في بحار الهلكة يغوصـون، وفي أمواج الفتن، والحيرة يخبطون، فنسأل اللـه علمًـا نافعًـا يرشـدنا إلى الفـوز برضوانه، ويحظينا بإحراز جواره، ومزيد إحسانه، فما المفـزع إلا إليـه، ولا الطمـع إلا في كرمه.

العلاج الثاني: في كسر سورة الشهوات، وذلـك إنمـا يكـون بالزهـد، كما أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك بقوله: «**فاقمعوهـا بالزهد**» قـد قررنا فيما سبق في الزهد معانٍ شافية في فضله ودرجاتـه، فـأغنى عن الإعـادة، والـذي نـذكره هاهنـا هـو العلاج بالزهـد في كسـر الشـهوات، وأصـل **الزهد**، هـو التفكر في أمور الآخـرة، والمعـاد الأخـروي، والحشر، والنشر، والحسـاب وتصـور المـوت، وأحواله، ومـا بعـده من الأخطـار، والأهـوال من ظلمـة اللحد، وتغـير

---

[1] (?) في (د،ك،م) ثم.

[2] (?) سنن أبي داود، 3/ 317.

[3] (?) سنن ابن ماجة، 1/ 81.

[4] (?) مسند الشهاب ، 2/ 103.

[5] (?) العلل المتناهيـة، عبد الـرحمن بن علي بن الجـوزي، تحقيق خليل الميس، دار الكتب العلمية، ط1، عـام 1403هـ، بـيروت، لبنـان، 1/ـ 80. بلفـظ: «لو وزن مـداد العلمـاء، ودم الشهداء لرجح مداد العلماء». وبلفظ آخر: «وزن حبر العلماء بدم الشهداء فرجح عليهم».

الأجساد، وفساد الألوان، وتنكر الجوارح عن عاداتها المألوفة، وتصـاريفها النافعـة المعروفة؛ ويؤيد ذلك ما رُوي عن علي بن الحسـين- رضـي اللـه عنه- أن امـرأة قالت له: ما أحسن عينيك! قال: هما أسرع شيء إلى البلاء مني، فلو رأيتهما بعد ثلاث، وقد سالتا على خدي، فإذا كان القلب مستشعرًا لخوف الله تعـالى مشـفقًا من نزول الموت به، فعند هذا يكون العبد على وجل شديد، وخوف عظيم، فيقوم بالأعمال الصالحة والكف عن المحـارم، وقاعـدة الأمر، وإصـلاحه هـو بالزهـد في الدنيا، فرحم الله امرأ نظر إلى الدنيا بعين الاحتقار، وبسط إليها كـف الاضـطرار، وأخذ منها أخذ العليل النبيه من الدواء الكريه، ولم يبسط [1] إلى محرمها يـدًا، ولا يملأ من حطامها، فما وجعل لنفسه من نفسه رقيبًا، ومنها عليها حافظًا وحسيبًا.

العلاج الثالث: في بيان ما يزيل الغضب، وإنما يكسـر نخوتـه بـالعفو، كما أشار عليه السلام إلى ذلك بقوله: «**فادرؤوها بالعفو**».

اعلم أن من النـاس من زعم أن الغضـب لا يقبـل العلاج، ولا يـزول بالكلّيّـة، ومنهم من زعم أنه يمكن محوه وإزالته، وهذا هـو المختـار؛ لأن الإنسـان لا ينفـك عن الغضب والغيظ؛ لأنه لا يزال يوافقه شيء ويخالفه آخر، فإذا حصل ما يخـالف هواه غضب، وإذا حصل ما يوافقه أحبه، فلنـذكر علاجـه بالإزالـة، ثم نردفـه بـذكر فضيلة العفو. فهذا تقريران:

التقرير الأول: في بيان ما يزيله

وله مزيلان: **علم وعمل** ، فأما المزيل **الأول العلمي؛** فهو أمور خمسة:

أولها :أن يتفكر في الأخبار الـتي سـنوردها في فضـل كظم الغيـظ والعفـو والحلم والاحتمال، ويرغب في ثوابه فيمنعه شدة الحـرص على ثـواب الكظم عن

---

[1] (?) في (د) ينبسط.

التشفي والانتقام وينطفىء غيظه، ورُوي أن عمر بن عبدالعزيز أمر بضرب رجـل ثم قرأ: ﴿ ﴾[1]، فقال لغلامه: خلّ عنه[2].

وثانيها: أن يُخوّف نفسه بعقاب الله تعالى، وهو أن يقول: قدرة الله أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضـيت غضـبي عليـه لم آمن أن يمضـي اللـه عليّ غضبه يوم القيامة، وقد قـال اللـه تعـالى في بعض الكتب المنزلـة: اذكـرني عند أن تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق[3].

وثالثها: أن يقـرر في نفسـه عاقبـة العـداوة والانتقـام وتشـمير العـدو في مقابلته والسعي في هدم أعراضه، والشـماتة بمصـائبه، فيخـوف نفسـه بعـواقب الغضب في الدنيا إذا كان لا يخاف من الآخرة.

ورابعها: أن يتفكر في قبح صورته عند غضبه، ويتفكر في قبح الغضـب في نفسه، ومشـابهة صـاحبه للكلب الضـاري، والسـبع العـادي، فأمـا الحليم الهـادي التارك للغضب، فإنه يشبه الملائكة والأنبياء والعلماء والحكماء وأهل الرجاحة.

وخامسها: أن يتفكر[4] في السـبب الـذي يـدعوه إلى الانتقـام، ويمنعـه من كظم الغيظ، ولا بد أن يكون له سبب، وهذا نحو أن يصـور لـه الشـيطان، ويقـول له: إن هذا منك عجز وذلة ومهانة وصغر في نفسك، وتصير به حقـيرًا بين النـاس وفي أعين الخلق ، فإذا أحسّ بهذا فليقل لنفسه: ما أعجب أمرك يا نفس! تأنفين من الاحتمال الآن، ولا تأنفين من خزي يـوم القيمة، والافتضـاح بين يـدي اللـه إذا أخذ فمدّ[5] بيدك وانتقم منك، فهذه الأمور كلهـا يعـالج بهـا الغضـب ويصـغر حاله، وأعظم ما يعالج به الغضب كمـا أشـار إليـه الشـرع هـو العفـو، ولكن هـذه أمـور

1 (?) سورة آل عمران من الآية 134.
2 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 173.
3 (?) ورد في الإنجيل. ينظر: حلية الأولياء، 3/ 65.
4)) في (د) سقط: أن يتفكر. {وقد ورد السقط في الأربع المزيلات السابقة لهذا المزيل}.
5)) في (د) هذا بدلاً عن فمد. {وهو غير مناسب في السياق}.

جامعة يزال بها.

المزيل الثاني: في بيان علاجه العملي، وهو أن تقول بلسانك: أعوذ باللـه من الشيطان الرجيم، هكذا أمر رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- أن يقـال عند الغيظ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليقعـد أو قاعد فليقم»[1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا غضب أحـدكم فليتوضـأ بالماء البارد، فإنما الغضب من النار»[2]، وفي حديث آخـر عن ابن عبـاس- رضـي الله عنه-: «إذا غضبت فاسكت»[3]، وقال أبو سـعيد الخـدري، قـال النـبي- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «ألا إن الغضـب جمـرة في قلب ابن آدم، ألا تـرون إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه، فمن وجد من ذلك شـيئًا فليلصـق خدّه بـالأرض»[4]، وقال عليـه السـلام: «إن الغضـب من الشـيطان، وإن الشـيطان خُلـق من النـار، وإنما تطفأ النـار بالمـاء»[5]، وقـال بعض الزهـاد: إذا غضـبت فـانظر إلى السـماء فوقــك، وإلى الأرض تحتــك، ثم أعظم خالقها[6]، وغضــب المهــدي [7] يومًــا على رجل، فقال: تبيت في الغضب، ولا تغضـبن للـه بأشـد من غضـبه لنفسـه، فقـال: خلوا سبيله[8].

التقرير الثاني: في بيان فضيلة العفو

اعلم أن العفـو معنـاه أن يسـتحق حقًّا فيسـقطه ويـبرى عنـه من قصـاص

---

1 (?) مسند أحمد، 5/ 152. دون ذكر: «أو قاعد فليقم».

2 (?) نفسه. بلفظ: « إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ».

3 (?) نفسه، 1/ 283.

4 (?) المستدرك على الصحيحين، 4/ 551.

5 (?) مسند أحمد، 4/ 226.

6 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 175.

7)) المهدي هو محمد بن عبد الله بن المنصور، ثالث خلفاء بني العباس، ولد بإيـذج من قـرى سمرقند سنة 127هـ، وكان جوادًا مليح الشكل، توفي سنة 169هـ. ينظر: الوافي بالوفيات، 3/ 244، 245.

8 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 175.

أوغرامة، وهـو في نفسـه مغاير للحكم وكظم الغيـط، فلهـذا أفردنـاه بالـذكر من أجل ذلك، فإن اللـه تعـالى قـال: [illegible][1] الآية، وقـال: [illegible][2]، وقال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «ثلاث والذي نفسي بيده إن كنت لحالفًا عليهن، ما نقصـت صـدقة من مـال، فتصـدقوا، ولا عفـا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله بها عزًّا يوم القيامـة، ولا فتح رجـل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر»[3]، وقـال صـلى اللـه عليـه وآلـه وسلم: «التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله، والعفو لا يزيـد العبـد إلا عزًّا، فـاعفوا يعـزكم الله، والصـدقة لا تزيـد المـال إلا كـثرة، فتصـدقوا يـرحمكم الله»[4]، وقالت عائشة: ما رأيت رسول الله- صلى الله عليـه وآلـه وسـلم- منتصـرًا من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهـك من محـارم اللـه، فـإذا انتهـك من محـارم اللـه شيء كان أشدهم في ذلك غضبًا، وما خُيّر بين أمرين إلا اختـار أيسـرهما ما لم يكن مأثمًا[5].

وقال عقبة بن عـامر: لقيت رسـول الله- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- يومًـا فبدرته فأخذت بيده، أو بـدرني فأخـذ بيـدي، وقـال: «- يـا عقبة- ألا أخـبرك بأفضـل أخلاق أهـل الـدنيا والآخـرة: تصـل من قطعـك، وتعطي من حرمـك، وتعفـو عمن ظلمك»[6]، وقال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- : «قال موسى: - يـا رب- أيّ عبادك أعزّ عليك؟ قال: الذي إذا قدر عفا»[7]، وقالت عائشة: قـال رسـول الله-

---

1 (?) سورة الأعراف من الآية 199.
2 (?) سورة البقرة من الآية 237.
3 (?) مسند أحمد، 1/ 193.
4 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 182.
5 (?) الشـمائل المحمدية والخصـائل المصـطفوية، محمد بن عيسى الترمـذي، تحقيق سـيد عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، عام 1412هـ، بيروت، لبنان، 288.
6 (?) المعجم الكبير، 17/ 269.
7 (?) صحيح ابن حبان، 14/ 101.

صلى الله عليه وآله وسلم-: «من دعا على من ظلمه فقد انتصر»[1]، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- : «إذا بعث الله الخلائق يوم القيامة نادى منادٍ من تحت العرش: يا معشر الموحدين إن الله قد عفا عنكم، فليعف بعضكم عن بعض»[2]، وعن أبي هريرة: أن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- لمّا فتح مكة طاف بالبيت وصلى ركعتين، ثم أتى الكعبة، وأخذ بعضادتي الباب، فقال: «ما تقولون، وما تظنون»؟ فقالوا: نقول: أخ وابن عمّ حليم كريم، فقالوا ذلك ثلاثًا، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أقول كما قال يوسف: [illegible]»[3] قال: فخرجوا فكأنما نشروا من القبور، فدخلوا في الإسلام[4]، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «إذا وقف العباد نادى منادٍ ليقم من له أجر على الله فيدخل الجنة» قيل: من ذا الذي أجره على الله؟ قال: «العافون عن الناس، فقام كذا وكذا ألفًا، فدخلوها بغير حساب»[5]، وفيه فضل كبير، ونقتصر على هذاالقدر ففيه كفاية.

المقام الثالث: في بيان ذمّ الغرور بالشبهات

وهذا كقوله تعالى: [illegible][6]، وقال تعالى: [illegible][7]، فهذه الآيات كافية في ذمّ الاغترار بالشبهات الباطلة، والأماني الكاذبة، وقال صلى الله عليه

---

[1] (?) سنن الترمذي، 5/ 554.
[2] (?) إحياء علوم الدين، 3/ 182.
[3] (?) سورة يوسف الآية 92.
[4] (?) سنن البيهقي الكبرى، 9/ 118.
[5] (?) حلية الأولياء، 6/ 187.
[6] (?) سورة لقمان من الآية 33، وفاطر من الآية 5.
[7] (?) سورة الحديد من الآية 14.

وآلــه وســلم: «حبــذا نــوم الأكيــاس، واقتصــادهم كيف يعيبون ســهر الحمقى واجتهادهم، ولمثقـال ذرة من صـاحب تقـوى، ويقين أفضـل من ملء الأرض ذهبًـا من المغـترين»[1]، وقـال صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها، وتمنى على اللـه»[2]، فكـل ما ورد في فضل العلم، وذم الجهل فهو بعينه دال على ذم الغـرور والاغـترار؛ لأن الغرور عبارة عن بعض أنواع الجهل؛ لأن الجهل هو اعتقاد الشيء على خلاف مـا هو عليه، فإذن كل غرور جهل، وليس كل جهل غرور، فالجهـل أعم لا محالـة كمـا ترى.

وأعظم أنواع الغرور غـرور الكفـار الجاحـدين، فـإنهم أوردوا تزويـرًا وشـبهة على أنفســهم، قــالوا: الــدنيا يقين، والآخــرة شكّ، واليقين خــير من الشك، أمــا قولهم: الآخـرة شكّ؛ فهـو خطـأ بالبرهـان العقلي، وهـو أن الأعمـال لا بدّ لهـا من جزاء دائم لا آخر له غير منقطع، وهذا لا يكون إلا في الدار الآخرة التي لا انقطـاع لنعيمها، ولا زوال لأجرها وثوابها، وأما البرهان الشرعي؛ فهو مـا ورد على ألســنة الأنبياء- صلوات الله عليهم- من القطع بأمور الآخرة، وهو معلـوم من دين الأنبيـاء عليهم السلام، وجاء به القرآن الكريم، فقد بطل بما ذكرنـاه، قــولهم: إن الآخــرة شكّ، فإنها من المقطوعات المعلومة علمًا ويقينًا.

وأما قولهم: إن اليقين خير من الشكّ، فهذا صحيح إذا استويا، وبيان ذلك أن التاجر على يقين من التعب، وهو على شكّ من الربح، والمنفعة في اجتهاده على يقين، وهـو في طلب المقصـود على شكّ، وكـذلك فـإن الحـزم هـو دأب العقلاء بالاتفاق، فإنهم على يقين منه، ومن المخوف على شك، وكذلك المريض هو على

---

[1] (?) حلية الأولياء، 1/ـ 211. بلفظ: قال أبو الدرداء: «يا حبذا نوم الأكيـاس، وإفطـارهم كيف يعيبون سـهر الحمقى وصـيامهم، ومثقـال ذرة من بر صـاحب تقـوى ويقين أعظم، وأفضـل، وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين».

[2] (?) سنن الترمذي، 4/ 638.

يقين من ألم الدواء وشربه، وهو من الشفاء على شكّ، وهكذا حـال طـالب العلم فإنه على يقين من التعب في طلبه، وهو على شكّ في إدراكـه، ولهـذا قـال أمـير المؤمنين- كرم اللـه وجهه- لبعض الملاحـدة المنكـرين للمعـاد الأخـروي: إن كنت صادقًا فقد تخلصت وتخلصنا، وإن كنت كاذبًا فقـد تخلصـنا وهلكت[1]، فحصـل من هذا بطلان هذه المقالة وتزييفها.

المقام الرابع: في بيان أصناف المغرورين الذين ظواهرهم جميلة وسرائرهم مدخولة

فأما الكفـار والفسـاق فقـد ظهـر هلاكهم وغـرورهم، فلا مقـال في هلاكهم، وبعدهم عن الله تعالى، ولكن الشـأن في غـيرهم من[2] يظهـر الأعمـال الحسـنة، ويبطن الأعمال السيئة، وهم أصناف:

الصنف الأول: علماء السوء الذين اتخـذوا العلم ذريعـة إلى حطـام الـدنيا، وخالطوا أرباب الظلم، وسهلوا عليهم الحال في ظلمهم.

الصنف الثاني: القضاة، وهم الذين توصلوا إلى الـدنيا بفضـل الخصـومات من غير بصيرة، وحكموا بغير الحق فضلوا وأضلوا.

الصنف الثالث: العبّاد من غير بصيرة، فرُبّما حكي عن بعضهم أنهم أهملوا الفرائض، واشتغلوا بالنوافل، والفضائل حتى خرجوا إلى العدوان والسرف، ورُبّما غلب عليهم الوسـواس في الوضـوء، وفي نيّـة الصـلاة، إلى غـير ذلـك من البـدع والضلالات.

الصنف الرابع: المتصوفة، وهم الذين استحكم عليهم الغـرور في هـذا الزمـان خاصــة، فمنهم من طــوى بســاط التكليف، ورفضــوا الفصــل بين الحلال والحــرام،

---

1 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 381.

2 (?) في(د) ممن.

واعتمدوا على الإباحة، ومنهم من زعم أن الناس ما أمروا إلا بـالتطهير عن الشـهوات، وعن حبّ الدنيا[1]، ولبسوا المرقعات، وحطوا عن أنفسهم أعمال الجوارح كلّها، وفيهم فرق كثيرة مشغلون بالجهالات، وركـوب الحماقـة في اللبس والهيئـة، يزعمـون بـذلك التشـبه بالجنيد[2]، والشـبلي[3]، وأبي يزيـد البسـطامي[4]، ومعـروف الكـرخي[5]، وغـيرهم من السـالكين لطريـق الآخـرة، وهيهـات ثم هيهـات لا تقـاس الملائكـة بالحدادين بحال.

الصـنف الخـامس: أربـاب الأمـوال، وفيهم من يشـغل[6] نفسـه بعمـارة المساجد للرياء، والمباهاة، وعمارة الرباطات، والقناطر، والخانكات[7]، ولا غـرض لهم إلا الـذكر والثنـاء، ومنهم من يتعمـد الإنفـاق على من ينشـر الـذكر، ويفشـي المعروف، ويكرهون التصدّق في السرّ، ومنهم من يبخل بالمال، ويشتغل بالصلاة والعبادة، وكـان إنفاقـه خـيرٌ[8] من احتكـاره على أهله، وبذلـه على من يسـتحقه، فهذه جملة فيمن اغترّ بما ذكرناه، والسـالم من هـذه المهالـك والنـاجي منهـا من سلك منهاج التقوى، وسأل الله توفيقًا فيبعده[9] عن هذه الأخطار، والاغترار بهـذه

---

1 (?) في (د) عن لبس الديباج.

2 (?) وهو الجنيد بن محمد الجنيد الخـزاز القـواريري، الزاهد المتصـوف، أصـله من نهاونـد، ومولـده ومنشـؤه العـراق، فريد عصـره، وشـيخ وقتـه، تـوفي سـنة 297هـ، وقيـل: 298هـ، ببغداد. ينظر: وفيات الأعيان، 1/ 373، 374.

3 (?) أبو بكر الشبلي،وهو دلف بن جحـدر، وقيـل: جعفر بن يـونس، أصـله من خراسـان، وهو بغدادي المولد، والمنشأ، كان صوفيًا جليل القدر مالكي المذهب، صحب الجنيد، تـوفي سـنة 334هـ ببغداد. ينظر: نفسه، 2/ 273- 276.

4 (?) وهو طيفـور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي البسـطامي، الزاهد المشـهور، كـان جَدّه مجوسيًا ثم أسلم، توفي سنة 261هـ، وقيل: 264هـ. ينظر: وفيات الأعيان، 2/ 531.

5 (?) وهو معـروف بن فـيروز الكـرخي، أبو محفـوظ، وقيـل: الفـيروزان، أحد أعلام الزهـاد المتصوفين، من موالي علي بن موسى الرضا، وأسلم على يديه، ولد في كـرخ بغـداد، ونشأ ببغداد، وتوفي سنة 200هـ، وقيل: 201هـ، وقيـل: 204هـ، ببغـداد. ينظـر: نفسه، 5/ 231-233.

6 (?) في (ك) شغل.

7)) الخانكات: مدارس لطلب العلم. ينظر: تفسير القرطبي، 12/ 221.

8)) خير هنا خبر لكان لذا تكتب: خيرًا.

9 (?) في (د،ك) سقط: الفاء.

المساوئ، ولهذا أُورد[1] عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسـلم-: «النـاس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم»[2]، فنعوذ باللـه من زيـغ القلـوب بعـد الهدى، ومن اعوجاج النفس بعـد الاسـتواء، ونسـأله خاتمـة الخـير، فـإن الأعمـال بخواتيهما.

---

1 (?)في (د،ك) ورد.

2)) لم يقف الباحث فيما بين يديه من المصادر والمراجع على أصل لهذا الحديث.

الحديث السابع عشر

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَّ اللهُّ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ- صـلى اللـه عليه وآله وسلم-: «**يَقُولُ اللَّهُّ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ تُـؤْتَى كُلَّ يَـوْمٍ بِرِزْقِـكَ وَأَنْتَ تَحْـزَنُ، وَيَنْقُصُ كُـلُّ يَـوْمٍ مِنْ عُمُـرِكَ وَأَنْتَ تَفْـرَحُ، أَنْتَ فِيمَـا يَكْفِيكَ تَطْـلُبُ مَا يُطْغِيكَ، لاَ بِقَلِيلٍ تَقْنَعُ، وَلاَ مِنْ كَثِيرٍ تَشْبَعُ**»[1].

فنقول: الحمـد للـه الكبـير الـذي تتحيّـر دون إدراكـه القلـوب والخـواطر، وتـدهش في مبـادئ إشـراق أنـواره الأحـداق والنـواظر، المطلـع على خفيـات السـرائر، العـالم بمكنونـات الضـمائر، المسـتغني في تـدبير ملكـه عن المشـير والمؤازر، الذي خلق بقدرته الخلـق، ووسّـع عليهم بفضـله أنـواع الـرزق، وأفـاض على العـالمين أنـواع الأرزاق، وابتلاهم فيهـا بتقلب الأحـوال في حـالتي الإقتـار والإنفـاق، وردهم فيهـا بين العسـر واليسـر، والغـنى والفقـر، والطمـع واليـأس، والـثروة والإفلاس، والعجـز والاسـتطاعة، والحـرص والقناعـة، والبخـل والجـود، والفـرح بـالموجود، والأسـف على المفقـود، والاختصـاص والإيثـار، والتوسـيع في حـالتي الإيسـار والإعسـار، وطـوري الإقبـال والإدبـار، والتبـذير والتقتـير، والرضـا باليسـير، واسـتحقار الكثـير، كـل ذلـك ليبلـوهم أيّهم أحسـن عملاً، وهـو الـرحيم القدير، وينظر أيّهم آثر الدنيا على الآخرة بـدلاً، وابتغى عن الآخـرة عـدولاً وحـولاً، واتخذ الدنيا ذخيرة لأعماله، وجعل الآخرة وسـيلة إلى ثـواب الله، وجزيـل عطائه، ونواله.

والصلاة على الجامع لشمل الدين، والخاتم لشرائع المسلمين، القاطع لـدابر الملحدين، والماحي لآثار المردة المعتـدين، وعلى آلـه الطيـبين المتكفلين للـدين

---

[1] (?) الأربعون حديثًا السيلقية، 28.

الحنيف بالإيضاح والتبيين، واعلم أن هـذا الحـديث مشـتمل على النظـر في أمـور

ثلاثة نوضحها بمعونة الله تعالى.

النظر الأول: في بيـــان ما اشـــتمل عليه من العلـــوم الأدبية

وفيه بحثان:

البحث الأول: في بيان ما تضمنه من الألفاظ اللغوية

الابن: مقول على كل من ولده آدم، و**آدم**: هو أبو البشر، وعن ابن عباس- رضي الله عنه- أنه إنّما سُمي آدم؛ لأنّ الله تعالى خلقه من أديم الأرض[1]، وكـان قبل نزوله إلى الأرض، وإهباطه إليها تعبده الجن والشياطين والملائكة، وقيل: إن جسمه كان يميل إلى الأدمة، وهي الخضـرة، وهي الغالبـة في أولاده، وفي صـفة عيسى- عليه السلام- أنه كان آدم طويلاً كأنـه من رجـال شنوءة[2]، وقـد خـاطب الله الخلق بخطابين عامين، فتارة بقوله: يا أيها الناس، وتارة بقوله: يا بـني آدم، والخطاب الخاص بقوله: أيها المؤمنون، ويا أيها الذين آمنوا، فأما **الابن**: فهو كـل مولـود على الفـراش، وكـان النكـاح في زمن الجاهليـة قبـل الإسـلام على ثلاثـة أحوال:

الحالة الأولى: أن المـرأة إذا طهـرت من الحيض، ودخـل عليهـا الرجـال، فحملت من وطئهم فإنهم يجمعـون لهـا عنـد الـولادة، فتلحـق الولـد بواحـد منهم ويستلحقه، ويكون ولدًا له، ولا يمتنع من ذلك الإلحاق.

الحالـة الثانية: أن الرجـال يـدخلون عليهـا بعـد طهرهـا من حيضـها، فـإذا حملت جمعوا لها فتنظر أيّهم أشبه بالمولود، فـإذا قـالت: هـذا أشـبه بـك يـا فلان فيكون ولدًا لك، فحينئذ يكون ولدًا له .

الحالة الثالثة: أنها إذا ولدت ولدًا بعد دخول الرجال عليها، ولم تلحقه بأحد

---

1 (?) المستدرك على الصحيحين، 2/ 412.

2)) ورد أنها صفة موسى. ينظر: صحيح البخاري، 3/ 1182.

منهم فعند هذا تحضر القافة: وهم قوم من بني مدلج فيلحقونـه بمن رأوه أقـرب شبهًا به، فيلحق به من غير مناكرة منه في ذلك، فهكذا[1] كـان حـال الأنكحـة في الجاهلية، حـتى جـاء اللـه بالإسـلام، وكرمنـا بهـذه الشـريعة المطهـرة على هـذه الصفة، كما قال عليه السلام: «خُلقت من نكاح لا من سفاح»[2]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «كل نكاح لا يحضره خمسة فهو باطـل: الشـاهدان، والزوجـان، والولي»[3]، ثم المولد من غير رشده غير لاحق بالواطئ شرعًا، سـواء كـان ذكـرًا أو أنثى؛ لأنه وإن خلق من مَائه فليس مولودًا على فراشه، وقد قال عليه السلام: «الولد للفرش وللعاهر الحجر»[4]، فإن كانت أنثى، فهل يجوز للـواطئ نكاحهـا أم لا ؟

فيه تردد بين العلماء؛ لأنها مخلوقة من مائه، ولا يلحـق نسـبها بـه؛ والمختـار أنه جائز، ولكن يكره، وزعمت الملاحـدة من الباطنيـة أن آدم- عليـه السـلام- هـو أول الأدوار الجسمانية، وأن دوره قد انتهى إلى نوح- عليـه السـلام-، ونـوح انتهى دوره إلى إبـراهيم، إلى أن تنتهي الأدوار سـبعة إلى هـذيانات زخرفوها، وركاكـات قد نمّقوها، يستدرجون بها العوام، ويستنزلون بها الخلـق، وقـد أنهينـا عليهم الـرد نهايتـه في كتـاب (**المشـكاة**)[5]، وفي كتـاب (**الإفحـام**)[6]، وهم أدخـل الفـرق مكيدة على الإسلام، وأخفاهم غدرًا ومكرًا، وهم ملاحدة الاعتقادات، وقد تضمخوا برذائل الفلسفة، ولم يدركوها على دقتهـا وفسـادها، ولكن تعلقـوا منهـا بحبـالات

---

1 (?) في (د) فهذا.

2 (?) مصنف عبد الرزاق، 7/ 303. بلفظ: «أخرجت من نكاح، ولم أخرج من سفاح».

3)) لم يقف الباحث فيما بين يديه من المصادر والمراجع على أصل لهذا الحديث.

4 (?) صحيح البخاري، 6/ 2499.

5 (?) وهو مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار، حققـه د. محمـد السـيد الجلينـدي، منشورات دار الفكر الحديث، عام1969م، القاهرة، مصر.

6 (?) وهو الإفحام لأفئدة الباطنية الطغـام، حققـه فيصـل بـدير عـون، راجعـه د. علي سـامي النشار، منشأة المعارف، عام1971م، الإسكندرية، مصر.

باطلة، وخيالات كاذبة، فالله لهم بالمرصاد فيما كادوا به الدين، وهدموا به قواعد الإسلام، وهذا عارض في الكلام.

قوله: «**تؤتى كل يوم**» يوصل إليك الرزق ما كان منتفعًا به، والأغلب في إطلاقه على ما يكون قوامًا للأجسام، وممسكًا للأرواح من جميع الحيوانات كلها، كما قال تعالى: [illegible][1].

الحُزن: هو تألم القلب بالأسف على ما فات، و**النقصان**: نقيض الزيادة، و**العمر**: مدّة حياة الإنسان، و**الفرح**: نقيض الغمّ، و**الكفاية**: هي مساواة المنفعة لقدر الحاجة، و**الكفّ**: هو الدفع، فكأن الكفاية هي الدافعة لمضرة الحاجة، و**الطلب**: هو البحث عن الشيء بتعب وعناية؛ لأن الإنسان لا يطلب الموجود؛ لأن تحصيل الحاصل محال، وإنما يطلق على ما يكون في تحصيله بعض تكلف، ولهذا فإنه لا يقال لما بين يديك طلبته، و**الطغيان**: هو مجاوزة الحدّ، قال الله تعالى: [illegible][2]؛ لأن الماء في تلك الحالة زاد على الحدّ، وتجاوز الغاية، فقد قيل: إن طغيانه أنه زاد على رؤوس الجبال الشامخة خمسة عشر ذراعًا[3]، وقيل: إنه كاد أن يناطح الكواكب من علوه وارتفاعه، وهو اللائق بشدّة الغضب والأسف، كما قال تعالى: [illegible][4]. **القليل**: نقيض الكثير، و**القناعة**: نقيض الضراعة، كالزهادة والدراية بالتاء في استعماله، و**الشبع**: نقيض الجوع.

---

[1] (?) سورة هود من الآية 6.

[2] (?) سورة الحاقة الآية 11.

[3] (?) ينظر: تفسير الطبري، 23/ 577.

[4] (?) سورة الزخرف الآية 55.

البحث الثاني: في بيان ما يشتمل[1] عليه من العلوم الإعرابية

فقوله: «**يـا ابن آدم**» فنصـب «**ابن**» على النـداء في المضـاف، وهـو من جملة المفاعيل المنصوبة بالفعل اللازم إضماره، و«**آدم**» في موضع جر بالإضافة لكنه غير منصرف؛ للعلمية والوزن إذا قلنـا إنه[2] مشـتق كمـا ذكرنـاه من الأدمة، فأما إذا قلنا بأنه غير مشتق فيحتمل أن يكون أعجميًا، فلا يكون منصرفًا لأسـباب ثلاثة: العلمية والعجمة والزنة.

«**تؤتى**» فعل ما لم يسم فاعله، وفاعله مضـمر يفسـره «**ابن آدم**»، وهـو فعل مضارع مرفوع على المضارعة، و(لامه) (ياء) قلبت (ألفًا)؛ لتحركهـا وانفتـاح ما قبلها. «**كل يوم**» منصـوب على الظرفيـة، و«**يوم**» مجـرور بإضـافة «**كل**» إليه، و«**كل**» هذه ممّا لا يستعمل إلا مضافًا إلى ما بعده، فإن قطـع عن الإضـافة في بعض مواقعه عـوض عن مضـافه التنـوين، واسـتعماله مضـافًا ومقطوعًـا عن الإضافة بعوض التنوين وارد في فصيح الكلام، كمـا قـال تعـالى: [illegible] ،[3] [illegible][4]. «**برزقك**» جار ومجرور في موضـع المفعـول، كقولـك: مـررت بزيـد، ولا يحتمـل الحـال، ولا يحتمـل الآلـة. «**وأنت تحزن**» جملة ابتدائية في موضـع الحـال من الضـمير في «**تـؤتى**»، و«**الـواو**» سادة مسد الضمير العائد إلى ذي الحال، وهو جملة **كبرى** و**صغرى**، **فالكبرى**: هي مجموع المبتدأ والخبر؛ لأن مجموع الخـبرين من المبتـدأ والخـبر هي الجملـة الكبرى؛ لاشتمالها على الاسمية والفعلية،

والجملة الصغرى: هي الجملة الخبرية؛ لأنه جملة فعلية لا غير، وقد اجتمع

---

[1] (?) في (د) اشتمل.

[2] (?) في (د،ك،م) بكونه.

[3] (?) سورة يس من الآية 32.

[4] (?) سورة هود من الآية 111.

في العائـد إلى ذي الحـال رابطـان: **أحـدهما**: الـواو، و**الثـاني**: الضـمير في «**تحزن**»، لكنهما لا يجتمعـان في الفصـيح من الكلام، وأحـدهما مغنٍ عن الآخـر، لكن الذي حسن منه هاهنا أن الضمير كمـا يعـود على ذي الحـال فهـو عائـد على المبتدأ من خبره، «**وينقص**» «**الواو**» للعطف على «**تؤتى**»، وهو فعـل مـا لم يسم فاعله، وهو فعل مضارع مرفوع على المضارعة، و«**فيه**» ضمير قائم مقـام الفاعـل المحـذوف منه. «**كـل يـوم**» منصـوب على الظرفيـة ، وجـر «**يـوم**» بالإضافة. «**من عمرك**» جار ومجرور، و«**من**» لابتداء الغاية، ويحتمـل أن تكـون دالة على التبعيض. «**وأنت تفرح**» جملة ابتدائية في موضـع الحـال من الضـمير في «**ينقص**»، وقد اجتمع فيها الضمير و«**الواو**» كما قررناه في الجملة الأولى. «**أنت**» مبتدأ من ضمائر[1] الخطاب. «**فيما يكفيك**» جـار ومجـرور في موضـع الخبر، «**ما**» فيها وجهان:

أحدهما: أن تكون موصولة، وهو الظاهر من حالها، والعائد الضمير المرفوع في «**يكفيك**»، و**ثانيهما**: أن تكـون مصـدرية، أيْ: في **كفايتك**، ويحتمـل أن تكـون نكـرة موصـوفة، أيْ: في شـيء هـو كـافٍ لـك، و«**الكـاف**» في موضـع المفعـول منصـوبة[2] على الحـال من الضـمير في«**يكفيك**». «**ما**» فيهـا الأوجـه الثلاثة التي ذكرناها .

«**فيما يكفيك**»، و«**يطغيك**» جملة فعليـة.«**لا**» نافيـة. «**بقليل**» جـار ومجرور متعلق بالفعل الواقع بعده، و«**تقنع**» جملـة فعليـة مضـارعة. «**ولا من كثير**» «**لا**» هاهنا نافية . «**من كثير**» جار ومجرور يتعلـق بمـا بعـده من الفعل، و«**الباء**» هاهنا للإلصاق في قوله: «**لا بقليل**»، فهذا ما أردنا ذكره فيمـا يتعلـق

---

1 (?) في (د،م) دلائل.

2 (?) في (د،م) زيـــادة: و«يطلب ما يطغيـــك» جملة معطوفة على ما قبلها من الأفعـــال، ويحتمل أن تكون منصوبة.

به من الأمور الإعرابية والمقاصد النحوية.

النظر الثاني: في بيان ما تضمنه من علوم البلاغة

وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: في بيان ما تضمنه من العلوم المعنوية

وقد تضمن تنبيهات نوضحها بمعونة الله.

التنبيه الأول: تصدير الكلام بالنداء، في قوله: «**يا ابن آدم**»، وإنّما صدّر؛ لما فيه من الإيقاظ للأسماع، وأتى بـ «**يا**» التي للبعيد؛ لما هم عليه من الغفلة عمّا يراد بهم، فنزلوا منزلة البعيد لذلك.

التنبيه الثاني: الشمول في كل ما تضمنه، قوله: **كل يوم في زيادة الرزق ونقصان العمر**، فإن الشمول معنى مقصود؛ لاندراج المفردات تحته، واشتماله عليها، فلا يخرج عنها شيء إلا بدليل واضح، وهو وارد في كلام الله تعالى، وفي كلام الفصحاء، كما قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[1]، و﴿ [illegible] ﴾[2].

التنبيه الثالث: الجمل الحالية، في نحو قوله: «**وأنت تحزن**» بـ «**الواو**»، فإنه يكسب الكلام ديباجة، ويعطيه في المذاق حلاوة، كأنه قال: تؤتى برزقك في حال حزنك، وينقص من عمرك في حال فرحك، وهي واردة في كتاب الله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[3] على من قرأها بتخفيف النون، ونحو قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[4]، وهو كثير.

التنبيه الرابع: الإبهام، في قوله: «**ما يكفيك**»، و«**ما يطغيك**»، فإن

---

1 (?) سورة الإسراء من الآية 20.
2 (?) سورة النور من الآية 41.
3 (?) سورة يونس من الآية 89.
4 (?) سورة آل عمران من الآية 102.

الإبهام له موقع بالغ في الكلام، ويزيده رونقًا وطلاوة، ويكسبه فخامة، كما قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[1]، وإنما أبهمه للدلالة على التحقير، أوعلى التفخيم لشأنه، فإن حملناه على التحقير[2]، فكأنه قال: ألق العويد الصغير الذي بيدك يفعل بقدرة الله تعالى ما تراه من إبطال ما جاؤوا به من السحّر العظيم، وإن حملناه على التفخيم، فكأنه قال: وألق هذا الأمر الهائل الذي بيدك الذي قد صار آية ومعجزة لك، كسائر معجزاتك الباهرة، ودلائلك الظاهرة.

التنبيه الخامس: التقديم والتأخير، فإنهما من مهمات علوم المعاني، وإنما حسن ذلك لأغراض جمّة، ومقاصد عظيمة، ومثاله: تقديم الجار والمجرور في قوله: «**لا بقليل**»، وقوله: «**ولا بكثير**»، فقدم على العامل فيه، وكان من حقه التأخير؛ لكونه بمنزلة المفعول، وإنما قدمه لأجل الاهتمام بحاله كما قدم المفعول الصريح على عامله في قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[3]، فهذه العلوم كلّها مختصّة بعلوم المعاني، ومتعلقة به، فانظر إلى هذا الحديث مع تقارب أطرافه، وقصر حجمه، وقلّة ألفاظه كيف اشتمل على هذه الأسرار البديعة، والمعاني المعجبة، وما هذا حاله فليس بدعًا من كلامه؛ لأن الله تعالى قد خصّه بما لم يخصّ غيره من فصاحة المنطق وذلاقة اللسان كما ترى.

المطلب الثالث: في بيان ما تضمنه من علوم البديع[4]

وقد اشتمل على أساليب نقررها:

الأسلوب الأول: التسجيع، وهذا حاصل في قوله: «**يطغيك**»،

---

[1] (?) سورة طه من الآية 69.

[2] (?) في (د) التصغير.

[3] (?) سورة الفاتحة الآية 5.

[4] (?) في (د،م) البيان. {والسليم البديع، كما هو ظاهر في شرح هذا المطلب، وقد سقط من الأربع النسخ المطلب الثاني المختص بعلم البيان، وما يؤكد أنه سقط عند النَّسخ وليس متروكًا من قبل المؤلف؛ أنه ذكر المطلب الأول المختص بعلم المعاني، والمطلب الثالث المختص بعلم البديع، ولو تركه المؤلف لخصّ علم البديع بالقول أنه المطلب الثاني، فضلاً عن قوله أن في علوم البلاغة ثلاثة مطالب تخصّ هذا الحديث}.

و«**يكفيك**» وقوله: «**تقنع**»، و«**تشبع**»؛ والغرض بالسجع تحريك الخواطر، إلى قوله[1]، وإصغاء الآذان إلى سماعه، فإن الكلام مهما كان مزدوج الإعجاز متشابهة أواخر الكلم منه، فإنه يقع موقعًا عظيمًا في القلوب، وتتلقاه الأفئدة بالقبول.

الأسلوب الثاني: التجنيس، وهذا كقوله «**كلُّ يـوم**»، و«**كـل يـوم**»، وقوله: «**أنت**»، و«**أنت**» وهكـذا في قولـه: «**فيما يكفيك**»، و«**مـا يطغيك**»، فإن ما هذا حاله معدود في الجناس، ومعناه: استواء الكلمتين، وأكثر مـا يـرد في الألفاظ المشتركة، كقولهم: ما ملأ الراحة من استوطن الراحة، وهو من الجنـاس الكامل.

الأسلوب الثالث: الطباق، وهـذا نحـو قولـه: «**قليل**»، و«**كثـير**» فإنـه طبـاق لفظي ومعنـوي، فأمـا قولـه: «**يكفيك**»، و«**يطغيك**»، فإنـه معـدود في الطبـاق المعنـوي؛ لأن الغـرض بقولـه: «**يطغيك**» أيْ: لا يكفيـك، وهكـذا قولـه: «**تحزن**»، و«**تفرح**»، فإنهمـا طبـاق لا محالة، والغـرض من الطبـاق: هـو تقابـل النقيضين من جهة اللفظ والمعنى، أو من جهة أحدهما، فهذه الأساليب كلها دالــة على البلاغة الرائقة واللطائف البديعة.

الأسلوب الرابع: في الفصاحة اللفظية، فإنك إذا فكّرت في مفردات هذا الحديث وجدت ألفاظه فصيحة ليس فيها شيء من التعقيد، ولا من الحــروف الثقيلـة، وإذا فكّـرت في تـأليف كلمـات الحـديث وجـدتها قـد ألفت على أعجب تأليف، وأحسن ترتيب، وسيقت أحسن سياق.

الأسلوب الخامس: في البلاغة المعنوية، فإنك إذا نظـرت في إفادتـه لما أفاده من المعاني الوعظية، والحكم النافعة المرشدة إلى آداب الدين والدنيا، والنافعة لأهلها في الآخرة والأولى.

---

[1] (?) في (د) قبوله.

النظر الثالث:في بيان مقاصـده صـلى الله عليه وآله وسلم التي ضمنها إياه

وقد اشتمل على حكم نذكرها:

الحكمة الأولى: بيان حال الرزق

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «**يـا ابن آدم تـؤتى كـل يوم برزقك وأنت تحزن**» أراد صلى الله عليه وآله وسـلم أن اللـه تعـالى هـو الذي يرزق ابن آدم ورزقه لا ينقطع عنه، وإن أحدًا لا يقدر أن يحجـر عنـه شـعيرة من رزقه قد قدّرها الله له، ولا يوصل إليه شعيرة لم يقدّرها له، فهو إذا كـان من الموقنين[1]، وعقل مـا ذكرنـاه وفهمه، ثم إنـه سـبحانه أخـبر عنـه بأنـه من شـؤم الرأي، وضعف الحظّ في غاية الحزن والأسف على ما لم يقسمه اللـه تعـالى، ولا يقـدره لـه من مـال، أو ولـد، فأسـاس الـرزق كلّـه المـال، فلنـذكر آفـات المـال، وفوائده، ثم نردفه بـذكر الإيثـار، والوظـائف الـتي على الإنسـان في مالـه، فهـذه مقامات أربعة، هي وافية بهذه الحكمة التي أشار إليها صـاحب الشـريعة صـلوات الله عليه.

المقام الأول: في بيان فوائد المال

وهي منقسمة إلى: دينية، ودنيويـة، فأمـا الدنيوية، فلا حاجـة بنـا إلى ذكرهـا، فإن معرفتها ظاهرة بين الخلق، ولولا ذلـك لم يتهـالكوا إلى طلبهـا، وأمـا الدينية، فهي المقصودة النافعة، وجملة ما نذكره من ذلك فوائد ثلاث:

الفائـدة الأولى: أن ينفقـه على نفسـه، إمـا في عبـادة، أو في الاسـتعانة على العبادة؛ أمـا العبـادة، فهـذا كالاسـتعانة على الجهـاد، والحجّ، فإنـه لا يتوصـل إليهما إلا بالمال، وهما من أمهـات القربـات، والفقـير محـروم من فضـلهما، وأمـا

---

[1] (?) في (ك،م) الموفقين.

فيما يقويه على العبادة، وذلك هو المطعم والملبس والمسكن، والنكاح، وغير ذلك من ضرورات المعيشة، فإن هذه الأمور لا بد منها، وهي إذا لم تكن متيسرة كان القلب مشغولاً بتحصيلها وتدبير أحوالها، فلا يتفرغ للعبادة، ولا للنظر في أمور دينه.

الفائدة الثانية: ما يصرفه إلى الناس، وذلك يكون على أربعة أوجه:

أولها: الصدقة، فلا يخفى فضلها وثوابها، وإنها لتطفئ غضب الرّبّ، وتقي ميتة السوء، وفضائلها ظاهرة.

وثانيها: المروءة، ونعنى بذلك صرف المال في الضيافات والهدايا والإعانات، وغير ذلك، وما يجري مجرى ذلك من محامد الشيم وشرف الخصال، فإن هذا لا يسمى صدقة؛ لأن الصدقة ما كان على الفقراء، وسائر المحتاجين، وهذا من اصطناعات المعروف، وهو ما يعظم به الثواب والأجر عند الله.

وثالثها: وقاية العرض، ونعني به بذل المال لدفع[1] هجو الشعراء، وثلب السفهاء، وقطع ألسنتهم، ودفع شرورهم، ولقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «كل مداراة صدقة»[2]، وفي حديث آخر: «ما وقى المرء عرضه، فهو له صدقة»[3].

ورابعها: الاستخدام، فإن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان كثيرة، ولو تولاها بنفسه ضاعت أوقات عباداته، وتعذّر عليه سلوك طريق الآخرة، فبذل المال لما ذكرناه يكون من المقاصد الدينية أيضًا.

الفائدة الثالثة: ما يصرف في القربات العامة، نحو بناء المساجد والخانكات، وتكفين الموتى، وإصلاح الطرقات، وغير ذلك من الأوقاف المرصدة

---

1 (?) في (د) ليدفع.

2 (?) المعجم الأوسط، 1/ 146. بلفظ: «مداراة الناس صدقة».

3 (?) المستدرك على الصحيحين، 2/ 57. بلفظ: «ما وقى به المرء عرضه كتب له صدقة».

بالخيرات، وهي من الأمور المؤبدة بعد الموت المستجلبة بركة دعاء الصالحين إلى أوقات متمادية، وناهيك بما هذا حاله خير في الآخرة، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع سائر عمله إلا ثلاثة: ولد صالح يدعو له، وعلم ينتفع به، وصدقة تجري»[1]، فهذه جملة فوائد المال الدينية التي يقصد بها وجه الله تعالى.

المقام الثاني: في ذكر آفات المال

وهي منقسمة إلى: دينية، ودنيوية، فأما الدنيوية، فلا حاجة إلى ذكرها، وأما الدينية، فهي ثلاث:

الآفة الأولى: تحريك النفوس إلى المعاصي، فإن الشهوات متقاضية في كل وقت وحين، ولكن العجز مانع عن المعصية، ومن العصمة أن لا يكون قادرًا، فإذا كان الإنسان آيسًا بالعجز عن بلوغ المعصية لم يتحرك داعيه إليها، فإذا كان مستشعرًا للقدرة انبعثت الداعية، وتحركت الخواطر، والمال نوع من القدرة يحرك دواعي الفجور، وارتكاب المناهي، فإذا اقتحم ما اشتهاه هلك، وإن صبر نفسه على الانكفاف نجا.

الآفة الثانية: أنه يجر إلى التنعم بالمباحات، وهذا أقلّ الدرجات، فمتى لم يقدر صاحب المال على تناول خبز الشعير، ولبس الثوب الخشن، وترك لذائذ الأطعمة والأشربة، كما كان سليمان بن داود- عليه السلام- في ملكه فأحسن أحواله أن يتنعم بالدنيا فيصير النعيم مألوفًا محبوبًا لا يصبر عنه، ويجرّه البعض منه إلى البعض، وإذا اشتدّ أنسه به، فربّما لا يقدر على التوصل إليه بالكسب الحلال، فيقتحم الشبهات، ويخوض في المداهنة والكذب والنفاق وسائر الأخلاق الرديئة؛ لينتظم له أمر دنياه، ويسهل عليه تنعمه، ويعرض له في ذلك

---

[1] (?) صحيح مسلم، 3/ 1255.

الحسد والحقد والرياء والكبر والغيبة والنميمة وسائر المعاصي، وكـل ذلـك يلـزم من شؤم المال والحاجة إلى زيادته وحفظه.

الآفة الثالثة: وهي التي لا ينفك عنها أحد ممن لـه مـال، وهي أن يلهيه إصلاح ماله عن ذكر الله، وكل ما شغل العبـد عن ذكـر اللـه فهـو خسـران، وهذا هو الداء العضال، والذي يستولي على الأفاضل فضلاً عن الجهال، فإن أصل العبادات ومخها وسرّها ذكر الله تعـالى، والفكـر في جلالـه وعظمتـه، ويسـتدعي ذلك قلبًا فارغًا، وصاحب المال مشغول بحفظه، وتدبير زيادته، فهذه جملة الآفات التي تعرض في الأموال سوى ما يقاسيه أرباب الأمـوال من الخـوف والغمّ والهم والامتهان لقدره وحاله.

المقام الثالث: في بيان الإيثار، وإظهار فضيلته

اعلم أن السخاء والبخل كل واحد منهما ينقسـم إلى درجـات، فـأرفع درجـات السخاء الإيثار، وهو أن يجود بالمال مع الحاجة إليه، وإنمـا السـخاء عبـارة عن بـذل المال الذي لا يحتاج إليه، وكما أن السـخاء قـد ينتهي إلى أن يسـخو على غـيره مـع الاحتيـاج، فالبخـل قـد ينتهي إلى أن يبخـل على نفسـه مـع الحاجـة، فـانظر مـا بين الرجلين، فإن هذه الأخلاق، أعني السخاء والبخل والجود والكرم عطايـا يضـعها اللـه حيث شاء، وليس بعد الإيثار درجة في السخاء، وقـد أثـنى اللـه على الصـحابة حيث قال: [illegible][1]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أيّما رجل اشتهى شهوته، وآثر بها على نفسه غفر الله له»[2]، وقـالت عائشة- رضي الله عنها-: ما شبع رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ثلاثة أيـام متوالية حتى فارق الدنيا، ولـو شـئنا لشـبعنا، ولكنّـا كنّـا نـؤثر على أنفسـنا[3]، ونـزل

---

1 (?) سورة الحشر من الآية 9.

2 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 257.

3 (?) شعب الإيمان، 5/ 25.

برسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ضـيف، فلم يجـد عنـد أهلـه شـيئًا، فـدخل عليه رجل من الأنصار، فذهب به إلى أهلـه فوضـع بين يديـه الطعـام، وأمـر امرأتـه بإطفاء السراج، وجعل يمدّ يده إلى الطعام كأنه يأكل، وهو لا يأكل حتى أكل الضيف الطعام، فلما أصبح قال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «لقد عجب الله من صنيعكم إلى ضيفكم»[1]، ونـزلت: [illegible][2]، فالســخاء خلــق من أخلاق الله- عزّ وجلّ- والإيثــار أعلى درجــات السخاء، وكان ذلك من دأب الرسول- صلى الله عليـه وآلـه وسـلم- حـتى سـماه الله عظيمًا، فقال: [illegible][3].

وقال سهل بن عبدالله[4]، قال موسى: يا ربّ أرني بعض درجـات محمد- صـلى الله عليه وآله وسلم- فقال: يـا موسـى إنـك لن تطيـق ذلـك، ولكن أريـك منزلـة من منازلـه جليلـة عظيمـة، فضـلته بهـا عليك، وعلى جميـع خلقي قـال: فكشـف لـه عن ملكوت السماء فنظر إلى منزلة كادت تعلق نفســه من أنوارها، وقربهـا من الله- عزّ وجلّ-، فقال:- يا رّبّ- بماذا بلغت به هذه الكرامـة؟ قـال: خلـق قـد خصصـته بـه من بينهم، وهـــو الإيثـــار- يـــا موسى- لا يـــأتيني أحـــد قـــد عمـــل بـــه منهم وقتًا من عمره إلا استحييت من محاسبته، وبوأته من جنتي حيث يشاء[5].

وبات أمير المؤمنين- كرم اللـه وجهه- على فـراش رسـول الله- صـلى اللـه عليه وآله وسلم- فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل- عليهما السلام-، أني قد آخيت

---

[1] (?) مسند أبي يعلى، 11/ 30.

[2] (?) سورة الحشر من الآية 9.

[3] (?) سورة القلم الآية 4.

[4] (?) وهو سهل بن عبد الله التستري الصوفي، صالح مشـهور، لم يكن له في وقته نظـير في الورع، ولد سـنة 200هـ، وقيـل: 201هـ، سـكن البصـرة زمانًـا، وعبـادان مـدة، تـوفي سـنة 283هـ، وقيل: 273هـ. ينظر: الوافي بالوفيات، 16/ 11، 12.

[5] (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 257، 258.

بينكما فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة، فاختارا كلاهما الحياة وأحباها، فـأوحى الله- عز وجلّ- إليهمـا، أفلا كنتمـا مثـل علي بن أبي طـالب آخيت بينـه وبين نبـيي محمد- صلى الله عليه وآله وسـلم- فبـات على فراشـه يفديـه بنفسـه، ويـؤثره بالحيـاة، أهبطا إلى الأرض فأحفظاه من عدوه، فكـان جبريـل عنـد رأسـه، وميكائيـل عنـد رجليه، وجبريل- عليه السلام- ينادي: بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بـك الملائكة[1]، وأنـزل الله- عزّ وجلّ- فيـه: [illegible][2]، وقـال حذيفـة العـدوي[3]: انطلقت يوم الـيرموك أطلب ابن عمّ لي ومعي شـيء من المـاء، وأنـا أقـول: إن كان به رمق سقيته، ومسحت به وجهه، فـإذا أنـا بـه فقلت: أسـقيك؟ فأشـار إليّ أيْ: نعم، فإذا رجل يقول: آه، فأشار ابن عمي أن أنطلق به إليه، فجئته، فـإذا هـو هشام، فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقـال: آه، فأشـار هشـام انطلـق بـه إليـه، فجئته، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام، فإذا قد مات، فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات[4]، وقال عباس بن دهقان: ما خرج أحد من الـدنيا كمـا دخلهـا إلا بشر بن الحارث[5] فإنه أتـاه رجـل في مرضـه فشـكا إليـه الحاجـة فـنزع قميصـه فأعطاه إياه واستعار ثوبًا فمات فيه[6]، فهذه الأخبار كلها دالـة على حسـن الإيثـار وفضله.

---

1 (?) نفسه، 3/ 258.

2 (?) سورة البقرة الآية 207.

3 (?) وردت هذه القصة لأبي جهم بن حذيفة العـدوي، وهو عـامر بن حذيفة بن غـانم القرشي العدوي، وقيل: اسمه عبيـد، أسـلم يـوم الفتح، كـان عالمًا بالنسـب، وأحد من دفن عثمـان- رضي الله عنه-، قيل: توفي في آخر عهد معاوية. ينظر: شـعب الإيمـان، 3/ـ 260. الـوافي بالوفيات، 16/ 329، 330.

4 (?) ينظر: شعب الإيمان، 3/ 260. إحياء علوم الدين، 3/ 258. وهشام، هو ابن العاص أخو عمرو.

5 (?) وهو بشر بن الحـارث بن عبد الـرحمن، أبو نصر الحـافي المـروزي البغـدادي، العـالم المحدث الزاهد، ولد سـنة 152هـ، وسـكن بغـداد، وتـوفي سـنة 227هــ. ينظـر: سـير أعلام النبلاء، 10/ 469- 476.

6 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 258.

المقام الرابع: في بيان مجموع الوظائف التي على العباد في أموالهم

اعلم أن المال خير من وجه، وشر من وجه، ثم إنه لا يخلو عن هذا الشـر إلا بالمحافظة على خمس وظائف:

الوظيفة الأولى: أن تعرف المقصود بالمال، وأنه لأيّ شيء خلـق المـال، ولأيّ شيء تحتاج إليه، ولا تحفظ منه إلا قـدر الحاجـة، ولا تبذلـه لمن لا يسـتحقه، ولا تحجره عمّن يكون مستحقًّا له.

الوظيفة الثانية: أن يـراعي في المـال جهاتـه الـتي يـدخل منهـا، فيجتنب الحرام، والذي يكون الغالب عليه الحـرام كـمال السـلاطين، وأهـل الربـا، وأهـل المداخل الخبيثة، ويجتنب المداخل المكروهة القادحة في المروءة، كالهـدايا الـتي فيها شيء من الرشوة، والسؤالات التي فيها الذلّ، وهتك المروءة، وغير ذلك.

الوظيفة الثالثة: في بيـان المقـدار الـذي يكتسـبه، فلا يسـتكثر منـه، ولا يستقل، بـل يحـرز القـدر الـواجب ومعيـاره الحاجـة، فلا بدّ من مسـكن، وملبس، ومطعم، ولكل واحـد من هـذه درجـات أعلى، وأدنى، ووسط، ومـا دام مـائلاً إلى جـانب القلّـة، ومقربًـا من حدّ الضـرورة كـان محقًّا، وقرنـه بجملـة المحقين، وإن جاوز وقع في بحر عميق لا منتهى لقعره.

الوظيفة الرابعة: يراعي جهة الإخراج، ويقصد في الإنفاق، غير مبـذر، ولا مقتر، فيضع ما اكتسبه من حلّه في حقّه وأهله، ولا يضعه في غير حقّه، فإن الإثم حاصل في الأخذ من غير حقّه، والوضع في غير أهله سواء.

الوظيفة الخامسة: أن يصلح نيته في الأخذ والـترك والإمسـاك، وأخـذ مـا يأخذ ليستعين به على العبادة، ويترك ما يترك من هذا عفّـة واسـتحقارًا لـه، فـإذا فعل ذلك لم يضرّه وجود المال، ولهذا فإنه يروى عن أمـير المؤمـنين- كـرم اللـه

وجهه-: لو أن رجلاً أخذ جميع ما في الأرض، وأراد به وجه الله فهو زاهد، ولـو أنـه ترك الجميع، ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد[1]. فاجتهـد في أن تكـون حركاتك، وسكناتك مقصورة على العبادة، أو ما يكون إعانة على العبادة[2] تنج مع النـاجين، وقد نجز غرضنا ممّا نريده من معنى قوله عليه السلام: «**تـؤتى برزقـك وأنت تحزن**».

الحكمة الثانية: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «وينقص كل يوم من عمرك وأنت تفرح»

أراد عليه السلام أن العبد مهما عمر فهـو نقصـان من أجلـه بـذهاب الليـالي والأيام، وهو فارح بالبقاء؛ لأنـه في الحقيقـة هـدم لعمـره وزوال لأيامه، فهـذا من أعجب العجائب أنه ينقص بطول الحياة، وهو يفرح. وقد صدق من قال:

يَسـُـرُّ المَـرْءَ مَـا ذَهَبَ الليَـالِي   وَكَـانَ ذَهَـابُهُنَّ لَـهُ ذَهَابَـا[3]

فحاصل هذه الحكمة بيـان حـال الأجـل، وهدمـه للعمـر، فلنـذكر فضـل ذكـر الموت، ثم نذكر بعده فضيلة قصر الأمل، ثم نردفه بذكر السبب في طول الأمل، فهذه مقامات ثلاثة.

المقام الأول: في بيان فضل ذكر الموت

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «أكـثروا من ذكـر هـادم اللـذات»[4] أراد أي نغصوا به اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها فتصلون إلى اللـه تعـالى، وقـال صـلى الله عليه وآله وسلم: «لو أن البهائم تعلم من المـوت مـا تعلمـون مـا أكلتم منهـا سـمينا»[5]، وقـالت: عائشة- رضـي اللـه عنها-: يـا رسـول الله- هـل يحشـر مـع

---

1)) إحياء علوم الدين، 3/ 264.

2)) في (د،م) سقط: أو ما يكون إعانة على العبادة

3)) البيت من الوافر، ولم ينسب لقائل معين. ينظر: شرح قطر الندى وبلّ الصدى، 56.

4 (?) سنن الترمذي، 4/ 639.

5 (?) شعب الإيمان، 7/ 353.

الشهداء أحد؟ قال: «نعم من يـذكر المـوت في اليـوم والليلـة عشـرين مـرة»[1]، وقيل: خمسًا وعشرين مرة، وإنما سبب هـذه الفضـيلة كلهـا هـو أن ذكـر المـوت يوجب التجافي عن دار الغـرور بتقاضـي الاسـتعداد للآخـرة، والغفلـة عن المـوت يدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا، وقال صلى الله عليـه وآلـه وسـلم: «تحفـة المؤمن الموت»[2]، وإنما قال هذا؛ لأنّ الدنيا سجن المـؤمن؛ إذ لا يـزال فيهـا في عناء، ومكابدة الشدائد، ومقاسـاة الأهـوال في رياضـة نفسه، ومدافعـة شـهواته، فالموت إطلاقه منها، والإطلاق تحفته.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «الموت كفارة لكل مسلم»[3]، وأراد بهذا الحديث: المسلم حقًا الذي يسلم المسـلمون من يـده ولسـانه، ومـرّ صـلى اللـه عليه وآله وسلم بمجلس، وقد اسـتعلى فيـه الضـحك، فقـال: «شـوبوا مجلسـكم بذكر مكدر اللذات»، فقالوا: وما مكدر اللذات؟ قال: «الموت»[4]، وقـال أنس بن مالك: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «كفى بالموت واعظًا»[5].

وخرج رسول الله- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- إلى المسـجد، فـإذا قـوم يتحدثون ويضحكون، فقال: «اذكروا الموت، فوالذي نفسـي بيـده لـو تعلمـون مـا أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيرًا»[6]، وذُكر عند رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- رجل فأحسنوا الثنـاء عليـه، فقـال: «كيـف كـان ذكـر صـاحبكم للمـوت»؟ فقالوا: ما كنا نكاد نسـمعه يـذكر المـوت، فقـال: «إن صـاحبكم ليس هنالـك»[7]،

---

1 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 450.
2 (?) مسند الشهاب، 1/ 120.
3 (?) شعب الإيمان، 7/ 171.
4 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 450.
5 (?) شعب الإيمان، 7/ 353.
6 (?) مسند أحمد، 2/ـ 312. دون ذكر: «اذكروا المـوت». وفي (د) سـقط: «فو الـذي نفسي بيده لو تعلمـون ما أعلم لضـحكتم قليلاً، ولبكيتم كثـيرًا»، وذُكر عند رسـول اللـه- صـلى الله عليه وآله وسلم- رجل فأحسنوا الثناء عليه، فقال: «كيف كان ذكر صاحبكم للموت»؟
7 (?) مصنف ابن أبي شيبة، 7/ 78. مع اختلاف: «فقال: ما هو كما تذكرون».

وقال ابن عمر: أتيت النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- عاشر عشرة، فقال رجل من الأنصار: من أكيس الناس، وأكرم النـاس- يـا رسـول الله-؟ فقـال: «أكـثـركم ذكرا للمـوت، وأشـدهم اسـتعدادًا لـه، أولئـك هم الأكيـاس ذهبـوا بشـرف الـدنيا، وكرامة الآخرة»[1]، وعن الحسن البصـري: فضـح المـوت الـدنيا، فلم يـترك لأحـد فرحًا[2]، وقال الربيع: ما غائب ينتظر المؤمن خـير لـه من المـوت[3]، وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه فقال: يا أخي احذر المـوت في هـذه الـدار قبـل أن تصير إلى دار يتمنى فيها الموت لا يجده[4].

وكان ابن سيرين[5]إذا ذُكر الموت عنده مات كل عضو منه[6]، وكان عمـر بن عبدالعزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتذاكرون الموت والقيامـة والآخـرة، ثم يبكـون كأن بين أيديهم جنازة، وقـال كعب: من ذكـر المـوت هـانت عليـه مصـائب الـدنيا وهمومها[7].

المقام الثاني: في بيان فضل قصر الأمل

قال صلى الله عليه وآله وسلم لعبـد اللـه بن عمـر- رضـي اللـه عنـه-: «إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسـك بالصـباح، وخـذ من حياتك لموتك، ومن صحتك لسقمك، وأعدد نفسك في الموتى، فإنك لا تـدري ما اسمك غدًا»[8]، وعن أمير المؤمنين- كرم الله وجهه- عن الرسول- صـلى اللـه

---

1 (?) المعجم الصغير، 2/ 189.
2 (?) ينظر: حلية الأولياء، 2/ 149.
3 (?) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة، 7/ 145.
4 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 451.
5 (?) وهو أبو بكر محمد بن سيرين البصري، الأنصاري بالولاء، أحد الفقهـاء بالبصـرة، وتـابعي من أشراف الكتاب، ولد بالبصـرة لسـنتين بقيتا من خلافة عثمـان- رضي الله عنـه-، وتـوفي بالبصرة سنة 110هـ. ينظر: وفيات الأعيان، 4/ 181، 182.
6 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 451.
7 (?) نفسه.
8 (?) المعجم الكبير، 12/ 417.

عليه وآله وسلم- أنه قال: «إن أشدّ ما أخاف عليكم خصلتين اتباع الهوى، وطـول الأمل، فأمـا اتبـاع الهـوى، فإنـه ليعـدل عن الحق، وأمـا طـول الأمل، فإنـه الحبّ للـدنيا، ألا وإن اللـه يعطي الـدنيا من يحب ويبغض، ولا يعطي الآخـرة إلا من يحب، وإذا أحبّ الله عبدًا أعطاه الإيمان، ألا وإن للدنيا أبناء، وللدين أبناء، فكونوا من أبنـاء الدين، ولا تكونوا من أبناء الـدنيا، ألا إن الـدنيا قـد ارتحلت موليـة، ألا إن الآخـرة قـد تجملت مقبلة، ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب، وإنكم يوشك أن تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل»[1].

ورُوي أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ ثلاثة أعـواد فغـرز عـودًا بين يديـه، والآخر إلى جنبه، وأما الثالث فأبعده، فقال: «هل تدرون مـا هـذا»؟ فقـالوا: اللـه ورسوله أعلم! قـال:«هـذا الإنسـان، وهـذا الأجـل، وذاك الأمـل يتعاطـاه ابن آدم، ويختلجه الأجل دون الأمل»[2]، وقال صلى الله عليه وآلـه وسـلم: «يكـبر ابن آدم ويشب معه اثنان: الحرص وطول الأمل»[3].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد، ويهلك آخر هذه الأمة بالبخل وطول الأمل»[4]، وكان صلى الله عليـه وآلـه وسـلم يقـول في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من دنيا تمنـع خـير الآخـرة، وأعـوذ بـك من حيـاة تمنع خير الممات، وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل»[5]، وقال بعض الزهـاد: لـو أمّلت أن أعيش شهرًا لرأيتني قـد أتيت أمـرًا[6] عظيمًـا، وكيـف أؤمـل ذلك، وأرى

---

1 (?) قصر الأمل لابن أبي الدنيا، 26، 27.
2 (?) مسند أحمد، 3/ 17.
3 (?) صحيح البخاري، 5/ 2360. بلفظ: «يكبر ابن آدم، ويكبر معه اثنتان: حب المال، وطول العمر».
4 (?) قصر الأمل لابن أبي الدنيا، 36.
5 (?) نفسه، 48.
6 (?) في (د،ك) سقط: أمرًا.

الفجـائع تغشـى الخلائـق في سـاعات الليـل وسـاعات النهـار[1]، وقيـل للحسـن البصري:- يا أبا سعيد- ألا تغسل قميصك؟ قال: الأمر أعجل من ذلك[2].

وقال عمـر بن عبـدالعزيز في خطبـة خطبهـا: إن لكـل سـفر زادًا لا محالـة، فتزودوا لسفركم من الدنيا إلى الآخرة بالتقوى، وكونـوا كمن عـاين مـا أعـد اللـه من ثوابه وعقابه ترغبوا وترهبوا، ولا يطولن عليكم الأمل فتقسـوا قلـوبكم، وكتب رجل إلى أخٍ له، فقال: أما بعد، فإن الدنيا حلم، والآخرة يقظة، والمتوسط بينهمـا الموت، ونحن في أضغاث أحلام، والسلام[3]، وكتب رجل إلى أخيـه فقـال لـه: إن الحزن على الدنيا طويل، والموت من الإنسان قريب، وللنقص منـه في كـل يـوم نصيب، وللبلاء في جسمه دبيب، فبادروا قبل أن ينادى بالرحيل، والسلام[4]، وهـذا القدر كافٍ.

المقام الثالث: في بيان سبب طول الأمل

اعلم أن طول الأمل له سببان:

السبب الأول منهما: حبّ الدنيا

فالرجـل إذا أنس بالـدنيا وشـهواتها ولـذاتها[5] تشـبث بعلائقهـا، ثقـل عليـه مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها، فإن كـل من كره الموت دفعه عن نفسه بالأمل، والإنسان مشـغول بالأمـاني الباطلـة، فيمـني نفسه بما يوافق مراده، وإنمـا يوافـق مـراده البقـاء في الـدنيا، فلا يـزال يتوهمه، ويقدره في نفسه، ويقدر توابع البقاء، فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكـر موقوفًـا عليه فيلهو عن ذكـر المـوت، ولا يقـدر قربـه إلى أن تختطفـه المنيـة في وقت لا

---

1 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 454.
2 (?) حلية الأولياء، 6/ 270.
3 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 455.
4 (?) إحياء علوم الدين، 4/ 455.
5 (?) في (د،م) سقط: لذاتها.

يحتسبه.

السبب الثاني: الجهل

وهو أن الإنسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب, وليس يتفكر أن الموت حادث في كل ساعة، ومتوقع حصوله في كل وقت، ولو تفكّر العاقل، وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص لا في شتاء، ولا في صيف، ولا في ربيع، ولا في خريف ولا ليل ولا نهار ولا شباب ولا كهولة، ولكن الجهل بهذه الأمور دعاه إلى طول الأمل، وإلى الغفلة عن تقرير الموت القريب، فيطول عند ذلك حزنه، وأكثر أهل النار صياحهم من سوف، يقولون: واحزناه من سوف، والمسوف المسكين ينقطع تسويفه، فهذا أبدًا يظن أن الموت يكون بين يديه، ولا يقدر نزوله به، ووقوعه فيه، وهو أبدًا يظن أنه مشيع للجنازة[1]، ولا يقدر أن يشيع جنازته؛ لأن هذا قد تكرر عليه ألفه، وهو مشاهد موت غيره، وأما موته نفسه فلم يألفه، ولا يتصور أن يألفه، فإنه لم يقع، وإذا وقع فإنما يقع دفعة واحدة، ولا يقع بعدها، وسبيله أن يقيس نفسه بغيره، ويعلم أنه لا بدّ أن تحمل جنازته ويدفن في قبره، ولعل اللبن الذي[2] يغطى بها قبره قد هيأت له، وفرغ منها، وهو لا يدري، فتسويفه جهل محضّ، فقد عرفت بما ذكرناه أن سبب طول الأمل هو ما ذكرناه.

الحكمة الثالثة: الكفاية

وإليها الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أنت فيما يكفيك تطلب ما يطغيك**» أراد أن ابن آدم في كفاية من أمره، وغنية من حاله في مطعمه وملبسه ومأكله، والقليل فيه خفّة المؤنة، وأقلّ تبعة، وفيه بلاغ إلى الآخرة، وكيف لا والعبد في سير مجدّ إلى هول عظيم!! وبين يديه قائد حثيث، وخلفه سائق عنيف، ولا

---

1 (?) في (د،ك،م) يشيع الجنازة.
2 (?) في (د،م) التي.

يدري كيف يكون مصرعه؟! وأين يقع مضجعه؟! فأيّ وجه في جمع الأموال وادخارها وحفظ النفائس واحتكارها، وكان ما هو كائن قد كان، وبما يتوقع ويحصل قد ظهر وبان وأعجب من هذا العامر ما لا يسكن، والجامع لما لا يأكل، فـ «ما قلّ وكفى خير ممّا كثر وألهى»[1]، وأدنى ما في الدنيا يكفي، فإن لم يكف فليس ما فيها يكفي.

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أصبح آمنًا في سربه، معافى في جسمه معه قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»[2]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «ولو أن لابن آدم واديين من ذهب لابتغى إليهما ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»[3]، ولا شك أن الطالب فوق الكفاية متعرض لسخط الله تعالى ومقته، وكيف يسعى لذلك عاقل، أو يكدح له كادح أو عامل، والله تعالى يقول: [illegible][4]، ولو أعطاهم فوق ما تقتضيه المصلحة لبغوا وطغوا، ومعنى **البغي:** طلبهم ما ليس يصلح لهم، فيبخل من مجموع ما ذكرناه أن العبد في غاية الكفاية من الله تعالى من صحة في جسمه، وعافية في بدنه وكمال في عقله، وتمكين في حاله، وإسباغ في رزقه وقوة في أمره وجمال في حاله، وأن الله تعالى قد كفاه جميع مهماته في الدِين والدنيا، فلهذا قال عليه السلام: «**أنت فيما يكفيك**» إشارة إلى ما قلناه.

الحكمة الرابعة: طلب الطغيان من العبد

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وتطلب ما يطغيك**» اعلم أن الطغيان هو تجاوز الحد في كل شيء، كما قال تعالى في صفة فرعون:

---

1 (?) وهو حديث نبوي. مسند أحمد، 5/ 197.
2 (?) حلية الأولياء، 5/ 249.
3 (?) المعجم الكبير، 11/ 180.
4 (?) سورة الشورى من الآية 27.

□ □□□□□□ □□□□□□□ □[1] أيْ: تجاوز الحدّ في المعصية والمخالفة والتكبر والحماقة، وكيف وقد قال اللص: □ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□□□ □□□□□□□ □[2]، وأيّ حماقة أعظم من حماقة هذا؟! وأيّ تجاهل أكثر مما قال؟! فنعوذ بالله من غلبة القساوة على القلوب، واستحواذ الشيطان، واستيلائه، واعلم أن سبب الطغيان هو ملامسة الكبائر، والإقدام على المعاصي المهلكة، وهي أمور عشرة:

أولها: البخل، وهو من الخصال الرديئة، والعظائم الموبقة، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إياكم والشحّ، فإنه أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن يسفكوا دماءهم فسفكوها، ودعاهم فاستحلوا محارمهم، ودعاهم فقطعوا أرحامهم»[3].

وثانيها: الكِبر، فإنه خصلة مهلكة، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبّة من كِبْر»[4].

وثالثها: العُجب، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ممَّا هو أكبر من ذلك، العجب العجب»[5].

ورابعها: الرياء، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى يقول للملائكة: إن هذا لم يردني بعمله، فاجعلوه في سجين[6]»[7].

وخامسها: الحسد، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

---

1)) سورة طه من الآية 24، 43، النازعات من الآية 17.
2 (?) سورة النازعات الآية 24.
3 (?) شعب الإيمان، 7/ 424.
4 (?) مسند أحمد، 1/ 399.
5 (?) شعب الإيمان، 5/ 453.
6)) في سجين: في حبس لخساسة المنزلة عند الله- عزّ وجلّ-، وقيل: في حَجَر تحت الأرض السابعة. ينظر: لسان العرب، مادة (سجن).
7 (?) الزهد لابن المبارك، 153. بلفظ: «إن عبدي هذا لم يخلص لي، ولم يخلص عمله؛ فاجعله في سجين».

«الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[1].

وسادسها: شدّة الغضب، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اتقوا الغضب، فإنه يوقد في فؤاد ابن آدم النار»[2].

وسابعها: حب المال، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «حُبُّ المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»[3].

وثامنها: حبّ الجاه، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «حُبُّ المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل»[4].

وتاسعها: الشّره في الطعام، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : «ما ملأ ابن آدم وعاء شرًّا من بطنه»[5].

وعاشرها: الشّره في الوقاع، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما خلفت على أمتي أضرّ من النساء»[6]، وفي حديث آخر: «النساء حبائل الشيطان»[7]، فالطغيان يقود إلى هذه المعاصي، فينبغي للعاقل أن يحترز[8] من الطغيان؛ لأنه سبب فيها. والله أعلم بالصواب.

الحكمة الخامسة: القناعة والشبع

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع**» أراد صلى الله عليه وآله وسلم أن ابن آدم لا يقنعه قليل الدنيا والكثير لا يشبعه منها،ولقد رأينا ذلك عيانًا وشاهدناه من أخلاق أهل الجمع والادخار

---

1 (?) سنن أبي داود، 4/ 276.
2 (?) ينظر: مسند شمس الأخبار، 1/ 481.
3 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 159.
4 (?) موسوعة أطراف الحديث النبوي، 4/ 519.
5 (?) المستدرك على الصحيحين، 4/ 367.
6 (?) صحيح البخاري، 5/ 1959. بلفظ: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء».
7 (?) مسند الشهاب، 1/ 66.
8 (?) في (د،م) الاحتراز.

ظهورًا وبيانًا ولو لم يكن من الأعاجيب، إلا قصة ثعلبة بن حاطب[1] جاء إلى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- بمثل نواة من ذهب، فقال:- يا رسول الله- ادع الله ليرزقني مالاً، فدعا له الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-، فشرى بذلك المال الذي جاء به أغنامًا، فبلغت مبلغًا عظيمًا، فجاءه المصدق يأخذ صدقتها، فقال: هذه أخت الجزية، فارتدّ عن الإسلام، وكفر ونافق، كما حكى الله تعالى عنه[2] في قوله: ﴿ [illegible] ﴾[3] الآية إلى أن قال: ﴿ [illegible] ﴾[4]، ولم يكن سبب الشقاوة إلا ما كان من تمكين المال؛ لأن القليل إنما يجدي، وينفع مع الزهد، والإعراض عن الدنيا، فأما مع تهور النفس، وانفتاح الأجواف للدنيا فالقليل لا يقع موقعًا، ولا يجدي نفعًا، وهكذا حال الكثير، فإنه إنما ينفع إذا لم يكن هناك حرص وطمع، فأما إذا وجد هاتان الآفتان أو أحدهما، فالكثير على كثرته لا يبل بلالاً، ولا يقع موقعًا.

واعلم أن المال له آفات وغوائل إلا على من وفقه الله، وللإنسان من فقده صفة الفقر، ومن وجوده صفة الغنى، وهما حالتان يحصل فيهما الاختبار، فحالة عدمه الامتحان فيه بالصبر على مرارة الفقر، وحال وجوده الامتحان فيه يحصل ببذله، وإنفاقه، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «سيأتي بعدي قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها، وينكحون أجمل النساء وألوانها، ويلبسون ألين الثياب، ويركبون فرة الخيل وألوانها، لهم بطون من القليل لا تشبع، وأنفس بالكثير لا تقنع، عاكفين على الدنيا، يغدون ويروحون إليها، اتخذوها إلهًا دون إلههم، وربًّا

---

[1] (?) وهو ثعلبة بن حاطب بن عمرو بن عبيد، شهد بدرًا، وهو مانع الصدقة، توفي في خلافة عمر- رضي الله عنه-، وقيل: في خلافة عثمان- رضي الله عنه-. ينظر: الاستيعاب، 1/ 209، 210.

[2] (?) ينظر: تفسير الطبري، 4/ 370، 371.

[3] (?) سورة التوبة من الآية 75.

[4] (?) السورة نفسها من الآية 77.

دون ربهم، إلى أمرهم ينتهـون، وهـواهم يتبعـون؛ فعزيمـة من محمـد بن عبداللـه لمن أدرك ذلك الزمان من عقب عقبكم، وخلف خلفكم ألا يسلم عليهم، ولا يعـود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم، فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام»[1].

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «دعوا الدنيا لأهلها، من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ جيفة، وهو لا يشعر»[2]، وروي أن رجلاً نـال من عـرض أبي الـدرداء سوءًا، فقال: اللهم من فعل بي سوءًا فأصح جسمه، وأطل عمره، وأكـثر ماله[3]، فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم، وطول العمـر؛ لأن ذلـك يؤدي إلى الطغيان لا محالة.

ورُوي عن أمير المؤمنين أنه وضع درهمًا على كفه، ثم قـال: أمـا إنـك مـالم تخرج عني لم تنفعني[4]، وقيل: إن أول ما ضـرب من الـدراهم والـدنانير رفعهمـا إبليس، ثم وضعهما على جبهته، ثم قبّلهما، وقـال: من أحبكمـا فهـو عبـدي حقًّا[5]، وقال بعض الزهاد: الدرهم عقرب، فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه، فإنه إن لدغك قتلك سمه، فقيل: ما رقيته؟ قال: أخذه من حلّه، ووضعه في حقّه[6]، وقـال بعض الزهاد: إن الدينار والدرهم أزمة المنافقين يقادون بهما إلى النار[7].

وقال العلاء بن زيـاد[8]: مُثلت لي الـدنيا، وعليهـا من كـل زينة، فقلت: أعـوذ بالله من شرك، قالت: فابغض الدينار والـدرهم تكفَ شـري[9]؛ وذلـك لأن الـدينار

---

1 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 232.
2 (?) ينظر: مجمع الزوائد، 10/ 254.
3 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 233.
4 (?) نفسه.
5 (?) نفسه.
6 (?) القائل: يحيى بن معاذ. ينظر: نفسه.
7 (?) القائل: سمط بن عجلان. ينظر: نفسه.
8 (?) وهو العلاء بن زياد بن مطر بن شريح العدوي، ثقة عابد قـدوة، تـوفي في ولاية الحجـاج على العراق. ينظر: طبقات ابن سعد، 7/ 217.
9 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 233، 234.

والدرهم هما الدنيا كلها؛ إذ يوصل بهما إلى جميع أصنافها، فمن صبر عنهما فقد صبر عن الدنيا، وروي عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبدالعزيز عند موته، فقال:- يا أمير المؤمنين- صنعت صنعًا لم يصنعه أحد قبلك، تركت ولدًا وليس لهم دينار ولا درهم، وعنده ثلاثة عشر رجلاً من الولد، فقال عمر لهم: أقعدوني، فأقعدوه، فقال: أما قولك: إني لم أدع لهم دينارًا ولا درهمًا، فإني لم أمنعهم حقًّا لهم ولم أعطهم حقًّا لغيرهم، وإنما ولدي أحد رجلين: إما مطيع لله فالله كافيه، والله يتولى الصالحين، وإما عاصٍ فلا أبالي على ما وقع[1].

ورُوي أن محمد بن كعب القرظي[2] أصاب مالاً كثيرًا، فقيل له: لو ادخرته لولدك من بعدك، فقال: لا، ولكني أدخره لنفسي عند ربي، وأدخر لولدي ربي[3]، ورُوي أن رجلاً قال لأبي عبد رب[4]: يا أخي لا تذهب بشر وتترك أولادك بخير، فأخرج أبو عبد رب مائة ألف درهم جعلها لله تعالى وتقرب بها إليه[5]. اللهم اجعلنا ممّن يرغب فيما عندك من مدخور الأجر وعظيم الثواب.

---

1 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 234.

2 (?) وهو محمد بن كعب القرظي، حليف الأنصار، تابعي مشهور، ولد في آخر خلافة علي- كرم الله وجهه- سنة 40هـ، وتوفي سنة 108هـ، وقيل: 120هـ. ينظر: الإصابة، 6/ 345.

3 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 234.

4 (?) وهو أبو عبد رب الدمشقي، الزاهد، اختلف في اسمه، فقيل: عبد الجبار بن عبيد الله، وقيل: عبد الرحمن بن أبي عبدالله، كان روميًا فأسلم، توفي سنة 112هـ. ينظر: تهذيب الكمال، 34/ 36- 38.

5 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 234.

الحديث الثامن عشر

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وآله وسلم- ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ إِذْ رَأَيْنَاهُ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ ثَنَايَاهُ، فَقِيلَ لَهُ: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ :«**رَجُلاَنِ مِنْ أُمَّتِي جَثَيا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَبِّ خُذْ لِي مَظَلْمَتِي مِنْ أَخِي، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْطِ أَخَاكَ مَظْلَمَتَهُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ مَا بَقِيَ مِنْ حَسَنَاتِي شَيْءٌ فَقَالَ: يَا رَبِّ فَلْيَحْمِلْ مِنْ أَوْزَارِي، وَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ- صلى الله عليه وآله وسلم-، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ ذَّلِكَ الْيَوْمَ لَيَوْمٌ يَحْتَاجُ النَّاسُ فِيهِ إِلَى أَنْ يُحْمَلَ عَنْهُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلطَّالِبِ بِحَقِّهِ: ارْفَعْ بَصَرَكَ فَانْظُرْ إِلَى الْجِنَانِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَرَأَى مَا أَعْجَبَهُ مِنَ الْحَبْرَةِ وَالنِّعْمَةِ فَقَالَ: لِمَنْ هَذَا يَا رَبِّ؟ فَقَالَ: لِمَنْ أَعْطَانِي ثَمَنَهُ، فَقَالَ: وَمَنْ يَمْلِكُ ذَلِكَ يَا رَبِّ؟ قَالَ: أَنْتَ ، قَالَ: وَبِمَاذَا؟ قَالَ: بِعَفْوِكَ عَنْ أَخِيكَ، قَالَ: يَا رَبِّ فَإِنِّي قَدْ عَفَوْتُ عَنْهُ، قَالَ: خُذْ بِيَدِ أَخِيكَ فَادْخِلْهُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وآله وسلم-:** [illegible][1]»[2].

فنقول: الحمد لله الحميد المجيد، الذي جعل العفو ذريعة لنا إلى نيل إحسانه، وصيَّره وسيلة للوصول إلى فيضان جوده وأفضاله، ومزيد طوله وامتنانه. نحمده على ذلك حمدّ الشاكرين، ونؤمن به إيمان الموقنين، ونقر بوحدانيته إقرار الصادقين، ونذعن له بالعبودية إذعان المخلصين، ونخافه ونحذر من سطوته حذر المتقين، ونخضع لجلال عزته وجلاله خضوع المستغفرين، إذ كان هو غاية رغبة الراغبين، ونهاية المطلب لجميع الطالبين، ونشهد أن لا إله إلا

---

1 (?) سورة الأنفال من الآية 1.

2)) الأربعون حديثًا السيلقية، 29.

هو رب العالمين، وخالق السماوات وما بينهما من السبع الأرضين، ومكلف الجن والإنس والملائكة المقربين، أن يعبدوه وحده لا شريك له عبادة الخاشعين، فقال تعالى: [illegible]،[1] [illegible][2] الواضح المبين، فإنه أغنى الأغنياء عن شركة المشاركين، والمتعالي بكبريائه عن مقالة الجاحدين، والمقصود بصمديته لحوائج السائلين، بحيث لا يشغله سمع عن سمع، ولا حاجة عن حاجة من مطالب الطالبين الراجين، والصلاة على المبعوث من عند ربه بالأمور الإلهية، والمخصوص من جهته بالحكم والآداب الربانية، وعلى آله الطيبين من العترة الطاهرة الزكية الكرام البررة الراضية المرضيّة، واعلم أن ما ذكره صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث، مشتمل على النظر في أمور ثلاثة:

النظر الأول: في بيان ما اشتمل عليه من العلوم الأدبية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في بيان ما تضمنه من الألفاظ اللغوية

«**بينا**»، و«**بينما**» لغتان، وهما الأكثر والأشهر فيه، وقد سمعت فيه الإضافة إلى ما بعده، وهو قليل، والرواية في الحديث بالجر في رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، و«**الرسول**» هو المؤدي للرسالة عن ربه، ويفترق الحال بين النبي والرسول، **فالرسول**: لا يكون إلا متحمل[3] الرسالة إلى الخلق، وإبلاغ الشريعة، **والنبي**: قد يكون لمن أرسل إلى نفسه، وأرسل إلى غيره.

«**ذات يوم**» هو نفس اليوم، ولكنه استعمل مضافًا لسرّ نذكره في المعاني

---

[1] (?) سورة البينة من الآية 5.

[2] (?) سورة الزمر من الآية 3.

[3])) في (د،ك) يتحمل. {و لعل الأنسب: متحمل}.

الإعرابية. **الجلـوس**: نقيض القيـام. **الرؤية**: هاهنـا من رؤيـة العين، و**الضـحك**: معروف، وهو في الإنسان خاصة، و**البدوّ**: هو الظهور، و**الثنايا**: وهو أدنى ضحكه صلى الله عليه وآله وسلم، وهـو تقلص الشـفه لا غـير عن الثنايـا، وبعـده ضـحكه الذي تبدو أنيابه، وبعده ضحكه الذي تبدو نواجذه، وهو آخر ضحكه في الاسـتغراق والإعجاب, ولم يقهقه، و**النواجذ**: هو الأرحاء.

الجثو في الإنسان على ركبتيه كما يبرك البعير، خلا أن الركبـتين من البعـير في اليدين، وهما من الإنسان في الرجلين، وهو يراد للخضوع والتذلل لله تعـالى؛ لكونـه أهلاً لـذلك من الخلـق. **اليـدان**: هاهنـا اسـتعارة في حقّ اللـه تعـالى؛ إذ تستحيل عليه اليد بمعنى الجارحة؛ لأنه تعالى مـنزّه عن الأعضـاء والجـوارح وعن مشابهة الممكنات، كما قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[1]، ومثل هذا يجوز إطلاقـه عمّن ثبت عصـمته كالقـديم جلّ جلالـه، ورسـوله- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسلم- لما ثبتت عصمتهما عن قصد القـبيح، وعن إيهـام الخطأ، فأمـا غيرهمـا فلا يجوز إطلاق ما يوهم[2] إلا بإذن شرعي، ولا يجوز إطلاقه بطريق القياس، فيقـال: إذا جاز إطلاق اليد والعين جاز إطلاق الرأس واللسان؛ لأن الأقيسة هاهنا متعذرة؛ لكونه أمرًا علميًّا، والقيـاس مـورده الظن، فـإذن لا بدّ في هـذه الإطلاقـات الـتي توهم الخطـأ من توقيـف وإذن سـمعي في جوازهـا وصـحتها، فصـارت الأوصـاف جارية على ثلاثة أوجه:

أحدها: يجـوز إطلاقـه على اللـه لحصـول معنـاه في حقّـه كالقـادر والعـالم والحي.

و**ثانيها**: لا يجـوز إطلاقـه لاسـتحالة معنـاه في حقّـه، كالمشـتهي والنـافر والملتذّ.

---

[1] (?) سورة المائدة من الآية 64.

[2] (?) في (د،ك،م) زيادة: الخطأ.

و**ثالثها**: يجــوز إطلاقــه ممّن عُلمت حكمته، وثبتت عصــمته كاليــد والوجــه والساق، فأما غيره فلا يجـوز إطلاقـه من جهتـه؛ لأنـه لا يـؤمن أن يقصـد المعنـى المستحيل، وهذا شيء عارض أحوج إلى ذكـره اسـتعارة لفـظ اليـد في حقّ اللـه تعــالى. **الأحد**: بمعــنى الواحــد. **الأخذ**: هــو التنــاول للشــيء. **المَظلمة**: هي الظلامة[1] سماعنا فيها بالكسر في (لامها)، وهو خارج عن القيـاس؛ لأن المصـادر التي تتصل بها الميم والهاء إنما تأتي من فَعَل بالفتح يفعِـل بالكسر، و[2]الفتح في (عينها)، والزمان والمكان يأتيان بالكسر، وجـاءت بالكسـر على مخالفـة قياسـها، كمــا جــاءت المقبُــرة بالضــم على خلاف قياســها وقياســها الفتح، فالمضرَب من ضرب يضرب بفتح (عينه) في المصدر، ويكسر للزمان والمكان، و**الرّبّ**: هنـا هـو المالك، و«**خذ لي**» بمعنى أنصف لي وأنصفني، و**الأخذ**: نقيض الإعطاء، ومعـنى أعـط أخـاك: ناوله، و**الإعطـاء**: هـو المناولـة، **الحسـنة**: مـا يكـون في مقابلـة الأعمـال الصـالحة من الجـزاء وهي عبـارة عن المنفعة، وتـارة تكـون ثوابًّا، ومرّة تكون فضلاً، و**الأوزار** و[3]**الآثام** وهي الأثقال، وقيل لها أوزار؛ لأنها تثقــل الظهر، و**فيضــان العين**[4]: ســكبها للــدموع، واغــرورقت العين إذا امتلأت دمعًــا ولم تسكب، و**العين**: هاهنا هي الجارحة المبصرة.

ذلك ليوم: يوم القيامة. «**الجنان**» جمع جنة، وهو ما كـان ملتـف الشـجر، سـميت جنـة؛ لأنهـا تجن مـا فيهـا أيْ: تغطيـه. «**الحبرة**» هي السـرور والفـرح، و«**النعمة**» هي اللـذة والتفكـه والنظـارة، ومنـه قـولهم: غصـن نـاعم أي نظـير. **الثمن**: هو المقابل للمبيع في المعاوضة. **العفو**: هو إسقاط العقوبة، وأصله من

---

1 (?) في (د،م) زيادة: الواو.
2 (?) في (د،م) الفاء بدلاً عن الواو.
3 (?) في (د،م) سقط: الواو. {والمناسب في السياق سقوطها}.
4)) في (د،م) سقط: العين. {وهو سقط مخلّ بالمعنى}.

المكان العافي الذي لا أثر فيه للرعي، وباقي ألفاظ الحديث ظاهرة جليّة، ولا حاجة بنا إلى تفسيرها، وما أخللنا به من المباحث اللغوية، فلعله يوجد في المباحث الإعرابية؛ لأنهما يجمعهما جامع واحد وهو إصلاح الألفاظ، والمعاني من جهة اللغة[1].

المطلب الثاني: في بيان ما اشتمل عليه من العلوم الإعرابية

قوله: «**بينا**» هو منصوب على الظرفية في اللغتين اللتين ذكرناهما، و«**الألف**» عوض عمّا كان تستحقه «**بين**» من الإضافة كما كان التنوين عوضًا عمّا يستحقه ما لزم الإضافة، نحو قولك: كل وبعض، وكذلك[2] (**ما**) فإنها عوض أيضًا في اللغة الثانية. هذا كله إذا كان **الرسول:** مرفوعًا، فأما إذا كان مجرورًا كما هو السماع، فإن «**الألف**» لا تكون عوضًا، وإنما نشأت عن الفتحة لا غير.

«**رسول الله**» مبتدأ، و«**جالس**» خبره، وأكثر ما يقع في جواب (بينا، وبينما، إذ، وإذا)، وقد يأتي جوابه بغيرهما، و«**ذات يوم**» مضاف ومضاف إليه، و«**ذات**» منصوب على الظرفية، والعامل فيه جالس، و«**ذات يوم**» عبارتان عن معنى واحد، وإنما جاز إضافة أحدهما إلى الآخر؛ لأن قوله: «**ذات**» المقصود بها المدلول، و«**يوم**» أريد به اللفظ، فلما تغايرا جاز إضافة أحدهما إلى الآخر؛ لأن إضافة الشيء إلى نفسه محال، كالحبس والمنع، والأسد والليث، وقد تقرر تغايرهما من الوجه الذي ذكرناه.

قوله: «**إذ رأيناه**» جواب «**بينا**»، والعامل في «**بينا**» «**رأيناه**»؛ لكونه ظرفًا **للرؤية**، والعامل في: **إذ هو جالس** أيضًا **الرؤية** هاهنا من رؤية العين، و«**النون**» فاعله، و**الضمير**: مفعول **للرؤية**، و«**ضحك**» جملة فعلية ماضية،

---

[1] (?) في (د،م) زيادة: والنحو.
[2])) في (د،م) وهكذا.

وهل تكون حالاً من الضمير في «**رأيناه**»، وهو **للرسول**، أيْ: رأيناه ضاحكًا، هذا فيه نظر، والقوي جُوز كونها حالية، وإن كانت خالية عن (قد) لكنها مقدرة فيها، أيْ: قد ضحك، وقد ورد الحال في الجملة الماضية من غير (قد)، وأنشد النحاة[1]:

القَطْـــــــــــــــــــــــــرُ[2].

أيْ: مبللاً له. «**حتى**» هاهنا للابتداء، وبعدها الجملة الماضية، و«**بدت**» فعل ماضٍ. «**ثناياه**» فاعله، ويحتمل أن تكون «**حتى**» للغاية، ولو وليها الفعل الماضي؛ لأن التقدير: ضحك إلى أن بدت ثناياه، ويحتمل أن تكون الجملة في موضع نصب على الحال، ويكون حالاً بعد حال، أيْ: رأيناه ضاحكًا بادية ثناياه، فأحد الحالين صفة لحاله، وهو ضاحك، والثانية حال سببية؛ لأنها للإثبات، كما يقال: مررت بزيد قائمًا خارجة جاريته، «**فقيل**» «**الفاء**» للاستئناف، ويحتمل أن تكون عاطفة لجملة على جملة، و«**قيل**» مبني لما لم يسم فاعله، والفاعل فيه محذوف، ويقام مقام الفاعل، إما المصدر، وإما الجار والمجرور بعده.

«**ممَّ تضحك**»؟ «**من**» هاهنا هي الجارة، وهي لابتداء الغاية، و«**ما**» هي الاستفهامية، طرح ألفها قياس عند اتصال الجار بها، و«**تضحك**» فعل مضارع معرب بالرفع، والجار والمجرور متعلق به، وقدّم عليه لأجل الاستفهام.

«**يا رسولَ الله**» منصوب على النداء المضاف، وهو منصوب بكل حال

---

[1] (?) نُسب لأبي صخر الهذلي. ينظر: شرح أشعار الهذليين، أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مطبعة المدني، ط1، عام 1965م، القاهرة، مصر، 2/ 957. وهو أبو صخر عبد الله بن سلمة السهمي الهذلي، من بني هذيل، شاعر من شعراء العصر الأموي ، كان مواليًا لبني أمية، وله في عبد الملك بن مروان وأخيه عبد العزيز مدائح، حبسه ابن الزبير، توفي سنة 80هـ. ينظر: الأغاني، 24/ 98- 110.

[2])) البيت من الطويل، وشطر البيت: إِذَا ذُكِرَتْ يَرْتَاحُ قَلْبِي لِذِكْرِهَا. ينظر: شرح أشعار الهذليين، 2/ 957. أما شطر البيت: وَإِنَّيْ لَتَعْرُوْنِي لِذِكْرَاكِ هَزَّةٌ. فقد ورد منسوبًا لأبي صخر الهذلي. ينظر: الأغاني، 5/ 200. والبيت ثابت في ديوان مجنون ليلى، ونصّه: وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ هَزَّةٌ كَمَا انْتَفَضَ العَصْفُورُ بَلَّلَهُ القَطْرُ. ينظر: ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق د. عبد الستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة، 1962م، القاهرة، مصر، 130.

لأجل إعرابه. «**قال**» فعل ماضٍ جواب للاستفهام. «**رجلان**» مرفوعان على الابتداء، وجاز الابتداء بالنكرة؛ لمّا كانت موصوفة بالجار والمجرور بعدها، و«**جثيا**» هو الخبر، وفي «**جثيا**» لغتان: جثيا، وجثوا بالواو، والياء جميعًا لغتان فيه. «**بين يدي ربي**» «**بين**» منصوب على الظرفية. «**يدي**» مجرور بالإضافة. «**ربي**» مجرور بإضافة ما قبله إليه، وهو مضاف إلى الياء بعده للنفس. «**فقال**»«**الفاء**» للعطف «**قال**» على «**قال**» قبله. «**أحدهما**» مرفوع على الفاعلية. «**يا رب**» منادى مضاف، وفيه لغات: يا ربي، ويا ربِّ بالكسر، ويا ربَّ بالفتح، ويا ربُّ بالضم، ويا ربا، ويا رباه.

«**خذ لي**» فعل أمر مبني على ما يجزم به وهو السكون. «**لي**» جار ومجرور في موضع المفعول بـ «**خذ**»، و«**المظلمة**» منصوب على المفعولية بـ «**خذ**»؛ لأنه يتعدى. «**ما بقي من**» جار ومجرور، و«**من**» لابتداء الغاية، كما تقول: خرجت من الدار. «**قال الله تعالى**» فعل وفاعل جملة فعلية لا محل لها من الإعراب؛ لكونها مستأنفة، ولهذا جاءت بغير فاء؛ لأنها غير معطوفة على ما قبلها. «**أعط**» فعل أمر. «**أخاك**» مفعول لـ «**أعط**». «**مظلمته**» مفعول ثانٍ لـ «**أعط**». «**فقال: يا رب**» عطف على الأول بـ «**الفاء**». «**ما بقي**» «**ما**» نافية، و«**بقي**» فعل ماضٍ. و«**من حسناتي**» جار ومجرور، و«**من**» لابتداء الغاية أو للتبعيض، و«**شيء**» مرفوع على الفاعلية. «**فقال**» عطف على ما قبله بـ «**الفاء**».

«**يا رب**» منادى مضاف إلى «**الياء**»، واللغات فيه كما سبق تقريره من قبل. «**فليحمل**» «الفاء» للعطف. و«**اللام**» للأمر، والفعل مجزوم بـ «**اللام**»، و«**يحمل**» فعل مضارع . «**من أوزاري**» جار ومجرور، و«**من**» للتبعيض،

و«**أوزاري**» جمع وزر، من باب جموع القلة.

«**وفاضت**» «**الواو**» عاطفة، أو للاستئناف، و«**فاضـت عينا**» فعـل وفاعـل، و«**التاء**» للتأنيث، و«**رسول**» مجرور بإضافة «**عينا**» إليه، وهو مثنى، وعلامة رفعه الألف، وحذف النون إنما كان من أجل الإضافة، «**ثم قال**» عطـف على مـا قبلـه بـ «**ثم**»، وفيه دلالة على الترتيب والمهلة. «**ثم قال**» جملة فعلية.

«**إن ذلك اليوم**» «**إن**» تكسر بعد القول؛ لأنه من مواضع الجملة. «**ذلك**» اسم للإشارة إلى البعيد، و«**اليوم**» منصوب على الصفة لاسم الإشارة. «**ليوم**» هو الخبر لـ «**ليوم**» الأول، وهو مرفوع على الخبرية، ولهذا جاء منكَّرًا، و«**اللام**» فيـه للابتـداء، «**يحتـاج**» جملـة فعلية، و«**النـاس**» مرفـوع على الفاعليـة، وهـو مرفوع بالمضارعة.

«**إلى أن يحمل**» جار ومجرور، و«**أن**» هي المصدرية في الأفعال، والفعل منصوب بها، والجار والمجرور يتعلقان بـ «**يحتاج**»، و«**يحمل**» فعـل ما لم يسـم فاعله، و«**عنهم**» جــار ومجــرور في موضــع الفاعل، و«**من أوزارهم**» جــار ومجرور في موضع المفعول. «**ثم قال**» جملـة فعليـة معطوفـة على مـا قبلهـا، واسم «**الله**» فاعـل للقـول «**للطالب بحقه**» جـار ومجـرور يتعلقـان بـالقول، و«**بحقه**» جار ومجـرور يتعلقـان بـ «**الطالب**»؛ لكونـه اسـمًا للفاعـل. «**ارفـع بصرك**» فعـل أمـر مبـني على الوقـف، و«**بصـرك**» منصـوب على المفعوليـة. «**فانظر إلى الجنان**» فعل أمر مبني على ما يجزم به، وهـو السـكون، و«**إلى الجنان**» جار ومجرور يتعلقان بـ «**انظر**»، «**فرفع رأسه**» عطف على الجملـة الأمرية الإنشائية، والجـامع بينهمـا كونهمـا جملـتين: أحـدهما[1] إنشـائية، والأخـرى

---

[1])) المناسب للسياق: إحداهما.

خبرية. «**فرأى ما أعجبه**» جملـة فعليـة خبرية، و«**ما**» موصـولة[1]، و«**أعجبه**» صلة لها، والضمير راجع إلى «**ما**» عائدًا من الصلة على[2] الموصول.

«**من الحــبرة والنعمة**» جـار ومجــرر، و«**ما**» اســتفهامية، و«**ذا**» اســم للإشارة في موضع رفـع بالابتـداء، والجـار والمجـرور قبلـه خـبر له، وهـذه (الألف) للاستفهام، يصيبها القلب والحذف، فأما القلب فتقلب (هـاء) عنـد الوقـف، كقولـه: بمه وعمه ولمه، والحذف في حال الوصـل مـع حـروف الجـر، كقـولهم: فيمَ، وبمَ، وعمَّ، ولمَ ، فقـال :«**لمن هـذا**» جملــة فعليــة معطوفــة على مــا قبلها، والجــار والمجرور يتعلقان بـ «**قال**».

«**يا رب**» مضى إعرابه. «**فقال: لمن أعطاني ثمنه**»«**من**» في قولــه: «**لمن أعطاني**» موصولة، و«**من**» في قوله: «**لمن هذا**» استفهامية، وكلاهما مجــرور بـــ«**اللام**»، و«**أعطــاني ثمنه**» جملــة فعليــة، والفاعــل مضــمر، ولـ «**أعطاني**» مفعولان : أحدهما: «**الياء**» قبلها نون الوقاية، والآخر «**ثمنه**»، وهو منصوب على المفعولية

«**قال: ومن يملك ذلك**»؟ «**مَن**» هاهنـا اسـتفهامية في موضـع رفـع على الابتداء، و«**يملك**» جملة فعليـة خـبر «**من**»، و«**ذلك**» منصـوب على المفعوليـة . «**قال: أنت**»: ضمير مرفوع منفصل على الابتداء، وخبره محذوف: أنت تملكه، أو على الفاعلية لفعل مضمر تقديره: تملكه أنت، فكلاهمـا تقـديره ممكن كمـا تـرى. «**قال: بماذا**» جملة ابتدائية. «**قال: بعفوك**»، العامــل في «**بعفــوك**» فعل[3] مضمر، أيْ: تملكه بعفوك عن أخيك. «**قال: يا رب**» منادى. «**فإني قد عفوت عنه**» جملة مؤكدة بـ «**إن**»، و«**الياء**» منصوبة بـ «**إن**»، و«**قد عفوت**» خبرهـا.

---

[1] (?) في (د) سقط: خبرية وما موصولة.

[2] (?) في (د) إلى.

[3] (?) في (د،م) لفعل.

«**قال: خذ**» فعل أمر مبني على الوقف، «**بيد أخيك**» جار ومجرور. «**فأدخله**» جملـة أمريـة إنشـائية، والضـمير مفعـول. «**الجنة**» منصـوبة على المفعوليـة. «**فاتقوا الله**» جملة إنشائية أمرية **بالتقوى**. «**وأصلحوا**» جملة أيضا إنشـائية. «**ذات بينكم**» اسم مضاف إلى «**البين**»، و«**البين**» مضاف إلى الضـمير، وهـذا ما أردنا ذكره فيما يتعلق بالعلوم الأدبية لغتها وإعرابها، وبالله التوفيق.

النظر الثـاني: في بيـان ما اشـتمل عليه من العلـوم في البلاغة

وفيه مباحث ثلاثة:

البحث الأول: في بيان ما تضمنه من العلوم المعنوية

«**بينا**» هو من كلام أبي هريرة، ولكنّه مشـتمل على حكايـة الحـال فلا جـرم شرحناه.

سؤال: «**بين**» لا يسـتعمل إلا في شـيئين أو أكـثر من ذلـك، فكيـف تقـدير الشيئين هاهنا حتى يثمر استعماله على وضعه؟

وجوابه: أن الأمر فيه كما ذكرت من أنـه لا يسـتعمل إلا بين شـيئين، والتقـدير فيه هاهنا: بين أوقـات جلـوس رسـول الله- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم- إذ رأينـاه ضاحكًا، وقد يكون التعدد مقدرًا، كما في قوله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[1] أراد بين المذكور أولاً في الآية، وهو البكر والفارض. قال رؤبة[2]:

فِيْهَا خُطُـوطٌ مِنْ سَـوادٍ وَبَلَـقْ   كَأَنَّهُ فِيْ الجِسْمِ تَوْلِيْعُ البَهَقْ[3].

[1])) سورة البقرة من الآية68.

[2])) وهو رؤبة بن العجاج، واسم العجـاج عبد الله التميمي السـعدي، من مخضـرمي الـدولتين الأموية والعباسية، كان أكـثر مقامة بالبصـرة، وأخذ عنه أعيـان أهل اللغـة، وكـانوا يحتجـون بشعره، توفي سنة 145هـ. ينظر: الأغاني، 20/ 359- 366. معجم الأدباء، 3/ 341.

[3] (?) البيت من الرجز، ونصّه: فِيْهَا خُطُـوطٌ مِنْ سَـوادٍ وَبَلَـقْ   كَأَنَّهَا فِيْ الجِلْـدِ تَوْلِيْـعُ البَهَـقْ. ينظر: ديوان رؤبة بن العجاج، تصحيح وترتيب وليم بن الورد البروسي، دار الآفـاق الجديـدة، ط2، عام 1980م، بيروت، لبنـان، 104. والبلـق: سـواد وبيـاض، وتوليـع: تلميع مسـتطيل، والبهق: بياض دون البرص. ينظر: لسان العرب، مادة (بلق، ولع، بهق).

وكان القياس في الضمير أن يكون مثنى، أيْ: كأنهما، ولكنـه أراد المـذكور أولاً فأفرده؛ تعويلاً على المعنى، ثم[1] قـد تضـمن من علـوم المعـاني أمـورًا ننبـه عليها:

التنبيه الأول: الاستفهام، في قوله: «**ممَّ تضحك يا رسول الله**»؟ فإن له موقعًا في الكلام يدل على الاستعلام والاستخبار ويستدعي جوابًا فقولـه: «**ممَّ تضحك يا رسول الله**؟»، هـو اسـتفهام عن جـري الضـحك لأيّ شـيء[2] كـان، فأجاب الرسول- صلى الله عليه وآله وسـلم- بقولـه: «**رجلان من أمتي جثيـا بين يدي ربي**»، وحكى القصة بتمامها.

التنبيه الثاني: حكاية المحاورة بينهما في السؤال والجواب، فقال أحدهما سائلاً: «**يا رب خذلي مظلمتي من أخي**»، فقال المسؤول مجيبًا، وهـو الله- جلّ جلاله-: «**أعط أخاك مظلمته**»، فأجابه بالأمر بالخروج عن مظلمته، فقـال الظالم: «**يا رب مـا بقي من حسـناتي شـيء**»، فقـال المظلـوم: «**يـا رب فليحمل من أوزاري**»؛ لأن المقصود المقاصـة، فـإذا لم يحصـل إعطـاء الحـق فليحصل ما يقوم مقامة من حمل الأوزار.

التنبيه الثالث: فيضان الدموع من عيني رسول الله- صلى الله عليـه وآلـه وسلم- فيه دلالة بالغة على التحفظ على الأعمـال، وعلى عظم الانتصـاف، وعلى الإحصاء للأعمال كلها، وعلى عظم ذلك اليـوم الـذي يقـاص اللـه تعـالى فيـه بين الخلائق، ولهذا قال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم - فيه ما قــال من تعظيم شأنه وعلو أمره.

التنبيه الرابع: قوله: «ثم قال الله تعالى» للمظلـوم، وهـو الطـالب بحقّـه

---

[1] (?) في (د،م) زيادة: إنه.

[2] (?) في (د) سقط: شيء.

على جهـة الموعظة، والإرشـاد إلى العفو، وحسـن الصـفح عن الحقـوق: «ارفـع بصرك فانظر إلى الجنان، فرفع رأسه فرأى ما أعجبه من الحبرة والنعمة»، فقال المظلوم: «لمن هذا يا رب؟ فقـال اللـه تعـالى: لمن أعطـاني ثمنـه» ترغيبًـا في الثـواب، وتأكيدًا في الاسـتحقاق، فقـال المظلـوم: «ومن يملـك ذلـك؟» إعظامًـا للأمر في استحقاق العظيم على الحقير، وتعجبًا من نيل ذلـك، فقـال اللـه تعـالى مجيبًا له: «أنت»، بمعنى أنك الـذي تسـتحق ذلـك كلـه، فقـال المظلـوم متعجبًـا: «بماذا؟» وقع هذا الإعطاء على عظمة[1] التمكين على كثرتـه، فقـال اللـه تعـالى مجيبًـا في: إن هـذا ما كـان إلا «بعفـوك عن أخيـك»، فـ «قـال: يـا رب فـإني قـد عفوت عنه»؛ لأجل ما كان من إعظام الثواب والأجر، ثم قال الله تعالى للمظلوم تعجبًا من عفوه، وإكرامًا له: «خذ بيد أخيك فأدخله الجنة» إنعامًا عليهمـا وإكرامًـا لهما بالعطاء العظيم والرحمة الواسعة.

فأما المظلوم فإنما كان ذلك من العفو الذي فعله لأخيه، وأما الظـالم فإنمـا كان ذلك في حقه من أجل شكر نعمة الله تعالى على ما وفق الظـالم من العفـو وعلى شكر نعمة المظلوم على عفوه، وسيأتي لهذا مزيد تقرير في النظر الثالث إذا تكلمنا في مقاصده صلى الله عليه وآله وسلم.

التنبيه الخامس: إيراد الآية عقيب هذا الكلام للدلالـة على إصـلاح الحـال، وإصلاح ذات البين، وأن التقوى إنما تكمل بالإصلاح، وتحسين الأحـوال، فـإن ذلـك أصل في الدين.

البحث الثاني: في بيان ما اشتمل عليه من العلوم البيانية

وهو[2] يختصّ المحاسن المجازية والاستعارات.

---

[1])) في (د،م) عظمه. وزيادة: الواو.

[2])) في (د،م) زيادة: نظر.

الاستعارة الأولى: استعمال لفظة «**البين**» من غير تعدد بين اثنين فصاعدا إنما كان على جهة المجاز، كما أوضحناه من التقدير.

المجاز الثاني: حكاية الحال الواقعة من الظالم والمظلوم، ومن الله تعالى، فيحتمل أن تكون واردة[1] على جهة التحقيق، وأنما جرى قد وقع لا محالة، وهذا هو الظاهر من حالها، ويحتمل أن يكون ذلك واردًا على جهة التمثيل وحكاية حال، وهذا وارد كثيرًا، ويؤيد ذلك مثالان:

المثال الأول: قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «اطلعت على أهل الجنة فوجدت أكثرها الفقراء، واطلعت على النار فوجدت أكثرها النساء والعبيد»[2]، فيحتمل أن يكون هذا على جهة التحقيق، ويحتمل أن يكون واردًا على جهة التمثيل والتقدير كما ترى.

المثال الثاني: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «دخلت الجنة فإذا أنا بجارية لعساء، فقلت : لمن هذه؟ قيل لي: لزيد بن حارثة[3]»[4]، وفي حديث آخر: «لعمر»[5]، وفي حديث آخر: «دخلت الجنة فإذا أنا بجارية، فقلت: لمن هذه؟ فقيل لي: لبلال»[6]، وفي حديث آخر: «دخلت الجنة فإذا أنا ببلال فيها، فقلت: بأيّ شيء كان ذلك- يا بلال- من الأعمال»؟ فقال: لا شيء- يا رسول الله-، إلا ما أحدثت وضوءًا إلا وصليت عقيبه ركعتين[7]، فهذه الأخبار كلها محتملة لما ذكرناه.

---

1 (?) في (ك) سقط: واردة.

2 (?) صحيح مسلم، 4/ 2096. دون ذكر: «العبيد».

3 (?) وهو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، مولى رسول الله- صلي الله عليه وآله وسلم- اشتراه حكيم بن حزام لخديجة- رضي الله عنها- فوهبته للرسول- صلى الله عليه وآله وسلم - فتبناه حتى كان يُسمى زيد بن محمد حتى نزلت آية دعوهم لآبائهم، وهو من السابقين الأولين إلى الإسلام، استشهد في غزوة مؤتة في السنة الثامنة للهجرة. ينظر: الاستيعاب، 2/ 542- 546.

4 (?) الآحاد والمثاني، أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيباني، تحقيق د. باسم فيصل الجوابرة، دار الراية، ط1، عام 1991م، الرياض، المملكة السعودية، 1/ 198. دون ذكر: «لعساء».

5 (?) ينظر: مسند أحمد، 3/ 372.

6 (?) ينظر: نفسه. وورد فيه: «أنه رأى بلال في الجنة».

7 (?) نفسه، 5/ 354.

المجاز الثـالث: إسـناد الفيضـان إلى العين، في قولـه: «**وفاضـت عينـا رسول الله صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم**»، والبـدو إلى الثنايـا في قولـه: «**حتى بدت ثناياه**»، فإن الإسناد مجاز كما تـرى، والإنسـان هـو الفاعـل لـذلك، وهكذا ما وقع من الحديث من إسناد الأفعـال إلى من يسـتحيل إسـنادها إليـه في الظاهر، فلأجل هذا حكمنا بكـون الإسـناد مجـازًا، وهـذا هـو الإسـناد المـركب في لسان علماء البيان، وهو كثـير الـورود في الكتـاب الكـريم وفي السُّنة الشـريفة، وفي فصيح الكلام منثورة ومنظومة.

المجاز الرابع: قوله: «**ومن يملك ذلك؟ قـال: أنت، قـال: وبمـاذا؟ قال: بعفوك عن أخيك**»، فالملك بالعفو مجـاز؛ لأنـه إنمـا يملكـه بقـدرة اللـه تعالى لا بعفوه.

المجاز الخامس: قوله: «**ارفع طرفـك إلى الجنـان، فرآهـا، قـال: لمن هذا؟ فقال اللـه تعـالى: لمن أعطـاني ثمنه**»، فـالثمن هاهنـا مجـاز واستعارة حسنة، وليس هناك ثمن ولا مبيع، وإنما وردت هذه المجازات على جهة تحسين الكلام لما يقع فيها من الرونق والطلاوة.

البحث الثالث: في بيان ما اشتمل عليه من علوم البديع

وقد اشتمل على أساليب عجيبة، ونكت غريبة، نفصلها بمعونة الله.

النكتة الأولى: حكاية الحال الفعلية، وإليه الإشارة بقوله «**بينا رسـول الله- صلى الله عليه وآله وسلم - ذات يوم جالس إذ رأيناه ضحك حـتى بـدت ثناياه**»، ومن أحسن ما قيل في حكاية الفعلية قول البحتري[1]:

[1] (?) وهو الوليد بن عبيد الله البحتري الطائي، كان أديبًا فصيحًا بليغًا شاعرًا مجيدًا، كان بعض أهل عصره يقدمونه على أبي تمام، ولد بمنبج من أعمال حلب، وبها نشأ، وله تصرف حسن في ضروب الشعر سوى الهجـاء، فإنه لم يحسـنه، تـوفي بمنبج سـنة 184هـ. ينظـر: مهجم الأدباء، 570، 571.

سُلِبوا وَأَشرَقَتِ الدِماءُ عَلَيهِمُ　　　مُحمَرَّةً فَكَأَنَّهُم لَم يُسلَبوا[2]

وقول المتنبي[2]:

يَبِسَ النَجيعُ عَلَيهِ وَهوَ مُجَرَّدٌ　　　مِن غِمدِهِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يُغمَدِ[3]

وقول أبي تمام[4]:

وَقَد ظُلِّلَتْ عِقْبَانُ أَعلامِهِ　　　بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدِّمَاءِ نَوَاهِلِ

أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتّى كَأَنَّهَا　　　مَعَ الجَيْشِ إِلا أَنَّهَا لَم تُقَاتِلِ[5]

فانظر على حسن ما وصف من حكاية الحال كأنه مشاهد لها، وكأنها حاصلة[6] كما قال.

النكتة الثانية: حكاية الحال القولية، وإليها الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**رجلان من أمتى جثيا بين يدي ربي، فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من أخي، قال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته** ....» إلى آخر الحكاية، والتفرقة بينهما، وإن كانا جميعًا من حكاية الأفعال هو أن **الأولى**: حكاية فعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، و**الثانية**: حكاية فعل غيره، وهما الرجلان اللذان وقفا بين يدي الله تعالى، ومن هذا قول جرير[7]:

---

2 (?) البيت من الكامل. ينظر: ديوان البحتري، ضبطه وعلق حواشيه عطية سيد، المكتبة الجامعة، عام 1911م، بيروت، لبنان، 2/ 684.

2 (?) وهو أبو الطيب المتنبي، أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي الكندي، أحد مفاخر الأدب العربي، اشتغل بفنون الأدب ومهر فيها، ولد بالكوفة في محلة تسمى كندة سنة 303هـ، ونشأ بالشام، وتنقل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية، قال الشعر صبيًا، تنبأ في بادية السماوة، فسُجن حتى تاب، قتل بالنعمانية سنة 354هـ. ينظر: وفيات الأعيان، 1/ 120- 123.

3 (?) البيت من الكامل، ونصّ عجز البيت: مِن غِمْدِه فَكَأَنَّمَا هُو مُغْمَدُ. ينظر: ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق بدر الدين حاضري محمد حماقي، دار الشرق العربي، ط3، عام 1995م، بيروت، لبنان، 83. وفي (ك) فَكَأَنَّمَا هُو مُغْمَدُ. النجيع: دم الجوف. ينظر: لسان العرب، مادة (نجع).

4 (?) وهو حبيب بن أوس الطائي، ولد في قرية جاسم بسوريا سنة 188هـ، شاعر مطبوع لطيف الفطنة دقيق المعاني، استقدمه المعتصم، وقدمه على الشعراء، توفي سنة 231هـ. ينظر: الأغاني، 16/ 414- 423. الأعلام للزركلي، 2/ 165.

5 (?) البيتان من الطويل. ينظر: ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، ط4، القاهرة، مصر، المجلد الثالث، 282.

6 (?) في (د،ك،م) كأنه حاصل.

7 (?) وهو جرير بن عطية الخطفى، ولد سنة 28هـ. اتفقت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة جرير والفرزدق والأخطل، ويُعد جريرًا أشعر الخاصة، وقيل: كان ينهش جرير ثلاثة وأربعون شاعرًا، فينبذهم وراء ظهره ويرمي بهم واحدًا واحدًا، وله نقائض مع الفرزدق

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلُّهُمُ غِضَابَا[1]

ومنه قول المتنبي:

وَمِنَ الخَيرِ بُطءُ سَيبِكَ عَنّي أسرَعُ السُحبِ في المَسيرِ الجَهامُ[2]

النكتة الثالثة: المحاورة، وهو الكلام[3] بين العبد وربه، وإليه الإشارة بقوله: «**رجلان جثيا بين يدي ربي، فقال أحدهما: خذ لي**»، فقال الله للظالم: «**أعط أخاك حقه**...» إلى آخر المحاورة التي حكاها صلى الله عليه وآله وسلم في كلامه، وهذه المحاورة، وترداد الخطاب بين المتحاورين تكسب الكلام بلاغة، وتعطيه فصاحة لا يكون حاصلاً من دونها، وأعظم شاهد على ذلك ما قاله أبو نواس[4]:

قَالَ لِي يَوْمًا سُلَيْمَانُ وَبَعْضُ القَوْلِ أَشْنَعْ

قَالَ صِفْنِيْ وَعَلِيًّا أينا أَتْقَى وَأَوْرَعْ

قُلْتُ إِنّي إِنْ أَقُلْ مَا فِيْكُمَا بِالحَقِّ تَجْزَعْ

قَالَ كلا قُلْتُ مَهْلاً قَالَ قُلْ لِي قُلتُ فَاسْمَعْ

قَالَ صِفْهُ قُلتُ يُعْطِيْ قَالَ صِفْنِيْ قُلْتُ تَمْنَعْ[5]

والأخطل، توفي سنة 110هـ. ينظر: الأغاني، 8/ 5- 18. الأعلام للزركلي، 2/ 119.

1 (?) البيت من الوافر، ينظر: ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، ط3، القاهرة، مصر، 649.

2 (?) البيت من الخفيف. ينظر: ديوان أبي الطيب المتنبي، 164.

3 (?) في (ك،م) زيادة: الجاري.

4 (?) وهو الحسن بن هانئ بن صباح الحكمي البصري، الشاعر المشهور، ولد سنة 146هـ، ونشأ بالبصرة، ونشأ بها، ورحل إلى بغداد، فاتصل فيها بالخلفاء العباسيين، ومدح بعضهم، توفي سنة 198هـ، ببغداد. ينظر: وفيات الأعيان، 2/ 95- 102. الأعلام للزركلي، 2/ 225.

5 (?) الأبيات من مجزوء الرمل، ولم ترد الأبيات في ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ، حققه وضبطه وشرحه أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، (ت)، بيروت، لبنان، 519- 535. ووردت منسوبة لأبي نواس في: خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الدين أبو بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري، تحقيق عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، ط1، عام 1987م، بيروت، لبنان، 1/ 219.

ومن نفيس ما جاء في هذا المعنى قول وضاح[1] التميمي[2] شاعر:

قـــــــالَتْ أَلاَ لاَ تَلِجَنْ دَارَنَـــــــا ... إِنَّ أَبَانَـــــا رَجُـــــلٌ غَـــــائِرُ
أَمَـــا رَأَيْتَ البَـــابَ مِنْ دُوْنِنَـــا ... قُلْتُ فَـــإِنِي فَوقَه[3] طَـــائِرُ
قَـــالَتْ فَـــإِنَّ اللَيْثَ عَادِيَـــةً ... قُلْتُ فَســَيْفِيَ مُرْهَـــفٌ بَـــاتِرُ
قَـــالَتْ أَلَيْسَ البَحَـــرُ مِنْ بَيْنَنَـــا ... قَلْتُ فَـــإِنِّي ســَابِحٌ مَـــاهِرُ
قَـــالَتْ أَلَيْسَ اللهُ مِن فَوقنَـــا ... قُلْتُ بَلى وَهُـــوَ لَنَـــا غَـــافِرُ
قَـــالَتْ فَأَمـــا كُنْتَ أَعْيَيْتَنَـــا ... فَـــأتِ إِذَا هَجَـــعَ الســَّامِرُ
وَاسـْقطْ عَلَيْنَـا كسـُقُوطِ النَّدَى ... لَيْلَـــةَ لا نَـــاهٍ وَلا آمِـــرُ[4].

فانظر ما ألطف هذه المحاورة، بالإضافة إلى ترجيع الأقوال وتردادها، فلا جرم وقع من البلاغة بموقع.

النكتة الرابعة: التعليل، وإليه الإشارة بقوله: «**قال: بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك**»؛ لأنه لما نظر إلى الحبرة والنعمة والجنان، قال: فلأيّ

---

[1] (?) وهو وضاح اليمن، عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال، من آل خولان الحميري، شاعر رقيق الغزل، عجيب النسيب، كان جميل الطلعة، يتقنع في المواسم، قدم مكة حاجًا فرأى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان زوجة الوليد بن عبد الملك، فتغزل بها، فقتله الوليد سنة 90هـ. الوافي بالوفيات، 18/ 70- 72. الأعلام للزركلي، 3/ 299.

[2])) القول: بأنه وضاح التميمي، لعله خطأ عند النسخ.

[3])) في (د،ك) واثب. {والسليم: فوقه}.

[4] (?) الأبيات من السريع، ونصّها:

قَـــــالَتْ أَلاَ لاَ تَلِجَنْ دَارَنَا
إِنَّ أَبَانَا رَجُـــــلٌ غَـــــائِرُ.

قَـــــالَتْ فَـــــإِنَّ القَصْـــــرَ مِن دُوننا
قُلْتُ فَـــــإِنِي فَوقَه ظَـــــاهِرُ.
قَـــــالَتْ فَـــــإِنَّ البَحَـــــرُ مِا بَيْنَنَا
قَلْتُ فَـــــإِنِّيَ سَـــــابِحُ مَـــــاهِرُ.
قُلْتُ فَـــــإِنِّي طَـــــالِبٌ غُـــــرَّةً
مِنْـــــهُ وَسَـــــيْفِي صَـــــارِمٌ بَـــــاتِرُ.
قَـــــالَتْ فَلَيْثٌ رَابِضٌ بَيْننَا
قُلْتُ فَـــــإِنّي أَسَـــــدُ عَـــــاقِرُ.
قَـــــالَتْ فَـــــإِنَّ اللـــــهُ مِن فَوقنَا
قُلْتُ فَـــــرَبِّيَ رَاحِمٌ غَـــــافِرُ.
قَـــــالَتْ لَقَـــــدْ أَعْيَيْتَنَا حُجَّةً
فَـــــأتِ إِذَا مَا هَجَـــــعَ السَّـــــامِرُ.
فَاسْـــــقطْ عَلَيْنَا كَسُـــــقُوطِ النَّدَى
لَيْلَـــــةَ لا نَـــــاهٍ وَلا زَاجِـــــرُ.

ينظر: ديوان وضاح اليمن، جمعه وقدم له وشرحه د. محمد خير البقاعي، دار صادر، ط1،عام 1996م، بيروت، لبنان، 46- 48.

شيء أعطيت هـذا قـال اللـه: «**بعفوك**»، فأخرجـه مخـرج العلّـة في الإعطـاء، وللتعليل في البلاغة حظّ عظيم وموقع كريم يكسبه حلاوة؛ لأن المعاني إذا عللت رسخت في الأفئدة، وكان لـه مـدخل في القلـوب لا يخفى، وممّـا ورد فيـه قـول ابن[1] رشيق[2]:

سَأَلْتُ الأَرْضَ لِمْ جُعِلْت مُصَلَّى   وَلِمَ كـــانَتْ[3] طُهْرًا وَطِيْبَـــا
فَقَـــالَتْ غَيْـــرَ ناطِقَـــةٍ لأَنِّي   حَـــوَيْتُ لِكُلِّ إِنْسَـانٍ حَبِيْبَـا[4]

ولقد أحسن غاية الإحسان، وبلغ نهاية الإعجاب في علّة كون الأرض مسـجدًا وطهورًا.

وقال أبو نواس[5]:

وَلَو لَمْ تُصَافِح رِجْلُهَا صَفْحَةَ   الثَّيَمُمِ[6]

أراد أنها لما وطئت الأرض بأخمصها عرف أن التيمم مـا جعـل طهـورًا إلامن أجل مماسة قدمها للأرض، فلا جرم كان التيمم.

النكتة الخامسة: الاقتباس، وهـو إيـراد آيـة من الكتـاب الكـريم دالـة على تقـرر المعـنى السـابق لها، ومناسـبة وملائمـة لمقصـوده، وهـذا كقولـه تعـالى: ﴿

---

1)) في (ج الأم،د،ك) أبي بدلاً عن ابن. {والسليم ابن}.

2 (?) في (د،م) رستق. {والسـليم رشـيق}، وهو أبو علي الحسن بن رشـيق القـيرواني، أحد البلغـاء، ولد بالمهدية سـنة 390هـ، كـان أبـوه مملوكًا روميًا من مـوالي الأزد، قـرأ الأدب بالمحمدية، وقال الشعر، وتاقت نفسه إلى الـتزود منـه؛ فرحل إلى القـيروان، واشـتهر بهـا، توفي سنة 364هـ. ينظر: وفيات الأعيان، 2/ 85.

3)) في (د،ك،م) زيادة: لنا. {وهو السليم}.

4 (?) البيتان من الوافر، وهما ثابتان في ديوان ابن رشيق القيرواني، ونصّ البيت الأول منها: سَأَلْتُ الأَرْضَ لِمْ كَانتْ مُصَلَّى وَلِمَ كَانَتْ لنا طُهْرًا وَطِيْبَا. ينظر: ديوان ابن رشيق القيرواني، شرح د. صلاح الدين الهواري، هدى عودة، دار الجيل، ط 1، عام 1996م، بيروت، لبنان، 39.

5)) لم يرد البيت في ديوان أبي نواس. ينظر: ديوان أبي نواس، 233- 370.

6)) الـبيت من الطويـل، وهو ثـابت في ديـوان ابن هـانئ الأندلسـي. ينظـر: ديـوان ابن هـانئ الأندلسي، شرح أنطوان نعيم، دار الجيل، ط1، عـام 1996م، بـيروت، لبنـان، 482. وهو أبو القاسم محمد بن إبـراهيم بن هـانئ الأندلسـي، الشـاعر المشـهور، ولد بأشـبيلية، ونشأ بهـا، وحصّل حظًا وافرًا من الأدب، توفي سنة 362هـ، وقيل: سنة 365هـ. ينظر: الوافي بالوفيـات، 1/ 260.

[illegible][1] أوردها الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- عقيب ما حكاه من حال المظلوم والظالم، وما انتهى حالهما في إصلاح الحال بلطف الله تعالى وكرمه وعظيم إحسانه، فلهذا أوردها بعد ذلك على جهة التتمّة، والتكملة لما قبلها، فقد وقعت ياقوتة لوشاحه، وشعلة في مصباحه وذرة في تاجه، وزيتونة سراجه، وغلالة ديباجه، ويستعمله الفصحاء كثيرًا، ويرد على وجهين:

أحدهما: أن يكون الوارد آية بكمالها وتمامها، وهو الأكثر في الإيراد، والأوسع في الاستعمال، وهو الذي يحصل به الجمال والأبّهة كما حكيناه هاهنا في إيراد هذه الآية عقيب كلامه، ولابن الجوزي[2] فيما هذا حاله اليد البيضاء، فإن له كتابًا سماه (المنتخب)[3]، فيه مائة فصل على مائة آية أورد الوعظ على منوال الآي, وعلى سجعها، فجاء في أحسن قالب.

وثانيهما: أن يكون الوارد بعض الآي[4]، كما يقال: يا أيها الناس، ويا بني آدم في أول الخطاب لا غير، فما هذا حاله يعد في الاقتباس، لكنه دون الأول في البلاغة وحسن الموقع، فهذا ما أردنا ذكره فيما اشتمل عليه من علم البديع، ونشرع الآن في شرح مقاصده عليه السلام التي أرادها، والمعاني التي أحرزها وقصدها، وبالله التوفيق.

---

1 (?) سورة الأنفال من الآية 1.

2)) وهو أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، وينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق، كان علامة عصره في الحديث، وصناعة الوعظ، توفى سنة 597هـ، ببغداد. ينظر: وفيات الأعيان،3/ 140- 142.

3 (?) اسم الكتاب: المنتخب في النوب، مجلد، وقال مؤلفه : لقد وضعه للكلام على الآيات على الترتيب كل آية تليق أن تقرأ نوبة. ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي، دار الكتب العلمية، عام 1992م، بيروت، لبنان، 2/ 1850.

4 (?) في (د،م) الآية. {وهو الأنسب لأن بعض الآي قد يكون آية فيدخل الوجه الثاني من الاقتباس في الوجه الأول}.

النظر الثالث: في بيان مقاصده صـلى الله عليه وآله وسلم

وقد تضمن كلامه في هذا الحديث على حسن الإنصـاف، وكيفيـة الانتصـاف، وذكر يوم القيامة، وفي صفة الجنـة، وفي حسـن العفـو، وفي إصـلاح ذات الـبين، فهذه مقامات ستة نفصلها بمعونة الله تعالى:

المقام الأول: في حسن الإنصاف وفضله

اعلم أن الإنصاف للخلق من بعضـهم بعض هـو رأس العـدل، وثمـرة الحكمـة، وعنوان الحقّ، وقاعدة الوفاء، وبه تظهـر أنـوار الحقـائق، وتشـرق سـرائر القلـوب، والله تعالى يقول: [illegible][1]، قال تعالى: [illegible][2]، وقال تعالى: [illegible][3]، وقال تعالى: [illegible][4]، وغير ذلك من الآيات الدالة على وجوب الانتصاف، وتوفية الأعمال وحصرها وضبطها، وقال صلى الله عليه وآله وسلم : «إن الله لينتصف للشاة الجماء من القرناء»[5]، وفي حديث آخر: «من قتل عصفورًا لغير منفعة جاء يوم القيمة وله صـراخ تحت العـرش يقـول:- يـا رب- سـل هذا لم قتلني من غير نفع؟!»[6].

---

1 (?) سورة الأنبياء الآية 47.
2 (?) سورة الزلزلة الآيتان 7، 8.
3 (?) سورة النساء من الآية 123.
4 (?) سورة هود من الآية 15.
5 (?) مسند أحمد، 2/ 235. بلفظ: «حتى ينتصف للشاة الجماء من الشاة القرناء تنطحها».
6 (?) مسند الشهاب، 1/ 312.

وحكى ابن هشام[1] في (سيرته)[2] أن الرسول- صلى الله عليه وآله وسـلم- لما عبأ الناس للقتال، ورتب صفوفهم للقتال فصـل رجـل يقـال لـه: سـواد[3] من الصف، وكان في يد رسول الله- صلى الله عليه وآلـه وسـلم- قِـدْح، فـوخزه بها، فقـال:- يـا رسـول الله- قـد بعثـك اللـه بـالحق، وإنـك قـد أوجعتـني، وإني أريـد القصاص، فكشف صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم عن أثوابـه، وقـال: «اسـتقص يـا سواد»، فاحتضـنه، وضمّه إليه، وأرسـله، ثم قـال: «مـا حملـك على مـا فعلت يـا سواد»؟ قال:- يا رسول الله- قد حضر ما ترى من القتال، وإني أحببت أن يكــون آخر عهدي ملامستي لجسمك[4]، فقال الرسـول- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم-: «من مسّ جسـمه جسـمي لم تمسـه النـار»[5]، فهـذه الأخبـار النقليـة كلّهـا قـد تظاهرت، وتعاضدت على الانتصاف للخلق، مع ما يؤيد ذلك من البراهين العقليـة، وإن الله تعالى يجب عليه الانتصاف؛ لأنه إذا خلى بينهم في هذه الدنيا ونهى وأمر وحذر، وأنـذر، فلا بدّ أن يكـون للتخليـة غـرض مقصـود، وهـو أن الموعـد القيامـة لتوفية الحقوق من أهلها، وإعطائهـا من يسـتحقها، وإلا كـانت التخليـة غـير لائقـة بالحكمة، ولهذا قال بعض الصالحين: لولا يوم القيامة لانقطعت الأفئدة. يعني: أن الدنيا وإن حصل فيها الظلم بالقتل، وأخذ المال، وسائر الجنايات فيوم القيامة هو النصفة ومكان الإيفاء.

---

1 (?) وهو عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، مشـهور بحمل العلم متقـدم في علم النسب والنحو، وهو من مصر، وأصـله من البصـرة، تـوفي بمصر سـنة 213هــ. ينظـر: وفيات الأعيان، 3/ 177.

2 (?) هو كتاب (السيرة النبوية)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بـيروت، لبنـان، ط 1، عام 1411هـ.

3 (?) وهو سواد بن غزية بن الأنصاري، من بني عدي بن النجـار، وقيـل: حليف الأنصـار، شـهد بدرًا، والمشاهد كلهـا، وهو عامل الرسـول- صـلى الله عليه وآله وسـلم- على خيـبر. ينظـر: الاستيعاب، 2/ 673. الإصابة، 3/ 217، 218.

4 (?) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، 3/ 173، 174.

5 (?) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، 4/ 29.

فالإنسان يعد نفسه، ويواسيها بيوم القيامة؛ لما تضمنت الاستيفاء، وإعطاء كل ذي حقّ حقّه، كما أشار إليه تعالى بقوله: [illegible][1]، وقال تعالى: [illegible][2]، وهذه الأدلة كلها دالة على الإحصاء[3] من أجل الانتصاف لا فائدة في الإحصاء إلا من أجل التوفير على كل أحد ما يستحقه.

المقام الثاني: في كيفية الانتصاف

واعلم أن الذي عليه أكثر المتكلمين من سائر أهل العدل من الزيدية والمعتزلة أن الذي يقع به الانتصاف بين الخلق في سائر الجنايات والغموم والأحزان، والقتل والجرح، وأخذ المال، وغير ذلك من توابعه، فإنه إنما يكون بالأعواض دون الثواب والعقاب، وقالوا على أثر ذلك: إن كل من كان عليه مظلمة لأحد من الخلق، فإن الله تعالى لا يخرجه من الدنيا إلا وله ما يقضي تلك المظالم من أعواضه، وإن لم يكن[4] ثمة[5] عوض في حال حياته، فإن الله تعالى يشدد عليه آلام الموت حتى يستحق في مقابلتها من الأعواض ما يقابل به المظالم، فهذه قاعدة، وقاعدة أخرى أنهم قالوا: إن الانتصاف إنما هو بأخذ أعواض هذا لهذا في مقابلة ما يستحقه عليه من المظالم، فإن رأس الحكمة والعدل أن الله تعالى لا يتفضل بالقضاء للمظالم من عنده هذا هو رأي الشيخ أبي هاشم وأصحابه، وعليه جلّ المعتزلة.

ورُوِي[6] عن الشيخ أبي القاسم الكعبي، وغيره من معتزلة بغداد أن الله

---

1 (?) سورة الكهف من الآية 49.
2 (?) سورة القمر الآية 53.
3 (?) في (د) الاختصاص. {والمناسب: الإحصاء}.
4 (?) في (ك) زيادة: له.
5 (?) في (د،م) سقط: ثمة.
6 (?) في (د) حكي.

تعالى يجوز أن يكون الانتصاف بأن يوفر من عنده ما يستحقه المظلوم، وسواء كان للظالم أعواض، أو لم يكن؛ لأنه ليس المقصود إلا جبران حال المظلوم[7]، وهذا حاصل بكونها من جهة الله تعالى، ولهذا فإن من كان له دَين على غيره، وجاء رجل آخر فقضاه من عنده، فإن صاحب الدَين يكون قد استوفى حقّه، وإن كان من غير الغريم، و[8]هكذا الحال في حق الله تعالى، وأما الشيخ أبو هاشم وأصحابه، فقد قالوا: إن هذا وإن كان حسنًا لكنه لا يسمى انتصافًا، وإنما هو تفضل وإحسان، وكلامنا إنما هو في محضّ الإنصاف.

فنقول: إذا كان المظلوم من أهل الجنة، فإن الله تعالى يوفر عليه الأعواض ممّن ظلمه منافع في الجنة يعرفه بها منقطعة؛ لأن لها نهاية، وإن أراد الله أن يديمها عليه أدامها بمثلها تفضلات، وإن كان المظلوم من أهل النار، فإن الله تعالى يوفرها عليه تخفيف أوقات منقطعة؛ لأنه يستحيل توفيرها عليه منافع؛ لأن أهل النار لا ينالهم الروح والراحة ساعة واحد، فقد حصل التوفير للحق على هذه الكيفية، كما هو اللائق بالحكمة، فأما الثواب والعقاب فليس فيهما قصاص بالآلام، وإنما يكون فيه[4] الإحباط بفعل الكبائر، والتكفير للسيئات بالحسنات، والموازنة أيضًا جارية في الثواب والعقاب، فإذا استحق الكافر كان ثوابه[5] ثوابًّا على فعل بعض الطاعات، فيستحيل توفيره عليه منافع؛ لأن عقابهم لا ينالهم روح ولا راحة، فلا جرم كان ثوابه إسقاطًا لما يستحقه من العقوبات على جهة الدوام؛ لأن كل واحد من الثواب والعقاب استحقاقه على جهة الدوام، فلهذا كانت المساقطة بينهما دائمة.

---

7)) في (د) سقط: وسواء كان للظالم أعواض، أو لم يكن؛ لأنه ليس المقصود إلا جبران حال المظلوم.

8)) في (د) الفاء بدلاً عن الواو.

4 (?) في (د) سقط: فيه.

5 (?) في (ك) سقط: كان ثوابه.

وأما الموازنة فبين الشيخين: أبي علي، وابنه أبي هاشم خلاف: فالـذي يـراه الشيخ أبو علي أن القليل يسقط في جنب الأكثر ثوابًّا كـان أوعقابًا، ولا يكـون لـه عنـد اللـه قـدر ولا زنة، وأمـا عنـد الشـيخ أبي هاشم، فالقليـل يسـقط في جنب الكثير، ويسقط بقدره منـه بمقـداره، فـإذا كـان الكـافر والفاسـق مثلاً يسـتحقان ثوابًّا، واستحال توفيره منافع، فإنه يسقط بقدره من العقاب جزء بجـزء. هـذا هـو اللائق بالحكمة والعدل، وهو محضّ الإنصاف، والله أعلم.

فحصـل من مجمـوع مـا ذكرنـاه من[1] المقاصـة في المظـالم إنمـا تكـون بالأعواض، وأن الإحباط والتكفير والموازنة إنمـا تكـون بين الثـواب والعقـاب كمـا فصلناه، فأما المقاصة بحمل الأوزار فليس في ظاهر الخبر حُجة عليه؛ لأنــه ليس في ظاهر الخبر، إلا أن المظلوم لما يبق للظـالم حسـنات قـال: «**فليحمل من أوزاري**».

وليس كلامه حُجة؛ لأن الحُجة إنما تكـون من اللـه أو من رسـوله، فأمـا كلام المظلوم فلا عبرة به، ثم إنه لا يمتنع أن يطلب ذلـك المظلـوم؛ لأنـه إذا بطـل أن يكون للظالم حسنات يقضي منها، فالمراد[2] تشفي الغيظ بحمل الأوزار؛ لأنه هـو الممكن في حقه.

كما أن الغريم إذا كان عليه دَين، ولم يجد فضة ولا ذهبًّا يقضـيهما، فصـاحب الدَين يقول: مكنوني حـتى أقضـي من جسـمه بحقي؛ تشـفيًا للغيـظ، وإمعانًّا في المقاصة، ولهذا فإن الله تعـالى لمـا طلب ذلـك لم يجب إليـه، «**وفاضت عينـا رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم**» عنـد ذلـك لم يكن ذلـك مسـاعدًا إليـه في حقّ المظلـوم، وقـال عليـه السـلام: «**إن ذلـك اليـوم ليـوم يحتـاج**

---

1 (?) في (ك،م) أن بدلاً عن من.
2 (?) في (د،م) فالغرض.

الناس فيه إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم» فيه دلالة ظاهرة على تعذّر المقاصة بحمل الأوزار، وأن الأوزار إنما تسقط بالتوبة، أو في مقابلة الثواب بقدرها لا غير، وفي الإحباط، والتكفير بين الثواب والعقاب والموازنة، والكلام في أحكام الأعواض، وكيفية توفيرها كلام دقيق استوفيناه في الكتب العقلية.

وذكرنا ما يحتمله من[1] المسائل الكلامية: فهذا ما أردنا ذكره في وجوب الاقتصاص، وإليه الإشارة بقوله: «**يا رب خذلي مظلمتي من أخي، فقال الله: أعط أخاك مظلمته**»، وفي كيفية الانتصاف، وإليه الإشارة بقوله: إنه «**ما بقي من حسناتي شيء**». قال المظلوم: «**يا رب فليحمل من أوزاري**» على التفصيل الذي ذكرناه.

قاعدة: اعلم أن الذي عليه الجلّة من المتكلمين من الزيدية والمعتزلة، ومن تابعهم أن المنافع الثوابية، والمضار العقابية لا يجوز تعجيل شيء منها لأمرين، أما **أولاً**، فلأنه قد دلّ دليل البرهان العقلي على أنهما لا ينقطعان بعد التوفير لهما، وما كان في الدنيا فهو ينقطع بالموت، وأما **ثانيًا**، فقالوا: إنه يؤدي إلى الإلجاء، وإلى بطلان التكاليف حتى يفعل الواجب لا لوجوبه بل من أجل استحقاق الثواب على فعله والعقاب على تركه، وهكذا حال القبيح، وفي ذلك بطلان التكاليف، وإنما يعجّل في الدنيا ما كان من المضار المستحقة على جهة العوض والاعتبار والمصالح الدينية، كما قال تعالى: [illegible][2]، فيكون في مقابلة هذه المضار أعواض على الآلام، ومصالح تكون حاصلة في التكليف لأجلها، وهو المعبّر عنها بالألطاف المصلحية.

---

1 (?) في (ك،م) في بدلاً عن من.

2 (?) سورة البقرة من الآية 155.

المقام الثالث: في ذكر يوم القيامة

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ذلك اليوم ليوم يحتــاج الناس فيه إلى أن يحمل عنهم من أوزارهم**»، فنـذكر ألقابـه الخاصـة، ثم نذكر أسماءه باعتبار التغيرات الحادثة فيه، ثم نذكر أسماءه باعتبار ما يعرض فيـه من الأحوال ، ثم نذكر صفته، فهذه أنـواع أربعـة نـذكر مـا يختص كـل واحـد منهـا بمعونة الله تعالى .

الأول منها: ذكر ألقابه الخاصة

وهي: يوم القيامـة، ويـوم المحاسـبة، ويـوم المسـاءلة، ويـوم الحسـرة، ويـوم الندامة، ويـوم المسـابقة، ويـوم المناقشـة، ويـوم الزلزلـة، ويـوم المنافسـة، ويـوم الدمدمة، ويوم الصاعقة، ويوم الواقعة، ويوم القارعة، ويوم الراجفة، ويوم الرادفـة، ويوم الغاشية، ويوم الداهية، ويوم الآزفة، ويوم الحاقة، ويوم الطامة، ويوم الصـاخة، ويـوم التلاق، ويـوم الفـراق، ويـوم المسـاق، ويـوم القصـاص، ويـوم التنـاد، ويـوم الحساب، ويوم المآب، ويوم العذاب، ويوم الفرار، ويوم القرار، ويـوم اللقـاء، ويـوم البقاء، ويوم القضاء، ويـوم الجـزاء، ويـوم البلاء، ويـوم البكـاء، ويـوم الحشـر، ويـوم الوعد[1]، ويوم العرض، ويوم الوزن، ويوم الحق، ويوم الحكم، ويـوم الفصـل، ويـوم عظيم، ويوم البعث، ويوم الفتح، ويـوم الخـزي[2]، ويـوم الجمـع، ويـوم عقيم، ويـوم عسير، ويوم الدين، ويوم اليقين، ويوم النشور، ويوم المصـير، ويـوم النفخـة، ويـوم الصيحة، ويوم الرجفة، ويوم الرهبة[3]، ويوم الرّجّـة، ويـوم الزجـرة، ويـوم السـكرة، ويوم الفزع، ويوم الجزع، ويوم المنتهى، ويوم المأوى، ويوم الميقات، ويـوم المعـاد، ويوم المرصاد، ويوم القلـق، ويـوم الغـرق، ويـوم الافتقـار[4]، ويـوم الاحتقـار، ويـوم

---

1)) في (د،م) الوعيد.
2)) في (د) الجزاء. {وهو غير مناسب فقد سبق ذكر يوم الجزاء}ـ
3 (?) في (د،ك،م) سقط: يوم الرهبة.
4 (?) في (د) الإقتار.

الانكدار، ويوم الانتشار، ويوم الانشقاق، ويوم الوقوف، ويوم الخروج، ويـوم الخلـود، ويوم الوعيد[5]، ويوم التغابن، ويوم عبوس، ويوم معلوم، ويوم موعود، ويوم مشهود ، ويوم لا ريب فيه، ويوم تبلى السرائر.

النوع الثاني: في ذكر أسمائه باعتبار ما يجري فيه من الأمور الهائلة والتغييرات الفضيعة، فنسأل الله حسـن الاسـتعداد لهـول هـذا اليـوم العظيم الطويل زمانه، القاهرة سلطانه، القريب أوانه، يوم تكون السـماء فيـه كالمهل[1]، ويوم[2] تكون الجبال فيه كالعهن[3]، ويـوم السـماء فيـه انفطـرت، والكـواكب من هوله اندثرت، والنجوم الزواهر انكدرت، والشمس فيه كـورت، والجبـال سـيرت، والعشار عطلت، والوحوش حشرت، والبحار سجرت، والنفـوس زوجت، والجحيم سـعرت، والجنـة أزلفت، والجبـال نسـفت، والأرض مـدت، والأرض فيـه زلـزلت، والأرض أخرجت أثقالها، والبحار فجرت، والقبول بعثرت، ويوم تحمـل فيـه الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، يوم يكون الملك على أرجاء الأرض، يوم يحمـل عـرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية، يوم تسـير الجبـال وتـرى الأرض بـارزة، يـوم رجّت فيـه الأرض رجًّا، وبسـّت[4] فيـه الجبـال بسًّا فكـانت هبـاء منبثًّا، يـوم يكـون النـاس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش، يوم تبدل الأرض غـير الأرض والسماوات[5] وبرزوا لله الواحد القهـار، يـوم تنسـف الجبـال نسـفًا فيـذرها قاعـا صفصفًا لا ترى فيها عوجًّا ولا أمتًّا، يوم ترى الجبال تحسبها جامدة، وهي تمـرّ مـرّ السحاب، يوم تكون السـماء وردة كالـدهان، يـوم النجـوم فيـه مطمسة[6]، ويـوم

---

5)) في (د،م) الوعد.

1)) المهل: دُرديُّ الزيت. ينظر: لسان العرب، مادة (مهل).

2 (?) في (د) سقط:يوم.

3)) العهن: الصوف المصبوغ ألوانًا. ينظر: لسان العرب، مادة (عهن).

4)) في (ك،م) تبس.

5)) في (د) سقط: السموات.

6)) في (د) طمست.

السماء فيه منفرجة، ويوم السماء في متشعبة، فإن هذه الأسماء إنما أطلقت باعتبار ما ذكرناه من هذه الأمور العظيمة الهائلة، وبالله التوفيق.

النوع الثالث: في ذكر أسمائه باعتبار ما يجري عليه من الأمور العظيمة المختصة بأحوال الخلائق يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئًا، يوم تشخص فيه الأبصار، يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا، يوم لا تملك نفس لنفس شيئا، يوم يدعون إلى نار جهنم دعًّا، يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر، يوم تقلب وجوههم في النار، يوم لا يجزي والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا، يوم يفرّ المرء من أخيه، وأمه وأبيه، يوم لا ينطقون، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، يوم لا مردّ له من الله، يوم هم بارزون، يوم هم على النار يفتنون، يوم لا ينفع مال ولا بنون.

يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار، يوم تردّ فيه المعاذير، يوم تبلى فيه السرائر، وتظهر الضمائر، يوم تكشف فيه الأستار، ويوم تخشع فيه الأبصار، وسكنت الأصوات، وقلّ الالتفات، وبرزت الخفيات، وظهرت الخطيئات، وسيق العباد ومعهم الأشهاد، وشابَ الصغير، وسكر الكبير، ووضعت الموازين، ونشرت الدواوين، وبرزت الجحيم، وأغلي الحميم، وزفرت النار، ويئس الكفار، وسعرت النيران، وتغيرت الألوان، وخرس اللسان، ونطقت جوارح الإنسان بما كان من فعله من العصيان، والزور والبهتان، فيا أيّها الإنسان ما غرك بربك الكريم، حيث أغلقت الأبواب، وأرخيت الستور، واستترت عن الخلائق فلابست الفجور، فماذا تفعل يا مسكين وقد شهدت عليك جوارحك، فالويل كل الويل لنا يا معشر الغافلين، يرسل إلينا سيد المرسلين، وينزل علينا الكتاب المبين، ويخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين، ثم يعرفنا غفلتنا، ويقول:

﴿ [illegible] ﴾[1]، ﴿ [illegible] ﴾[2]، ثم يعرفنا قـرب القيامـة، فيقـول: ﴿ [illegible] ﴾[3]، ﴿ [illegible] ﴾[4]، ﴿ [illegible] ﴾[5]، ثم يكون أحسن أفعالنا أن نتخذ دراسة هذا القرآن عملاً، فلا نتدبر معانيـه، ولا ننظـر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأساميه، ولا نستعد للفـرار من دواهيـه، فنعـوذ باللـه من هذه الغفلة إن لم يتداركنا الله بواسع رحمته.

النوع الرابع: في صفة طول يوم القيامة

اعلم أن الشرع قد دلّ على صعوبة الأمـر فيـه، وعسـرته، فـالخلائق يقفـون فيه شاخصة أبصارهم متفجعة قلـوبهم لا يتكلمـون، ولا ينظـر في أمـرهم يقفـون ثلثمائـة عـام لا يـأكلون فيـه أكلـة، ولا يشـربون شـربة، ولا يتصـل بوجـوههم روح نسيم. قال كعب [6] وقتادة[7]: ﴿ [illegible] ﴾[8] قالا: يقومون مقدار ثلثمائة عام[9]، وقال عبدالله بن عمـر: تلا رسـول الله- صـلى اللـه عليه وآله وسلم- هذه الآية: ﴿ [illegible] ﴾[10]، ثم قـال: «كيـف بكم إذا

---

1 (?) سورة الأنبياء الآية 1.

2 (?) السورة نفسها، من الآية 3.

3 (?) سورة القمر الآية 1.

4 (?) سورة المعارج الآيتان 6، 7.

5 (?) سورة الشورى من الآية 17.

6 (?) وهو كعب الأحبار بن ماتع الحميري، تابعي كان في الجاهلية من كبـار علمـاء اليهـود في اليمن، أسـلم في زمن أبي بكـر- رضي الله عنـه- وقـدم المدينة في عهد عمـر- رضي الله عنه-، تـوفي بحمص سـنة 32هــ. ينظـر: طبقـات ابن سـعد، 7/ـ 445. الأعلام للـزركلي، 5/ 228.

7 (?) وهو قتادة بن دعامة بن عزيز، أبو الخطاب السدوسي البصري، حافظ ضرير أكمه، كان تابعيًا عالمًا كبيرًا، توفي بواسط سنة117هـ، وقيل: 118هـ. ينظر: وفيـات الأعيـان، 4/ـ 85. الأعلام للزركلي، 5/ 189.

8 (?) سورة المطففين الآية 6.

9 (?) ينظر: تفسير الطبري، 24/ 281.

10 (?) سورة المطففين من الآية 6.

جمعكم الله كما يجمـع النبـل في الكنانـة خمسـين ألـف سـنة لا ينظـر إليكم»[1]، وقال الحسن: ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلــة واحــدة[2]، ولم يشــربوا فيهــا شــربة، حــتى إذا انقطعت أعنــاقهم عطشــًا، واحترقت أجوافهم جوعًا انصرف بهم إلى النار، فسقوا من عين آنية قد آن حرّها، واشتد لفحها، فلما بلغ المجهود منهم مـا لا طاقـة لهم بـه كلّم بعضـهم بعضـًا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقّهم فلم يتعلقـوا بنـبي إلا دفعهم، وقـال: دعوني: نفسي نفسي شغلني أمري عن أمر غيري، واعتذر كل واحد منهم بشـدة غضب الله، قالوا: قد غضب ربنا اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، حتى يشفع نبينا محمد- صلى الله عليه وآله وسـلم- لمن يـؤذن لـه فيه[3]، [illegible][4]،

فاعمل في أيام قصار لأيام طوال تربح ربحًا لا منتهى لسروره، واستحقر عمـرك، بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة لتتخلص من يوم مقداره خمسون ألـف سـنة، فلو لم تعمل إلا لتتخلص من ذلك اليوم دون رجاء الجنة، والخوف من النـار لكـان ربحك كثيرًا، وتعبك يسيرًا، فنسأل الله السلامة من أهوال يوم القيامة.

المقام الرابع: في صفة الجنة وما أعد فيها لأوليائه

واعلم أنّا نورد صـفاتها تـارة على جهـة الإجمـال، ومرّة على جهـة التفصـيل، فهاتان مرتبتان نفصلهما بمعونة الله تعالى:

المرتبة الأولى: في بيان ما ورد فيها على جهة الإجمال: قال الله تعالى: [illegible][5]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطـر

---

[1] (?) ينظر: فتح القدير، 5/ 401.
[2] (?) في (د،ك،م) سقط: واحدة.
[3] (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 515.
[4] (?) سورة طه الآية 109.
[5] (?) سورة الزخرف من الآية 71.

على قلب بشر»[1]، وقال تعالى: [illegible][2]، وقال تعالى: [illegible][3] لا يخافون فيها ولا يحزنون، وهم عن ريب المنـون آمنـون، فهم فيها يتنعمون.

قال أبو هريرة: قال رسول الله- صلى الله عليه وآلـه وسـلم- : «إذا صـار أهـل الجنة في الجنـة نـادى منـادٍ لكم أن تصـحوا فلا تسـقمون أبدًا، وإن لكم أن تحيـوا فلا تموتون أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسون أبدًا»[4]، فذلك قوله تعـالى: [illegible][5]، وقال النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-: «وإن أهل الجنة ليتراؤون الغرف فوقهم كما ترون الكوكب الغـابر في الأفق من المشرق والمغرب؛ لتفاضل ما بينهم». قالوا: يا رسول الله تلك منـازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قـال: «بلى، والـذي نفسـي بيـده رجـال آمنـوا بالله، وصدّقوا برسوله، وبجميع المرسلين»[6]، وتأمل الآن في غرف الـدنيا[7]، واختلاف درجاتهـا في العلـو فيها، فـإن الآخـرة أكـبر درجـات وأكـبر تفضـيلاً، ففي مثـل هـذا فليتنـافس المتنافسون، ويسبق السابقون.

المرتبة الثانية: في بيان صفتها على جهة التفصيل

فنذكر صفة أرضها وأشجارها وأنهارها، ثم نذكر صفة طعام أهـل الجنـة، ثم نردفـه بـذكر لباسـهم، ثم نـذكر الحـور العين، فهـذه أنـواع أربعـة، هي كافيـة في المطلوب بمعونة الله تعالى.

---

1 (?) صحيح مسلم، 4/ 2175.
2 (?) سورة السجدة الآية 17.
3 (?) سورة الأنبياء من الآية 102.
4 (?) صحيح مسلم، 4/ 2182.
5 (?) سورة الأعراف من الآية 43.
6 (?) صحيح البخاري، 3/ 1188.
7)) في (د) الجنةـ {وهو غير مناسب}.

النوع الأول: في بيان صفة أرضها وأشجارها وأنهار

فقد قال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-: «تربة الجنة درمكة[1] بيضاء من مسك خالص»[2]، وقال صلى الله عليه وآله و سلم: «حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة، ترابها زعفران، وطينها مسك»[3]، وقال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، فاقرؤوا إنْ شئتم: ﴿[illegible]﴾[4]»[5]، وقال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- قال الله- عزّ وجلّ-: ﴿[illegible]﴾[6]- «يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة، ثم انفتق الثمر فيها عن اثنين وسبعين لونًا ما منها لون يشبه لون الآخر»[7]، وعن سلمان الفارسي قال:- يا جرير- لو طلبت في الجنة مثل هذا، وأخذعويدًا صغيرًا لا أكاد أراه من صغره ما وجدته، فقال:- يا أبا عبدالله- أين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب، وأعلاها الثمر[8]، وسئل رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- عن قوله: ﴿[illegible]﴾[9]، قال: «قصر من لؤلؤ، في ذلك القصر سبعون دارًا من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتًا من زمردة خضراء، في كل بيت سبعون سريرًا، في كل سرير سبعون فراشًا من كل لون، على كل فراش زوجة من الحور العين، في كل بيت سبعون مائدة، على كل مائدة سبعون لونًا من الطعام، في كل بيت سبعون وصيفة، وأعطي المؤمن في كل غداة ما يأتي على ذلك أجمع»[10].

---

1)) الدرمك الذي يدرمك حتى يكون دقاقًا من كل شيء كالدقيق والكحل وغيرهما، وكذلك التراب الدقيق درمك. ينظر: لسان العرب، مادة (درمك).

2 (?) مسند أحمد، 3/ 4.

3 (?) سنن الترمذي، 4/ 672. بلفظ: «ملاطها المسك».

4 (?) سورة الواقعة الآية 30.

5 (?) مسند أحمد، 2/ 438.

6 (?) سورة الواقعة الآية 28.

7 (?) المستدرك على الصحيحين، 2/ 518.

8 (?) شعب الإيمان، 6/ 278.

9 (?) سورة التوبة من الآية 72، سورة الصف من الآية 12.

10 (?) المعجم الكبير، 18/ 160.

وقال الرسول- صلى الله عليه وآله وسـلـم-: «في الجنـة غـرف من أصـناف الجوهر كله، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها» قلت:- يا رسول الله- لمن هـذه الغـرف؟ قـال: « لمن أطعم الطعـام، وأدام الصـيام، وصـلى بالليـل والناس نيام»[1]، وقال الرسول- صلى الله عليه وآلـه وسـلـم- في قولـه تعـالى: [illegible][2] «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما، ومـا فيهمـا من ذهب»[3]، وهـذا مـا يتعلـق بأمـاكن الجنـة كمـا ذكرناه.

النـوع الثـاني: في صـفة لبـاس أهـل الجنـة وفرشـهم والسـرر والأرائك والخيام

قال تعالى: [illegible][4]، وقال تعالى: [illegible][5]، وقال تعالى: [illegible][6]، وقال: [illegible][7]، وقال: [illegible][8]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم لمّا سأله رجل فقال: أخبرنا- يا رسول الله- عن ثياب أهل الجنة أخلق يخلق أم نسج ينسج؟ فسكت رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وضحك بعض القوم، فقال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «ممَّ تضحكون من جاهل سأل عالمًا؟»، ثم قال صلى الله عليه وآله

---

1 (?) نفسه، 3/ 301. دون ذكر: «من أصناف الجوهر كله».
2 (?) سورة الرحمن الآية 46.
3 (?) ينظر: تفسير ابن كثير، 7/ 501.
4)) سورة الحج من الآية 23، وفاطر من الآية 33.
5)) سورة الرحمن الآية 76.
6 (?) سورة الدخان الآية 53.
7 (?) سورة الكهف من الآية 31، والإنسان من الآية 13.
8 (?) سورة الرحمن من الآية 54.

وسلم : «بل تنشق عنها ثمر الجنة مرتين»[1]، وقال أبو هريرة: «أول زمرة تلج الجنة، صورهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون فيها، ولا يتمخطون، ولا يتغوطون فيها، آنيتهم وأمشاطهم فيها من الذهب والفضة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخّ ساقها من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف فيما بينهم، ولا تباغض قلوبهم، على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيّ

اً»[2]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: [illegible] [3] قال: «عليهم التيجان، إن أدنى لؤلؤة فيها تضيء ما بين المشرق والمغرب»[4]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الخيمة درّة مجوّفة، طولها في السماء ستون ميلاً، وفي كل زاوية منها أهل للمؤمن، لا يراهم الآخرون»[5]. قال ابن عباس: الخيمة درّة مجوفة فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب[6].

النوع الثالث: صفة طعام أهل الجنة

قال تعالى: [illegible] [7]، وقال تعالى: [illegible] [8]، وقال تعالى: [illegible] [9]، وقال تعالى: [illegible] [10]، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم من الفواكه والطيور

---

1 (?) مسند البزار، 6/ 408، 409.
2 (?) صحيح البخاري، 3/ 1185.
3 (?) سورة الكهف من الآية 31، والحج من الآية 23، وفاطر من الآية 33.
4 (?) المستدرك على الصحيحين، 2/ 462.
5 (?) مسند أحمد، 4/ 419.
6 (?) مصنف ابن أبي شيبة، 7/ 41.
7 (?) سورة الزخرف من الآية 71.
8 (?) سورة الدخان الآية 55.
9 (?) سورة محمد من الآية 15.
10 (?) سورة الواقعة الآية 21.

السّمان والمنّ والسلوى والعسل واللبن والخمر وأصناف كثيرة لا تنحصر ولا تحصى، قال تعالى: [illegible][1]، وفي الحديث: جاء رجل من أحبار يهود، فذكر للرسول أسئلة إلى أن قال: فمن أول الناس إجازة على الصراط؟ قال: «فقراء المهاجرين». قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «زيادة كبد النون». قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها». قال: فما شرابهم؟ قال: «من عين فيها تسمى سلسبيلا»، فقال: صدقت[2].

وقال زيد بن أرقم[3]: جاء رجل من اليهود إلى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وقال:- يا أبا القاسم- ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ وقال لأصحابه: إن أقرّ لي بهذا خصمته، فقال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «بلى، والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع»، فقال اليهودي: فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة، فقال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- : «حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك، فإذا البطن قد ضمر»[4]، وقال ابن مسعود: إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخرّ بين يديك مشويًّا[5]، وقال حذيفة: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «إن في الجنة طيرًا أمثال البخاتي»، قال أبو بكر: إنها لناعمة- يا رسول الله-؟ قال: «أنعم منها من يأكلها، وأنت ممّن يأكلها يا أبا بكر»[6].

---

[1] (?) سورة البقرة من الآية 25.

[2] (?) صحيح مسلم، 1/ 252.

[3] (?) وهو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، أول مشاهده المريسيع في السنة الخامسة للهجرة، نزل الكوفة، وسكنها، توفي سنة 68هـ. ينظر: الاستيعاب، 2/ 535.

[4] (?) مسند أحمد، 4/ 367.

[5] (?) مسند البزار، 5/ 401.

[6] (?) إحياء علوم الدين، 4/ 540.

النوع الرابع: في صفة الحور العين والولدان

قال الله تعالى: [illegible][1]، وقال: [illegible][2]، وقال تعالى: [illegible][3] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على صفاتهن، وقد وردت الأخبار بزيادة شرح فيهن.

قال النبي- صلى الله عليه وآله وسلم-: «لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم في الجنة، أوموضع قيد في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطّلعت على أهل الأرض لأضاءت ولملأت ما بينهما ريحًا، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»[4] يعني: الخمار، وقال أبو سعيد الخدري، قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- في قوله: [illegible][5] قال: «ينظر إلى وجهه في خدّها، أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها تضيء ما بين المشرق والمغرب، وأنه يكون عليها سبعون ثوبًا ينفذها بصره حتى يرى مخّ ساقها من وراء ذلك»[6].

قال أنس: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «لما أسري بي دخلت في الجنة موضعًا يقال له: البيدخ، عليه خيام اللؤلؤ والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر، فقلن: السلام عليك يا رسول الله، فقلت: ما هذا النداء- يا جبريل-؟، فقال: هؤلاء المقصورات في الخيام يستأذن ربّهنّ في السلام عليك، فأذن لهنّ فطفقن يقلنّ نحن الراضيات فلا نسخط أبدًا، ونحن الخالدات فلا نظعن

---

[1] (?) سورة الواقعة الآيتان 22، 23.
[2] (?) سورة الرحمن الآية 72.
[3] (?) السورة نفسها الآية 58.
[4] (?) صحيح البخاري، 3/ 1029.
[5] (?) سورة الرحمن الآية 58.
[6] (?) المستدرك على الصحيحين، 2/ 516.

أبدًا، وقرأ رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: [illegible] »[1][2]،وقـال مجاهد[3]: [illegible] [4] قـال: من الحيض والغائـط والبـول والبزاق والنخامة والمني والولد[5]، وقيـل في قولـه تعـالى: [illegible] [6] يعني: شغلهم افتضاض الأبكار[7]، وقال رسول الله- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم-: «إن الحـور في الجنـة يتغـنين، ويقلنّ: نحن الحـور الحسـان خبئنـا لأزواج كـرام»[8]، وقال أبو أمامة: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسـلم-: «مـا من عبـد يـدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صـوت يسـمعه الإنس والجن، وليس بمزمـار شـيطان»[9]، فهـذه صـفات أهـل الجنـة قـد ذكرناها جملة وتفصيلاً.

ولقد كان الأحسن ذكر صفة النار وأهلها، ولكنه صلى الله عليـه وآلـه وسـلم لم يشر إلى ذكرهـا، فلا جـرم سـكتنا عن ذكرهـا، أعاذنـا اللـه منها، ولعـل ذكرهـا يجري في أثناء حديثه الذي نشرحه، فنـورده هنـاك بمعونـة اللـه تعـالى، فهـذا مـا أردنا ذكره في المقام الرابع من وصف الجنة، وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ارفع بصرك إلى الجنان، فرفع رأسه فرأى ما أعجبـه من الحبرة والنعمة**».

---

[1] (?) سورة الرحمن الآية 72.

[2] (?) إحياء علوم الدين، 4/ 540.

[3] (?) وهو مجاهد بن جـبر، أبو الحجـاج مـولى قيس بن السـائب المخـزومي، صـاحب التأويل والتفسير والأقاويل، توفي سنة 102هـ، وقيل: 104هـ. ينظـر: طبقـات ابن سـعد، 5/ـ 466. حلية الأولياء، 3/ 279.

[4] (?) سورة البقرة من الآية 25، آل عمران من الآية 15، النساء من الآية 57.

[5] (?) ينظر: تفسير الطبري، 1/ 396.

[6] (?) سورة يس من الآية 55.

[7] (?) القول لابن عباس. ينظر: تفسير الطبري، 20/ 534.

[8] (?) المعجم الأوسط، 6/ 312. وفيه : «هدينا بدلاً عن خبئنا».

[9] (?) المعجم الكبير، 8/ 95.

المقام الخامس: في حسن العفو

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم حاكيًّا عن الله- عزّ وجلّ-، قال: «**بماذا؟ قال: بعفوك عن أخيك، قال: قد عفوت عنه**»، وقد أسلفنا فيه نبذة نافعة فيما سبق، ونزيد هاهنا قال تعالى: [illegible][1]، وعلى الجملة فإن هذه الخصلة يتفاوت فيها الخلق، وتعلو بها درجاتهم، وأقلّهم من يستبد بها ويحرزها، وما ذاك إلا لعظم حالها وكِبَر شأنها، وقد قال تعالى: [illegible][2]، وقال: [illegible][3]، وقال تعالى: [illegible][4]، وقال تعالى: [illegible][5]، ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم خُلقه العفو والصفح، وقد رُوي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قسم قسمة يومًا، فقال رجل من الأنصار: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى، فذكر ذلك للرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- فاحمرّ وجهه، وقال: «رحم الله أخي موسى قد أوذي أكثر من هذا فصبر»[6]، وكان الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: «لا يبلغني أحد منكم عن أصحابي شيئًا فإني أحبّ أن أخرج إليكم وأنا سليم القلب»[7]، ورُوي أن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أُتي بقلائد من ذهب وفضة فقسمها بين أصحابه، فقام رجل من أهل البادية، فقال: يا محمد، والله لئن أمرك الله أن تعدل، فما أراك تعدل، فقال: «ويحك من يعدل عليه بعدي»!! فلما ولى قال: «ردوه عليّ رويدًا»[8]،

---

[1] (?) سورة الأعراف من الآية 199.
[2] (?) سورة المائدة من الآية 13.
[3] (?) سورة النور من الآية 22.
[4] (?) سورة آل عمران من الآية 134.
[5] (?) سورة الشورى من الآية 40.
[6] (?) مسند أحمد، 1/ 380.
[7] (?) مسند أحمد، 1/ 395. وفيه : «الصدر بدلاً عن القلب».
[8] (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 2/ 377.

وروى جابر- رضي الله عنه- أنه عليه السلام كان يفيض على الناس يوم خيبر من فضة في ثوب بلال، فقال له رجل: يا نبي الله اعدل، فقال: «ويحك إن لم أعـدل فمن يعـدل، لقـد خبت إذن، وخسـرت إن كنت لا أعـدل»، فقـام عمر، فقـال: ألا أضرب عنقه، فإنه قد نافق، فقال عليه السلام: «معاذ الله أن يتحدث النـاس أني أقتل أصحابي»[1]، وروى أنس بن مالك أن يهودية أتت النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- بشاة مسمومة ليأكلها، فجيء بها للرسول- صلى الـله عليـه وآلـه وسـلم- فسألها عن ذلك، فقالت: أردت قتلك، فقال: «ما كان الـله ليسـلطك على ذلـك» فقالوا: أفلا نقتلها؟ قال: «لا»[2].

وسحره رجل من اليهود، فأخبره جبريل بـذلك حـتى اسـتخرجه وحلّ عقـده، فوجد لذلك خفّة، وما ذكر ذلك لليهـودي، ولا أظهـره عليه[3]، فهـذه القضـايا كلّهـا دالـة على حسـن عفـوه صـلى الـله عليـه وآلـه وسـلم مـع القـدرة على العقوبة، ذكرناها هاهنا؛ ليكون عمدة للخلـق في حسـن العفو، والمواظبـة عليـه، والتأسـي بأخلاقه، وشمائله الطاهرة.

المقام السادس: في إصلاح ذات البين

وإليه الإشـارة بـإيراد الآيـة عقيب كلامـه في قصـة المتخاصـمين، وقـد قـال تعالى: [illegible][4]، وقال: [illegible][5]، وقال تعالى: [illegible][6]، وقال: [illegible]

---

1 (?) مسند أحمد، 3/ 353.
2 (?) صحيح مسلم، 4/ 1721.
3 (?) المعجم الكبير، 5/ 180.
4 (?) سورة الأنفال من الآية 1.
5 (?) سورة فصلت من الآية 34.
6 (?) سورة الحجرات من الآية 12.

، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إصلاح ذات البين أفضل عند الله من عامة الصلاة والصيام»[2]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا متحابين»[3]، وقال تعالى: [4]، فهذه الآيات الحسنة كلها دالة على إصلاح ذات البين، فمن فعلها فقد أصلح الحال فيما بينه وبين الخلق، واعلم أن إصلاح ذات البين هو تنقية الظواهر، والبواطن من الخصال المهلكة من البخل والحسد والبغضاء والحقد والعداوة؛ لأن هذه الأمور كلها مؤدية لفساد الدين وإهلاكه، والمعنى: أنه عليه السلام أمر بإصلاح ذات البين، وخوف من تركه واطراحه بقوله: [5]، لأن التقوى مأخوذة من الوقاية، وهذا إنما يكون في فعل الواجبات وترك القبائح، ولا يقال في المندوبات، وأعظم آية وردت في إصلاح ذات البين قوله تعالى: [6] حكى الله تعالى أن فريقين من المؤمنين إذا وقع بينهما قتلى لشبهة طرت عليهم، والتبس الحق فيها، أوكانت المسألة المختلف فيها اجتهادية، فاقتتلوا بما سنح من العفو في القتل، وبالمسامحة في الدماء[7]، والعفو فيها وأخذ بعضها.

التي بغيها: إما بطلب القصاص فيمن

---

1 (?) السورة نفسها ومن الآية نفسها.

2 (?) سنن أبي داود، 4/ـ 280. بلفظ: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة، والصدقة». قالوا: بلى. قال: «إصلاح ذات البين».

3 (?) صحيح البخاري، 5/ 2253. دون ذكر: «متحابين».

4 (?) سورة الشورى من الآية 43.

5 (?) سورة آل عمران من الآية 50 .

6 (?) سورة الحجرات الآية 9.

7)) في (د،م) الدنيا. {وهو غير مناسب في السياق}.

قتل بالخطأ، وإما بالزيادة على الحقّ، إن أحوجت إلى القتال بالإعراض عن الإصلاح بالقول[8] بقبول الحق وإعطائه، اعدلوا في خوضكم في الصلاح، والسداد ولا تحيفوا على أحد الفريقين.

أيْ: أنابت، ورجعت عن البغي، والاستقامة على الحق، والقسط: من أسماء الأضداد، يقال: أقسط إذا عدل، وأقسط إذا جار، الغرض هاهنا العدل، فإن الله تعالى منزّه في حكمته عن الأمر بالجور؛ خلافًا لمن خالف في الحكمة من فرق المجبرة، فانظر ماذا يصلح الله به من عمد إلى العناية في إصلاح ذات البين، وإنما ينتفع بالتذكير أهل التقوى، ويعتبر بالعبر من نجعت في حقّه[1] الذكرى، فمن جعل همّه النظر في مهمات الدين ولوازمه؛ فقد استمسك بالعروة الوثقى[2]، وفاز بالنصيب الأوفر الأوفى، ولجأ إلى ركن حصين، واستكنّ بركن[3] كنين، ومن كان عن ذكرها لاهيًّا، وعند النظر في محاسنها ساهيًّا، فقد أعرض عن الحُجّة، واقتحم اللجّة، فنسأل الله الانتفاع بالحجج القائمة، والمصير برحمته إلى المغفرة[4] الدائمة، وقد تم غرضنا من شرح هذا الحديث.

الحديث التاسع عشر

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رَضِيَ اللهُ عَنْه- قَالَ: قِيلَ:- يَا رَسُولِ اللَّهِ - مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ؟ قَالَ: «**الَّذِينَ نَظَرَوا إِلَى بَاطِنِ**

---

[8] (?) في (د،ك) سقط: إن أحوجت إلى القتال بالإعراض عن الإصلاح بالقول. {وهي جملة تبرز متى يكون القتال}.

[1] (?) في (د) قلبه.

[2])) في (د) سقط: الوثقى.

[3])) في (د) سقط: الباء.

[4])) في (د،م) مغفرته.

الدُّنْيَا حِينَ نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا، وَاهْتَمُّوا بَآجِـلِ الـدُّنْيَا حِينَ اهْتَمَّ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَـا خَشِـوا أَنْ يُمِيتَهُمْ، وَتَرَكُـوا مِنْهَـا مَـا عَلِمُوا أَنْ سَيَتْرُكَهُمْ، فَمَا عَرَضَ لَهُمْ مِنْ نَائِلِهَا عَارِضٌ إِلاَّ رَفَضُوهُ، وَلاَ خَـادَعَهُمْ مِنْ رِفْعَتِهَـا خَـادِعٌ إِلاَّ وَضَـعُوهُ، خَلِقَتِ الـدُّنْيَا عِنْـدَهُمْ فَمَـا يُجَدِّدُونَهَا، وَخَـرِبَتْ بَيْنَهُمْ فَمَا يَعْمُرُونَهَـا، وَمَـاتَتْ فِي صُـدُورِهِمْ فَمَـا يُحْيُونَهَا، بَلْ يُهَدِّمُونَهَا فَيَبْنُون بِهَا آخِرَتَهُمْ، وَيَبِيعُونَهَـا فَيَشْـتَرُونَ بِهَـا مَـا يَبْقَى لَهُمْ، وَنَظَـرُوا إِلَى أَهْلِهَـا صَـرْعَى قَـدْ خَلَتْ قَبْلَهُم الْمُثُلاَتُ، فَمَا يَرَونَ أَمَانًّا دُونَ مَا يَرْجُونَ وَلاَ خَوفًّا دُونَ مَا يَحْذَرُونَ»[1].

فنقول: الحمد لله المدبر الحكيم، الذي أطلع أولياءه غوائل الـدنيا وآفاتهـا، وكشف لهم عن قبائح عيوبها وعوراتها، حتى نظروا في شواهدها وآياتها، ووازنــوا بين حسناتها وسيأتها، فعلمـوا أنـه يزيـد منكرهـا على معروفهـا، ولا يفي مرجوهـا بمخوفها، ولا يسلم إشراقها من كسوفها، وأنهـا قـد تمثلت في الخـدع والاحتيـال، والتصنيع وإظهار بُرد الجمال بصورة امرأة جميلة تستميل الناس بحسـن جمالهـا، ولها أسرار سوء، وقبائح تهلـك الراغـبين في وصـالها، ثم إنهـا فرّارة عن طلابهـا، شحيحة بالمساعدة على خطابها، وإذا أقبلت لا يـؤمن شرّها، وبـالغت في إيصـال وبالها، إن أحسنت ساعة أساءت سَنة، وإن أساءت مرّة جعلتها سـُنّة مستحسـنة، فدوائر إقبلها على التقارب دائرة وتجارة أهلها بائرة خاسرة، وآفاتها على التـوالي لصدور طلابها راشقة، ومجاري أحوالها بذل طالبيها ناطقـة، وكـل مغـترّ بها، فهـو إلى الذلّ مصيره، وكل متكبر فيها فإلى الحسرة والندامة مسيره.

شأنها الهرب من طلابها، والتزين والـتزهي بزخرفهـا وإعجابهـا، من سـاعاها فاتته، ومن واتاها واتته، ومن أبصر بهـا بصـرته، ومن أبصـر إليهـا أعمتـه، لا يحلـو

---

[1])) الأربعون حديثًا السيلقية، 30.

صفوها عن شوائب الكدورات، ولا ينفك سـرورها عن المنغصـات، سـلامتها تعقب السقم، وشبابها لا يسوق إلا إلى الهرم، ونعيمها لا يثمر إلا الحسـرة والنـدم، وهي خداعة مكّارة طيارة فرارة حائلة زائلـة، لا تـزال تظهـر الزينـة لطلابهـا، حـتى إذا صاروا من أهلها، وأحبابها كشرت لهم عن أنيابها، وشوشت عليهم مناظم أسبابها، وكشـفت لهم عن مكنـون عجائبهـا، فـأذاقتهم قواتـل سـمها، ورشـقتهم بصـوائب أسهمها، بينما أصـحابها منهـا في سـرور وإعجـاب وإنعـام؛ إذ ولّت عنهم معرضـة كأنهـا الأضـغاث[1] الأحلام، ثم كشـرت عليهم بـدواهيها فطحنتهم طحن الحصـيد، ووارتهم في أكفانهم تحت الصعيد، إن ملّكت واحـدًا منهم جميـع مـا طلعت عليـه الشمس؛ [2]جعلته حصيدًا كـأن لم يغن بـالأمس، تمـنى أصـحابها غـرورًا، وتعِـدُهم سرورًا، حتى راموا الحياة كثيرًا، وبنوا منازل كثيرة[3] وقصـورًا، فتصـبح قصـورهم قبورًا، وجمعهم بورًا، وسعيهم هباء منثورًا، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

والصلاة على إمام أئمة الهدى، والهادي إلى مصالح الدين والتقوى، والمـؤثر للآخرة على الدنيا الهاجر للذّاتها، المعرض عن شهواتها، محمـد الأمين، وعلى آلـه الطيبين الذين صاروا للدِّين ظهيرًا، وعلى كل من حـالف عونًّا ونصـيرًا، واعلم أن ما ذكره صلى الله عليه وآله وسلم في هذا الحديث مشتمل على النظر في أمور ثلاثة، نفصلها بمعونة الله تعالى.

النظر الأول: في بيـان ما يشـتمل عليه من العلـوم الأدبية

وفيه مطلبان:

---

1)) في (د) سـقط: أل التعريفية من الأضـغاث. {ولعله المناسـب}. والأضـغاث: جمع ضـغث وهو الحلم الذي لا تأويل له، ولا خير فيه. ينظر: لسان العرب، مادة (ضغث).

2)) في (د،م) زيادة: الواو. {وهي زيادة غير مناسبة}.

3)) في (ك) كبيرة.

المطلب الأول: في بيان ما تضمنه من الألفاظ اللغوية

الولي والمولى: شيء واحد[1]، وهما لفظتان مشتركتان بين معانٍ، فـيراد بهما الناصر، والحليف، وابن العم، والمعتـق، واللاحـق بـالأمر، والمـرد[2]، والمـراد بهما هاهنا أهل المحبة والولاية في الدِّين الذين يرعاهم برعايته، ويكلؤهم بكلايته، **والأولياء**: خلاف الأعـداء، والسـؤال عمّن يختصّ بهـذه الخاصـة، ويكـون متمـيزًا بهـذه الخلاصـة، و**الخوف**: نقيض الأمن، و**الحُـزن**: نقيض السـرور، فقـال عليـه السلام مجيبًا للسائل على سؤاله: «**الذين نظروا**» **النظر**: لفظة مشـتركة بين معانٍ، فيكون للمقابلة، ويكون لتقليب الحدقة، ويكون للفكر وتـرتيب المقـدمات، وهو المقصود هاهنا؛ لأن الغرض هو التفكـر في حـال الـدنيا وبطلانهـا ونفادها، ثم إن **للفكــر** مواقع أربعة:

الموقع الأول: **يحصـل عنـده العلم الضـروري**، وهـو نحـو الفكـر في الأخبار المتواترة وترتيب مقدماتها، وأن العدد لا يجوز عليهم التواطؤ على الكذب.

الموقع الثـاني: يحصـل عنـده العلم النظـري، وهـو نحـو النظـر في المقدمات العلمية، ويكون الترتيب صحيحًا، فما هذا حاله يكون نظريًّا.

الموقع الثالث: يحصل عنده الظن الغالب القوي، وهـذا نحـو النظـر في الأمارات القوية، فإنه يحصل الظن الغالب على قدر قوة الأمارة وضعفها.

الموقع الرابع: يحصل الاعتقاد، وهـذا نحـو النظر[3] في الشـبهة لأهـل الزيغ وأهل الضلالات، فإنهم نظـروا على غـير حدّ الاسـتقامة في نظـرهم فضـلوا عن الحقّ واعتقدوا الاعتقادات الباطلة، وتوهموا التوهمـات الفاسـدة، فهـذه كلهـا مواقع النظر لكل ناظر.

---

[1])) في (د) سقط: واحد.
[2])) في (ك) سقط: والمرد.
[3])) في (د) سقط: وهذا نحو النظر.

الباطن: هو خلاف الظاهر، و**الظاهر**: ما ظهر أمـره، و**البـاطن**: مـا خفي أمره، و**الاهتمام**: هو الاجتهاد، واشـتقاقه ممّـا يهمّ الخـاطر، ويؤلمـه من الأمـور كلها، ومنه **الهمّ**؛ لأنه يلصق بقلب الإنسان، **والآجل من الـدنيا**: هـو المنتظـر، و**العاجل** منها: هو الحاضر.

الموت: هو نقيض الحياة، و**الخشيّة**: هي الخـوف، و**الترك**: نقيض الفعـل، و**العلم**: هو القطـع المحقـق بكـل مـا تعلـق بـه. **العارض**: هـو نقيض المسـتقر الثابت، ومنه قولهم: الدنيا عرض حاضر، والمطر عارض، و**النائل**: هـو العطـاء لا ينال المعطي، و**الرفض**: هو الـترك للشيء، يقـال: فلان رفض أعمالـه إذا تركها، و**الخدع** و**المكر** سيان، وهو الفساد من قـولهم: خـدع الريـق إذا فسـد، والخـدع والمكر والخيانة والختر كلها دالة على الفسـاد، و**الوضع**: خلاف الأخـذ. **الإخلاق**: نقيض الجِدّة، وهو من خَلِـق الثـوب إذا صـار ضـعيفًا، و**الخراب**: نقيض العمـارة، و**الموت**: نقيض الحيـاة، و**الهدم**: نقيض البنـاء، **والـبيع والشـراء**: معروفـان، وهما من عقود المعاوضات، و**الباقي**: نقيض الفـاني، و**الصرعى**: جمـع صـريع، وهو الساقط على جنبه، والقياس من (فعيل) من الصـفات، بمعـنى (مفعـول) أن يكون جمعه على (فعلى)، نحو صريع وصرعى، وقتيل وقتلى، وغير ذلك، و**النظر** هاهنـا: تقليب الحدقـة، نحـو المـرئي طلبًـا لرؤيتـه. **الخلو** هاهنـا: هـو التقـدم، و**المثلات**: هي العقوبـات. **الرؤية**: هاهنـا بمعـنى العلم؛ لأن الرؤيـة فيـه غـير معقولة، و**الدون**: هو الأمر المتوسط بين الشيئين، كما قال تعالى: [illegible][1]، وقوله: [illegible][2]، و**الرجاء**: هو الأمل، و**الحذر**: هو البعد عن الشيء، و**المحاذرة**: المباعدة.

فائـــــدة: اعلم أن أنس بن مالـــــك راوي هـــــذا الحـــــديث كـــــان

---

[1])) سورة الزمر من الآية 3. الشورى من الآية 6، 9.

[2])) سورة الأعراف من الآية 30.

رجلاً

ً من الأنصار، وكان خادمًا لرسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وكان كثير الخلطة له، والملابسة لأحواله فيما يحتاج إليه الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- ورُبّما خاطبه بخطاب الملاطفة، فكان تارة يقول له: يا بني، وتارة يقوله له: يا أنيس، ولقد قال يومًا: خدمت رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- عشر سنين فما قال لي في شيء فعلته من قبل نفسي[1]، لم فعلته؟ ولا في شيء تركته، هلا فعلته[2]، وعمِّرَ إلى زمن عبدالملك بن مروان، وكأنه[3] نزل العراق لحاجة له فدخل يومًا على الحجاج بن يوسف[4]، فقال له الحجاج: يومًا معنا ويومًا مع ابن الزبير[5]، فقال له أنس: من تعني أيّها الأمير؟ فقال: أنت صكّ الله مسامعك، فقال: والله لولا الصبية ما أبالي على أي حال متّ، ثم آذاه الحجاج وسبّه، وكان الحجاج وقحًا أحمق كثير العداوة لأهل الفضل من أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- خاصة، ولسائر المسلمين عامة، فكتب أنس إلى عبدالملك بن مروان كتابًا أطال فيه الشكوى والعتاب له، ويشكو إليه الحجاج، وقبح معاشرته له، حتى أنه قال في كتابه إليه: والله لو أن اليهود والنصارى وجدوا رجلاً خدم موسى بن عمران، أو عيسى بن مريم- عليهما السلام- يومًا واحدًا لفعلوا في أمره كذا وكذا، وأنا خدمت رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- عشر سنين، فما رأيتم

---

1 (?) في (د) سقط: من قبل نفسي.

2 (?) ينظر: حديقة الحكمة، 9.

3 (?) في (ك) كان.

4 (?) وهو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، ولد ونشأ بالطائف، ولاه عبد الملك بن مروان مكة والمدينة، ثم أضاف إليهما العراق، كان يخبر الحجاج عن نفسه أن أكبر لذته سفك الدماء، وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره، توفي بواسط سنة 95هـ. ينظر: وفيات الأعيان، 2/ 29- 53.

5)) وهو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، ولد في السنة الأولى من الهجرة، بويع سنة 64هـ، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام، وقاتل بني أمية، وانتهى الأمر بمقتله في مكة سنة 73هـ، بعد استمراره في الحكم تسع سنين. ينظر: الإصابة، 4/ 89- 94. الأعلام للزركلي، 4/ 87.

لي ذلك.

فلما وصل الكتاب إلى عبدالملك بن مروان قرأه وتصفحه، ثم كتب إليه كتابًا يظهر له في الحدّة والخشونة، قال فيه: أما بعد: يا ابن المستقرمة بعجم الـزبيب أنسيت محافر آبائك في الطائف، ونقلهم الأحجار على عـواتقهم، واللـه مـا أردت إلا أن تزورني بهذه، فإن سكت لك عنهـا مضيت قـدمًا، وإن رددتـك عنهـا عـرفت نفسك، والله لأغمزنك غمز الأسد الثعلب، فلمـا وصـل الكتـاب قـرأه، وامتثـل مـا قاله عبدالملك، وكتب الحجاج إلى أنس بن مالك يستعطفه، ويسترضـيه، ويشـفع إليه أن يكتب إلى عبـدالملك بـأن يرضـى عنـه، ففعـل ذلك[1]، وأقـول: لقـد أجـاد عبدالملك فيما فعل من الاعتراف بحقّ أنس ، وكفّ الحجـاج عمّـا أراد من أذيتـه، والوقيعة في عرضه.

المطلب الثاني: في بيان ما اشتمل عليه من العلوم الإعرابية

فقوله: «**قيل**» فعـل مـا لم يسـم فاعلـه، وفيـه ثلاث لغـات: قـول: بصـريح (الواو)، وأصله قول، ثقلت الكسرة على (الـواو) فحـذفت لثقلهـا، وقيـل: بصـريح (الياء)، وأصل قول، ثقلت الكسرة على (الواو) فحذفت فسكنت (الواو)، وانكسر ما قبلها فقلبت (ياء)، وقيل: بالإشمام[2]، إما بإشمام الكسرة صوت الضمة، وإمـا بإشمام الضمة صوت الكسرة، فكلاهما ممكن حاصل، وهما حاصلان أعني الضمة والكسرة في قول، وقد جاءت اللغات الثلاث فيه كلها. «**يا رسول الله**» منـادى مضاف، وليس هناك فاعل لما لم يسم فاعله، ولكنه مقدر، تقديره: قيل القول يا رسول الله، واسم «**الله**» مجرور بالإضافة.

---

1 (?) ينظر: تاريخ دمشق، 12/ 171- 174.

2)) الإشـمام: رَوْمُ الحـرف السـاكن بحركة خفية لا يعتـدّ بهـا، ولا تكسر وزنًـا. ينظـر: لسـان العرب، مادة (شمم).

«**من**» استفهامية عمّن يعلم، وهي في موضع رفع بالابتداء، و«**أولياء**» جمع وليّ، و(أفعال) هي قياس في (فعيل)، نحو: نبي وأنبياء، وصفي وأصفياء، وهو مرفوع على أنه خبر المبتدأ.

«**الذين**» اسم موصول يحتاج إلى صلة وعائد، وهو موصول بجملة ابتدائية، وهو قوله: «**لا خوف عليهم**»، و«**لا**» هاهنا هي التي يقع بعدها المبتدأ والخبر في قولك: لا زيد قائم ولا عمرو خارج، وليست هذه التي بمعنى (ليس)؛ لأن تلك قليلة الوقوع نادرة الاستعمال، وإنما جاز الابتداء بالنكرة؛ لما كانت في ضمن النفي العام، و«**عليهم**» جار ومجرور في موضع خبر المبتدأ، والعائد هو الضمير في قوله: «**عليهم**»، ويحتمل أن تكون «**لا**» بمعنى (ليس)، و«**عليهم**» في موضع نصب خبر لها.

«**ولا هم يحزنون**» جملة ابتدائية معطوفة على جملة سلبية على التقرير الذي لخصناه في الأولى. «**قال**»هو جواب للاستفهام، وأصله: قول؛ لأنه من (الواو) في تحرك حرف العلة، وهو (الواو) وانفتح ما قبلها، فقلبت (ألفًا)، والإعلال هو أصل في الأفعال، كما أن الإعراب أصل في الأسماء، وكل ما هو أصل في باب فهو دخيل في الباب الآخر لا محالة. «**الذين نظروا**» جملة موصولة بجملة فعلية، والفاعل هو «**الواو**»، وموضع الموصول من الإعراب فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مرفوعًا على أنه خبر المبتدأ، تقديره: قال: هم الذين نظروا، ويحتمل أن يكون منصوبًا على تقدير :أعني، فإما أن يكون مرفوعًا على الصفة للأولياء فهو ضعيف؛ لأن الصفة لا يفصل بينها وبين موصوفها بأجنبي عنها. «**إلى باطن الدنيا**» جار ومجرور في موضع نصب على المفعولية. «**الدنيا**»

في موضع جر بالإضافة لـ «**باطن**» إليها. «**حين**» منصوب على الظرفية يتعلـق بـ «**نظروا**»، و«**حين**» مضاف إلى الجملـة الفعليـة بعـده، ويحتمـل أن يكـون الحين مبـني على الفتح لإضـافته إلى غـير المتمكن، وهي الجملة، لكن الأول أحـق؛ لأن الأصل في الأسماء الإعراب، فلا حاجة بنا إلى البناء مع الاحتمال.

«**نظر الناس**» جملة فعلية في موضع جر بالإضافة **للحين** إليهـا على أحـد الاحتمالين. «**إلى ظاهرها**» جار ومجرور. «**واهتموا**» جملة فعلية، و«**الـواو**» عاطفة لجملة على جملة؛ لما بينهمـا من الملاءمة، والاتفـاق في مطلـق الفعليـة. «**بآجل الدنيا**» جـار ومجـرور في موضـع نصـب على المفعوليـة. «**الدنيا**» في موضـع جـر بإضـافة[1] مـا قبلهـا إليهـا. «**حين اهتم**» خـبر فيـه مـا ذكرنـاه من الاحتمـالين اللـذين سـبقا في غـيره. «**بعاجلها**» جـار ومجـرور ينتصـب على المفعولية، و«**الهاء**» ضمير لـ «**لدنيا**» يفسره ما قبلـه من ذكرهـا. «**فأمـاتوا**» «**الفاء**» للعطف، و«**أماتوا**» جملة فعلية منها جار ومجرور يتعلق بالفعل قبلهـا. «**ما**» موصولة. «**وخشوا**» صلة لها، ويحتمل أن تكون نكرة موصوفة بمـا بعـدها «**أن يميتهم**» في موضع نصب على المفعولية؛ لأن **خشي** يتعـدى إلى مفعـول واحد. «**وتركوا منها**» جملة فعلية. «**ما علموا**» «**ما**» فيهـا: الوجهـان اللـذان قدمناهما. «**أن سيتركهم**» في موضع نصب المفعولية لـ «**علموا**»؛ لأنه بمعنى المعرفة، فلا يكون له[2] إلا مفعول واحد.

سؤال: أراه قال: «**ما خشوا أن يميتهم**» فوجهه بالخشـية، وهي الظن، وقال: «**ما علموا أن سيتركهم**» فوجهه بالعلم، فما التفرقة بينهما؟

وجوابه: أن الذي أمـاتوا هـو حبّ الـدنيا من قلـوبهم، ولـو لم يميتـوه لغلب

---

[1])) في (د،م) بالإضافة. {وهو غير مناسب}.
[2] (?) في (ك،م) به. {وهو غير مناسب}.

الظن على أنه قاتل لهم، مهلك لمهجهم بالقرينة القويـة؛ لأن حبّ الـدنيا مهلـك لا محالة بغلبـات الظنـون، بخلاف تـركهم للـدنيا، فـإنهم قـاطعون لا محالـة على أن الدنيا منقطعة عنهم فانية من أيـديهم، قطعًـا ويقينًـا لا شـك فيـه، فافترقا. «**أن**» في قوله: «**أن سيتركهم**» هي المصدرية، لكنها غير عاملة لأجل (السين)، فهي التي عزلت عملها وأبطلته، كما قال تعالى: [illegible][1].

«**فما عرض**» «**ما**» نافية، و«**عرض**» فعـل مـاضٍ، وفاعلـه «**عـارض**». «**من نائلها**» جار ومجرور، و«**من**» لابتداء الغايـة. «**إلا رفضوه**» اسـتثناء مفرّغ في الجملة الفعليـة، والتقـدير: فمـا عـرض لهم من نائلهـا عـارض فعلـوا بـه شـيئًا إلا رفضوه، وإن قدرناه بالاسم كـان بـدلاً من عـارض، أيْ: مـا عـرض لهم عـارض إلا الرفض، كقولك: ما جاءني أحد إلا زيد، ويصح فيه النصب: إما على الانقطاع، وإما على أصل الاستثناء، وليس كقوله تعالى: [illegible][2]؛ لأن هذا يجب نصبه؛ لكونه موجبًا، ولكن نظيره قوله تعالى: [illegible][3] على قـراءة النصـب، إذا قلنـا: إن المـرأة مسريّ بهـا، فالنصب لا يكون إلا بما ذكرناه، وفي الآية أسرار بديعة في قراءة الرفع والنصب، وفي كون المرأة مسري بها أو غير مسري، ذكرناها في شرحنا لكتاب (المفصل)[4]، فليطلب من هنالك.

«**ولا خادعهم**» «**لا**» هاهنـا نافية، و«**خـادعهم**» جملـة من فعـل وفاعـل ومفعــول، و«**خــادع**» مرفــوع على الفاعلية، و«**من رفعتها**» جــار ومجــرور، و«**من**» لابتــداء الغايــة. «**إلا وضــعوه**» الكلام في «**وضــعوه**» من الإعــراب،

---

1 (?) سورة المزمل من الآية 20.

2 (?) سورة البقرة من الآية 249.

3)) سورة هود من الآية 81.

4)) المحصل في كشف أسرار المفصـل، يحـيى بن حمـزة العلـوي، أطروحة دكتـوراة مقدمة من خالد عبد الحميد أبو جندية إلى كلية اللغة العربيــــة، جامعة الأزهـــــر،عــــام 1982م ، القاهرة، مصر.

والاستثناء مثل ما ذكرناه في «**رفضوه**» سواء. «**خَلقت الدنيا**» فعـل وفاعـل. «**عندهم**» مضاف، ومضاف إليه، و«**عند**» منصوب على الظرفية للمكان.

«**فمـا يجـددونها**» «**ما**» هاهنـا نافيـة، و«**الفـاء**» للعطف، والاسـتئناف. «**يجـددونها**» فعـل مضـارع، وفاعلـه «**الـواو**»، والضـمير مفعـول. «**وخـربت بينهم**» جملـة فعليـة معطوفـة على مـا قبلها، و«**بينهم**» ظـرف مضـاف إلى الضمير. «**فما يعمرونها**» جملة سلبية معربة بالرفع لأجل المضارعة. «**وماتت في صدورهم**» جملـة موجبـة ماضـية، و«**في صـدورهم**» جـار ومجـرور في موضـع المفعـول. «**فمـا يحيونها**» جملـة فعليـة سـلبية، و«**الـواو**» ضـمير، و«**الياء**» التي هي (لام) الفعل محذوفة لأجل التقاء الساكنين، «**بل يهدمونها**» «**بل**» للإضراب، و«**يهدمونها**» جملة موجبة معربـة بـالنون، و«**الواو**» ضـمير. «**فيبنون بها آخرتهم**» جملة موجبة مضارعة، و«**بها**» جار ومجرور، و«**الباء**» هاهنـــا للاســـتعانة، كقولـــك: كتبت بـــالقلم. «**ويبيعونها**» جملـــة مضـــارعة. «**فيشترون**» جملة معربة مضارعة، و«**بها**» جار ومجرور.

«**مـا يبقى لهم**» «**ما**» موصـولة في موضـع نصـب على المفعوليـة لــ «**يشترون**». «**ونظـروا**» جملـة موجبـة ماضـية. «**إلى أهلها**» جـار ومجـرور يتعلقان بما قبلهمـا من الفعـل. «**صرعى**» جمـع صـريع في موضـع نصـب على الحـال من «**الـواو**» في «**نظـروا**». «**قــد خلت**» جملــة محققــة بـ «**قد**». «**قبلهم**» ظرف مضاف إلى الضمير. «**فما يرون**» جملة سلبية معربة بـالنون، و«**الواو**» ضمير، و«**المَثُلات**» جمع مثلة، وهو جمع المؤنث السالم، كالزينبـات، وسماعنا بفتح الميم، وضمّ الثاء، والقياس فيه بضم الميم؛ لأنه جمع لمثلـة، مثـل: غدوة وبكرة، لكن فتحت الميم سماعًا، اللهم إلا أن يسـمع في واحـدة مثلـة بفتح

الميم، والضم في الثاء، فعند هذا يكون جمع على «**المثلات**» قياسًا، نحو تمرة وتمرات، وسدرة وسدرات.

«**أماثًّا**» مفعول منصوب على المفعولية لـ «**يرون**». «**دون**» نصب على الظرفية. «**ما يرجون**» «**ما**» موصولة في موضع جر بإضافة «**دون**» إليها. «**ولا خوفًا**» منصوب على العطف على «**أماثًّا**» «**دون**» منصوب بالظرفية. «**ما يحذرون**» «**ما**» موصولة، والعائد محذوف، أيْ: يحذرونه، ويحتمل أن تكون مصدرية، أيْ: دون حذرهم، ورجائهم، فهذا هو الإعراب لألفاظه.

النظر الثاني: في بيان ما اشتمل عليه من العلوم في البلاغة

وفيه مباحث ثلاثة:

البحث الأول: في بيان ما تضمنه من العلوم المعنوية

فإنما صدّره بفعل ما لم يسم فاعله مبالغة في حذف الفاعل، والإبهام فيه من أجل ذلك، كما قال تعالى: [illegible][1]، [illegible][2][3]، إلى غير ذلك ممّا حذف فاعله من أجل الإبهام. «**يا رسول الله**» منادى تفطنًا بالنداء، وإيقاظًا عن الغفلة. «**من أولياء الله**»، فـ «**من**» هاهنا استفهامية أتى بها من أجل الاستعلام والاستخبار عن الأولياء الذين من صفتهم أنه لا ينالهم خوف، ولا حزن، فالذي أتى به من أجل تعريف حالهم بهذه الصفة. «**قال**» ذكره جواب لما ذكره من الاستفهام «**الذين**» جاء موصول أيضًا يوضح أمر الموصول الأول.

«**نظروا**» هو صلته، وإيراد المسند إليه إما بالفاعلية، أو بالمبتدأ وارد في

---

[1] (?) سورة هود من الآية 44.
[2] (?) السورة نفسها ومن الآية نفسها.
[3] (?) سورة التحريم من الآية 10.

التنزيل كثيرًا، وما ذاك إلا من أجل ما يحصل من الفوائد الكثيرة، والنكت الغزيرة من أجل الصلة المتجددة، فهي مشتملة على معانٍ كثـيرة متجـددة حادثـة يـدريها أهل الفطانة، ويستولي عليها من كان له أدنى ذوق. «**باطن الدنيا**» هو ما تصير إليه، ويؤول إليه أمرها، و«**نظر الناس**» إنما كان في ظاهرهـا، ومـا يحصـل لهم منها من حطام. «**فأماتوا منها**» ترك[1] الالتفات إليه ما ظنوا أنه يميت قلـوبهم بالقسوة، فهذه كلها جمل دالة على مـا تـرى من هـذه الحكم العظيمة، ثم أردفـه بقوله: «**فما عـرض لهم من نائلها عـارض إلا رفضـوه**» فهـذه جملـة قـد اشتملت على الجملة السلبية، والاستثناء بعدها من أجل ما يحصـل في الكلام من التحقق والثبوت بالاستثناء، ثم استأنف الأمـر بكلام آخـر بقولـه: «**خلقت الدنيا عندهم فما يجددونها**» بالإيثار والمحبة في قلوبهم، وخـربت بالإهمـال، «**فما يعمرونها**» بالتذكر والتعطف عليها. «**وما تت في صدورهم فما يحيونها**»، ثم :كأنه أعرض عمّا سلف من أمر الدنيا ووصفها، واستأنف بقولـه: بـل «**يبنـون بها آخرتهم ويبيعونها فيشترون بها**» آخرتهم، وهو الذي يبقى في الحقيقة لهم. «**ونظروا**» أيضًا بعين التفكر والبصيرة إلى أهلها كما نظـروا إليهـا صـرعى قـد صـرعتهم المنايا، و«**خلت**» مضـت من «**قبلهم المثلات**» العقوبـات بمـا حصـل على من كـان قبلهم من الأمم الماضـية، والقـرون الخاليـة، فـإن اللـه قـد أصـابهم بالعقوبـات بمـا حصـل على من كـان قبلهم من الأمم الماضـية، وقطـع دابرهم بالمصيبات، كما قال: [illegible][2] «**فما يرون أمانًّا**» من جميع المخاوف كلها إلا كان رجاؤهم لمـا يحصـل من ثـواب اللـه تعـالى أعظم من كـل أمـان، ولا يرون خوفًا، وإن عظم من جميع المخاوف دون مـا يحـذرون ويفرحـون ويفرقـون

---

1 (?) في (د) بترك.

2)) سورة الرعد من الآية 31.

من عذاب الله، فهذه جملة ما اشتمل عليه من علوم المعاني، قـد سـردناها على هذا السرد، وأنت إذا تأملتها وجدتها مشتملة على الأمور الموصولة المسند إليهـا: إما بالفاعلية، وإما على جهة الابتداء، وعلى إضمار المسند إليه؛ لتقدم ما يفسـره من الظـواهر، وعلى تصـدير الجملـة بـالنفي والإثبـات بالاسـتثناء، وهكـذا حـال الحروف المتعلقة نحو: (من، وإلى، وعلى، وفي) فإن هذه الأحرف كلها كل واحـد منها يختصّ بموقع ومعنى غير معنى الآخر، وموقعـه وصـاحب المعـاني هـو الـذي يتكلم على أسرارها ومعانيها، ويعطى كل حرف منها ما يستحقه، وكل واحد منهـا ما يختصّ بموقعه الذي وقع فيه ولو وقع غيره من حروف المعاني موقعه لم يعط فائدته، ولم يجد جدواه، فهكذا يكون النظر في علوم المعـاني على هـذه الكيفية، والله أعلم.

البحث الثاني: في بيان ما اشتمل عليه من العلوم البيانية

واعلم أن مورده هو الاستعمالات المجازية، والاستعارات الرائقة، ونحن نورد ما تضمنه منها، وبالله التوفيق.

المجاز الأول: قوله: «**قيل**»، وقد صدّرها باسـتعمال الفعـل لمـا لم يسـم فاعله، وهو مجاز لما فيه من حذف الفاعل المحقق، وإقامة المصدر مقامه.

المجاز الثاني: **الباطن والظاهر للـدنيا**، فإنهمـا مجـازان؛ لأن الغـرض بـالنظر هـو تقليب الحدقـة لأجـل المـرئي، فلا جـرم كانـا مجـازين؛ لأن المقصـود **بالباطن والظاهر** إنما هو ما يرجع عاقبة الأمر فيهـا، **فباطنهـا** أنهـا منقطعـة زائلة نافرة طيارة، و**الظاهر** منها ما يبدو من رونقها وزخرفها الغار لمن اغتر به.

المجـاز الثـالث: **حـرف الجر** في قولـه: **إلى باطنهـا وإلى ظاهرها**، فإن «**إلى**» أصلها وحقيقتها للغاية التي ينقطع عندها التصرف، وهـذا ليس حاصلا هاهنا، فلهذا كان مجازًا.

المجـاز الرابع: «**البـاء**» في قولـه : **بالآجـل والعاجل**، فـإن حقيقتهـا للإلصاق، ولا معنى للإلصاق هاهنا؛ لأن الإلصاق إنما هو المضامة والملامسة، وهما غير حاصلين، فلهذا حكمنا بالمجازية كما ترى.

المجاز الخامس: **الإماتة** في قوله: «**فأماتوا مـا خشـوا أن يميتهم**» لأن الموت هاهنا لا حقيقة له، وإنما هو مجاز في غاية الرشاقة والحسن.

المجاز السادس: الترك، فإنه مجاز في تركهم للـدنيا وتـرك الـدنيا لهم بالانقطاع والزوال، وفي تركهم لها بالإعراض التولي عنها.

المجاز السابع: **العارض والرفض**، فإنهمـا مجـازان في الاسـتعمال؛ لأن **العارض** حقيقة، و**الرفض** حقيقة لا يستعملان هاهنا.

المجــاز الثــامن: الخــادع والوضع ، فالمجــاز في حقهمــا ظــاهر في الاستعمال كما ترى.

المجاز التاسع: الإخلاق والإجداد، فإنهما مجـازان؛ إذ لا حقيقـة للإخلاق والجِدة هاهنا.

المجاز العاشر: الإماتة والإحياء، فإنهما مجازان لا محالة.

المجاز الحادي عشر: الهدم والبناء، فإنهما مجازان؛ لأن الهـدم والبنـاء لا يعقلان في الدنيا.

المجاز الثاني عشر: البيع والشراء، فإنهمـا مجـازان؛ إذ لا يعقـل لهمـا حقيقة في الدنيا.

المجاز الثـالث عشـر: اسـتعمال **الرؤية** بمعـنى العلم هاهنـا مجـاز؛ لأن حقيقة الرؤية للإدراك.

فهذه المجازات حاصلة في هذا الحديث، وأكثر جريـان خطـاب[1] صـلى اللـه

---

[1])) في (د،م) سقط: خطاب. {وهو سقط مخلّ}.

عليه وآله وسلم على جهة المجاز؛ لما في المجاز من الرّقة واللطافة، ولما يحصل للكلام لسببه من البلاغة والفصاحة، والله أعلم.

البحث الثالث: في بيان ما اشتمل عليه من علوم البديع

وهو كلامه[1] في تحسين التأليف والنظم، وقد اشتمل على أساليب خمسة:

الأسلوب الأول: السجع، وهذا كقوله: «**ظاهرها**»،و«**عاجلها**» فإنه سجع؛ لاتفاقهما في الأوزان، وقوله: «**يميتهم**»، و«**سيتركهم**» فإنه كله سجع، وقوله: «**يجددونها**»، و«**يعمرونها**»، و«**يهدمونها**»، وقوله: «**يرجون**»، و«**يحذرون**».

الأسلوب الثاني: الترصيع، ومثاله: «فما عرض لهم من نائلها عارض إلا رفضوه، ولا خادعهم من رفعتها خادع إلا وضعوه» فقد تقارنت السجعتان في الكلام والأوزان والأعجاز، فلا جرم كان ترصيعًا.

الأسلوب الثالث: الطباق، وهو ذكر النقيضين جميعًا، ومثاله: الباطن والظاهر، والعاجل والآجل، والإخلاق والجدة، والخراب والعمارة، والموت والحياة، والبناء والهدم، وكله طباق كما ترى؛ لاشتماله على ذكر الضدين والنقيضين.

الأسلوب الرابع: التجنيس، ومثاله قوله: «ما خشوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم»، وقوله: «نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها».

الأسلوب الخامس: الفصاحة والبلاغة، فالفصاحة في ألفاظه، وأنت إذا فكرت في ألفاظ هذا الحديث وجدتها مشتملة على العذوبة والحلاوة، وإذا فكرت في تأليفها ونظامها وجدتها، فقد رتبت على أحسن ترتيب، وسيقت على

[1])) في (د،ك،م) كلام. {ولعله المناسب}.

أحسن[1] سياق.

وأما البلاغة؛ فإذا نظرت فيما اشتمل عليه من المعاني وجدتها قـد بلغت في البلاغـة مبلغًـا عظيمًـا من جزالـة المعـاني فيمـا تضـمنته من الوعيـد، ومن رقـة المعاني فيما تضمنه من الوعد، وهكذا ترى القرآن، فحيث كان الوعـد وجدتـه في غاية الرقة والعذوبة، وحيث كان الوعيد وجدتـه في غايـة الجزالة، وإذا تـأملت آي القرآن والسّنة وجدتهما كما أشرنا إليه،وبالله التوفيق.

النظر الثالث: في بيان مقاصده صــلى الله عليه وآله وسلم

اعلم أن كلامه عليه السلام إنما هو في معرفة أولياء الله الذين عنـاهم اللـه بقوله: [illegible][2]، فأجاب بأنهم التاركون للدنيا المائلون عن مقاصدها.

فاعلم[3] أن الدنيا عـدوّة للـه تعـالى، وعـدوّة لأوليائـه، وعـدوّة لأعدائه، فأمـا عداوتها لله؛ فإنها قطعت بين الأولياء، وبين اللـه تعـالى، وصـارت مانعـة لهم عن الوصول إلى طاعته والفـوز بكرامته، ولهـذا فـإن اللـه تعـالى لم ينظـر إليهـا منـذ خلقها.

وأما عداوتها لأوليائه؛ فلأنهـا تـزينت لهم بزينتهـا، وعمتهم بزهرتهـا ونظارتهـا حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتهـا، والفطـام عنها؛ ولهـذا قـال صـلى اللـه عليه وآله وسلم: «يا دنيـا مُـرّيْ على أوليـائي لا تحلـولي لهم فتفتـنيهم»[4]، وأمـا عداوتها لأعداء الله؛ فإنها استدرجتهم بمكرها ومكيدتها، واقتنصتهم بشبكتها حــتى

---

1 (?) في (د،م) أعجب.

2 (?) سورة يونس الآية 62.

3 (?) في (د) الواو بدلاً عن الفاء.

4 (?)مسند الشهاب، 2/ 325.

وثقوا بها وعوّلوا عليها فخـذلتهم، وصـرعتهم؛ فـاجتنوا منهـا حسـرة تنقطـع دونهـا الأكباد، ثم حرمتهم السعادة أبد الآباد، ولهـذا قـال صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «اتقوا الدنيا فإنها أسحر من هاروت وماروت»[1]، فإذا عرفت هـذا فلنـورد كلامـه صلى الله عليه وآله وسلم، ونظهر مقاصده.

قوله صلى الله عليه وآله وسـلم في جـواب السـائل: هم «**الـذين نظـروا إلى باطن الدنيا حين نظر النـاس إلى ظاهرها**» اعلم أن **بـاطن الـدنيا** هو غايتهـا ومآلهـا الـذي تـؤول إليـه من التغـير والـزوال والانقطـاع والاضـمحلال، **وظاهرها** هو رونقها وزينتها، وأراد بذلك هو أن كل من نظر الدنيا بعين التحقــير وتأمل باطنها بعارض التفكير، فإنـه لا ينخـدع بغـرور ظاهرهـا؛ لأنـه لا دوام لـه ولا بقاء ولا استقرار؛ لتقلب أحوالها وتغيرها وزوالها، بينا ترى الغني فيها غنيًّا متمــولاً إذ صار فقيرًا معدومًا، وبينا تراه فقيرًا إذ صار غنيًّا أميرًا، عزها يصير ذلاً، وسـلمها يؤول حربًا، وحبها بغضًا، وبغضها حبًّا، فكم من عارٍ أمسى فيهـا كاسـيًا؟! وكم من كاسي أمسى عاريًا، وكم من مكثر أصبح وحيدًا وفردًا، وكم من مقل وضعيف قاد في يوم واحد جنودًا؟! هذا مع أن كل زيادة فيها نقصان، وكل ربح فيها يــؤول إلى خسران وسرور إلى أحزان، فليس لها حال يستقر ولا صفة تنحصر، فأما من نظر إلى ظاهرهـا فقـد انخـدع بلامـع السـراب، وكـان من أمـره على زلـزال وشـك وارتياب؛ لأنه يظن حلاوة ظـاهرة، من تحتهـا مـرارة قـاهرة، ولذّة عاجلـة، يتلوهـا تبعة هائلة ومضرّة قاتلـة، وكأنـه أعجبـه منهـا الخضـرة والأنهـار[2]، ولم يفكـر في القحول والاصفرار والتنكر والدمار، فعلق قلبه بأغصان عمّـا قليـل تعـود هشـيمًا، وبنسيم نسيمًا ينقلب على القرب سمومًا وحميمًا.

---

1 (?) شعب الإيمان، 7/ 339.

2 (?) في (د،ك،م) الأزهار.

ورُوي أن الله تعالى لمّا أهبـط آدم- عليـه السـلام- إلى الأرض قـال لـه: ابنِ للخراب، ولد للفناء[1]، وقيل: إنه وجد في صحف إبراهيم- عليه السلام: يا دنيا مـا أهونك على الأبرار الذين تصـنعت، وتـزينت لهم، إني قـذفت في قلـوبهم بغضـك، والصدود عنك، وما خلقت خلقًا أهون علي منـك، كـل شـأنك صـغير، وإلى الفنـاء يصير، وقضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومي لأحد ولا يدوم لك أحد، وإن بخل بك صاحبك وشحّ عليك كان تحسره كثيرًا، طوبى للأبرار الذين أطلعـوني من قلـوبهم على الرضا، ومن ضمائرهم على الصـدق والاسـتقامة، طـوبى لهم مـا عنـدي لهم من الجـزاء، إذا وفـدوا إلي من قبـورهم النـور يسـعى من بين أيـديهم وأمـامهم، والملائكة حافون بهم، حتى أبلغهم ما يرجون من رحمتي[2]، وقال أبو هريرة: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «يا أبا هريرة ألا أريك الدنيا جميعهـا بمـا فيها»؟ قلت: بلى- يا رسول الله-، وأخذ بيـدي، وأتى بي واديًّا من أوديـة المدينـة، فإذا بمزبلة فيها رؤوس ناس وعذرات وخرق وعظام، ثم قال: «يا أبا هريرة هـذه الرؤوس كانت تحرص حرصكم، وتأمل آمالكم، ثم هي الآن عظام بلا جلد، ثم هي صائرة رمادًا، وهذه العـذرات ألـوان أطعمتهم اكتسـبوها من حيث اكتسـبتوها، ثم قـذفوها من بطـونهم، فأصـبحت، والنـاس يتحامونها، وهـذه الخـرق الباليـة كـانت رياشهم ولباسهم، فأصبحت الرياح تصفقها، وهذه العظام عظام دوابهم التي كان ينتجعون عليها أطراف البلاد، فمن كان باكيًّا على الدنيا فليبك»، فمـا برحنـا حـتى اشتد بكاؤنا[3].

وقال عيسى- صلوات الله عليه-: لا تتخذوا الدنيا ربًّا فتتخذكم عبيـدًا، اكـنزوا كنزكم عند من لا يضيعه، فإن صاحب كنز الدنيا يخشى عليه الآفـة، وصـاحب كـنز

---

1 (?) حلية الأولياء، 3/ 286.
2 (?) ينظر: حلية الأولياء، 10/ 158، 159.
3 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 203.

الله لا يخشى عليه الآفة، وقال: يا مشعر الحواريين إني قد كببت لكم الـدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي، فإن من خبث الدنيا أن الله تعالى عصي فيهـا، وإن من خبث الدنيا أن الآخرة لا تدرك إلا بتركها، ألا فاعبروا الـدنيا ولا تعمروهـا، واعلمـوا أن أصل كل خطيئة حب الدنيا، ورُبّ شهوة ساعة أورثت حزنًا طويلاً، وقال أيضًا: بطحتم الدنيا، وجلسـتم على ظهرهـا، فلا ينـازعنكم فيهـا الملـوك والنسـاء، فأمـا الملوك فلا تنازعوهم الدنيا فإنهم لن يتعرضـوا لكم مـا تركتمـوهم ودنيـاهم، وأمـا النساء فاتقوهن بالصوم والصلاة[1].

ورُوي أن سـليمان بن داود- عليــه السـلام- مرّ في موكبه، والطــير تظلــه، والجن والإنس عن يساره ويمينه، فمرّ بعابد من عباد بني إسرائيل، فقـال: والله- يـا ابن داود- لقـد آتـاك اللـه ملكًـا عظيمًـا، فسـمع سـليمان، فقـال: تسـبيحة في صحيفة مؤمن خير ممّا أعطي ابن داود، فإن ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة لا تذهب[2]، وقال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-: «الدنيا دار من لا دار لـه، ومال من لا مـال لـه، ولهـا يجمـع من لا عقـل لـه، وعليهـا يعـادي من لا علم لـه، وعليها يحسد من لا فقه له، ولها يسعى من لا يقين له»[3].

ورُوي في أخبار آدم- عليـه السـلام- أنـه لمّـا أكـل الشـجرة تحـركت معدتـه ليخرج الثقل والعذرة، ولم يكن ذلك مجعـولاً في شـيء من أطعمـة الجنـة إلا في هذه، فلهذا نهيا عن أكلها، فجعل يدور في الجنّة، فأمر اللـه ملكًـا يخاطبـه، فقـال له: أيّ شيء تريد؟ قال: أريد أن أضع ما في بطني من الأذى، فقيـل للملـك: قـل له في أيّ مكان تضـعه على الفـرش؟ أم على السـرر؟ أم على الأنهـار؟ أم تحت

---

[1] (?) ينظر: نفسه.
[2] (?) ينظر: تاريخ دمشق، 22/ 275.
[3] (?) إحياء علوم الدين، 3/ 203.

ظلال الأشجار، هل ترى هاهنا موضعًا يصلح لذلك؟ ولكن اهبط إلى الدنيا[1].

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**واهتموا بآجل الدنيا حين اهتم الناس بعاجلها**» أراد أن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا حزن من شأنهم وعادتهم أنهم لا يهتمون بعاجل الدنيا ولا يرعونها طرفًا؛ لأن ذلك دأب من غلبت عليهم الشقاوة، وأكبوا على الشهوات، وجنحوا إلى استعمال اللذات فاغتروا بزهرة غرورها، ولم يتفكروا في عاقبة أمورها، فطعموا حلاوتها ولم يطعموا مرارتها، وافتتنوا بزهرتها الفانية ونظارتها الحقيرة البالية فندموا على الإيثار، وأسفوا على الانقياد للركون إلى دار البوار [2]، وأما الذين اهتموا بآجل الدنيا فهو الموت والزلزال والتغير والانتقال وتقلّب الأحوال وانقطاع الآمال، فلا تزال همومهم إليه طالعة، وأفكارهم لعقاب شدائده فارغة، فأسهروا لياليهم ذكرًا وتفكرًا، وقطعوا أيامهم عزمًا وصبرًا لما تحققوه قطعًا ويقينًا، أن رُبّ مستقبل يومًا لم يستكمله، ونائم ليلاً لم ينمه، ومنتظر غدًا لم يصله، وباذر لم يحصد، وحاصل لم يأكل.

ورُوي أن جبريل- صلى الله عليه- قال يومًا لنوح: يا أطول الأنبياء عمرًا كيف وجدت الدنيا؟ قال: كدار لها بابان دخلت من أحدهما، وخرجت من الآخر[3].

وقال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- وقد خرج يومًا على أصحابه، فقال: «هل منكم من يريد أن يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرًا؟ ألا إنه من رغب في الدنيا فطال أمله فيها أعمى الله قلبه على قدر ذلك، ومن زهد في الدنيا وقصر أمله فيها أعطاه الله علمًا بغير تعلم، وهدى بغير هداية، ألا إنه سيكون بعدي قوم لا يستقيم لهم الملك إلا بالقتل والتجبر، ولا الغنى إلا بالفخر

---

1)) ينظر: نفسه، 3/ 204.
2)) سورة إبراهيم الآية 29.
3)) إحياء علوم الدين، 3/ 204.

والبخل، ولا المحبة إلا بإتباع الهوى، ألا فمن أدرك ذلـك الزمـان منكم فصـبر على الفقر، وهو يقدر على الغنى، وصبر على البغضاء وهـو يقـدر على المحبـة، وصـبر على الذلّ، وهو يقدر على العزّ لا يريد بذلك إلا وجه الله تعالى أعطاه اللـه ثـواب خمسين صديقًا»[1].

ورُوي عن عيسى- صلوات الله عليه- أنه لمّا اشتدّ به المطـر والـبرق والرعـد يومًا فجعل يطلب شيئًا يلجأ إليه، فـرفعت لـه خيمـة من بعيـد، فأتاهـا ، فـإذا فيهـا امرأة، فحاد عنها، فإذا هو بكهـف في جبـل، فأتـاه فـإذا فيـه أسـد، فرفـع يـده إلى السماء، وقال: إلهي جعل لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى، فأوحى الله إليــه: مأواك مستقر رحمتي، لأزوجنك يوم القيامة مائـة حـوراء خلقتهـا بيـدي، ولأطعمن في عرســـك أربعـــة آلاف عـــام، يـــوم منهـــا كعمـــر الـــدنيا، ولأمـــرنّ مناديًا ينادي: أين الزهاد في الدنيا، زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم[2]، وقـال أيضًـا: ويل لصاحب الـدنيا يمـوت ويتركهـا ويأمنهـا وتغرّه، ويـل للمغـترين كيـف أرتهم مـا يكرهون!! وفارقهم ما يحبون، وجاءهم ما يوعدون، ويل لمن الدنيا همه، والخطايـا عمله، كيف يفتضح غدًا بذنبه[3].

قيل: وأوحى الله إلى موسى- صلوات الله عليه-، فقال له: يا موسـى مالـك ولدار الظالمين، إنها ليست لك بدار، أخرج منها همّـك، وفارقهـا بعقلـك، فبئسـت الدار هي إلا لعامل فيها خيرًا فنعمت الدار، يا موسى إني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم[4]، ورُوي أن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- بعث أبا عبيدة

---

1 (?) ينظر: تيسير المطالب، 496، 497.
2 (?) ينظر: تاريخ دمشق، 47/ 421.
3 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 205.
4 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 205.

بن الجراح[1]، فجاءه بمال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدومه، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، فلما صلى رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- الفجر انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- حين رآهم، ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء» قالوا: أجل- يا رسول الله- فقال: «أبشروا وأملوا ما يسركم، فو الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من بسطت كان قبلكم، فتنافسوا فيها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم»[2]، وقال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا»[3]، فنهانا عن الاشتغال بذكرها فضلاً عمّن أصابه غناها، والطمع في حطامها، وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض»، فقيل: ما بركات الأرض؟ قال: «زهرة الدنيا»[4].

ورُوي أن عيسى بن مريم- صلوات الله عليه- مرّ بقرية فإذا أهلها موتى في الأفنية والطرقات، فقال: يا معشر الحواريين، هؤلاء ماتوا عن سخطة الله تعالى، ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا، فقالوا:- يا روح الله- وددنا أنّا عرفنا خبرهم، فسأل الله، فأوحى الله إليه: إذا كان الليل فناداهم، فلما كان الليل أشرف على نَشَزٍ ثم نادى: يا أهل القرية، فأجابه مجيب: لبيك يا روح الله، فقال: ما حالكم وما قصتكم؟ قالوا: بتنا في عافية، وأصبحنا في الهاوية، قال: وكيف ذلك؟ قالوا:

---

1 (?) وهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشي، شهد المشاهد كلها مع النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- هاجر الهجرة الثانية إلي الحبشة، وهو من كبار الصحابة، توفي بطاعون عمواس سنة 18هـ، بالأردن. ينظر: الاستيعاب، 4/ 1710، 1711.

2 (?) صحيح مسلم، 4/ 2273.

3 (?) شعب الإيمان، 7/ 361.

4 (?) نفسه، 7/ 274.

بحبّ الدنيا، وطاعتنا أهـل المعاصـي. قـال: وكيـف كـان حبكم للـدنيا؟ قـال: حبّ الصبي لأمه، إذا أقبلت فرحنا، وإذا أدبرت حزنّا وبكينا. قال: فما بـال أصـحابك لم يجيبوني؟ قال: لأنهم ملجمون بلجم من نار بأيدي ملائكة غلاظ شداد. قـال: كيـف أجبتني أنت من بينهم؟ قال: لأني كنت فيهم ولم أكن منهم، فلما نزل بهم العذاب أصابني معهم، فأنـا معلـق على شـفير جهنم لا أدري أأنجـو منهـا أم أكبكب فيهـا، فقـال المسـيح- عليـه السـلام- للحـواريين: لأكـل خـبز الشـعير بـالجريش، ولبس المسوح، والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة[1].

وقال أنس بن مالك: كان للرسول- صلى الله عليه وآلـه وسـلم- ناقـة يقـال لها العضباء لا تسبق، فجاء أعرابي بناقة له، فسبقها، فقال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «حقّ على الله أن لا يرفع شيئًا من الـدنيا إلا وضـعه»، بعـد أن شقّ على المسلمين سبق الأعـرابي لها[2]، وقـال عيسـى بن مـريم: من ذا الـذي يبني على أمواج البحر دارًا، إيـاكم الـدنيا لا تتخـذوها قـرارًا، وقيـل لعيسى- عليـه السلام-: علمنا علمًا واحدًا يحببنا الله تعالى عليه. قال: ابغضوا الـدنيا يحبكم اللـه تعالى[3].

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فأماتوا منها مـا خشـوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم**» أراد أن الأولياء الذين قـدم ذكـرهم لم يعمـروا فيهـا خرابًا، ولم يشـيدوا فيهـا قصـورًا ولا قبابًـا، ولم يتعلقـوا بشـيء من أسبابها، وأغلقوا عن أنفسهم جميع أبوابها؛ لمّـا تحققـوه من حالهـا أنهـا تميت من أخلـد إليهـا، وتغـدر بمن ارتكن إليها[4]، كم من مطمئن إليهـا قـد صـرعته لليـدين

---

[1] (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 205.
[2] (?) صحيح البخاري، 3/ 1053.
[3] (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 206.
[4] (?) في (ك،م) عليها.

وللفم، ومفتـون بحلاوتهـا قـد جرعتـه كأسـًا مريـرة من العلقم، ومتخـذ لهـا أمًّا فغادرته يتيمًا ومشغولاً بحبها، حتى فارقته كليمًا، فلما نظـر أوليـاء اللـه إلى ذلـك في غيرهم اعتبروا به منها، واكتفوا به بما خشوا منها، فعملـوا بالوثيقـة، وجزمـوا على الحقيقة، وسلكوا أوسط طريقة، وعلموا أنها تترك صـاحبها أحـوج مـا يكـون إليها، فتركوها زهدًا فيها، ورغبة عنها، وأنفة على تقواهم، وحمية على أنفسهم أن يحيوا ميتها، ويعمروا خرابها، فاعلم أنه لا يغـتر بهـا إلا مغـرور، ولا يقبـل عليهـا إلا مفتون مثبور.

ويُحكى عن أبي الـدرداء أنـه قـال: قـال رسـول الله- صـلى اللـه عليـه وآلـه وسلم-: «لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثـيرًا، ولضـحكتم قليلاً، ولهـانت عليكم الـدنيا، ولآثرتم الآخرة عليها»[1]، ثم قال أبو الدرداء من قِبـل نفسـه: لـو تعلمـون مـا أعلم لخرجتم إلى الصـعداء تبكـون على أنفسـكم، ولـتركتم أمـوالكم بلا حـارس لها، ولا راجع إليهـا، إلا مـا لا بدّ لكم منـه، ولكن يغيب على قلـوبكم ذكـر الآخـرة وحضـرها الأمل، فصارت الدنيا أملك بأعمالكم، وصرتم كالذين لا يعلمـون، فبعضـكم شرّ من البهائم التي لا تدع هواها؛ مخافة مما في عاقبته ضرّ عليهـا، مـالكم لا تحـابون، ولا تناصـحون، وأنتم إخـوان على دين مـا فـرق بين أهـوائكم إلا خبث سـرائركم، ولـو اجتمعتم على البرّ لتحاببتم[2]، وقـال عيسى- عليـه السـلام-: يـا معشـر الحـواريين أرضـــوا بِـــدني في الـــدنيا مـــع ســـلامة الـــدين كمـــا رضـــي أقـــوام بِـــدني الدّ

ِين مع سلامة الدنيا[3]. ولقد صدق من قال من الشعراء:

أَرَى رِجَـــالاً[4] بِـــأَدْنَى الدِّيْنِ قَـــد   وَلا أَرَاهُم رَضـــُوا فِيْ العَيْشِ

[1] (?) إحياء علوم الدين، 3/ 206.

[2] (?) ينظر: نفسه.

[3] (?) ينظر: تاريخ دمشق، 47/ 441.

قَاسْتَغْنِ بِالـدِّيْنِ[1] عَن دُنْيَـا المُلُـوكِ   لـلدِّيْن[2].

وقال عيسى- عليه السلام-: يا طـالب الـدنيا لتـبرّ تركـك للـدنيا أبرّ[3]، وقـال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-: «لتأتينكم بعدي دنيا تأكل إيمانكم كما تأكل النار الحطب»[4]، وأوحي إلى موسى- عليه السلام-: يا موسـى لا تـركن إلى حب الـدنيا، فلن تـأتيني بكبـيرة هي أشـد علي منها[5]، ومرّ موسى- صـلى اللـه عليه- برجل، وهو يبكي، فقال: يا رب عبدك يبكي من مخافتك، فقال: يا ابن عمران لـو نزل دماغه مع دموع عينيه، ورفع يديه حتى تسقطا لم أغفرله، وهو يحب الدنيا[6].

وعن أمير المؤمنين- كرم الله وجهه- أنه قال: من جمـع ستّ خصـال لم يـدع للجنة مطلبًا، ولا للنار مهربًا: من عـرف اللـه فأطاعـه، وعـرف الشـيطان فعصـاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعـرف الآخـرة فطلبها[8]، وحُكي عن الحسن البصري أنه قال: رحم الله أقوامًا كانت الدنيا عندهم وديعـة فأدوهـا إلى من ائتمنهم عليهـا وراحـوا خفافًا، وقـال أيضًـا: من نافسـك في دينك فنافسه، ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره[9]، وقال بعض الحكماء: إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان لـه أهـل قبلـك، ويكـون لـه أهـل بعـدك، وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة، أوغداء يوم، فلا تهلك نفسك في أكله، وصم عن

---

4 (?) ورد: أناسًا بدلاً عن رجالاً. ينظر: تاريخ دمشق، 6/ 341. وورد: الملوك بدلاً عن رجالاً. ينظـر: المسـتطرف في كل فن مسـتظرف، شـهاب الـدين محمد بن أحمد أبو الفتـوح الأبشيهي، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلميـة، ط2، 1986م، بـيروت، لبنـان، 1/ 205.

1)) ورد: بالله بدلاً عن بالدين. ينظر: تاريخ دمشق، 6/ 341.

2 (?) البيتان من البسيط، ونُسبا لإبراهيم بن أدهم في (تاريخ دمشق، 6/ـ 341)، و نسـبا لعبد الله بن المبارك في (المستطرف، 1/ 205)، ونسبا لأبي العتاهية في (عيون الأخبار، 2/ 372)، ولم يردا في ديوان أبي العتاهية، ينظر: ديوان أبي العتاهية، إسماعيل بن القاسـم، تحقيق د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية، ط1، عام 2008م، صيدا، لبنان، 459- 515.

3 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 206.

4 (?) نفسه.

5 (?) نفسه.

6 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 206.

7 (?) ينظر: نفسه، 3/ 206، 207.

8 (?) ينظر: نفسه، 3/ 207.

الدنيا، وأفطر على الآخرة، وإن رأس مال الدنيا الهوى، وربحها النار[1].

وقال بعض الزهاد لمّا سئل: كيف ترى الدهر؟ قال: يخلق الأبدان، ويجدد الآمـال، ويقرب المنية، ويبعد الأمنية. قيل: فما حال أهله؟ قال: من ظفر تعب،ومن فاته نصب[2]، وأصدق ما قيل في هذا المعنى قول من قال:

وَمَنْ يَحمُـدِ الـدُّنْيَا لِعَيْشٍ   فَسَوْفَ لَعَمْـرِي عَنْ قَلِيلِ
إِذَا أَدْبَرَتْ كانَتْ عَلَى المَرْءِ   هُمُومُها[3].

وقال بعض الحكماء: كانت الدنيا، ولم أكن فيها، وتذهب الدنيا، ولا أكون فيها، فلا أسكن إليها، فإن عيشها نكد، وصفوها كدر، وأهلها فيها على وجلّ إما سعة بنعمة زائلة، أو بلية نازلة، أو منية قاضية[4].

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فما عرض لهم من نائلها عارض إلا رفضوه، ولا خادعهم من رفعتها خادع إلا وضعوه**» أراد أن هؤلاء الأولياء الذين تقدم وصفهم ما عرض لهم من الدنيا عارض إلا رفضوه لما عرفوا من قلّة بقائه، وسرعة فنائه، وزواله، وأنه لا يستقر، ولا يدوم، ولا يستمر حاله وأمره، ولا يقوم وحال إقباله في حكم المدبر، ووقت بقائه في حكم الفاني؛ لأنّ الإدبار عادته، والفناء نهايته، وذو العادة المستمرة لا يتركها، وذو الغاية المستقرة لا يقف دونها، ورفضهم لها هو تركهم إياها؛ لأنهم يخافون تغطية أبصارهم بزخرفها، واستيلائها على أفئدتهم بزهرتها مع المرتقى كؤود[5]، والسفر بعيد، فظاهر[6] نائل الدنيا سرور، وباطنه غرور، وربّما أعطاها أهلها القياد، فطرحت بهم في البلاد، وأهلكتهم في

[1] (?) ينظر: نفسه.
[2] (?) ينظر: نفسه.
[3] (?) البيتان من الطويل، ونسبا للإمام علي- كرم الله وجهه-. ينظر: تاريخ دمشق، 70/ 197. ولم يردا فيما نسب من شعر للإمام علي كرم الله وجهه. ينظر: من الشعر المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه-، جمعه وشرحه عبد العزيز سيد الأهل، دار صادر، ط2، عام 1980م، بيروت، لبنان، 119- 155.
[4] (?) إحياء علوم الدين، 3/ 207.
[5] (?) كؤود: صعبة المرتقى. ينظر: لسان العرب، مادة (كأد).
[6] (?) في (د،ك،م) الواو بدلاً عن الفاء.

المعاد، وقلّ من يسلم من خادع[1] رفعتهـا، وينجى[2] من عـارض نائلهـا، إلا من رزق التصديق، وفتح له أبواب التحقيق، واهتـدى لمعرفـة غـامض عيوبهـا، ونجـا من نكـد غدرها، وحـثيث جموحهـا، وعـرف سـرعة انتقالهـا، ووشـيك زوالهـا، وإن عزّهـا ذلّ، وكثرها قلّ، وجدها فلّ، وظلها زائل، وكوكب سعدها آفل.

وكان[3] أعظم الخلق معرفة بقدرها وأكثرهم دريـة بحالها، وأمرهـا هـو أمـير المؤمنين- كـرم اللـه وجهه-، فإنـه الـذي كفاهـا على وجههـا وكبّهـا، وأعـرض عن زينتهـا، فلم يرعهـا طرفًـا، ولا بسـط إليهـا كفًّا، ومصـداق ذلـك مـا أثـر عنـه في وصفها[4]، والبعد عنها، فمن ذلك قوله عليه السلام: إليك عني يـا دنيـا، قـد انسـللت عن حبائلك، وأفلت عن مخائلــك، أين القــوم الــذين غــررتهم بأمانيــك، وخــدعتهم بزخارفك؟! هاهم، والله أصحاب القبـور، ومضـامين اللحـود، واللـه لـو كنت شخصـًا مرئيًا، أو قالبًـا حسـيًّا لأقمت حــدود اللــه عليــك في عبــاد ألقيتهم في المهــاوي، وطرحتهم في المهالك؛ إذ لا ورد ولا صدر، هيهـات أن من وطئ دحضـك زلـق، ومن اجتنب حبائلك وفّق، والسالم منك لا يبالي إن ضاق بـه مناخـه، فالـدنيا عنـده كيـوم حان انسلاخه[5].

وقال عليه السلام في كلام آخر: أما بعد: فإني أحـذركم الـدنيا، فإنهـا واللـه أكّالة غوالة خداعة مكارة، غرّارة حائلة زائلة نافدة بائدة، ضوؤها قد أفل، ونفادها قد اقترب، حتى إذا أنس نافرها، واطمأن ناكرها قمصت بأرجلها، وقنصت بأحبلها، وأقصدت بأسهمها[6]، وقال في كلام آخر: الدنيا حلوة خضرة قـد عجلت للطـالب،

---

1 (?) في (د،ك،م) عارض.
2 (?) في (ك،م) إن نجا.
3)) في (د،م) سقط: وكان.
4 (?) في (د) ذمها.
5 (?) ينظر: نهج البلاغة، 419. وجاء فيه: «قد انســللت من مخالبــك، وأفلت من حبائلــك، أين القرون الذين غررتهم بمداعبتك، وفتنتهم بزخارفك، ...، ومن ازور عن حبائلك، ...».
6 (?) ينظر: نهج البلاغة، 164، 108. دون ذكر: «خداعة مكارة، ضـوؤها قد أفـل، ونفادها قد

والتبست بقلب الناظر، من استغنى فيها فتن، ومن افتقر إليها حزن، ومن ساعاها فاتته، ومن واتاها واتته، ومن أبصر بها بصرته، ومن أبصر إليها أعمته، فارتحلوا عنها بأحسن ما بحضرتكم من الزاد، ولا تطلبوا منها فوق الكفاف، ولا تسألوا منها أكثر من البلاغ[1]، وقال عليه السلام في كلام آخر: إنما أنتم في هذه الدنيا عرض تنتصل فيكم المنايا، وما لكم فيها نهب للحتوف والمصائب، في كل جرعة منها شرق، وفي كل أكلة منها غصص، من قلل منها استكثر ممّا يؤمنه، ومن استكثر منها لم تدم له ولم يدم لها[2]، إلى غير ذلك من الكلام المأثور عنه، ومن ذلك ما قاله عليه السلام:

دُنيَا تُخَادِعُني كَأَنـ	ـْنِي لَسْتُ أَعْرِفُ حَالَهَا
حَظَرَ الإِلَهُ حَرَامَهَا	وَأَنا اجتَنَبتُ حَلالَها
بَسَطَتْ إِلَيَّ يَمِيْنَها	فَرَدَدْتُهَا وَشِمَالَهَا
وَرَأَيْتُهَا مُحْتَاجَةً	فَوَهَبْتُ جُملَتَهَا لَهَا[3]

وقال: قد طلقتك ثلاثًا لا رجعة لي فيك[4]، وقد قال بعض الحكماء: من عيب الدنيا أنها لا تعطي أحدًا ما يستحق، لكنها إما تزيد، أو تنقص[5].

وقال سفيان الثوري[6]: أما ترى النعم كأنها مغضوب عليها قد وضعت في غير أهلها، وقال بعض الزهاد: من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيئًا، إلا أراد أكثر منه، ومن طلب الآخرة على المحبة لها لم يعط منها شيئًا إلا أراد أكثر منه، وليس لها

اقترب».

1)) ينظر: نفسه، 85، 106.

2 (?) ينظر: تيسير المطالب، 261.

3 (?) الأبيات من مجزوء الكامل، ووردت منسوبة للإمام علي كرم الله وجهه. ينظر: البرهان المؤيد، أحمد الرفاعي الحسيني، تحقيق عبد الغني نكه مي، دار الكتاب النفيس، ط1، عام 1408هـ، بيروت، لبنان، 42. ولم ترد الأبيات في ديوان الإمام علي . ينظر: من الشعر المنسوب إلى الإمام علي، 101- 155.

4 (?) ينظر: نهج البلاغة، 480، 481.

5 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 207.

6 (?) وهو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، ولد سنة 97هـ، حُجة، مأمون، كثير الحديث، ثقة، توفي بالبصرة سنة 161هـ. ينظر: طبقات ابن سعد، 6/ 371.

غاية ولا لهذا نهاية[1]، وقال رجل لأبي حـازم[2]: أشـكو إليـك الـدنيا، وحبها، وليسـت لي بدار، فقال: انظر ما آتاكم الله منهـا، فلا تأخـذه إلا من حلّـة، ولا تضـعه إلا في حقـه، ولا يضرك حب الدنيا[3].

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**خلقت الدنيا عندهم فما يجددونها، وخربت بينهم فما يعمرونها**» أراد بذلك أنهم جعلوها كالثوب الخَلِق المتروك عن اللبس؛ لأن كل ما كان خلقًا فهو متروك، فمـا يجـددونها بالـذكر والاسـتعمال، وقوله: «**وخربت**» أراد أنها اندرس أثرها[4] فما يعمرونهـا بإحيـاء أثرها[5]، وهـذان المجــازان أعــني الإخلاق والتجديــد، الخــراب والعمــارة من أعجب المجــازات وأحسنها، وأرشق الاستعمالات[6] وأعلاها، كما سبق تقريـره فيمـا مرّ في موضعه اللائق به، وإنما خلقت بطول تكرر الإعصار عليها، وتقلب الأحوال فيها، وقد قضى الله عليها بذلك، فأولياء الله لم يروا لأنفسهم أن يجددوا مـا قضـى اللـه بإخلاقـه، ولا يعمرون ما أراد الله خرابه؛ إذ تجديده يكن في حكم المخالفة لأمره وعمرانــه يكون في حكم الرد لقضـائه، ومـا هي إلا سـبيل عبرهـا النـاجون فنجـوا، وسـلكها الهالكون فأزعجوا، والزاد قليل، والرحلة بعيدة، فنسأل الله تعالى فوزًا برضـوانه، وزادًا مبلغا لنا إلى حسن جواره.

وحُكي عن يحيى بن معاذ[7] أنه قال: الدنيا حـانوت الشـيطان فلا تسـرق من

---

1 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 207.

2 (?) وهو سلمة بن دينار الأعرج، مولى الأسود بن سفيان المخزومي، العابـد، الزاهـد، الثقـة، توفي سنة 139هـ. ينظر: الوافي بالوفيات، 5/ 198، 199.

3 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 207.

4 (?) في (د،م) أمرها.

5 (?) في (د،م) أمرها.

6 (?) في (ك) الاستعارات. {وهو المناسب}.

7 (?) وهو يحيى بن معاذ الرازي، أبو زكريا، الواعظ، أحد رجال الطريقـة، أقـام في بلخ مـدة، ثم في نيسابور، وتوفي بها سنة 258هـ. ينظر: وفيات الأعيان، 6/ 165- 167.

حانوته شيئًا فيجيء ويأخذك[1]، وقال الفضيل بن عياض[2]: لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا أن نختار خزفًا يبقى على ذهب لا يبقى[3]، وقال بعض الزهاد: إياكم والدنيا، فإنه بلغنا أن العبد يوقف يوم القيامة إذا كان معظمًا للدنيا، فيقال: هذا عظم ما حقر الله[4].

وحُكي عن ابن مسعود- رضي الله عنه- أنه قال: ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية، والضيف مرتحل، والعارية مردودة[5]، وما أحسن قول من قال في هذا المعنى:

وَدَائِعُ[6] ... الوَدَائِعُ[7]

وحُكي أن رابعة العدوية[8] زارها أصحابها، فذكروا الدنيا، وأقبلوا على ذمها، فقالت: اسكتوا عن ذكرها، فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم ذكرها، ألا من أحب شيئًا أكثر ذكره[9]، وحُكي عن ابن عباس- رضي الله عنه- أنه قال: إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء: جزء للمؤمن، وجزء للمنافق، وجزء للكافر، فالمؤمن يتزود منها، والمنافق يتزين بها، والكافر يتمتع بها[10]، وقال بعضهم: الدنيا جيفة، فمن أراد منها شيئًا فليصبر على معاشرة الكلاب[11].

---

1 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 207.

2 (?) وهو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي، الزاهد المشهور، أول أمره قاطع طريق بين أبيورد وسرخس، ثم تاب، قدم الكوفة، وسمع الحديث، ثم انتقل إلى مكة، وتوفي بها سنة 187هـ. ينظر: وفيات الأعيان، 4/ 47- 49.

3 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 207.

4 (?) ينظر: نفسه.

5 (?) شعب الإيمان، 7/ 376.

6)) ورود كلمة ودائع تحريف، والسليم هو: وديعة.

7 (?) البيت من الطويل، وهو ثابت في ديوان لبيد بن ربيعة. ينظر: شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، حققه وقدم له د. إحسان عباس، مطبعة حكومة الكويت، عام 1962م، الكويت، 170.

8 (?) وهي رابعة بنت إسماعيل العدوية، أم الخير، العابدة الزاهدة المشهورة، توفيت سنة 180هـ بالقدس. ينظر: الوافي بالوفيات، 14/ 37.

9 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 207.

10 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 208.

11)) نفسه.

وأقول: لقـد صـدق هـذا في مقالـه، ولهـذا فإنـك تـراهم يتهارشـون عليهـا تهارش الكلاب الضارية، فمن كـان قويًّا نـال منهـا بعض منـال، ومن كـان ضـعيفًا فلاحق له فيها، كما قال بعضهم:

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيْبٌ   عَنْ عَدُوٍّ فِيْ ثِيَابِ صَـدِيْقِ[1]

وقيل لإبراهيم بن أدهم[2]: كيف أنت؟ فقال:

نُرَقِّـعُ الدُّنْيَا بِـأَخْلَاقِ دِيْنِنَـا   فَلا دِيْنُنـا بَـاقٍ وَلا مَـا نُرَقِّـعُ
فَطُوْبَى لِعَبْدٍ آثَرَ اللهَ وَحْـدَهُ   وَجَـادَ بِـدُنْيَاهُ لِمَـا يُتَوَقَّعُ[3]

ولمّا بُعث رسول الله- صلى الله عليه وآله وسـلم- أتت إبليس جنـوده فقـالوا: قد بعث نبي، وأخرجت أمته. قال: يحبون الدنيا، قالوا: نعم، قال: لئن كـانوا يحبونهـا ما أبالي أن لا يعبدون الأوثـان، وأنـا أغـدو عليهم، وأروح بثلاث: أخـذ المـال من غـير حقه، وإنفاقه في غير حقه، وإمساكه عن حقه، والشر كله لهذا تبع[4].

وقال رجل لأمير المؤمنين- كرم الله وجهه-: صف لنا الدنيا، فقال: ما أصـف لكم من دار، من صح فيها أمن، ومن سقم فيها ندم[5]، وقيل له مرّة أخرى: صف لنا الدنيا، فقال: أقصر أم أطول؟ فقيل له: أقصر، فقال: حلالها حسـاب وحرامهـا عذاب[6]، وقال مالك بن دينار: اتقوا السحارة فإنها تسحر قلوب العلمـاء[7]، وقـال بعض الحكماء: إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا تزحمها، وإذا كـانت الـدنيا في القلب لم تزحمها الآخـرة؛ لأن الآخـرة كريمـة، والـدنيا لئيمة[8]، وهـذا تشـديد

---

1 (?) البيت من الطويل، وهو لأبي نواس. ينظر: ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ، 621.

2 (?) وهو إبراهيم بن منصور بن زيد، من بلخ، روى عن جماعة من التابعين، كان زاهدًا عابدًا، توفي سنة 140هـ، ودفن في صور. ينظر: وفيات الأعيان، 1/ 31، 32.

3 (?) البيتان من الطويل، ووردا منسوبين للإمام علي كرم الله وجهه. وورد الشطر الأول من البيت الأول:
نُرَقِّـعُ دُنْيَـانَا بِتَمْزِيْـقِ دِيْـنِنَا. ينظر: العقد الفريد، 3/ 134.

4 (?) ينظر: شعب الإيمان، 7/ 338.

5 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 208.

6 (?) ينظر: شعب الإيمان، 7/ 371.

7 (?) حلية الأولياء، 2/ 364.

8 (?) ينظر: تاريخ دمشق، 34/ 136.

عظيم في الإصغاء إلى الدنيا.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**وماتت في صدورهم فما يحيونها بل يهدمونها، فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم**»، ومراده عليه السلام أن أولياء الله أماتوا ذكر الدنيا في ألسنتهم، وفكرها عن صدورهم، وهمّها من قلوبهم، فلم يحيوها بذكر، ولا نشروا طيها بفكر، بل صارت عندهم بمنزلة الميت الذي لا يذكر، والفاني الذي لا ينشر لمعرفتهم بحقيقة مكرها، وأحاطتهم بطريقة غدرها، فهدموا بنيانها، وقوضوا أركانها، وقدموا بعضها بين أيديهم، فعمروا بها منازل الإقامة في دار المقامة، ومحطّ الكرامة، ومقعد السلامة، فقدموا إلى منازل عامرة، ومراتب فاخرة، وفارقوا الدنيا خرابًا يبابًا، فلم يحنوا لها انقلابًا ولا مآبًا، وباعوا متاعهم الفاني اليسير، واشتروا به الباقي الكثير من جنة وحرير وقصور وسرر وحوارٍ والسندس والعبقر[1]، وكثبان المسك الأذفر، ومنابر النور، والنظرة والسرور والفوز[2]، والملك الكبير، وجوار الملك القدير، فأيّ شراء أربح من هذا؟! بقي لهم مشتراهم، وهلكت أثمانه، ودثر الذي خربوه، ودمرت أوطانه، وارتفع بينهم الذي عمروه، وكرمت جيرانه، وتواترت إليهم الهدايا بجزيل المن والعطايا، ووردت بشارة الخلود، ونزعت من صدورهم نزعات الغلّ، وأحقاد الحسود، فهم في قباب الملك خالدون، وفي جنات الخلد ناعمون، فأصبحوا بحمد الله للفردوس وارثين، [illegible][3].

وحُكي عن مالك بن دينار أنه قال: بقدر ما تحزن للدنيا يخرج همّ الآخرة من

---

1 (?) في (د) العبقري. العبقر: المرأة التارة الجميلة، والعبقري: البساط المنقش. ينظر: لسان العرب، مادة (عبقر).

2 (?) في (د،م) سقط: و الفوز.

3 (?) سورة الحجر الآية 48.

قلبك، وبقـدر مـا تحـزن للآخـرة يخـرج همّ الـدنيا من قلبك[1]، وحُكي عن عيسى-عليه السلام- أنه قال: الدنيا والآخرة ضرتان، فبقـدر مـا ترضـي إحـداهما تسـخط الأخرى[2]، وقال الحسن البصري: واللـه لقـد أدركت أقوامًـا كـانت الـدنيا عنـدهم أهون من التراب، الذين يمشون عليه ما يبالون أشرقت الـدنيا أم غـربت، أذهبت إلى هذا أو إلى ذاك[3]، وقال رجل للحسن البصري: ما تقـول في رجـل آتـاه اللـه مالاً فهو يتصدق منه، ويصل منه، ويحسن منه، أله أن يتعيش فيـه؟ يعـني: التنعم، فقال: لا، لو كانت له الدنيا كلهـا مـا كـان لـه منها إلا الكفـاف، ويقـدم ذلـك ليـوم فقره[4].

وقـال الفضـيل بن عيـاض: لـو أن الـدنيا بحـذافيرها عرضـت عليّ حلالاً[5] ولا أحاسب بها في الآخرة لكنت أقذرها كما يقـذر أحـدكم الجيفـة إذا مـرّ بهـا أن تصـيب ثوبه[6]، وحُكي أن عمر قدم الشام فاستقبله أبو عبيدة بن الجراح على ناقة مخطومة بحبل، فسلّم، وسأله عن حاله، ثم أتى منزله فلم يرَ فيـه إلا سـيفه، وترسه، ورحلـه، يعني: جهاز ناقته، فقال له عمر: لو اتخذت متاعًا، فقال:- يا أمـير المؤمـنين- إنَّ هـذا يبلغنا المقيل[7]، وحُكي عن الحسن البصري- رحمه الله- أنه قال: والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بحبهم الدنيا بعد عبادتهم للرحمن[8].

وقال سـفيان : خـذ من الـدنيا لبـدنك، ومن الآخـرة لقلبك[9]، وقـال وهب بن

---

1 (?) ينظر: تاريخ دمشق، 56/ 424.
2 (?) الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث، أحمد بن عبد الكريم بن سـعود الغـزي العـامري، تحقيق بكر عبد الله أبو زيد، دار الرايـة، ط1، عـام 1412هـ، الريـاض، المملكة السـعودية، 101. وورد أنه لعلي- كرم الله وجهه- . ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 208، 209.
3 (?) ينظر: حلية الأولياء، 6/ 272.
4 (?) ينظر: نفسه.
5 (?) في (د،ك،م) سقط: حلالا. وفي (د،م) زيادة: بحذافيرها. {والسليم ما ورد في الأم}.
6 (?) ينظر: حلية الأولياء، 8/ 89.
7 (?) شعب الإيمان، 7/ 372.
8 (?) ينظر: حلية الأولياء، 2/ 156.
9 (?) نفسه، 7/ 20.

منبه[1]: قرأت في بعض الكتب: الدنيا غنيمة الأكياس، وغفلة الجهال، لم يعرفوها حتى خرجوا منها، فسألوا الرجعة فلم يرجعوا[2]، وقال لقمان لابنه: يا بني أفق فإنك استدبرت الدنيا من يوم استقبلتها، واستقبلت الآخرة، فأنت إلى دار تقرب منها أقرب من دار تباعد عنها[3]، وقال سعد بن مسعود[4]: إذا رأيت العبد تزداد دنياه، وتنقص آخرته، وهو به راضٍ فذلك المغبون الذي يُلعب بوجهه، ولا يشعر[5].

وقال عمرو بن العاص[6] على المنبر: والله ما رأيت قومًا قط أرغب فيما كان رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يزهد فيه منكم، والله ما مرّ برسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ثلاث إلا والذي عليه من متاع الدنيا أكثر من الذي له[7]، وعن الحسن البصري، بعد تلاوته لقوله تعالى: [illegible] [8] قيل له: من قال ذا؟ قال: من خلقها، أو من هو أعلم بها، إياكم وشغل الدنيا، فإن الدنيا كثيرة الاشتغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل إلا أوشك ذلك الباب أن يفتح عليه عشرة أبواب[9]، وقال أيضًا: مسكين ابن آدم يرضى بدار حلالها حساب وحرامها عقاب، إن أخذه من حلّه حوسب على تنعمه، وإن أخذه من حرام

---

1 (?) وهو أبو عبد الله اليماني، صاحب القصص والأخبار، كانت له معرفة بأخبار الأوائل، وأحوال الأنبياء، وكان يقول: قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتابًا، توفي بصنعاء سنة 110هـ، وقيل: 124، وقيل: 116. ينظر: وفيات الأعيان، 6/ 35، 36.

2 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 209.

3 (?) ينظر: حلية الأولياء، 6/ 320.

4 (?) وهو أبو مسعود الصدفي، مصري، أرسله عمر بن عبد العزيز إلى أفريقية ليفقه أهلها في الدين، رجل صالح، أسند حديثًا واحدًا، توفي في عهد هشام بن عبد الملك. ينظر: تاريخ دمشق، 2/ 400- 403.

5 (?) ينظر: نفسه، 2/ 401.

6 (?) وهو عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، أسلم في السنة الثامنة للهجرة قبل فتح مكة، ولاه الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- على عمان، وولاه عمر- رضي الله عنه- على فلسطين، والأردن، فتح مصر فولاه عمر- رضي الله عنه- عليها فلم يزل حتى عزله عثمان- رضي الله عنه- بعد أربع سنوات من خلافته، ثم ولاه معاوية عليها فلم يزل حتى مات سنة 43هـ. ينظر: الاستيعاب، 3/ 1184- 1188.

7 (?) ينظر: المستدرك على الصحيحين، 4/ 350.

8 (?) سورة لقمان من الآية 33. فاطر من الآية 5.

9 (?) حلية الأولياء، 2/ 153.

عوقب به، مسكين ابن آدم يستقل ماله ولا يستقل عمله، يفـرح بمصـيبته في دينـه، ولا يجزع من مصيبته في دنياه[1].

وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبدالعزيز: سلام عليك، أما بعـد: فكأنـك يا خير من كتب عليه الموت قد مات، فأجابه عمر: سلام عليـك، كأنـك بالـدنيا لم تكن، وبالآخرة لم تزل[2]، وقال الفضيل بن عيـاض: الـدخول في الـدنيا هين، لكن التخلص منـه شـديد[3]، وحُكي عن بعض الحكمـاء أنـه قـال: عجبًـا لمن يعـرف أن الموت حقّ كيف يفرح! وعجبًا لمن يعلم أن النار حـق كيـف يضـحك! وعجبًـا لمن يرى تقلب الدنيا بأهلها كيف يطمئن إليها! وعجبًـا لمن يعلم أن القـدر حـق كيـف ينصب![4]، وقدم على معاوية[5] رجل من أهل نجران عُمِّرَ مائتي سنة، فسأله عن الدنيا كيف وجدها؟ فقال: سنيات بلاء وسنيات رخاء، يوم فيوم، وليلة فليلة، يولـد ولد ويهلك هالك، فلولا المولود باد الخلق، ولولا الهالك ضاقت الـدنيا بأهلهـا. قـال له: سل ما شئت ؟ قال: عمر مضى فترده، وأجـل حضـر فتدفعـه. قـال: لا أملـك ذاك، قال: لا حاجة لي إليك[6].

وقال داود الطائي[7]: يـا ابن آدم فـرحت ببلـوغ أملـك، وإنمـا بلغتـه بانقضـاء أجلك، ثم تسوف بعملك كان منفعته لغيرك[8]، وقال بعض الزهاد: من يسأل اللـه

---

1 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 209.

2 (?) ينظر: نفسه.

3 (?) ينظر: نفسه.

4 (?) ينظر: شعب الإيمان، 1/ 223.

5 (?) وهو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، أسلم يـوم فتح مكـة، ولاه عمـر- رضي الله عنه- الشام، ثم عثمان- رضي الله عنه-، تولى أمر المسلمين بعد استشهاد الإمـام علي- كـرم الله وجهه- توفي سنة 60هـ. ينظر: طبقات ابن سعد، 7/ 406.

6 (?) ينظر: تاريخ دمشق، 68/ 131.

7 (?) وهو داود بن نصير الطائي، أبو سليمان، كان قد سمع الحـديث والفقه والنحـو، ثم تعبّـد، توفي سنة 165هـ. ينظر: طبقات ابن سعد، 6/ 367.

8 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 209.

الدنيا فإنما يسأل الله طول الوقـوف بين يديه[1]، وقـال أبـو حـازم: مـا في الـدنيا شيء يسرك إلا وقد ألصق به شيء يسوءك[2]، وقـال الحسـن البصـري: لا تخـرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث: أنه لم يشبع مما جمـع، ولم يـدرك مـا أمل، ولم يحسن الزاد لما قدم عليه[3]، وقيل لبعض الزهاد: قد بلغت الغنى، قال: إنما نـال الغـنى من عتـق من رقّ الـدنيا[4]، وقـال رجـل من الزهـاد: لا يصـبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بـالآخرة[5]، وعن مالـك بن دينـار أنـه قال: اصطلحنا على حبّ الدنيا، فلا يـأمر بعضـنا بعضًـا، ولا ينهى بعضـنا بعضًـا، ولا يدعنا الله على هذا، فليت شعري أي عذاب الله ينزل بنا[6]، وقال أبو حازم: يسير الدنيا ينسيك عن كثير الآخرة[7].

وحُكي عن الحسن البصري أنه قال: أهينوا الـدنيا، فواللـه مـا هي لأحـد أهنـأ منها لمن أهانها[8]، وقال أيضًا: إذا أراد الله برجل خيرًا أعطاه من الدنيا عطيته ثم يمسك، فإذا أنفد أعاد عليه، وإذا هان عليـه عبـد بسـط لـه الـدنيا بسطًا[9]، وكـان بعضهم يدعو: يا ممسك السماء أن تقع على الأرض أمسك الدنيا عني[10].

وقال محمد بن المنكدر[11]: أرأيت رجلاً لو صام الدهر لا يفطر، وقـام الليـل

---

[1] (?) القائل: بشر بن الحارث. ينظر: حلية الأولياء، 8/ 337.
[2] (?) ينظر: نفسه، 3/ 239.
[3] (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 209.
[4] (?) ينظر: نفسه.
[5] (?) ينظر: نفسه، 3/ 209، 210.
[6] (?) ينظر: شعب الإيمان، 6/ 97.
[7] (?) ينظر: نفسه، 7/ 323.
[8] (?) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة، 7/ 197.
[9] (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 210.
[10] (?) ينظر: نفسه.
[11] (?) وهو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهدير القرشي التيمي المدني، زاهـد، من رجـال الحديث، أدرك بعض الصحابة، وروى عنهم، توفي سنة 130هـ. ينظر: تـاريخ الإسـلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط1، عام 1987م، بيروت، لبنان، 5/ـ 155ـ 158. الأعلام للزركلي، 7/ـ 112. وفي (ج الأصل) المكنـدر. {وهو غير سليم}.

لا يفتر، وتصدق بماله، وجاهد في سبيل الله، واجتنب محارم اللـه، غـير أنـه يحب الدنيا يؤتى به يوم القيامة، فيقال له: ها إن ذا عظّم في عينه ما صغّر الله، وصغّر في عينـه مـا عظم الله[1]. كيـف تـرى يكـون حالـه، فمن منّـا ليس هكـذا، الـدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا.

وقال أبو حازم: اشتدت مؤنة الدنيا والآخرة، فأما مؤنـة الـدنيا فإنـك لا تضـرب بيدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجرًا قد سبقك إليه، وأما مؤنة الآخرة فإنـك لا تجـد عليها أعوانًا[2]، وقال أبو هريرة: الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن[3] البـالي تنادي ربها منذ خلقها إلى يوم القيامة: يا رب يا رب لمَ تبغضني؟ فيقول لها: اسكتي يا لا شيء اسكتي يا لا شيء[4]، وقال عبدالله بن المبـارك[5]: حبّ الـدنيا، والـذنوب في القلب قد احتوشته، فمتى يصل الخير إليه[6]، وقال وهب بن منبه: من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة، ومن جعل شهوته تحت قدميـه فـرق الشـيطان من طلبه، ومن غلب علمه هواه فهـو الغـالب[7]، وقيـل لبشـر الحـافي: مـات فلان، فقال: جمع الدنيا، وذهب إلى الآخرة، ضيع نفسه. قيل لـه: إنـه كـان يفعـل ويفعـل، وذكروا أبوابًا من البر، فقال: وما ينفع هذا وهو يجمع للـدنيا[8]، وقـال بعضـهم: الـدنيا تبغض إلينـا نفسـها، ونحن نطلبهـا، فكيـف لـو تحببت إلينـا؟![9]، وقيـل لحكيم: لمن

---

1 (?) ينظر: تاريخ دمشق، 56/ 56.

2 (?) ينظر: نفسه، 22/ 53.

3)) الشَّنُّ: الخَلَق من كل آنية صنعت من جلد. ينظر: لسان العرب، مادة (شنن).

4 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 210.

5 (?) وهو عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي، مولى بني حنظلة، ولد بمرو سـنة 118هـ، جمع بين العلم، والزهـد، تفقه على مالك بن أنس، وسـفيان الثـوري، تـوفي سـنة 181هـ، وقيل: 182. ينظر: وفيات الأعيان، 3/ 32- 34.

6 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 210.

7 (?) ينظر: نفسه.

8 (?) ينظر: حلية الأولياء، 8/ 337.

9 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 210.

الدنيا؟ قال: لمن تركها. فقيل: لمن الآخرة؟ قال: لمن طلبها[1]، وقال حكيم: الــدنيا دار خراب، وأخرب منها قلب من يعمرها، والجنـة دار عمـران، وأعمـر منهـا قلب من يطلبها[2].

وقـال الجنيـد: كـان الشـافعي[3] من المريـدين النـاطقين بلسـان الحقّ في الدِّين، وعظ أخًا له في الدين وخوّفه بالله، فقال: يا أخي الـدنيا دحض مزلّـة ودار مذلة عمرانها إلى الخراب صائر، وساكنها إلى القبـور زائـر، شـملها على الفرقـة موقوف، وغناها إلى الفقر مصروف الإكثار منها الإعسـار، والإعسـار منهـا يسـار، فافزع إلى الله، وارضِ برزق الله، لا تستسلف من دار بقائك في دار فنائك، فـإن عيشك فيء زائل وجدار مائل، بل أكثر من عملك وأقصر من أملك[4].

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ونظروا إلى أهلها صرعى قد خلت من قبلهم المثلات**» أراد أن أولياء الله نظـروا إلى أهـل الـدنيا الـذين أثاروهـا حقّ الإثارة، وعمروها أكثر العمـارة، فعقـدوا أبوابها، وزخرفـوا مشـكاتها، وشـيّدوا قبابهـا، ورفعـوا قصـورها، وأرخـوا سـتورها، وقومـوا أنوفهـا، وسـردوا خروقهـا، وخرطوها بالرخام والمرمر، ونقشوها بألوان الصباغات بـالأحمر القـاني، والأبيض اليقق[5]، واللازوردية، والأصفر والمزعفـر، فأصـبحوا في أرجائهـا مصـرعين، وفي حافاتهـا مطـرحين، قـد صـاروا رممًـا باليـة، ومنـازلهم دارسـة خاليـة، وآثـارهم مطموسة بالية، فهل ترى لهم من باقية، لما أخذوا أخذة رابية، وفي الحـديث: أن

---

1 (?) ينظر: نفسه.

2 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 210.

3 (?) وهو محمد بن إدريس الشافعي، ولد بغزة سنة 150هـ، كان كثير المناقب، جم المفاخر، ويُعد أول من تكلم في أصول الفقه، توفي بمصر سـنة 204هــ. ينظـر: وفيـات الأعيـان، 4/ 163- 165.

4)) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 210.

5)) اليقق: المتناهي في البياض. ينظر: لسان العرب، مادة (يقق).

ذا القرنين[1] السيار في الأرض- رحمه الله- مرّ بمدينة عظيمـة قـد ملكهـا ملـوك سبعة، وماتوا عنها، فأعجبته، فسأل: هل بقي من نسلهم أحد؟ فقيل لـه: ليس إلا غلام قد لزم المقابر، وانفرد عن الناس، فأمر من جاء به، فجيء به فسلّم عليـه، فقال: مـا دلّـك على لـزوم المقـابر؟ فقـال: أردت أن أمـيز بين عظـام ملـوكهم، وعبيدهم، فإذا هم سـواء. قـال: فهـل لـك من همـة؟ فقـال: إن همـتي لعظيمـة، فقال: إني لأرد عليـك ملـك آبائك، وأوليـك هـذه المدينـة، قـال: إني أريـد ملكًأ لا يزول، فهل عندك؟ قال: ذلك ما لا يقدر عليه أحد إلا الله. قال: فإني أطلبـه ممّن يقدر عليه، وهو الله، ثم خلاه، وانطلق، فقال ذو القرنين لخاصته: مـا رأيت أحكم من هذا.

وقـال إبـراهيم بن أدهم لرجـل: أدرهم في المنـام أحبّ إليـك أم دينـار في اليقظة؟ فقال: دينار في اليقظة، فقال: كـذبت؛ لأن الـذي تحبـه في الـدنيا كأنـك تحبه في المنام، والذي لا تحبه في الآخـرة كأنـك لا تحبـه في اليقظة، وعن بعض الزهاد، قال: كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة، فيقولون: إليـك عنـا يـا خـنزيرة، فلو وجدوا اسمًا أقبح من هذا لسموها به[2].

وقال كعب الأحبار: لتحببن لكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها[3]، وقـال يحـيى بن معاذ: العقلاء ثلاثة: من تـرك الـدنيا قبـل أن تتركـه، وبـنى قـبره قبـل أن يدخلـه، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه، وقـال أيضًـا: الـدنيا بلغـة من شـؤمها أن تمنيـك بمـا يلهيك عن طاعة الله تعالى، فكيف الوقوع فيها[4]، وقـال بعض الحكمـاء: من أراد

---

1 (?) في (د،م) زيادة: الملك.

2 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 210.

3 (?) ينظر: نفسه.

4 (?) ينظر: نفسه.

أن يستغني بالدنيا عن الدنيا كان كمن يطفئ النار بالنار[1]، وحكي عن بندار[2] أنـه قـال: إذا رأيت أبنـاء الـدار الـدنيا يتكلمـون في الزهد، فـاعلم أنهم في سـحرة الشيطان، وقال أيضًا: من أقبل على الـدنيا أحرقتـه نيرانهـا، يعـني الحـرص حـتى يصير رمادًا، ومن أقبل على الآخـرة صـفته نيرانها، فصـار سـبيكة من ذهب، ومن أقبل على الله تعالى أحرقته نيران التوحيد، فصار جوهرًا لا قيمة له[3].

وقال أمـير المؤمـنين- كـرم اللـه وجهـه-: إنمـا الـدنيا سـتة أشـياء: مطعـوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشـموم؛ فأشـرف المطعومـات العسـل، وهو مذقة ذباب، وأشرف المشروبات الماء يسـتوي فيـه الـبر والفـاجر، وأشـرف الملبوسات الحرير، وهو نسـيج دودة، وأشـرف المركوبـات الخيـل، وعليهـا تقتـل الرجال، وأشرف المنكوحات المرأة وهو مبـال في مبـال، واللـه إن المـرأة تـزين أحسنها ويؤتى أقبحها، وأشـرف المشـمومات المسـك، وهـو دم حيـوان[4]، فهـذه لذات الدنيا ونفائسها، فما أحقرها وأهون استعمالها في كل أحوالها.

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**قد خلت من قبلهم المثلات**» يعـني: ما أصاب الأمم الماضية، والقرون الخالية، ففي مصـارعهم أعظم موعظـة وأبلـغ عبرة، ولهذا قال تعالى في غير آية: [illegible][5]، ولهذا قال بعض الحكماء: يا أيّها الناس اعملوا على مهل، وكونوا من الله على وجل، ولا تغتروا بالأمل، ونسيان الأجل، ولا تركنـوا إلى الدنيا فإنها غـدارة خداعـة مكـارة، قـد تزخـرفت لكم بغرورهـا، وفتنتكم بأمانيهـا،

---

[1] (?) ينظر: نفسه.

[2] (?) وهو بندار بن الحسين الشيرازي، زاهد نزل أرجان، له لسان مشهور في علوم الحقائق، عالم بالأصول، توفي سنة 353هـ. ينظر: الوافي بالوفيات، 10/ 183، 184.

[3] (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 210.

[4] (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 210.

[5])) سورة الروم من الآية 42.

وتزينت لخطابها فأصبحت كالعروس المتحلية، العيون إليها ناظرة، والقلوب عليها عاكفة، والنفوس لها عاشقة، فكم من عاشق لها فتنت، ومطمئن إليها خذلت، فانظروا إليها بعين الحقيقة، فإنها دار كثرت بوائقها، وذمها خالقها، جديدها يبلى، وملكها يفنى، وعزيزها يذلّ، وكثيرها يقلّ، وحيّها يموت، وخيرها يفوت، فاستيقظوا من غفلتكم، وانتبهوا من رقدتكم قبل أن يقال: فلان عليل ومدنف ثقيل فهل على الدواء من[1] دليل؟ وهل إلى طبيب من سبيل؟ فيدعى لك الأطباء، ولا يُرجى لك الشفاء، ثم يقال: فلان أوصى، وماله أحصى، ثم يقال: قد ثقل لسانه؛ فما يكلم إخوانه، ولا يعرف جيرانه، وعرق عند ذلك جبينك، وتتابع أنينك، وحشرجت نفسك، وطمحت جفونك، و[2] صدقت ظنونك، وتلجلج لسانك، وبكى إخوانك، وقيل لك: هذا ابنك فلان، هذا أخوك فلان، ومنعت كلام، فلا تنطق، وختم على لسانك فلا ينطلق، ثم حلّ بك القضاء، وانتزعت نفسك من الأعضاء، ثم عرج بروحك إلى السماء، فاجتمع عند ذلك إخوانك، وأحضرت أكفانك، فغسلوك، وكفنوك، و[3] انقطع عوادك، واستراح حاسدك، وانصرف أهلك إلى مالك، وبقيت مرتهنًا بأعمالك[4].

وقال بعض الحكماء لبعض الملوك: إن أحقّ الناس بذمّ الدنيا، وقلاها من بسط له فيها، وأعطي حاجته منها؛ لأنه يتوقع آفة تعدو على ماله فتجتاحه أوعلى جمعه فتفرقه، أوتأتي على سلطانه، فتهدمه من القواعد أو تدبّ على جمسه فتسقمه أوتفجعه بشيء هو ضنين به من أحبابه، فالدنيا أحقّ بالذم هي الآخذة لما تعطي الراجعة فيما تهب، بينا هي تضحك صاحبها إذ أضحكت منه غيره، وبينا

[1] (?) في (د،م) سقط: من.
[2] (?) في (د،م) الفاء بدلاً عن الواو.
[3] (?) في (د،م) الفاء بدلاً عن الواو.
[4] (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 211.

هي تبكي عليــه إذا بكت لــه، وبينــا هي تبســط كفه[1] بالإعطــاء إذا[2] بســطتها بالاسترداد تعقـد التـاج على رأس صـاحبها اليـوم، وتعفـره بـــالتراب[3] على خدّه سواء عليهـا ذهـاب مـا ذهب وبقـاء مـا بقي، تجـد في البـاقي من الـذاهب خلفًـا، وترضى بكل من كل بدلاً[4].

وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبدالعزيز: أما بعد: فإن الــدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة، وإنما أنزل الله آدم إليها عقوبة فاحـذروها- يـا أمـير المؤمـنين- فإن الزاد منها تركها، والغنى منها فقرها لها، في كل حين قتيـل، تـذل من أعزّها، وتفقر من جمعها، هي كالسمّ يأكله من لا يعرفه، وهي جيفة فكن فيها كالمــداوي جراحته يحتمي قليلاّ مخافة مـا يكـره طـويلاً، فاحـذر هـذه الـدار الغـدارة الختالـة الخداعـة الـتي قـد تـزينت بخـدعها، وفتنت بغرورهـا، وأضـلت بآمالهـا، وتشـوقت لخطابها، فأصـبحت كـالعروس المتحليـة، فـالعيون إليهـا نـاظرة، والقلـوب عليهـا والهــة، والنفــوس لهــا عاشــقة، وهي لأزواجهــا كلهم قاتلــة، فاحــذرها- يــا أمــير المؤمنين-، وكن أسرّ ما تكون فيها أحذر ما تكـون لهـا، فـإن صـاحب الـدنيا كلمـا اطمأن فيها إلى سرور أشخصـته إلى مكـروه، فـإذا أقبـل الغـنى قلْ ذنب عجلت عقوبتـه، وإذا أقبـل الفقـر قلْ مرحبًـا بشـعار الصـالحين، ولتكن قـدوتك بصـاحب الروح، والكلمـة عيسـى بن مـريم- صـلوات اللـه عليه-، فإنـه كـان يقـول: إدامي الجوع، وشعاري الخوف، ولباسي الصوف، وصلائي في الشتاء مشارق الشــمس، وســراجي القمــر، ودابــتي رجلاي، وطعــامي وفــاكهتي مــا أنبتت الأرض ، أمســي وليس لي شــيء، وأصــبح وليس لي شــيء، وليس على الأرض أحــد أغــنى مــني

---

1 (?) في (د) سقط: كفه.

2 (?) في (ك،م) إذ.

3 (?) في (ك،م) في بدلاً عن الباء.

4 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 211.

بالرضا[1].

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**فما يرون أمانًّا دون ما يرجون، ولا خوفًا دون ما يحـذرون**» أراد بمـا ذكـره أنهم لا يـرون أمانًّا دون الثـواب في الجنة، وهو الذي كانوا يرجون في دار الدنيا؛ إذ الأمـان دونـه غـير دائم، والسـرور بزواله غير لازم، ولا خوفًا دون ما يحـذرون من عـذاب اللـه تعـالى؛ إذ كـل خـوف دون العقاب فهو عافية، وكل هول دونه هو حقـير، قلمـا نظـروا بأبصـار البصـائر، وتحققوا بعين الاعتبار أن الله أعقب أولياءه الخائفين لـه الـراجين لكرمـه وثوابـه أمنًّا لا خوف معه، وسرورًا لا حـزن يقاربـه، وأعقب أعـداءه خوفًـا في الآخـرة، لا تنقضي روعته وجرعهم فيها حزنًا لا تنفـد لوعته، فمن سـلك منهـاج أهـل الصـلاح فاز، ومن اعتزل نزل دار المغترين، وتجرّع كأس الندامة مع المحرومين.

وقال ابن منبـه: لمّـا بعث الله- عزّ وجلّ- موسى، وهـارون إلى فرعـون قـال لهما: لا يروعكما لباسـه الـذي لبس في الـدنيا؛ فـإن ناصـيته بيـدي، ليس ينطق، ولا يطرف، ولا يتنفس إلا بإذني، ولا يعجبكما ما تمتـع بـه منها؛ فإنمـا هي زهـرة الحيـاة الدنيا، وزينتها للمترفين، ولو شئت أن أزينكمـا زينـة من الـدنيا يعـرف فرعـون حين يراها أن مقدرته تعجز عمّا أوتيتما لفعلت، ولكني أرغب بكما عن ذلك، وأزوي عنكما ذلك، وهكذا أفعل بأوليائي، إني لأذودهم عن نعيمها كما يـذود الـراعي الشـفيق إبلـه عن منـازل العرّة، ومـا ذاك لهـوانهم عليّ، ولكن ليسـتكملوا نصـيبهم من كرامـتي سالمًا موفرًا، وإنما يتزين إلي أوليائي بالـذل والخشـوع والخـوف والتقـوى تثبت في قلوبهم فتظهر على أجسادهم، فهي ثيابهم التي يلبسونها، ودثـارهم الـتي يظهـرون، وضـميرهم الـذي يستشـعرون، وتجـارتهم الـتي بهـا يفـوزون، ورجـاؤهم الـذي إيـاه

---

[1] (?) ينظر: حلية الأولياء، 6/ 313، 314.

يأملون، ومجدهم الذي به يفرحـون[1]، وسـيماهم الـذي[2] بهـا يعرفـون، فـإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك، وذلـل لهم قلبـك ولسـانك، واعلم أن من أخـاف لي وليًـا فقـد بارزني بالمحاربة، ثم أنا الثائر له يوم القيامة[3].

وخطب أمير المؤمنين- كرم الله وجهه- يومًا، فقال في خطبته: اعلموا أنكم ميتون، وعلى أعمـالكم مجـزون، ومبعوثـون من بعـد المـوت، فلا تغـرنّكم الحيـاة الدنيا، فإنها بالبلاء محفوفة، وبالفناء معروفة، وبالغدر موصوفة، وكل ما فيهـا إلى زوال، وهي بين أهلها دول، وسجال لا تـدوم أحوالها، ولن يسـلم من شرّها نُزَّالهـا بينا أهلهـا منهـا في رخـاء وسـرور إذ هم منهـا في بلاء وغـرور، وأحـوال مختلفـة، وتارات متصـرفة العيش فيهـا مـذموم، والرخـاء فيهـا لا يـدوم، وإنمـا أهلهـا فيهـا أعراض مستهدفة ترميهم بسهامها، وتقضمهم بحمامها، وكـل حتفـه فيهـا مقـدور، وحظه منها موفور[4].

وقال بعض الحكماء: الأيام سهام، والناس أغراض، والـدهر يرميـك كـل يـوم بسـهامه، وينخرمنـك بلياليه، وأيامـه حـتى يسـتغرق جميـع أجزائك[5]، وقـال بعض الحكماء وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها: الدنيا وقتـك الـذي يرجـع إليـك طرفـك فيه؛ لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه، وما لم يأتك فلا علم لك به، والدهر يوم مقبـل تنعـاه ليلتـه، وتطويـه سـاعته، وأحداثـه تتـوالى على الإنسـان بـالتغيير والنقصان[6]، وخطب عمر بن عبدالعزيز، فقال: أيّهـا النـاس إنكم خلقتم لأمـرٍ إن كنتم تصدقون به فحمقى، وإن كنتم تكذبون إنكم لهلكى إنما خلقتم للأبد، ولكنكم

---

1 (?) في (د،ك،م) يفخرون. {ولعله الأنسب}.

2)) المناسب في السياق التي، ولعل ذلك من التصحيف.

3 (?) ينظر: حلية الأولياء، 1/ 10- 12.

4 (?) ينظر: تاريخ دمشق، 42/ 500.

5 (?) ينظر: حلية الأولياء، 10/ 150.

6 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 213.

من دار إلى دار تنقلون.

عباد الله: إنكم في دار لكم فيها من طعامكم غصص ، ومن شرابكم شرق، لا تصفو لكم نعمة تسرون بها ألا بفراق أخرى تكرهون فراقها، فاعملوا لما أنتم صائرون إليه وخالدون فيه، ثم غلبه البكاء، فنزل[1] .

وخطب أمير المؤمنين- كرم الله وجهه- فقال: أوصيكم بتقوى الله، والترك للدنيا التاركة لكم، وإن كنتم لا تحبون تركها المبلية لأجسادكم، وإن كنتم تريدون تجديدها، فإنما مثلكم ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقًا، وكأنهم قد قطعوه، وأفضوا إلى علم، وكأنهم قد بلغوه، وكم عسى يجري المجرى حتى ينتهي إلى الغاية، وكم عسى يبقى من له يوم في الدنيا، وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها، عجبت لطالب الدنيا، والموت يطلبه، وغافل عما يصلحه من أمر آخرته، وليس مغفولاً عنه[2].

ونختم هذا الحديث بأبيات فيها مواعظ شافية، وحكم وأمثال للدنيا، فهذان مقامان:

المقام الأول: في إيراد مقطعات بالغة في ذم الدنيا ونزول قدرها ورگّة حالها وأمرها

قال بعضهم:

يَا رَاقِدَ اللَيْلِ مَسْرُوْرًا بِأَوَّلِهِ ... إِنَّ الحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقْنَ

أَفْنَى القُرُوْنَ الَّتِي كَانَتِ ... كَرُّ الجَدِيْدَيْنِ[3] إِقْبَالاً

يَا مَنْ يُعَانِقُ دُنْيَا لا بَقَاءَ لَهَا ... يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِيْ دُنْيَاهُ

هَلا تَرَكْتَ مِن الدُّنْيَا ... حَتّى تُعَانِقَ فِيْ الفِرْدَوُسِ

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي جِنَانَ الخُلْدِ ... النَّارَا[4].

---

[1] (?) ينظر: نفسه.

[2] (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 213، 214.

[3] (?) في (د،ك،م) الليالي. {والسليم الجديدين}.

[4] (?) الأبيات من البسيط، وهي لمحمد الباهلي. ينظر: ديوان محمد بن حازم الباهلي، دار

وقال آخر:

أَرَى طَالِبَ الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ ... وَنَالَ مِن الدُّنْيَا سُرُوْرًا
كَبَانٍ بَنَى بُنْيَانَهُ فَأَقَامَهُ ... تَهَدَّمَا[1].

وقال آخر:

هَب الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا ... أَلَيْسَ مَصِيْرُ ذَاكَ إِلَى
وَمَا دُنْيَاكَ إلا مِثْلُ فَيءٍ ... أَظَلَّكَ ثُمَّ آذَنَ بِالزَّوَالِ[2].

وقال آخر:

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا إِلَى نَفْسِهَا ... تَنَحَّ عَنْ خِطْبَتِهَا تَسْلَمِ.
إِنَّ الَّتِي تَخْطِبُ غَرَّارَةٌ ... قَرِيْبَةُ العُرْسِ مِن المَأتَمِ[3].

وقال آخر:

أَحْلامُ نَوْمٍ أَوْ كظِلٍّ زَائِلٍ ... إِنَّ اللبِيْبَ بِمِثْلِهَا لا يُخْدَعُ[4].

وكان الحسن بن علي- رضي الله عنه- يقول:

يَا أَهْلَ لَذَّاتِ دُنْيَا لا بَقَاءَ لَهَا ... حُمْقُ[5].

وقال آخر:

أَلا إِنَّمَا الدُّنْيَا كظِلٍّ ثَنِيّةٍ ... وَلا بُدّ يَومًا أَنَّ ظِلَّكَ زَائِلُ[6].

الجيل، عام 2002م، بيروت، لبنان، 37. وهو محمد بن حازم بن عمرو الباهلي، من ساكني بغداد مولده ومنشؤه البصرة، من شعراء الدولة العباسية، ولم يمدح منهم إلا المأمون، كان كثير الهجاء للناس. ينظر: الأغاني، 14/ 93.

1 (?) البيتان من الطويل. قال أبو البركات ياسين بن إبراهيم اللخمي المقدسي: ممّا أنشدنا أبو الفتح نصر بن إبراهيم النابلسي ببيت المقدس، ولم يسم قائله، وأنشد البيتين. ينظر: معجم السفر، أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي، تحقيق عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية،(ت)، مكة المكرمة، المملكة السعودية، 463.

2 (?) البيتان من الوافر، ونسبا لأبي العتاهية. ينظر: تاريخ بغداد، 6/ 252. التمهيد، 4/ 112. ولم يرد في ديوانه إلا البيت الأول، 402.

3 (?) البيتان من السريع، ونسبا لأبي العتاهية في (البيان والتبيين، 3/ 180)، ونسبا لأحمد إسحاق الخاركي في (الوافي بالوفيات، 6/ 149) ونصّ البيت الأول في الأخير:

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا أَلَمْ تَعْتَبِرِ ... بِفَعْلِهَا قَبْلَكَ فِي العَالَمِ.

ولم يردا في ديوان أبي العتاهية. ينظر: ديوان أبي العتاهية، 430- 458.

4 (?) البيت من الكامل، ونُسب لابن أبي حصينة في (معجم الأدباء، 3/ 177)، ونسب لعمران بن حطان في (تاريخ الإسلام، 6/ 156، وشعر الخوارج، 155).

5 (?) البيت من البسيط، وقد ورد منسوبًا للحسن بن علي رضي الله عنهما. ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 214.

6 (?) البيت من الطويل، أنشده أعرابي، وذلك عندما نزل بقوم فقدموا إليه طعامًا، ثم قام

وقال آخر:

وَإِنِ امْـرَأً دُنْيَـاهُ أَكْبَـرُ هَمِّهِ ... غُـــرُورِ [1]

وقال آخر:

وَمَنْ يَحْمَـــدِ الدُّنْيَا لِعَيْشٍ ... فَسَـوْفَ لَعَمْـرِي عَنْ قَلِيْـلِ

إِذَا أَدْبَـرَتْ كَـانَتْ عَلَى المَـرْءِ ... هُمُوْمُهَـا [2]

وقال آخر:

أَرَى الدُّنْيَا تَجَهَّزُ بِـانْطِلاقٍ ... مُشَمِّرَةً عَلَى قَـدَمٍ وَسَـاقِ

فَمَـا الدُّنْيَا بِبَاقِيَـةٍ لِحَيٍّ ... وَلا حَيٌّ عَلَى الدُّنْيَا بِبَـاقِ [3]

فهذا ما أردنا إيراده من الأبيات الشعرية المتضمنة للحكم والآداب الشافية.

المقام الثاني: في إيراد الأمثلة للدنيا

وجملة ما نورده من ذلك أمثلة عشرة:

المثال الأول: في تقضيها وزوالها

اعلم أن الدنيا مثل الظلّ سريعة الفناء قريبة الانقضاء، تعد بالبقاء، ثم تخلف بالوفاء، تنظر إليها فتراها ساكنة مستقرة، وهي سائرة سيرًا عنيفًا ومرتحلة ارتحالاً سريعًا، ولكن الناظر إليها قد لا يحسّ تحركها فيطمئن إليها، وإنما يحسّ عند انقضائها، ومثالها الظلّ فإنه متحرك في الحقيقة ساكن في الظاهر لا تدرك حركتها بالبصر الظاهر إنما تدرك بالبصيرة الباطنة، ولمّا علم أهل العقول، والعلم، والمعرفة أن الله تعالى قد أهان الدنيا، وأنه لم يرضها لأوليائه، وأنها عنده

إلى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمة فأصابته الشمس فانتبه . ينظر: نفسه، 3/ 214.

1 (?) البيت من الطويل، قال الأصمعي: كان هذا البيت منقوشًا في خاتم أبي عمرو بن العلاء، فسألته عن ذلك، فقال: كنت في ضيعتي نصف النهار فسمعت قائلاً يقول هذا البيت فنظرت فلم أجد أحدًا، فكتبته على خاتمي. ينظر: تاريخ دمشق، 67/ 115، 116.

2 (?) البيتان من الطويل، ونسبا للإمام علي- كرم الله وجهه. ينظر: نفسه، 70/ـ 197. ولم يردا في ديوانه، 119- 155.

3 (?) البيتان من مجزوء الوافر، ولم يقف الباحث على قائل للبيتين إلا ما قيل: إن الفضل بن مغفل العجلي المتوفى سنة 52هـ، كان من الرؤساء الفضلاء، وكانت له قبة على سكة الليث على طريق المدينتين بقزوين كُتب عليها هذان البيتان. ينظر: التدوين في أخبار قزوين، 4/ 30.

حقيرة قليلة، وإن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- زهد فيها، وزهد فيها أصحابه، وحذرهم من فتنتها أكلوا منها فضلاً وقدموا فضلاً، أخذوا منها ما يكفي، وتركوا ما يلهي، وعرفوا قطعًا ويقينًا أنها فيء زائل، وسناد مائل، ونجم آفل، ونفاد حاصل.

المثال الثاني: من جهة التغرير بخيالها؛ لأنها تشبه خيالات المنام وأضغاث الأحلام

وقال بعض الزهاد: ما شبهت نفسي، والدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره، وما يحب، فبينا هو كذلك إذ انتبه[1]، فهكذا حال الناس إذا ماتوا انتبهوا، فإذا ليس في أيديهم شيء ممّا ركنوا إليه، وفرحوا به، وقيل لحكيم: أيّ شيء أشبه بالدنيا؟ فقال: أحلام النيام[2].

قال أنس بن مالك: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «مثل هذه الدنيا مثل ثوب شقّ من أوله إلى آخره، فبقي متعلقًا بخيط في آخره فيوشك بأن ينقطع ذلك الخيط»[3]، وقال عيسى- صلوات الله عليه-: مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر، كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا حتى يقتله[4]، وقال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «ما مثل الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليمّ فلينظر ماذا يرجع إليه»[5].

المثال الثالث: في عداوة الدنيا لأهلها وإهلاكها من اطمأن إليها

اعلم أن طبع الدنيا هو التلطف في الاستدراج أولاً، والتوصل إلى الإهلاك آخرًا، وهي كامرأة تتزين للخطّاب، حتى إذا نكحتهم ذبحتهم، فقد رُوي أن عيسى- عليه السلام- مُثِّل له الدنيا فرآها في صورة عجوز هتماء، عليها من كل زينة،

1 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 214.
2 (?) ينظر: نفسه.
3 (?) شعب الإيمان، 7/ 260.
4 (?) تاريخ دمشق، 47/ 431.
5 (?) صحيح مسلم، 4/ 2193.

فقــال لهــا: كم تــزوجت؟ قــالت: لا أحصــيهم، قــال: فكلهم مــات عنك، أو كلهم طلقك؟ قالت: بل كلهم قتلت، فقال عيسى- عليه السلام-: بؤسًا لأزواجك الباقين لا يعتبرون بالماضين، كيف يهلكون واحدًا واحدًا ولا يكونون منك على حذر؟![1].

ويُحكى أن أمــير المؤمــنين- كــرم اللــه وجهه- كتب إلى ســلمان الفارسي- رضي الله عنه-، فقال له: مثل الدنيا مثل الحيّة لين مسها قاتــل ســمها، فــأعرض عمّا يعجبك منها لقلّة ما يصحبك منها، وضع عنك همومهــا لمّــا أيقنت من فراقهــا، وكن آنس ما تكون بها، أحذر ما تكون منها فإن صاحبها كلمــا اطمــأن إلى ســرور أشخصته إلى مكروه، والسلام[2].

المثال الرابع: للدنيا في مخالفة باطنها لظاهرها

اعلم أن الــدنيا مزينــة الظــواهر، قبيحةالســرائر، وهي تشــبه عجــوزًا متزينةً تخدع الناس بظاهرها، فإذا وقفوا على باطنها، وكشــفوا القنــاع عن وجههــا تمثلت لهم قبائحهــا فنــدموا على اتباعهــا، وخجلــوا من ضــعف عقــولهم في الاغــترار بظاهرها.

قال العلاء بن زياد: رأيت عجوزًا في المنام كبــيرة، عليهــا من كــل زينــة الــدنيا، والناس عاكفون[3] حولها معجبون بها ينظرون إليها، فجئت وتعجبت من نظرهم إليها وإقبالهم عليها، فقلت لها: ويلك فمن أنت؟ فقالت: إني أنا الدنيا، فقلت: أعوذ باللــه من شرّك، قالت: فإن أحببت أن تعاذ من شرّي فأبغض الدينار، والدرهم[4].

وقال بعض الحكماء: رأيت الدنيا في صورة عجوز شوهاء شمطاء في النــوم تصفق بيــدها، وخلفهــا خلــق يتبعونها، ويصــفقون أيــديهم، ويرقصــون، فلمــا كــانت

---

1 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 214، 215.
2 (?) ينظر: نهج البلاغة، 458.
3)) في (د،م) عكوف.
4 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 215.

بحذائي أقبلت عليّ، فقالت: لو ظفرت بك لصنعت بك ما صنعت بهــؤلاء، ثم بكى هذا الحكيم[1]، وقال الفضيل بن عياض: قال ابن عباس: يُؤتى بالدنيا يـوم القيامـة في صـورة عجـوز شـمطاء زرقـاء، أنيابهـا باديـة مشـوهة خلقهـا، فتشـرف على الخلائق، فيقال: تعرفون هذه، فيقولون: نعوذ بالله من معرفـة هـذه، فيقـال لهم: هذه الـدنيا الـتي تنـاحرتم عليها، وتقـاطعتم الأرحـام، وبهـا تحاسـدتم، وتباغضـتم، واغتررتم، ثم يقذف بها في جهنم فتنادي: أي رب أين أتبـاعي وأشـياعي؟ فيقـول الله- عزّ وجلّ-: ألحقوا بها أتباعها، وأشياعها[2]، وقـال الفضـيل بن عيـاض: بلغـني أن رجلاً عرج بروحه إلى السماء، فإذا امرأة على قارعـة الطريـق عليهـا من كـل زينة من الحليّ، واللباس والثياب، وإذا لا يمر بها أحد إلا جرحته، فـإذا هي أدبـرت كانت أحسن شـيء رآه النـاس، وإذا أقبلت كـانت أقبح شـيء رآه النـاس: عجـوز شمطاء زرقاء عمشاء، قال: فقلت: أعوذ بالله منك. قالت: لا والله لا يعيذك اللـه مني حتى تبغض الدرهم، فقلت: من أنت؟ قالت: أنا الدنيا[3].

المثال الخامس: للدنيا في عبور الإنسان عنها وخروجه منها

اعلم أن أحوال الإنسان ثلاثة: حالة لم يكن فيهـا شـيئًا، وهي مـا قبـل وجـوده إلى الأزل، وحالاً يكون فيها مشـاهدًا للـدنيا، وهي مـا بعـد موتـك إلى الأبـد، وحالـة متوسطة بين الأبد والأزل، وهي أيـام حياتـك في الـدنيا، فـانظر إلى مقـدار طولهـا وأقسه[4] إلى طرفي الأزل والأبـد حـتى تعلم أنـه أقلّ من مـنزل قصـير في سـفر طويل، ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما لي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف، فرفعت له شجرة، فقـال تحت ظلهـا سـاعة، ثم

---

1 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 215.
2 (?) ينظر: شعب الإيمان، 7/ 383.
3 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 215.
4)) في (د،م) انسبه.

راح عنهـا»[1]، ومن رأى الـدنيا بهـذه العين لم يـركن إلى الـدنيا، ولم يبـال كيـف انقضت أيامه في ضرّ وضيق، أو في سعة ورفاهية، بل لا يبني لبنة على لبنة.

ولقد توفي رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وما وضع لبنة على لبنة، ولا فضـة على فضة، ورأى بعض أصـحابه يبـني بنـاء من خصّ فقـال: «أرى الأمـر أعجل من هذا»[2]، وأنكر ذلك عليه، وإلى هـذا أشـار عيسى- عليـه السـلام- حيث قال: الدنيا قنطرة فاعبروها، ولا تعمروها[3]، وهو مثال واضـح، فـإن الحيـاة الـدنيا معبرة إلى الآخرة، والمهد هو المثل الأول على رأس القنطرة، واللحد هـو المثـل الثاني، وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصـف القنطـرة، ومنهم من قطـع ثلثهـا، ومنهم من قطـع ثلثيهـا، ومنهم من لم يبـق لـه إلا خطـوة واحـدة، وهوغافل عنها، وكيف ما كان فلا بـد من العبـور على هـذه القنطـرة، ولا شـك أن البناء عليها، وتزيينها بأصناف الزينة، وأنت عابرعليها هو غاية الجهل والخذلان.

المثال السادس: للدنيا في تعذر الخلاص منها والخروج من تبعاتها بعد الخوض فيها والدخول في بحرها

قال الرسول- صلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم-: «إنمـا مثـل الحيـاة الـدنيا كمثـل الماشي في الماء،هل يستطيع الذي يمشي في الماء أن لا تبتل قدماه؟!»[4]، وهــذا يعرفـك جهالـة قـوم ظنـوا أنهم يخوضـون في نعيم الـدنيا بأبـدانهم، وقلـوبهم عنهـا مطهرة، وعلائقها عن بواطنهم منقطعة، وتلك مكيدة الشيطان، بل لو أخرجـوا ممّـا هم فيه لكانوا أعظم المتفجعين بفراقها، فكما أن المشـي على المـاء لا بدّ فيـه من إصابة البلل لا محالة يلصق بالقدم، فهكذا ملابسة الدنيا تقتضـي علامـة وظلمـة في

---

1 (?) المستدرك على الصحيحين، 4/ 345. بلفظ: «مالي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب قال تحت شجرة في يوم صائف فراح، وتركها».

2 (?) سنن الترمذي، 4/ 568. بلفظ: «ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك».

3 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 215.

4 (?) شعب الإيمان، 7/ 360.

القلب، بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة.

قـال عيسى- صـلوات اللـه عليه-: بحقّ أقـول لكم كمـا ينظـر المـريض إلى طعام، فلا يلتذ به من شدّة المرض، فهكذا صاحب الدنيا لا يلتذّ بالعبـادة، ولا يجـد حلاوتها مع ما يجد من حبّ الـدنيا، بحقّ أقـول لكم: إن الدابـة إذا لم تـركب، ولم تمتهن تصعبت، وتغير خلقهـا، كـذلك القلـوب إذا لم ترقـق بـذكر المـوت، ونصـب العبادة تقسو وتغلظ، بحقّ أقول لكم: إن الزقّ ما لم يخرق، أو يقحل[1] يوشك أن يكون وعاء للعسل، فكذلك القلوب ما لم تخرقها الشـهوات، أو يدنسـها الطبع، أو يقسها النعيم فإنها تكون أوعية للحكمة[2]، وقد قال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم-: «إنما بقي من الدنيا بلاء وفتنة، وإنما مثل أحدكم كمثل الوعـاء إذا طـاب أعلاه طاب أسفله، وإذا خبث أعلاه خبث أسفله »[3]، وبالله التوفيق.

المثال السابع: لمخالفة أول الدنيا لآخرها، ولحسن أولها وقبح آخرها ورداءة عواقبها

اعلم أن شـهوات الـدنيا في القلب لذيـذة كشـهوات الأطعمـة في المعـدة، وسيجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبـه من الكراهة، والنتن، والقبح مـا يجد للأطعمة اللذيـذة إذا بلغت في المعـدة غايتهـا، وكمـا أن الطعـام ألـذ طعمًـا، وأكثر دسمًا، وأظهر حلاوة كان رجيعـه أخبث مـا يكـون، وأشدّ نتنًـا، وأقـذر حـالاً، فهكذا كل شهوة في القلب هي أشهى وألذّ وأقوى، فالتـأذي بهـا لنتنها، وكراهتهـا

---

1)) يقحل: ييبس. ينظر: لسان العرب، مادة (قحل).

2 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 216.

3 (?) مسند أحمد، 4/ 94.

عند الموت أشدّ لا محالة، بل هي في الدنيا مشـاهدة، فكـل من نهبت داره وأخـذ أهله وولده وماله، فتكون مصيبته، وألمه، وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذتـه فيـه، وحبه له وحرصه عليه، فكل ما كان عند الوجود أشهى وألذ، فهو عند الفقـد أدهى وأمر، وما الموت معنى ولا حقيقة إلا فقد ما في الدنيا.

وقد قـال صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم للضـحاك الكلابي[1]: «ألسـت تـؤتى بطعامك، وقد ملح وقزح، ثم تشر ب عليه اللبن والماء» قال: بلى، قـال: «فـإلى ما يصير»؟ قال: إلى ما علمت يا رسول الله. قال:«فإن اللـه ضـرب مثـل الـدنيا بما يصير إليه طعام ابن آدم»[2].

وقـــال أبيّ

ُ بن كعب[3]: قال رسول الله- صلى الله عليه وآلـه وسـلم- : «إن الـدنيا ضـربت مثلاً لابن آدم بطعامه، فانظر ما يخرج من ابن آدم، وإن قزحـه وملحـه إلى مـا يصـير»[4]، وقال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «إن الله ضرب الدنيا مثلاً لمطعم ابن آدم، وضرب مطعم ابن آدم للدنيا مثلاً، وإن قزحه وملحه»[5].

---

1 (?) وهو الضـحاك بن سـفيان بن عـوف الكلابي، صـحابي، بعثه النـبي- صـلى الله عليه وآله وسلم- على سرية، وكان بمائة فارس، وكان على صدقات قومه، توفي سـنة 11هــ. ينظـر: الإصابة، 3/ 477. الأعلام للزركلي، 3/ 214.

2 (?) المعجم الكبير، 8/ـ 299. بلفظ: «ما طعامـك؟ قلت: اللحم واللبن. قـال: ثم يصـير إلى مـاذا؟ قلت: ثم يصـير إلى ما قد علمت، فقـال: إن الله ضـرب ما يخـرج من ابن آدم مثلاً للدنيا».

3 (?) وهو أبي بن كعب بن قيس الأنصاري، من بني النجـار، سـيد القـراء، من أصـحاب العقبة الثانية، شهد المشاهد كلها، وفي أثبت الأقوال توفي سنة 30هـ. ينظر: الإصابة، 1/ 27.

4 (?) شعب الإيمان، 5/ 29. بلفظ:« إن مطعم ابن آدم ضرب مثله للدنيا مما يخرج من ابن آدم، وإن ملحه، وقزحه فيعلم إلى ما يصير».

5 (?) نفسه.

قال الحسن البصري: قد رأيناهم يطيبونها بالأفاويه[1]، والطيب والأبازير[2]، ثم يرمون به حيث رأيتم[3]، وقد قال الله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[4] قال ابن عباس- رضي الله عنهما- إلى رجيعه.

المثال الثامن: للدنيا وأهلها في اشتغالهم بنعيم الدين وغفلتهم عن نعيم الآخرة وحسراتهم العظيمة بسببها

اعلم أن أهل الدنيا في غفلتهم مثلهم مثل قوم ركبوا سفينة، فانتهت بهم إلى جزيرة، فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحوائج، وحذّرهم المقام، وحذرهم مرور السفينة، واستعجالها، فتفرقوا في نواحي تلك الجزيرة، فقضى بعضهم الحاجة، وبادر إلى السفينة فركبها، وصادف المكان خاليًّا، فأخذ أوسع الأماكن منها، وأطيبها، وأوفقها[5] لمراده، وبعضهم وقف في الجزيرة ينظر إلى أنهارها، وأنوارها العجيبة، وغياضها الملتفة، ونغمات طيورها العجيبة، وألحانها الموزونة الغريبة، وصار يلحظ من تربتها أحجارها، وجواهرها، ومعادنها المختلفة الألوان، والأشكال العجيبة التي تسلب أعين الناظرين بحسن زبرجدها، وعجائب صورها، ثم إنه تنبه لخطر مرور السفينة وفواتها، فرجع إليها فلم يصادف إلا مكانًا ضيقًا حرجًا، فاستقر فيه، وبعضهم أكبّ على تلك الأصداف والأحجار، وأعجبه حسنها، ولم تسمح نفسه بإهمالها، فاستصحب منها جملة، فلم يجد في السفينة إلا مكانًا ضيقًا، وزادته الحجارة ضيقًا، وصارت ثقلاً عليه، ووبالاً، فندم على أخذها، ولم يقدر على رميها، ولم يجد مكانًا لوضعها، فحملها في السفينة على عنقه، وهو متأسف على أخذها، وليس ينفعه التأسف، وبعضهم تولج الغياض، ونسي

---

[1])) الأفاويه: ما يعالج به الطيب كما أن التوابل ما تُعالج به الأطعمة. ينظر: لسان العرب، مادة (فوه).

[2])) الأباريز: جمع إبريز وهو الذهب الخالص. ينظر: نفسه، مادة (برز).

[3] (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 3/ 217.

[4] (?) سورة عبس الآية 24.

[5] (?) في (د،م) أوقعها.

المركب، وبعد في متفرجه، ومتنزهه منها حتى ما يبلغه نداء الملاح؛ لاشتغاله بتلك الثمار، والشمّ لتلك الأزهار والأنوار، والتفرج بين تلك الأشجار، وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع، وغير خالٍ من السقطات والنكبات، ولا ينفك عن شوك تشبث بثيابه، وشوك تدخل في رجله، وصوت هائل، وعوسج يجرح ثيابه، ويهتك عورته، ويمنعه عن الانصراف، فلما بلغهم نداء السفينة انصرف بعضهم مثقلاً، ولم يجد في المركب موضعًا فبقي على الشط حتى مات جوعًا، وبعضهم لم يبلغه النداء، وسارت السفينة ، فمنهم من افترسته السباع، ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك، ومنهم من مات في الأوحال، ومنهم من نهشته الحيات، وتفرقوا كالجيف المنتنة. فهذا مثال أصناف أهل الدنيا في اشتغالهم بالحظوظ العاجلة، ونسيانهم للآخرة.

المثال التاسع: لاغترار الخلق بالدنيا، وضعف إيمانهم بتحذير الله تعالى لهم غوائل الدنيا وعواقبها

قال الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- يومًا لأصحابه: «إنما مثلي ومثلكم كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى إذا لم يذروا ما سلكوا منها، وما بقي أنفدوا الزاد، وخسروا الظهر، وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد، ولا حمولة، فأيقنوا بالهلكة، فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم رجل في حلّة يقطر رأسه، فقالوا: قريب عهد بريف، وما جاء هذا إلا من قريب، فلما انتهى قال: يا هؤلاء، قالوا: يا هذا. قال: على ما أنتم؟ فقالوا: على ما ترى، قال: أريتكم إن هديتكم إلى ماء رواء، ورياض خضراء، ما تعملون؟ قالوا: نطيعك، ولا نعصيك شيئًا، قال: عهودكم ومواثيقكم بالله لا تعصونني شيئًا. قال: فأوردهم ماء رواءً ورياضًا خضرًا، فمكث فيهم ما شاء الله، ثم قال: يا هؤلاء، قالوا: يا هذا، قال: الرحيل ، قالوا: إلى أين؟ قال: إلى ماء ليس كمائكم، وإلى رياض ليس كرياضكم، فقال أكثرهم: والله ما

وجدنا هذا حتى ظننا أن لا نجده، وما نصنع بعيش خير من هذا، قال: وقالت طائفــة: وهم أقلّهم، ألم تعطوا هذا الرجل عهودكم، ومواثيقكم باللــه ألا تعصــوه شــيئًا، وقــد صدقكم في أول حديثه، فو الله ليصــدقنكم في آخــره، فــراح في من أتبعــه، وبقيت بقيتهم، فبدر بهم عدو فأصبحوا بين قتيل وأسير»[1]، فهذا مثــل للــدنيا في الاغــترار، وضعف الحال في الإيمان على ما ذكرناه.

المثال العاشر: للدنيا في تنعم أهلها وتفجعهم على فراقها

اعلم أن مثــل الخلــق فيمــا أعطــوا من الــدنيا مثــل رجــل هيــأ دارًا زخرفهــا، وزينها، وهــو يــدعو إلى داره قومًــا فقومًــا، وواحدًا بعــد واحــد، فــدخل واحــد داره، فقدّم إليه طبقًا من ذهب عليه بخور ورياحين وطيب ليشــمه، ويتركــه لمن يلحقــه لا ليتملكه ويأخذه، فجهل رسمه، فظن أنه قد وهب لــه الطبــق، فتعلــق بــه قلبــه، وشغف لما ظن أنه له، فلما استرجع منه ضــجر وســخر وتفجــع، ومن كــان عالمًــا برسمه انتفع بــه وشــكره، ورده بطيبــة من نفســه، وقــرار من خــاطره، وســهولة وانشراح صدر، فهكذا حال من عرف سُنَّة اللــه في الــدنيا عــرف أنهــا دار ضــيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها، وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافر بالعواري، ولا يصرفون إليها كل همهم حتى تعظم مصيبتهم عند فراقهــا، فهذه أمثلة الــدنيا في التنعم بها، والفجيعــة بتركهــا، و[2]لنقبض عنــان الكلام هاهنا، ونقتصر على ما ذكرناه من أمثلة الدنيا ففيه كفاية، وهي فكرة لمن تفكر، وعــبرة لمن اعتبر واستبصر.

فأما أمثالها في كتاب الله فهي كثيرة، منها قــول اللــه تعــالى:

---

[1] (?) ينظر: مسند أحمد، 1/ 267.

[2])) في (د) سقط: الواو.

[illegible][1]، ومنها: قوله تعالى: [illegible][2]، ومنها: قوله تعالى: [illegible][3]، فهذا ما أردنا ذكره في ذمّ الدنيا، كما أشار إليه صاحب الشريعة صلوات الله عليه.

---

1 (?) سورة الكهف من الآية 45.
2 (?) سورة يونس من الآية 24 .
3 (?) سورة آل عمران من الآية 117.

الحديث العشرون

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صَلّى اللهُ عَلَيه وَآلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُـول: **«إِنَّمَا أَنْتُمْ خَلْفُ مَاضِـينَ، وَبَقِيَّةُ مُتَقَـدِّمِينَ كَـانُوا أَكْثَـرَ مِنْكُمْ بَسْـطَةً، وَأَعْظَمَ سَطْوَةً، أُزْعِجُوا عَنِ الدُّنْيَا أَسْكَنَ مَا كَانُوا إِلَيْهَـا، وَغَـدَرَتْ بِهِمْ أَوْثَقَ مَا كَانُوا بِهَـا فَلَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ قُـوَّةُ عَشِـيرَةٍ، وَلاَ قُبِـلَ مِنْهُمْ بَـذْلُ فِدْيَةٍ، فَأرْحِلُوا أَنْفُسَكُم بِزَادٍ مُبَلِّغٍ، قَبْلَ أَنْ تُؤْخَـذُوا عَلَى فَجْـأَةٍ، وَقَـدْ غَفَلْتُمْ عَن الاِسْتِعْدَادِ»**[1].

فنقول: الحمد لله المسبح بأسـمائه وصـفاته، المقـدس في جميـع أرضـه وسمواته، الذي جعل الدنيا معبرًا لأوليائه إلى إحراز خيراتـه، ووصـلة وذريعـة إلى التنعم في ريـاض جناتـه، وبـوأهم رضـوانه، وأحلّهم دار كراماتـه، فاطمـأنت بهم الدار، وطـاب لهم فيهـا المسـكن والقراربإكرامـه بسـلامه وتحياتـه، فـأقبلوا على استعمال[2] الشهوات للنفوس، وارتياح القلـوب بشـريف عطائـه ونفيس لذاتـه، [illegible]

[illegible][3]

على خوف ربكم وطاعاته، وبعدهم عما أعد الله لأعدائـه من عظيم عذابه، وشدّة غضبه ونقمه، وأحلّهم دار الهوان التي هيأها للمستحقين لعقابه، وعظيم سطواته، أزعجـوا عن الـدنيا حين اطمأنواإليهـا لمّـا أعرضـوا عن أوامـره وسـماع عظاتـه، وغـدرت بهم لمّـا آثروها، وجنحـوا إلى المخالفـة بملابسـة مناهيـه، والمبـادرة إلى معاصيه، فعلق الـرهن بمـا فيـه، ولم تغن عنهم قـوة عشـيرة، ولا بـذل فديـة من ذخائر المال ونفائسه وكريماته، فحمـدًا دائمًـا، وشـكرًا سـرمدًا لمن أطلعنـا على حقائق معارفه، وعظيم ملكوته، ووفقنا لطاعته، وخصّنا بمـا ألهمنـا عن[4] غـرائب

---

1 (?) الأربعون حديثًا السيلقية، 31.

2 (?) في (د) استعمالات.

3 (?) سورة الرعد من الآية 23، ومن الآية 24.

4 (?) في (ك،م) من بدلاً عن: عن.

العلم ومكنوناته، وأكرمنا بما عرفنا من جواهر أسراره ومخزوناته.

والصلاة على المخصوص بمعجزاته، والمبعـوث بـأبهر آياتـه، وعلى آلـه الطيـبين أنجم الهدى ومصابيحه، وخزائن العلم النافع ومفاتيحه، فـهذا[1] الحـديث قـد اشـتمل على النظر في أمور ثلاثة نفصلها بمعونة الله تعالى.

النظر الأول: في بيــان ما اشــتمل عليه من العلــوم الأدبية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: في بيان ما تضمنه من العلوم اللغوية

الخَلَـفُ: بفتح (اللام) هـو نقيض السَلَف بفتح (اللام) أيضًـا، و**السـلف**: هـو القرن المتقدم، و**الخلف**: هو الـذي يخلفـه في مكانـه، وسـكون أوطانـه وقيامـه مقامة في وراثة سـلطانه، ومن هـذا أخـذت الخلافة، **فالخلف**: هـو الـذي يعقب السـلف، فـإن كـان بفتح (اللام) فهـو الـذي يسـاوي الأول في الـدعاء إلى الخـير والدِّين، وإن كـان مسـتعملاً بسـكون (اللام) فهـو دون الأول، قـال اللـه تعـالى: ﴿ [illegible] ﴾[2]، و**الماضي**: هو السالف، وأصل المضي في الاشتقاق هو القطع، ويقال للسيوف: مواض، و**البقية**: هي فضالة الشيء، وحثالته، قال الله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[3] معناه: استبقاؤكم الله ذخيرة، وهو خير لكم في جميع الأمور كلها.

و**المتقدمون**: هم السابقون. **الأكثر**: نقيض الأقـل، و**البَسـطة**: هي الفضـل والسعة، وهي مأخوذة من البسط الذي هو نقيض القبض، و**العظيم**: نقيض الحقـير، و**السـطوة**: هي الوقعـة، يقـال: سـطا بـه إذا وقـع عليه، وبطش بـه. **الإزعـاج**:

---

1 (?) في (د،م) الواو بدلاً عن الفاء.
2 (?) سورة مريم من الآية 59.
3 (?) سورة هود من الآية 86.

هوالإخراج بعنف وشدة، و**السكون**: الطمأنينة، و**الغـدر**: هـو فعـل المكـروه ممّن لا يخشى منه ذلك.

الوثاق: الشـدة والصـلابة. **الإغناء**: هـو الكفايـة، و**الغَنـاء**: هـو النفـع بفتح (الفاء). **القوة**: نقيض الضعف، و**العشيرة**: هم أهل الإنسان وأقاربه، واشـتقاقها من العِشرة، وهي الألفـة والمعاونـة والمنافعـة، **القبول**: نقيض الـردّ، و**البـذل**: نقيض المنع، و**الفدية**: ما يخلص[1] به الإنسان نفسه ممّا يقوم مقامه من المـال، قال الله تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[2]، ويقال: أفدى وفدى وفادى؛ فأما **أفدى**، فأخذ مالاً، وأعطى رجلًا، كما كان في أسرى بدر، فإن المسلمين أفـدوهم فأخذوا مالاً، وأعطوا رجالاً، وهم الأسرى، وأما **فدى**، فأعطى مالاً وأخذ رجلًا، كما كان في المشركين، فإنهم أعطـوا مـالاً وأخـذوا رجـالاً، وأمـا **فادى**، فأخـذ رجلاً، وأعطى رجلاً[3]، فقد كان ذلك من جهة الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- فإنه أتى برجل أسير فأراد أن يمنّ عليه، وقد كان أسر رجلين أسرا في سرية ، فقال: لا تطلقوه حتى يقدم الرجلان، أراد اللـذين أرسـلهما، أراد إن جـرى عليهمـا حبس كان الفداء رجلاً برجل.**الارحال**: أخذ من قولهم: أرحل الرجل نفسه يرحلهـا، ولـ (أفعل) هاهنا معنيان:

المعـنى الأول: أن يكـون (أفعل) على جهـة التعديـة، كمـا تقـول: دخـل وأدخلتـه، وخـرج وأخرجتـه، فيكـون المعـنى على هـذا «**أرحلـوا نفوسـكم**[4]» اجعلوها راحلة بالزاد، وهذه هي فائدة التعدية، كما تقول: أدخلته إذا جعلتـه داخلاً، وأخرجتـه إذا جعلتـه خارجًـا، وهـذا هـو الأكـثر في اسـتعمال (أفعل) من جهـة أن الهمزة فيه للتعدية.

---

1 (?) في (د،ك،م) يتخلص.
2 (?) سورة الصافات الآية 107.
3 (?) في (د،م) سقط: وأما فادى فأخذ رجلاً و أعطى رجلاً.
4)) ورد في لفظ الحديث: أنفسكم.

المعنى الثاني: أن يكون (أفعل) معناه الصيرورة ذا كذا، كما تقول يقال: أغد البعير إذا صار ذا غدّه، وأجرب الرجل إذا صار ذا جرب في ماله، وهكذا قولهم ألام إذا صار ذا لوم، وأرأب إذا صار ذا ريبة، فعلى هذا يكون معناه هاهنا «**أرحلوا نفوسكم**[1]» أيْ: صيروها ذا رحلة بالزاد، وكلا المعنيين لا غبار عليه كما ترى، و**الزاد**: ما يستصحبه الإنسان في سفره؛ لأنه أعظم ما يحتاج إليه في السفر؛ إذ يتعذر السفر من دون زاد. **المبلغ**: هو الموصل، ومنه قولهم: بلغ إذا وصل إلى غرضه ومراده، و**قبل**: نقيض بعد، وهو من الأزمنة المتقدمة، و**الأخذ**: نقيض الترك، و**الفجأة**: هي الغفلة ، فأما قطري بن الفجاءة[2] فإنما لقّب بذلك؛ لأن أباه جاء به من اليمن فجأة، وقد صار رجلاً، ولا علم له بأن له في اليمن ولدًا، فسموه الفجاءة من أجل ذلك[3]، و**الغفلة**: نقيض اليقظة، والغفلة قد تكون من الله تعالى كما قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[4]، والغرض **بالغفلة**: هاهنا هو ترك الألطاف الخفية، إما من جهة أنها غير واجبة على الله تعالى فلا يستحقونها لإعراضهم، وإما على أن الألطاف واجبة على الله، فليس له في المعلوم لطف، فلا بدّ من تنزيل الآية على ما ذكرناه من الوجهين، وقد تكون الغفلة من الشيطان بأن يوسوس بالأشغال، فيحصل النسيان من أجل ذلك، وهذا عارض، وله موضع أخصّ به، و**الاستعداد**: جمع الآلة، والعدّة للحرب وغيره ممّا يفتقر إلى العدّة، والله الموفق.

المطلب الثاني: في بيان ما تضمنه من المعاني الإعرابية

فقوله: «**إنما أنتم**» هي للحصر، أعني: «**إنما**»؛ لأنها في معنى النفي

---

1)) ورد في لفظ الحديث: أنفسكم.

2 (?) وهو جعونة بن مازن بن يزيد التميمي المازني الخارجي، خرج زمن مصعب بن الزبير في العراق، وقاتل، وسلّم له بالخلافة، قتل سنة 78هـ. ينظر: وفيات الأعيان، 4/ 93.

3 (?) ينظر: نفسه، 4/ 94.

4 (?) سورة الكهف من الآية 28.

والإثبات، كأنه قال: ما أنتم إلا كما قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[1] أيْ: ما إلهكم إلا اللــه، ولا واســطة بين النفي والإثبــات، وهــذا من الأمــور الضــرورية المعلومــة بصــريح العقل، وحكي عن أبي حنيفة[2] أنــه أثبت واســطة بين النفي والإثبات، فإذا قلت ما قـام أحـد إلا زيد، فالقيـام قـد تقـرر لزيـد بالاسـتثناء، وهـو الإثبات ولم ينتـف القيـام عمّن سـواه، وإنمـا ينتفي على حكم العقل، ومـا زعمـه فاسد لأمرين، أما **أولاً،** فلما ذكرناه من أن صريح العقل قاضٍ بأنه لا واسطة بين النفي والإثبات، وهو من الأمور الضـرورية البديهية، وأمـا **ثانيًا،** فلأنـه يلـزم أن لا يكون قولنا: لا إله إلا الله صريح في الوحدانية، وهـذا ممّـا لا خلاف في أنـه كلمـة توحيد، وأنه صريح في نفي الإلهية عمّا سوى اللـه، وإثباتهـا للـه تعـالى، و«**أنتم**» ضـمير منفصـل مرفـوع على الابتـداء. «**خلف ماضين**» مرفـوع على أنـه خـبر المبتــدأ مضــاف إلى مــا بعــده، و«**ماضــين**» مجــرور بإضــافة «**خلف**» إليــه، و«**اللام**» في «**ماضين**» محذوفة لأجل الثقل بالكسرة عليهـا، وأصـله: ماضـيين بـــ (يـائين)، فتقلب الكسـرة على اليـاء، فحـذفت للخفّـة، فـالتقى سـاكنان (لام) الكلمة و(ياء) الإعراب، فحـذف (لام) الكلمـة لأنـه أحقّ بالحـذف؛ لأن الإعـراب لا يحـذف، وهـو مجمـوع للسـلامة معـرب بـالحرف كالمسـلمين، وهـو صـفة حـذف موصوفة، واستغنى بالصفة عنه، كما قال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[3]، والتقدير: خلف قـوم ماضـين، وحـور قاصـرات الطـرف، والسـرّ في ذلـك هـو أن المقصود الإعلام بالصفة من أول وَهْلة، والتعريف بها، فلهذا طرح الموصـوف من أجـل ذلك، و**الخلف**: اسـم الجمـع، وليس جمعًـا على الحقيقـة، كمـا في النفـر والرهط، ولهذا فإنه يصغر على لفظـه لـو كـان جمعًـا ردّ إلى مفـرده، إمـا بـالواو

---

1 (?) سورة طه من الآية 98.

2 (?) وهو النعمان بن ثابت، الفقيه الكوفي، مولى تيم الله بن ثعلبة، عالم، زاهـد، عابـد، ورع، ولد سنة 80هـ، وتوفي سنة 150هـ. ينظر: وفيات الأعيان، 5/ 405- 414.

3 (?) سورة الصافات الآية 48، ص الآية 52.

والنون، كما في غلمان، فتقول: غليمـون، وإمـا بـالألف والتـاء، كمـا في مسـاجد، فتقـول: مسـيجدات، والـ «**بقية**» (فعيلة) مرفـوع بـالعطف على «**خلف**»، وهـو مضاف إلى ما بعده، وهو قوله: «**متقدمين**» جمع للسلامة.

«**كـانوا أكـثر**» «**الـواو**» هي ضـمير الفاعـل، و«**أكـثر**» (أفعـل تفضـيل) منصوب على الخبرية لـ «**كان**»، ولها استعمالات[1] في لغة العرب، فقد تستعمل تامة مقصورة على الفاعل لا غير، كما قالوا: كانت الكائنة، وبمعنى صار، وزائـدة، وأكـثر اسـتعمالها ناقصـة دالـة على اقـتران مضـمون الجملـة بالأزمنـة الماضـية، ومعـنى نقصـانها: افتقارهـا إلى اسـم وخـبر، كمـا وقعت هاهنـا. «**منكم**» جـار ومجـرور متعلقـان بـ «**أكـثر**»، و«**من**» لابتـداء الغايـة أينمـا وقعت بعـد أفعـل التفضيل. **البسطة**: مصـدر بسـط، كضـرب ضـربة، وليس الغـرض هاهنـا المرّة الواحدة، ولكن استعمال المصدر ورد بــ (التـاء)، كالاسـتعانة والدحرجـة، ونصـبها على التمييز؛ لأنها رافعة لما وقع من الإبهام في أكثر، وأعظم سـطوة معطوفـان على «**أكثر بسطة**»، فيشاركه في عامله.

«**أزعجوا**» فعل[2] لما لم يسم فاعله، و«**الواو**» هي الفاعلة، أقيمت مقــام فاعلـه. «**عن الدنيا**» جـار ومجـرور، و«**عن**» معناهـا المجـاوزة. «**أسـكن مـا كانوا**» هو أفعل تفضيل مضاف إلى «**ما**»، ولها معنيان:

أحدهما: أن تكون نكرة موصوفة، أيْ: أسكن شيء كانوا إليها.

و**ثانيهما**: أن تكون موصولة، أيْ: الذي كانوا إليها، وانتصاب «**أسكن**» فيـه أوجه خمسة:

أما أولاً: فيحتمل أن يكون منصوبًا على أنه نعت لمصدر محـذوف تقـديره:

---

[1])) في (د) استعمالان. {وهو غير سليم}.

[2] (?) في (د،ك،م) زيادة: مبني.

أزعجوا إزعاجًا أسكن ما يكون.

وأما ثانيًا: فيحتمل أن يكون نصبه على نزع الجار تقديره: أزعجـوا كأسـكن ما يكون، فلما حذف حرف الجر، وهو الكاف تعدى الفعل إليه فصارمنصوبًا.

وأما ثالثًا: فيحتمل أن يكون نصبه على أنه صفة لزمـان محـذوف تقـديره: أزعجوا زمانًا أسكن ما يكـون، فلمـا حـذف الظـرف صـارت منصـوبة نصـبه، كمـا قالوا: سير عليه كثيرًا، أيْ: زمانًا كثيرًا وطويلاً وقليلاً.

وأما رابعًا: فيحتمل نصبه على الحال، أيْ: أزعجوا عنها في حـال سـكونهم إليها.

وأما خامسًا: فيحتمل نصبه على التمييز، والتقدير[3]: أزعجوا عنها من جهة سكونهم إليها، والحال والتمييز جيدان لا غبار عليهما من جهة المعنى؛ لأنهمـا أدق وأرقّ.

«**وغدرت بهم أوثق**» جملة فعلية معطوفـة على مـا قبلها، و«**بهم**» جـار ومجرور في موضع المفعول، وقوله: «**إليها**» جار ومجرور في موضع نصب خبر لـ «**كان**»، ونصب «**أوثق**» على الأوجه الخمسة التي في «**أسكن**».

«**فلم تغن عنهم قـوة عشـيرة**» جملـة سـلبية، وارتفـاع «**قـوة**» على الفاعلية، وجر «**عشيرة**» بإضافة «**قوة**» إليه، و«**تغن**» فعل مضارع مجزوم بــ «**لم**»، وعلامة جزمه طرح (الياء)؛ لأن الجزم يقطع الحركـة، فلمّـا لم يكن هنـاك حركة لأجل حرف العلة لا جرم كان تأثيره في طرح الحرف.

«**ولا قُبِـــل منهم بـــذل فدية**» جملـــة ســـلبية بـ «**لا**»، والفعـــل معـــرب بالمضارعة، و«**بذل**» مرفوع على أنه اسم مـا لم يسـم فاعلـه، و«**فدية**» مجـرور بالإضافة. «**فأرحلوا**» جملة أمرية إنشـائية، و«**الفاء**»، إمـا للعطـف على الجمـل

---

[3])) في (د،ك،م) المعنى.

قبلها، وإمـا على الاسـتئناف، و«**الواو**» هي الفاعل، و«**أنفسـكم**» منصـوب على المفعولية.

«**بزاد**» جار ومجرور في موضع المفعـول، «**قبل**» منصـوب على الظرفيـة للزمان. «**أن تؤخذوا**» «**أن**» هي المصدرية، و«**تؤخذوا**» منصوب بها، وعلامــة نصبه طرح النـون، و«**أن**» مجـرورة بإضـافة «**قبل**» إليهـا على تأويـل المصـدر، تقديره: قبل الأخذ بـ «**الكظم**» جار ومجـرور، و«**الباء**» فيهـا وجهـان: إمـا على أنهـا في موضـع المفعـول ، وإمـا على أنهـا في موضـع الحـال أيْ: مكظـومين، و**الكظم**: ضيق النفس وقلقها، و«**على فجأة**» فيهـا الوجهـان اللـذان ذكرناهمـا في قوله: **بالكظم**، فلا وجه لتكريره، ولفظـة **الكظم** ليسـت في هـذا الحـديث، وإنما هي في (الثامن والعشرين)، وهي مشروحة هناك بحمد الله تعالى ،والرواية في **الكظْم** بسـكون (الظـاء)، وهـو قيـاس فعلـه، نحـو كظم يكظم كظمًـا، نحـو ضرب يضرب ضربًا. والروايـة في قولـه: «**فأرحلوا أنفسـكم**» على أنـه جمـع قلة. دون نفوسكم: وهو جمع كثرة، وليس سماعًا لنا.

«**وقد غفلتم عن الاستعداد**» جملة فعلية موجبة في موضـع نصـب على الحال من الضمير في قوله: «**تؤخذوا**» أيْ: تؤخـذوا غـافلين عن أخـذ الأهبـة، أو تؤخذوا غير مستعدين. **الفجأة**: واحد الفجآت، و(التاء) فيه للمرّة الواحـدة، وفيـه لغتان، «**فجأة**» على مثال ضربة، و«**فجـاءة**» على مثـال زهـادة، والروايـة فيـه «**فجأة**» على وزن ضربة، و«**الاستعداد**» مصدر استعد اسـتعدادًا، وهـو قياسـه، ولا ياتي اسـتفعل، إلا على الاسـتفعال في كـل مواقعـه، بخلاف فاعـل نحـو قاتل، فإنه كما يجيء مقاتلة فقد يجئ على قتال، وهو قليل.

النظر الثـاني: في بيـان ما اشـتمل عليه من العلـوم في البلاغة

وفيه مطالب ثلاثة:

المطلب الأول: في بيان ما تضمنه من العلوم المعنوية

وهو مشتمل على معانٍ:

المعنى الأول: الحصر، وهو قوله: «إنما أنتم خلف»، وللحصر طرق أربع:

الأولى: منها **النفي والإثبات**، كقولك: ما زيد إلا قائم، وما قائم إلا زيد.

الثانية: الحصر بـ «**إنما**»، كقولـك: إنمـا اللـه إلـه واحـد؛ لأنهـا في معـنى النفي والإثبات، كما مرّ بيانه.

الثالثة: العطف، كقولك: مـا زيـد قـائم، بـل كـاتب؛ لأنـه في معـنى النفي والإثبات أيضًا.

الرابعة: التقديم، كقولك تميمي أنا والعالم زيد، فهذه الطـرق دالـة على الحصر كما ترى، ثم إن القصر يكون على وجهين:

أحدهما: أن يكون قصرًا للصفة على الموصوف، ومثالـه: مـا عـالم إلا زيـد، فهذا يفيد أن العلم لا يحصل في غير زيد، فإن حصل في غـير زيـد كـان مناقضـة، ويجوز أن يجعل زيد على غير صفة العلم.

و**ثانيها**: أن يكون قصر الموصوف على الصـفة، ومثالـه: قولـك: مـا زيـد إلا عالم ، فهذا يفيد أن زيدًا لا يحصل إلا على صفة العلم، فإن حصـل لـه غيرهـا من الصفات كان نقضًا، ويجوز أن تحصل هذه الصـفة لغـيره، فهـذه هي التفرقـة بين قصر الصفة على الموصوف، وبين قصر الموصوف على الصفة.

المعنى الثاني: الفصل والوصل، فالفصل نحـو قولـه: **أزعجـوا عنها**،

فإنـه أتى من غـير (واو)، والوصـل في نحـو قولـه: «**وغدرت بهم أوثق**» فإنـه أتى[1] بـ (الواو) كما ترى.

المعنى الثالث: الإظهار والإضمار، وهمـا من مهمـات علـوم المعـاني، و[2]الإظهار: للكشف والإيضاح، كما في قولـه: «**أزعجوا عن الـدنيا**» فأظهرهـا لمـا في الإظهـار من الإيضـاح، وأضـمرها: في نحـو قولـه «**إليها**» و«**بها**»، فـإن الإضمار دال على الاختصار.

المعنى الرابع: الجمل المترادفة بالعطف، فإنهـا دالـة على المبالغـة في حسن التأليف، ولطافة المعاني، ودقّة غورها.

المعنى الخامس: الجملة الحالية، فإن لهـا في الكلام موقعـا بالغًا يزيـد الكلام حسنًا ورشاقة، وهذه المعاني كلها مأخوذة من العلوم المعنوية.

المطلب الثاني: في بيان ما تضمنه من العلوم البيانية
وهو مشتمل على استعارات ست [3]:

الاستعارة الأولى: قولـه: «**إنمـا أنتم**» فالخطـاب إنمـا هـو للحاضـرين، فمن كان في زمنه صلى الله عليه وآلـه وسـلم، ومن يتلـوه من بعـده فقـد صـار مستعملاً في الخطاب وغيره، وظاهره وحقيقته للمخاطبين، وهو شامل للكل، فلا جرم كان استعارة كما ترى.

الاسـتعارة الثانية: حـذف الموصـوف وإقامـة الصـفة مقامه، في قولـه: «**إنمـا أنتم خلـف ماضـين**» أيْ: قـوم ماضـين وبقيـة قـوم متقـدمين؛ ووجـه الاستعارة هو أن المقصود إنما هو الصفة، فلأجـل هـذا طـرح موصـوفها لمـا كـان الغـرض الاسـتعجال بـذكرها، وهـو في التنزيـل أكـثر من أن يحصـى، كالأوصـاف

---

1)) في (د) سقط: أتى.

2)) في (د،ك،م) الفاء بدلاً عن الواو.

3 (?) في (د،ك،م) سقط: ست.

الجارية على ذاته تعالى، كالقادر والعليم والخبير والجبار والمتكبر، فإن موصـوفها هو اسم الله تعالى، وليس يذكر معها إلا على جهة الندرة، وما ذاك إلا لما قررنـاه من مقصود ذكر الصفة، ثم إنه ينقسم إلى ما اطرح فيـه الموصـوف اطراحًـا كليًّا حتى لا يذكر أبدًا، وهذا نحو الأورق، والأطلس، والفارس، والراكب، وإلى ما يـذكر الموصوف معها تارة دون تارة، وهذا هو سائر الصفات.

الاستعارة الثالثة: إسناد المصدر إلى الدنيا، في قوله: «**وغـدرت بهم**»، فإن إضافة **الغدر** إليها إنما هو على جهة الاستعارة، وهو من المجازات المركبــة، فإنه ليس لها فعل، وإنما الفعل لله.

الاستعارة الرابعة: استعمال «**الباء**»، في قولـه: «**غـدرت بهم**»، فـإن وضـعها للإلصـاق، و[1]إلصـاق غـدرها بهم إنمـا يتصـور على جهـة الاسـتعارة في الحروف الجارة.

الاسـتعارة الخامسة: ذكـر **البسـطة والسـطوة**: فـإن حقيقتهمـا غـير خافية، واستعارتهما ظاهرة، وهما من أحسن الاستعارات وأرشقها.

الاستعارة السادسة: قوله: «**أسكن ما كانوا**»،و«**أوثق ما كانوا بها**» فإن إطلاقهما إنما هو على جهـة الاسـتعارة والمجـاز[2]، وفي الحـديث اسـتعارات كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية في التنبيه على ما لم نذكره من ذلـك، ومن عـرف مـا قررناه هاهنا هان عليه إدراك ما سواه من ذلك.

المطلب الثالث: في بيان ما اشتمل عليه من علوم البديع و[3]من محاسن البلاغة الفائقة

وقد تضمن أساليب كلها معجبة :

---

1 (?) في (د،ك،م) الفاء بدلاً عن الواو.

2)) في (د،ك،م) المجاز والاستعارة.

3 (?) في (د،ك،م) زيادة: هو.

الأسلوب الأول: التسجيع، وهذا كقوله: «**بسطة**» مع قوله: «**سطوة**»، فإنهما سجع، وقوله: «**إليها**»،و«**بها**»، وقوله: «**ماضين**»، و«**متقدمين**»، فكل مما ذكرناه سجع.

الأسلوب الثاني: المبالغة بذكر أفعل التفضيل، فإنه إنما يرد في الكلام من أجل المبالغة فيما تناوله، وهذا كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أكثر منكم بسطة، وأعظم سطوة**»، وقوله: «**أسكن ما كانوا إليها**»، و«**أوثق ما كانوا بها**»، فسياق الكلام بأفعل[1] فيه دلالة على المبالغة فيما تناوله.

الأسلوب الثالث: التفنن في الكلام، فإنه ذكر في هذا الحديث فنونًا خمسة، كل واحد منها دال على الفصاحة، والدخول في البلاغة:

الأول: حكى فيه حال من سلف، وتقدم من الأمم الماضية، والقرون الخالية، وذكر حالهم في القوة والبسطة وعظيم السطوة، وآثارهم دالة عليهم في اليمن مثل الآثار الحاصلة في بينون [2] فإن فيه أبنية عظيمة، وآثارًا جسيمة، ومثل الآثار في معين[3]، وهي مشهورة في الجوف، ومثل الآثار الحاصلة في عرش بلقيس[4]، وغيره من الأماكن المشهورة، فكلها[5] دالة على اختصاصهم بالقوة العظيمة التي لا يقدر على مثلها في زماننا هذا بحال.

الثاني: أنه حكى فيه إزعاجهم من الدنيا، وخروجهم منها، وقد كانوا سكنوا

---

1 (?) في (د) زيادة: التفضيل.

2)) ويقع شرق بلاد عنس ذمار، وسمي ببينون بن ميناف بن شرحبيل بن ينكف. ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتب، ط3، عام 1403هـ، بيروت، لبنان، 1/ 298.

3)) ينظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر، (ت)، بيروت، لبنان، 1/ 364.

4)) كان عرش بلقيس بمأرب مدينة دولة سبأ. ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، 515.

5)) في (د) الواو بدلاً عن الفاء.

إليها، واطمأنوا، ووثقوا بها، فما كان أسرع ما نقلوا عنها، وما كان أسهل نقلتهم عنها، كأن لم يغنوا فيها ساعة واحدة.

الثالث: ما ذكره من أنه لم ينفعهم عن الموت لا قوة عشيرة، فيدفعون عنهم ما حلّ بهم، ولا نفعهم نفيس الأموال والذخائر التي جمعوها في الفداء عما أصابهم.

الرابع: الأمر بالاستعداد، وإرحال الأنفس بالزاد المبلغ.

الخامس: التحذير لهم عن الأخذ على فجأة، وإشخاصهم على بغتة، وهم غافلون عن الأهبة، وأخذ العدّة، فهذه كلها أفانين قد أوردها في حديثه هذا، وما ذاك إلا أنه[1] قد قاد البلاغة بزمامها، واستولى على أسرارها واستخرج ثمراتها من أكمامها.

الأسلوب الرابع: التأكيد من جهة التضمين، ومثاله قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أزعجوا عنها**[2] **أسكن ما كانوا إليها، وغدرت بهم أوثق ما كانوا بها**»، وتقريره: أنها إذا كانت غادرة من غير وثوق بها، فكيف إذا غدرت مع الوثوق بها؟! وإذا أزعجوا عنها مع غير سكون إليها، فكيف إذا أزعجوا مع السكون؟! يكون لا محالة أولى وأحقّ، ومثاله: قوله تعالى: ﴿[illegible]﴾[3]، فإذا كانوا لا يسمعون لإعراضهم وتمردهم، مع أن الله تعالى قد خلق القوة الفاهمة، فكيف حالهم إذا سلبهم القوة الفاهمة؟! فعدم السماع يكون لا محالة أحقّ وأولى، ومنه

---

1 (?) في (د،ك،م) لأنه.

2)) ورد في لفظ الحديث: عن الدنيا.

3 (?) سورة الأنفال الآية 23.

الحديث: «نعم العبد صهيب[1] لو لم يخف الله لم يعصه»[2]، فإذا كان مع عدم الخوف لا يمكن من جهته معصية، فكيف حاله إذا كان خائفًا لله؟! فامتناع المعصية يكون أحقّ لا محالة، ومنه بيت زهير[3]:

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ ... بِسُلَّمِ[4]

فإذا كان مع الهيبة تناله المنايا فكيف إذا لم يكن من جهته هيبة، فنيلها يكون أقرب وأسهل لا محالة.

الأسلوب الخامس: حسن التأليف والنظم، فإن هذه الجمل متلائمة، كأن بعضها آخذ بأعناق بعض من شدّة التلازم، ورشاقة التأليف، فإذا فكرت في مفردات الألفاظ وجدتها من أرقّ الألفاظ وأعذبها، لا تنافر فيها، وإذا فكرت في تأليفها ونظمها، وجدته أحسن تأليف، وأعجب نظم، فهذا ما أردنا ذكره ممّا تضمنه هذا الحديث من علم البديع، والله أعلم بالصواب.

النظر الثالث: في بيان مقاصده صلى الله عليه وآله وسلم

واعلم أن كلامه هاهنا قد اشتمل على مقامات خمسة:

---

1)) وهو صهيب بن سنان بن مالك، وهو رومي، صحابي من السابقين إلى الإسلام، شهد المشاهد كلها، وكان من أرمى العرب سهمًا، توفي بالمدينة سنة 38هـ. ينظر: الإصابة، 3/ 449- 451. الأعلام للزركلي، 3/ 210.

2 (?) اشتهر الحديث في كلام الأصوليين، وأصحاب المعاني، وأهل العربية، من حديث عمر- رضي الله عنه-، وبعضهم يرفعه إلى النبي- صلى الله عليه وآله وسلم- وقال ابن حجر: أنه ظفر به في مشكل الحديث لابن قتيبة من غير إسناد. ينظر: كشف الخفاء، 2/ 428- 429.

3 (?) وهو زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح بن قرط بن الحارث المزني، من مضر، حكيم الشعراء في الجاهلية، ولد بمزينة، وكان يقيم بالحاجر من ديار نجد، سُميت قصائده بالحوليات، لأنه كان ينظم القصيدة في شهر، وينقحها ويهذبها في سَنة، وأشهر قصائده معلقته المشهورة، توفي سنة 13ق هـ، ولأشعاره أكثر من شرح منها شرح لأبي العباس ثعلب، وشرح لأبي سعيد الحسن السكري. ينظر: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى، علي هبة الله بن أبي نصر ماكولا، دار الكتب العلمية، ط1، عام 1411هـ، بيروت، لبنان، 4/ 326. الأعلام للزركلي،3/ 52.

4 (?) البيت من الطويل، ونصّ عجزه: وَلَو رَامَ أَنْ يَرْقَى السَّمَاءِ بِسُلَّمِ. ينظر: شرح شعر زهير بن أبي سلمى، صنعه أبي العباس ثعلب، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، عام 1981م، 35.

المقام الأول: في بيان حال الأمم الماضية

وإليه الإشارة بقولـه: «**إنما أنتم خـالف ماضـين، وبقيـة متقـدمين**»

اعلم أن كلامه صلى الله عليه وآله وسلم هاهنا بـاعث على التفكـر في حـال من مضى من الأمم الماضية، والنظر في آثـارهم، وفيـه تعـريض على أن مـا أصـابهم من المـوت والفنـاء، فهـو مصـيب لنـا لا محالـة؛ لأنهم سـلف لنا، ونحن خلفهم، فالموت زمانة مطلقة تلحق جميع الأعضاء، فأما الشبح والروح فهما باقيان، وإنما يتغير حال الإنسان بالموت من جهتين:

الجهة الأولى: أنه يسلب منه جميع آلاته كلهـا، كـالعين، والأذن، واللسـان، واليد، والرجل وجميـع الأعضـاء، ويسـلب منـه جميـع معارفـه من الأهل، والأولاد، والأقـارب، ويسـلب منـه جميـع مالـه من خيله، ودوابه، وغلمانه، ودوره، وعقـاره، وسائر أملاكه، ولا فـرق بين أن تسـلب هـذه الأشـياء من الإنسـان، أو يسـلب هـو منها، فإن المؤلم للقلب هو الفراق، فالفراق تارة يحصل بأن ينتهب مـال الرجـل، وتارة بأن يسبى الرجل عن المال، والألم واحد في الحـالين، وفائـدة المـوت؛ هـو سلب الإنسان عن جميع أمواله بإزعاجه إلى عالم آخر لا يشابه هـذا العـالم، فـإن كان له شـيء في الـدنيا يسـتريح به، ويـأنس به، ويعتدّ بوجـوده، فيعظم تحسـره عليه بعد الموت، ويعظم شقاؤه في مفارقته، بل يلتفت قلبه إلى واحد واحــد من ماله وجاهه وعقاره، حتى إلى قميص كان يلبسه، فإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله، ولم يأنس إلا به عظم نعيمه، وتمّت سعادته؛ إذ خلي بينـه وبين محبوبـه، وقطعت عنه العوائق والشواغل؛ إذ جميع أسباب الدنيا شاغلته[1] عن ذكر الله.

الجهة الثانية: أنه ينكشف له بالموت ما لم يكن مكشوفًا في حال الحياة، كما

---

[1] (?) في (د،ك،م) شاغلة.

ينكشـف للمسـتيقظ ما لم يكن مكشـوفًا في النـوم و«النـاس نيـام، فـإذا مـاتوا انتبهوا»[1]، وأول ما ينكشف له ما يضرّه، وينفعـه من حسـناته و[2] سـيئاته، وقـد كـان ذلك مسطورًا في كتاب مطويّ في سرّ قلبه، وكان يشغله عن الاطلاع عليه شـواغل الدنيا في حال الحياة، فإذا انقطعت الشواغل بالموت انكشـف لـه جميـع أحوالـه، فلا ينظر إلى سيئاته إلا ويتحسـر عليهـا تحسـرًا عظيمًـا، وعنـد ذلـك يقـال: [illegible] [3]، وكل هذه الحسرات العظيمة تحصل عند مفارقة الروح للجسد قبل الدفن، فأما بعد الدفن فيرد روحـه إلى الجسـد لنوع آخر من العذاب، ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمئن إليها كحـال من يتنعم عنـد غيبة الملك من داره وملكه وحريمه اعتقادًا على أن الملك يتسـاهل في الأمـر، وعلى أن الملك لا يدري ما يلابس من قبيح أفعاله، فأخذه الملك بغتة وعرض عليه كتابًـا قـد دون فيه جميع فواحشه وخباياته[4] جميعها، لا يغادر منها شيئًا، والملك قاهر متسـلط، وغيور على حرمه، ومنتقم من الجناة على ملكه، ولا يقبل شـفاعة، فـانظر إلى حـال المأخوذين كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجل والحسـرة والندامة؟! و[5]هكذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عـذاب القبر به، نعوذ برحمة الله الواسعة منه، فإن الخزي والفضيحة أعظم من العذاب.

المقام الثاني: في بيان أوصاف الأمم الماضية

وإليـه الإشـارة بقولـه صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «**كانوا أكـثر منكم بسـطة، وأعظم سـطوة**»، أمـا البسـطة فإنمـا تكـون بـالتمكن من الأمـوال والجنود والعساكر مثل ما كان يقال في ملك سليمان- عليه السلام، فإنه قد قيل:

---

1 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 23.
2 (?) في (د،ك،م) أو بدلاً عن الواو.
3 (?) سورة الفرقان من الآية 22.
4)) في (د،ك،م) جناياته.
5 (?) في (د،م) الفاء بدلاً عن الواو.

إن مخيمه كان ثلاثمائة فرسخ للجن والإنس والطير، ومثل ما كان من حال فرعون، فإنه قد قيل في قوله تعالى: ﴿ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□□ ﴾[1] في كلام فرعون، يعني: قوم موسى، وقيل: إنهم كانوا ستمائة ألف مقاتل، ومثل ما كان في قوم عاد وثمود من القوة والاستيلاء على نحت الصخور والبنآت الفاخرة، والقصور المشيدة، مثل غمدان، وسلحين، وظفار، ومدائن الجوف العظيمة، وهرمي مصر، وإيوان كسرى، وبينون، وغير ذلك من الآثار القوية؛ فأما غمدان، فهو من الأبنية الفاخرة، كان بصنعاء من الجانب اليماني منها، قد ذهبت آثاره، وقد كان منه بقية في أيام عثمان[2]، فأمر بهدمها وعمارة مسجد الجامع فيه[3]، ورُوي أنه لم يكن في الأرض مثل غمدان، وأما ظفار وبينون فهما عظيمان، كانت التابعة تسكنهما[4]، وأما سلحين وهو قصر بلقيس، وكان مقررًا على الأساطين والأعمدة، وكان عجيبًا رائعًا[5]، وأما مدائن الجوف، فهي على شاطئ نهره الأعظم الذي يقال له الخارد[6]، وهي أماكن عظيمة تروع العاقل؛ لما تضمنته من الآثار الرائعة والتأليفات البديعة الهائلة من الأساطين الميمّنة والعمد المكونة والصور الممثلة والأركان المكللة المخروطة التي كأنها خطّت بالقلم، وكأن الصخور شمع يلين؛ لما فيه من الإحكام والاقتدار.

وأما قصر نمرود، فهو من الآثار الباهرة، يُحكى: إن ارتفاعه في الهواء

---

1 (?) سورة الشعراء الآية 54.

2 (?) وهو عثمان بن عفان بن أبي العاص القرشي الأموي- رضي الله عنه-، ولد في السنة السادسة بعد عام الفيل، هاجر الهجرتين إلى الحبشة مع زوجته رقية بنت رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، تزوج أم كلثوم بنت رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- بعد وفاة رقية، جهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرًا، وأتمّ الألف بخمسين فرسًا، بويع بعد استشهاد عمر- رضي الله عنه- سنة 24هـ، واستشهد بالمدينة سنة 35هـ. ينظر: الاستيعاب، 3/ 1037- 1044.

3 (?) ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، 429، 430.

4 (?) ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، 1/ 298، 3/ 904، 905.

5 (?) ينظر: معجم البلدان، 3/ـ 235. الروض المعطار في خبر الأقطار، 119. الروض المعطار، 515.

6 (?) ينظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، 1/ 404.

عشـرة آلاف ذراع، وطولـه في الأرض ألـف وخمسـمائة ذراع، وهـو الـذي حـاج إبراهيم في ربه[1]، وهو الذي حكاه الله تعالى بقولـه: [illegible] [2]، وأما تدمر، فهو من ناحية الشام ممّا عمرته الجن لسليمان بن داود[3]، وأما إيوان كسرى، وهرمي مصر فآثارهما إلى الآن باقية؛ لما تضمنته من العمارة الأكيدة، وأما سطواتهم فإنها كانت هائلة عظيمـة شديدة قاهرة لما كانوا عليه من الأجسام العظيمة، كمـا حكى اللـه تعـالى في قـوم فرعـــــــون [illegible] [4]، فسبحان من لا يزول ملكه، ولا يقهـر سـلطانه، ولا يغـالب في عزّه وعلوّ شأنه، وأيّ بسطة ترى أوسـع من بسـطتهم، وأيّ سـطوة أعظم من سطوتهم، [illegible] [5].

المقام الثالث في بيان خروجهم من الدنيا

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسـلم: «**أزعجوا عنها**[6] **أسـكن ما كانوا إليها، وغدرت بهم أوثق ما كانوا بها**» أراد عليـه السـلام أن كـل من تقـدم ذكـرهم من الـذين كـانوا قبلنـا أزعجـوا من الـدنيا المؤنقـة في أعينهم، المتمكنة في سواد قلوبهم، والمساكن العجيبة في فكرهم[7]، والأبنية المزخرفـة، والبسطة الواسعة، والسطوة النافذة.

«**أسكن ما كانوا إليها**» معناه: أنهم أخذوا بغتة، وهم سكون إلى ما هم فيـه، كما أخذ المغترون بالله تعـالى، كمـا قـال تعـالى: [illegible] [8]،

1 (?) ينظر: الروض المعطار في خبر الأقطار، 357.
2 (?) سورة النحل من الآية 26.
3 (?) ينظر: معجم البلدان، 2/ 17.
4 (?) سورة الدخان الآيات 25- 27.
5 (?) سورة الأحقاف من الآية 25.
6)) ورد في لفظ الحديث: عن الدنيا.
7 (?) في (د،ك،م) مكرهم. {والمناسب: فكرهم}.
8 (?) سورة الحاقة من الآية 10.

وقال: ﴿ [illegible] ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ [illegible] ﴾[3]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على سرعة الأخذ وشدّة الانتقـام، «**وغـدرت بهم**» فعلت معهم فعـل الغـادر، وإن لم يكن هنـاك حقيقة الغدر.

«**أوثـق مـا كـانوا بها**» لأنهم لمـا اطمـأنوا إليها، وثقـوا بهـا جهلاً منهم بعواقبها، وحقيقة حالها، فلما غفلوا فيها غفلـة من كـان على عهـد وميثـاق وقعت بهم، وفعلت معهم أفعال الغادر المتمكن القوي الممعن في تحصيل مراده. قيـل: لذلك غدر، فأيّ وعـظ أعظم من وعظها؟! وأيّ تـذكير أعظم من تـذكيرها؟! وأيّ تحذير أنجع من تحذيرها؟! ومصداق ما قلناه قوله صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم: «الدنيا حلم، وأهلها مجازون ومعاقبون»[4]، وقال بعض الزهاد: ما شـبهت نفسـي والدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب[5]، فبينا هو كذلك إذ انتبـه، وهكذا الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فـإذا ليس في أيـديهم شـيء ممّـا ركنـوا إليـه وفرحوا به، واطمأنوا إليه، ووثقوا به، وقيل لحكيم: أيّ شيء أشـبه بالـدنيا؟ قـال: أحلام النيام[6].

المقام الرابع: في بيان أنهم لا ينفعهم نافع

وإليه الإشارة بقولـه: «**فلم تغن عنهم قـوة عشـيرة، ولا قبـل منهم بذل فدية**» أراد صلى الله عليه وآله وسلم أنه لمّا حلّ بهم ما حلّ، ووقع بهم ما وقع من إزعاجهم عن الدنيا، وإشخاصهم عمّا هم فيه من تـراكم اللـذات، والتنعم

---

1 (?) سورة الأعراف من الآية 95.
2 (?) سورة الأنعام من الآية 44.
3 (?) سورة الزخرف من الآية 55.
4 (?) إحياء علوم الدين، 3/ 214.
5 (?) ينظر: نفسه.
6 (?) ينظر: نفسه.

بعظائم المشتهيات، بل أخرجـوا منهـا على رغم آنـافهم وكـره من أنفسـهم، فمـا نفعهم ممّا حلّ بهم قوة عشيرة فيدفعون عنهم، ولا بذل فدية؛ لأن الشـراء إنمـا يدفع بأحد هذين الأمرين:

إما بقوة العشائر، ومرافدة الأقارب، وتظاهرهم وتقويهم بالاجتماع على كـل من خالفهم وناوأهم، وإمـا ببـذل الأمـوال النفيسـة كمـا نعلمـه من حـال الملـوك والسلاطين وأهل القهـر، فـإنهم إنمـا يقهـرون ببـذل الأمـوال حـتى يحصـلوا على مقاصـدهم العاليـة، ويتوصـلون بمـا يبـذلون من الأمـوال إلى التشـفي ، وقضـاء الأوطار التي لهم، وكيف يغني عن عذابه قوة العشيرة وكـل قـوي فهـو بالإضـافة إلى قوته ضعيف، وكلّ عزيز دون عزّه ذليل، وكـل قـادر فهـو بالإضـافة إلى قدرتـه عاجز، وقد قال تعالى: [illegible][1]، ولـذلك فإنـه لا تقبـل الفديـة في ذلـك اليـوم، ولا تقبل[2] المعـذرة من جهـة أن التكاليف مرتفعة والأملاك زائلة، والحال غير الحـال، والفديـة مـردودة، والأمـوال مفقودة، فإن وجدت فهي غير معدودة، فأين العشيرة الدافعـة، والفديـة النافعـة، كما قال تعالى: [illegible][3]، فلينظر الناظر لنفسه كيف الخلاص من شدّة هذه الأهوال، وقد قال صلى الله عليه وآله وسـلم: «كيـف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن، وحنّى الجبهة، وأصغى بـالأذن مـتى يـؤمر بـالنفخ فينفخ»[4]، وقد قال تعالى: [illegible]

---

1 (?) سورة مريم الآيات 93- 95.

2 (?) في (د،م) تنفع.

3 (?) سورة الحديد الآية 15.

4 (?) المسـتدرك على الصـحيحين، 4/ـ 603. بلفـظ: «كيف أنعم، وصـاحب الصـور قد التقم القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر متى يؤمر فينفخ».

[1]، وقال تعالى: [2]، فلو لم يكن بين يدي الموت[3] من الأهوال إلا هول تلك النفخة لكان جديرًا بأن يتقيهـا ويخافها، فإنها نفخة وصيحة يصعق بها من في السـماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وهم بعض الملائكة ينفرج بها أهـل القبـور عن قبـورهم فيثـورون دفعـة واحدة، قد أزعجهم الفزع والـرعب مضـاقًا إلى مـا كـان عليـه من الغمـوم وشدّة الهموم، وصعوبة الانتظار لعاقبة الأمر، فتوهم نفسك- يا أيّها المسكين- وقد وثبت متغيرًا وجهك، مغبرًا بـدنك من قرنـك إلى قـدمك من تـراب قـدمك[4] مبهوتًـا من شدّة الصعقة، شاخص العين نحو النداء كما قال تبـارك وتعـالى: [5] قد ثار الخلائق ثورة واحدة من القبور الـتي طـال فيهـا بلاهم، وعظم كربهم، فأشعر نفسك وقلبك تلك المخاوف والأخطـار، وأكـثر فيهـا التفكـر والاعتبار؛ لتسلب عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمير للعرض على الملـك الجبار، فانظر في حالك وحال قلبك هنالك، فلعل الله أن يمنّ بالرحمة بكرمه.

المقام الخامس: في بيان إشعار النفوس للتزود

وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليـه وآلـه وسـلم: «**فـأرحلوا نفوسـكم**[6] **بزاد مبلغ قبل أن تؤخذوا على فجأة، وقد غفلتم عن الاستعداد**» أمـر صـلى اللـه عليـه وآلـه وسـلم بإرحـال النفـوس بـالزاد المبلغ، ولا زاد مبلـغ مثـل التقوى، والتقوى فهي اطراح الأهواء، والتمسك بالسبب الأقـوى، فالرحيـل حتم لا بدّ منه، ولا محيص لأحد عنه، والمـتزود نـاجٍ، والتـارك للـزاد هالـك في المفـازة لا

---

1 (?) سورة الزمر الآية 68.
2)) سورة يس الآية 51.
3 (?) في (د) المؤمن. {وهو المناسب}.
4 (?) في (د،ك،م) قبرك. {وهو المناسب}.
5 (?) سورة المعارج من الآية 43.
6)) ورد في نصّ الحديث: أنفسكم.

محالـة، ومن اختـار الهلاك والندامـة على النجـاة والسـلامة، فقـد اختـار لنفسـه الحيرة، ولم يأخذ لنفسه بالوثيقة.

«**قبل أن تؤخذوا على فجأة**»؛ لأن الرحلة إنما تكون بغير اختيار كما تقع رحلـة الأسـير من غـير مشـاورة ولا مؤامرة، والغفلـة: هي الإعـراض عن العدّة وإكمالها، ومنه قولهم: خطّ غفل إذا كان لا نُقط فيه، وقولهم: بعير غفـل إذا كـان لا سمة على جاعرته[1] بالنـار، **والعدّة الحصينة**: هي الأعمـال الصـالحة الباقيـة فإنها الجنة الحصينة، والعدّة الرصينة، فما لقي اللـه بمثلهـا، ولا اسـترَّ الصـالحون المتقون بمثل شكلها، وكيف لا وهي التي لا تقطعها سيوف الانتقام، ولا تنفذ فيهـا موارق السهام، ولا تخرقها الرمـاح، ولا تجـري فيهـا مواضـي الصـوارم والصـفاح، ومن لك بجنة وقت مضرّة العقاب وأورثت لأهلها، طوبى وحسن مآب.

واعلم أنه لـو لم يكن بين العبـد المسـكين كربـة ولا هـول ولا عـذاب سـوى عذاب القبر، وسكرات الموت لكان جديرًا بـأن ينغص عليـه عيشـه، ويتكـدر عليـه سـروره، ويفارقـه سـهوه وغفلتـه، وحقيقًـا بـأن تطـول فيـه فكرتـه، ويعظم لـه استعداده، لا سيما وهو بصدد كل نفس، كما قال بعض الحكماء: كرب بيد سـواك لا تدري متى يغشاك[2]، وحُكي عن لقمان أنه قال لابنه: يا بني أمرٌ لا تـدري مـتى يلقاك، استعد له قبل أن يغشاك ويفجأك[3]، والعجب أن الإنسان لـو كـان في أعظم اللذات، وأطيب مجـالس اللهو، وانتظـر أن يـدخل عليـه جنـدي أو كـردي من الأكـراد فيضربه خمس ضربات بالخشب لتكدّرت عليه لذته، وفسد عليـه عيشـه، وكـل نفس فإنها بصدد أن يدخل عليها ملك الموت بسـكرات الـنزع، وهـو عنـه غافـل، فمـا لهـذا سبب إلا الغفلة، والاغترار.

---

[1] (?) الجاعر: الدُّبر. ينظر: لسان العرب، مادة (جعر).

[2] (?) إحياء علوم الدين، 4/ 461.

[3] (?) ينظر: نفسه.

ورُوي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قـال: «اللهم إنـك تأخـذ الـروح من بين العصب والأنامل، اللهم فأعني على الموت، وهوِّنه عليّ»[1]، ورُوي عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قـال: «إن العبـد ليعـالج كـرب المـوت وسـكراته، وإن مفاصـله ليسـلم بعضها على بعض، تقول: عليك السلام تفارقني وأفارقـك إلى يـوم القيامـة»[2]، ورُوي عن موسى- عليه السلام-: لمّا صارت روحه إلى اللـه تعـالى قـال:- يـا موسى- كيـف وجـدت المـوت؟ قـال:وجـدت نفسـي كالعصـفور حين يلقى في المقلاة لا يمـوت فيسـتريح، ولا ينجـو فيطـير، ورُوي أنـه قـال: وجـدت نفسـي كشـاة حيّـة تسـلخ بيـد القصاب[3]، ورُوي عن الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- أنـه كـان عنـده قـدح من ماء عند الموت، فجعل يدخل يده في الماء، ويمسـح بهـا وجهه، ويقـول: «اللهم هـون علي سكرات الموت»[4]، ورُوي عن فاطمة[5]- عليها السلام- أنها كانت تقول لأبيها: وا كرباه لكربك يا أبتاه، فجعل يقول: «لا كرب على أبيك بعد اليوم»[6].

ورُوي عن إبراهيم- عليه السـلام- أنـه لمـا مـات قـال اللـه تعـالى: كيـف وجـدت الموت يا خليلي؟ قال: كسفود فيه خطاطيف جعل في صوف رطب، ثم جذب، فقال: أما أنّا قد هونّا عليك[7]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «موت الفجأة راحة للمؤمن، وأخذة سوء للفاجر»[8]، وسئل رسول الله- صلى الله عليـه وآلـه وسـلم- عن المـوت

---

1 (?) جامع العلوم والحكم، 1/ 370.

2 (?) أخرجه القشيري في الرسالة عن إبـراهيم بن هدبة عن أنس. ينظـر: كـنز العمـال، 15/ 239.

3 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 463.

4 (?) مسند أحمد، 6/ 64. وفيه: «أعني» بدلاً عن «هون».

5 (?) وهي فاطمة الزهراء بنت رسـول اللـه- صـلى الله عليه وآله وسـلم- محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، تكنى أم أبيها، أصغر بناته، وأحبهن إليه، ولدت والنبي- صلى الله عليه وآله وسلم- ابن خمس وثلاثين سنة، وقيل: سنة إحـدى وأربعين من مولـده، تزوجها علي- كـرم الله وجهـه- في السنة الثانية للهجرة، وهي سيدة نساء الجنة، عاشت بعد أبيها ستة أشهر. ينظر: الإصابة، 8/ 53- 59.

6 (?) سنن ابن ماجة، 1/ 521.

7 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 463.

8 (?) شعب الإيمان، 7/ 255. وفيه: «أسف» بدلاً عن «سوء».

وشدته، فقال: «إن أهون الموت بمنزلة حسكة في صوف، فهـل تخـر ج الحسـكة من الصوف إلا ومعها صوف»[1].

ودخل الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- على رجل مـريض من أصـحابه، فقال: «إني أعلم ما يلقى ما منـه عـرق إلا والمـوت على حدتـه»[2]، وكـان عليـه السلام يحضر على القتال، ويقول: إن لم تقتلوا تموتوا، والذي نفسي بيـده لألـف ضربة بالسيف أهون من موت على الفراش[3]، وحُكي عن عيسى- عليه السـلام- قال: يا معشر الحواريين ادعو الله أن يهون علي هذه السكرة- يعني الموت- فقد خفت الموت مخافة أوقعتني من خوف الموت على الموت[4]، وقـالت عائشـة: لا أغبط أحدًا يهون عليه الموت بعد الـذي رأيت من شدّة مـوت رسـول الله- صـلى الله عليه وآله وسلم-[5]، فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه، فما حالنـا ونحن المنهمكون في المعاصي، المواقعون للمكاره، والملابسون للملاهي.

اللهم إنّا نستغفرك من كل ما زلّت به القدم، أوطغى به القلم في كتابنا هذا أو سائر التعليقات، ونستغفرك من أقوالنـا الـتي لا توافقهـا أعمالنـا، ونسـتغفرك ممّـا ادعينـــــــــــاه، وأظهرنـــــــــــاه من العلم والبصـــــــــــيرة بدّ

ِين الله مع التقصير فيه، ونستغفرك من كل علم وعمل قصدنا به وجهك الكريم، ثم خالطنا فيه ما ليس لك، ونستغفرك من كل وعد وعدناك من أنفسنا، ثم قصـّرنا في الوفـاء بـه، ونسـتغفرك من كـل نعمـة أنعمت بهـا علينـا فتقوينـا بهـا على مخالفتـك ومعصيتك، ونستغفرك من كل تصريح وتعريض بنقصان ناقص، وتقصـير مقصـر كنـا متصفين به، ونرجو بعد الاستغفار من ذلك كله لنا ولمن طالع هذا الكتاب وغيره من

---

1 (?) أخرجه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت عن شهر بن حوشب مرسلاً. ينظـر: كـنز العمـال، 15/ 239.

2 (?) المعجم الكبير، 6/ 269.

3 (?) ينظر: إحياء علوم الدين، 4/ 462، 463.

4 (?) ينظر: تاريخ دمشق، 47/ 469.

5 (?) جامع العلوم والحكم، 1/ 370.

سائر ما عنينا فيه أن يتكرم بالمغفرة والرحمة، والتجاوز عن ذلـك جميـع الفرطـات، فإنه الكريم ذو الرحمة الواسعة، والمغفرة الجامعة، إنه قريب مجيب.

تمّ السفر الأول من كتاب (**الأنوار المضيئة في شرح الأخبار النبوية**) والحمد لله رب العالمين، وصلواته وسلامه على محمـد وآلـه، وحسـبنا اللـه ونعم الوكيل.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

479	البقرة	2	237	[illegible]
300	البقرة	2	239	[illegible]
549	البقرة	2	249	[illegible]
170،315	البقرة	2	269	[illegible]
308	البقرة	2	271	[illegible]
319،472	آل عمران	3	14	[illegible]
248	آل عمران	3	31	[illegible]
450	آل عمران	3	39	[illegible]
447	آل عمران	3	79	[illegible]
223	آل عمران	3	18	[illegible]
489 ,94	آل عمران	3	102	[illegible]
588	آل عمران	3	117	[illegible]
412	آل عمران	3	128	[illegible]
،474 477،539	آل عمران	3	134	[illegible]
196	آل عمران	3	169	[illegible]
338	آل عمران	3	173	[illegible]
338	آل عمران	3	174	[illegible]
253	آل عمران	3	178	[illegible]

453	آل عمران	3	185	[illegible]
223	آل عمران	3	187	[illegible]
373،376	آل عمران	3	190	[illegible]
372	آل عمران	3	191	[illegible]
314	آل عمران	3	198	[illegible]
242	آل عمران	3	200	[illegible]
303	النساء	4	1	[illegible]
273	النساء	4	26	[illegible]
264	النساء	4	36	[illegible]
265	النساء	4	66	[illegible]
266	النساء	4	67	[illegible]
266	النساء	4	68	[illegible]
314	النساء	4	77	[illegible]
394	النساء	4	83	[illegible]
413	النساء	4	86	[illegible]
172، 290، 294، 295،414	النساء	4	114	[illegible]
60, 189, 524	النساء	4	123	[illegible]
391	النساء	4	142	[illegible]
268	النساء	4	146	[illegible]

165	النساء	4	155	[illegible]
410	المائدة	5	1	[illegible]
539	المائدة	5	13	[illegible]
286	المائدة	5	14	[illegible]
248	المائدة	5	54	[illegible]
510	المائدة	5	64	[illegible]
301	المائدة	5	79	[illegible]
246	المائدة	5	119	[illegible]
377	الأنعام	6	2	[illegible]
439	الأنعام	6	8	[illegible]
319	الأنعام	6	32	[illegible]
233	الأنعام	6	34	[illegible]
603	الأنعام	6	44	[illegible]
456	الأنعام	6	62	[illegible]
53،164	الأنعام	6	71	[illegible]
367	الأنعام	6	94	[illegible]
273	الأنعام	6	125	[illegible]
210،350	الأنعام	6	160	[illegible]
438	الأعراف	7	12	[illegible]
545	الأعراف	7	30	[illegible]
286	الأعراف	7	38	[illegible]
533	الأعراف	7	43	[illegible]
603	الأعراف	7	95	[illegible]
340	الأعراف	7	143	[illegible]

373،435	الأعراف	7	146	[illegible]
458	الأعراف	7	154	[illegible]
372	الأعراف	7	185	[illegible]
،475 ,416 479،539	الأعراف	7	199	[illegible]
304	الأعراف	7	201	[illegible]
,508 ,123 540 ,523	الأنفال	8	1	[illegible]
421	الأنفال	8	2	[illegible]
421	الأنفال	8	4	[illegible]
599	الأنفال	8	23	[illegible]
367	الأنفال	8	50	[illegible]
313	التوبة	9	38	[illegible]
202	التوبة	9	52	[illegible]
534	التوبة	9	72	[illegible]
473	التوبة	9	73	[illegible]
505	التوبة	9	75	[illegible]
505	التوبة	9	77	[illegible]
420	التوبة	9	112	[illegible]
588	يونس	10	24	[illegible]
376	يس	36	36	[illegible]

554	يونس	10	62	[illegible]
489	يونس	10	89	[illegible]
163	يونس	10	93	[illegible]
486 ,344	هود	11	6	[illegible]
445،524	هود	11	15	[illegible]
551 ،29	هود	11	44	[illegible]
447	هود	11	75	[illegible]
549	هود	11	81	[illegible]
590	هود	11	86	[illegible]
487	هود	11	111	[illegible]
179	يوسف	12	82	[illegible]
480	يوسف	12	92	[illegible]
467	الرعد	13	7	[illegible]
431	الرعد	13	13	[illegible]
166	الرعد	13	23	[illegible]
300	الرعد	13	28	[illegible]
166 ,165	الرعد	13	29	[illegible]
552	الرعد	13	31	[illegible]
303	الرعد	13	33	[illegible]
589	الرعد	13	،23 24	[illegible]
438	إبراهيم	14	10	[illegible]
558	إبراهيم	14	29	[illegible]
435	إبراهيم	14	15	[illegible]
568	الحجر	15	48	[illegible]

[illegible]				
[illegible]	88	15	الحجر	254
[illegible]	26	16	النحل	602 ,462
[illegible]	50	16	النحل	431
[illegible]	71	16	النحل	344
[illegible]	112	16	النحل	178
[illegible]	127	16	النحل	242
[illegible]	4	17	الإسراء	232
[illegible]	20	17	الإسراء	489
[illegible]	23	17	الإسراء	233
[illegible]	24	17	الإسراء	178
[illegible]	30	17	الإسراء	345
[illegible]	7	18	الكهف	315
[illegible]	28	18	الكهف	175, 242، 273،592
[illegible]	31	18	الكهف	536
[illegible]	31	18	الكهف	535
[illegible]	45	18	الكهف	313, 453، 588
[illegible]	49	18	الكهف	346، 409،525
[illegible]	109	18	الكهف	375
[illegible]	110	18	الكهف	268
[illegible]	93-95	19	مريم	604
[illegible]	41	19	مريم	266
[illegible]	54	19	مريم	410

[illegible]	56	19	مريم	266
[illegible]	59	19	مريم	590
[illegible]	62	19	مريم	201
[illegible]	64	19	مريم	331
[illegible]	75	19	مريم	464
[illegible]	86	19	مريم	228
[illegible]	69	20	طه	89, 490
[illegible]	98	20	طه	467, 592
[illegible]	109	20	طه	532
[illegible]	131	20	طه	315
[illegible]	1	21	الأنبياء	531
[illegible]	3	21	الأنبياء	531
[illegible]	35	21	الأنبياء	330
[illegible]	47	21	الأنبياء	524
[illegible]	102	21	الأنبياء	533
[illegible]	23	22	الحج	535،536
[illegible]	29	22	الحج	294
[illegible]	34	22	الحج	441
[illegible]	36	22	الحج	162
[illegible]	**1، 2**	23	المؤمنون	420
[illegible]	14	23	المؤمنون	377
[illegible]	14	23	المؤمنون	420
[illegible]	34	23	المؤمنون	438

438	المؤمنون	23	47	[illegible]
458 ,303	المؤمنون	23	57	[illegible]
459	المؤمنون	23	60	[illegible]
539	النور	24	22	[illegible]
489	النور	24	41	[illegible]
439	الفرقان	25	21	[illegible]
601	الفرقان	25	22	[illegible]
360	الفرقان	25	45	[illegible]
421،441،447	الفرقان	25	63	[illegible]
601	الشعراء	42	54	[illegible]
178	الشعراء	26	215	[illegible]
439	القصص	28	39	[illegible]
315	القصص	28	54	[illegible]
213	القصص	28	77	[illegible]
286	العنكبوت	29	25	[illegible]
366	العنكبوت	29	40	[illegible]
224	العنكبوت	29	43	[illegible]
300	العنكبوت	29	45	[illegible]
453 ,313	العنكبوت	29	64	[illegible]
377	الروم	30	20	[illegible]

230	الروم	30	30	[illegible]
575	الروم	30	42	[illegible]
,62 230،280	الروم	30	43	[illegible]
202	الروم	30	47	[illegible]
403	لقمان	31	17	[illegible]
480،570	لقمان	31	33	[illegible]
533	السجدة	32	17	[illegible]
297 ,102	الأحزاب	33	19	[illegible]
265	الأحزاب	33	23	[illegible]
263 ,176	الأحزاب	33	57	[illegible]
480،570	فاطر	35	5	[illegible]
,457 ,216 458	فاطر	35	28	[illegible]
536 ،535	فاطر	35	33	[illegible]
487	يس	36	32	[illegible]
605	يس	36	51	[illegible]
538	يس	36	55	[illegible]
377	الصافات	37	11	[illegible]
593	الصافات	37	48	[illegible]
203	الصافات	37	61	[illegible]
590	الصافات	37	107	[illegible]
170	ص	38	20	[illegible]
308	ص	38	30	[illegible]

593	ص	38	52	[illegible]
508 ,268	الزمر	39	3	[illegible]
545	الزمر	39	3	[illegible]
244،330	الزمر	39	10	[illegible]
214	الزمر	39	42	[illegible]
405	الزمر	39	60	[illegible]
605	الزمر	39	68	[illegible]
262	غافر	40	31	[illegible]
435	غافر	40	35	[illegible]
237	غافر	40	44	[illegible]
232	فصلت	41	12	[illegible]
540	فصلت	41	34	[illegible]
295	فصلت	41	42	[illegible]
545	الشورى	42	6	[illegible]
،326 ,93 531	الشورى	42	17	[illegible]
315	الشورى	42	20	[illegible]
502	الشورى	42	27	[illegible]
،466 ,461 539	الشورى	42	40	[illegible]
541 ,242	الشورى	42	43	[illegible]
45	الشورى	42	44	[illegible]
439	الزخرف	43	31	[illegible]
439	الزخرف	43	53	[illegible]
487،603	الزخر	43	55	[illegible]

	ف			[illegible]
536	الزخرف	43	71	[illegible]
533	الزخرف	43	71	[illegible]
603	الدخان	44	25-27	[illegible]
232	الدخان	44	33	[illegible]
535	الدخان	44	53	[illegible]
536	الدخان	44	55	[illegible]
365،603	الأحقاف	46	25	[illegible]
536	محمد	47	15	[illegible]
45	محمد	47	16	[illegible]
265	محمد	47	21	[illegible]
449،462	الفتح	48	26	[illegible]
473 ,251	الفتح	48	29	[illegible]
403	الحجرات	49	6	[illegible]
541	الحجرات	49	9	[illegible]
409،410	الحجرات	49	11	[illegible]
,399،403 540	الحجرات	49	12	[illegible]
433 ,121	الطور	52	2، 1	[illegible]
347	القمر	54	،52	[illegible]

			53	
531	القمر	54	1	[illegible]
525 ,200	القمر	54	53	[illegible]
377	الرحمن	55	14	[illegible]
535	الرحمن	55	46	[illegible]
537	الرحمن	55	58	[illegible]
189 ,60	الرحمن	55	60	[illegible]
538 ,537	الرحمن	55	72	[illegible]
535	الرحمن	55	76	[illegible]
534	الواقعة	56	28	[illegible]
534 ,227	الواقعة	56	30	[illegible]
536	الواقعة	56	21	[illegible]
537	الواقعة	56	،22 23	[illegible]
481	الحديد	57	14	[illegible]
605	الحديد	57	15	[illegible]
319	الحديد	57	20	[illegible]
190	الحديد	57	22	[illegible]
351	الحديد	57	23	[illegible]
163	الحشر	59	9	[illegible]
495 ,494	الحشر	59	9	[illegible]
304	الحشر	59	18	[illegible]
224	الحشر	59	21	[illegible]
534	الصف	61	12	[illegible]
170	الجمعة	62	2	[illegible]
445	المنافقو	63		[illegible]

	ن		9	[illegible]
312	التغابن	64	2	[illegible]
445	التغابن	64	15	[illegible]
345	الطلاق	65	2،3	[illegible]
347	التحريم	66	8	[illegible]
473	التحريم	66	9	[illegible]
404	التحريم	66	10	[illegible]
551	التحريم	66	10	[illegible]
358	القلم	68	1	[illegible]
,416 ,175, 495 ,422	القلم	68	4	[illegible]
404 ,403	القلم	68	11	[illegible]
404	القلم	68	13	[illegible]
252	القلم	68	44	[illegible]
603	الحاقة	69	10	[illegible]
487	الحاقة	69	11	[illegible]
531	المعارج	70	6، 7	[illegible]
605	المعارج	70	43	[illegible]
347	نوح	71	10	[illegible]
229	الجن	72	1،2	[illegible]
242	المزمل	73	10	[illegible]
549	المزمل	73	20	[illegible]
377	الإنسان	76	2	[illegible]
535	الإنسان	76	13	[illegible]
311	المرسلات	77	25، 26	[illegible]
503	النازعا	79	17	[illegible]

	ت			
503	النازعات	79	24	[illegible]
319،369	النازعات	79	40،41	[illegible]
440	عبس	80	17-22	[illegible]
586	عبس	80	24	[illegible]
304	التكوير	81	14	[illegible]
433 ,121	التكوير	81	15	[illegible]
433	التكوير	81	16	[illegible]
346	الانفطار	82	10-12	[illegible]
304	الانفطار	82	5	[illegible]
,204 531،532	المطففين	83	6	[illegible]
204	المطففين	83	26	[illegible]
360	الفجر	89	6	[illegible]
243	الفجر	89	15	[illegible]
243	الفجر	89	16	[illegible]
,121 433،464	الضحى	93	10 ،9	[illegible]
415	التين	95	4	[illegible]
303	العلق	96	14	[illegible]
165	القدر	97	1	[illegible]
508 ,268	البينة	98	5	[illegible]
303،458	البينة	98	8	[illegible]

,60 189،524	الزلزلة	99	8 ، 7	[illegible]
445	التكاثر	102	2 ،1	[illegible]
207	العصر	103	2	[illegible]
242	العصر	103	3	[illegible]
404	الهمزة	104	1	[illegible]
184	قريش	106	4	[illegible]
391	الماعون	107	5، 4	[illegible]
391	الماعون	107	6	[illegible]
404	المسد	111	4	[illegible]

فهرس الأحاديث النبوية

242- حلالها حساب وحرامها عقاب	
243- خذوا ما عليها فاعروها فإنها ملعونة	411
244- خلقان يحبهما الله تعالى، وخلقان يبغضهما الله تعالى- عزّ وجلّ-؛ فأما اللذان يحبهما الله تعالى فحسن الخلق والسخاء	451
245- خُلقت من نكاح لا من سفاح	485
246- خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى	176
247- الخيمة درّة مجوّفة، طولها في السماء ستون ميلاً	536
248- دخل رجل على رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وعليه جدري قد نقش جلده	444
249- دخلت الجنة فإذا أنا ببلال فيها	518
250- دخلت الجنة فإذا أنا بجارية لعساء، فقلت : لمن هذه؟	518
251- دخلت الجنة فإذا أنا بجارية، فقلت: لمن هذه؟	518
252- دع ما يريبك إلى ما لا يريبك	395
253- دعوا الدنيا لأهلها، من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه	446،506
254- الدنيا حلم، وأهلها مجازون ومعاقبون	604
255- الدنيا حلوة خضرة، والله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون	454
256- الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له	557 ,454
257- الدنيا سجن المؤمن، وجنّة الكافر	453
258- الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله	453
259- ذروا المراء فإنه لا تفهم حكمته، ولا تؤمن فتنته	408
260- الذين تكلفوا حبي ويأوون إلى ذكري كما يأوي النسر إلى وكره	251
261- رأيت الوليدة من ولائد أهل المدينة تأخذ بيد رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- فلا ينزع يدها حتى تذهب حيث شاءت	444
262- رأيت كأن رجلاً جاءني فقال لي: قمْ، فقمت معه، فإذا برجلين، أحدهما قائم	406
263- رَجُلاَنِ مِنْ أُمَّتِي جَثَيَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَبِّ خُذْ لِي مَظْلَمَتِي مِنْ أَخِي	508
264- رحم الله عبدًا تكلم فغنم أو سكت فسلم	290 ,88 ،50
265- الرزق رزقان: رزق تطلبه، ورزق يطلبك	345
266- رُوي أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ ثلاثة أعواد فغرز عودًا بين يديه	500
267- سئل رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: أيّ الأعمال أفضل؟ فقال: حسن الخلق	417
268- سئل رسول- الله عن أكثر ما يُدخل الجنة، فقال: تقوى الله، وحسن الخلق	396

561- يا عقبة- ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة: تصل من قطعك	
562- يا فتى شققت عليّ أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك	410
563-يا قَيْسُ اغْتَسِلْ بِمَاءٍ وَسِدْرَةٍ	182
564- يا معشر من آمن بلسانه، ولم يؤمن بقلبه، لا تغتابوا المسلمين	400
565- يا موسى لا تركن إلى حب الدنيا، فلن تأتيني بكبيرة هي أشد علي منها	562
566- يبعث كل عبد على ما مات عليه	274
567- يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيمة في صورة الذّرّ	436
568- يحشر المتكبرون يوم القيامة ذرًّا في مثل صور الرجال	436
569- يحشر الناس إلى جهة الشام حُفاة عُراة غُرْلاً	184
570- يخرج من النار عنق له أذنان يسمعان وعينان يبصران	435
571- يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة	534
572- يُدرك الخير كله بالعقل	203
573- يرى أحدكم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينيه	169
574- يغفر الله للعالم أربعين ذنبًا قبل أن يغفر للجاهل ذنبًا واحدًا	348
575- يقول الله تعالى: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي	300
576- يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ تُؤْتَى كُلَّ يَوْمٍ بِرِزْقِكَ وَأَنْتَ تَحْزَنُ	484
577- يقول الله- عزّ وجلّ-: لو أن أولكم وآخركم، وحيّكم وميّتكم، وذكركم وأنثاكم، اجتمعوا فسأل كل سائل ما بلغت إليه أمنيته	284
578- يكبر ابن آدم ويشب معه اثنان: الحرص، وطول الأمل	334،500
579- ينظر إلى وجهه في خدّها، أصفى من المرآة	537

فهرس الآثار المروية

12- اصطلحنا على حبّ الدنيا، فلا يأمر بعضنا بعضًا	مالك بن دينار	571
13- اعلموا أنكم ميتون، وعلى أعمالكم مجزون	الإمام علي	578
14- إلهي جعل لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى	عيسى عليه السلام	558
15- أما بعد: فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة	الحسن البصري	576
16- إن أحقّ الناس بذمّ الدنيا، وقلاها من بسط له فيها	بعض الحكماء	576
17- إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء: جزء للمؤمن	ابن عباس	566
18- أنا أعز على الله من أن يشغلني عن نفسه بحما	عيسى عليه السلام	250
19- إنك لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك	بعض الحكماء	562
20- إنما الدنيا ستة أشياء: مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم	الإمام علي بن أبي طالب	574
21- إنما أنتم في هذه الدنيا عرض تنتصل فيكم المنايا	الإمام علي	564
22- إنما نال الغنى من عتق من رقّ الدنيا	بعض الزهاد	571
23- أهينوا الدنيا، فوالله ما هي لأحد أهنأ منها لمن أهانها	الحسن البصري	571
24- أوصيكم بتقوى الله، والترك للدنيا التاركة لكم	الإمام علي	578
25- أول زمرة تلج الجنة، صورهم على	أبو هريرة	535

صورة القمر ليلة البدر		
26- إياكم وشغل الدنيا، فإن الدنيا كثيرة الاشتغال	الحسن البصري	570
27- الأيام سهام، والناس أغراض، والدهر يرميك كل يوم بسهامه	بعض الحكماء	578
28- بؤسًا لأزواجك الباقين لا يعتبرون بالماضين	عيسى عليه السلام	582
29- بحقّ أقول لكم كما ينظر المريض إلى طعام، فلا يلتذ به من شدّة المرض	عيسى عليه السلام	584
30- بقدر ما تحزن للدنيا يخرج همّ الآخرة من قلبك	مالك بن دينار	568
31- بلغني أن رجلاً عرج بروحه إلى السماء، فإذا امرأة على قارعة الطريق	الفضيل بن عياض	583
32- توسد يومًا حجرًا في نومه	عيسى عليه السلام	352
33- جلس في ظل حائط لإنسان، فأقامه	عيسى عليه السلام	352
34- حبّ الدنيا، والذنوب في القلب قد احتوشته	عبدالله بن المبارك	572
35- حلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا	الحسن البصري	447
36- خذ من الدنيا لبدنك، ومن الآخرة لقلبك	سفيان الثوري	569
37- الدخول في الدنيا هين، لكن التخلص منه شديد	الفضيل بن عياض	570
38- دلني على أمر فيه رضاك حتى أعلمه	موسى عليه السلام	247
39- الدنيا بلغة من شؤمها أن تمنيك بما يلهيك عن طاعة الله تعالى	يحيى بن معاذ	574
40- الدنيا دار خراب، وأخرب منها قلب	حكيم	573

من يعمرها		
41- الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها	عيسى عليه السلام	316، 584
42- الدنيا موقوفة بين السماء والأرض كالشن البالي	أبو هريرة	572
43- الدنيا والآخرة ضرتان، فبقدر ما ترضي إحداهما تسخط الأخرى	عيسى عليه السلام	568
44- الدنيا وقتك الذي يرجع إليك طرفك فيه	بعض الحكماء	578
45- رأيت الدنيا في صورة عجوز شوهاء شمطاء	بعض الحكماء	582
46- رأيت عجوزًا في المنام كبيرة، عليها من كل زينة	العلاء بن زياد	582
47- رحم الله أقوامًا كانت الدنيا عندهم وديعة	الحسن البصري	562
48- الزهدالتقوى	مالك بن أنس	352
49- العبادة عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت، والعاشر في الفرار من الناس	عيسى عليه السلام	398
50- عجبًا لمن يعرف أن الموت حقّ كيف يفرح	بعض الحكماء	570
51- العقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه	يحيى بن معاذ	574
52- فإني أحذركم الدنيا، فإنها والله أكّالة	علي عليه السلام	563
53- قد رأيناهم يطيبونها بالأفاويه	الحسن البصري	586
54- قد طلقتك ثلاثًا لا رجعة لي فيك	الإمام علي	564
55- قرأت في بعض الكتب: الدنيا	وهب بن منبه	569

غنيمة الأكياس		
56- كان أصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة	بعض الزهاد	574
57- كان ضجاع الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- الذي ينام عليه وسادة من أدم حشوها ليف	عائشة	354
58- كان لا يصحبه إلا مشط وكوز	عيسى عليه السلام	354
59- كانت الدنيا، ولم أكن فيها، وتذهب الدنيا	بعض الحكماء	562
60- كأنك بالدنيا لم تكن، وبالآخرة لم تزل	عمر بن عبدالعزيز	570
61- كل أمر رسول الله كان عجبًا، أتاني في ليلتي حتى مسّ جلده جلدي	عائشة	372
62- كيف وجدت الموت يا خليلي؟ قال: كسفود فيه خطاطيف	إبراهيم عليه السلام	607
63- لا أغبط أحدًا يهون عليه الموت بعد الذي رأيت من شدّة موت رسول الله	عائشة	608
64- لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث	الحسن البصري	571
65- لا تعلم العلم لثلاث، ولا تتركه لثلاث، فلا تعلمه لتباهي به العلماء، ولتماري به، ولترائي به	عمر بن الخطاب	409
66- لا يصبر عن شهوات الدنيا إلا من كان في قلبه ما يشغله بالآخرة	رجل من الزهاد	571
67- لاتهتموا بكثرة العمل ، واهتموا للقبول	الإمام علي	269
68- لبس المسوح حتى ثقب جلده	يحيى بن زكريا	352
69- لتحببن لكم الدنيا حتى تعبدوها وأهلها	كعب الأحبار	574

70- لمّا سئل: كيف ترى الدهر؟ قال: يخلق الأبدان	بعض الزهاد	562
71- لو أن الدنيا بحذافيرها عرضت عليّ حلالاً ولا أحاسب بها في الآخرة لكنت أقذرها	الفضيل بن عياض	569
72- لو طلبت في الجنة مثل هذا، وأخذعويدًا صغيرًا لا أكاد أراه من صغره ما وجدته	سلمان الفارسي	534
73- لو قال لي فرعون خيرًا لرددت عليه	ابن عباس	413
74- لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيهما ركبت	عمر بن الخطاب	242
75- ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر علمك	الإمام علي	448
76- ما أصبح أحد من الناس إلا وهو ضيف وماله عارية	ابن مسعود	566
77- ما أصف لكم من دار، من صح فيها أمن	الإمام علي	567
78- ما شبهت نفسي والدنيا إلا كرجل نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب	بعض الزهاد	604
79- ما ظنك بقوم قاموا على أقدامهم خمسين ألف سنة	الحسن البصري	532
80- ما في الدنيا شيء يسرك إلا وقد ألصق به شيء يسوءك	أبو حازم	571
81- مثل الدنيا مثل الحيّة لين مسها قاتل سمها	الإمام علي	582

82- مثل طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر	عيسى عليه السلام	581
83- مسكين ابن آدم يرضى بدار حلالها حساب وحرامها عقاب	الحسن البصري	570
84- من أراد أن يستغني بالدنيا عن الدنيا كان كمن يطفئ النار بالنار	بعض الحكماء	574
85- من أقبل على الدنيا أحرقته نيرانها	بندار بن الحسين الشيرازي	574
86- من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع	أبو هريرة	412
87- من جمع ستّ خصال لم يدع للجنة مطلبًا	الإمام علي	562
88- من خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس	عمر بن الخطاب	269
89- من ذكر الموت هانت عليه مصائب الدنيا وهمومها	كعب	499
90- من سلّم عليك من خلق الله فسلّم، ولو كان مجوسيًا	ابن عباس	413
91- من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة	وهب بن منبه	572
92- من نافسك في دينك فنافسه	الحسن البصري	562
93- من نمّ إليك نمّ عليك	الحسن البصري	403
94- من يسأل الله الدنيا فإنما يسأل الله طول الوقوف بين يديه	بعض الزهاد	571
95- ها إن ذا عظّم في عينه ما صغّر الله	محمد بن المنكدر	572
96- والله لقد أدركت أقوامًا كانت الدنيا عندهم أهون من التراب	الحسن البصري	568

97- والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بحبهم الدنيا بعد عبادتهم للرحمن	الحسن البصري	569
98- والله ما رأيت قومًا قط أرغب فيما كان رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يزهد فيه منكم	عمرو بن العاص	570
99- ويل لصاحب الدنيا يموت ويتركها ويأمنها وتغرّه	عيسى عليه السلام	558
100- يُؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء	ابن عباس	583
101- يا ابن آدم فرحت ببلوغ أملك، وإنما بلغته بانقضاء أجلك	داود الطائي	571
102- يا أخي الدنيا دحض مزلّة ودار مذلة عمرانها إلى الخراب صائر	الشافعي	573
103- يا أيّها الناس اعملوا على مهل، وكونوا من الله على وجل	بعض الحكماء	575
104- يا بني أفق فإنك استدبرت الدنيا من يوم استقبلتها	لقمان	569
105- يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسألة، ولا تشف غيظك بفضيحتك	لقمان	475
106- يا رب عبدك يبكي من مخافتك	موسى عليه السلام	561
107- يا طالب الدنيا لتبرّ تركك للدنيا أبرّ	عيسى عليه السلام	561
108- يا معشر الحواريين ادعو الله أن يهون علي هذه السكرة	عيسى عليه السلام	607
109- يبدي الغضبالكبر والفخر والتعزز والحميّة	عيسى عليه السلام	474
110- يسير الدنيا ينسيك عن كثير الآخرة	أبو حازم	571

فهرس الأبيات الشعرية

14- سَأَلْتُ الأَرْضَ لِمْ جُعِلْت مُصَلَّى	126, 522
15- سُلِبوا وَأَشرَقَتِ الدِماءُ عَلَيهِمُ	519
16- فَلَيْسَ لِعَيْشِنَا هَذَا هَنَاءٌ	455
17- فِيْهَا خُطُوطٌ مِنْ سَوادٍ وَبَلَقْ	516
18- قَـــــاْلَ لِـــيْ يَوْمًا سُلَيْمَـــانُ	521
19- قَالَتْ أَلاَ لاَ تَلِجَنْ دَارَنَا	521
20- مَطَوتُ بِهِم حَتّى تَكِلَّ مَطِيُّهُم	234
21- نُرَقِعُ الدُّنْيَا بِأَخْلاقِ دِيْنِنَا	567
22- هَب الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا	580
23- وَإِن امْرَأً دُنْيَاهُ أَكْبَرُ هَمِّه	580
24- وَإِنّيْ لَتَعْرُوْنِي لِذِكْرَاكِ هَزَّةٌ	512
25- وَقَد ظُلِّلْتْ عِقْبَانُ أَعلامِهِ ضُحىً	519
26- وَكَلْمُ السَّيْفِ تَدْمِلُهُ فَيَبْرَى	102, 297
27- وَلَو لَمْ تُصَافِح رِجْلُهَا صَفْحَةَ الثَّرَى	126, 523
28- وَمَا المَالُ وَالأَهْلُونَ إِلا وَدَائِعُ	566

فهرس الأعلام

فهرس الأماكن والبلدان

24- المدينة	273, 444, 556
25- معين	598
26- مكة	353, 480
27- نجران	571
28- نيسابور	423
29- هجرة الوعلية	139
30- هجرة حوث	12
31- هران	17
32- اليمن	8, 15, 26, 229, 591, 598

مصادر و مراجع الدراسة والتحقيق

أولاً: المصادر والمراجع المطبوعة

1-القرآن الكريم.

2-أئمة اليمن، محمد بن محمد زبـــارة ،الــدار اليمنية للنشر والتوزيـــع، عـــام 1984م، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

3-إتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين ومن قـام بـاليمن الميمـون من قرنـاء الكتاب المـبين وأبنـاء سـيد الأنبيـاء والمرسـلين، محمد بن محمد زبـارة، مطبعة المقام الشريف، عام 1343هـ، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

4-إثبـات عـذاب القـبر، أحمد بن الحسـين الـبيهقي، تحقيق د. شـرف محمـود القضاة، دار الفرقان، ط2، عام 1405هـ، عمان، الأردن.

5-الآحاد والمثاني، أحمد بن عمرو بن الضحاك الشـيباني، تحقيق د. باسم فيصل الجوابرة، دار الراية، ط1، عام 1991م، الرياض، المملكة السعودية.

6-إحيـاء علـوم الـدين، أبو حامد محمد بن محمد الغـزالي، دار المعرفـة، عـام 1403هـ، بيروت، لبنان.

7-الأدب المفرد، محمد بن إسـماعيل البخـاري، تحقيق محمد فـؤاد عبد البـاقي، دار البشائر الإسلامية، ط3، عام 1989م، بيروت، لبنان.

8-الأربعون حـديثًا السـيلقية، زيد بن عبد الله بن مسـعود الهاشـمي، تحقيق عبد الله حمـود العـزي، مؤسسة الإمـام زيد بن علي الثقافيـة، ط1، عـام2002م، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

9-الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط1، عام 1412هـ، بيروت، لبنان.

10- أسد الغابة، عزّ الدين بن الأثير علي بن محمد الجزري، تحقيق عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، ط1، عام 1996م، بيروت، لبنان.

11- أسـرار العربيـة، عبد الـرحمن بن أبي الوفـاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد، تحقيق د. فخر صالح قدارة، دار الجيل، ط1، عام 1995م، بيروت، لبنان.

12- الإصـابة في تميـيز الصـحابة، أحمد بن علي بن حجر العسـقلاني، تحقيق

علي محمد البجاوي، دار الجيل، ط1، عام 1992م، بيروت، لبنان.

13- أصول الأحكام الجامع لأدلة الحلال والحرام، أحمد بن سـليمان بن محمـد، تحقيق عبد الله حمود العزي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافيـة، ط1، عـام 2003م، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

14- أصول نقد النصوص ونشر الكتب، برجسـتر أسـر، إعـداد وتقـديم د. محمد البكري، مطبوعات دار الكتب، عام 1969م، بيروت، لبنان.

15- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط5، عام1980م، بيروت، لبنان.

16- أعلام المؤلفين الزيديـة،عبد السـلام الوجيـه، مؤسسة الإمـام زيد بن علي العلمية والثقافية، ط1،عام 1985م، عمان، الأردن.

17- الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد المرواني الأصـبهاني، تحقيق سمير جابر، ط2، دار الفكر، بيروت، لبنان.

18- الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام، الإمام يحيى بن حمزة، تحقيق فيصل بـدير عون، راجعه د. علي سامي النشار، منشأة المعارف، عام1971م، الإسـكندرية، مصر.

19- الإكمـال في رفع الارتيـاب عن المؤتلف والمختلف في الأسـماء والكـنى، علي هبة الله بن أبي نصر مـاكولا، دار الكتب العلميـة، ط1، عـام 1411هـ، بيروت، لبنان.

20- الإمام المجتهد يحـيى بن حمـزة وآراؤه الكلاميـة، د.أحمد محمـود صـبحي، منشورات العصر الحديث، ط1، عام 1990م ، بيروت، لبنان.

21- الإمـام زيد حياته وعصـره وفقهـه، محمد أبو زهـرة، المكتبة الإسـلامية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

22- الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وأثره في الفكر الإسلامي سياسيًا وعقائـديًا، د. محمد محمد الحـاج الكمـالي، دار الحكمة اليمانيـة، ط1، عـام 1991م، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

23- الانتصار على علماء الأمصار في تقرير المختار من مـذاهب الأئمة وأقاويل علماء الأمة، الإمام يحيى بن حمزة، تحقيق عبد الوهاب علي المؤيـد، علي أحمد

مفضل، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط2، عام 1425هـ عمان، الأردن.

24- الإنصـاف في مسـائل الخلاف بين النحـويين البصـريين والكوفـيين، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميـد، دار الفكر، دمشق، سوريا. بدون تأريخ.

25- البداية والنهايـة، أبو الفـداء إسـماعيل بن كثـير الدمشـقي، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، عام 1988م، بيروت، لبنان.

26- البدر الطـالع بمحاسن من بعد القـرن السـابع، محمد بن علي الشـوكاني، دار الكتب العلمية، ط2، عام 2007م، بيروت، لبنان.

27- الـبر والصـلة، الحسـين بن الحسن المـروزي، تحقيق د. محمد بن سـعيد بخاري، دار الوطن، ط1، عام 1419هـ، الرياض، المملكة السعودية.

28- البرهان المؤيد، أحمد الرفـاعي الحسـيني، تحقيق عبد الغـني نكه مي، دار الكتاب النفيس، ط1، عام 1408هـ، بيروت، لبنان.

29- بغية الطلب في تـاريخ حلب، كمـال الـدين عمر بن أحمد بن أبي جـرادة، تحقيق د. سهيل زكار، دار الفكر، ط1، عام 1988م، بيروت، لبنان.

30- بلـوغ المـرام في شـرح مسك الختـام في من تـولى ملك اليمن من ملك وإمـام، حسـين أحمد العرشـي، مراجعة وتصـحيح محمد سـالم شـجاب، مكتبة الإرشاد، ط1، عام 2008م، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

31- البيان والتبـيين، أبو عثمـان عمـرو بن بحـر الجاحـظ، تحقيـق وشـرح عبـد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر. بدون تأريخ.

32- تاج العروس من جواهر القـاموس، محمد مرتضى الزبيـدي، تحقيق د. عبد العزيز مطر، مطبعة حكومة الكويت، عام 1970م، الكويت.

33- التاج المذهب لأحكام المذهب شـرح متن الأزهـار في فقه الأئمة الأطهـار، أحمد بن قاسم العنسي، ط1، عام 1947م، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

34- تـاريخ الأدب العـربي، كـاول بروكلمـان، الإشـراف على الترجمة محمـود فهمي حجازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،عام 1995م، القاهرة، مصر.

35- تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق د. عمر عبد السلام تـدمري، دار الكتاب العربي، ط1، عام 1987م، بيروت، لبنان.

36- تـاريخ الأمم والملـوك، محمد بن جرير الطـبري، دار الكتب العلميـة، ط1، عام 1407هـ، بيروت، لبنان.

37- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغـدادي، دار الكتب العلميـة، بيروت، لبنان. بدون تأريخ.

38- تـاريخ الـتراث العـربي، د. فـؤاد سـزكين، نقله للعربية د. محمـود فهمي حجازي، وراجعه د.عرفة مصطفى، و د. سعيد عبد الرحيم، مطابع جامعة الإمـام محمد بن سـعود الإسـلامية، أشـرف على الطباعة والنشر إدارة الثقافة والنشر بالجامعة، عام 1404هـ -1983م، الرياض، المملكة السعودية.

39- تـاريخ النقد الأدبي عند العـرب، إحسـان عبـاس، دار الثقافـة، ط4، عـام 1983م، بيروت، لبنان.

40- تـاريخ مدينة دمشـق، علي بن الحسن الشـافعي المعـروف بـابن عسـاكر، تحقيق علي شـيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيـع، ط1، عـام 1998م، بيروت، لبنان.

41- التحف في شـرح الزلـف، مجد الـدين بن محمد المؤيـدي، مكتبة بـدر للطباعة والنشر والتوزيع، ط3، عام1997م، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

42- تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخـانجي، ط7، عام 1998م، القاهرة، مصر.

43- التدوين في أخبار قزوين، عبد الكريم بن محمد الرافعي القزويـني، تحقيق عزيز الله العطاري، دار الكتب العلمية، عام 1987م، بيروت، لبنان.

44- تصفية القلوب من درن الأوزار والـذنوب، الإمـام يحـيى بن حمـزة، تحقيق إسـماعيل بن أحمد الجـرافي، إشـراف أحمد علي الهيصـمي، المكتبة السـلفية، عام1185م، القاهرة، مصر.

45- تعظيم قـدر الصـلاة، محمد بن نصر بن الحجـاج المـروزي، تحقيق د. عبد الـرحمن عبد الجبـار، مكتبة الـدار، ط1، عـام 1406هـ، المدينـة، المملكة السعودية.

46- تفسير القرآن العظيم، أبو حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي،

تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان. بدون تأريخ.

47- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، عام 1999م، الرياض، المملكة السعودية.

48- تفسير القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة، مصر. بدون تأريخ.

49- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد، ط1، 1986م، دمشق، سوريا.

50- التمهيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق مصطفى أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف، عام 1387هـ، الدار البيضاء، المغرب.

51- تهذيب التهذيب، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر، ط1، عام 1984م، بيروت، لبنان.

52- تهذيب الكمال، يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط1، عام 1980م، بيروت، لبنان.

53- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط1، عام 2001م، بيروت، لبنان.

54- التواضع والخمول، عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الدنيا القرشي البغدادي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، عام1989م، بيروت، لبنان.

55- تيسير المطالب في أمالي أبي طالب، يحيى بن الحسين بن هارون، تحقيق عبد الله حمود العزي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط1، عام 2002م، عمان، الأردن.

56- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، بيروت، لبنان.

57- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، إبراهيم

باجس، مؤسسة الرسالة، ط7، 1997م، بيروت، لبنان.
58- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، عام 1403هـ، الرياض، المملكة السعودية.
59- الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث، أحمد بن عبد الكريم بن سعود الغزي العامري، تحقيق بكر عبد الله أبو زيد، دار الراية، ط1، عام 1412هـ، الرياض، المملكة السعودية.
60- حاشية الإنبابي على الرسالة البيانية للصبان، شمس الدين محمد بن محمد الإنبابي، المطبعة الأميرية ببولاق، عام 1315هـ، القاهرة، مصر.
61- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان، مكتبة الإيمان، المنصورة، مصر. بدون تأريخ.
62- حاشية العطار على جمع الجوامع، حسن العطار، دار الكتب العلمية، ط1، عام 1420هـ ، بيروت، لبنان.
63- حديقة الحكمة النبوية في تفسير الأربعين السيلقية، الإمام عبد الله بن حمزة، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، عام 1991م، صنعاء ، الجمهورية اليمنية.
64- الحقائق الراهنة في المائة الثامنة، الشيخ آغا بزرك الطهراني، تحقيق علي تقي فنزوي، ط1،عام 1975م، بيروت، لبنان.
65- حقائق المعرفة في علم الكلام، أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر، تصحيح حسن يحيى اليوسفي، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط1، عام 2003م، صنعاء، الجمهورية اليمنية.
66- حكام اليمن الأئمة المجتهدون، عبد الله الحبشي، دار القرآن الكريم، ط1، عام 1979م، بيروت، لبنان.
67- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتاب العربي، ط4، عام 1405هـ، بيروت، لبنان.
68- الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي، د. أحمد شوقي إبراهيم العمرجى، مكتبة مدبولي، ط1، عام 2000م، القاهرة، مصر.

69- خزانة الأدب وغاية الأرب، تقي الـــدين أبو بكر علي بن عبد الله الحمـــوي الأزراري، تحقيق عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، ط1، عـام 1987م، بـيروت، لبنان.

70- الخصائص الكبرى، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دار الكتب العلمية، عام 1985م، بيروت، لبنان.

71- الخصـائص، أبو الفتح عثمـان بن جـني، تحقيق محمد علي النجـار، عـالم الكتب، بيروت، لبنان. بدون تأريخ.

72- الخطـاب والنص "المفهـوم- العلاقة- السـلطة"، د. عبد الواسع الحمـيري، مجد المؤسسة الجامعية للدراســات والنشر والتوزيـــع، ط1، عـــام 2008م، بيروت، لبنان.

73- دلائل الإعجـاز، أبو بكر عبد القـاهر بن عبد الـرحمن بن محمد الجرجـاني، تحقيق د. محمد التنجي، دار الكتاب العربي، ط1، عام 1995م، بيروت، لبنان.

74- الـــديباج الوضي في الكشف عن أســرار كلام الوصــي، الإمــام يحــيى بن حمزة، تحقيق خالد المتوكل، إشراف عبد السلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط1، عام 2003م، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

75- ديوان ابن رشيق القيرواني، شرح د. صلاح الدين الهواري، هدى عودة، دار الجيل، ط1، عام 1996م، بيروت، لبنان.

76- ديـوان ابن هـانئ الأندلسـي، شـرح أنطـوان نعيم، دار الجيـل، ط1، عـام 1996م، بيروت، لبنان.

77- ديوان أبي الطيب المتنبي، تحقيق بـدر الـدين حاضـري محمد حمـاقي، دار الشرق العربي، ط3، عام 1995م، بيروت، لبنان.

78- ديـوان أبي العتاهيـة، إسـماعيل بن القاسـم، تحقيق د. درويش الجويـدي، المكتبة العصرية، ط1، عام 2008م، صيدا، لبنان.

79- ديوان أبي تمام بشـرح الخطيب التـبريزي، تحقيق محمد عبـده عـزام، دار المعارف، ط4، القاهرة، مصر.

80- ديـــوان أبي نـــواس الحسن بن هـــانئ، حققه وضـــبطه وشـــرحه أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. بدون تأريخ.

81- ديوان البحتري، ضبطه وعلّق حواشيه عطية سـيد، المكتبة الجامعـة، عـام 1911م، بيروت، لبنان.

82- ديــوان التهــامي، علي بن محمد التهــامي، شـــرح وتحقيق د. علي نجيب عطوي، دار ومكتبة الهلال، عام 1986م، بيروت، لبنان.

83- ديـوان السـموأل، تحقيق وشـرح د. واضح الصـمد، دار الجيـل، ط1، عـام 1996م، بيروت، لبنان.

84- ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعـارف، ط4، عام 1984م، القاهرة، مصر.

85- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق د. نعمـان محمد أمين طـه، دار المعارف، ط3، القاهرة، مصر.

86- ديوان رؤبة بن العجاج، تصحيح وترتيب وليم بن الورد البروسي، دار الآفاق الجديدة، ط2، عام 1980م، بيروت، لبنان.

87- ديــوان مجنــون ليلى، جمع وتحقيق د. عبد الســتار أحمد فــراج، دار مصر للطباعة، 1962م، القاهرة، مصر.

88- ديوان محمد بن حازم الباهلي، دار الجيل، عام 2002م، بيروت، لبنان.

89- ديوان وضـاح اليمن، جمعه وقـدم له وشـرحه د. محمد خـير البقـاعي، دار صادر، ط1، عام 1996م، بيروت، لبنان.

90- ذيل تـاريخ بغـداد، محمد بن محمـود بن الحسن المعـروف بـابن النجـار البغدادي، دراسة وتحقيق مصـطفى عبد القـادر عطـا، دار الكتب العلميـة، ط1، عام 1997م، بيروت، لبنان.

91- الرسالة الوازعة للمعتدين عن سبّ أصحاب سيد المرسلين، الإمـام يحـيى بن حمزة، المطبعة المنيرية، عام1348هـ، القاهرة، مصر.

92- الروض المعطار في خبر الأقطـار، محمد بن عبد المنعم الحمـيري، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، عام 1980م، بيروت، لبنان.

93- الزهـد، عبد الله بن المبـارك بن واضـح، تحقيق حـبيب الـرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. بدون تأريخ.

94- الزيديــة، د.أحمد صـبحي، الزهــراء للإعلام العــربي، ط1، عــام 1984م،

القاهرة، مصر.

95- سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويـني، تحقيق محمد فـؤاد عبد البـاقي، دار الفكر، بيروت، لبنان. بدون تأريخ.

96- ســنن أبي داود، ســليمان بن الأشـعث السجســتاني الأزدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان. بدون تأريخ.

97- سنن الترمـذي، محمد بن عيسى الترمـذي السـلمي، تحقيق أحمد محمـود شاكر و آخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. بدون تأريخ.

98- سنن الـدار قطـني، علي بن عمر الـدار قطـني البغـدادي، تحقيق عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، عام 1966م، بيروت، لبنان.

99- سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق فواز أحمد، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، ط1، عام 1407هـ، بيروت، لبنان.

100-الســنن الكــبرى، أحمد بن الحســين بن علي بن موسى الــبيهقي، تحقيق محمد عبد القــادر عطــا، مكتبة البــاز، عــام 1994م، مكة المكرمــة، المملكة السعودية.

101-سـنن النسـائي الكـبرى، أحمد بن شـعيب النسـائي، تحقيق د. عبد الغفـار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلميـة، ط1، عـام 1991م، بيروت، لبنان.

102-ســير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمــان الــذهبي، تحقيق شــعيب الأرنؤوط، محمد نعيم، مؤسسة الرسالة، ط9، عام 1413هـ، بيروت، لبنان.

103-السيرة النبوية، عبد الملك بن هشـام بن أيـوب الحمـيري، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، ط1، عام 1411هـ، بيروت، لبنان.

104-الشافي، الإمام عبد الله بن حمزة بن سليمان، مكتبة اليمن الكـبرى، ط1، عام 1986م، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

105-شرح أشعار الهذليين، أبو سـعيد الحسن بن الحسـين السـكري، تحقيق د. عبد الستار أحمد فراج، مطبعة المدني، ط1، عام 1965م، القاهرة، مصر.

106-شـرح ابن عقيل لألفية ابن مالـك، بهـاء الـدين عبد الله بن عقيل العقيلي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط2، عـام 1985م، دمشـق،

سوريا.

107-شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، وضعه وضبط الديوان وصـححه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. بدون تأريخ.

108-شـرح ديـوان لبيد بن ربيعة العـامري، حققه وقـدم له د. إحسـان عبـاس، مطبعة حكومة الكويت، عام 1962م، الكويت.

109-شـــرح ســـقط الزنـــد، أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن ســـليمان التنـــوخي المعري، شرح وتعليق د. ن رضـا، دار ومكتبة الحيـاة للطباعة والنشـر، بـيروت، لبنان.

110-شـرح شـافية ابن الحـاجب، رضي الـدين محمد بن الحسن الاسـتراباذي، تحقيق محمد نور، محمد الزفزاف، محمد محـيي الـدين عبد الحميـد، دار الكتب العلمية، عام 1975، بيروت، لبنان.

111-شرح شعر زهير بن أبي سلمى، صـنعه أبي العبـاس ثعلب، تحقيق د. فخر الدين قباوة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، عام 1981م.

112-شرح قطر الندى وبل الصدى، جمال الـدين عبد الله بن هشـام الأنصـاري، ضـــبطه على المخطوطة وصـــححه يوسف الشـــيخ محمد البقـــاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام 2003م، بيروت، لبنان.

113-شرح ما يقع فيه التصحيف، أحمد بن عبد الله بن سعيد العسـكري، تحقيق عبد العزيز أحمد، مطبعة الحلبي، عام1963م، القاهرة، مصر.

114-شـــرح نهج البلاغـــة، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحســـين بن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبـراهيم، دار إحيـاء الكتب العربيـة، ط1، عـام 1959م، بيروت، لبنان.

115-شروح التلخيص، سعد الدين التفتازاني، ابن يعقوب المغـربي، بهـاء الـدين السبكي، دار البصائر، ط1، عام 2008م، القاهرة، مصر.

116-شعب الإيمـان، أبو بكر أحمد بن الحسـين الـبيهقي، تحقيق محمد السـعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط1، عام 1410هـ، بيروت، لبنان.

117-شعر الخوارج، إحسـان عبـاس، دار الثقافـة، ط3، عـام 1974م، بـيروت،

لبنان.

118-شـــعرية الخطـــاب في الـــتراث النقـــدي والبلاغي، د. عبد الواسع أحمد الحمــيري، مجد المؤسسة الجامعية للدراســات والنشر والتوزيــع، ط1، عــام 2005م، بيروت، لبنان.

119-الشــمائل المحمدية والخصــائل المصــطفوية، محمد بن عيسى الترمــذي، تحقيق ســيد عبــاس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافيــة، ط1، عــام 1412هـ، بيروت، لبنان.

120-صـحيح البخـاري، محمد بن إسـماعيل البخـاري، تحقيق د. مصـطفى ديب البغا ، دار ابن كثير اليمامة، ط3، عام 1987م، بيروت، لبنان.

121-صـــحيح ابن حبـــان، محمد بن حبـــان التميمي البســـتي، تحقيق شـــعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، عام 1993م، بيروت، لبنان.

122-صـحيح ابن خزيمــة، محمد بن إسـحاق بن خزيمة النيســابوري، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، عام 1970م، بيروت، لبنان.

123-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فـؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. بدون تأريخ.

124-الصمت وآداب اللسان، عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الــدنيا القرشي البغدادي، تحقيق أبي إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، ط1، عــام 1410هـ، بيروت، لبنان.

125-كتــاب الصــناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن ســهل العســكري، ط الحلبي، عام 1971م.

126-طبقات الزيدية الكبرى، إبراهيم بن القاسم بن محمـد، تحقيق عبد السـلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، ط1،عام 1421هـ، عمان، الأردن.

127-طبقــات الشــافعية الكــبرى، تــاج الــدين بن علي الســبكي، تحقيق د. عبد الفتــاح الحلــو، د. محمــود الطنــاجي، هجر للطباعة والنشر والتوزيـع، ط2، عـام 1413هـ، القاهرة، مصر.

128-طبقـــات الشـــافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد قاضي شـــهبة، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، ط1، عام 1407هـ، بيروت، لبنان.

129-الطبقات الكبرى، محمد بن سعد البصري الزهري، تحقيق إحسان عبــاس، دار صادر، ط1، عام 1968م، بيروت، لبنان.

130-طبقـات المفسـرين للـداودي، أحمد بن محمد الأدنهـوي، تحقيق سـليمان صــالح الخــزي، مكتبة العلــوم والحكم، ط1، عــام 1997م، المدينة المنــورة، المملكة السعودية.

131-الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقـائق الإعجـاز، الإمـام يحـيى بن حمـزة، طبع بعناية دار الكتب المصـرية وبتصـحيح سـعد بن علي المرصـفي في مطبعة المقتطف، عام 1332هـ، القاهرة، مصر.

132-العظمــة، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيــان الأصـبهاني، تحقيق رضــاء الله محمد إدريس المبــاركفوري، دار العاصــمة، ط1، عــام 1408هـ، الريــاض، المملكة السعودية.

133-العقد الفريــد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلســي، دار إحيــاء الــتراث العربي، ط3، عام 1999م، بيروت، لبنان.

134-العقــود اللؤلؤية في تــاريخ الدولة الرســولية، علي بن الحسن الخــزرجي، تصحيح محمد بسيوني عسل،ط2، عام 1403هـ، (د).

135-العلل المتناهيــة، عبد الــرحمن بن علي بن الجــوزي، تحقيق خليل الميس، دار الكتب العلمية، ط1، عام 1403هـ، بيروت، لبنان.

136-العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان. بدون تأريخ

137-غاية الأمــاني في أخبــار القطر اليمــاني، يحــيى بن الحســين بن القاســم، تحقيق د. سـعيد عاشــور، د. محمد زيــادة، دار الكتــاب العــربي، عــام 1388هـ، القاهرة، مصر.

138-فتح القدير الجامع بين فني الراوية والدراية، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، لبنان. بدون تأريخ.

139-الفصل للوصل المــدرج، أحمد بن علي بن ثــابت البغــدادي، تحقيق محمد مطر الزهراني، دار الهجرة، ط1، عام 1418هـ، الرياض، المملكة السعودية.

140-فهرس مخطوطات المكتبة الغربية في الجامع الكبير بصنعاء، إعــداد أحمد

عيسوي، محمد سعيد، طبع بإشراف منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر.

141-الفهرســت، أبو الفــرج محمد بن إســحاق، المعــروف بــابن النــديم، دار المعرفة، عام 1978م، بيروت، لبنان.

142-القاموس المحيط، مجد الـدين محمد بن يعقـوب الفـيروز آبـادي، مؤسسة الرسالة، ط5، عام 1995م، بيروت، لبنان.

143-قِصر الأمــل، أبو بكر عبد الله بن أبي الــدنيا، تحقيق محمد خــير رمضــان يوسف، دار ابن حزم، ط2، عام 1997م، بيروت، لبنان.

144-القضاء والقدر، أبو بكر أحمد بن الحســين بن علي الــبيهقي، تحقيق محمد عبد الله آل عــامر، مكتبة العبيكــان، ط1، عــام 2000م، الريــاض، المملكة السعودية.

145-الكامل في التــاريخ، ابن الأثــير علي بن محمد بن محمد بن عبد الكــريم الشــيباني، تحقيق عبد الله القاضــي، دار الكتب العلميــة، ط2، عــام 1415هـ، بيروت، لبنان.

146-الكشاف عن حقائق غـوامض التنزيل وعيـون الأقاويل في وجـوه التأويـل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث، ط1، عام 1417هـ، بيروت، لبنان.

147-كشف الخفــاء، إســماعيل بن محمد العجلــوني الجــراحي، تحقيق أحمد القلاش، مؤسسه الرسالة، ط4، عام 1405هـ، بيروت، لبنان.

148-كشف الظنـــون عن أســـامي الكتب والفنـــون، مصـــطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي، دار الكتب العلمية، عام 1992م، بيروت، لبنان.

149-كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي المتقي بن حســام الـدين الهنـدي، تحقيق محمـود عمر الـدمياطي، دار الكتب العلميـة، ط1، عـام 1998م، بيروت، لبنان.

150-لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صـادر، ط3، عـام 1994م، بيروت، لبنان.

151-لسان الميزان، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق دائـرة المعـارف النظامية الهنــد، مؤسسة الأعلمي للمطبوعــات، ط3، عــام 1986م، بــيروت،

لبنان.

152-مآثر الأبـرار في تفصـيل مجمل جـواهر الأخبـار، محمد بن علي بن يـونس الزحيف، تحقيق عبد السلام الوجيه، خالد المتوكل، مؤسسة الإمـام زيد بن علي الثقافية، ط1، عام 2002م، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

153-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكــريم الموصــلي، تحقيق محمد محــيي الــدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، عام 1995م، بيروت، لبنان.

154-مجمع الأمثــال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميــداني النيســابوري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان. بدون تأريخ.

155-مجمع الزوائد ومنبع الفوائــد، نــور الــدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان، عام 1407هـ.

156-المجمـوع الحـديثي والفقهي، الإمـام زيد بن علي بن الحسـين بن علي بن أبي طالب، تحقيق عبد الله حمود العزي، مؤسسة الإمـام زيد بن علي الثقافيـة، ط1، عام 2002م، عمان، الأردن.

157-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيـز، عبد الحق بن غـالب الأندلسـي، تحقيق عبد السلام عبد الشافعي محمد، دار الكتب العلمية، ط1، عام 1993م، بيروت، لبنان.

158-المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، عام 2000م، بيروت، لبنان.

159-مختـار الصـحاح، محمد بن أبي بكر الـرازي، تحقيق محمـود خـاطر، مكتبة لبنان ناشرون، ط جديدة، عام 1995م، بيروت، لبنان.

160-المراسـيل لأبي داود، سـليمان بن الأشـعث السجسـتاني، تحقيق شـعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، عام 1408هـ، بيروت، لبنان.

161-المزهر في علوم اللغة والأدب، جلال الـدين السـيوطي، تحقيق فـؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، ط1، عام 1998م، بيروت، لبنان.

162-المستدرك على الصـحيحين، محمد بن عبد الله الحـاكم، تحقيق مصـطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، عام 1990م، بيروت، لبنان.

163-المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتوح الأبشيهي، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط2، 1986م، بيروت، لبنان.

164-المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، أحمد بن أيبك المعروف بابن الدمياطي، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، عام 1997م، بيروت، لبنان.

165-مسند أبي يعلى، أحمد بن علي المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، ط1، عام 1984م، دمشق، سوريا.

166-مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة، القاهرة ، مصر. بدون تأريخ.

167-مسند إسحاق بن راهويه، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه، تحقيق د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، مكتبة الإيمان، ط1، عام 1991م، المدينة المنورة، المملكة السعودية.

168-مسند البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، لبنان، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة السعودية، ط1، عام 1409هـ.

169-مسند الشهاب، محمد بن سلامة القضاعي، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، ط2، عام 1986م، بيروت، لبنان.

170-مسند شمس الأخبار المنتقى من كلام النبي المختار، علي بن حميد القرشي، مكتبة اليمن الكبرى، ط1، عام 1407هـ، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

171-مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد بن نصر الكسي، تحقيق صبحي البدري، محمود الصعيدي، مكتبة السنة، ط1، عام 1988م، القاهرة، مصر.

172-مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار، الإمام يحيى بن حمزة، تحقيق الدكتور محمد السيد الجليندي، منشورات دار الفكر الحديث، عام 1962م، القاهرة، مصر.

173-المصابيح الساطعة الأنوار تفسير أهل البيت، القاسم بن إبراهيم، محمد بن القاسم، الإمام الهادي يحيى بن الحسين، جمع وتأليف عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الشرفي، تحقيق محمد قاسم الهاشمي، عبد السلام عباس الوجيه،

إشراف صلاح بن محمد الهاشمي، مكتبة التراث الإسلامي، ط1، عـام 1998م، صعدة، الجمهورية اليمنية.

174-مصـادر الـتراث اليمـني في المتحف البريطـاني، د. حسـين العمـري، دار المختار للتأليف والطباعة والنشر والتوزيع، عام 1980م، دمشق، سوريا.

175-مصـــادر الفكر العـــربي الإســـلامي في اليمن، عبد الله محمد الحبشـــي، منشورات المجمع الثقافي، عام 2004م، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.

176-مصـنف ابن أبي شـيبة، عبد الله بن محمد بن أبي شـيبة الكـوفي، تحقيق كمـال يوسف الحـوت، مكتبة الرشـد، ط1، عـام 1409هـ، الريـاض، المملكة السعودية.

177-مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصـنعاني، تحقيق حـبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط2، عام 1403هـ، بيروت، لبنان.

178-المصنف في الأحاديث والآثار، عبد الله بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق كمال الحوت، مكتبة الرشد، ط1، عام 1409هـ، الرياض، المملكة السعودية.

179-المطالب العالية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق د. سـعد ناصر الشـــتري، دار العاصـــمة، دار الغيث، ط1، عـــام 1419هـ، الريـــاض، المملكة السعودية.

180-المعـالم الدينية في العقائد الإلهيـة، تحقيق سـيد مختـار محمد حشـاد، دار الفكر المعاصر، عام1988م، بيروت، لبنان.

181-معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجـاج، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي،عالم الكتب، ط1، عام 1988م، بيروت، لبنان.

182-معجم الأدباء، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الكتب العلميـة، ط1، عـام 1991م، بيروت، لبنان.

183-المعجم الأوسـط، سـليمان بن أحمد الطـبراني، تحقيق طـارق عـوض الله محمد، عبد المحسن إبراهيم الحسـيني، دار الحـرمين، عـام 1415هـ، القـاهرة، مصر.

184-معجم البلـدان، يـاقوت بن عبد الله الحمـوي، دار الفكـر، بـيروت، لبنـان. بدون تأريخ.

185-معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين، عبد السلام الوجيه، مؤسسة الإمـام زيد بن علي الثقافية، ط1، عام 1421هـ، عمان، الأردن.
186- معجم السـفر، أبو طـاهر أحمد بن محمد السـلفي، تحقيق عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، المملكة السعودية. بدون تأريخ.
187-المعجم الصـغير(الـروض الـداني)، سـليمان بن أحمد الطـبراني، تحقيق محمد شكور محمـود الحـاج، المكتب الإسـلامي دار عمـار، ط1، عـام 1985م، بيروت، لبنان، وعمان، الأردن.
188-المعجم الكبـير، سـليمان بن أحمد الطـبراني، تحقيق حمـدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، ط2، عام 1983م، الموصل، العراق.
189-معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.
190-المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مطابع دار المعـارف، ط2، عـام 1400هـ، القاهرة، مصر.
191-معجم ما اسـتعجم من أسـماء البلاد والمواضـع، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكـري، تحقيق مصـطفى السـقا، عـالم الكتب، ط3، عـام 1403هـ، بيروت، لبنان.
192-المفصل في صنعة الإعراب، محمـود بن عمر الزمخشـري، تحقيق د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، ط1، عام 1993م، بيروت، لبنان.
193-مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريـا، تحقيق عبد السـلام محمد هارون، اتحاد الكتّاب العرب، عام 2002م، دمشق، سوريا.
194-مكـــارم الأخلاق، عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبي الـــدنيا القرشي البغدادي، تحقيق مجدي السيد إبـراهيم، مكتبة القـرآن، عـام 1990م، القـاهرة، مصر.
195-ملامح يونانية في الأدب العـربي، د. إحسـان عبـاس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، عام 1977م، بيروت، لبنان.
196-الملل والنحـل، محمد بن عبد الكـريم بن أبي بكر أحمد الشهرسـتاني،

تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، عام 1404هـ، بيروت، لبنان.
197-من الشعر المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه-، جمعه وشرحه عبد العزيز سيد الأهل، دار صادر، ط2، عام 1980م، بيروت، لبنان.
198-من مباحث البلاغة والنقد بين ابن الأثير والعلوي دراسة في التأثير والتأثر وتجاوزات الفهم، د. نزيه عبد الحميد فراج، مكتبة وهبة، ط1، عام 1997م، القاهرة، مصر.
199-المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها، محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي، تحقيق أحمد محمد السلقي الأصبهاني، دار الفكر، عام 1986م، دمشق، سوريا.
200-المنخول، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، تحقيق د . محمد حسن هيتو، دار الفكر، ط2، عام1400هـ، دمشق، سوريا.
201-منهج تحقيق النصوص ونشرها، د. نوري حمودي القيسي، د. سامي مكي العاني، مطبعة المعارف، عام 1975م، بغداد، العراق.
202-المنية والأمل في شرح الملل والنحل، الإمام أحمد بن يحيى المرتضى، دار الندى، ط2، عام 1990م، بيروت، لبنان.
203-المواقف، عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، ط1، عام 1417هـ، بيروت، لبنان.
204-موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، إعداد أبي هاجر محمد السعيد بسيوني زغلول، عالم التراث، ط1، عام 1989م، بيروت، لبنان.
205-موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس الأصبحي- رواية محمد بن الحسن-، تحقيق د. تقي الدين الندوي، دار القلم، ط1، عام 1991م، دمشق، سوريا.
206-ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان المعروف بالذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، ط1، عام 1963م، بيروت، لبنان.
207-نهج البلاغة، الإمام علي بن أبي طالب، ضبط نصه د. صبحي الصالح، دار الكتاب العربي، مكتبة المدرسة، ط2، عام 1982م، بيروت، لبنان.

208-هجر العلم ومعرفة معاقله في اليمن، إسـماعيل علي الأكـوع، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، عام 1995م.

209-هدية العارفين، إسماعيل باشا البغـدادي، عـام 1955م، اسـتانبول، تركيـا، (د).

210-الـوافي بالوفيـات، صـلاح الـدين خليل بن أيبك الصـفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوطي، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، عام 2000م، بيروت، لبنان.

211-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمـان، شـمس الـدين أحمد بن محمد خلكـان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ط1، عام 1971م، بيروت، لبنان.

ثانيًا: المصادر المخطوطة

1- أطواق الحمامة في حمل الصحابة على السلامة، الإمـام يحـيى بن حمـزة، مكتبة آل يحيى، مدينة تريم، محافظة حضرموت.

2-التحقيق في الإكفار والتفسيق، الإمام يحيى بن حمزة، مكتبة الأستاذ حسين السياغي بصنعاء.

3-التمهيد لأدلة مسائل العدل والتوحيد، الإمام يحيى بن حمـزة، مكتبة الجـامع الكبير بصنعاء برقم (61 علم الكلام).

4-سيرة الإمام يحيى بن حمزة، عبد الله بن الهادي بن يحيى بن حمـزة، مكتبة الجامع الكبير التابعة للأوقاف، صنعاء، برقم (10 مجاميع).

5-الشامل لحقـائق الأدلة العقلية وأصـول المسـائل الدينيـة، الإمـام يحـيى بن حمزة، مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (88 علم الكلام).

6-العمدة في مـذاهب الأئمـة، الإمـام يحـيى بن حمـزة، الجـزء الثـالث والرابع مصورتان بمكتبة العلامة محمد عبد العظيم الهادي محافظة صعدة.

7-نهاية الوصـول إلى علم الأصـول، الإمـام يحـيى بن حمـزة، نسـخة مصـورة بمكتبة العلامة محمد عبد العظيم الهادي محافظة صعدة.

8-نور الأبصار المنتزع من كتاب الانتصار، الإمام يحيى بن حمـزة، مكتبة جـامع شهارة، مدينة شهارة، محافظة حجة.

9- وصـايا الإمـام يحـيى بن حمـزة إلى أولاده وأزواجـه، الإمـام يحـيى بن

حمزة، مكتبة الجامع الكبير بصنعاء برقم (106) مجاميع.

ثالثًا: الرسائل الجامعية

1- الأزهار الصافية شرح مقدمة الكافية، الإمام يحيى بن حمـزة، الجـزء الأول، تحقيق محمد علي سـالم العطاونـة، أطروحة دكتـوراة، كلية اللغة العربيـة، جامعة الأزهر، عام 1982م، القاهرة، مصر.

2-الأزهار الصافية شرح مقدمة الكافية، الإمام يحيى بن حمـزة، الجـزء الثـاني، تحقيق عبد الحميد مصـطفى السـيد، أطروحة دكتـوراة، كلية اللغة العربيـة، جامعة الأزهر، عام 1982م، القاهرة، مصر.

3-الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم البيان ومعرفة أسـرار القـرآن، الإمـام يحـيى بن حمـزة, تحقيق د. ريـاض القرشـي، رسـالة ماجسـتير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، عام 1984م، القاهرة، مصر.

4-الجهود النحوية ليحيى بن حمزة العلـوي، رسـالة ماجسـتير مقدمة من أزهـار محمد لطف فايع، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة صنعاء، عام 2003م، صنعاء، الجمهورية اليمنية.

5-الحاصر في فوائد المقدمة لطـاهر، الإمـام يحـيى بن حمـزة، دراسة وتحقيق زكريا محمد حسن علي، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عام 1994م، القاهرة، مصر.

6-شـرح شـذور الـذهب في معرفة كلام العـرب، شـمس الـدين محمد بن عبد المنعم الجـوجري الشـافعي، تحقيق نـواف جـزاء الحـارثي، رسـالة ماجسـتير، عمـادة البحث العلمي بالجامعة الإسـلامية، ط1، 2004م، المدينة المنـورة، المملكة السعودية.

7-المحصل في كشف أسرار المفصل، الإمام يحيى بن حمزة العلـوي، أطروحة دكتـوراة مقدمة من خالد عبد الحميد أبو جندية إلى كلية اللغة العربيـة، جامعة الأزهر، عام 1982م، القاهرة، مصر.

8-المنهاج في شرح جمل الزجاجي، يحيى بن حمزة العلـوي، دراسة وتحقيق د. هادي عبد الله ناجي، أطروحة دكتوراة، كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق، عـام 1999م، مكتبة الرشد، ط1، عام 2009م، الرياض، المملكة السعودية.

فهرس الموضوعات